مرقاة المفاتيح
للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ
شرح مشكاة المصابيح
للإمام العلامة محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٧٤١هـ
تحقيق
الشيخ جمال عيتاني
تنبيه:
وضعنا متن المشكاة في أعلى الصفحات، ووضعنا أسفل منها نص مرقاة المفاتيح؛ وألحقنا في آخر المجلد الحادي عشر كتاب الإكمال في أسماء الرجال
وهو تراجم رجال المشكاة للعلامة التبريزي
منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مرقاة المفاتيح

للعلامة الشيخ علي بن سلطان محمد القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ

شرح مشكاة المصابيح

للإمام العلامة محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٧٤١هـ

تحقيق
الشيخ جمال عيتاني

تنبيه:
وضعنا متن المشكاة في أعلى الصفحات، ووضعنا أسفل منها نص «مرقاة المفاتيح» وألحقنا في آخر المجلد الحادي عشر كتاب «الإكمال في أسماء الرجال» وهو تراجم رجال المشكاة للعلامة التبريزي

الجزء العاشر

يحتوي على الكتب التالية
الرقاق - أحوال القيامة وبدء الخلق - الفضائل والشمائل

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الفتن

الفصل الأول

٥٣٧٩ ـ (١) عن حذيفة، قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً، ما ترك شيئاً يكونُ في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدَّث به، حفِظَهُ من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته،

(كتاب الفتن)

الفتن جمع الفتنة وهي الامتحان والاختبار بالبلية.

(الفصل الأول)

٥٣٧٩ ـ **(عن حذيفة قال: قام)** أي خطيباً أو واعظاً **(فينا)** أي فيما بيننا أو لأجل أن يعظنا ويخبرنا بما سيظهر من الفتن لنكون على حذر منها في كل الزمن. **(رسول الله ﷺ مقاماً)** أما مصدر ميمي أو اسم مكان. وقيل اسم زمان والجملة المنفية وهي قوله: **(ما ترك شيئاً)** الخ صفة، وقوله: **(يكون)** بمعنى يوجد صفة شيئاً. وقوله: **(في مقامه)** متعلق بترك ووضع مقامه موضع ضمير الموصوف. وقوله: **(ذلك)** صفة مقامه إشارة إلى زمانه ﷺ. وقوله: **(إلى قيام الساعة)** غاية ليكون. والمعنى: قام مقاماً ما ترك شيئاً يحدث فيه وينبغي أن يخبر بما يظهر من الفتن من ذلك الوقت إلى قيام الساعة. **(إلا حدث به)** أي بذلك الشيء الكائن **(حفظه من حفظه)** أي المحدث به **(ونسيه من نسيه قد علمه)** أي هذا القيام أو هذا الكلام بطريق الإجمال **(أصحابي هؤلاء)** أي الموجودون من جملة الصحابة، لكن بعضهم لا يعلمونه مفصلاً لما وقع لهم بعض النسيان الذي هو من خواص الإنسان وأنا الآخر ممن نسي بعضه، وهذا معنى قوله: **(وإنه)** أي الشأن. وأبعد من قال إن الضمير لقوله: شيئاً. **(ليكون منه الشيء قد نسيته)** صفة لشيء واللام فيه زائدة واللام في ليكون مفتوحة على أنه جواب لقسم مقدر. والمعنى ليقع

الحديث رقم ٥٣٧٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤٩٤. حديث رقم ٦٦٠٤. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢١٧. حديث رقم (٢٣. ٢٨٩١). وأخرجه أبو داود ٤/ ٤٤١ حديث رقم ٤٢٤٠. والترمذي في السنن ٤/ ٤١٠ حديث رقم ٢١٩١. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٤٦ حديث رقم ٤٠٥٣. وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٥.

فأراه فأذكره، كما يذكر الرجل وجه الرجلِ إذا غاب عنه، ثمّ إذا رآه عرفه. متفق عليه.

٥٣٨٠ ـ (٢) وعنه، قال: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «تُعرضُ الفتنُ على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلبٍ أُشرِبها

شيء مما ذكره النبي ﷺ وقد نسيته. (**فأراه فأذكره**) أي فإذا عاينته تذكرت ما نسيته، والعدول من المضي إلى المضارع لاستحضار حكاية الحال. ثم شبه الموصوف بالمعاين فقال: (**كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه**) أي ثم ينساه (**ثم إذا رآه عرفه. متفق عليه**).

٥٣٨٠ ـ (**وعنه**) أي عن حذيفة (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تعرض**) بصيغة المجهول، أي توضع وتبسط. (**الفتن**) أي البلايا والمحن. وقيل العقائد الفاسدة والأهواء الكاسدة. (**على القلوب**) وقيل تعرض عليه، أي يظهر لها ويعرف ما يقبل منها وما يأباه وينفر منها من عرض العود على الإناء إذا وضعه عليه بعرضه. وقيل: هو من عرض الجند بين يدي السلطان لإظهارهم واختبار أحوالهم. (**كالحصير**) أي كما يبسط الحصير (**عوداً عوداً**) بضم عين ودال مهملة ونصبهما على الحال، أي ينسج الحصير حال كونه على هذا المنوال. وقال التوربشتي [رحمه الله]: قد رُوي بالرفع وكذا نرويه عن كتاب مسلم وعلى هذا الوجه أورده صاحب المصابيح. والتقدير هو عود عود، ورواه آخرون بالنصب انتهى. فهو خبر مبتدأ مقدر، والتقدير ينسج عود عود فهو مفعول ما لم يسم فاعله. وفي نسخة: عوذاً عوذاً بفتح العين والذال المعجمة، أي نعوذ بالله من ذلك عوذاً بعد عوذ. قال النووي [رحمه الله]: هذان الحرفان مما اختلف في ضبطه على ثلاثة أوجه أظهرها وأشهرها ضم العين والدال المهملة، والثاني فتح العين والدال المهملة أيضاً، والثالث فتح العين والذال المعجمة. ومعنى تعرض، أي تلصق بعرض القلوب أي جانبها كما تلصق الحصير بجنب النائم وتؤثر فيه بشدة التصاقها. ومعنى عوداً عوداً أي يعاد ويكرر شيئاً بعد شيء. قال ابن السراج [رحمه الله]: ومن رواه بالذال المعجمة فمعناه سؤال الاستعاذة منهما كما يقال: غفراً غفراً، أي نسألك أن تعيذ[نا]من ذلك وأن تغفر لنا. وقال الخطابي: معناه تظهر على القلوب، أي تظهر لها فتنة بعد أخرى كما ينسج الحصير عوداً عوداً وشظية بعد أخرى. قال القاضي عياض: وعلى هذا تتوجه رواية العين وذلك أن ناسج الحصير عند العرب كلما صنع عوداً أخذ آخر ونسجه فشبه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحداً بعد واحد انتهى. فإذا كان الأمر كذلك (**فأي قلب أشربها**) بصيغة المفعول. يقال: أشرب في قلبه حبه، أي خالطه. فالمعنى خالط الفتن واختلط بها ودخلت فيه دخولاً تاماً ولزمها لزوماً كاملاً وحلت منه محل

الحديث رقم ٥٣٨٠: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٢٨ حديث رقم (٢٣١ ـ ١٤٤) وأحمد في المسند ٥/ ٤٠٥.

نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلبٍ أنكرها نُكِتَتْ فيهِ نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: أبيض مثل الصَّفا، فلا تضرُّهُ فتنةٌ ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسودُ مِرْبَادّاً كالكوز، مجَخِّياً لا يَعْرِفُ معروفاً ولا يُنكر منكراً إلا ما أُشرب من هواه»

الشراب في نفوذ المسام وتنفيذ المرام. ومنه قول تعالى: ﴿**وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم**﴾ [البقرة ـ ٩٣] أي حب العجل والاشراب خلط لون بلون كأن أحد اللونين شرب الآخر وكسي لوناً آخر. فالمعنى جعل متأثراً بالفتن بحيث يتداخل فيه حبها كما يتداخل الصبغ الثوب. (**نكتت**) بصيغة المجهول، أي نقطت وأثرت. (**فيه**) أي في قلبه (**نكتة سوداء**) وأصل النكت ضرب الأرض بقضيب فيؤثر فيها. (**وأي قلب أنكرها**) أي رد الفتن وامتنع من قبولها (**نكتت فيه نكتة بيضاء**) أي إن لم تكن فيه ابتداء وإلا فمعنى نكتت أثبتت[1] فيه ودامت واستمرت. (**حتى**) غاية للأمرين (**تصير**) بالفوقية وفي نسخة بالتحتية، أي تصير قلوب أهل ذلك الزمان أو يصير الإنسان باعتبار قلبه أو يصير قلبه. (**على قلبين**) أي نوعين أو صفتين (**أبيض**) بالرفع أي أحدهما أبيض (**مثل الصفا**) بالقصر، أي مثل الحجر المرمر الأملس من غاية البياض والصفا. وفي نسخة بفتحهما على أن الأول بدل البعض من قلبين والثاني على الحال منه، أي مماثلاً ومشابهاً للصفا في النور والبهاء. (**فلا تضره فتنة**) وظلمة وبلية (**ما دامت السموات والأرض**) لأنها قلوب صافية قد أنكرت تلك الفتن في ذلك الزمن فحفظها عنها بعد تلك الساعة إلى يوم القيامة. (**والآخر**) بالرفع وكذا قوله: (**اسود مرباداً**) بكسر الميم وبالدال المشددة من ارباد كاحمار، أي صار كلون الرماد من الربدة لون بين السواد والغبرة وهو حال أو منصوب على الذم (**كالكوز**) أي يشبه الآخر الكوز حال كونه (**مجخياً**) بضم ميم وسكون جيم وخاء مكسورة مشددة وقد تخفف وياء آخر الحروف. وفي النهاية وروي بتقديم الخاء على الجيم، أي مائلاً منكوساً مشبهاً من هو خال من العلوم والمعارف بكوز مائل لا يثبت فيه شيء ولا يستقر، وهذا معنى قوله: (**لا يعرف**) أي هذا القلب (**معروفاً ولا ينكر منكراً**) والمعنى لا يبقى فيه عرفان ما هو معروف ولا إنكار ما هو منكر. (**إلا ما أشرب**) أي القلب (**من هواه**) أي فيتبعه طبعاً من غير ملاحظة كونه معروفاً أو منكراً شرعاً. هذا مجمل الكلام وتفصيله ما ذكره الشراح الكرام في هذا المقام، قال القاضي [رحمه الله]: أي حتى يصير جنس الإنس على قسمين قسم ذو قلب أبيض كالصفا وذو قلب أسود مربداً. قال المظهر: الضمير في يصير للقلوب أي تصير القلوب على نوعين أحدهما أبيض وثانيهما أسود. قال التوربشتي [رحمه الله]: الصفا الحجارة الصافية الملساء، وأريد به هنا النوع الذي صفا بياضه وعليه نبه بقوله: أبيض. وإنما ضرب المثل به لأن الأحجار إذا لم تكن معدنية لم تتغير بطول الزمان ولم يدخلها لون آخر لا سيما النوع الذي ضرب به المثل فإنه أبداً على البياض الخالص الذي لا يشوبه كدرة. وإنما وصف القلب بالربدة لأنه أنكر ما يوجد من السواد بخلاف ما يشوبه صفاء وتعلوه طراوة من النوع الخالص. وفي شرح مسلم قال القاضي عياض [رحمه الله تعالى]: ليس

---

(١) في المخطوطة «أثبت».

رواه مسلم.

٥٣٨١ - (٣) وعنه، قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، رأيتُ أحدهما وأنا أنتظرُ الآخر: حدثنا: «إنّ الأمانة نزلت في جَذْرِ قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة».

تشبيهه بالصفا بياناً لبياضه لكنه صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل وإن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء. وأما قوله: مرباداً فكذا هو في روايتنا وأصول بلادنا وهو منصوب على الحال. وذكر القاضي عياض [رحمه الله]خلافاً في ضبطه فإن منهم من ضبطه كما ذكرناه ومنهم من روى مربئد بهمزة مكسورة بعد الباء، وأصله أن لا يهمز ويكون مربداً مثل مسود ومحمر لأنه من أربد إلا على لغة من قال احمأر بهمز بعد الميم لالتقاء الساكنين. فيقال أربأد فهو مربئد والدال مشددة على القولين. قال المظهر: قوله: إلا ما أشرب. يعني لا يعرف القلب إلا ما قبل من الاعتقادات الفاسدة والشهوات النفسانية. وقال الطيبي [رحمه الله]: ولعله أراد من باب تأكيد الذم بما يشبه المدح، أي ليس فيه خير البتة إلا هذا وهذا ليس بخير فيلزم منه أن لا يكون فيه خير. **(رواه مسلم)**.

٥٣٨١ - **(وعنه)** أي عن حذيفة **(قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين)** أي في أمر الأمانة الحادثة في زمن الفتنة وبهذا يظهر وجه مناسبة ذكرهما في الباب. قال النووي [رحمه الله]: الأول حدثنا أن الأمانة نزلت إلى آخره، والثاني حدثنا عن رفعها. **(رأيت أحدهما)** وهو نزول الأمانة **(وأنا أنتظر الآخر)** وهو رفع الأمانة **(حدثنا)** وهو الحديث الأول **(إن الأمانة)** وهي الإيمان، ومنه قوله تعالى: ﴿**إنا عرضنا الأمانة**﴾ [الأحزاب - ٧٢]. وعبر عنه بها لأنها مدار أمر الديانة. **(نزلت في جذر قلوب الرجال)** بفتح الجيم ويكسر، أي أصل قلوبهم. قال شارح: جذر كل شيء أصله، أي أن الأمانة أول ما نزلت في قلوب رجال الله واستولت عليها فكانت هي الباعثة على الأخذ بالكتاب والسنة، وهذا هو المعنى بقوله: **(ثم علموا)** أي بنور الإيمان **(من القرآن)** أي مما يتلقون عنه ﷺ واجباً كان أو نفلاً حراماً أو مباحاً مأخوذاً من الكتاب أو الحديث. وقوله: **(ثم من السنة)** وفي نسخة صحيحة: ثم علموا من السنة. فيه إشارة إلى تأخير رتبة المأخوذ من الحديث بالنسبة إلى نص كلام القديم. قال النووي [رحمه الله]: الظاهر أن المراد بالأمانة التكليف الذي كلف الله تعالى بها عباده والعهد الذي أخذه عليهم. قال صاحب التقرير: الأمانة في الحديث هي الأمانة المذكورة في قوله تعالى: ﴿**إنا عرضنا الأمانة**﴾. وهي عين الإيمان انتهى. والظاهر أن المراد بالعهد في كلام النووي العهد الميثاقي

الحديث رقم ٥٣٨١: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٣٣. حديث رقم ٦٤٩٧. ومسلم في صحيحه ١/ ١٢٦ حديث رقم (٢٣٠ . ١٤٣). والترمذي في السنن ٤/ ٤١١ حديث رقم ٢١٧٩. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٤٦ حديث رقم ٤٠٥٣. وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٣.

وحدثنا عن رفعها قال: «ينامُ الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظلُّ أثرها مثل أثر الوكْت، ثم ينامُ النومة فتقبض، فيبقى أثرها مثل أثر المَجْل كجمرٍ دَحْرَجْتَهُ على رجلِك، فَنفِطَ، فتراه منتبراً وليس فيه شيء»،

وهو الإيمان الفطري، فذكر قول صاحب التقرير لبيان مزيد تحرير التقرير لا لأنه مخالف للظاهر على ما هو المتبادر، فإنه غير موافق لصدر الحديث السابق، وكذا ما يأتيه من ختم الحديث بقوله اللاحق حيث قال: وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، على أن الإيمان هو منع الأمانة. وأما قوله ﷺ: لا إيمان لمن لا أمانة له[1]. فالمراد به نفي الكمال والله [تعالى] أعلم بالحال. (وحدثنا) وهو الحديث الثاني (عن رفعها) أي ارتفاع ثمرة الإيمان وانتقاصه فإنه سيكون بعد عصره في عصر الصحابة. (قال: ينام الرجل النومة) وهي [إما]على حقيقتها فما بعده أمر اضطراري، وأما النومة كناية عن الغفلة الموجبة لارتكاب السيئة الباعثة على نقص الأمانة ونقص الإيمان. (فتقبض الأمانة) أي بعضها كما يدل عليه ما بعده. والمعنى يقبض بعض ثمرة الإيمان. (من قلبه فيظل) بفتحات فتشديد لام، أي فيصير. (أثرها) أي أثر الأمانة وهو[2] ثمرة الإيمان. (مثل أثر الوكت) بفتح الواو وإسكان الكاف وبالفوقية وهو الأثر اليسير كالنقطة في الشيء. (ثم ينام النومة) أي الأخرى (فتقبض) أي الأمانة أي بعض ما بقي منها. (فيبقى) معروفاً، وقيل مجهولاً (أثرها مثل أثر المجل) بفتح الميم وسكون الجيم وتفتح، وهو أثر العمل في اليد. (كجمر) أي تأثيراً كتأثير[3] جمر. وقال شارح: أبدل من مثل أثر المجل أي يكون أثرها في القلب كأثر جمر، أو خبر مبتدأ محذوف، أي هو يعني أثر المجل كجمر. (دحرجته) أي قلبته ودورته (على رجلك فنفط) بكسر الفاء ذكر الضمير فيه، وكذا قوله: (فتراه منتبراً) بكسر الموحدة أي منتفخاً مع أن الرجل مؤنث سماعي على إرادة الموضع المدحرج عليه الجمر، ومنه قول عمر رضي الله [تعالى]عنه: إياكم والتخلل بالقصب فإن الفم ينتبر منه، أي يرم وينتفط. قيل: المعنى يخيل إليك أن الرجل ذو أمانة وهو في ذلك بمثابة نفطة تراها منتفطة مرتفعة كبيرة لا طائل تحتها. وفي الفائق الفرق بين الوكت والمجل، أن الوكت النقطة في الشيء من غير لونه، والمجل غلظ الجلد من العمل لا غير. ويدل عليه قوله: فتراه منتبراً. (وليس فيه شيء) أي صالح بل ماء فاسد. وفي شرح مسلم قال صاحب التحرير: معنى الحديث أن الأمانة تزول عن القلب شيئاً فشيئاً فإذا زال أول جزء منها زال نورها وخلفته ظلمة كالوكت، وهو اعتراض لون مخالف للون الذي قبله، فإذا زال شيء آخر صار كالمجل وهو أثر محكم لا يكاد يزول إلا بعد مدة وهذه الظلمة فوق التي قبلها. ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة إياه بجمر يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها، ثم يزول الجمر ويبقى النفط. وإنما ذكر نفط ولم يقل نفطت اعتباراً بالعضو انتهى. وقال شارح من علمائنا: يريد أن الأمانة ترفع عن القلوب عقوبة لأصحابها على

(١) أحمد في المسند ٣/ ٢١٠.

(٢) في المخطوطة «وهي».

(٣) في المخطوطة «كأثر».

ويصبحُ الناسُ يتبايعونَ ولا يكاد أحدٌ يؤدِّي الأمانة، فيقال: إنّ في بني فلانٍ رجلاً أميناً ويقال للرجل: ما أعقله! وما أظرفه! وما أجلده! وما في قلبِهِ مثقالُ حبّةٍ مِن خردلٍ من إيمانٍ». متفق عليه.

٥٣٨٢ ـ (٤) وعنه، قال: كانَ الناسُ

ما اجترحوا من الذنوب حتى إذا استيقظوا من منامهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه ويبقى فيه أثر تارة مثل الوكت وتارة مثل المجل، وهو انتفاط اليد من العمل والمجل وإن كان مصدراً، إلا أن المراد به ههنا نفس النفطة وهذا أقل من المرة الأولى لأنه شبهها بالمجوف بخلاف المرة الأولى أراد به خلو القلب عن الأمانة مع بقاء أثرها من طريق الحساب. (**ويصبح الناس**) أي يدخلون في الصباح أو يصيرون (**يتبايعون**) أي يجري بينهم التبايع ويقع عندهم التعاهد (**ولا يكاد أحد يؤدي الأمانة**) بل يظهر من كل أحد منهم الخيانة في المبايعة والمواعدة والمعاهدة[1]. ومن المعلوم أن حفظ الأمانة أثر كمال الإيمان فإذا نقص الأمانة نقص الإيمان وبطل الإيقان وزال الإحسان. (**فيقال:**) أي من غاية قلة الأمانة في الناس. (**إن في بني فلان رجلاً أميناً**) أي كامل الإيمان وكامل الأمانة (**ويقال**) أي في ذلك الزمان (**للرجل:**) أي من أرباب الدنيا ممن له عقل في تحصيل المال والجاه وطبع في الشعر والنثر وفصاحة وبلاغة وصباحة وقوة بدنية وشجاعة وشوكة. (**ما أعقله وما أظرفه وما أجلده**) تعجباً من كماله واستغراباً من مقاله واستبعاداً من جماله. وحاصله أنهم يمدحونه بكثرة العقل والظرافة والجلادة ويتعجبون منه ولا يمدحون أحداً بكثرة العلم النافع وصلاح العمل الصالح. (**وما في قلبه**) حال من الرجل والحال أنه ليس في قلبه. (**مثقال حبة**) أي مقدار شيء قليل (**من خردل**) من بيانية لحبة أي هي خردل. (**من إيمان**) أي كائناً منه. وهو يحتمل أن يكون المراد منه نفي أصل الإيمان أو كماله والله [تعالى] أعلم. قال الطيبي [رحمه الله]: لعله إنما حملهم على تفسير الأمانة في قوله: إن الأمانة نزلت بالإيمان لقوله آخراً: وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فهلا حملوها على حقيقتها لقوله: ويصبح الناس يتبايعون ولا يكاد أحد يؤدي الأمانة فيكون وضع الإيمان آخراً موضعها تفخيماً لشأنها وحثاً على أدائها. قال ﷺ: لا دين لمن لا أمانة[2] له. قلت: إنما حملهم عليه ما ذكر آخراً وما صدر أولاً من قوله: نزلت في جذر قلوب الرجال، فإن نزول الأمانة بمعنى الإيمان هو المناسب لأصل قلوب المؤمنين، ثم يعلمون إيقانه واتقانهم بتتبع الكتاب والسنة. وأما الأمانة فهي جزئية من كلية ما يتعلق بالإيمان والقرآن والله سبحانه [وتعالى]أعلم. (**متفق عليه**).

٥٣٨٢ ـ (**وعنه**) أي عن حذيفة رضي الله تعالى عنه (**قال: كان الناس**) أي أكثرهم

---

(١) في المخطوطة زيادة كلمة «والمعايرة».

الحديث رقم ٥٣٨٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٦١٥. حديث رقم ٣٦٠٦. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤٧٥ حديث رقم (٥١ ـ ١٨٤٧). وابن ماجه ٢/ ١٣١٧ حديث رقم ٣٩٧٩.

يسألون رسولَ الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، قال: قلتُ: يا رسول الله! إنا كنّا في جاهليّةٍ وشرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم». قلتُ: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دَخَنٌ». قلتُ: وما دَخَنُه؟ قال: «قومٌ يَستنُّون بغير سنتي، ويهدون بغير هَدْيي، تعرفُ منهم وتُنكر».

(**يسألون رسول الله ﷺ عن الخير**) أي عن الطاعة ليمتثلوها أو عن السعة والرخاء ليفرحوا به ويستعينوا بالدنيا على الأخرى (**وكنت أسأله عن الشر**) أي عن المعصية أو الفتنة المترتبة على التوسعة. (**مخافة أن يدركني**) أي خشية أن يلحقني الشر نفسه أو بسببه. وهذا الطريق هو مختار الحكماء وكثير من الفضلاء أن رعاية الاحتماء أولى في دفع الداء من استعمال الدواء، وأن التخلية مقدمة على التحلية. وفي كلمة التوحيد إشارة إلى ذلك حيث نفي السوي ثم أثبت المولى، بل مدار جل معرفة الله [سبحانه] على النعوت التنزيهية كقوله تعالى [جلّ جلاله]: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ [الشورى - ١١]. دون الصفات الثبوتية لظهور وجودها في خالق الأشياء بالضرورة العقلية. قال الطيبي [رحمه الله تعالى]: المراد بالشر الفتنة ووهن عرى الإسلام واستيلاء الضلالة وفشو البدعة، والخير عكسه يدل عليه ما نقله الراوي عنه. (**قال: قلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية**) أي أيام غلب فيها الجهل بالتوحيد والنبوة وما يتبعهما من سائر أحكام الشريعة. فقوله: (**وشر**) عطف تفسيري أو المعني به الكفر فهو تخصيص بعد تعميم. (**فجاءنا الله بهذا الخير**) أي الخير العظيم وهو الإسلام ببركة بعثتك. ومفهومه أنه ذهب بالشر عنا بهدم قواعد الكفر والضلال ولعله حذف وجعل من باب الاكتفاء لا سيما وهما ضدان لا يجتمعان. (**فهل بعد هذا الخير**) أي الثابت (**من شر**) أي من حدوث بعض شر (**قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير. قال: نعم وفيه دخن**) بفتحتين، أي كدورة إلى سواد. والمراد أن لا يكون خيراً صفواً بحتاً بل يكون مشوباً بكدورة وظلمة. (**قلت: وما دخنه. قال: قوم يستنون**) بتشديد النون الأولى، أي يقتدون. (**بغير سنتي ويهدون**) أي يدلون الناس (**بغير هديي**) أي بغير طريقتي ويتخذون سيرة غير سيرتي. (**تعرف منهم وتنكر**) قال المظهر: أي ترى فيهم ما تعرفه أنه من ديني وترى أيضاً ما تنكر أنه ديني. قال الأشرف: يعرف منهم المنكر بأن يصدر المنكر عنهم، وتنكر هو خبر بمعنى الأمر، أي أنكر عليهم صدور المنكر عنهم. قال الطيبي [رحمه الله]: الوجه الأول راجع إلى معنى قوله: نعم. وفيه دخن، أي تعرف فيهم الخير فتقبل والشر فتنكر فهو من المقابلة المعنوية، والوجه الثاني راجع إلى معنى قوله: يستنون بغير سنتي. فالوجه أن يكون المعطوف والمعطوف عليه كلاهما في معنى الأمر، أي اعرف منهم ذلك وأنكر والخطاب في تعرف وتنكر من الخطاب العام. أقول: وفيه نظر لا يخفى، إذ ليس كل أحد له قابلية معرفة المعروف وإنكار المنكر فالخطاب خاص لحذيفة وأمثاله من أهل العلم والديانة. قيل: المراد بالشر الأول الفتن التي وقعت عند قتل عثمان رضي الله [تعالى] عنه وما بعده، وبالخير الثاني ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز [رضي الله عنه] وبالذين تعرف منهم وتنكر الأمراء بعده فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل ومنهم من يدعو إلى البدعة ويعمل بالجور، [أو] ومنهم من يعمل بالمعروف تارة ويعمل بالمنكر أخرى بحسب ما

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاةٌ على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها». قلت: يا رسول الله! صِفهم لنا. قال: «هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا». قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزمُ جماعة المسلمين وإمامهم». قلت: فإنْ لم يكنْ لهم جماعةٌ ولا إمام؟ قال: «فاعتزلْ تلك الفِرقَ كلَّها، ولو أن تَعَضَّ بأصلِ شجرةٍ

يقع لهم من تتبع الهوى وتحصيل غرضهم من أمور الدنيا، لا أنهم يريدون تحري الأحرى ورعاية الدار الأخرى كما عليه بعض أمراء زماننا. وقيل: المراد من الشر الأول فتنة عثمان [رضي الله عنه] وما بعده، وبالخير الثاني ما وقع من صلح الحسن مع معاوية والإجماع عليه، وبالدخن ما كان في زمنه من بعض الأمراء كزياد بالعراق وخلاف من خالف عليه من الخوارج. (**قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر. قال: نعم دعاة**) جمع داع (**على أبواب جهنم**) قال الأشرف: أي جماعة يدعون الناس إلى الضلالة ويصدونهم عن الهدى بأنواع من التلبيس ومن الخير إلى الشر ومن السنة إلى البدعة ومن الزهد إلى الرغبة. جعل النبي ﷺ دعوة الدعاء وإجابة المدعوين سبباً لإدخالهم إياهم في جهنم ودخولهم فيها، وجعل كل نوع من أنواع التلبيس بمنزل باب من أبواب جهنم. (**من أجابهم**) أي الدعاة (**إليها**) أي إلى جهنم يعني إلى الضلالة المؤدية إليها (**قذفوه فيها**) أي رموه وصاروا سبباً لقذفه في جهنم. قيل: المراد بالدعاة من قام في طلب الملك من الخوارج والروافض وغيرهما ممن لم يوجد فيهم شروط الإمارة والإمامة والولاية، وجعلوا دعاة على أبواب جهنم باعتبار المآل نحو قوله تعالى: ﴿**إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً**﴾ [النساء - ١٠]. وقيل: هو كقوله تعالى: ﴿**إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم**﴾ [الانفطار - ١٤]. فكأنهم[1] كائنون على أبواب جهنم داعين الناس إلى الدخول في ضيافتهم، أو لأن المباشر بسبب شيء فكأنه واقع به داخل فيه. (**قلت: يا رسول الله صفهم لنا**) أي أنهم منا أو من غيرنا (**قال: هم من جلدتنا**) أي من أنفسنا وعشيرتنا كذا في النهاية. وقيل: معناه من أهل ملتنا ذكره الأشرف وهو الألطف. وقيل: من أبناء جنسنا وفيه أن الجلدة أخص من الجلد وجلد الشيء ظاهره، وهو في الأصل غشاء البدن. (**ويتكلمون بألسنتنا**) أي بالعربية أو بالمواعظ والحكم أو بما قال الله وقال رسوله وما في قلوبهم شيء من الخير. يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم. (**قلت: فما تأمرني**) أي أن أفعل به فيهم (**إن أدركني ذلك**) أي ذلك الزمان (**قال: تلزم جماعة المسلمين**) أي طريقتهم وحضور جمعتهم وجماعتهم (**وإمامهم**) أي ورعاية إمامهم ومتابعتهم ومساعدتهم. (**قلت: فإن لم تكن لهم جماعة**) أي متفقة (**ولا إمام**) أي أمير يجتمعون عليه وهو يحتمل فقدهما أو فقد أحدهما: (**قال: فاعتزل تلك الفرق كلها**) أي الفرق الضالة الواقعة على خلاف الجادة من طريق أهل السنة والجماعة. (**ولو أن تعض بأصل شجرة**) أي ولو كان الاعتزال بالعض. وأن مصدرية وتعض منصوب في النسخ المصححة والأصول المعتمدة. وقيل إن

---

(١) في المخطوطة «نهم».

حتى يُدرِكَكَ الموتُ وأنت على ذلك». متفق عليه. وفي روايةٍ لمسلم: قال: «يكونُ بعدي أئمةٌ لا يهتدون بهُداي، ولا يستنُّون بسنتي، وسيقومُ فيهم رجالٌ، قلوبُهم قلوبُ الشياطين في جُثمان إنس». قال حذيفة: قلت: كيفَ أصنع يا رسول الله إن أدركتُ ذلك؟ قال: تَسْمَعُ وتطيعُ الأمير، وإن ضُرِب ظهرك وأخِذَ مالك فاسمع وأطع».

مخففه من المثقلة. قال التوربشتي [رحمه الله]: أي تمسك بما يصبرك وتقوى به على اعتزالك ولو بما لا يكاد يصح أن يكون متمسكاً. قال الطيبي [رحمه الله]: هذا شرط يعقب به الكلام تتميماً ومبالغة أي اعتزل الناس اعتزالاً لا غاية بعده ولو قنعت فيه بعض أصل الشجر افعل فإنه خير لك. (حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) أي على ما ذكرت من الاعتزال أو العض أو الخير. (متفق عليه. وفي رواية لمسلم) قال ميرك: أخرج مسلم هذه الرواية عقب الحديث المتقدم من حديث أبي سلام عن حذيفة، وذكر الدارقطني أن أبا سلام لم يسمع من حذيفة ولذا قال فيه: قال حذيفة: فيكون الحديث منقطعاً. وقال بعض الحفاظ إنما لم يخرج البخاري لأبي سلام شيئاً في صحيحه لأن رواياته مرسلة. اهـ. وأبو سلام اسمه ممطر الأسود الحبشي. وقال النووي [رحمه الله]: ما قاله الدارقطني صحيح ولكن المتن صح بالطريق الأوّل وإنما أتى مسلم بها متابعة، فإن المرسل إذا أتى من طريق آخر تبين به صحة المرسل وجاز به الاحتجاج ويصير في المسألة حديثان صحيحان والله [تعالى]أعلم. أقول: هذا الإشكال إنما هو على قول الشافعي ومن تبعه من أن المرسل ليس بحجة، وأما على قول الجمهور بأنه حجة ومعهم أبو حنيفة [رحمه الله]عنه فلا شبهة فيه. (قال:) أي النبي ﷺ (يكون بعدي أئمة) بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وإبدالها جمع إمام على أن أصله أئمة على وزن أفعلة، أي جماعة يطلق عليهم الأئمة. (لا يهتدون بهداي) أي من حيث العلم (ولا يستنون بسنتي) أي من حيث العمل. والمعنى أنهم لا يأخذون بالكتاب والسنة. (وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين) أي كقلوبهم في الظلمة والقساوة والوسوسة والتلبيس والآراء الكاسدة والأهواء الفاسدة. (في جثمان أنس) بضم الجيم، أي في جسده. والمراد به جنس الإنس فيطابق الجمع السابق. (قال حذيفة: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك) أي ذلك الوقت أو ما ذكر من أهل الزمان. (قال: تسمع) أي ما يأمرك الأمير، خبر بمعنى الأمر وكذا قوله: (وتطيع) فيما لا معصية فيه (الأمير) مفعول تنازع فيه الفعلان. (وإن ضرب ظهرك) بصيغة المجهول، أي ولو ضربت. (وأخذ مالك) وفي نسخة بصيغة المعلوم فيهما ففيهما ضمير للأمير والإسناد حقيقي أو مجازي، وتخصيص الظهر لبيان الواقع غالباً. وقوله: (فاسمع وأطع) جزاء الشرط أتى لمزيد تقرير واهتمام تحرير بشأنه، وإلا فما قبل الشرط أغنى عنه. قال ابن الملك: إلا إذا[١] أمرك بإثم فلا تطعه لكن لا تقاتل بل فر منه.

---

(١) في المخطوطة «إن».

٥٣٨٣ ـ (٥) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال فِتناً كقطع الليل المظلم، يصبحُ الرجلُ مؤمناً ويُمْسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا». رواه مسلم.

٥٣٨٣ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: بادروا) أي سابقوا وسارعوا (بالأعمال) أي بالاشتغال بالأعمال الصالحة (فتناً) أي وقوع فتن (كقطع الليل المظلم) بكسر القاف وفتح الطاء جمع قطعة. والمعنى كقطع من الليل المظلم لفرط سوادها وظلمتها وعدم تبين الصلاح والفساد فيها. وفيه إيماء إلى أن أهل هذه الفتن ما قال تعالى في حقهم: ﴿كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً﴾ [يونس ـ ٢٧]. وقد قرأ ابن كثير والكسائي في الآية بسكون الطاء على أن المراد به جزء من الليل أو من سواده، ويرادفه قطعة، وحاصل المعنى تعجلوا بالأعمال الصالحة قبل مجيء الفتن المظلمة من القتل والنهب والاختلاف بين المسلمين في أمر الدنيا والدين فإنكم لا تطيقون الأعمال على وجه الكمال فيها. والمراد من التشبيه بيان حال الفتن من حيث إنه يشيع فظيع ولا يعرف سببها ولا طريق الخلاص منها، فالمبادرة المسارعة بإدراك الشيء قبل فواته أو بدفعه قبل وقوعه. (يصبح الرجل مؤمناً) أي موصوفاً بأصل الإيمان أو بكماله. (ويمسي كافراً) أي حقيقة، أو كافراً للنعمة أو مشابهاً للكفرة أو عاملاً عمل الكافر. (ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً) وقيل: المعنى يصبح محرماً ما حرمه الله ويمسي مستحلاً إياه وبالعكس. وحاصلة التذبذب في أمر الدين والتتبع لأمر الدنيا كما بينه بقوله: (يبيع) أي الرجل أو أحدهم كما في الجامع (دينه) أي بتركه (بعرض) بفتحتين، أي بأخذ متاع دنيء وثمن رديء. (من الدنيا) زاد في الجامع: قليل بالجر على أنه صفة عرض. وقد روى ابن ماجه والطبراني عن أبي أمامة مرفوعاً: ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً إلا من أحياه الله بالعلم[1]. فقوله: يصبح، استئناف لبيان بعض الفتن في ذلك الزمن. وقال الطيبي [رحمه الله]: استئناف بيان الحال المشبه وهو قوله: فتناً. وقوله: يبيع الخ. بيان للبيان. قال المظهر: فيه وجوه أحدها أن يكون بين طائفتين من المسلمين قتال لمجرد العصبية والغضب فيستحلون الدم والمال، وثانيها أن يكون ولاة المسلمين ظلمة فيريقون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم بغير حق ويزنون ويشربون الخمر فيعتقد بعض الناس أنهم على الحق، ويفتيهم بعض علماء السوء على جواز ما يفعلون من المحرمات من إراقة الدماء وأخذ الأموال ونحوها، وثالثها ما يجري بين الناس مما يخالف الشرع في المعاملات والمبايعات وغيرها فيستحلونها والله [تعالى] أعلم. (رواه مسلم) وكذا أحمد والترمذي. وروى البيهقي عن أبي أمامة مرفوعاً: بادروا بالأعمال [هرماً ناغضاً وموتاً خالساً ومرضاً حابساً

الحديث رقم ٥٣٨٣: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١١٠ حديث رقم (١٨٦ . ١١٨). وأبو داود في السنن ٤/ ٤٥٧ حديث رقم ٤٢٥٩. والترمذي في السنن ٤/ ٤٢٢ حديث رقم ٢١٩٥. وابن ماجه ٢/ ١٣٠٥. حديث رقم ٣٩٥٤. وأحمد في المسند ٢/ ٣٠٤.

(١) ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٠٥ حديث رقم ٣٩٥٤.

٥٣٨٤ ـ (٦) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكونُ فِتَنٌ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، من تشرَّف لها تستشرفه، فمن وجد ملجأ

وتسويفاً مسيئاً[١]. وروى الترمذي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً]: بادروا بالأعمال سبعاً، ما تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال، فإنه شر منتظر أو الساعة، والساعة أدهى وأمر[٢]. وروى الطبراني عن عابس الغفاري مرفوعاً: بادروا بالأعمال ستاً، أمارة السفهاء وكثرة الشرط وبيع الحكم واستخفافاً بالدم وقطيعة الرحم ونشوا يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليغنيهم وإن كان أقلهم فقهاً[٣].

٥٣٨٤ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: ستكون فتن)** أي عظيمة أو كثيرة متعاقبة متوالية أو متراخية **(القاعد فيها)** أي في تلك الفتن **(خير من القائم)** لأنه يرى ويسمع ما لا يراه ولا يسمعه القاعد، فيكون أقرب من عذاب تلك الفتنة بمشاهدته ما لا يشاهده القاعد. ويمكن أن يكون المراد بالقاعد هو الثابت في مكانه غير متحرك لما يقع من الفتنة في زمانه، والمراد بالقائم ما يكون فيه نوع باعث وداعية لكنه متردد في إثارة الفتنة. **(والقائم فيها)** أي من بعيد متشرف عليها، أو القائم بمكانه في تلك الحالة. **(خير من الماشي)** أي من الذاهب على رجله إليها. **(والماشي [فيها])** أي إليها أو فيما بينها **(خير من الساعي)** أي من المسرع إليها ماشياً أو راكباً **(من تشرف لها)** بتشديد الراء، أي من نظر إليها **(تستشرفه)** بالجزم ويرفع، أي تطلبه وتجذبه إليها. قال التوربشتي [رحمه الله]: أي من تطلع لها دعته إلى الوقوع فيها والتشرف التطلع واستعير هنا للإصابة بشرها، أو أريد به أنها تدعوه إلى زيادة النظر إليها. وقيل: إنه من استشرفت الشيء أي علوته، يريد من انتصب لها انتصبت له وصرعته. وقيل: هو من المخاطرة والإشفاء على الهلاك، [أي]من خاطر بنفسه فيها أهلكته. قال الطيبي [رحمه الله]: ولعل الوجه الثالث أولى لما يظهر منه معنى اللام في لها وعليه كلام الفائق وهو قوله: أي من غالبها غلبته. قلت: ولعل الوجه الأول أولى لما فيه من رعاية المعنى المفهوم منه المبالغة المفيدة للاحتراس واختيار الأخرى النافع في الدنيا والأخرى. قال شارح: تشرف واستشرف، أي صعد شرفاً أي مرتفعاً لينظر إلى شيء، هذا هو الأصل. ثم استعملا في النظر إلى أي شيء في أي مكان كان يعني من قرب من تلك الفتن ونظر إليها نظرت إليه الفتن. **(وتجره إلى نفسها)** فالخلاص في التباعد منها والهلاك في مقاربتها. **(فمن وجد ملجأ)** أي

---

(١) البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ١٠٥٧٤.

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٥١٦ ولفظه «بادروا ستاً».

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٨٧ حديث رقم ٣١٢٠.

الحديث رقم ٥٣٨٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٦١٢. ٧٠ حديث رقم ٣٦٠١. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢١٢ حديث رقم (١٠ ـ ٢٨٨٦). وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٢١ حديث رقم ٢١٩٤ وأحمد في المسند ٢/ ٢٨٢.

أو معاذاً فليَعُذْ بِهِ». متفق عليه. وفي روايةٍ لمسلم، قال: «تكون فتنةٌ، النائمُ فيها خيرٌ من اليقظان، واليقظانُ فيها خيرٌ من القائمِ، والقائمُ فيها خيرٌ من الساعي، فمن وجد ملجأً أو معاذاً فَلْيَسْتَعِذْ بِهِ».

٥٣٨٥ ـ (٧) وعن أبي بكرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون فِتَنٌ، ألا ثم تكون فِتَنٌ، ألا ثم تكونُ فتنةٌ، القاعدُ خير من الماشي فيها، والماشي فيها خيرٌ من الساعي إليها، ألا فإذا وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كان له غَنمٌ فَلْيَلْحَق بغنمه، ومن كانت له أرضٌ

مناصاً ومفراً ومهرباً (أو معاذاً) بفتح الميم، أي موضعاً أو شخصاً ملاذاً يتخلص بالذهاب إليه وبالعياذ به من الفتن. (فليعذ) بضم العين، أي فليستعذ (به) أي بالمعاذ أو بما ذكر من الملجأ والمعاذ، أي فليذهب إليهما. (متفق عليه) ورواه أحمد (وفي رواية لمسلم [رحمه الله]قال: تكون فتنة) أي عظيمة (النائم فيها خير من اليقظان) بسكون القاف، أي المتنبه لعدم شعور النائم عنها. وفي معناه الغافل ولو كان يقظان. فالمراد باليقظان هو العالم بالفتنة سواء كان[1] مضطجعاً أو قاعداً أو قائماً. (واليقظان) أي مضطجعاً، أو جالساً (خير من القائم) أي لتطلعه وإشرافه، أو لأن فيه نوع حركة. (والقائم فيها) أي لتوقفه في مكانه (خير من الساعي) أي مشياً أو ركوباً إليها (فمن وجد ملجأ أو معاذاً فليستعذ به) وفي الجامع روى الحاكم عن خالد بن عرفطة: ستكون أحداث وفتنة وفرقة واختلاف فإن استطعت أن تكون المقتول لا القاتل فافعل[2].

٥٣٨٥ ـ (وعن أبي بكرة) أي الثقفي (قال: قال رسول الله ﷺ: إنها) أي القصة (ستكون) أي ستوجد وتحدث وتقع (فتن، ألا) للتنبيه (ثم تكون فتنة) أي عظيمة، وفي بعض النسخ المصححة: ألا ثم تكون فتن. بصيغة الجمع ثم بعده: ألا ثم تكون فتنة. بصيغة الوحدة. قال الطيبي [رحمه الله]: فيه ثلاث مبالغات، أقحم حرف التنبيه بين [المعطوف][و]المعطوف عليه لمزيد التنبه لها وعطف بثم لتراخي مرتبة هذه الفتنة الخاصة تنبيهاً على عظمها، وهو لها على أنه من عطف الخاص على العام لاختصاصها بما يفارقها من سائر أشكالها وأنها كالداهية الدهياء نسأل الله العافية منها بفضله وعميم طوله. (القاعد فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي إليها) أي يجعلها غاية سعيه ومنتهى غرضه لا يرى مطلباً غيرها، ولام الغرض وإلى الغاية متقاربان معنى فحينئذ يستقيم التدرج والترقي من الماشي فيها إلى الساعي إليها. (ألا) للتنبيه زيادة للتأكيد. (فإذا وقعت) أي الفتن أو تلك الفتنة (فمن كان له إبل) أي في البرية (فليلحق بإبله ومن كان له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له أرض) أي عقار أو مزرعة بعيدة عن

---

(١) في المخطوطة «يكون».

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٢٨٨ حديث رقم ٤٦٧٩. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٢٨١.

الحديث رقم ٥٣٨٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢١٢ حديث رقم (١٢ . ٢٨٨٦). وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٠٨ حديث رقم ٣٩٥٨. وأحمد في المسند ٥/ ٤٨.

فَلْيَلْحَقْ بأرضه». فقال رجلٌ: يا رسول الله! أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «يعمد إلى سيفه فيدق على حدِّه بحجر، ثم لينجُ إن استطاع النجاء، اللهم هل بلّغت؟» ثلاثاً، فقال رجل: يا رسول الله! أرأيت إن أُكرِهت حتى يُنطَلَق بي إلى أحد الصّفين، فضربني رجلٌ بسيفه أو يجيء سهمٌ فيقتلني؟ قال: «يَبُوءُ بإثمه وإثمك، ويكونُ من أصحاب النار»

الخلق (فليلحق بأرضه) فإن الاعتزال والاشتغال بخويصة الحال حينئذ واجب لوقوع عموم الفتنة العمياء بين الرجال كما قال الشاعر:

إن السلامة من ليلى وجارتها ... أن لا تمر على حال بواديها

(فقال رجل: يا رسول الله أرأيت) أي أخبرني (من لم تكن له إبل ولا غنم ولا أرض) أي فأين يذهب أو كيف يفعل (قال: يعمد) بكسر الميم، أي يقصد. (إلى سيفه) أي إن كان له (فيدق على حده) أي فيضرب على جانب سيفه الحاد (بحجر) والمعنى فليكسر سلاحه كيلا يذهب به إلى الحرب، لأن تلك الحروب بين المسلمين فلا يجوز حضورها. (ثم لينج) بكسر اللام ويسكن وبفتح الياء وسكون النون وضم الجيم، أي ليفر ويسرع هرباً حتى لا تصيبه الفتن. (إن استطاع النجاء) بفتح النون والمد، أي الإسراع. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: ليعمد الخ، عبارة عن تجرده تجرداً تاماً كأنه قيل: من لم يكن له ما يشتغل به من مهامه فلينج برأسه. اهـ. والظاهر أنه حمل قوله: فلينج. على أنه أمر من النجاة وليس كذلك كما يدل عليه قوله: إن استطاع النجاء، حيث لم يقل: إن استطاع النجاة، اللهم إلا أن يراد به حاصل المعنى مع قطع النظر عن المادة والمبنى والله [تعالى] أعلم. (اللهم) أي قال ﷺ بعد ذكر هذه الفتن والتحذير عن الوقوع في محن ذلك الزمن اللهم، أي يا الله. (هل بلغت) أي قد بلغت إلى عبادك ما أمرتني به أن أبلغه إياهم. (ثلاثاً) مصدر للفعل المقدر أي قاله ثلاث مرات. (فقال رجل: يا رسول الله أرأيت) أي أخبرني (إن أكرهت) أي أخذت بالكره وأجبرت (حتى ينطلق) بصيغة المجهول، أي يذهب. (بي إلى أحد الصفين) [أي صفي المتخاصمين] (فضربني رجل بسيفه، أو) للتنويع (يجيء سهم) بصيغة المضارع عطفاً على الماضي (فيقتلني) الظاهر أنه تفريع على الأخير والإسناد مجازي، ويحتمل أن يشتمل أيضاً على الأول فتأمل. والمعنى فما حكم القاتل والمقتول (قال: يبوء) أي يرجع القاتل، وقيل: المكره. (بإثمه) أي بعقوبة ما فعله من قبل عموماً (وإثمك) أي وبعقوبة قتلك إياه خصوصاً. أو المراد بإثمه قصده القتل وبإثمك لو مددت يدك إليه. أو المراد بإثمك سيئاتك التي فعلتها بأن توضع في رقبة القاتل بعد فقد حسناته على ما ورد. (ويكون) أي هو (من أصحاب النار) قال تعالى: ﴿وذلك جزاء الظالمين﴾ [المائدة ـ ٢٩، الحشر ـ ١٧]. وإنما لم يقل: وأنت من أصحاب الجنة، وإن كان هذا هو المفهوم منه وترك للاكتفاء احتياطاً لتبادر الفهم إلى الخطاب المعين، لا المفروض المقدر المراد به الخطاب العام على طريق الإبهام، ثم الحكم مقتبس من قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق﴾ [المائدة ـ ٢٧]. الخ. وقد قال ﷺ: كن خير ابني آدم. وفي رواية: كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل. قال الطيبي [رحمه الله]: يبوء الخ. فيه وجهان

رواه مسلم.

٥٣٨٦ ـ (٨) وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكونَ خيرَ مالِ المسلمِ غنمٌ يتبع بها شَعَفَ الجبال ومواقع القطر، يَفِرُّ بدينه من الفِتَنِ». رواه البخاري.

٥٣٨٧ ـ (٩) وعن أسامة بن زيد، قال: أشرف النبيُّ ﷺ على أُطُمٍ من آطام المدينة، فقال: «هل ترون ما أرى؟» قالوا: لا. قال: «فإني لأرى الفتنَ تقعُ خِلال بيوتكم كوقع المطَر».

أحدهما: أراد بمثل إثمك على الاتساع أي يرجع بإثمه ومثل إثمك المقدر لو قتلته، وثانيهما أراد بمثل قتلك على حذف المضاف وإثمه السابق على القتل. **(رواه مسلم)**.

٥٣٨٦ ـ **(وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: يوشك)** أي يقرب **(أن يكون خير مال المسلم)** بالنصب **(غنم)** أي قطعة من الغنم. [قال الطيبي رحمه الله: غنم]نكرة موصوفة وهو اسم يكون والخبر قوله: خير مال، معروف فلا يجوز. اللهم إلا أن يراد بالمسلم الجنس فلا يعتبر فيه حينئذ. وفائدة التقديم أن المطلوب حينئذ الاعتزال وتحري الخير بأي وجه كان. اهـ. وقيل: يجوز رفع خير وغنم على الابتداء والخبر وفي يكون ضمير الشأن، كذا في المفاتيح. **(يتبع)** بتشديد التاء وفي بعض النسخ بسكونها وفتح الموحدة، أي يتتبع. **(بها)** أي مع الغنم أو بسببها **(شعف الجبال)** بفتح الشين والعين أي رؤوس الجبال أو أعاليها، وأحدها شعفة. **(ومواقع القطر)** بفتح فسكون، أي مواضع المطر وآثاره من النبات وأوراق الشجر يريد بها المرعى من الصحراء والجبال، فهو تعميم بعد تخصيص. وفي تقديم شعف الجبال إشعار بالمبالغة في فضيلة الاعتزال عن الخلق في تلك الحال. **(يفر بدينه)** أي بسبب حفظه من الفتن أي المحن الدينية، أو يهرب. **(من الفتن)** الدنيوية مصحوباً بدينه ليتخلص بإقامته هناك عنها **(رواه البخاري)**.

٥٣٨٧ ـ **(وعن أسامة بن زيد)** صحابيان رضي الله عنهما **(قال: أشرف النبي ﷺ)** أي اطلع **(على أطم)** بضمتين، أي شاهق جبل أو حصن أو بناء مرتفع. **(من آطام المدينة)** بمد أوله، جمع الأطم. **(فقال: هل ترون ما أرى)** أي من الأشياء الظاهرة منه المرتفعة عنه **(قالوا: لا. قال: فإني لأرى الفتن تقع)** أي منه **(خلال بيوتكم)** أي وسطها **(كوقع المطر)** والمعنى أن الله تعالى أرى نبيه ﷺ حين رأى ذلك الأطم أو حين صعده اقتراب الفتن ليخبر بها أمته فيكونوا

الحديث رقم ٥٣٨٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٦٩. حديث رقم ١٩. وأخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٦١ حديث رقم ٤٢٦٧. والنسائي ٨/ ١٢٣ حديث رقم ٥٠٣٦. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣١٧ حديث رقم ٣٩٨٠. وأحمد في المسند ٣/ ٦.

الحديث رقم ٥٣٨٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٩٤. حديث رقم ١٨٧٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢١١ حديث رقم (٩ . ٢٨٨٥). وأحمد في المسند ٥/ ٢٠٠.

متفق عليه.

٥٣٨٨ ـ (١٠) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «هلكةُ أمتي على يَدَي غِلْمةٍ مِنْ قُرَيشٍ» رواه البخاري.

٥٣٨٩ ـ (١١) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يتقاربُ الزمانُ، ويُقبضُ العلم، وتظهرُ الفِتَنُ،

على حذر ويعرفوا أنها من قدر ويعدوا معرفتها من معجزاته ﷺ. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: تقع، يحتمل أن يكون مفعولاً ثانياً، والأقرب إلى الذوق أن يكون حالاً والرؤية بمعنى النظر، أي كشف لي فأبصرها عياناً. (متفق عليه) وفي الجامع برواية أحمد والشيخين عن أسامة بلفظ: هل ترى ما أرى، إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر[1].

٥٣٨٨ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: هلكة أمتي) بفتح الهاء واللام أي هلاكهم. والمراد بالأمة [هنا] الصحابة لأنهم خيار الأمة وأكابر الأئمة. (على يدي) تثنية مضافة إلى (غلمة [من قريش]) بكسر الغين جمع غلام، أي على أيدي الشبان الذين ما وصلوا إلى مرتبة كمال العقل والأحداث السن الذين لا مبالاة لهم بأصحاب الوقار وأرباب النهي. والظاهر أن المراد ما وقع بين عثمان رضي الله [تعالى] عنه وقتلته وبين علي والحسين رضي الله تعالى عنهما ومن قاتلهم. وقال المظهر: لعله أراد بهم الذين كانوا بعد الخلفاء الراشدين مثل يزيد وعبد الملك بن مروان وغيرهما. (رواه البخاري) ولفظ الجامع: هلاك أمتي على يدي غلمة من قريش. رواه أحمد والبخاري عن أبي هريرة[2].

٥٣٨٩ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: يتقارب الزمان) أي زمان الدنيا وزمان الآخرة فيكون المراد اقتراب الساعة. قال التوربشتي [رحمه الله]: يريد به اقتراب الساعة. ويحتمل أنه أراد بذلك تقارب أهل الزمان بعضهم من بعض في الشر، أو تقارب الزمان نفسه في الشر حتى يشبه أوله آخره. وقيل بقصر أعمار أهله. اهـ. ويحتمل أن يكون كناية عن قلة بركة الزمان من كثرة العصيان. وقال القاضي: يحتمل أن يكون المراد به أن يتسارع الدول إلى الانقضاء والقرون إلى الانقراض فيتقارب زمانهم ويتدانى إبانهم. (ويقبض العلم) أي في ذلك الزمان بقبض العلماء الأعيان (وتظهر الفتن) أي ويترتب عليها المحن (ويلقى الشح) في قلوب أهله أي على اختلاف أحوالهم حتى يبخل العالم بعلمه والصانع

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٦٩ ولفظه ٥٩٨٩ ولفظه «هل ترون».

الحديث رقم ٥٣٨٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٦١٢. حديث رقم ٣٦٠٥. وأحمد في المسند ٢/ ٢٨٨.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٦٩ حديث رقم ٩٥٩٣.

الحديث رقم ٥٣٨٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٨٢. حديث رقم ٨٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٥٧ حديث رقم (١١ ـ ١٥٧) وأبو داود في السنن ٤/ ٤٥٤ حديث رقم ٤٢٥٥. وابن ماجه ٢/ ١٣٤٥ حديث رقم ٤٠٥٢. وأحمد في المسند ٢/ ٤٠٢.

ويُلقى الشحُّ، ويكثُر الهَرْج» قالوا: وما الهرج؟ قال: «القتلُ». متفق عليه.

٥٣٩٠ ـ (١٢) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تذهبُ الدنيا حتى يأتي على الناس يومٌ لا يدري القاتلُ فيم قَتَل؟ ولا المقتولُ فيم قُتِل؟» فقيل: كيف يكونُ ذلك؟ قال: «الهَرْجُ، القاتِلُ والمقتول في النار». رواه مسلم.

٥٣٩١ ـ (١٣) وعن معقل بن يسار، قال: قال رسول الله ﷺ: «العبادة في الهرج كهجرةٍ إليّ».

بصنعته والغني بماله. وليس المراد وجود أصل الشح لأنه موجود في جبلة الإنسان إلا من حفظه الله ولذا قال تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر ـ ٩، التغابن ـ ١٦]. (ويكثر الهرج) بفتح الهاء وسكون الراء وبالجيم (قالوا: وما الهرج. قال: القتل) في القاموس: هرج الناس وقعوا في فتنة واختلاط وقتل. اهـ. فعلم أن المراد بالهرج قتل خاص وهو الممزوج بالفتنة والاختلاط، فاللام فيه للعهد. (متفق عليه).

٥٣٩٠ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا) أي جميعها (حتى يأتي على الناس يوم) أي يوم عظيم فيه شر جسيم (لا يدري القاتل فيم قتل) أي المقتول هل يجوز قتله أم لا (ولا المقتول) أي نفسه أو أهله (فيم قتل) هل بسبب شرعي أو بغيره كما كثر النوعان في زماننا (فقيل: كيف يكون ذلك) أي ما سبب وقوع القتل بحيث لا يعرف القاتل ولا المقتول بسببه (قال: الهرج) أي الفتنة والاختلاط الكثيرة الموجبة للقتل المجهول. والمعنى: سببه ثوران الهرج بالكثرة وهيجانه بالشدة. (القاتل والمقتول في النار) أما القاتل فلقتله مسلماً وأما المقتول فلأنه[1] كان حريصاً على قتل مسلم أيضاً ولم يجد الفرصة. قال النووي [رحمه الله]: أما القاتل فظاهر وأما المقتول فإنه أراد قتل صاحبه، وفيه دلالة للمذهب الصحيح المشهور أن من نوى المعصية وأصر على النية يكون آثماً وإن لم يفعلها ولم يتكلم بها (رواه مسلم).

٥٣٩١ ـ (وعن معقل بن يسار) هو ممن بايع تحت الشجرة، مزني سكن البصرة وإليها ينسب. مات زمن ابن زياد، وقيل زمن معاوية. (قال: قال رسول الله ﷺ: العبادة) أي ثوابها مع الاستقامة والاستدامة عليها (في الهرج) أي زمن الفتنة ووقت المحاربة بين المسلمين (كهجرة إليّ) أي قبل فتح مكة، ومن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله. ونظيره ما ورد ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين. (رواه مسلم) وكذا أحمد

الحديث رقم ٥٣٩٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣١ حديث رقم (٥٦ . ٢٩٠٨).

(١) في المخطوطة «فإنه».

الحديث رقم ٥٣٩١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٦٨ حديث رقم (١٣٠ . ٢٩٤٨). وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٢٤ حديث رقم ٢٢٠١. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣١٩ حديث رقم ٣٩٨٥. وأحمد في المسند ٥/ ٢٥.

رواه مسلم.

٥٣٩٢ - (١٤) وعن الزبير بن عدي، قال: أتينا أنسَ بن مالكٍ فشكونا إليه ما نلقى من الحجّاجِ. فقال: «اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمانٌ إلا الذي بعده أشرُّ منه حتى تَلْقَوا ربّكم». سمعتهُ من نبيّكم ﷺ.

ونظيره ما ورد ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين. (رواه مسلم) وكذا أحمد والترمذي وابن ماجه.

٥٣٩٢ - (وعن الزبير بن عدي) قال المؤلف: همداني بسكون الميم كوفي كان قاضي الري وهو تابعي، سمع أنس بن مالك روى عنه الثوري وغيره. (قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج) بفتح الحاء أي من ظلمه وهو حجاج بن يوسف، روى أنه قتل مائة وعشرين ألفاً سوى ما قتل في حروبه. (فقال: اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده أشر منه) أي غالباً ومن وجه دون وجه (حتى تلقوا ربكم) قال القاضي [رحمه الله]: أخير وأشر أصلان متروكان لا يكاد يستعملان إلا نادراً، وإنما المتعارف في التفضيل خير وشر. وفي القاموس: هو شر منه وأشر منه قليلة أو رديئة، وفيه أيضاً هو أخير منك كخير. اهـ. وفيه تنبيه أن استعمال أخير خير من استعمال أشر ولعل السبب فيه أن خير يستعمل للتفضيل وغيره فيكون أخير نصاً في المقصود بخلاف شر، وإنما يبالغ فيه بإتيان الهمز والله سبحانه [وتعالى]أعلم. (سمعته) أي قوله: اصبروا الخ، والأظهر لما سيأتي أنه لا يأتي عليكم الخ. (من نبيكم ﷺ) قيل: هذا الإطلاق يشكل بزمن عمر بن عبد العزيز فإنه بعد الحجاج بيسير وبزمن المهدي وعيسى عليه [الصلاة]والسلام. وأجيب بأنه محمول على الأكثر الأغلب وأن المراد بالأزمنة الفاضلة في السوء من زمن الحجاج إلى زمن الدجال، وأما زمان عيسى عليه [الصلاة]والسلام فله حكم مستأنف. وأقول: الأظهر أن يقال إن زمن عيسى عليه [الصلاة] والسلام مستثنى شرعاً من الكلام وأما بقية الأزمنة فيمكن أن تكون الأشرية فيها موجودة من حيثية دون حيثية وباعتبار دون آخر وفي موضع دون موضع وفي أمر دون أمر من علم وعمل وحال واستقامة وغيرها مما يطول تفصيلها، وهذا من مقتضيات البعد البعدية عن زمان الحضرة النبوية، فإنها بمنزلة المشعل المنوّر للعالم فكلما أبعد عن قربه وقع في زيادة ظلام وحجبة، وقد أدركت الصحابة رضي الله [تعالى]عنهم أجمعين مع كمال صفاء باطنهم التغير من أنفسهم بعد دفنه ﷺ، وحُكِيَ عن بعض المشايخ الكبار أني كنت في جامع شيراز مشغولاً بوردي في ليل إذ هجم عليّ الخاطر وأراد بالخروج من غير ظهور داع وباعث له، فخرجت فإذا امرأة ملتصقة بجدار فخطر لي أنها تريد بيتها وتخاف في طريقها من أهل الفساد، فذكرت لها ذلك فأشارت إلي بأن نعم. فتقدمت عليها وقلت لها: قال موسى عليه [الصلاة] والسلام لابنة شعيب إن أخطأت الطريق القويم ارمي حجراً يدلني على الطريق المستقيم

الحديث رقم ٥٣٩٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ١٩. حديث رقم ٧٠٦٨. وأحمد في المسند ٣/ ١٧٩.

رواه البخاري.

الفصل الثاني

٥٣٩٣ ـ (١٥) عن حذيفة، قال: واللهِ ما أدري أنسيَ أصحابي أم تناسَوا؟ واللهِ ما تركَ رسولُ الله ﷺ من قائدِ فتنةٍ

فأوصلتها إلى بيتها ورجعت إلى حزبي ولم يخطر لي حينئذ شيء من الخطرات النفسانية. ثم بعد مدة من الأزمنة المتأخرة عن تلك الحالة الروحانية هجس في النفس وتوسوس في الخاطر من الأمور الشيطانية فتأملت أنه هل باعث هذا تغير في مأكلي أو مشربي أو ملبسي أو في مقصدي لعبادتي وطاعتي، أو حدوث حادث في صحبة أحبتي أو خلطة ظالم وأمثال ذلك فما رأيت سبباً لظهور هذه الظلمة إلا البعد عن [نور]زمان الحضرة الموجب لحصول [مثل] هذه الخطرة. (رواه البخاري) وفي الجامع عن أنس مرفوعاً بلفظ: لا يأتي عليكم عام ولا يوم إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم. رواه أحمد والبخاري والنسائي[1]. وأخرج الطبراني عن أنس مرفوعاً: ما من عام إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم[2]. وفي الكبير للطبراني عن أبي الدرداء مرفوعاً: ما من عام إلا ينقص الخير فيه ويزيد الشر[3]. قال الزركشي [رحمه الله]: وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ما من عام إلا ويحدث الناس بدعة ويميتون سنة حتى تمات السنن وتحيا البدع. فهذا الحديث صريح في أن المراد بالشر موت السنن وإحياء البدع، ولا شك في تحقق هذين الأمرين في كل زمن من الملوين. ويؤيده ما في البخاري عن أنس مرفوعاً: لا يأتي على الناس زمان إلا الذي بعده شر منه[4]. وأما ما اشتهر على ألسنة العامة من حديث: كل عام ترذلون. فهو من كلام الحسن البصري [رحمه الله]في رسالته على ما ذكره الزركشي وغيره والله [تعالى] أعلم.

(الفصل الثاني)

٥٣٩٣ ـ (عن حذيفة قال: والله ما أدري أنسي أصحابي) أي من الصحابة[5] (أم تناسوا) أي أظهروا النسيان (والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة) أي داعي ضلالة وباعث بدعة، ومن زائدة لتأكيد الاستغراق في النفي. (إلى أن تنقضي الدنيا) أي إلى انقضائها وانتهائها (يبلغ)

---

(١) الجامع الصغير ٢/٥٨٦ حديث رقم ٩٩٣٧.

(٢) الترمذي في السنن ٤/٤٢٦ حديث رقم ٢٢٠٦ وليس للطبراني. كذا في الجامع الصغير.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/٨٩٢ حديث رقم ٨٠٥٩.

(٤) البخاري تعليقاً ١٣/١٩ الباب ٦ من كتاب «الفتن».

الحديث رقم ٥٣٩٣: أخرجه أبو داود في السنن ٤/٤٤٣ حديث رقم ٤٢٤٣.

(٥) في المخطوطة «صحابته».

إلى أنْ تنقضيَ الدُّنيا يبلغُ مَن معه ثلاثمائةٍ فصاعداً إلاَّ قد سمَّاهُ لنا باسمِه واسمِ أبيه واسمِ قبيلتِه. رواه أبو داود.

٥٣٩٤ ـ (١٦) وعن ثوبانَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنما أخافُ على أُمتي الأئمَّةَ المُضلينَ، وإذا وُضِعَ السَّيفُ في أُمَّتي لم يرفعْ عنهم إلى يوم القيامةِ». رواه أبو داود، والترمذيُّ.

٥٣٩٥ ـ (١٧) وعن سفينة، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «الخلافةُ ثلاثونَ سنةً، ثم تكونُ مُلكاً».

صفة للقائد، أي يصل (من معه) أي مقدار اتباعه (ثلاثمائة فصاعداً) أي فزائداً عليه (إلا قد سماه) أي ذكر ذلك القائد (لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته) والمعنى ما جعله متصفاً بوصف إلا بوصف تسميته الخ. يعني وصفاً واضحاً مفصلاً لا مبهماً مجملاً، فالاستثناء متصل. وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: إلى أن تنقضي متعلق بمحذوف، أي ما ترك رسول الله ﷺ ذكر قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا مهملاً، لكن قد سماه، فالاستثناء منقطع. قال المظهر: أراد بقائد الفتنة من يحدث بسببه بدعة أو ضلالة أو محاربة كعالم مبتدع يأمر الناس بالبدعة، أو أمير جائر يحارب المسلمين. (رواه أبو داود).

٥٣٩٤ ـ (وعن ثوبان) هو مولى النبي ﷺ (قال: قال رسول الله ﷺ: إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) الأئمة جمع إمام وهو مقتدي القوم ورئيسهم ومن يدعوهم إلى قول أو فعل أو اعتقاد. (وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة) أي فإن لم يكن في بلد يكون في بلد آخر (رواه أبو داود والترمذي).

٥٣٩٥ ـ (وعن سفينة) هو أيضاً مولى رسول الله ﷺ، ويقال إن سفينة لقب له واسمه مختلف فيه وإن النبي ﷺ كان في سفر وهو معه فأعيا رجل فألقى عليه سيفه وترسه ورمحه فحمل شيئاً كثيراً، فقال له النبي ﷺ: أنت سفينة. روى عنه بنوه عبد الرحمن ومحمد وزياد[١] وكثير. (قال: سمعت النبي ﷺ يقول: الخلافة) أي الحقة أو المرضية لله ورسوله أو الكاملة أو المتصلة (ثلاثون سنة ثم تكون) أي تنقلب الخلافة وترجع (ملكاً) بضم الميم، أي سلطنة وغلبة على أهل الحق. قال في شرح العقائد: وهذا مشكل لأن أهل الحل والعقد كانوا متفقين على خلافة الخلفاء العباسية وبعض المروانية كعمر بن عبد العزيز. ولعل المراد أن الخلافة الكاملة

الحديث رقم ٥٣٩٤: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٥١ حديث رقم ٤٢٥٢. والترمذي في السنن ٤/ ٤٣٧ حديث رقم ٢٢٢٩. وابن ماجه ٢/ ١٣٠٤ حديث رقم ٣٩٥٢. وأحمد في المسند ٥/ ٢٧٨.

الحديث رقم ٥٣٩٥: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٣٦ حديث رقم ٤٦٤٦. والترمذي في السنن ٤/ ٤٣٦ حديث رقم ٢٢٢٦. وأحمد في المسند ٥/ ٢٢٠.

(١) في المخطوطة «دينار».

ثمَّ يقولُ سفينةُ: أمسِكْ: خلافةَ أبي بكرٍ سنتينِ، وخلافةَ عمرَ عشرةً، وعثمانَ اثنتي عشرةَ، وعلي ستةً. رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود.

التي لا يشوبها شيء من المخالفة وميل عن المتابعة تكون ثلاثين سنة وبعدها قد تكون وقد لا تكون. اهـ. واعلم أن المروانية أولهم يزيد بن معاوية ثم ابنه معاوية بن يزيد ثم عبد الملك ثم هشام بن عبد الملك ثم الوليد ثم سليمان ثم عمر بن عبد العزيز ثم الوليد بن يزيد ثم يزيد بن الوليد ثم مروان بن محمد، ثم خرجت منهم الخلافة إلى بني العباس. هذا وفي شرح السنة: يعني أن الخلافة حق الخلافة إنما هي للذين صدقوا هذا الاسم بأعمالهم وتمسكوا بسنة رسول الله ﷺ من بعده فإذا خالفوا السنة وبدلوا السيرة فهم حينئذ ملوك وإن كان أساميهم خلفاء، ولا بأس أن يسمى القائم بأمور المسلمين أمير المؤمنين وإن كان مخالفاً لبعض سير أئمة العدل القائمة بأمر المؤمنين، ويسمى خليفة لأنه خلف الماضي قبله وقام مقامه، ولا يسمى أحد خليفة الله بعد آدم وداود عليهما [الصلاة]والسلام. قلت: إني ولا شك أن نبينا ﷺ خليفته في خليقته، بل ويدل إطلاقها على غيره ﷺ أيضاً ما سيأتي من قوله ﷺ: «فإن كان لله في الأرض خليفة». الحديث قال: وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: يا خليفة الله. فقال: ويحك لقد تناولت متناولاً، إن أمي سمتني عمر فلو دعوتني بهذا الاسم قبلت ثم وليتموني أموركم فسميتوني أمير المؤمنين فلو دعوتني بذلك كفاك. أي في رعاية الأدب وقصد التعظيم فهذا منه تواضع مع الخلق وتمسكن مع الخالق فليس فيه دلالة على أن مثله لا يقال له خليفة الله والله [تعالى]أعلم. **(ثم يقول سفينة:)** أي لراويه، أو المراد به خطاب العام **(أمسك)** أي عد مدة الخلافة. قال الطيبي [رحمه الله]: لعل الوجه أن يقال: أمسك، أي اضبط الحساب عاقداً أصابعك حتى يكون أمسك محمولاً على أصله. اهـ. وخلاصة المعنى احسب واحفظ. **(خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشرة)** أي أعوام **(وعثمان)** أي خلافته **(اثنتي عشرة سنة)** وفي نسخة: اثني عشر، أي عاماً. **(وعلي)** أي وخلافة علي **(ستة)** أي ستة أعوام فعلي خاتم الخلفاء كالنبي خاتم الأنبياء والمهدي خاتم الأولياء. **(رواه أحمد والترمذي وأبو داود)** وكذا النسائي ذكره السيد جمال الدين. وفي الجامع الصغير: الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك. رواه أحمد والترمذي وأبو يعلى وابن حبان عن سفينة[1]. وروى البخاري في تاريخه والحاكم عن أبي هريرة: الخلافة بالمدينة والملك بالشام[2]. فقيه تنبيه على أن الخلافة الحقيقة ما توجد في مكان صاحب النبوّة على اتفاق جمهور الصحابة من أهل الحل والعقد وأنه لا عبرة في الحقيقة بأهل الحل والعقد في غير ذلك المكان ومن أمثال غير ذلك الزمان، وإنما ينعقد بطريق التسلط التي تسمى ملكاً للضرورة الداعية إلى نظام حال العامة ولئلا يؤدي إلى الفتنة الطامة والله [تعالى] أعلم.

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٥٢ حديث رقم ٤١٤٧.

(٢) الحاكم في المستدرك ٣/ ٧٢.

٥٣٩٦ ـ (١٨) وعن حذيفةَ، قال: قلتُ: يا رسولَ الله! أيكونُ بعد هذا الخيرِ شرٌّ كما كانَ قبلَه شرٌّ؟ قال: «نعَمْ» قلتُ: فما العصمةُ؟ قال: «السَّيفُ» قلتُ: وهلْ بعدَ السَّيفِ بقيّةٌ؟ قال: «نعَمْ، تكونُ إمارةٌ على أقذاء، وهدْنةٌ على دَخَنٍ». قلتُ: ثم ماذا؟ قال: «ثمَّ ينشأ دعاةُ الضَّلالِ، فإنْ

٥٣٩٦ ـ (وعن حذيفة قال: قلت: يا رسول الله أيكون بعد هذا الخير) أي الإسلام والنظام التام المشار إليه بقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة ـ ٣]. والمعنى: أيوجد ويحدث بعد وجود هذا الخير (شر كما كان قبله) أي قبل الخير من الإسلام وهو زمن الجاهلية (شر. قال: نعم) أي لأن ما وراء كل كمال زوال إلا كمال ذي الجلال والإكرام (قلت: فما العصمة) أي فما طريق النجاة من الثبات على الخير والمحافظة عن الوقوع في ذلك الشر. (قال: السيف) أي تحصل العصمة باستعمال السيف أو طريقها أن تضربهم بالسيف. قال قتادة: المراد بهذه الطائفة هم الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ في زمن خلافة الصديق رضي الله عنه كذا ذكره الشراح. ويمكن أن يشمل ما وقع من معاوية مع علي رضي الله عنهما فإن الحق كان مع علي وأن العصمة كانت بالمقاتلة مع معاوية كما يدل عليه حديث عمار: تقتلك الفئة الباغية. وقد قال تعالى: ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾ [الحجرات ـ ٩]. (قلت: وهل بعد السيف بقية) أي من الشر أو من الخير. قال شارح: أي هل يبقى[1] الإسلام بعد محاربتنا إياهم. (قال: نعم تكون إمارة) بكسر الهمزة، أي ولاية وسلطنة. (على أقذاء) في النهاية، الأقذاء جمع قذى والقذى جمع قذاة، وهي ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك. أراد أن اجتماعهم يكون على فساد في قلوبهم فشبهه بقذى العين ونحوها. قال القاضي [رحمه الله]: أي إمارة مشوبة بشيء من البدع وارتكاب المناهي. (وهدنة) بضم الهاء، أي صلح. (على دخن) بفتحتين، أي مع خداع ونفاق وخيانة وفي الفائق هدن أي سكن ضربه مثلاً لما بينهم من الفساد الباطن تحت الصلاح الظاهر. اهـ. ويمكن أن يكون المعنى: ثم يكون اجتماع الناس على من جعل أميراً بكراهية نفس لا بطيب قلب. يقال: فعلت كذا وفي العين قذى، أي فعلته على كراهة وإغماض عين كما أن العين التي يقع فيها القذى ظاهرها صحيح وباطنها ضريح. وأصل الدخن هو الكدورة واللون الذي يضرب إلى السواد فيكون فيه إشعار إلى أنه صلاح مشوب بالفساد، فيكون إشارة إلى صلح الحسن مع معاوية وتفويض الملك إليه واستقرار أمر الإمارة عليه، وبه يظهر أن معاوية بصلح الحسن لم يصر خليفة خلافاً لمن توهم[2] خلاف ذلك والله [تعالى] أعلم. (قلت: ثم ماذا) أي ماذا يكون (قال: ثم تنشأ) أي تظهر (دعاة الضلال) أي جماعة يدعون الناس إلى البدع أو المعاصي (فإن

الحديث رقم ٥٣٩٦: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٤٤ حديث رقم ٤٢٤٤. أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٣١٧ حديث رقم ٣٩٨١. وأحمد في المسند ٥/ ٤٠٣.

(١) في المخطوطة «بقي». (٢) في المخطوطة «وهم».

كانَ للّهِ في الأرضِ خليفةٌ جَلَدَ ظهرَكَ، وأخذَ مالَكَ، فأطعْه، وإلاّ فمتْ وأنتَ عاضٌ على جِذْلِ شجرةٍ». قلتُ: ثمّ ماذا؟ قال: «ثمّ يخرُجُ الدَّجالُ بعدَ ذلكَ، معَه نهرٌ ونارٌ، فمنْ وقعَ في نارِه؛ وَجبَ أجرُه، وحُطَّ وِزرُه. ومَن وقعَ في نهرِه، وجبَ وِزرُه، وحُطَّ أجرُه». قال: قلتُ: ثمّ ماذا؟ قال: «ثمّ يُنتَجُ المهرُ فلا يُركَبُ حتى تقومَ الساعةُ».

كان لله في الأرض خليفة) أي موجوداً فيها ولو من صفته أنه (**جلد ظهرك**) أي ضربك بالباطل (**وأخذ مالك**) أي بالغصب أو مالك من المنصب النصيب بالتعدي (**فأطعه**) أي ولا تخالفه لئلا تثور فتنة (**وإلا**) أي وإن لم يكن لله في الأرض خليفة (**فمت**) أمر من مات يموت إشارة إلى ما قيل: موتوا قبل أن تموتوا. وكأنه عبر عن الخمول والعزلة بالموت فإن غالب لذة الحياة تكون بالشهرة والخلطة والجلوة. (**وأنت عاض**) بتشديد الضاد، والجملة حالية أي حال كونك آخذاً بقوّة وماسكاً بشدة. (**على جذل شجرة**) بكسر الجيم ويفتح، أي أصلها. قال القاضي: أي فعليك بالعزلة والصبر على غصص الزمان والتحمل لمشاقه وشدائده، وعض جذل الشجرة وهو أصلها كناية عن مكابدة الشدائد من قولهم: فلان يعض بالحجارة لشدة الألم. ويحتمل أن يكون المراد منه أن ينقطع عن الناس ويتبوأ أجمة ويلزمها إلى أن يموت، أو ينقلب الأمر من قولهم: عض الرجل بصاحبه إذا لزمه ولصق به. ومنه: عضوا عليها بالنواجذ. وقيل: هذه الجملة قسيمة قوله: فأطعه. ومعناه إن لم تطعه أدتك المخالفة إلى ما لا تستطيع أن تصبر عليه. ويدل على المعنى الأوّل قوله في الرواية الأخرى: فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار، فإن مت يا حذيفة وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحداً منهم. قال الطيبي [رحمه الله]: على الوجه الأوّل لفظة خبر ومعناه الأمر وهو قسيم لقوله: فإن كان لله في الأرض خليفة، وعلى الثاني هو مسبب من قوله: فأطعه. هذا وفي نسخة قمت بصيغة الخطاب من القيام بدل فمت. قال السيد جمال الدين [رحمه الله]: فم خبر بمعنى الأمر. (**قلت: ثم ماذا**) أي من الفتن (**قال: ثم يخرج الدجال**) أي زمن المهدي (**بعد ذلك**) أي بعد ما ذكر من وقوع أنواع الشرور والفتن (**ومعه نهر**) بسكون الهاء وفتحها أي نهر ماء (**ونار**) أي خندق نار. قيل: إنهما على وجه التخيل من طريق السحر والسيمياء. وقيل: ماؤه في الحقيقة نار وناره ماء. (**فمن وقع في ناره**) أي من خالفه حتى يلقيه في ناره، وأضاف النار إليه إيماء إلى أنه ليس بنار حقيقة بل سحر (**وجب أجره**) أي ثبت وتحقق أجر الواقع (**وحط**) أي ورفع وسومح (**وزره**) أي إثمه السابق (**ومن وقع في نهره**) أي حيث وافقه في أمره (**وجب وزره**) أي اللاحق (**وحط أجره**) أي بطل عمله السابق (**قلت: ثم ماذا. قال: ثم ينتج**) بصيغة المجهول، أي ثم يولد. (**المهر**) بضم ميم وسكون هاء، أي ولد الفرس. قال التوربشتي [رحمه الله]: ينتج من النتج لا من النتاج وهو الولادة ولا من الإنتاج. يقال: نتجت الفرس أو الناقة على بناء ما لم يسم فاعله نتاجاً ونتجها أهلها نتجاً، والإنتاج اقتراب ولادها. وقيل: استبانة حملها. (**فلا يركب**) بكسر الكاف من قولهم: أركب المهر، إذا حان وقت ركوبه. وفي نسخة بفتح الكاف، أي فلا يركب المهر لأجل الفتن أو لقرب الزمن. (**حتى تقوم الساعة**) قيل: المراد به زمن عيسى عليه [الصلاة] والسلام فلا يركب المهر لعدم احتياج الناس فيه إلى محاربة بعضهم

وفي رواية: قال: «هُدنةٌ على دَخَنٍ، وجماعةٌ على أقذاء». قلتُ: يا رسول الله! الهدنةُ على الدَّخَنِ ما هيَ؟ قال: «لا ترجع قلوبُ أقوامٍ على الذي كانت عليه». قلتُ: بعد هذا الخير شرٌّ؟ قال: «فتنةٌ عمياءُ صمَّاءُ، عليها دُعاةٌ على أبوابِ النار، فإنْ مُتَّ يا حذيفةُ وأنتَ عاضٌّ على جِذْلٍ خيرٌ لكَ منْ أنْ تتَّبعَ أحداً منهم». رواه أبو داود.

٥٣٩٧ ـ (١٩) وعن أبي ذر، قال: كنت رديفاً خلف رسول الله ﷺ يوماً، على حمار،

بعضاً، أو المراد أن بعد خروج الدجال لا يكون زمان طويل حتى تقوم الساعة أي يكون حينئذ قيام الساعة قريباً قدر زمان إنتاج المهر وارتكابه، وهذا هو الظاهر والله [تعالى]أعلم بالسرائر. **(وفي رواية)** أي بدل تكون إمارة على أقذاء الخ. **(قال: هدنة على دخن)** أي صلح مع كدورة وصفاء مع ظلمة **(وجماعة على أقذاء)** أي واجتماع على أهواء مختلفة أو عيوب مؤتلفة **(قلت: يا رسول الله الهدنة على الدخن ما هي. قال: لا ترجع قلوب أقوام)** برفع قلوب وهو الأصح وبنصبه بناء على أن رجع لازم، أو متعد أي لا تصير قلوب جماعات أو لا ترد الهدنة قلوبهم. **(على الذي)** أي على الوجه الذي، أو على الصفاء الذي **(كانت)** أي تلك القلوب **(عليه)** أي لا تكون قلوبهم صافية عن الحقد والبغض كما كانت صافية قبل ذلك **(قلت: بعد هذا)** أي يقع بعد هذا **(الخير شر. قال: فتنة)** أي نعم يقع شر هو فتنة عظيمة وبلية جسيمة. **(عمياء)** أي يعمى فيها الإنسان عن أن يرى الحق. **(صماء)** أي يصم أهلها عن أن يسمع فيها كلمة الحق، أو النصيحة. قال القاضي [رحمه الله]: المراد بكونها عمياء صماء أن تكون بحيث لا يرى منها مخرجاً ولا يوجد دونها مستغاثاً، أو أن يقع الناس فيها على غرة من غير بصيرة فيعمون فيها ويصمون عن تأمل قول الحق واستماع النصح. أقول: ويمكن أن يكون وصف الفتنة بهما كناية عن ظلمتها وعدم ظهور الحق فيها وعن شدة أمرها وصلابة أهلها وعدم التفات بعضهم إلى بعض في المشاهدة والمكالمة وأمثالها. **(عليها)** أي على تلك الفتنة **(دعاة)** أي جماعة قائمة بأمرها وداعية للناس إلى قبولها. **(على أبواب النار)** حال، أي فكأنهم كائنون على شفا جرف من النار يدعون الخلق إليها حتى يتفقوا على الدخول فيها. **(فإن مت)** بضم الميم وكسرها **(يا حذيفة وأنت عاض على جذل)** أي والحال أنك على هذا المنوال من اختيار الاعتزال والقناعة بأكل قشر الأشجار والمنام فوق الأحجار. **(خير لك من أن تتبع)** بتشديد التاء الثانية وكسر الموحدة ويجوز تخفيفها وفتح الباء **(أحداً منهم)** أي من أهل الفتنة أو من دعاتهم **(رواه أبو داود)** والنسائي ذكره ميرك.

٥٣٩٧ ـ **(وعن أبي ذر قال: كنت رديفاً)** أي راكباً **(خلف رسول الله ﷺ)** قال الطيبي [رحمه الله]: ظرف وقع صفة مؤكدة لرديفاً. **(يوماً على حمار)** فيه دلالة على كمال

الحديث رقم ٥٣٩٧ أخرجه أبو داود في السنن ٤/٤٥٨ حديث رقم ٤٢٦١. وابن ماجه ٢/١٣٠٨ حديث رقم ٣٩٥٨ وأحمد في المسند ٥/١٤٩.

فلما جاوزنا بيوت المدينة، قال: «كيف بك يا أبا ذر إذا كانَ بالمدينةِ جوعٌ تقوم عن فراشك ولا تبلغ مسجدكَ حتى يُجهدكَ الجوع؟» قال: قلت: اللّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «تعفّفْ يا أبا ذر!». قال: «كيف بك يا أبا ذر إذا كان بالمدينة موتٌ يبلغُ البيتُ العبدَ حتى إنه يباع القبر بالعبد؟». قال: قلتُ: اللّهُ ورسولهُ أعلم. قال: «تصبر يا أبا ذرّ!».

تواضعه ﷺ وحسن معاشرته مع أصحابه وكمال قرب أبي ذر له حينئذ، ولذا ذكره مع الإيماء إلى كمال حفظه القضية واستحضاره إياها. (**فلما جاوزنا بيوت المدينة قال: كيف بك**) قال الطيبي [رحمه الله]: مبتدأ وخبر والباء زائدة في المبتدأ، أي كيف أنت أي حالك. (**يا أبا ذر إذا كان**) أي وقع (**بالمدينة جوع**) أي خاص لك أو قحط عام (**تقوم عن فراشك ولا تبلغ مسجدك**) أي الذي قصدته أن تصلي فيه (**حتى يجهدك الجوع**) بضم الياء وكسر الهاء، وفي نسخة بفتحهما. أي يوصل إليك المشقة ويعجزك عن المشي من البيت إلى المسجد. (**قال: قلت: الله ورسوله أعلم**) أي بحالي وحال غيري في تلك الحال وسائر الأحوال. (**قال: تعفف**) بصيغة الأمر، أي التزم العفة. (**يا أبا ذر**) وهي الصلاح والورع والتصبر على أذى الجوع والتقوى والكف عن الحرام والشبهة، وعن السؤال من المخلوق والطمع فيه والمذلة عنده[1]. (**قال: كيف بك يا أبا ذر**) في ندائه مكرراً تنبيه له على أخذ الحديث مقرراً. (**إذا كانت بالمدينة موت**) أي بسبب القحط أو وباء من عفونة هواء أو غيرها. (**يبلغ البيت**) أي يصل موضع قبر الميت. (**العبد**) أي قيمته أو نفسه (**حتى إنه**) بكسر الهمز ويفتح أي الشأن، (**يباع القبر بالعبد**) هذا توضيح لما قبله من إيهام البيت. ففي النهاية: المراد بالبيت ههنا القبر، وأراد أن موضع القبور بضيق فيبتاعون كل قبر بعبد. قال التوربشتي [رحمه الله]: وفيه نظر لأن الموت وإن استمر[2] بالأحياء وفشا فيهم كل الفشوّ لم ينته بهم إلى ذلك وقد وسع الله عليهم الأمكنة. اهـ كلامه. وأجيب بأن المراد بموضع القبور الجبانة المعهودة وقد جرت العادة بأنهم لا يتجاوزون عنها. وفي شرح السنة قيل: معناه أن الناس يشتغلون عن دفن الموتى بما هم فيه حتى لا يوجد من يحفر قبر الميت فيدفنه إلا أن يعطي عبداً أو قيمة عبد. وقيل: معناه أنه لا يبقى في كل بيت كان فيه كثير من الناس إلا عبد يقوم بمصالح ضعفه أهل ذلك البيت. قال المظهر: يعني يكون البيت رخيصاً فيباع بيت بعبد. قال الطيبي [رحمه الله]: على الوجهين الأخيرين لا يحسن موقع حتى حسنها على الوجهين الأولين. قلت: بل لا يصح حينئذ وقوع حتى، ولعلها غير موجودة في المصابيح. قال الخطابي: قد يحتج بهذا الحديث من يذهب إلى وجوب قطع النباش، وذلك أن النبي ﷺ سمى القبر بيتاً فدل على أنه حرز كالبيوت. قلت: لا سيما وقد ثبت أنه ﷺ قطع النباش، لكن حمله أصحابنا على أنه للسياسة والله [سبحانه وتعالى]أعلم. (**قال: قلت: الله ورسوله أعلم**) كما تقدم (**قال: تصبر يا أبا ذر**) بتشديد الموحدة المفتوحة، أمر من باب التفعل. وفي نسخة تصبر مضارع صبر على أنه خبر بمعنى الأمر، أي اصبر بالبلاء ولا

---

(١) في المخطوطة «فيه».

(٢) في المخطوطة «اشتهر».

قال: «كيف بك يا أبا ذرّ إذا كان بالمدينة قَتْلٌ تَغمرُ الدماء أحجار الزيت؟» قال: قلت: اللّهُ ورسوله أعلم. قال: «تأتي من أنت منه». قال: قلت: وألْبَسُ السلاح؟ قال: «شاركتَ القومَ إذاً». قلتُ: فكيف أصنع يا رسول الله؟ قال: «إن خشيتَ أن يَبْهرَكَ شعاعُ السيفِ فألْقِ ناحيةَ ثوبِك على وجهك ليبوءَ بإثمك وإثمه». رواه أبو داود.

تجزع في الضراء ولا تنس بقية النعماء والسراء وارض بما يجري من القضاء تصب الأجر من خالق الأرض والسماء. (قال: كيف بك يا أبا ذر إذا كان بالمدينة قتل) أي سريع عظيم (تغمر) بسكون الغين المعجمة وضم الميم، أي تستر وتعلو (الدماء) أي كثرة دماء القتلى (أحجار الزيت) قيل: هي محلة بالمدينة، وقيل موضع بها. قال التوربشتي [رحمه الله]: هي من الحرة التي كانت بها الوقعة زمن يزيد والأمير على تلك الجيوش العاتية مسلم بن عقبة المزي المستبيح بحرم رسول الله ﷺ، وكان نزوله بعسكره في الحرة الغربية من المدينة فاستباح حرمتها وقتل رجالها وعاث فيها ثلاثة أيام، وقيل خمسة. فلا جرم أنه انماع كما ينماع الملح في الماء ولم يلبث إن أدركه الموت وهو بين الحرمين، وخسر هنالك المبطلون. (قال: قلت الله ورسوله أعلم. قال: تأتي من أنت منه) خبر معناه أمر، أي ائت من يوافقك في دينك وسيرتك. وقال القاضي: أي ارجع إلى من أنت جئت منه وخرجت من عنده يعني أهلك وعشيرتك. قال الطيبي [رحمه الله]: لا يطابق على هذا سؤاله. (قال: قلت: والبس السلاح) والظاهر أن يقال: ارجع إلى إمامك ومن بايعته، فحينئذ يتوجه أن يقول: والبس السلاح وأقاتل معه. (قال:) أي النبي ﷺ (شاركت القوم) أي في الإثم (إذا) أي إذا لبست السلاح. المعنى لا تلبس السلاح وكن مع الإمام وأرباب الصلاح ولا تقاتل حتى يحصل لك الفلاح، هذا حاصل كلام الطيبي [رحمه الله]. لكن فيه أن إمامه إذا قاتل كيف يجوز له أن يمتنع من المقاتلة معه. وقال ابن الملك [رحمه الله]: قوله: شاركت، لتأكيد الزجر عن إراقة الدماء وإلا فالدفع واجب. اهـ. وذكره الطيبي [رحمه الله]: وقرره. والصواب أن الدفع جائز إذا كان الخصم مسلماً إن لم يترتب عليه فساد، بخلاف ما إذا كان العدو كافراً فإنه يجب الدفع مهما أمكن. (قلت: فكيف أصنع يا رسول الله. قال: إن خشيت أن يبهرك) بفتح الهاء، أي يغلبك. (شعاع السيف) بفتح أوله أي بريقه ولمعانه. وهو كناية عن أعمال السيف (فالق) أمر من الإلقاء، أي اطرح. (ناحية ثوبك) أي طرفه (على وجهك) أي لئلا ترى ولا تفزع ولا تجزع. والمعنى: لا تحاربهم وإن حاربوك، بل استسلم نفسك للقتل لأن أولئك من أهل الإسلام ويجوز معهم عدم المحاربة والاستسلام كما أشار إليه بقوله: (ليبوء) أي ليرجع القاتل (بإثمك) أي بإثم قتلك (وإثمه) أي وبسائر إثمه (رواه أبو داود) وكذا ابن ماجه والحاكم في مستدركه وقال: صحيح على شرط الشيخين، نقله ميرك عن التصحيح[1].

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٢٤.

٥٣٩٨ ـ (٢٠) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «كيف بك إذا أبقيت في حُثالةٍ من الناسِ مَرِجت عهودهم وأماناتهم؟ واختلفوا فكانوا هكذا؟» وشبَّك بين أصابعه. قال: فبم تأمرني؟ قال: «عليك بما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بخاصة نفسك، وإياك وعوامَّهم». وفي رواية: «الزم بيتك، واملك عليك

٥٣٩٨ ـ (وعن عبد الله بن عمرو) صحابيان جليلان (ابن العاص) بغير ياء هو الصحيح (أن النبي ﷺ قال: كيف بك) سبق إعرابه وفي رواية: كيف أنت، أي كيف حالك. (إذا أبقيت) مجهول من الإبقاء، أي إذا أبقاك الله بمعنى عمرك. وفي نسخة بصيغة المعلوم من البقاء، أي إذا بقيت. (في حثالة) بضم الحاء وبالثاء المثلثة، وهي ما سقط من قشر الشعير والأرز والتمر [و]الرديء من كل شيء، أي في قوم أردياء. (من الناس مرجت) استئناف بيان وهو بفتح الميم وكسر الراء، أي فسدت. (عهودهم وأماناتهم) وفي نسخة: أمانتهم، بصيغة الإفراد على إرادة الجنس أو باعتبار كل فرد، والجمع إنما هو للمقابلة والتوزيع مع إمكان حقيقة الجمع فيهما فتأمل. والمعنى: لا يكون أمرهم مستقيماً، بل يكون [كل واحد]في كل لحظة على طبع وعلى عهد ينقضون العهود ويخونون الأمانات. قال التوربشتي [رحمه الله]: أي اختلطت وفسدت فقلقت فيهم أسباب الديانات. (واختلفوا فكانوا هكذا. وشبك بين أصابعه) أي يمرج بعضهم في بعض ويلتبس أمر دينهم فلا يعرف الأمين من الخائن ولا البر من الفاجر. هذا وفي نسخة مرجت بفتح الراء وهو متعد ومنه قوله تعالى: ﴿مرج البحرين﴾ [الرحمٰن ـ ١٩]. ففيه ضمير إلى الحثالة. فالمعنى: أفسدت تلك الجماعة القمامة عهودهم وأماناتهم واختلفوا في أمور دياناتهم فكانوا كما أخبر النبي ﷺ عنهم في الاشتباك مشبهين بالأصابع المشبكة. فما كتبه ميرك على هامش الكتاب من قوله: مرجت، بصيغة المجهول ورمز عليه ظاهر إشارة إلى أنه هو الظاهر، وعلله[1] بأن المرج متعد والمعنى على اللزوم فهو غير ظاهر على ما يظهر من القاموس وغيره. ففي القاموس: المرج الخلط والمرج محركة الفساد والقلق والاختلاط والاضطراب، وإنما يسكن مع الهرج [يعني] للازدواج مرج [كفرح]وأمر مريج مختلط وأمرج العهد لم يف به. اهـ. وفي مختصر النهاية: مرج الدين فسد وقلقت أسبابه. ومرجت عهودهم أي اختلطت. (قال: فبم تأمرني. قال: عليك بما تعرف) أي الزم وافعل ما تعرف كونه حقاً (ودع ما تنكر) أي واترك ما تنكر أنه حق (وعليك بخاصة نفسك وإياك وعوامهم) أي عامتهم. والمعنى: الزم أمر نفسك واحفظ دينك واترك الناس ولا تتبعهم. وهذا رخصة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كثر الأشرار وضعف الأخيار. (وفي رواية: الزم بيتك واملك) أمر من الإملاك بمعنى الشد والإحكام أي أمسك (عليك

الحديث رقم ٥٣٩٨: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٢٥١. حديث رقم ٦٤٣٤. وأبو داود في السنن ٤/ ٥١٣ حديث رقم ٤٣٤٢. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٠٧ حديث رقم ٣٩٥٧. والدارمي في السنن ٢/ ٣٩٠ حديث رقم ٢٧١٩. وأحمد في المسند ٢/ ١٦٢.

(١) في المخطوطة «وعليه».

لسانك؛ وخذ ما تعرف، ودَعْ ما تنكر، وعليك بأمرِ خاصة نفسك، ودَع أمر العامّة». رواه الترمذي، وصححه.

٥٣٩٩ ـ (٢١) وعن أبي موسى، عن النبي ﷺ، أنه قال: «إنَّ بينَ يَدَي الساعةِ فِتَناً كقِطعِ الليلِ المظلم، يصبحُ الرجلُ فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، فكسّروا فيها قِسِيَّكم، وقطِّعوا فيها أوتاركم، واضربوا سيوفكم بالحجارة، فإن دُخِلَ على أحدٍ منكم فليكن كخير ابْني آدم». رواه أبو داود. وفي رواية له: ذكر إلى قوله «خيرٌ من الساعي»، ثم

لسانك) ولا تتكلم في أحوال الناس كيلا[1] يؤذوك **(وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع أمر العامة. رواه الترمذي وصححه)** قال ميرك: والرواية الثانية رواها أبو داود والنسائي أيضاً.

٥٣٩٩ ـ **(وعن أبي موسى)** أي الأشعري **(عن النبي ﷺ أنه قال: إن بين يدي الساعة)** أي قدامها من أشراطها **(فتناً)** أي فتناً عظاماً ومحناً جساماً **(كقطع الليل المظلم)** بكسر القاف وفتح الطاء ويسكن، أي كل فتنة كقطعة من الليل المظلم في شدتها وظلمتها وعدم تبين أمرها. قال الطيبي [رحمه الله]: يريد بذلك التباسها وفظاعتها وشيوعها واستمرارها. **(يصبح الرجل فيها)** أي في تلك الفتن **(مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً)** والظاهر أن المراد بالإصباح والإمساء تقلب الناس فيها وقتاً دون وقت لا بخصوص الزمانين، فكأنه كناية عن تردد أحوالهم وتذبذب أقوالهم وتنوّع أفعالهم من عهد ونقض وأمانة وخيانة ومعروف ومنكر وسنة وبدعة وإيمان وكفر. **(القاعد فيها خير من القائم والماشي فيها خير من الساعي)** أي كلما بعد الشخص عنها وعن أهلها خير له من قربها واختلاط أهلها لما سيؤول أمرها إلى محاربة أهلها، فإذا رأيتم الأمر كذلك **(فكسروا فيها قسيكم)** بكسرتين وتشديد التحتية جمع القوس، وفي العدول عن الكسر إلى التكسير مبالغة لأن باب التفعيل للتكثير، وكذا قوله: **(وقطعوا)** أمر من التقطيع **(فيها أوتاركم)** وفيه زيادة من المبالغة إذ لا منفعة لوجود الأوتار مع كسر القسي. أو المراد به أنه لا ينتفع بها الخير ولا يستعملها في الشر دون الخير. **(واضربوا سيوفكم بالحجارة)** أي حتى تنكسر أو حتى تذهب حدتها، وعلى هذا القياس الأرماح وسائر السلاح. **(فإن دخل)** بصيغة المفعول ونائب الفاعل في قوله: **(على أحد)** ومن في قوله **(منكم)** بيانية **(فليكن)** أي ذلك الأحد **(كخير ابني آدم)** أي فليستسلم حتى يكون قتيلاً كهابيل ولا يكون قاتلاً كقابيل **(رواه أبو داود)**.

(وفي رواية له) أي لأبي داود عنه **(ذكر)** أي الحديث **(إلى قوله: خير من الساعي ثم**

---

(١) في المخطوطة «لئلا».

الحديث رقم ٥٣٩٩: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٥٧ حديث رقم ٤٢٥٩. والترمذي في السنن ٤/ ٤٢٤ حديث رقم ٢٢٠٢. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣١٠ حديث رقم ٣٩٦١. وأحمد في المسند ٤/ ٤١٦.

قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «كونوا أحلاس بيوتكم». وفي رواية الترمذي: أنَّ رسول الله ﷺ قال في الفتنة: «كسّروا فيها قِسِيَّكم، وقطعوا فيها أوتاركم، والزموا فيها أجواف بيوتكم، وكونوا كابن آدم». وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ.

٥٤٠٠ ـ (٢٢) وعن أمِّ مالك البَهْزية، قالت: ذَكَرَ رسولُ الله ﷺ فتنةً فقرَّبها. قلت: يا رسولَ اللّٰهِ! مَنْ خيرُ الناس فيها؟ قال: «رجلٌ في ماشيته يؤدِّي حقها، ويعبدُ ربَّهُ، ورَجُل آخذٌ برأسِ فرسه يخيف العدوَّ ويخوفونه». رواه الترمذيُّ.

قالوا:) أي بعض الصحابة (فما تأمرنا) أي أن نفعل حينئذ (قال: كونوا أحلاس بيوتكم) أحلاس البيوت ما يبسط تحت حر الثياب فلا تزال ملقاة تحتها. وقيل: الحلس هو الكساء على ظهر البعير تحت القتب والبرذعة شبهها به للزومها ودوامها. والمعنى: الزموا بيوتكم والتزموا سكونكم كيلا تقعوا في الفتنة التي بها دينكم بفوتكم. (وفي رواية الترمذي أن رسول الله ﷺ قال في الفتنة:) أي في أيامها وزمنها، وهو ظرف لقوله: (كسروا فيها قسيكم وقطعوا فيها أوتاركم والزموا فيها أجواف بيوتكم) أي كونوا ملازميها لئلا تقعوا في الفتنة والمحاربين فيها. (وكونوا كابن آدم) المطلق ينصرف إلى الكامل. وفيه إشارة لطيفة تحت عبارة ظريفة، وهو أن هابيل المقتول المظلوم هو ابن آدم لا قابيل القاتل الظالم كما قال تعالى في حق ولد نوح [عليه الصلاة والسلام]: ﴿إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾ [هود ـ ٤٦]. (وقال:) أي الترمذي ([هذا]حديث صحيح غريب).

٥٤٠٠ ـ (وعن أم مالك البهزية) بفتح الموحدة وسكون الهاء وبالزاي وياء النسبة. قال المؤلف: لها صحبة ورواية[1] وهي حجازية روى عنها طاوس ومكحول. (قالت: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها) بتشديد الراء، أي فعدها قريبة الوقوع. قال الأشرف: معناه وصفها للصحابة وصفاً بليغاً. فإن من وصف عند أحد وصفاً بليغاً فكأنه قرب ذلك الشيء إليه. (قلت: يا رسول الله من خير الناس فيها. قال: رجل في ماشية) أي من الغنم ونحوها (يؤدي حقها) أي من الزكاة وغيرها (ويعبد ربه) لقوله تعالى [جل جلاله ولا إله غيره]: ﴿ففروا إلى الله﴾ [الذاريات ـ ٥٠]. وقوله تعالى: ﴿وتبتل إليه تبتيلا﴾ [المزمل ـ ٨]. وقوله: ﴿وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون﴾ [هود ـ ١٢٣]. (ورجل آخذ) بصيغة اسم الفاعل، أي ماسك[2]. (برأس فرسه يخيف العدو) من الإخافة بمعنى التخويف، أي يخوّف الكفار. (ويخوفونه) فيه تفنن. قال المظهر: يعني رجل هرب من الفتن وقتال المسلمين وقصد الكفار يحاربهم ويحاربونه. يعني: فيبقى سالماً من الفتنة وغانماً للأجر والمثوبة. (رواه الترمذي).

الحديث رقم ٥٤٠٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٤١٠ حديث رقم ٢١٧٧. وأحمد في المسند ٦/٤١٩.

(١) في المخطوطة «دراية». (٢) في المخطوطة «ممسك».

٥٤٠١ ـ (٢٣) وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتنةٌ تستنظف العربَ، قتلاها في النار، اللّسان فيها أشدُّ من وَقْعِ السَّيف».

٥٤٠١ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ستكون فتنة)** أي عظيمة وبلية جسيمة. **(تستنظف العرب)** أي تستوعبهم هلاكاً من استنظفت الشيء أخذته كله، كذا في النهاية وبعض الشروح. وقيل: أي تطهرهم من الأرذال وأهل الفتن. **(قتلاها)** جميع قتيل بمعنى مقتول مبتدأ خبره قوله: **(في النار)** أي سيكونون في النار أو هم حينئذ في النار لأنهم يباشرون ما يوجب دخولهم[1] فيها كقوله تعالى: **﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾** [الانفطار ـ ١٣ ـ ١٤]. قال القاضي [رحمه الله]: المراد بقتلاها من قتل في تلك الفتنة وإنما هم من أهل النار لأنهم ما قصدوا بتلك المقاتلة والخروج إليها إعلاء دين أو دفع ظالم أو إعانة محق، وإنما كان قصدهم التباغي والتشاجر طمعاً في المال والملك. **(اللسان)** أي وقعه وطعنه على تقدير مضاف، ويدل عليه رواية: وإشراف اللسان، أي إطلاقه وإطالته. **(فيها أشد من وقع السيف)** وقال الطيبي [رحمه الله]: القول والتكلم فيها إطلاقاً للمحل وإرادة الحال. اهـ. والحاصل أنه لا بد من ارتكاب أحد المجازين المذكورين في قوله تعالى: **﴿واسأل القرية﴾** [يوسف ـ ٨٢]. قال المظهر: يحتمل هذا احتمالين أحدهما أن من ذكر أهل تلك الحرب بسوء يكون كمن حاربهم لأنهم مسلمون وغيبة المسلمين إثم. قلت: وفيه أنه ورد: اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس. ولا غيبة لفاسق. ونحو ذلك فلا يصح هذا على إطلاقه ولذا استدرك كلامه بقوله: ولعل المراد بهذه الفتنة الحرب التي وقعت بين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وبين معاوية رضي الله عنه، ولا شك أن من ذكر أحداً من هذين الصدرين وأصحابهما يكون مبتدعاً لأن أكثرهم كانوا أصحاب رسول الله ﷺ. اهـ. وقد قال ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»[2]. أي عن الطعن فيهم فإن رضا الله تعالى في مواضع من القرآن تعلق بهم، فلا بد أن يكون مآلهم إلى التقوى ورضا المولى وجنة المأوى وأيضاً لهم حقوق ثابتة في ذمة الأمة فلا ينبغي لهم أن يذكروهم إلا بالثناء الجميل والدعاء الجزيل، وهذا مما لا ينافي أن يذكر أحد مجملاً أو معيناً بأن المحاربين مع علي ما كانوا من المخالفين، أو بأن معاوية وحزبه كانوا باغين على ما دل عليه حديث عمار: «تقتلك الفئة الباغية»[3]. لأن المقصود منه بيان الحكم المميز بين الحق والباطل والفاصل بين المجتهد المصيب والمجتهد المخطىء مع توقير الصحابة وتعظيمهم جميعاً في القلب [لرضا الرب]. ولذا لما سئل بعض الأكابر عمر بن عبد العزيز أفضل أم معاوية قال لغبار أنف فرس معاوية حين غزا في ركاب

الحديث رقم ٥٤٠١: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٦١ حديث رقم ٤٢٦٥ والترمذي في السنن ٤/ ٤١١ حديث رقم ٢١٧٨. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣١٢ حديث رقم ٣٩٦٧. وأحمد في المسند ٢/ ٢١٢.

(١) في المخطوطة «دخولها».

(٢) الطبراني في الكبير ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٤٣ حديث رقم ٦١٥.

(٣) أبو نعيم في الحلية.

رسول الله ﷺ أفضل من كذا وكذا من عمر بن عبد العزيز، إذ من القواعد المقررة أن العلماء والأولياء من الأمة لم يبلغ أحد منهم مبلغ الصحابة الكبراء. وقد أشار إلى هذا المعنى قوله سبحانه وتعالى: **﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا﴾** [الحديد - ١٠]. وكذا قوله تعالى: **﴿والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار﴾** [التوبة - ١٠٠]. وقوله: **﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾** [الواقعة - ١٠ و١١]. قال المظهر: والثاني أن المراد به أن من مد لسانه فيه بشتم أو غيبة يقصدونه بالقتل والضرب ويفعلون به ما يفعلون بمن حاربهم. اهـ. وحاصله أن الطعن في إحدى الطائفتين ومدح الأخرى حينئذ مما يثير الفتنة فالواجب كف اللسان، وهذا المعنى في غاية من الظهور فتأمل. لكن الطيبي رجح المعنى الأوّل حيث قال: ويؤيد قوله: ولعل المراد بهذه الفتنة الخ ما روينا عن الأحنف بن قيس قال: خرجت وإنما أريد هذا الرجل فلقيني أبو بكرة فقال: أين تريد يا أحنف. قلت: أريد نصر ابن عم رسول الله ﷺ. قال: فقال: يا أحنف ارجع فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا توجه المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار. قال: فقلت: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول. قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه. متفق عليه[1]. قلت: محمل هذا الحديث إذا كان القتال بين المسلمين على جهة العصبية والحمية الجاهلية كما يقع كثيراً فيما بين أهل حارة وحارة وقرية وقرية وطائفة وطائفة من غير أن يكون هناك باعث شرعي لأحدهما. ولا يصح حمل الحديث على إطلاقه الشامل لقضية صفين ونحوها لئلا ينافي قوله تعالى جلّ شأنه: **﴿فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي﴾** [الحجرات - ٩]. ولأن الإجماع على أن قتلى طائفة علي ليسوا في النار فكلام أبي بكرة أما محمول على أنه كان متردداً متحيراً في أمر علي ومعاوية ولم يكن يعرف الحق من الباطل ولم يميز أحدهما من الآخر، وإما فهم من كلام الأحنف أنه يريد حماية العصبية لا إعلاء الكلمة الدينية على ما يشير إليه قوله: أريد نصر ابن عم رسول الله ﷺ، ولم يقل: أريد معاونة الإمام الحق والخليفة المطلق. وبهذا يتبين أن حمل هذه الفتنة على قضية علي لا يجوز ويزول بما قال الطيبي [رحمه الله]. وأما قوله: قتلاها في النار، فللزجر والتوبيخ والتغليظ عليهم. وأما كف الألسنة عن الطعن فيهم فإن كلاً منهم مجتهد وإن كان علي رضي الله عنه مصيباً فلا يجوز الطعن فيهما، والأسلم للمؤمنين أن لا يخوضوا في أمرهما. قال عمر بن عبد العزيز: تلك دماء طهر الله أيدينا منها فلا نلوث ألسنتنا بها. قال النووي [رحمه الله]: كان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ لأنه كان بالاجتهاد والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه، وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب هذا مذهب أهل السنة. وكانت القضايا مشتبهة حتى أن جماعة من الصحابة تحيروا فيها فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولو تيقنوا الصواب لم يتأخروا عن مساعدته. قلت: وسبب هذا التحير لم يكن في أن علياً

---

(١) البخاري في صحيحه ١٣/ ٣١ حديث رقم ٧٠٨٣، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢١٣ حديث رقم ٢٨٨٨.

رواه الترمذي، وابن ماجه.

٥٤٠٢ ـ (٢٤) وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «ستكونُ فتنةٌ صمّاءُ بكماءُ عمياءُ، من أشرف لها استشرفت له، وإشراف اللسان فيها كوقوع السيف». رواه أبو داود.

أحق بالخلافة أم معاوية لأنهم أجمعوا على ولاية علي واجتمع أهل الحل والعقد على خلافته، وإنما وقع النزاع بين معاوية وعلي في قتلة عثمان حيث تعلل معاوية بأني لم أسلم لك الأمر حتى تقتل أهل الفساد والشرور ممن حاصر الخليفة وأعان على قتله، فإن هذا ثلمة في الدين وخلل في أئمة المسلمين. واقتضى رأي علي وهو الصواب أن قتل فئة الفتنة يجر إلى إثارة الفتنة التي هي تكون أقوى من الأولى مع أن هجوم العوام وعدم تعيين أحد منهم بمباشرة قتل الإمام ليس بموجب لإمام آخر أن يقتلهم قتلاً عاماً ولا من يتهم بقتله من غير حجة أو بينة شرعية، لا سيما وقد رجعوا إلى الحق ودخلوا في بيعة الخليفة. ومن المعلوم أن أهل البغي إذا رجعوا عن بغيهم أو شردوا عن قتالهم فليس لأحد أن يتعرض لهم. هذا ولما كان ﷺ ذكر الفتن وحذر عن الدخول فيها ورغب عن البعد عنها ورهب عن القرب إليها وأطلقها نظراً إلى فساد غالبها ولم يبين هذه الفتنة بخصوصها مفصلة وإن وقعت مجملة، تحير فيها بعض الصحابة وظنوا أن الأسلم فيها بالخصوص أيضاً، ما ذكره ﷺ فيها بالعموم. لكن لما تبين لهم في الآخر حقي علي كرم الله وجهه وخطأ معاوية ندموا على ما فعلوا من العزلة وتحسروا على ما فاتهم من مثوبة الجلوة ولله حكمة في ذلك كله لله الأمر من قبل ومن بعد. فلا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم والله [تعالى] أعلم. (**رواه الترمذي وابن ماجه**) قال ميرك: رواه أبو داود أيضاً كلهم مرفوعاً. وقال البخاري: الأصح وقفه على عبد الله بن عمرو بن العاص. أقول: لكن هذا الموقوف في حكم المرفوع لأن قوله: قتلاها في النار. لا يتصور أن يصدر من رأي أحد.

٥٤٠٢ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ستكون فتنة صماء عمياء بكماء**) أي باعتبار أصحابها حيث لا يجدون لها مستغاثاً ولا يرون منها مخرجاً وخلاصاً. والمعنى: لا يميزون فيها بين الحق والباطل ولا يسمعون النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل من تكلم فيها بحق أوذي ووقع في الفتن والمحن. (**من أشرف لها**) أي من اطلع عليها وقرب منها (**استشرفت له**) أي اطلعت تلك الفتنة عليه وجذبته إليها. (**وإشراف اللسان**) أي إطلاقه وإطالته (**فيها كوقوع السيف**) أي في تأثيره، بل أبلغ لما قيل:

جراحات السنان لها التئام ... ولا يلتام ما جرح اللسان

ولهذا قال في الرواية السابقة: أشد من وقع السيف. (**رواه أبو داود**).

الحديث رقم ٥٤٠٢: أخرجه أبو داود في السنن ٤/٤٦٠ حديث رقم ٤٢٦٤. وأحمد في المسند ٥/٤٠٦.

٥٤٠٣ ـ (٢٥) وعن عبد الله بن عمر، قال: كنا قعوداً عند النبي ﷺ فذكر الفِتَنَ، فأكثر في ذكرها، حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: وما فتنة الأحلاس؟ قال: «هي هرب وحرب، ثم فتنةُ السرَّاء دخنها من تحت قدمَيْ رجلٍ من أهل بيتي، يزعم أنه مني وليس مني، إنما أوليائي المتقون، ثم يصطلحُ الناسُ على رجلٍ كَوِركٍ على ضِلَعٍ،

٥٤٠٣ ـ (عن عبد الله بن عمر قال: كنا قعوداً) أي قاعدين (عند رسول الله ﷺ فذكر الفتن) أي الواقعة في آخر الزمان (فأكثر) أي البيان (في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس) سبق معناه اللغوي (فقال قائل: وما فتنة الأحلاس قال: هي هرب) بفتحتين، أي يفر بعضهم من بعض لما بينهم من العداوة والمحاربة. (وحرب) بفتحتين، أي أخذ مال وأهل بغير استحقاق. (ثم فتنة السراء) بالرفع عطف على هرب بحسب المعنى، فكأنه قال: وفتنة الأحلاس حرب وهرب وفتنة السراء. وفي نسخة بالنصب عطفاً على فتنة الأحلاس، والمراد بالسراء النعماء التي تسر الناس من الصحة والرخاء والعافية من البلاء والوباء، وأضيفت إلى السراء لأن السبب في وقوعها ارتكاب المعاصي بسبب كثرة التنعم أو لأنها تسر العدوّ. وقال التوربشتي [رحمه الله]: يحتمل أن يكون سبب وقوع الناس في تلك الفتنة وابتلائهم بها أثر النعمة فأضيفت إلى السراء. يعني: يكون التركيب من قبيل إضافة الشيء إلى سببه، ويحتمل أن يكون صفة للفتنة فأضيفت إليها إضافة مسجد الجامع. ويراد منها سعتها لكثرة الشرور والمفاسد. ومن ذلك قولهم: قفاه سراء إذا كانت وسيعة. يعني: يكون التقدير فتنة الحادثة السراء أي الواسعة التي تعم الكافة من الخاصة والعامة. وقوله: (دخنها) بفتحتين، أي إثارتها وهيجانها وشبهها بالدخان الذي يرتفع كما شبه الحرب بالنار. وإنما قال: (من تحت قدمي رجل من أهل بيتي) تنبيهاً على أنه هو الذي يسعى في إثارتها، أو إلى أنه يملك أمرها. (يزعم أنه مني) أي في الفعل وإن كان مني في النسب. والحاصل أن تلك الفتنة بسببه وأنه باعث على إقامتها. (وليس مني) أي من أخلائي أو من أهلي في الفعل لأنه لو كان من أهلي لم يهيج الفتنة ونظيره قوله تعالى: ﴿إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾ [هود ـ ٤٦]. أو ليس من أوليائي في الحقيقة ويؤيده قوله: (إنما أوليائي المتقون) وهذا أبلغ من حديث: «آل محمد كل تقي»[١]. (ثم يصطلح الناس على رجل) أي يجتمعون على بيعة رجل (كورك) بفتح وكسر (على ضلع) بكسر ففتح ويسكن واحد الضلوع أو الأضلاع وتسكين اللام فيه جائز على ما في الصحاح[٢]، وهذا مثل. والمراد أنه لا يكون على ثبات لأن الورك لثقله لا يثبت على الضلع لدقته. والمعنى أنه يكون غير أهل للولاية لقلة علمه وخفة رأيه وحلمه. وفي النهاية: أي يصطلحون على رجل لا نظام له ولا استقامة لأمره لأن الورك لا يستقيم على الضلع ولا يتركب عليه لاختلاف ما بينهما

الحديث رقم ٥٤٠٣: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٤٢ حديث رقم ٤٢٤٢. وأحمد في المسند ٢/ ١٣٣.

(١) الطبراني في الأوسط ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٨ حديث رقم ١٥.

(٢) في المخطوطة «الصلاح» والصواب «الصحاح» والمقصود به «مختار الصحاح».

ثمّ فتنة الدُّهَيماء لا تدَعُ أحداً من هذه الأمةِ إلا لطَمَتْهُ لطمةً، فإذا قيل: انقضت، تمادت، يصبحُ الرجلُ فيها مؤمناً ويمسي كافراً، حتى يصيرَ الناسُ إلى فسطاطين: فسطاط إيمانٍ لا نفاق فيه، وفسطاط نفاقٍ لا إيمانَ فيه. فإذا كان ذلك فانتظروا الدجال من يومه أو من غده».

وبعده. وفي شرح السنة: معناه أن الأمر لا يثبت ولا يستقيم له وذلك أن الضلع لا يقوم بالورك ولا يحمله. وحاصله أنه لا يستعد ولا يستبد لذلك فلا يقع[1] عنه الأمر موقعه، كما أن الورك على ضلع يقع غير موقعه. قال: وإنما يقال في باب الملائمة والموافقة إذا وصفوا به هو ككف في ساعد وساعد في ذراع ونحو ذلك. يريد أن هذا الرجل غير خليق للملك ولا مستقل به. **(ثم فتنة الدهيماء)** بالرفع وينصب على ما سبق وهي بضم ففتح. والدهماء السوداء والتصغير للذم، أي الفتنة العظماء والطامة العمياء. وفي النهاية: هي تصغير الدهماء، يريد الفتنة المظلمة والتصغير فيها للتعظيم. وقيل المراد بالدهيماء الداهية ومن أسماء الداهية الدهيم، زعموا أن الدهيم اسم ناقة غزا عليها سبعة إخوة متعاقبين فقتلوا عن آخرهم وحملوا عليها حتى رجعت بهم فصارت مثلاً في كل داهية. **(لا تدع)** أي لا تترك تلك الفتنة **(أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة)** أي أصابته بمحنة ومسته ببلية. وأصل اللطم هو الضرب على الوجه ببطن الكف. والمراد أن أثر تلك الفتنة يعم الناس ويصل لكل أحد من ضررها. قال الطيبي [رحمه الله]: هو استعارة مكنية، شبه الفتنة بإنسان ثم خيل لإصابتها الناس اللطم الذي هو من لوازم المشبه به وجعلها قرينة لها. **(فإذا قيل: انقضت)** أي فمهما توهموا أن تلك الفتنة انتهت **(تمادت)** بتخفيف الدال، أي بلغت المدى أي الغاية من التمادي. وفي نسخة بتشديد الدال من التمادد تفاعل من المد، أي استطالت واستمرت واستقرت. **(يصبح الرجل فيها مؤمناً)** أي لتحريمه دم أخيه وعرضه وماله **(ويمسي كافراً)** أي لتحليله ما ذكر ويستمر ذلك **(حتى يصير الناس إلى فسطاطين)** بضم الفاء وتكسر، أي فرقتين. وقيل: مدينتين. وأصل الفسطاط الخيمة فهو من باب ذكر المحل وإرادة الحال. **(فسطاط إيمان)** بالجر على أنه بدل. وفي نسخة بالرفع وإعرابه مشهور، أي إيمان خالص. **(لا نفاق فيه)** أي لا في أصله ولا في فصله من اعتقاده وعمله. **(وفسطاط نفاق لا إيمان فيه)** أي أصلاً أو كمالاً لما فيه من أعمال المنافقين من الكذب والخيانة ونقض العهد وأمثال ذلك. **(فإذا كان ذلك فانتظروا الدجال)** أي ظهوره **(من يومه أو من غده)** وهذا يؤيد أن المراد بالفسطاطين المدينتين. فإن المهدي يكون في بيت المقدس فيحاصره الدجال فينزل عيسى عليه [الصلاة]والسلام فيذوب الملعون كالملح ينماع في الماء فيطعنه بحربة له فيقتله فيحصل الفرج العام والفرج التام كما قال سيد الأنام:

* اشتدي أزمة تنفرجي[2] *

---

(١) في المخطوطة «يصح».

(٢) القضاعي والديلمي في مسند الفردوس ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٦٩ حديث رقم ١٠٤٧.

رواه أبو داود.

٥٤٠٤ ـ (٢٦) وعن أبي هريرة، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ويلٌ للعرب من شرّ قد اقترب، أفلحَ من كَفَّ يدَه». رواه أبو داود.

وقد قال تعالى: ﴿فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً﴾ [الشرح ـ ٦ ـ ٧]. ولن يغلب عسر يسرين. وهما هنا الاقتران بين القمرين وضياء أنوارهما في أمر الكونين. قال الطيبي [رحمه الله]: الفسطاط بالضم والكسر المدينة التي فيها يجتمع الناس، وكل مدينة فسطاط. وإضافة الفسطاط إلى الإيمان إمابجعل المؤمنين نفس الإيمان مبالغة وإما بجعل الفسطاط مستعاراً للكتف والوقاية على المصرحة، أي هم في كنف الإيمان ووقايته. (رواه أبو داود) أي وسكت عليه، وأقره المنذري ورواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي نقله ميرك عن تصحيح الجزري[١].

٥٤٠٤ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ويل للعرب) الويل حلول الشر وهو تفجيع، أو ويل كلمة عذاب أو واد في جهنم وخص العرب بذلك لأنهم كانوا حينئذ معظم من أسلم. (من شر) أي عظيم (قد اقترب) أي ظهوره. والأظهر أن المراد به ما أشار إليه ﷺ في الحديث المتفق عليه بقوله: فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج الحديث. كما تقدم والله [تعالى]أعلم. قال الطيبي [رحمه الله]: أراد به الاختلاف الذي ظهر بين المسلمين من وقعة عثمان رضي الله عنه، أو ما وقع بين علي كرم الله وجهه ومعاوية رضي الله عنه. أقول: أو أراد به قضية يزيد مع الحسين رضي الله عنه وهو في المعنى أقرب، لأن شره ظاهر عند كل أحد من العجم والعرب. وقال ابن الملك [رحمه الله]: قوله: من شر، أي من خروج جيش يقاتل العرب. وقيل: أرد به الفتن الواقعة في العرب، أولها قتل عثمان واستمرت إلى الآن. أقول: ولم يعرف ما يقع في مستقبل الزمان والله المستعان وعليه التكلان. (أفلح) أي نجا وظفر على المدعي وانتصر على الأعداء. (من كف يده) أي عن الأذى أو ترك القتال إذا لم يتميز الحق من الباطل. أقول: ولعل وجه عدول الشراح عن المعنى الذي قدمته إلى ما ذكروه أن قوله: أفلح من كف يده، يدل على خلاف ذلك فإن وقت خروجهم ليس لأحد طاقة المقاتلة معهم. فمورد هذا الحديث غير الأول فتدبر وتأمل، اللهم إلا أن يقال إن هذا جملة مستقلة والمعنى: أفلح من كف يده عمن قال لا إله إلا الله، إلا بإذن شرعي حكم به وقضاه. (رواه أبو داود) أي بإسناد رجاله رجال الصحيح. والحديث متفق عليه من حديث طويل خلا قوله: قد أفلح من كف يده. نقله ميرك عن التصحيح. وفي الجامع بلفظ المشكاة رواه أبو

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/٤٦٦.

الحديث رقم ٥٤٠٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/١١. حديث رقم ٧٠٥٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٠٧ حديث رقم (١ ـ ٢٨٨٠) وأبو داود في السنن ٤/٤٤٩ حديث رقم ٤٢٤٩ والترمذي في السنن ٤/٤١٦ حديث رقم ٢١٨٧. وابن ماجه ٢/١٣٠٥ حديث رقم ٣٩٥٣. وأحمد في المسند ٢/٤٤١.

٥٤٠٥ ـ **(٢٧)** وعن المقداد بن الأسود، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ السعيد لمن جُنِّبَ الفتن، إن السعيد لمن جُنِّب الفتن، إن السعيد لمن جُنِّبَ الفتن؛ ولمن ابتليَ فصبر فوَاهاً». رواه أبو داود.

داود والحاكم[١]، وفيه أيضاً حديث: ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره، رواه أحمد والنسائي والحاكم وابن حبان عن أبي سعيد[٢]. وفيه أيضاً: ويل لأمتي من علماء السوء. رواه الحاكم في تاريخه عن أنس[٣].

٥٤٠٥ ـ **(وعن المقداد بن الأسود)** قال المؤلف: هو ابن عمرو الكندي، وذلك أن أباه حالف كندة فنسب إليها وإنما سمي ابن الأسود لأنه كان حليفه أو لأنه كان في حجره. وقيل: بل كان عبداً فتبناه وكان سادساً في الإسلام. **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن السعيد لمن)** باللام المفتوحة للتأكيد في خبر إن، أي للذي **(جنب)** بضم الجيم وتشديد النون المكسورة، أي بعد. **(الفتن)** منصوب على أنه مفعول ثان. ومنه ما ورد من الدعاء: اللهم جنبنا الشيطان. وقيل: إنه منصوب بنزع الخافض. أي بعد عنها. **(إن السعيد لمن جنب الفتن إن السعيد لمن جنب الفتن)** كررها ثلاثاً للمبالغة في التأكيد. ويمكن أن يكون التكرار باعتبار أول الفتن وآخرها. **(ولمن ابتلي)** اللام للابتداء، أي لمن امتحن بتلك الفتن. **(فصبر)** أي على أذاهم ولم يحاربهم في ذلك الزمن. **(فواهاً)** [بالتنوين]اسم صوت وضع موضع المصدر سد مسد فعله ذكره الطيبي [رحمه الله]: وقال ابن الملك: معناه التلهف وقد يوضع موضع الإعجاب بالشيء والاستطابة له، أي ما أحسن وما أطيب صبر من صبر. وقيل: معناه فطوبى له. وفي النهاية. قيل: معنى هذه التلهف وقد يوضع موضع الإعجاب بالشيء، يقال: واهاً له. وقد يرد بمعنى التوجع. وقيل: يقال في التوجع آهاً له. قال الطيبي [رحمه الله]: ويجوز أن يكون فواهاً خبراً لمن والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط، فعلى هذا فيه معنى التعجب، أي من ابتلى فصبر فطوبى له، وأن لا يكون خبراً على أن اللام مفتوحة ويكون قوله: ولمن ابتلي، عطفاً على قوله: لمن جنب الفتن، فعلى هذا واهاً للتحسر، أي فواهاً على من باشرها وسعى فيها. اهـ. ويؤيده ما في الجامع بلفظ: «إن السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلي فصبر»[٤]. وقيل: اللام مكسورة ويكون فواهاً بمعنى التعجب، أي ولمن ابتلي فصبر يجب أن يتعجب من حاله. هذا وفي القاموس: واهاً وبترك تنوينه كلمة تعجب من طيب شيء وكلمة تلهف، أي من تلف شيء. **(رواه أبو داود)**.

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٧٣ حديث رقم ٩٦٤٧.

(٢) ٢/ ٥٧٣ حديث رقم ٩٦٥٨. ولم يذكر النسائي. والحديث أخرجه الترمذي في سننه حديث رقم (٣١٦٤) وأحمد في المسند (٣/ ٧٥).

(٣) الجامع الصغير ٢/ ٥٧٣ حديث رقم ٩٦٥٤.

الحديث رقم ٥٤٠٥: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٦٠ حديث رقم ٤٢٦٣.

(٤) الجامع الصغير ١/ ١٢٣ حديث رقم ٢٠٠٩ والحديث أخرجه أبو داود ٤/ ٤٦٠ حديث رقم ٤٢٦٣.

٥٤٠٦ ـ (٢٨) وعن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقومُ الساعة حتى تلحق قبائلُ من أمّتي بالمشركين، وحتى تعبُد قبائلُ من أمتي الأوثان، وإنّه سيكون في أمّتي كذّابون ثلاثون، كلّهم يزعم أنّه نبيُّ الله، وأنا خاتم النبيين، لا نبيّ بعدي، ولا تزالُ طائفةٌ من أُمّتي على الحق ظاهرين، لا يضرُّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله». رواه أبو داود والترمذي.

٥٤٠٧ ـ (٢٩) وعن عبد الله بن مسعود، عن النبيّ ﷺ قال: «تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين

٥٤٠٦ ـ (**وعن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا وضع السيف في أمتي**) أي من بعضهم لبعض (**لم يرفع عنها إلى يوم القيامة**) وقد ابتدىء في زمن معاوية وهلم جراً لا يخلو عنه طائفة من الأمة فصدق في أخباره إمام الأئمة. ثم الحديث مقتبس من قوله تعالى: ﴿**أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض**﴾ [الأنعام ـ ٦٥]. وتحقيقه في الأحاديث المثورة في تفسير الدر المنثور. (**ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين**) منها ما وقع بعد وفاته ﷺ في خلافة الصديق رضي الله عنه. (**وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**) أي الأصنام حقيقة. ولعله يكون فيما سيأتي، أو معنى ومنه: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم»[1]. (**وإنه**) أي الشأن (**سيكون في أمتي كذابون**) أي في دعوتهم النبوّة (**ثلاثون**) أي هم أو عددهم ثلاثون (**كلهم يزعم**) أفرد للفظ كل (**أنه نبي الله وأنا خاتم النبيين**) بكسر التاء وفتحها والجملة حالية. وقوله: (**لا نبي بعدي**) تفسير لما قبله (**ولا تزال طائفة من أمتي على الحق**) خبر لقوله: لا تزال، أي ثابتين على الحق علماً وعملاً. (**ظاهرين**) أي غالبين على أهل الباطل ولو حجة. قال الطيبي [رحمه الله]: يجوز أن يكون خبراً بعد خبر وأن يكون حالاً من ضمير الفاعل في ثابتين. أي ثابتين على الحق في حالة كونهم غالبين على العدوّ. (**لا يضرهم من خالفهم**) أي لثباتهم على دينهم (**حتى يأتي أمر الله**) متعلق بقوله: لا تزال. (**رواه أبو داود والترمذي**) وكذا ابن ماجه، ذكره السيد جمال الدين [رحمه الله]. وفي الجامع: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون. رواه الشيخان عن المغيرة[2].

٥٤٠٧ ـ (**وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: تدور رحى الإسلام**) أي تستقر وتستمر دائرة رحى الإسلام ويستقيم دورانها على وجه النظام، أو يبتدىء دوران دائرة الحرب وتزلزله وحركاته وسكناته في الإسلام. (**لخمس وثلاثين**) أي لوقت خمس وثلاثين من

الحديث رقم ٥٤٠٦: أخرجه أبو داود ٤/ ٤٥١ حديث رقم ٤٢٥٢. وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٢٤ حديث رقم ٢٢٠٢. وابن ماجه ٢/ ١٣٠٤ حديث رقم ٣٩٥٢. وأحمد في المسند ٥/ ٢٧٨.

(١) البخاري في صحيحه وراجع الحديث (٥١٦١).

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٧٩ حديث رقم ٩٧٧٣.

الحديث رقم ٥٤٠٧: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٥٣ حديث رقم ٤٢٥٤. وأحمد في المسند ١/ ٣٩٠.

أو ستٍّ وثلاثين أو سبعٍ وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيلُ من هلك، وإن يَقُمْ لهم دينُهم يقم لهم سبعين عاماً».

ابتداء ظهور دولة الإسلام وهي زمن هجرة خير الأنام وبانتهاء المدة تنقضي خلافة الخلفاء الثلاثة بلا خلاف بين الخاص والعام، إذ بعدها مقتل عثمان رضي الله عنه (**أو ست وثلاثين**) وفيه قضية الجمل (**أو سبع وثلاثين**) وفيه وقعة صفين، وأو فيها للتنويع أو بمعنى بل. فإن الأمر فيهما أهون مما بعدهما لا سيما أمر الإسلام ونظام الأحكام وظهور الصحابة والعلماء الأعلام. ولهذا قال: (**فإن يهلكوا**) أي إن اختلفوا بعد ذلك واستهانوا في أمر الدين واقترفوا المعاصي (**فسبيل من هلك**) أي فسبيلهم سبيل من هلك من الأمم الماضية الذين زاغوا عن الحق في اختلافهم وزيغهم عن الحق ووهنهم في الدين. وسمى أسباب الهلاك والاشتغال بما يؤدي إليه هلاكاً هذا مجمل الكلام. وأما تفصيل المرام فقال الخطابي: دوران الرحى، كناية عن الحرب والقتال شبهها بالرحا الدوّارة التي تطحن الحب لما يكون فيها من تلف الأرواح وهلاك الأنفس. قال الشاعر:

* فدارت رحانا واستدارت رحاهم *

قلت: هو معنى ما قال غيره:

فيوماً علينا ويوماً لنا فيوماً نساء ويوماً نسر

وقال تعالى: ﴿**وتلك الأيام نداولها بين الناس**﴾ [آل عمران - ١٤٠]. ثم الرحا وإن كان فيها ما ذكر من تلف الأرواح وهلاك الأنفس لكن فيها أيضاً قوة الأشباح وقوة الأرواح. قال التوربشتي [رحمه الله]: إنهم يكنون عن اشتداد الحرب بدوران الرحى، ويقولون: دارت رحا الحرب، أي استتب أمرها ولم تجدهم استعملوا دوران الرحا في أمر الحرب من غير جريان ذكرها، أو الإشارة إليها. وفي هذا الحديث لم يذكر الحرب وإنما قال: رحى الإسلام، فالأشبه أنه أراد بذلك أن الإسلام يستتب أمره ويدوم على ما كان عليه المدة المذكورة في الحديث. ويصح أن يستعار دوران الرحى في الأمر الذي يقوم لصاحبه ويستمر له، فإن الرحى توجد على نعت الكمال ما دامت دائرة مستمرة. ويقال: فلان صاحب دارتهم إذا كان أمرهم يدور عليه، ورحى الغيث معظمه. ويؤيد ما ذهبنا إليه ما رواه الحربي في بعض طرقه: تزول رحى الإسلام مكان تدور، ثم قال: كأن تزول أقرب، لأنها تزول عن ثبوتها واستقرارها. وأشار بالسنين الثلاث إلى الفتن الثلاث، مقتل عثمان رضي الله عنه وكان سنة خمس وثلاثين وحرب الجمل وكانت سنة ست وحرب صفين وكانت سنة سبع فإنها كانت متتابعة في تلك الأعوام الثلاثة. (**وإن يقم لهم دينهم**) أي وإن صفت تلك المدد ولم يتفق لهم اختلاف وخور في الدين وضعف في التقوى. (**يقم لهم سبعين عاماً**) تتمادى بهم قوّة الدين واستقامة أمره سبعين سنة. وقد وقع المحذور في الموعد الأول ولم يزل ذلك كذلك إلى الآن. قال الخطابي: أراد بالدين الملك. قال: ويشبه أن يكون أراد بهذا ملك بني أمية وانتقاله عنهم إلى بني العباس، وكان ما بين استقرار الملك لبني أمية إلى أن ظهرت الدعاة بخراسان وضعف أمر

قلت: أمما بقي أو مما مضى؟ قال: «مما مضى». رواه أبو داود.

الفصل الثالث

٥٤٠٨ ـ (٣٠) عن أبي واقد الليثي: أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا خرجَ إلى غزوة حُنين

بني أمية ودخل الوهن فيه نحواً من سبعين سنة. قال التوربشتي: يرحم الله أبا سليمان فإنه لو تأمل الحديث كل التأمل وبنى التأويل على سياقه لعلم أن النبي ﷺ لم يرد بذلك ملك بني أمية دون غيرهم من الأمة، بل أراد به استقامة أمر الأمة في طاعة الولاة وإقامة الحدود والأحكام وجعل المبدأ فيه أول زمان الهجرة وأخبرهم أنهم يلبثون على ما هم عليه خمساً وثلاثين [أو ستاً وثلاثين] أو سبعاً وثلاثين ثم يشقون عصا الخلاف، فتفرق كلمتهم فإن هلكوا فسبيلهم سبيل من قد هلك قبلهم، وإن عاد أمرهم إلى ما كان عليه من إيثار الطاعة ونصرة الحق يتم لهم ذلك إلى تمام السبعين هذا مقتضى اللفظ ولو اقتضى اللفظ أيضاً غير ذلك لم يستقم لهم ذلك القول، فإن الملك في أيام بعض العباسية لم يكن أقل استقامة منه في أيام المروانية، ومدة إمارة بني أمية من معاوية إلى مروان بن محمد كانت نحواً من تسع وثمانين سنة، والتواريخ تشهد له مع أن بقية الحديث ينقض كل تأويل يخالف تأويلنا، هذا وهي قول ابن مسعود. **(قلت:)** أي يا رسول الله **(أو مما بقي أو مما مضى)** يريد أن السبعين تتم لهم مستأنفة بعد خمس وثلاثين، أم تدخل الأعوام المذكورة في جملتها. **(قال: مما مضى)** يعني يقوم لهم أمر دينهم إلى تمام سبعين سنة من أول دولة الإسلام لا من انقضاء خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين إلى انقضاء سبعين. وفي جامع الأصول قيل: إن الإسلام عند قيام أمره على سنن الاستقامة والبعد من إحداثات الظلمة إلى أن ينقضي مدة خمس وثلاثين سنة، ووجهه أن يكون قد قاله، وقد بقيت من عمره ﷺ خمس سنين أو ست فإذا انضمت إلى مدة خلافة الخلفاء الراشدين وهي ثلاثون سنة كانت بالغة ذلك المبلغ، وإن كان أراد سنة خمس وثلاثين من الهجرة ففيها خرج أهل مصر وحصروا عثمان رضي الله عنه، وإن كان سنة ست وثلاثين ففيها كانت وقعة الجمل، وإن كانت سنة سبع وثلاثين ففيها كانت وقعة صفين. **(رواه أبو داود)**.

(الفصل الثالث)

٥٤٠٨ ـ **(عن أبي واقد الليثي)** قال المؤلف: هو الحارث بن عوف قديم الإسلام عداده في أهل المدينة وجاور بمكة سنة ومات بها ودفن بفخ. **(أنّ رسول الله ﷺ لما خرج إلى غزوة حنين)** أي بعد فتح مكة ومعه بعض من دخل في الإسلام حديثاً ولم يتعلم من أدلة الأحكام آية

الحديث رقم ٥٤٠٨: أخرجه البخاري في صحيحه. حديث رقم ٧٣١٩. وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤١٢ حديث رقم ٢١٨٠. وابن ماجه ٢/ ١٣٢٢ حديث رقم ٣٩٩٤. وأحمد في المسند ٥/ ٣٤٠.

مرَّ بشجرةٍ للمشركين كانوا يُعلّقونَ عليها أسلحَتَهُم، يقال لها: ذاتُ أنواط. فقالوا: يا رسول الله! اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهُم ذاتُ أنواط فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾ والذي نفسي بيده لتركبُنَّ سُنَنَ من كان قبلكم». رواه الترمذي.

٥٤٠٩ ـ (٣١) وعن ابن المسيب، قال: وقعتِ الفتنةُ الأولى ـ يعني مقتل عثمان ـ فلم يبقَ من أصحابِ بدرٍ أحدٌ، ثم وقعتِ الفتنةُ الثانيةُ ـ يعني الحرة ـ فلم يبقَ من أصحاب الحديبيةِ أحدٌ، ثمَّ وقعتِ الفتنةُ الثالثةُ

ولا حديثاً. (مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم) أي ويعكفون حولها يقال لها ذات أنواط جمع نوط، وهو مصدر ناطة أي علقة. (فقالوا:) أي بعضهم ممن لم يكمل له مرتبة التوحيد ولم يطلع على حقيقة التفريد. (يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط) ـ أي شجرة نحن أيضاً نعلق عليها أسلحتنا. وكأنهم أرادوا به الضدية والمخالفة العرفية وغفلوا عن القاعدة الشرعية. (فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله) تنزيهاً وتعجباً (هذا) أي هذا القول منكم (كما قال قوم موسى: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾)[1] لكن لا يخفى ما بينهما من التفاوت المستفاد من التشبيه حيث يكون المشبه به أقوى. (والذي نفسي بيده لتركبن) بضم الموحدة، أي لتذهبن أنتم أيها الأمة. (سنن من كان قبلكم) بضم السين أي طرقهم ومناهجهم وسبل أفعالهم. وفي نسخة بفتحها أي على منوالهم وطبق حالهم وشبه قالهم. (رواه الترمذي) ورواه أيضاً عن ابن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك. ورواه الحاكم عن ابن عباس: لتركبن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو أن أحدهم دخل حجر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه[2].

٥٤٠٩ ـ (وعن ابن المسيب) بفتح التحتية المشددة وقد تكسر، تابعي جليل. (قال: وقعت الفتنة الأولى يعني) هذا كلام الراوي عن ابن المسيب وتفسير لكلامه، أي يريد بالفتنة الأولى. (مقتل عثمان فلم يبق من أصحاب بدر أحد) هذا كلام ابن المسيب، أي أنهم ماتوا منذ قامت الفتنة بمقتل عثمان إلى أن قامت الفتنة الأخرى بوقعة الحرة. والحاصل أنهم ما ابتلوا بالفتنة مرتين لما صانهم الله ببركة غزوة بدر. (ثم وقعت الفتنة الثانية يعني الحرة) في النهاية: هذه أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة كانت الوقعة المشهورة في الإسلام أيام يزيد بن معاوية لما انتهب المدينة عسكره من أهل الشام الذين ندبهم لقتال أهل المدينة من الصحابة والتابعين وأمر عليهم مسلم بن عقبة المزي في ذي الحجة سنة ثلاث وستين. (فلم يبق من أصحاب الحديبية) بالتخفيف ويشدد، أي من أهل بيعة الرضوان. (أحد ثم وقعت الفتنة الثالثة)

---

(١) الأعراف ـ آية رقم ١٣٨.
(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٥٥.

الحديث رقم ٥٤٠٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٣٢٣. حديث رقم ٤٠٢٤.

فلم ترتفع وبالناس طَبَاخٌ. رواه البخاري.

(١) باب الملاحم

الفصل الأول

٥٤١٠ ـ (١) عن أبي هريرة، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ

لعلها فتنة ابن الزبير وما حصل له ولأهل مكة من الحجاج (فلم ترتفع) وفي نسخة: ولم ترتفع. **(وبالناس طباخ)** أي أحد وهو بفتح الطاء وتخفيف الباء الموحدة وبالخاء المعجمة على ما صرح به صاحب المشارق والمفهوم من النهاية، فلا وجه لما ضبط في بعض النسخ من كسر الطاء. نعم في القاموس الطباخ كسحاب وبضم القوّة والإحكام والسمن. قال الطيبي [رحمه الله]: أصل الطباخ القوّة والسمن ثم استعمل في غيره، فقيل: فلان لا طباخ له أي لا عقل له ولا خير عنده. أراد أنها لم تبق في الناس من الصحابة أحداً. فالمراد بالناس الصحابة فأل للعهد، [أو المراد بهم الكاملون في مرتبة الإنس ورتبة الإنس]**(رواه البخاري)**.

(باب الملاحم)

بفتح الميم وكسر الحاء جمع الملحمة وهي المقتلة، أو هي الواقعة العظيمة، وفي النهاية: هي الحرب وموضع القتال، مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسدي. وقيل: هو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها. اهـ. ومن أسمائه ﷺ: نبي الملحمة، وفيه إشارة إلى أنه معدن الجلال كما أنه منبع الجمال لكونه نبي الرحمة والجمع بينهما هو الكمال، وإنما أطلق سبحانه في حقه قوله: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾** [الأنبياء ـ ١٠٧]. بناء على غلبة رحمته تخلقاً بأخلاق الله وصفته كما ورد في الحديث القدسي: «سبقت رحمتي غضبي»[١]. ولذا ينادي: يا أرحم الراحمين، بل الملحمة في الحقيقة عين المرحمة كما أن المحن من عنده سبحانه هي المنح والمنن والبلاء عين الولاء: **﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾** [الأعراف ـ ١٤١].

(الفصل الأوّل)

٥٤١٠ ـ **(عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة)** بتأنيث

---

(١) متفق عليه وراجع الحديث رقم (٥٧٠٠).

الحديث رقم ٥٤١٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٨١. حديث رقم ٧١٢١. وأخرجه مسلم ١/ ١٣٧ حديث رقم (٢٤٨ ـ ١٥٧). وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣١٣.

حتى تقتتِلَ فئتانِ عظيمتان، تكون بينهما مقتلةٌ عظيمة، دعواهما واحدة، وحتى يُبْعَثَ دجالونَ كذّابون، قريبٌ من ثلاثين، كلُّهم يزعم أنّه رسولُ الله، وحتى يُقبض العلم، وتَكْثرَ الزلازل، ويتقارب الزمان، ويظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل، وحتى يكثرَ فيكم المال فيفيض حتى يهم ربُّ المال من يقبلُ صدقته»

الفعل ويذكر وكذا قوله: **(حتى تقتتل فئتان عظيمتان)** أي كثيرتان أو كمية أو كيفية لما كان في كل منهما جماعة من الصحابة. ويمكن حمله على التغليب، إذ الجماعة العظيمة في الحقيقة إنما كانت جماعة علي كرم الله وجهه. قال الأكمل: وهذا من المعجزات لأنه وقع بعده في الصدر الأول **(تكون بينهما مقتلة عظيمة)** أي حرب عظيم وقتال قوي **(دعواهما واحدة)** أي كل واحدة من الفئتين تدعي الإسلام. قال ابن الملك: المراد علي ومعاوية ومن معهما، ويؤخذ من قوله: دعواهما واحدة. الرد على الخوارج في تكفيرهم كلتا الطائفتين. اهـ. وفي كون الحديث رداً عليهم مجرد دعوى لا يخفى، فإنه لا يلزم من تحقق الدعوى [وصول]المدعي وحصول المعنى، مع أن الدعوى قد تصرف إلى دعوى الخلافة ونحوها. **(وحتى يبعث)** أي يرسل من عالم الغيب إلى صحن الوجود ويظهر **(دجالون)** أي مبالغون في فساد العباد والبلاد **(كذابون)** أي على الله ورسوله. في شرح السنة: كل كذاب دجال، يقال: دجل فلان الحق بباطله غطاه، ومنه أخذ الدجال ودجله سحره وكذبه. وقيل: سمي الدجال دجلاً لتمويهه على الناس وتلبيسه. يقال: دجل، إذا موّه ولبس. **(قريب من ثلاثين)** وهذا لا ينافي حرمه فيما سبق بقوله: ثلاثون، فإنه إما متأخر وإما المراد منه التقريب، وكذا لا ينافي في ما رواه الطبراني عن ابن عمر: «ولا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذاباً»[1]. فإن المراد منه التكثير، أو الثلاثون مقيدون بدعوى النبوّة والباقون بغيرها على احتمال أن السبعين غير الثلاثين، فتكمل المائة والله [تعالى]أعلم. **(كلهم يزعم أنه رسول الله)** وفي نسخة: نبي الله. **(وحتى يقبض)** أي يؤخذ ويرفع **(العلم)** أي النافع المتعلق بالكتاب والسنة بقبض العلماء من أهل السنة والجماعة، فيكثر أهل الجهل والبدعة. **(وتكثر الزلازل)** أي الحسية وهي تحريك الأرض، أو المعنوية وهي أنواع البلية فإن موت العلماء فوت العالم. **(ويتقارب الزمان)** قال الخطابي: أراد به زمان المهدي لوقوع الأمن في الأرض فيستلذ العيش عند ذلك لانبساط عدله فتستقصر مدته لأنهم يستقصرون مدة أيام الرخاء وإن طالت. ويستطيلون أيام الشدة وإن قصرت. **(ويظهر الفتن)** أي ويترتب عليها المحن **(ويكثر الهرج)** قيل: المراد بكثرته شموله ودوامه. **(وهو)** أي الهرج **(القتل)** يحتمل أن يكون مرفوعاً، والأظهر أنه تفسير من أحد الرواة فهو جملة معترضة. **(وحتى يكثر فيكم المال فيفيض)** بالنصب ويرفع من فاض الماء إذا انصب عند امتلائه، والضمير إلى المال فهو مبالغة لحصول المنال في المآل. **(حتى يهم)** بضم الياء وكسر الهاء وتشديد الميم، من أهمه أحزنه وأقلقه. وقوله: **(رب المال)** منصوب على أنه مفعول، والفاعل قوله: **(من يقبل صدقته)** على تقدير مضاف، أي حتى يوقع في الحزن فقدان من يقبل الصدقة رب المال حيث

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٨٣ حديث رقم ٩٨٥٥.

وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أَرَب لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمرّ الرجلُ بقبرِ الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين ﴿لا ينفع نفساً إيمانها

لم يجد من يقبله، والتمليك شرط لحصول الزكاة كما أن القبض شرط لحصول الصدقة. وفي بعض النسخ بضم الياء وفتح الهاء على أن همه[١] لغة[٢] بمعنى أحزنه، فرب المال منصوب على حاله وفي بعضها برفعه على أنه فاعل ومن مفعوله، أي يقصده رب المال عكس المخارف في بقية الأزمنة والأحوال من هم به إذا قصده فيكون من باب الحذف والإيصال. والمعنى الأوّل هو المعوّل فتأمل. قال النووي [رحمه الله]: في شرح مسلم ضبطوه بوجهين وأشهرهما ضم أوله وكسر الهاء. قال الطيبي [رحمه الله]: وفي جامع الأصول مقيد بضم الياء ورب المال مفعوله والموصول مع صلته فاعله. وقوله: **(وحتى يعرضه)** بكسر الراء عطف على مقدر، والمعنى حتى يهم طلب من يقبل الصدقة صاحب المال فيطلبه حتى يجده وحتى يعرضه. اهـ. بكسر الراء عطف على مقدر، والمعنى حتى يهم طلب من يقبل الصدقة صاحب المال فيطلبه حتى يجده وحتى يعرضه. اهـ. أي حتى يعرض المال الذي أراد أن يتصدق به على من يظن أنه يقبله. **(فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به)** بفتح الهمزة والراء، أي لا حاجة لي إليه، إما لغنى قلبه أو لغنى يده. والأظهر أنه لهما جميعاً فكأن الخير وسع الجميع بما فيه وقنع كل أحد بما يكفيه فلا يريد ما يطغيه أو ما لا يعنيه، وإلا فمن المعلوم أنه: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثاً ولن يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب»[٣]. على ما ورد في الحديث بل في القرآن المنسوخ التلاوة فكأن أهل ذلك الزمان كلهم ممن تاب الله عليهم حتى رجعوا إلى مقام الرضا بالقضاء والقناعة بالكفاية والاستغناء بما قسمه الله على الناس، فإن الاستئناس بالناس من علامة الافلاس. **(وحتى يتطاول الناس في البنيان)** أي حتى يتزايدوا في طوله وعرضه أو يفتخروا في تزيينه وتحسينه، وهذا غير مقيد بزمان المهدي بل المراد به أما بعده وأما قبله. فإن الآن قد كثر البنيان وافتخر به أهل الزمان وتطاول به اللسان في كل مكان وهدموا العمارة الموضوعة للخيرات وجعلوها دوراً وبساتين ومواضع التنزهات ومحال التلهيات. **(وحتى يمر الرجل)** أي من كثرة همومه وغمومه في أمر دينه أو دنيه أو كثرة بلائه وقلة دوائه. **(بقبر الرجل)** أي من أقاربه أو أجانبه **(فيقول:)** بالنصب ويرفع **(يا ليتني مكانه)** نقل بالمعنى، إذ لفظه: مكانك، أي ليتني كنت ميتاً حتى لا أرى الفتنة ولا أشاهد المحنة. **(وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون)** تأكيد للناس أو لضميره، أي كلهم لما رأوه من الآية الملجئة والعلامة العيانية[٤]. وكان المطلوب منهم الإيمان في الحالة الغيبة كما أشار إليه سبحانه: الذين يؤمنون بالغيب. ولذا قال: **(فذلك)** أي الوقت **(﴿حين لا ينفع نفساً إيمانها﴾)** وكذا ما يترتب على إيمانها من عمل

---

(١) في المخطوطة «يهمه». (٢) زيادة «بفتح الباء وكسر الهاء» كذا في المخطوطة.

(٣) متفق عليه. راجع الحديث رقم (٥٢٧٣). (٤) في المخطوطة بصيغة الجمع.

لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ﴾، ولتقومَنَّ الساعةُ وقد نشر الرجلان ثوبَهُما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومنَّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومنَّ الساعةُ وهو يَليطُ حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومنَّ الساعة وقد رَفعَ أُكْلَتَهُ إلى فيه فلا يطعمها».

خيرها، أي الحادثين في ذلك الوقت كما بينه بقوله: (﴿**لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً** ﴾)[1]. فأو للتنويع، إذ قد يوجد إيمان مجرد عن العمل وقد يقترن العمل بالإيقان، لكن لما كان وقوعهما في حال البأس ووقت اليأس لا يكونان نافعين. قال تعالى: ﴿**فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا** ﴾ [غافر ـ ٨٥]. وقيل: التقدير لا ينفع إيمانها ولا كسبها إن لم تكن آمنت من قبل أو لم تكن كسبت، فالكلام من اللف التقديري والنشر الظاهري. هذا وقيل جملة لم تكن آمنت صفة نفس، والأولى أن تحمل على الاستئناف لئلا يقع الفصل بين الصفة والموصوف، وقوله: من قبل، أي قبل إتيان بعض آيات الرب على ما في القرآن مبهماً ومجملاً ومن قبل طلوع الشمس من مغربها على ما في الحديث مفسراً ومبيناً. ثم قيل: أو كسبت، عطف على آمنت. والمراد بالخير التوبة أو الاخلاص فتنوينه للتعظيم، أي لا ينفع تلك النفس إيمانها وقبول توبتها، فيفيد أن أو للتنويع فكأنه قال: لا ينفعها توبة عن الشرك ولا توبة عن المعاصي، وبهذا يندفع استدلال المعتزلة بالآية على أن العمل المعبر عنه بالخير جزاء للإيمان مع أن الظاهر من قوله تعالى: ﴿**في إيمانها خيراً**﴾. يدفع ذلك. ثم قيل عدم قبول الإيمان والتوبة في ذلك الوقت مخصوص بمن شاهد طلوعها حتى أن من ولد بعده أو لم يشاهده يقبل كلاهما منه. والصحيح أنه غير مخصوص للخبر الصحيح: إن التوبة لا تزال مقبولة حتى يغلق بابها، فإذا طلعت الشمس من مغربها أغلق. (**ولتقومن الساعة**) أي النفخة الأولى وهي مقدمة الساعة فأطلقت عليها (**وقد نشر الرجلان**) الجملة حالية أي والحال أنهما فتحا وفرقا (**ثوبهما بينهما**) الإضافة لأحدهما على أنه صاحبه وللآخر على أنه طالبه (**فلا يتبايعانه**) أي لا يكملان البيع والشراء (**ولا يطويانه**) أي ولا يجمعان الثوب فيفترقان، بل تقع الساعة عليهما وهما مشغولان بالبيع والشراء كما قال تعالى: ﴿**ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون**﴾. فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون. وحاصله أن قيام الساعة يكون بغتة لقوم وهم في أشغالهم كما قال تعالى: ﴿**لا تأتيكم إلا بغتة** ﴾ [الأعراف ـ ١٨٧]. (**ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته**) بكسر اللام وسكون القاف، أي ناقة ذات لبن. (**فلا يطعمه**) أي فلا يمكن الرجل أن يشرب اللبن الذي حلبه وهو في يده. (**ولتقومن الساعة وهو يليط**) بفتح أوله، أي يطين ويصلح، (**حوضه**) أي ليسقي إبله أو غنمه منه (**فلا يسقي**) أي إبله، وهو بفتح الياء ويجوز ضمها. (**فيه**) أي في ذلك الحوض أو من مائه. والمعنى أن الساعة تأخذ الناس بغتة تأتيهم وهم في أشغالهم فلا تمهلهم أن يتموها. (**ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته**) بضم الهمزة أي لقمته (**إلى فيه فلا يطعمها**) أي فلا يبلعها ولا يأكلها،

---

(١) سورة الأنعام، آية رقم ١٦٨.

متفق عليه.

٥٤١١ ـ (٢) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى تقاتلوا قوماً نِعالهم الشعر، وحتى تقاتِلوا الترك صغارَ الأعين، حمر الوجوه، ذُلفَ الأنوفِ، كأنَّ وجوهَهُم المجَانُ المُطْرَقَة».

وهذا أبلغ مما قبله من الصور (متفق عليه).

٥٤١١ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر)** بفتحتين وسكون العين، أي من جلود مشعرة غير مدبوغة. **(وحتى تقاتلوا الترك)** قال السدي: من الترك شرذمة يأجوج ومأجوج، عن قتادة أنهم كانوا ثنتين وعشرين [قبيلة]بني ذو القرنين السد على إحدى وعشرين وبقيت واحدة وهي الترك، سموا بذلك لأنهم تركوا خارجين. **(صغار الأعين)** بالنصب، وهو من أمارات الحرص على أمتعة الدنيا صغيرها وحقيرها والبخل على نقيرها وقطميرها **(خمر الوجوه)** أي من شدة حرارة باطنهم وغليان الغضب في أجوافهم **(ذلف الأنوف)** بضم الذال المعجمة أي صغيرها، فيكون كناية عن عدم شمومهم الحق أو عريضها فيدخل فيها الحق والباطل من غير تميز لهم بينهما. والأظهر أن معناه فطس الأنوف كما في الرواية الآتية جمع أفطس من الفطس بالتحريك، وهو تطامن قصبة الأنف وانخفاضها وانتشارها فيرجع إلى معنى عريضها. وقال القاضي: ذلف جمع أذلف وهو الذي يكون أنفه صغيراً ويكون في طرفه غلظ. **(كأن)** بتشديد النون **(وجوههم المجان)** بفتح الميم وتشديد النون جمع المجن بكسر الميم وهو الترس. **(المطرقة)** بضم الميم وفتح الراء المخففة المجلدة طبقاً فوق طبق. وقيل هي التي ألبست طراقاً أي جلداً يغشاها، وقيل هي اسم مفعول من الأطراق وهو جعل الطراق بكسر الطاء أي الجلد على وجه الترس. اهـ. شبه وجوههم بالترس لتبسطها وتدويرها، وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها. وفيه إشارة إلى أنهم لكبر وجوههم وإدارتها وكثرة لحمها ويبوستها أبوا الوجوه الطامعة في المال والأهل ليس فيها لينة الإنسانية ولا ملاءمة الإحسانية، بل كأنهم نوع آخر من جنس الناس ينبغي أن يقال إنهم نسناس، ويكفي في ذمهم أنهم فضلة يأجوج ومأجوج ومن إخوانهم وأنموذج وعينة من أعيانهم فلا شك أنهم يكونون في غاية من الفساد ونهاية من الضرر للعباد والبلاد[1]. ولا أرانا الله وجوههم إلى يوم الميعاد. قال القاضي [رحمه الله]: وقد ورد ذلك في الحديث الذي بعده صفة لخوز وكرمان ولو لم يكن ذلك من بعض الرواة، فلعل المراد

الحديث رقم ٥٤١١: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٠٤. حديث رقم ٢٩٢٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٣ حديث رقم (٦١ ـ ٢٩١٢). أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٨٦ حديث رقم ٤٣٠٤. والترمذي في السنن ٤/ ٤٣٠ حديث رقم ٢٢١٥. والنسائي ٦/ ٢٤ حديث رقم ٣١٧٧. وابن ماجه ٢/ ١٣٧١ حديث رقم ٤٠٩٦. وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٩.

(١) في المخطوطة «البلاد والعباد».

متفق عليه.

٥٤١٢ ـ (٣) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى تُقاتلوا خوزاً وكرمان من الأعاجم، حمر الوجوه، فطس الأنوف، صغار الأعين، وجوههم المجانُ المُطرقة، نعالهم الشعر». رواه البخاري.

٥٤١٣ ـ (٤) وفي رواية له عن عمرو بن تغلب

بهما صنفان من الترك كان أحد أصول أحدهما من خوز وأحد أصول الآخر من كرمان فسماهم الرسول ﷺ باسمه وإن لم يشتهر عندنا، كما نسبهم إلى قنطوراء وهي أمة كانت لإبراهيم عليه [الصلاة]والسلام. ولعل المراد بالموعود في الحديث ما وقع في هذا العصر بين المسلمين والترك. اهـ. والأقرب أنه إشارة إلى قضية جنكيز[(١)] وما وقع له من الفساد وخصوصاً في بغداد والله رؤوف بالعباد (متفق عليه).

٥٤١٢ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً**) بضم الخاء المعجمة وسكون الواو وبالزاي في القاموس الخوز بالضم. جيل من الناس واسم لجميع بلاد خوزستان. (**وكرمان**) بكسر الكاف وتفتح وكذا ضبط في النسخ المصححة، لكن في القاموس كرمان وقد يكسر أو لحن، إقليم بين فارس وسجستان. وقال التوربشتي [رحمه الله]: الخوز جيل من الناس وإنما جاء في الحديث منوناً بسكون وسطه هكذا. وقد ذكر ابن الأثير بالخاء المعجمة المضمومة وبالزاي مع الإضافة. يقال: خوز كرمان من غير واو العطف، قال: وروي خوز وكرمان. قال: والخوز جيل معروف وكرمان صقع معروف في العجم. ويروى بالراء المهملة وهو من أرض فارس وصوّبه الدارقطني [رحمه الله]: وقيل: إنه إذا أضيف به فبالراء وإذا عطف فبالزاي نقله الجزري. (**من الأعاجم**) بيان لهما. قال شارح: المراد صنفان من الترك سماهما باسم أبويهما ولا نحمله على أهل خوزستان وكرمان لأنهم لم يوجدوا على النعت المذكور في الحديث، بل وجد عليه الترك. (**حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر. رواه البخاري**).

٥٤١٣ ـ (**وفي رواية له**) أي للبخاري (**عن [عمرو بن]تغلب**): بالتاء فوقها نقطتان وبالغين المعجمة وهو غير منصرف. قال المؤلف في فصل الصحابة: هو العبدي بن عبد

---

(١) هو جنكيز خان ويعرف بـ «تيموجين». ودخل هولاكو بغداد عام (٦٥٦). وأعمل السيف بها. وهولاكو هو حفيد جنكيز خان. فتح سورية وإيران. وقضى على الخلافة العباسية في بغداد. [راجع تاريخ الخلفاء ص ٤٣٠ ـ ٤٣٨].

الحديث رقم ٥٤١٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٦٠٤. حديث رقم ٣٥٩٠. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٢ حديث رقم ٤٠٩٨. وأحمد في المسند ٢/ ٣١٩.

الحديث رقم ٥٤١٣: البخاري في صحيحه ٦/ ١٠٣ حديث رقم ٢٩٢٧.

«عراض الوجوه».

٥٤١٤ ـ (٥) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يُقاتلَ المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبىء اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهوديٌ خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود». رواه مسلم.

٥٤١٥ ـ (٦) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يخرجَ رجلٌ من قحطانَ يسوقُ الناسَ بعصاه». متفق عليه.

القيس، روى عنه الحسن البصري وغيره. **(عراض الوجوه)** بالنصب على الحكاية وبالرفع على الإعراب لكونه مبتدأ لخبر مقدم.

٥٤١٤ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه نظراً إلى أن مرجع الضمير إلى المضمون السابق. وفي نسخة صحيحة: وعن أبي هريرة بالإظهار لئلا يتوهم عود الاضمار إلى الصحابي اللاحق، فإنه لقربه ربما يظن أنه الأحق بمرجع اللاحق. **(قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم)** أي غالبهم أو فيغلبهم **(المسلمون حتى يختبىء)** أي يختفي **(اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر:)** أي كلاهما أو أحدهما **(يا مسلم يا عبد الله)** جمعاً بين الوصفين لزيادة التعظيم **(هذا)** أي تنبه ذا **(يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد)** استثناء من الشجر وهو نوع شجر ذو شوك يقال له العوسج، كذا ذكره شارح. وفي النهاية: هو ضرب من شجر العضاة وشجر الشوك ومنه قيل لبقيع[1] أهل المدينة بقيع الغرقد لأنه كان فيه غرقد وقطع. **(فإنه من شجر اليهود)** أضيف إليهم بأدنى ملابسة. قيل: هذا يكون بعد خروج الدجال حين يقاتل المسلمون من تبعه من اليهود. **(رواه مسلم)**.

٥٤١٥ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة: **(قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان)** بفتح القاف وسكون الحاء، وهو أبو اليمن. وقيل قبيلة منهم. **(يسوق الناس)** أي لأجل حكمه **(بعصاه)** هذا عبارة عن تسخير الناس واسترعائهم كسوق الراعي غنمه بعصاه. قيل: لعل الرجل القحطاني هو الذي يقال له جهجاه على ما سيأتي. **(رواه البخاري)**.

الحديث رقم ٥٤١٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٠٣ حديث رقم ٢٩٢٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٩. حديث رقم (٨٢ ـ ٢٩٢٢) وأحمد في المسند ٢/ ٤١٧.

(١) في المخطوطة «المقبرة».

الحديث رقم ٥٤١٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦٥/ ٥٤٥. حديث رقم ٣٥١٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٢ حديث رقم (٦ ـ ٢٩١٠) وأحمد في المسند ٢/ ٤١٧.

٥٤١٦ ـ (٧) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهبُ الأيام والليالي حتى يملكَ رجل يقال له: الجهجاهُ». وفي رواية: «حتى يملك رجلٌ من الموالي يقال له: الجَهجاه». رواه مسلم.

٥٤١٧ ـ (٨) وعن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لتفتحنْ عصابةٌ من المسلمين كنز آلِ كسرى الذي في الأبيض». رواه مسلم.

٥٤١٨ ـ (٩) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك كسرى

٥٤١٦ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: لا تذهب الأيام والليالي) أي لا ينقطع الزمان ولا تأتي القيامة (حتى يملك رجل يقال له الجهجاه) قال النووي [رحمه الله]: بفتح الجيم وسكون الهاء. وفي بعض النسخ الجهجها بهاءين، وفي بعضها الجهجا بحذف الهاء التي بعد الألف، والأول هو المشهور. (متفق عليه).

(وفي رواية: حتى يملك رجل من الموالي) بفتح الميم جمع المولى أي المماليك. والمعنى: حتى يصير حاكماً على الناس (يقال له الجهجاه) قال الجزري: لم أجد هذه الرواية في واحد من الصحيحين نقله ميرك، فيكون من غير الصحيحين للاستشهاد والاعتضاد فلا يرد على المؤلف إيرادها في الفصل الأول لأن اختصاصه بحديث الشيخين إنما هو في الأصول.

٥٤١٧ ـ (وعن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لتفتحن) بفتح الحاء، وفي نسخة صحيحة: لتفتتحن. قال التوربشتي [رحمه الله]: وجدناه في أكثر نسخ المصابيح بتاءين بعد الفاء، ونحن نرويه عن كتاب مسلم بتاء واحدة وهو أمثل معنى لأن الافتتاح أكثر ما يستعمل بمعنى الاستفتاح فلا يقع موقع الفتح في تحقيق الأمر، ووقوعه، والحديث إنما ورد في معنى الأخبار عن الكوائن. والمعنى: لتأخذن. (عصابة) بكسر العين أي جماعة من المسلمين (كنز آل كسرى) بكسر الكاف ويفتح، والآل مقحم أو المراد به أهله وأتباعه. (الذي في الأبيض) قال القاضي [رحمه الله]: الأبيض قصر حصين كان بالمدائن وكانت الفرس تسميه سفيد كوشك والآن بني مكانه مسجد المدائن، وقد أخرج كنزه في أيام عمر رضي الله [تعالى] عنه. وقيل: الحصن الذي بهمدان بناه دارين دار يقال له شهرستان. (رواه مسلم).

٥٤١٨ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: هلك كسرى) جملة خبرية أي

الحديث رقم ٥٤١٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٢ حديث رقم (٦١ ـ ٢٩١١) والترمذي في السنن ٤/ ٤٣٧ حديث رقم ٢٢٢٨. وأحمد في المسند ٢/ ٣٢٩.

الحديث رقم ٥٤١٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٧ حديث رقم (٧٨ ـ ٢٩١٩) وأحمد في المسند ٥/ ١٠٠.

الحديث رقم ٥٤١٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٥٧. حديث رقم ٣٠٢٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٧ حديث رقم (٧٦ ـ ٢٩١٨). وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٣١ حديث رقم ٢٢١٦. وأحمد في المسند ٢/ ٣١٣.

فلا يكون كسرى بعده، وقيصر ليهلكَنَّ ثم لا يكون قيصرٌ بعده، ولتقسمنَّ كنوزُهما في سبيل الله» وسمى «الحرب خدعة». متفق عليه.

سيهلك ملكه وإنما عبر عنه بالمضي لتحقق وقوعه وقربه أو دعاء وتفاؤل. (**فلا يكون كسرى**) وفي نسخة بالتنوين حيث أريد به التنكير. (**بعده**) أي بعد كسرى الموجود في زمنه ﷺ. والمعنى: لا يملك مُلك كسرى كافر بل يملكه المسلمون بعده إلى يوم القيامة (**وقيصر**) وهو ملك الروم مبتدأ وخبره ليهلكن والتغاير بينهما للتفنن أو عطف على كسرى. وأتى بقوله: (**ليهلكن**) للتأكيد مع زيادة المبالغة المستفادة من لام القسم ونون التأكيد (**ثم لا يكون قيصر**) بالوجهين أي قيصر آخر (**بعده**) أي بعد الأول. قال الطيبي [رحمه الله]: هلاك كسرى وقيصر كانا متوقعين فأخبر عن هلاك كسرى بالماضي دلالة على أنه كالواقع بناء على إخبار الصادق، وأتى في الإخبار عن قيصر بلام القسم في المضارع وبني الكلام على المبتدأ والخبر إشعاراً لاهتمامه بالاعتناء بشأنه وأنه أطلب منه، وذلك أن الروم كانوا سكان الشام وكان ﷺ في فتحه أشد رغبة، ومن ثم غزا ﷺ تبوك وهو من الشام. أقول: لما كان هلاك كسرى قبل قيصر بحسب وقائع الحال فناسب أن يعبر عن الأول بالماضي وعن الثاني بالاستقبال. (**ولتقسمن**) بصيغة المجهول مخففاً (**كنوزهما**) أي كنز كل منهما (**في سبيل الله. وسمى**) عطف على قال رسول الله ﷺ، أي قال الراوي وسمى النبي ﷺ (**الحرب خدعة**) بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال وبضم الخاء مع فتح الدال على ما سبق مبناه وتحقق معناه. ومجمله ما في القاموس الحرب خدعة مثلثة وكهمزة، وروي بهن جميعاً، أي ينقضي بخدعة هذا. والراوي جمع بين حديثين والظاهر أنهما وقعا في وقتين فلا يحتاج إلى طلب المناسبة بين إيرادهما معاً على أن في ذكره إشارة إلى أن هلاكهما وأخذ كنوزهما إنما يكون بالحرب، وربما يكون محتاجاً إلى خدعة فنبه أصحابه إلى جوازها حتى لا يتوهموا أن الخدعة من باب الغدر والخيانة والله [تعالى]أعلم. وقال الطيبي [رحمه الله]: **فإن قلت**: ما وجه المناسبة بين قوله وسمى الحرب خدعة وبين الكلام السابق. قلت: هو وارد على سبيل الاستطراد لأن أصل الكلام كان في ذكر الفتح وكان حديثاً مشتملاً على الحرب فأورده في الذكر كما أورد قوله تعالى: **﴿ومن كل تأكلون لحماً طرياً﴾**. بعد قوله: **﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات﴾** [فاطر ـ ١٢]. إذ المراد منهما المؤمن والكافر. قلت: فقوله: من كل تأكلون. إشارة إلى تكميل التشبيه وتتميم وتذييل وهو إفادة أنه ينتفع بهما ونظام العالم بوجودهما، بل هما الدالان على مظهر الجمال والجلال وهما صفتا الكمال وعليهما مدار الكونين ومآل الفريقين كما دل عليهما مثال البحرين حيث قال: **﴿هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج﴾** [الفرقان ـ ٥٣]. فكل في بابه في غاية من الكمال، يضل من يشاء ويهدي من يشاء ويعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء وهو على كل شيء قدير. (**متفق عليه**).

٥٤١٩ ـ (١٠) وعن نافع بن عتبة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثمّ فارس فيفتحها الله، ثمّ تغزونَ الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله». رواه مسلم.

٥٤٢٠ ـ (١١) وعن عوف بن مالك، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبّةٍ من أدَمٍ فقال: «اعدد ستاً بينَ يدَي الساعة: موتي، ثمّ فتح بيت المقدس، ثمّ موتان يأخذ فيكم كقُعاص الغنم

٥٤١٩ ـ **(وعن نافع بن عتبة)** أي ابن أبي وقاص الزهري القرشي يعرف بالمرقال بكسر الميم وسكون الراء وبالقاف، وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص صحابي من مسلمة الفتح من المؤلفة. روى عنه ابنَ عمر وجابر بن سمرة نقله ميرك عن التصحيح. **(قال: قال رسول الله ﷺ: تغزون)** أي بعدي **(جزيرة العرب)** وقد سبق تفسيرها وتحريرها وتقريرها. ومجمله على ما حُكِيَ عن مالك مكة والمدينة واليمامة واليمن. فالمعنى بقية الجزيرة أو جميعها بحيث لا يترك كافر فيها. **(فيفتحها الله)** أي عليكم **(ثم فارس)** أي ثم تغزونها **(فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها ثم تغزون الدجال)** الخطاب فيه للصحابة، والمراد الأمة: **(فيفتحه الله)** أي يجعله مقهوراً مغلوباً ويقع هلاكه على أيدي بني إسرائيل لمعاونة الأمة وأنزل لمساعدة الملة **(رواه مسلم)** أي في الفتن من حديث جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة ولفظه: حفظت من رسول الله ﷺ أربع كلمات عدهن في يدي قال: تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله الخ. والعجب أن الحاكم أخرجه في مستدركه على الصحيح وقال: على شرط مسلم. وأقره الذهبي نقله ميرك عن التصحيح. وفيه أن الظاهر هو أن الحاكم رواه بإسناد آخر رجاله رجال مسلم فيكون مستدركاً ولا يكون مستدركاً.

٥٤٢٠ ـ **(وعن عوف بن مالك رضي الله عنه)** أي الأشجعي صحابي مشهور **(قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة)** أي خيمة **(من أدم)** بفتحتين أي من جلد **(فقال: اعدد)** أي احسب وعد **(ستاً)** أي من العلامات الواقعة **(بين يدي الساعة)** أي قدامها **(موتي)** أي فوتي بانتقالي من دار الدنيا إلى الأخرى لأنه أول زوال الكمال بحجاب الجمال. **(ثم فتح بيت المقدس)** بفتح ميم وسكون قاف وكسر دال. وفي نسخة بضم ففتح فتشديد. **(ثم موتان)** بضم الميم، أي وباء **(يأخذ فيكم)** أي يتصرف في أبدانكم **(كقعاص الغنم)** بضم القاف داء يأخذ الغنم فلا يلبثها أن تموت. قال التوربشتي [رحمه الله]: أراد بالموتان الوباء وهو في الأصل موت يقع في الماشية [والميم منه مضمومة واستعماله في الإنسان تنبيه على وقوعه فيهم وقوعه

الحديث رقم ٥٤١٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٢٥ حديث رقم (٣٨ . ٢٩٠٠). وابن ماجه ٢/ ١٣٧٠ حديث رقم ٤٠٩١. وأحمد في المسند ٤/ ٣٣٨.

الحديث رقم ٥٤٢٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٧٧. حديث رقم ٣١٧٦. ومسلم في صحيحه ١/ ٣٦٠ حديث رقم (٢٤٩ . ٥٠٣) وابن ماجه ٢/ ١٣٤١ حديث رقم ٤٠٤٢ وأحمد في المسند ٦/ ٢٤.

ثم استفاضةُ المال حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظلُّ ساخطاً، ثمَّ فتنةٌ لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثمَّ هُدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غايةً، تحت كل غاية آثنا عشر ألفاً». رواه البخاري.

٥٤٢١ ـ (١٢) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى تنزل الرومُ بالأعماق أو بدابق

في الماشية]. فإنها تسلب سلباً سريعاً وكان ذلك في طاعون عمواس زمن عمر بن الخطاب رضي الله [تعالى]عنه وهو أول طاعوّن وقع في الإسلام، مات منه سبعون ألفاً في ثلاثة أيام. وعمواس قرية من قرى بيت المقدس وقد كان بها معسكر المسلمين. **(ثم استفاضة المال)** أي كثرته في شرح السنة وأصله التفرق والانتشار. يقال: استفاض الحديث إذا انتشر. وفي النهاية: هو من فاض الماء والدمع وغيرهما إذا كثر. **(حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل)** بالرفع وجوز النصب، أي فيصير. **(ساخطاً)** أي غضبان لعده المائة قليلاً. وهذه الكثرة ظهرت في خلافة عثمان رضي الله [تعالى]عنه عند الفتوح، وأما اليوم فبعض أهل زماننا يعدون الألف قليلاً ويحقرونه **(ثم فتنة)** أي بلية عظيمة. قيل: هي مقتل عثمان وما بعده من الفتن المترتبة عليها. **(لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته)** قيل: المراد من بيوت أمته. وإنما خص العرب لشرفها وقربها منه، ففيه نوع تغليب أو إيماء إلى ما قيل: إن من أسلم فهو عربي. **(ثم هدنة)** أي مصالحة **(تكون بينكم وبين بني الأصفر)** أي الأروام سموا بذلك لأن أباهم الأول وهو الروم بن عيصو بن يعقوب بن إسحاق، كان أصفر في بياض. وقيل: سموا باسم رجل أسود ملك الروم فنكح من نسائها فولد له أولاد في غاية الحسن فنسب الروم إليه. **(فيغدرون)** أي ينقضون عهد الهدنة **(فيأتونكم تحت ثمانين غاية)** أي راية وهي العلم. قال الطيبي [رحمه الله]: ومن رواه بالباء الموحدة أراد بها الأجمة، فشبه كثرة رماح العسكر بها، **(تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً)** أي ألف فارس. قال الأكمل: جملته سبعمائة ألف وستون ألفاً. **(رواه البخاري)** وكذا ابن ماجه والحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي. وهذا أيضاً من الوهم فإن الحديث في صحيح البخاري في كتاب الجهاد في باب ما يجوز من الغدر، نقله ميرك عن التصحيح. وقدمت ما يدفع عنه والله [تعالى]أعلم بالصحيح.

٥٤٢١ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق)** بفتح الهمزة. قال التوربشتي [رحمه الله]: العمق ما بعد من أطراف المفاوز، وليس الأعماق ههنا بجمع وإنما هو اسم موضع بعينه من أطراف المدينة. **(أو بدابق)** بفتح الموحدة وقد تكسر ولا يصرف وقد يصرف. قال التوربشتي [رحمه الله]: هو بفتح الباء دار نخلة موضع سوق بالمدينة. وفي المفاتيح: هما موضعان، أو شك من الراوي. وقال الجزري: دابق بكسر الموحدة وهو الصواب وإن كان عياض في المشارق ذكر فيه الفتح ولم يذكر غيره.

الحديث رقم ٥٤٢١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٢١ حديث رقم (٣٤ . ٢٨٩٧).

فيخرجُ إليهم جيشٌ من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافُّوا قالت الروم: خَلُّوا بيننا وبينَ الذين سَبَوْا منَّا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فيَنهزمُ ثُلثٌ لا يتوبُ اللهُ عليهم أبداً، ويقتلُ ثُلثُهم أفضلَ الشهداء عند الله، ويفتتح الثلثُ لا يفتنون أبداً فيفتحون قسطنطينية،

وهو موضع معروف من عمل حلب ومرج دابق مشهور. قال صاحب الصحاح: إلا غلب التذكير والصرف لأنه في الأصل اسم قال، وقد يؤنث ولا يصرف. اهـ. والذي يؤنثه ولا يصرفه يريد به البقعة. قلت: وفي القاموس دابق كصاحب موضع بحلب، لكن المضبوط في النسخ بغير صرف. (**فيخرج**) بالنصب ويرفع (**إليهم جيش من المدينة**) قال ابن الملك: قيل: المراد بها حلب، والأعماق ودابق موضعان بقربه. وقيل: المراد بها دمشق. وقال في الأزهار: وأما ما قيل من أن المراد بها مدينة النبي ﷺ فضعيف، لأن المراد بالجيش الخارج إلى الروم جيش المهدي بدليل آخر الحديث ولأن المدينة المنوّرة تكون خراباً في ذلك الوقت. (**من خيار أهل الأرض**) بيان للجيش (**يومئذ**) احتراز من زمنه ﷺ. (**فإذا تصافوا**) بتشديد الفاء المضمومة (**قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا**) على بناء الفاعل (**نقاتلهم**) يريدون ذلك مخاتلة المؤمنين ومخادعة بعضهم عن بعض ويبغون به تفريق كلمتهم، والمرادون بذلك هم الذين غزوا بلادهم فسبوا ذريتهم كذا ذكره التوربشتي [رحمه الله]: وهو الموافق للنسخ والأصول. قال ابن الملك: وروي بسبوا بناء المجهول. قال القاضي: ببناء المعلوم هو الصواب. وقال النووي [رحمه الله]: كلاهما صواب لأن عساكر الإسلام في بلاد الشام ومصر كانوا مسبيين، ثم هم اليوم بحمد الله يسبون الكفار. قال التوربشتي: والأظهر هذا القول منهم يكون بعد الملحمة الكبرى التي تدور رحاها بين الفئتين بعد المصالحة والمناجزة لقتال عدو يتوجه إلى المسلمين، وبعد غزوة الروم لهم وذلك قبل فتح قسطنطينية، فيطأ الروم أرض العرب حتى ينزل بالأعماق، أو بدابق فيسأل المسلمين أن يخلوا بينهم وبين من سبى ذريتهم فيردون الجواب على ما ذكر في الحديث. (**فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم**) أي المسلمون الكفرة (**فينهزم ثلث**) أي من المسلمين (**لا يتوب الله عليهم أبدا**) كناية عن موتهم على الكفرة وتعذيبهم على التأبيد (**ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء**) بالرفع على تقدير مبتدأ هو هم. وفي نسخة بالنصب على أنه حال (**ويفتح الثلث**) أي الباقي من المسلمين (**لا يفتنون**) أي لا يبتلون ببلية أو لا يمتحنون بمقاتلة، أو لا يعذبون. (**أبدا**) ففيه إشارة إلى حسن خاتمتهم. (**فيفتحون**) الفاء تعقيبية أو تفريعية. قال ابن الملك: وفي نسخة فيفتحون بتاء واحدة وهو الأصوب، لأن الافتتاح أكثر ما يستعمل في معنى الاستفتاح فلا يقع موقع الفتح. قلت: سبق مثل هذا في كلام التوربشتي، لكن الظاهر أن فيه إيماء إلى أن الفتح كان بمعالجة تامة. وفي القاموس: فتح كمنع ضد أغلق كفتح وافتتح والفتح النصر وافتتاح دار الحرب والاستفتاح الاستنصار والافتتاح. والمعنى: فيأخذون من أيدي الكفار. (**قسطنطينية**) وهي بضم القاف وسكون السين وضم الطاء الأولى وكسر الثانية وبعدها ياء ساكنة ثم نون. قال النووي [رحمه الله]: هكذا ضبطناه ههنا وهو المشهور. ونقل القاضي [رحمه الله] في المشارق عن المتقنين

فبينا هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إنّ المسيحَ قد خَلَفَكُم في أَهْلِيكُم فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشامَ خرجَ، فبينا هم يُعدُّونَ للقتالِ يسوُّون الصفوفَ، إذْ أُقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابنُ مريم، فأمَّهُم، فإذا رآه عدوُّ الله ذابَ كما يذوب الملح في الماءِ فلو تركه لانْذابَ حتى يهلكَ، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه في حَرْبَتِه».

زيادة ياء مشددة بعد النون. قلت: ونسخ المشكاة متفقة على ما قاله عياض. [وفي] بعض النسخ زيادة ياء مخففة بدل ياء مشددة. فقد قال الجزري: ثم نون ثم ياء مخففة، وحكى بعضهم تشديدها وقال آخرون بحذفها. ونقله عياض عن الأكثرين، ثم هي مدينة مشهورة أعظم مدائن الروم. قال الترمذي: والقسطنطنية قد فتحت في زمن بعض أصحاب النبي ﷺ، وتفتح عند خروج الدجال. قال الحجازي في حاشية الشفاء: قسطنطينة وقسطنطينية، ويروى بلام التعريف دار ملك الروم وفيها ست لغات: فتح الطاء الأولى وضمها مع تخفيف الياء الأخيرة وتشديدها، مع حذفها وفتح النون وهذه بضم الطاء أكثر استعمالاً والقاف مضموم بكل حال.

(فبينا هم) أي المسلمون **(يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون)** أراد الشجر المعروف، والجملة حال دال على كمال الأمن. **(إذ صاح فيهم الشيطان)** أي نادى بصوت رفيع **(إن المسيح)** بكسر الهمزة لما في النداء من معنى القول، ويجوز فتحها أي أعلمهم. والمراد بالمسيح ههنا الدجال. **(قد خلفكم)** بتخفيف اللام، أي قام مقامكم. **(في أهليكم)** أي في ذراريكم كما في رواية **(فيخرجون)** أي جيش المدينة من قسطنطينية **(وذلك)** أي القول من الشيطان **(باطل)** أي كذب وزور **(فإذا جاؤوا)** أي المسلمون **(الشام)** الظاهر أن المراد به القدس منه لما في بعض الروايات تصريح بذلك. **(خرج فبينا هم يعدون)** بضم فكسر، أي يستعدون ويتهيؤون. **(للقتال)** فقوله: **(يسوّون الصفوف)** بدل منه **(إذ أقيمت الصلاة)** وفي نسخة صحيحة إذا بالألف، أي وقت إقامة المؤذن للصلاة. **(فينزل عيسى ابن مريم)** أي من السماء على منارة مسجد دمشق فيأتي القدس. **(فأمهم)** عدل إلى الماضي تحقيقاً[1] للوقوع وإشعاراً بجواز عطف الماضي على المضارع وعكسه، أي أم عيسى المسلمين في الصلاة ومن جملتهم المهدي. وفي رواية: قدم المهدي، معللاً بأن الصلاة إنما أقيمت لك وإشعاراً بالمتابعة وأنه غير متبوع استقلالاً، بل هو مقرر ومؤيد ثم بعد ذلك يؤم بهم على الدوام. فقوله: فأمهم، فيه تغليب أو تركيب مجاز أي أمر إمامهم بالإمامة ويكون الدجال حينئذ محاصراً للمسلمين. **(فإذا رآه)** أي رأى عيسى **(عدو الله)** بالرفع أي الدجال **(ذاب)** أي شرع في الذوبان **(كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه)** أي لو ترك عيسى [عليه الصلاة والسلام] الدجال ولم يقتله، **(لانذاب حتى يهلك)** أي بنفسه بالكلية **(ولكن يقتله الله بيده)** أي بيد عيسى [عليه الصلاة والسلام] **(فيريهم)** أي عيسى [عليه الصلاة والسلام] أو الله تعالى المسلمين أو الكافرين أو جميعهم. **(دمه)** أي دم الدجال **(في حربته)** أي في حربة عيسى

---

(١) في المخطوطة «تحقق».

رواه مسلم.

٥٤٢٢ ـ (١٣) وعن عبد الله بن مسعود، قال: إنّ الساعةَ لا تقومُ حتى لا يُقْسَمَ ميراثٌ، ولا يُفرحَ بغنيمةٍ. ثم قال: عدوٌ يجمعون لأهلِ الشام ويجمع لهم أهلُ الإسلام، يعني الروم، فيتشرَّطُ المسلمون شُرْطَةً للموت لا ترجعُ إلا غالبةً،

[عليه الصلاة والسلام] وهو رمح صغير. وقد روى الترمذي عن مجمع بن جارية مرفوعاً: يقتل ابن مريم الدجال بباب لد[1]. والمشهور أنه من أبواب مسجد القدس. وفي النهاية: هو موضع بالشام، وقيل بفلسطين ذكره السيوطي [رحمه الله] في شرحه للترمذي. ولعل الدجال يهرب من بيت المقدس بعدما كان محاصراً فيلحقه عيسى [عليه الصلاة والسلام] في أحد الأماكن فيقتله والله [تعالى] أعلم. (رواه مسلم) أي بهذا السياق. وروى البخاري عن خروج الدجال ونزول عيسى عليه [الصلاة] والسلام، كذا ذكره ميرك عن التصحيح.

٥٤٢٢ ـ (وعن عبد الله بن مسعود قال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث) أي من كثرة المقتولين، وقيل من كثرة المال والأول أصح كذا في الأزهار. وقيل: حتى يوجد وقت لا يقسم فيه ميراث لعدم من يعلم الفرائض. وأقول: لعل المعنى أنه يرفع الشرع فلا يقسم ميراث أصلاً أو لا يقسم على وفق الشرع كما هو مشاهد في زماننا. ويحتمل أن يكون معناه أنه من قلة المال وكثرة الفقراء لا يقسم ميراث بين الورثة، إما لعدم وجود شيء أو لكثرة الديون المستغرقة، أو لأن أصحاب الأموال تكون ظلمة فيرجع مالهم إلى بيت المال فلا يبقى لأولادهم نصيب في المال ولا لهم خلاق في المآل والله [تعالى] أعلم بالحال. ويؤيده قوله: (ولا يفرح) بصيغة المجهول، أي ولا يفرح أحد. (بغنيمة) إما لعدم العطاء أو ظلم الظلمة وإما للغش والخيانة فلا يتهنأ بها أهل الديانة. ومن القواعد المقررة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلا يضره ما ذكره الراوي. (ثم قال:) أي ابن مسعود (عدو) أي من الروم أو عدو كثير وهو مبتدأ خبره، (يجمعون) أي الجيش والسلاح (لأهل الشام) أي لمقاتلة أهل الشام (ويجمع لهم) أي لقتال العدو (أهل الإسلام يعني) أي قال الراوي يريد ابن مسعود بالعدو (الروم فيتشرّط المسلمون) من باب التفعل استعمل تشرط مكان اشترط. يقال: اشترط فلان بنفسه لأمر كذا، أي قدمها وأعلمها وأعدها، وأشرط نفسه للشيء أعلمه. ويروى فيشترط المسلمون، أي يهيؤون ويعدون. (شرطة) بضم الشين وسكون الراء طائفة من الجيش تتقدم للقتال وتشهد الواقعة، سموا بذلك لأنهم كالعلامة للجيش. وقوله: (للموت) أي للحرب وفيه نوع تجريد. ففي القاموس: الشرطة واحد الشرط كصرد وهم كتيبة تشهد الحرب وتتهيأ للموت، وطائفة من أعوان الولاة. اهـ. والمراد هنا المعنى الأول. وقيل: سموا بها لأنهم يشترطون أن يتقدموا ويعدوا أنفسهم للهلكة. ويؤيده قوله: (لا ترجع) أي تلك الشرطة (إلا غالبة) فالجملة

---

(١) الترمذي في السنن ٤/ ٤٤٧ حديث رقم ٢٢٤٤.

الحديث رقم ٥٤٢٢: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٢٣ حديث رقم (٣٧ ـ ٢٨٩٩).

فيقتتلون، حتى يحجزَ بينَهُم الليلُ، فيفيء هؤلاءِ وهؤلاءِ، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يتشرط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلاَّ غالبة، فيقتتلون، حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاءِ وهؤلاءِ، كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يتشرط المسلمون شرطة

صفة شرطة كاشفة مبينة موضحة. والمعنى: أن المسلمين يبعثون مقدمتهم على أن لا ينهزموا بل يتوقفوا ويثبتوا إلى أن يقتلوا أو يغلبوا. (**فيقتتلون**) أي المسلمون والكفار (**حتى يحجز**) بضم جيم ويكسر، أي يمنع. (**بينهم الليل**) أي دخوله وظلامه فيتركون القتال (**فيفيء**) مضارع من الفيء بمعنى الزوال، أي يرجع (**هؤلاء**) أي المسلمون (**وهؤلاء**) أي الكافرون (**كل**) أي من الفريقين (**غير غالب**) أي وغير مغلوب (**وتفنى**) أي تهلك وتقتل (**الشرطة**) أي جنسها من الجانبين. والحاصل أنه يرجع معظم الجيش وصاحب الرايات من الطرفين ولم يكن لأحدهما غلبة على الآخر وتفنى شرطة الطرفين، وإلا لكانت الغلبة لمن تفنى شرطهم، وقد قال كل غير غالب. هذا وفي بعض النسخ المصححة شرطة بفتح الشين، فقال السيد جمال الدين: اعلم أن لفظ الشرطة يحتمل وجهين، إن كان الشين فيها[1] مفتوحة فمعناه يشترطون معهم شرطة واحدة ومعنى فيئهما زوالهما بسبب دخول الليل، وإن كانت مضمومة فالمراد منها طائفة هي خيار الجيش ففيه إشكال من حيث إن الشرطة إذا فاءت غير غالبة لم تفن، إذ لو فنيت غير غالبة فكيف قال: فيفي هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، ويمكن أن يقال كان مع الشرطة جمع آخر من الجيش وهم الراجعون غير غالبين لا الشرطة، أو كان سائر المسلمين في كل يوم مع الشرطة ذلك اليوم، فالراجع سائرهم دونها. اهـ. والمعتمد ما قدمناه، ثم يؤيد ما قررناه ما ذكره الطيبي [رحمه الله] حيث قال في الفائق: يقال: شرط نفسه لكذا إذا أعلمها له وأعدها، فحذف المفعول والشرط نخبة الجيش وصاحب رايتهم لا النفر الذين تقدموا وهم الشرطة. وقوله: فيتشرط فإنه في الحديث كذلك استعمل تشرط مكان اشترط. يقال: اشترط فلان بنفسه لأمر كذا، أي قدمها وأعدها وأعلمها. ولو وجدت الرواية بفتح الشين من الشرط لكان معناها أوضح وأقوم مع قوله: وتفنى الشرطة، أي يشترطون فيما بينهم شرطاً أن لا يرجعوا إلا غالبة، يعني يومهم ذلك فإذا حجر بينهم الليل ارتفع الشرط الذي شرطوه. وإنما أدخل فيه التاء لتدل على التوحيد، أي يشترطون شرطة واحدة لا مثنوية فيها ولا نعرف ذلك من طريق الرواية. فقال الطيبي [رحمه الله] : إذا وجدت الرواية الصريحة الصحيحة وجب الذهاب إليها والانحراف عن التحريف من ضم الشين إلى فتحها والتزام التكلف في تأويل التاء والعدول عن الحقيقة في نفي الشرطة إلى ذلك المجاز البعيد، وأي مانع من أن يفرض أن الفئة العظيمة من المسلمين أفرزوا من بينهم طائفة تتقدم الجيش للمقاتلة واشترطوا عليها أن لا ترجع إلا غالبة فلذلك بذلوا جهدهم وصدقوا فيما عاهدوا وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم، وهو المراد من قولهم: وتفنى الشرطة. قال الجوهري: قد شرط عليه كذا واشترط عليه وشرط. وقوله: فيفيء هؤلاء وهؤلاء، المراد منهما الفئتان العظيمتان لا الشرطة. (**ثم يتشرط المسلمون شرطة**) أي

(١) في المخطوطة «منها».

للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب وتفنى الشرطة فإذا كان يوم الرابع نَهَد إليهم بقيةُ أهل الإسلام فيجعلُ الله الدَّبْرَة عليهم، فيقتلون مقتلة لم يُر مثلها، حتى إن الطائر ليمرُّ بجنباتهم فلا يخلِّفهم حتى يخرَّ ميتاً، فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح

ثالثة (للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ثم يتشرط المسلمون شرطة) أي ثالثة (للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا) أي يدخلوا في المساء بأن يدخل الليل، ففي العبارة تفنن. (فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة. فإذا كان يوم الرابع نهد إليهم) أي نهض وقام وقصد [إلى] قتالهم (بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدبرة) بفتح المهملة والموحدة اسم من الإدبار، وروي الدابر وهي بمعنى الأولى أي الهزيمة. (عليهم) أي على الكفار. وقال شارح: أي على الروم. (فيقتتلون) من باب الافتعال هذا هو الصحيح الموجود في أكثر النسخ المعتمدة. وفي نسخة: فيقتلون بصيغة المجهول من الثلاثي، وهذا مبني لما توهم من أنه متعلق بقوله: فيجعل الله، والحال أن الأمر خلاف ذلك بل هو متعلق بمجموع ما تقدم والله [تعالى] أعلم. وقوله: (مقتلة) مفعول مطلق من غير بابه، أو بحذف زوائده، ونظيره قوله تعالى: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ [نوح - ١٧] . والمعنى مقاتلة عظيمة. (لم ير) أي لم يبصر أو لم يعرف (مثلها حتى أن الطائر) بكسر الهمزة وتفتح (ليمر) أي ليريد المرور (بجنباتهم) بجيم فنون مفتوحتين [فموحدة] أي بنواحيهم (فلا) وفي نسخة صحيحة: فما (يخلفهم) بكسر اللام المشددة من خلفت فلاناً ورائي إذا جعلته متأخراً عنك. والمعنى فلا يجاوزهم. (حتى يخر) بكسر معجمة وتشديد راء، أي حتى يسقط الطائر (ميتاً) بتشديد التحتية ويخفف. قال المظهر: يعني يطير الطائر على أولئك الموتى فما وصل إلى آخرهم حتى يخر ويسقط ميتاً من نتنهم أو من طول مسافة مسقط الموتى. وقال الطيبي [رحمه الله تعالى] : والمعنى الثاني ينظر إلى قول البحتري في وصف بركة:

لا يبلغ السمك المحصور غايتها لبعد ما بين قاصيها ودانيها

(فيتعاد) بصيغة المعلوم، وقيل بالمجهول من باب التفاعل والمعنى يعد. (بنو الأب) أي جماعة حضروا تلك الحرب كلهم أقارب (كانوا مائة فلا يجدونه) الضمير المنصوب لمائة بتأويل المعدود أو العدد، أي فلا يجدون عددهم أو لبني الأب لأنه ليس بجمع حقيقة لفظاً، بل معنى، كذا قيل: والحاصل أن بني الأب بمعنى القوم والقوم مفرد اللفظ جمع المعنى فروعي كل منهما حيث قال: فلا يجدونه. (بقي منهم إلا الرجل الواحد) وخلاصة المعنى أنهم يشرعون في عد أنفسهم فيشرع كل جماعة في عد أقاربهم فلا يجدون من مائة إلا واحداً، وزبدته أنه لم يبق من مائة إلا واحد. (فبأي غنيمة يفرح) الفاء تفريعية أو فصيحة. قال الطيبي [رحمه الله] : هو جزاء شرط محذوف أبهم أولاً في قوله: أن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة. حيث أطلقه، ثم بينه بقوله:

أو أيّ ميراث يقسم؟ فبينا هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ: إن الدجّال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون ما في أيديهم، ويُقبلون فيبعثون عشر فوارس طليعة». قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرفُ أسماءهم وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس، أو من خير فوارس، على ظهر الأرض يومئذ». رواه مسلم.

٥٤٢٣ ـ (١٤) وعن أبي هريرة، أنَّ النبي ﷺ قال: «هل سمعتم بمدينةٍ، جانبٌ منها في البرِّ، وجانبٌ منها في البحر؟» قالوا: نَعَمْ يا رسول الله!

عد[1] الخ. بأن ذلك مقيد بهذه الصفة فحينئذ يصح أن يقال: فإذا كان كذلك فبأي غنيمة يفرح **(أو أي ميراث)** الظاهر أنه بالرفع، أي فأي ميراث. **(يقسم)** وأو للتنويع، وفي النسخ بالجر. فالمعنى: فبأي ميراث تقع القسمة وتأخير الميراث مع تقدمه سابقاً نظيره قوله تعالى: **﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم﴾** [آل عمران ـ ١٠٦] الآية. **(فبينا هم كذلك إذ سمعوا)** أي المسلمون **(ببأس)** بموحدة وهمزة ساكنة ويبدل، أي بحرب شديد. **(هو أكبر)** أي أعظم **(من ذلك)** أي مما سبق. والمراد بالبأس أهله بارتكاب أحد المجازين المشهورين. **(فجاءهم)** أي المسلمين **(الصريخ)** فعيل من الصراخ وهو الصوت، أي صوت المستصرخ وهو المستغيث. **(إن الدجال)** بفتح أن ويكسر **(قد خلفهم)** بتخفيف اللام، أي قعد مكانهم. **(في ذراريهم)** بتشديد الياء، أي أولادهم وفي رواية: في أهليهم **(فيرفضون)** بضم الفاء، أي فيتركون ويلقون **(ما في أيديهم)** أي من الغنيمة وسائر الأموال فزعاً على الأهل والعيال **(ويقبلون)** من الإقبال، أي ويتوجهون إلى الدجال. **(فيبعثون)** أي يرسلون **(عشر فوارس)** جمع فارس أي راكب فرس **(طليعة)** وهو من يبعث ليطلع على حال العدوّ كالجاسوس فعيلة بمعنى فاعلة يستوي فيه الواحد والجمع، وإنما قال: عشر، نظر إلى أن الفوارس طلائع. **(قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف أسماءهم)** أي العشرة **(وأسماء آبائهم وألوان خيولهم)** فيه مع كونه من المعجزات دلالة على أن علمه تعالى محيط بالكليات والجزئيات من الكائنات وغيرها **(هم خير فوارس أو من خير فوارس)** ظاهره أنه شك من الراوي **(على ظهر الأرض)** احتراز من الملائكة **(يومئذ)** أي حينئذ وهو احتراز من العشرة المبشرة وأمثالهم **(رواه مسلم)**.

٥٤٢٣ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: هل سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر. قالوا: نعم يا رسول الله)** قال شارح: هذه المدينة في الروم. وقيل: الظاهر أنها قسطنطينية، ففي القاموس: قسطنطينية دار ملك الروم وفتحها من أشراط الساعة وتسمى بالرومية بوزنطيا، وارتفاع سوره أحد وعشرون ذارعاً وكنيستها مستطيلة وبجانبها عمود عال في دور أربعة أبواع تقريباً وفي رأسه فرس من نحاس وعليه فارس وفي إحدى يديه

---

(١) في المخطوط «عدو».

الحديث رقم ٥٤٢٣: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٣٨ حديث رقم ٧٨ ـ ٢٩٢٠.

قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيسقط أحدُ جانبيها. قالَ ثورُ بنُ يزيد الراوي: لا أعلمه إلا قال ـ: «الذي في البحر، ثم يقولون الثانية: لا إله إلا الله، والله أكبر، فسقط جانبها الآخر، ثم يقولون الثالثة: لا إله إلا الله، والله أكبر، فيفرجُ لهم فيدخلونها فيغنمون، فبينا هُمْ يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كلَّ شيءٍ ويرجعون». رواه مسلم.

كرة من ذهب. وقد فتح أصابع يده الأخرى مشيراً بها. وهو صورة قسطنطين بانيها. اهـ. ويحتمل أنها مدينة غيرها، بل هو الظاهر لأن قسطنطينية تفتح بالقتال الكثير، وهذه المدينة تفتح بمجرد التهليل والتكبير. (**قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق**) قال المظهر: من أكراد الشام هم من بني إسحاق النبي عليه [الصلاة] والسلام وهم مسلمون. اهـ. وهو يحتمل أن يكون معهم غيرهم من بني إسماعيل وهم العرب أو غيرهم من المسلمين، واقتصر على ذكرهم تغليباً لهم على من سواهم. ويحتمل أن يكون الأمر مختصاً بهم. (**فإذا جاؤوها**) أي المدينة (**نزلوا**) أي حوائيها محاصرين أهلها (**فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم**) تخصيص بعد تعميم لتأكيد إفادة عموم النفي (**قالوا:**) استئناف أو حال (**لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط**) بصيغة المضارع (**أحد جانبيها**) أي أحد طرفي سور المدينة (**قال ثور بن يزيد: الراوي**) قال المؤلف في فصل التابعين: هو كلاعي شامي حمصي سمع خالد بن معدان روى عنه الثوري ويحيى بن سعيد، له ذكر في باب الملاحم. (**لا أعلمه**) أي لا أظن أبا هريرة (**إلا قال الذي في البحر**) أحد جانبيها الذي في البحر. والمعنى: لكني لا أجزمه؛ ويمكن أن يكون هذا منه رداً على من نازعه ممن سمع الحديث عن أبي هريرة بغير هذا القيد، وبهذا يندفع ما قال الطيبي [رحمه الله تعالى] . هذا إشارة إلى أن ما وقع في نسخ المصابيح من قوله: الذي في البحر، مدرج من قول الراوي. (**ثم يقولون**) أي المسلمون (**الثانية**). أي الكرة الثانية (**لا إله إلا الله والله أكبر فسقط**) بصيغة الماضي تفنناً وتحققاً (**جانبها الآخر**) أي الذي في البر (**ثم يقولون الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج**) بتشديد الراء المفتوحة، أي فيفتح. (**لهم**) والظرف نائب الفاعل (**فيدخلونها فيغنمون**) أي ما فيها (**فبينا هم يقتسمون المغانم**) أي يريدون الاقتسام ويشرعون فيه (**إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج فيتركون كل شي**) أي من الغنائم وغيرها من الأثقال (**ويرجعون**) أي سريعاً لمقابلة الدجال ومساعدة الأهل والعيال. (**رواه مسلم**).

الفصل الثاني

٥٤٢٤ ـ (١٥) عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «عُمران بيت المقدس خرابُ يثرب، وخرابُ يثرب خروج الملحمة، وخروجُ الملحمة فتح قسطنطينيَّةُ، وفتحُ قسطنطينيَّةَ خروج الدجال».

(الفصل الثاني)

٥٤٢٤ ـ (عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: عمران بيت المقدس) بالتخفيف وتشدد، وعمرانه بضم العين وسكون الميم أي عمارته بكثرة الرجال والعقار والمال. (خراب يثرب) أي وقت خراب المدينة. قيل: لأن عمرانه باستيلاء الكفار. وفي الأزهار قال بعض الشارحين: المراد بعمران بيت المقدس عمرانه بعد خرابه فإنه يخرب في آخر الزمان ثم يعمره الكفار. والأصح أن المراد بالعمران، الكمال في العمارة أي عمران بيت المقدس كاملاً مجاوزاً عن الحد وقت خراب يثرب، فإن بيت المقدس لا يخرب. قال ابن الملك: وأما الآن فقد عمره السلطان الملك الناصر واستخرج فيه العيون وأجرى فيه المياه جزاه الله خيراً. قلت: وزاد بنو عثمان حفظهم الله من آفات الدوران في عمارته وأرزاقه وتكياته لكنه مع هذا لم يبلغ عمارة المدينة المعطرة. (وخراب يثرب خروج الملحمة) أي ظهور الحرب العظيم. قال ابن الملك: قيل: بين أهل الشام والروم. والظاهر أنه يكون بين تاتار والشام. قلت: الأظهر هو الأول لما في الحديث السابق ولما سيأتي في الحديث اللاحق ولقوله: (وخروج الملحمة فتح قسطنطينية وفتح قسطنطينية) وفي نسخة بالتعريف (خروج الدجال) قال الأشرف: لما كان بيت المقدس باستيلاء الكفار عليه وكثرة عمارتهم فيها أمارة مستعقبة بخراب يثرب، وهو أمارة مستعقبة بخروج الملحمة وهو أمارة مستعقبة بفتح قسطنطينية وهو أمارة مستعقبة بخروج الدجال جعل النبي ﷺ كل واحد عين ما بعده وعبر به عنه. اهـ. وخلاصته أن كل واحد من هذه الأمور أمارة لوقوع ما بعده وإن وقع هناك مهلة. قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: قال هنا فتح القسطنطينية خروج الدجال، وفي الحديث السابق إذا صاح فيهم الشيطان أن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل، فكيف الجمع بينهما. قلت: إنه ﷺ جعل الفتح علامة لخروج الدجال لا إنها مستعقبة له من غير تراخ، وصراخ الشيطان كان للإيذان بأنه واقع ليشتغلوا عن القسم وكان باطلاً يدل عليه الحديث الآتي: الملحمة العظمى فتح القسطنطينية

الحديث رقم ٥٤٢٤: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٨٢ حديث رقم ٤٢٩٤. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٠ حديث رقم ٤٠٩٢. وأحمد في المسند ٥/ ٢٣٢.

رواه أبو داود.

٥٤٢٥ ـ (١٦) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر». رواه الترمذي، وأبو داود.

٥٤٢٦ ـ (١٧) وعن عبد الله بن بُسر، أن رسول الله ﷺ قال: «بين الملحمة وفتح المدينة ستُّ سنين، ويخرج الدجال في السابعة».

وخروج الدجال في سبعة أشهر. والتعريف في الصارخ في هذا الحديث للعهد والمعهود الشيطان. أقول: والذي يظهر أن القضية متعددة وأن المسلمين كانوا متفرقة وأن المدينة غير القسطنطينية، إذ قصة [القسطنطينية] كانت بالمقاتلة وفتح المدينة إنما هو بالتهليل والتكبير من غير المحاربة، فحينئذ يحمل صريخ الشيطان بالنسبة إلى غزاة قسطنطينية وصريخ المسلمين إلى أصحاب [فتح] المدينة، وأن كلاً من الفريقين تركوا الغنائم وتوجهوا إلى قتال الدجال والله [تعالى] أعلم بالحال. **(رواه أبو داود)** أي وسكت عليه كما ذكره ميرك، ورواه أحمد عن معاذ أيضاً.

٥٤٢٥ ـ **(وعنه)** أي عن معاذ **(قال: قال رسول الله ﷺ: الملحمة العظمى)** وفي الجامع: الملحمة الكبرى. قيل: هي التي يتعاد فيها بنو الأب ولا يجدون من مائة إلا واحداً كما مر. لكن الأظهر أن المراد بها فتح المدينة حيث فتحت بعظمة أسماء الله الحسنى، ولذا صح عطف قوله: **(وفتح القسطنطينية)** وهي بلام التعريف هنا إذا الأصل في العطف التغاير مع انضمامه إلى التبادر **(وخروج الدجال في سبعة أشهر)** أي باعتبار توجه المسلمين إلى البلدتين وظهور الدجال، وأما باعتبار فتحهما فهو متعاقب لهما من غير تراخ بينهما. **(رواه الترمذي وأبو داود)** وكذا ابن ماجه، ذكره السيد جمال الدين [رحمه الله]. وفي الجامع رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم[1].

٥٤٢٦ ـ **(وعن عبد الله بن بسر)** بضم موحدة وسكون مهملة **(أن رسول الله ﷺ قال: بين الملحمة وفتح المدينة)** أراد بأحدهما المدينة السابقة وبالأخرى القسطنطينية وهذا نص في المغايرة بينهما. وقوله: **(ست سنين)** مشكل مخالف لما تقدم، ويمكن أن يقال اللام في الملحمة غير القسطنطينية من سائر الملاحم فاللام للعهد بالنظر إلى ملحمة سابقة، ويدل عليه أنها ما وصفت بالعظمى ونحوه. **(ويخرج الدجال في السابعة)** أي في السنة السابعة في آخر

الحديث رقم **٥٤٢٥**: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٨٣ حديث رقم ٤٢٩٥. والترمذي في السنن ٤/ ٤٤٢ حديث رقم ٢٢٣٨ وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٠. حديث رقم ٤٠٩٢. وأحمد في المسند ٥/ ٢٣٤.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٥٢ حديث رقم ٩٢٣٤. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٢٦.

الحديث رقم **٥٤٢٦**: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٨٣ حديث رقم ٤٢٩٦. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٧٠ حديث رقم ٤٠٩٣ وأحمد في المسند ٤/ ١٨٩.

رواه أبو داود، وقال: هذا أصح.

٥٤٢٧ ـ (١٨) وعن ابن عمر، قال: يوشِكُ المسلمون أن يُحاصَروا إلى المدينة، حتى يكونَ أبعد مسالِحِهم سَلاح وسلاح: قريب من خيبر. رواه أبو داود.

٥٤٢٨ ـ (١٩) وعن ذي مِخْبَرٍ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ستصالحون الرّوم صلحاً آمناً،

السادسة التي فيها فتح المدينة وأوّل السابعة التي رجع المسلمون عنها إلى الدجال. وأما ما قيل من أنه لا يبعد من أن يشتبه سبع سنين بسبعة أشهر ففي غاية من البعد. (رواه أبو داود) وكذا ابن ماجه (وقال: هذا أصح) أي من الحديث السابق، ففيه دلالة على أن التعارض ثابت والجمع ممتنع والأصح هو المرجح. وحاصله أن بين الملحمة العظمى وبين خروج الدجال سبع سنين أصح من سبعة أشهر.

٥٤٢٧ ـ (وعن ابن عمر قال: يوشك المسلمون أن يحاصروا) على بناء المجهول، أي يحبسوا ويضطروا ويلتجؤوا. (إلى المدينة) أي مدينة النبي ﷺ لمحاصرة العدوّ إياهم، أو يفر المسلمون من الكفار ويجتمعون بين المدينة وسلاح وهو موضع قريب من خيبر، أو بعضهم دخلوا في حصن المدينة وبعضهم ثبتوا حواليها احتراساً عليها. وهذا المعنى أظهر بقوله: (حتى يكون أبعد مسالحهم) بفتح الميم (سلاح) بفتح السين وقد ضبط برفعه مضموماً على أنه اسم مؤخر والخبر قوله: أبعد. وفي نسخة برفعه منوناً وفي أخرى بكسر الحاء. ففي القاموس: سلاح كسحاب وقطام موضع أسفل خيبر. وقال ابن الملك: سلاح هو منون في نسخة ومبني على الكسر في أخرى. وقيل: مبني على الكسر في الحجاز غير منصرف في بني تميم. ثم في النهاية: المسالح جمع المسلح والمسلحة القوم الذين يحفظون الثغور من العدوّ، وسموا مسلحة لأنهم يكونون ذوي سلاح أو لأنهم يسكنون المسلحة وهي كالثغر، والمرقب يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة. فإذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له. (وسلاح قريب) أي موضع قريب (من خيبر) وهذا تفسير من الراوي. والمعنى: أبعد ثغورهم هذا الموضع القريب من خيبر، وهذا يدل على كمال التضييق عليهم وإحاطة الكفار حواليهم. (رواه أبو داود).

٥٤٢٨ ـ (وعن ذي مخبر) بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الموحدة ابن أخي النجاشي خادم النبي ﷺ، روى عنه جبير بن نفير وغيره يعد في الشاميين ذكره المؤلف. (قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ستصالحون الروم) الخطاب للمسلمين (صلحاً) مفعول مطلق من غير بابه أو بحذف الزوائد (آمناً) بالمد صفة صلحاً أي صلحاً ذا أمن، أو على أن الإسناد

الحديث رقم ٥٤٢٧: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٤٩ حديث رقم ٤٢٩٩. وأحمد في المسند ٢/ ٤٠٢.

الحديث رقم ٥٤٢٨: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٨١ حديث رقم ٤٢٩٢ وابن ماجه ٢/ ١٣٦٩ حديث رقم ٤٠٨٩ وأحمد في المسند ٤/ ٩١.

فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم، فتُنصرون وتغنمون [وتسلمون، ثم ترجعون]، حتى تنزلوا بمرج ذي تُلول، فيرفع رجلٌ من أهل النصرانية الصَّليبَ، فيقول: غلبَ الصليبُ فيغضب رجلٌ من المسلمين فيدقه، فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة» وزاد بعضهم: «فيثور المسلمون إلى أسلحتهم، فيقتتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة». رواه أبو داود.

٥٤٢٩ ـ (٢٠) وعن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ، قال: «اتركوا الحبشة ما تركوكم، فإنه لا يستخرجُ كنزَ الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة».

مجازي (**فتغزون أنتم**) أي فتقاتلون أيها المسلمون (**وهم**) أي الروم المصالحون معكم (**عدواً من ورائكم**) أي من خلفكم (**فتنصرون**) بصيغة المفعول، أي فينصركم الله عليهم. (**وتغنمون**) أي الأموال (**وتسلمون**) أي من القتل والجرح في القتال (**ثم ترجعون**) أي عن عدوكم (**حتى تنزلوا**) أي أنتم وأهل الروم (**بمرج**) بفتح فسكون أي روضة. وفي النهاية: أرض واسعة ذات نبات كثيرة. (**ذي تلول**) بضم التاء جمع تل بفتحها وهو موضع مرتفع (**فيرفع رجل من أهل النصرانية**) وهم الأروام حينئذ (**الصليب**) وهو خشبة مربعة يدعون أن عيسى عليه [الصلاة و] السلام صلب على خشبة كانت على تلك الصورة. (**فيقول**) أي الرجل منهم (**غلب الصليب**) أي غلبنا ببركة الصليب (**فيغضب رجل من المسلمين**) حيث تسب الغلبة لغير الحبيب (**فيدقه**) أي فيكسر المسلم الصليب (**فعند ذلك تغدر الروم**) بكسر الدال أي تنقض العهد (**وتجمع**) أي رجالهم ويجتمعون (**للملحمة**) أي للقتال أو للمقتلة (**وزاد بعضهم**) أي الرواة (**فيثور**) أي يعدو ويقوم (**المسلمون إلى أسلحتهم**) أي مسرعين وناهضين إليها (**فيقتتلون**) أي معهم (**فيكرم الله تلك العصابة**) أي الجماعة من المسلمين (**بالشهادة**) وجعلهم الله شهداء ﴿**أحياء عند ربهم يرزقون فرحين**﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]. (**رواه أبو داود**) وكذا ابن ماجه وسكت عليه أبو داود ورواه الحاكم في مستدركه وقال: صحيح، ذكره ميرك[1].

٥٤٢٩ ـ (**وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما**) بالواو (**عن النبي ﷺ قال: اتركوا الحبشة**) في القاموس: الحبش والحبشة محركتين جنس من السودان. (**ما تركوكم**) أي ما دام أنهم تركوكم (**فإنه لا يستخرج كنز الكعبة**) أي كنزاً مدفوناً تحت الكعبة. وقيل مخلوقاً فيها، وقيل المراد ما يجمعه أهل السدانة من هدايا الكعبة، كذا في الأزهار. (**إلا ذو السويقتين**) أي صاحب دقيق الساقين (**من الحبشة**) أي هو منهم ويكون أميرهم، أو المراد به جنس الحبش لكون هذا الوصف غالباً فيهم. قال النووي: هما تصغير ساقي الإنسان لدقتها وهي صفة سوق السودان غالباً، ولا يعارض هذا قوله تعالى: ﴿حرماً آمناً﴾ [القصص ـ ٥٧] ـ لأن معناه آمناً إلى قرب القيامة وخراب الدنيا. وقيل: يخص منه قصة ذي السويقتين. وقال القاضي عياض

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٢١.

الحديث رقم ٥٤٢٩: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٩٠ حديث رقم ٤٣٠٩ والنسائي في السنن ٦/ ٤٤ رقم ٣١٧٧. وأحمد في المسند ٥/ ٣٧١.

رواه أبو داود.

٥٤٣٠ ـ (٢١) وعن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ قال: «دَعوا الحبشة ما ودعوكم، واتركوا الترك ما

[رحمه الله] : القول الأوّل أظهر. أقول: الأظهر أنه تعالى جعله حرماً آمناً باعتبار غالب الأحوال كما يدل عليه قضية ابن الزبير وقصة القرامطة ونحوهما، المراد بجعله حرماً آمناً أنه حكم بأنهم يؤمنون الناس ولا يتعرضون لأحد فيه كما أجاب بهذا بعض أهل التوفيق لما قال رئيس أهل الزندقة من القرامطة بعد ما فعلوا من الفساد من قبل العباد وخراب البلاد. فأين كلام الله: ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ [آل عمران ـ ٩٧] . فقال: إنما معناه فآمنوا من دخله ولا تتعرضوا في مدخله بنهبه أو قتله[1]. (رواه أبو داود) وكذا الحاكم في مستدركه[2].

٥٤٣٠ ـ (ومن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: دعوا الحبشة) أي اتركوهم (ما ودعوكم) بتخفيف الدال أي ما تركوكم. قال التوربشتي: فلما يستعملون الماضي منه إلا ما رُوِيَ في بعض الأشعار كقول القائل:

* غاله في الحب حتى ودعه *

ويحتمل أن يكون الحديث: ما وادعوكم، أي ما سالموكم فسقط الألف من قلم بعض الرواة. قال الطيبي [رحمه الله] : لا افتقار إلى هذا الطعن مع وروده في التنزيل الكشاف في قوله تعالى: ﴿ما ودعك ربك﴾ [الضحى ـ ٣] . وقرىء بالتخفيف يعني ما تركك. قال: وثم ودعنا إلى عمر وعامر ولأن لفظ الازدواج ورد العجز على الصدر يجوز لذلك، وقد جاء في كلامهم : إني لآتيه بالغدايا والعشايا، وقوله: ارجعن مأزورات غير مأجورات. قال المظهر: كلام النبي ﷺ متبوع لا تابع، بل فصحاء العرب عن آخرهم بالإضافة إليه بأقل، وأيضاً[3] فلغات العرب مختلفة منهم من انقرض لغته وأتى ﷺ بها. قال شمر: زعمت النحوية أن العرب أماتوا مصدره وماضيه والنبي ﷺ أفصح. أقول: فأحياهما باستعمال الماضي في هذا الحديث، وبالمصدر في الحديث الذي رواه أحمد ومسلم وغيرهما عن ابن عباس وابن عمر مرفوعاً: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين»[4]. هذا وهو من باب الشاذ الموافق للقياس المخالف للاستعمال كالمسجد ونظائره. (واتركوا الترك

---

(١) سنتكلم إن شاء الله تعالى عن الفرق التي ورد ذكرها في هذا الكتاب في جزء خاص.

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٥٣.

الحديث رقم ٥٤٣٠: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٨٥ حديث رقم ٤٣٠٢. والنسائي في السنن ٦/ ٤٤ حديث رقم ٣١٧٧.

(٣) في المخطوطة «وأقل».

(٤) مسلم في صحيحه ٢/ ٥٩١ حديث رقم ٨٦٥. وأحمد في المسند عن ابن عباس ١/ ٢٥٤ وعن ابن عمر ١/ ٢٥٤ وعن أبي هريرة ٢/ ٨٤.

تركوكم». رواه أبو داود، والنسائي.

٥٤٣١ ـ (٢٢) وعن بُريدةَ، عن النبي ﷺ في حديث: «يقاتلكم قومٌ صغار الأعين» يعني الترك. قال: «تسوقونهم ثلاث مرات حتى تلحقوهم بجزيرة العرب، فأما في السياقة الأولى فينجو

ما تركوكم) قال الخطابي: اعلم أن الجمع بين قوله تعالى: ﴿قاتلوا المشركين كافة﴾ [التوبة ـ ٣٦] . وبين هذا الحديث، أن الآية مطلقة والحديث مقيد فيحمل المطلق على المقيد ويجعل الحديث مخصصاً لعموم الآية كما خص ذلك في حق المجوس فإنهم كفرة ومع ذلك أخذ منهم الجزية لقوله ﷺ: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»[1]. قال الطيبي [رحمه الله] : ويحتمل أن تكون الآية ناسخة للحديث لضعف الإسلام. وأما تخصيص الحبشة والترك بالترك والودع، فلأن بلاد الحبشة وغيره بين المسلمين وبينهم مهامه وقفار فلم يكلف المسلمين دخول ديارهم لكثرة التعب وعظمة المشقة. وأما الترك فبأسهم شديد وبلادهم باردة والعرب وهم جند الإسلام كانوا من البلاد الحارة فلم يكلفهم دخول البلاد، فلهذين السرين خصصهم. وأما إذا دخلوا بلاد المسلمين قهراً والعياذ بالله فلا يجوز لأحد ترك القتال، لأن الجهاد في هذه الحالة فرض عين وفي الحالة الأولى فرض كفاية. قلت: وقد أشار ﷺ إلى هذا المعنى حيث قال: ما تركوكم. وحاصل الكلام أن الأمر في الحديث للرخصة والإباحة لا للوجوب ابتداء أيضاً فإن المسلمين قد حاربوا الترك والحبشة بادين، وإلى الآن لا يخلو زمان عن ذلك وقد أعز الله الإسلام وأهله فيما هنالك. (رواه أبو داود والنسائي) وروى الطبراني عن ابن مسعود مرفوعاً ولفظه: اتركوا الترك ما تركوكم، فإن أول من يسلب أمتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء. ففي النهاية: هي جارية إبراهيم الخليل ولدت له أولاداً منهم الترك والصين. اهـ. وسيأتي زيادة تحقيق لهذا في حديث أبي بكرة.

٥٤٣١ ـ (وعن بريدة عن النبي ﷺ في حديث: يقاتلكم) ظاهره أن يكون بالإضافة لكنه في جميع النسخ بالتنوين وفك الإضافة، فالوجه أن قوله: يقاتلكم، خبر مبتدأ محذوف أي هو يقاتلكم الخ. والجملة صفة حديث، والمعنى في حديث هو أن ذلك الحديث يقاتلكم. (قوم صغار الأعين يعني الترك) تفسير من الراوي وهو الصحابي أو التابعي (قال:) أي النبي ﷺ أو قال ابن مسعود مرفوعاً (تسوقونهم) من السوق أي يصيرون مغلوبين مقهورين منهزمين بحيث أنكم تسوقونهم. (ثلاث مرات) أي من السوق (حتى تلحقوهم) أي توصلوهم آخراً. (بجزيرة العرب) قيل هي اسم لبلاد العرب سميت بذلك لإحاطة البحار والأنهار، بحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات. وقال مالك: هي الحجاز واليمامة واليمن وما لم يبلغه ملك فارس والروم ذكره الطيبي [رحمه الله] وتبعه ابن الملك. (فأما في السياقة الأولى فينجو) أي يخلص

---

(١) مالك في الموطأ ١/٢٧٨ حديث رقم ٤٢ من كتاب الزكاة.

الحديث رقم ٥٤٣١: أخرجه أبو داود في السنن ٤/٤٨٧ حديث رقم ٤٣٠٥. وأحمد في المسند ٥/٣٤٨.

من هرب منهم، وأما في الثانية فينجو بعض ويهلك بعض، وأما في الثالثة فَيُصْطَلَمُونَ» أو كما قال. رواه أبو داود.

٥٤٣٢ ـ (٢٣) وعن أبي بكرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ينزلُ أناسٌ من أمتي بغائط، يسمونه البصرة، عند نهرٍ يقال له: دجلةُ، يكون عليه جِسْرٌ، يكثر أهلها، ويكون من أمصار المسلمين، وإذا كان في آخر الزمان جاء بنو قَنْطُوراء

(من هرب منهم) أي من الترك (وأما في الثانية فينجو بعض ويهلك بعض) أما بنفسه أو بأخذه وإهلاكه، وهو القاهر. (وأما في الثالثة فيصطلمون) بصيغة المجهول، أي يحصدون بالسيف ويستأصلون من الصلم وهو القطع المستأصل. (أو كما قال) أي قال غير هذا اللفظ مما يكون بمعناه، وهذا من غاية ورع الراوي حيث لم يرض أن يكون النقل بالمعنى. (رواه أبو داود).

٥٤٣٢ ـ (وعن أبي بكرة) بالتاء (أن رسول الله ﷺ قال: ينزل أناس) بضم الهمزة لغة في ناس (من أمتي بغائط) أي بغائر من الأرض ذكره شارح، وفي الفائق: أي بواد مطمئن (يسمونه البصرة) بفتح الموحدة وفي نسخة بكسرها. وفي القاموس: البصرة بلدة معروفة ويحرك ويكسر الصاد، أو هو معرب بسرة أي كثير الطرق. (عند نهر) بفتح الهاء ويسكن (يقال له دجلة) بكسر الدال ويفتح، نهر بغداد. (يكون عليه جسر) أي قنطرة ومعبر (يكثر أهلها) أي أهل البصرة. وفي حاشية الشفاء للحلبي: البصرة مثلث الباء، والفتح أفصح. بناها عتبة بن غزوان في خلافة عمر رضي الله [تعالى] عنه، ولم يعبد الصنم قط على ظهرها والنسبة إليها بالكسر والفتح. قال المغني: والكسر في النسبة أفصح من الفتح. قلت: ولعله لمجاورة كسر الراء. هذا وقد قال الأشرف: أراد ﷺ بهذه المدينة مدينة السلام بغداد فإن دجلة هي الشط وجسرها في وسطها، لا في وسط البصرة وإنما عرفها النبي ﷺ ببصرة لأن في بغداد موضعاً خارجياً منه قريباً من بابه يدعى باب البصرة، فسمى النبي ﷺ بغداد باسم بعضها أو على حذف المضاف كقوله تعالى: (واسئل القرية) [يوسف ـ ٨٢]. وبغداد ما كانت مبنية في عهد النبي ﷺ على هذه الهيئة ولا كان مصراً من الأمصار في عهده ﷺ، ولذا قال ﷺ: (ويكون من أمصار المسلمين) بلفظ الاستقبال، بل كان في عهده ﷺ قرى متفرقة بعد ما خربت مدائن كسرى، منسوبة إلى البصرة محسوبة من أعمالها. هذا وإن أحداً لم يسمع في زماننا بدخول الترك بصرة قط على سبيل القتال والحرب. ومعنى الحديث: إن بعضاً من أمتي ينزلون عند دجلة ويتوطنون ثمة ويصير ذلك الموضع مصراً من أمصار المسلمين، وهو بغداد. (وإذا كان) اسمه مضمراً، (في آخر الزمان جاء بنو قنطورا) بفتح القاف وسكون النون مقصوراً وقد يمد، أي يجيئون ليقاتلوا أهل بغداد. وقال بلفظ جاء دون يجيء إيذاناً بوقوعه فكأنه قد وقع. وبنو قنطورا اسم أبي الترك، وقيل اسم جارية كانت للخليل عليه [الصلاة] والسلام. ولدت له أولاداً جاء من نسلهم الترك

الحديث رقم ٥٤٣٢: أخرجه أبو داود في السنن ٤/٤٨٧ حديث رقم ٤٣٠٦ وأحمد في المسند ٥/٤٥.

عِراضُ الوجوه، صغارُ الأعين، حتى ينزلوا على شطِّ النهر، فيتفرَّق أهلها ثلاث فِرَق، فرقةٌ يأخذون في أذناب البقر في البريَّة وهلكوا، وفرقةٌ يأخذون لأنفسهم وهلكوا،

وفيه نظر، فإن الترك من أولاد يافث بن نوح، وهو قبل الخليل بكير كذا ذكره بعضهم. ويمكن دفعه بأن الجارية كانت من أولاد يافث، أو المراد بالجارية بنت منسوبة للخليل لكونها من بنات أولاده وقد تزوّجها واحد من أولاد يافث، فأتت بأبي هذا الجيل فيرتفع الإشكال بهذا القال والقيل ويصح انتسابهم إلى يافث والخليل. **(عراض الوجوه)** بدل أو عطف بيان، وكذا قوله: **(صغار الأعين حتى ينزلوا على شط النهر فيتفرق أهلها ثلاث فرق)** بكسر ففتح جمع فرقة **(فرقة)** بالرفع ويجوز نصبها **(يأخذون في أذناب البقر)** من أخذ في الشيء شرع فيه. وقوله: **(في البرية)** تتميم وتذييل لأن أخذ أذناب البقر لا يكون غالباً إلا في البرية الخارجة عن المدينة التي يعبر عنها بالبحرية، ومنه قوله تعالى: **﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾** [الروم ـ ٤١] . أو المراد بقوله: في البرية، اختيار العزلة وإيثار الصحراء والخلاء على البلد واجتماع الملأ. فعلى الأول صفة أو حال وعلى الثاني بدل كل أو بعض، ويمكن أن تكون في تعليلية. وقوله: **(وهلكوا)** فذلكة ونتيجة لأفعالهم. والمعنى: أن فرقة يعرضون عن المقاتلة هرباً منها وطلباً لخلاص أنفسهم ومواشيهم ويحملون على البقر فيهيمون في البوادي ويهلكون فيها، أو يعرضون عن المقاتلة ويشتغلون بالزراعة ويتبعون البقر للحراثة إلى البلاد الشاسعة فيهلكون. قال الطيبي [رحمه الله] : قوله: يأخذون في أذناب البقر على معنى يوقعون الأخذ في الأذناب كقوله:

* يـجـرح فـي عـراقـيـبـهـا نـصـلـي *

وكأنهم يبالغون في الاشتغال ولا يعبؤون بأمر آخر، أو يوغلون في السير خلفها إلى البلاد الشاسعة فيهلكون فيها. **(وفرقة يأخذون)** أي يطلبون أو يقبلون الأمان من بني قنطوراء **(لأنفسهم وهلكوا)** أي بأيديهم. ولعل المراد بهذه الفرقة المستعصم بالله[1] ومن معه من المسلمين طلبوا الأمان لأنفسهم ولأهل بغداد وهلكوا بأيديهم عن آخرهم. وقال شارح: أراد النبي ﷺ بالبصرة بغداد لأن بغداد كانت قرية في عهد النبي ﷺ من قرى البصرة إطلاقاً لاسم الجزء على الكل، فالواقعة وقعت كما ذكره النبي ﷺ وإن أراد البصرة المعهودة فلعله يقع بعد

---

(١) المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله آخر الخلفاء العباسيين كان كريماً سليم الباطن حسن الديانة. لم يكن متيقظاً حازماً. خلياً من الرأي والتدبير غدر به وزيره مؤيد الدين العلقمي الرافضي. فأشار عليه بقطع أكثر الجند وأن مصانعة التتار وإكرامهم يحصل به المقصود. ففعل ذلك ثم إنه أي الوزير كاتب التتار وأطمعهم في البلاد وسهل عليهم ذلك وطلب أن يكون نائبهم فوعدوه بذلك. وقصدوا بغداد بقيادة هولاكو ودارت بينهم وبين جيش الخليفة معركة انكسر فيها جيش الخليفة. وكاد الوزير للخليفة بذريعة فأوهمه بحسن صلح التتار فطلب من الفقهاء والأعيان الخروج لحضور العقد فما كان إلا أن أعمل السيف فيهم حتى قتل جميع الفقهاء والعلماء والحجاب والأعيان. ثم مد الجسر ودخل التتار بغداد. وأعملوا فيها السيف نحو أربعين يوماً حتى بلغ القتلى أكثر من ألف ألف نسمة. وقتل الخليفة رفساً. قال الذهبي وما أظنه دفن. [راجع تاريخ الخلفاء ص ٤٢٧ ـ ٤٣٤].

وفرقة يجعلون ذراريهم خَلْفَ ظُهورهم ويُقاتلونهم وهم الشهداء». رواه أبو داود.

٥٤٣٣ ـ (٢٤) وعن أنسٍ، أن رسول الله ﷺ قال: «يا أنس! إنَّ الناس يمصِّرون أمصاراً، وإن مصراً منها يقال له: البصرة؛ فإن أنتَ مررتَ بها أو دخلتها، فإياك وسِباخها وكلأها ونخيلها وسوقها وبابَ أمرائها، وعليكَ بضواحيها، فإنّه يكونُ بها خَسْفٌ وقذفٌ ورجْفٌ وقومٌ يبيتون ويصبحونَ قردةً وخنازير».

ذلك إذ لم يسمع أن الكفار نزلوا بها قط للقتال. (وفرقة يجعلون ذراريهم) أي أولادهم الصغار ونساءهم (خلف ظهورهم ويقاتلونهم وهم الشهداء) أي الكاملون. والمعنى أن فرقة ثالثة هم الغازية المجاهدة في سبيل الله قاتلوا الترك قبل ظهورهم على أهل الإسلام فاستشهد معظمهم ونجت منهم شرذمة قليلون، كذا ذكره الأشرف. وقال غيره: وهذا من معجزاته ﷺ فإنه وقع كما أخبر وكانت هذه الواقعة في صفر سنة ست وخمسين وستمائة. (رواه أبو داود).

٥٤٣٣ ـ (وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: يا أنس إن الناس يمصرون) بتشديد الصاد (أمصاراً) بفتح الهمزة جمع مصر، أي يتخذون بلاداً. والتمصير اتخاذ المصر على ما ذكره الطيبي [رحمه الله]. فالتقدير: يتخذون أمصاراً، ففيه تجريد. وقال شارح: أي يضعون أساس مصر وبناءه. (وإن مصراً منها) أي من الأمصار (ويقال له البصرة. فإن أنت مررت بها أو دخلتها) أو للتنويع لا للشك (فإياك وسباخها) أي فاحذر سباخها، وهو بكسر السين جمع سبخة بفتح فكسر، أي أرض ذات ملح. وقال الطيبي [رحمه الله]: هي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. (وكلاءها) بفتح الكاف وتشديد اللام ممدوداً موضع بالبصرة وقال شارح: هو شط النهر وهو موضع حبس السفينة. وقيل: هو موضع الرعي، ويؤيده ما في بعض النسخ بالتخفيف والقصر، وقد اقتصر عليه نسخة السيد جمال الدين [رحمه الله]. هذا وقوم يجعلون كلاء البصرة اسم من كل على فعلاء ولا يصرفونه. والمعنى: أنه موضع تكل فيه الريح عن عملها في غير هذا الموضع، فكان الحذر عنها لعفونة هواه. (ونخيلها) إما لشبهة فيها أو لخوف غرة بها. (وسوقها) إما لحصول الغفلة فيها أو لكثرة اللغو بها أو فساد العقود ونحوها. (وباب أمرائها) أي لكثرة الظلم الواقع بها (وعليك بضواحيها) جمع الضاحية [وهي الناحية] البارزة للشمس وقيل: المراد بها جبالها وهذا أمر بالعزلة، فالمعنى: الزم نواحيها. (فإنه يكون بها) قيل الضمير للسباخ، والصواب للمواضع المذكورة. (خسف) أي ذهاب في الأرض وغيبوبة فيها (وقذف) أي ريح شديدة باردة، أو قذف الأرض الموتى بعد دفنها أو رمي أهلها بالحجارة بأن تمطر عليهم. (ورجف) أي زلزلة شديدة (وقوم يبيتون) أي أهل ذلك المصر قوم يبيتون، بحذف المبتدأ، أو فيها قوم بحذف الخبر كذا قاله الشارح. والظاهر أن قوم عطف على خسف، أي يكون بها قوم يمسون طيبين. (ويصبحون قردة) أي شبابهم. (وخنازير) أي شيوخهم. قال الطيبي [رحمه الله]: المراد به المسخ وعبر عنه بما هو أشنع. اهـ. وقيل:

الحديث رقم ٥٤٣٣: أخرجه أبو داود في السنن ٤/٤٨٨ حديث رقم ٤٣٠٧.

رواه [أبو داود].

٥٤٣٤ ـ (٢٥) وعن صالح بن درهم، يقول: انطلقنا حاجّين، فإذا رجلٌ فقال لنا: إلى جنبكم قريةٌ يقال لها: الأُبُلَّة؟ قلنا: نعم. قال: من يضمنُ لي منكم أن يصليَ لي في مسجد العَشَّار ركعتين أو أربعاً، ويقول: هذه لأبي هريرة؟ سمعتُ خليلي

في هذا إشارة إلى أن بها قدرية لأن الخسف والمسخ إنما يكون في هذه الأمة للمكذبين بالقدر. (رواه...) هنا بياض في الأصل. وقال الجزري: رواه أبو داود من طريق لم يجزم بها الراوي، بل قال: لا أعلمه إلا عن موسى بن أنس عن أنس بن مالك.

٥٤٣٤ ـ (**وعن صالح بن درهم**) بكسر الدال وفتح الهاء. وفي القاموس: درهم كمنبر وزبرج معلوم. قال المؤلف: بأهلي روى عن أبي هريرة وسمرة وعنه شعبة والقطان ثقة. (**يقول: انطلقنا حاجين**) أي ذهبنا مريدين الحج (**فإذا رجل**) المراد به أبو هريرة، وهو مبتدأ خبره محذوف. وقوله: (**فقال**) عطف عليه، أي فإذا رجل واقف فقال (**لنا: إلى جنبكم قرية**) بحذف الاستفهام (**يقال لها الأُبُلَّة**) بضم الهمزة والباء وتشديد اللام، البلد المعروف قرب البصرة من جانبها البحري كذا في النهاية، وهي أحد المتنزهات الأربع وهي أقدم من البصرة. قال الأصمعي: هي اسم نبطي ذكره ميرك عن التصحيح. وقال شارح: هي من جنان الدنيا وهي أربع: أبلة البصرة وغوطة دمشق وسغد سمرقند وشعب بوان. ثم قيل: بوان هو كرمان وقيل نوبندجان في الفارس[1]. (**قلنا: نعم. قال: من يضمن**) استفهام للالتباس والسؤال. والمعنى: من يتقبل ويتكفل (**لي**) أي لأجلي (**منكم أن يصلي لي**) أي بنيتي (**في مسجد العشار**) بفتح العين المهملة وتشديد الشين المعجمة مسجد مشهور يتبرك بالصلاة فيه ذكره ميرك. (**ركعتين أو أربعاً**) أي أربع ركعات، وأو للتنويع أو بمعنى بل (**ويقول:**) أي عند النية أو بعد فراغ الصلاة (**هذه**) أي الصلاة أو ثوابها (**لأبي هريرة**) قيل: فإن قيل الصلاة عبادة بدنية ولا تقبل النيابة، فما معنى قول أبي هريرة. قلنا: يحتمل أن يكون هذا مذهب أبي هريرة قاس الصلاة على الحج، وإن كان في الحج شائبة مالية. ويحتمل أن يكون معناه ثواب هذه الصلاة لأبي هريرة فإن ذلك جوزه بعضهم كذا ذكره الطيبي [رحمه الله]. وقال علماؤنا: الأصل في الحج عن الغير أن الإنسان له أن يجعل ثواب عمله لغيره من الأموات والأحياء حجاً أو صلاة أو صوماً أو صدقة أو غيرها، كتلاوة القرآن والأذكار فإذا فعل شيئاً من هذا وجعل ثوابه لغيره جاز ويصل إليه عند أهل السنة والجماعة. (**سمعت خليلي**) قال التوربشتي [رحمه الله]: قد سبق منه هذا القول في عدة أحاديث وكأنه قول لم يصدر عن رواية، بل كان الباعث عليه ما عرف من قلبه من صدق المحبة، ولو تدبر القول لم يلتبس عليه كون ذلك زائغاً عن نهج الأدب، وقد قال ﷺ: «لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»[2]. وقال ﷺ: «إني

الحديث رقم ٥٤٣٤: أخرجه أبو داود في السنن ٤/٤٨٩ حديث رقم ٤٣٠٨.

(١) في المخطوطة «القاموس». (٢) متفق عليه وراجع الحديث رقم (٦٠١٩).

أبا القاسم ﷺ يقول: «إنّ الله عزّ وجلّ يبعث من مسجد العشّار يوم القيامة شهداء لا يقوم معَ شهداءِ بدرٍ غيرهم». رواه أبو داود وقال: هذا المسجدُ مما يلي النهر.

أبرأ إلى كل خليل من خلته»[1]. فليس لأحد أن يدعي خلته مع براءته عن خلة كل خليل قال الطيبي [رحمه الله] : لو تأمل حق التأمل ما ذهب إلى ما ذهب إليه، لأن المحب من فرط المحبة وصدق الوداد يرفع الاحتشام من البين لا سيما إذا امتد زمان المفارقة، على أنه نسب الخلة إلى جانبه لا إلى رسول الله ﷺ لأنه رضي الله عنه مذ أسلم ما فارق حضرة الرسالة مع شدة احتياجه وفاقته والناس مشتغلون بتجاراتهم وزروعهم. أقول: قوله: لأن صدق الوداد يرفع الاحتشام من البين الخ، كلام مدخول وتعليل معلول إذ مثل هذا لا يقال إلا في المتساويين من المتصاحبين ولا يقاس الملوك بالحدادين، فأين منصب صاحب النبوة والرسالة عن مرتبة أبي هريرة في الحضرة أو الغيبة حتى يعبر عنه ﷺ بأنه خليله بأي معنى يكون سواء من إضافة الوصف إلى فاعله أو مفعوله. ومن المعلوم أن مثل هذا لو صدر عن أبي بكر الصديق [رضي الله عنه] لأنكر عليه لأنه بظاهره مصادم لقوله ﷺ: «لو كنت متخذاً» الحديث. هذا وقد قيل في سبب تسمية إبراهيم بالخليل أنه بعث إلى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله: لو كان إبراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للأضياف. فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس. فلما أخبروا إبراهيم عليه [الصلاة] والسلام ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته إلى غرارة منها، فأخرجت أحسن حواري واختبزت واستنبه فاشتم رائحة الخبز فقال: من أين لكم هذه. فقالت امرأته: من خليلك المصري. فقال: بل من عند خليلي الله. فسماه الله خليلاً هكذا ذكره في الكشاف. قال النووي [رحمه الله] : أصل الخلة الاختصاص والاستقصاء. وقيل: أصلها الانقطاع إلى من خاللت مأخوذ من الخلة وهي الحاجة، فسمي إبراهيم عليه [الصلاة] والسلام بذلك لأنه قصر حاجته إلى الله سبحانه وتعالى [جلا جلاله ولا إله غيره] . وقيل: الخلة صفاء المودة التي توجب تخلل الأسرار. وقيل: معناها المحبة والالطاف، هذا كلام القاضي [رحمه الله] . وقال ابن الأنباري: الخليل معناه المحب الكامل المحبة، والمحبوب الموفي بحقيقة المحبة الذي ليس في حبه نقص ولا خلل. قال الواحدي: هذا القول هو الاختيار لأن الله تعالى خليل إبراهيم وإبراهيم خليل الله، ولا يجوز أن يقال الله تعالى خليل إبراهيم من الخلة التي هي حاجة. اهـ. وبه تبين أن الخلة بالمعاني التي ذكروها لا تصدق على أبي هريرة، فكيف يسوغ له أن يخص نفسه من بين الأصحاب ويقول: سمعت خليلي. (**أبا القاسم ﷺ**) بدل أو عطف بيان (**يقول:**) فاعل سمعت (**إن الله عزّ وجلّ يبعث**) أي يحشر (**من مسجد العشار يوم القيامة شهداء لا يقوم**) أي من القبور أو في المرتبة (**مع شهداء بدر غيرهم**) ولم يعرف أنهم من شهداء هذه الأمة أو من الأمم السابقة. (**رواه أبو داود وقال:**) أي أبو داود (**هذا المسجد مما يلي النهر**) أي نهر الفرات.

---

(١) الترمذي في السنن ٥/ ٥٦٦ حديث رقم ٣٦٥٥.

وسنذكر حديث أبي الدرداء: «إن فسطاط المسلمين» في باب: «ذكر اليمين والشام» إن شاء الله تعالى.

الفصل الثالث

٥٤٣٥ ـ (٢٦) عن شقيق، عن حذيفة، قال: كنا عند عُمرَ فقال: أيُّكم يحفظُ حديث رسول الله ﷺ في الفتنةِ؟ فقلت: أنا أحفظُ كما قال، قال: هاتِ، إنَّكَ لجريءٌ، وكيف قال؟ قلتُ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «فتنةُ الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره

قال المؤلف: (وسنذكر حديث أبي الدرداء أن فسطاط المسلمين) تمامه يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب المدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام. (في باب ذكر اليمن والشام إن شاء الله تعالى) [جلّ شأنه].

(الفصل الثالث)

٥٤٣٥ ـ (عن شقيق) وهو ابن أبي سلمة أدرك زمن النبي ﷺ ولم يره ولم يسمع منه، وروى عن خلق من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وابن مسعود. وكان خصيصاً به من أكابر الصحابة وهو كثير الحديث ثقة حجة مات زمن الحجاج. (عن حذيفة) أي ابن اليمان. قال المؤلف: هو صاحب سر رسول الله ﷺ، وقد روى عنه عمر وأبو الدرداء وغيرهم من الصحابة والتابعين. مات بالمدائن بعد قتل عثمان بأربعين ليلة وقبره بها (قال: كنا عند عمر فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة فقلت: أنا أحفظ كما قال) صفة مصدر محذوف، أي أنا أحفظ مقوله ﷺ حفظاً مماثلاً لما قال، ذكره الطيبي [رحمه الله]. فأحفظ متكلم لا تفضيل كما يتوهم. (قال: هات) بكسر التاء، أي أعطني على ما في القاموس. (إنك لجريء) فعيل من الجراءة وهي الإقدام على الشيء. ومعناه: أنك غير هائب قد تجاسرت على ما لا أعرفه ولا يعرفه أصحابك وادعيت أنك عرفت صريح القول، ومن ثم قال: هات. (وكيف قال) أي النبي ﷺ ولم قال الطيبي [رحمه الله تعالى]: هو عطف على هات، أي هات ما قال وبين كيفيته. اهـ. وقد يقال إن الظاهر بالنظر إلى حال حذيفة وما كان معلوماً عندهم من أنه صاحب سر رسول الله ﷺ فيما يقع من الفتن، أن يكون المعنى إنك لجراءتك وكثرة مساءلتك أخذت عن النبي ﷺ ما لم تأخذه منه فهات وبين. (قلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فتنة الرجل في أهله) أي عياله من امرأته وجاريته أو أقاربه. (وماله ونفسه وولده وجاره) أي وأمثال ذلك. والمعنى: أن الرجل يبتلى ويمتحن في هذه الأشياء ويسأل عن حقوقها وقد يحصل له ذنوب

الحديث رقم ٥٤٣٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢١٨ حديث رقم (٢٦. ١٤٤). والبخاري في صحيحه ١٣/ حديث رقم ٧٠٩٦. والترمذي في السنن ٤/ ٤٥٤ حديث رقم ٢٢٥٨. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٠٥ حديث رقم ٣٩٥٥. وأحمد في المسند ٥/ ٣٨٦.

يكفرُها الصيامُ والصلاةُ والصدقةُ والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ؛ فقال عُمرُ: ليس هذا أُريدُ، إنما أريدُ التي تموجُ كموجِ البحرِ. قال: قلت: ما لك ولها يا أميرَ المؤمنينَ؟ إنَّ بينَك وبينَها باباً مُغلَقاً. قال: فيكسرُ البابُ أو يفتحُ؟ قال: قلتُ: لا، بل يُكْسَرُ. قال: ذاك

من تقصيره فيها، فينبغي أن يكفرها بالحسنات لقوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود - ١١٤] . وإليه أشار بقوله: (**يكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقال عمر: ليس هذا أريد**) قال الطيبي [رحمه الله]: وذلك أن عمر رضي الله [تعالى]عنه لما سأل أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة واحتمل أن يراد بالفتنة الاختبار والابتلاء كما في قوله تعالى: ﴿**ولنبلوكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين**﴾ [البقرة - ١٥٥]. وأن يراد بها وقعة القتال، وكان سؤاله عن الثاني قال: ليس هذا أريد. (**إنما أريد التي تموج كموج البحر**) أي تضطرب اضطراب البحر عند هيجانه. وكني بذلك عن شدة المخاصمة وكثرة المنازعة وما ينشأ عن ذلك من المشاتمة والمقاتلة. وإنما أنث عمر رضي الله [تعالى]عنه المشار إليه بعد ما ذكره باعتبار المذكور دلالة على فظاعة المشار إليه وأنها الداهية الدهياء. (**قال: قلت: ما لك ولها**) استفهام إنكار، أي أي شيء لك من الحاجة إلى تلك الفتنة وإلى سؤالها وما يترتب عليها من المحنة، وأي شيء لها من الوصول إليك والحصول لديك فإنه ليس لك ولها اقتران واجتماع في زمان. (**يا أمير المؤمنين**) يحتمل تعلقه بما قبله وما بعده (**أن بينك وبينها باباً مغلقاً**) استئناف تعليل (**قال: فيكسر الباب**) أي من شدته وصعوبته والاستفهام مقدر، ولذا قابله بقوله: (**أو يفتح**) أي من خفته وسهولته (**قال: قلت: لا**) أي لا يفتح فانصب النفي على الفعل القريب. لكن لما كان موهماً أن يتعلق بالفعلين جميعاً استدركه وقال: (**بل يكسر**) وفائدته التأكيد والتأبيد. وقال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت كان يكفي في الجواب أن يقول يكسر فلم أتي بلا وبل. قلت: للتنبيه على أن هذا ليس من مقام الترديد في الكسر لظهوره فلا يسأل بأم المعادلة كما سبق مراراً. اهـ. ولا يخفى ما فيه من الاعتراض البارد على من هو من زبدة الفصحاء وعمدة البلغاء، وكذا من دعوى الظهور الذي لا يتوهمه أحد من الأغبياء مع أن أم ليس موجوداً في العبارة، بل الترديد إنما وقع بلفظ أو وفرق بينهما عند أرباب الإشارة. بل الظاهر أنما هو الاعتراض على حذيفة في جوابه لما تقرر في محله من أن جواب أم المتصلة بالتعيين دون نعم أو لا لأنهما لا يفيدان التعيين بخلاف أو مع الهمزة كما إذا قلنا: جاءك زيد أو عمرو، فإنه يصبح جوابه بلا ونعم لأن المقصود بالسؤال أحدهما لا على التعيين أجاءك أولاً. ولا شك هذا المعنى غير مراد هنا في جوابه، بل المراد التعيين وهو المقصود[1] في الحكم بالكسر غايته أنه نفي مقابلة وهو الفتح أولاً، ثم أثبت الكسر لزيادة إفادة الحصر كما حقق في كلمة التوحيد، فإنه لو قيل: الله موجود أو ثابت أو محقق، لم يفد نفي ما سواه فلذا عدل عنه إلى قوله: لا إله إلا الله. (**قال:**) أي عمر [رضي الله عنه](**ذاك**) كذا بلا لام في النسخ المصححة، أي ذاك

---

(١) في المخطوطة «القصد».

أحرى أن لا يُغلَقَ أبداً. قال: فقلنا لحذيفةَ: هل كان عمر يعلم مَن البابُ؟ قال: نعم كما يعلمُ أن دون غَدٍ ليلةً، إني حدثتُه حديثاً ليس بالأغاليط، قال: فَهِبنا أن نسأل حذيفةَ مَنِ البابُ؟ فقلنا لمسروق: سله. فسأله فقال: عمر. متفقٌ عليه.

الباب الذي من وصفه أن يكسر ولا يفتح (أحرى) أي حري وحقيق (أن لا يغلق أبداً) لأن الفتح قد يرجى إغلاقه بخلاف الكسر فإنه يبعد من الرجاء ذكره الطيبي. ومما يقوّي هذا المعنى ما رواه الترمذي عن ثوبان: إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة. (قال:) أي الراوي وهو شقيق (فقلنا لحذيفة: هل كان عمر يعلم من الباب) كان الظاهر أن يقال: ما الباب، فكأنهم تفرسوا أن المراد بالباب الشخص لا الباب الحقيقي كذا حققه الطيبي [رحمه الله]. وفي الكسر شهادة على شهادة عمر رضي الله عنه، فكأن ابن الخطاب كان باب الصواب ومفتاحاً لعز الإسلام ومأمناً من الفتن بين الأنام، فرضي الله [تعالى]عنه وأدخله دار السلام. (قال:) أي حذيفة (نعم) أي كان يعلم من الباب (كما يعلم) أي كعلمه (أن دون غد) أي قدامه (ليلة) والمعنى: أن الغد لا يتصوّر إلا متأخراً عن حصول الليلة، وكأنه جعل زمن الأمن في قوّة اليوم الحاضر ووقت الفتن بمنزلة الغد الحاضر والحاجز بينهما في مرتبة ليل ساتر، وما أحسن تعبير[١] حذيفة رضي الله عنه عن ظهور يوم الفتنة بالغد الواقع بعد تحقق الظلمة المعبر عنها بالليلة لخفاء أمر الفتنة وشدة بلائها، فإن الليل أدهى للويل. وحاصله أن علمه بأنه هو الباب أمر ظاهر لا يشك فيه أحد من أولي الألباب. (إني حدثته) استئناف فيه معنى التعليل أي ذكرت (له حديثاً) أي ظاهراً (ليس بالأغاليط) وهي جمع الأغلوطة وهي المسألة التي يغلط بها. قال الطيبي [رحمه الله]: أراد أن ما ذكرت له لم يكن مبهماً محتملاً كالأغاليط، بل صرحته تصريحاً. وفيه أنه قد آثر حذيفة الحرص على حفظ السر ولم يصرح لعمر بما سأل عنه وإنما كني عنه كناية، أي لا يخرج من الفتن شيء في حياتك وكأنه مثل الفتن بدار[٢] مقابل لدار الأمن وحياته بباب مغلق، وموته بفتح ذلك الباب. ثم إنه كني بالكسر عن القتل وبالفتح عن الموت. وحاصله أنه لم يكن الكلام من باب الصريح بل من قبيل الرمز والتلويح، لكن عمر ممن لا تخفى عليه الإشارة فضلاً عن العبارة، بل هو أيضاً من أصحاب الأسرار وأرباب الأنوار. وإنما أراد بالسؤال تحقيق الحال وأنه هل بقي أحد من الصحابة ممن يكون هذا العلم منه على الباب، ولذا جزم حذيفة بقوله: نعم والله [تعالى]أعلم. ثم قول الطيبي [رحمه الله]: ولعله لهذا السر قال له عمر: إنك لجريء. وفيه نظر ظاهر لأن إظهار الحق المسموع من سيد الخلق لا يستبعد حتى يسمى جراءة على الرد، فالصواب ما تقدم والله [تعالى] أعلم. (قال:) أي شقيق (فهبنا) بكسر الهاء من الهيبة، أي فخشينا (أن نسأل حذيفة من الباب) أي في ذلك المجلس (فقلنا لمسروق:) وهو تابعي جليل (سله) أي سل حذيفة (فسأله فقال:) أي حذيفة (عمر) أي هو الباب بمعنى السد للفتنة عن الأصحاب والأحباب، أو لأنه باب النطق بالصواب. (متفق عليه) وفي الجامع: فتنة الرجل في أهله وماله وولده ونفسه وجاره يكفرها

---

(١) في المخطوطة «ترتيب». (٢) في المخطوطة «بباب».

٥٤٣٦ ـ (٢٧) وعن أنسٍ، قال: فَتْحُ القسطنطينة مع قيام الساعة. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريبٌ.

(٢) باب أشراط الساعة

الفصل الأول

٥٤٣٧ ـ (١) عن أنسٍ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ من أشراطِ

الصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه عن حذيفة[1].

٥٤٣٦ ـ (**وعن أنس قال: فتح القسطنطينية مع قيام الساعة**) أي مع قرب قيامها، وقد سبق تحقيق المباني وما يتعلق به من المعاني. (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب**) أي إسناداً أو متناً والله [تعالى]أعلم [وأحكم].

(باب أشراط الساعة)

أي علامات القيامة. ففي النهاية: الأشراط العلامات واحدتها شرط بالتحريك وبه سميت شرط السلطان لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها، هكذا قال أبو عبيدة. وحكى الخطابي عن بعض أهل اللغة أنه أنكر هذا التفسير وقال: أشراط الساعة ما ينكره الناس من صغار أمورها قبل أن تقوم الساعة. اهـ. وكأنه أخذه مما ذكره صاحب القاموس أن الشرط محركة العلامة وأول الشيء ورذال المال وصغارها، وهو لا ينافي أن يكون الشرط له معنيان كل واحد منهما يصلح للمقام فلا وجه للإنكار[2] مع أن قوله: ما ينكره الناس، ليس على إطلاقه. إذ قد يوجد في الناس من لا ينكر صغار أمور الساعة لما حصل له من علم اليقين من صاحب السيادة والسعادة أوّلاً، وزيادة عين اليقين في مقام المشاهدة آخراً.

(الفصل الأوّل)

٥٤٣٧ ـ (**عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من أشراط**

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٦٠ حديث رقم ٥٨٣٩.

الحديث رقم ٥٤٣٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٤٢ حديث رقم ٢٢٣٩. وأحمد في المسند ٥/ ٢٣٢.

(٢) في المخطوطة للكفار.

الحديث رقم ٥٤٣٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٧٨. حديث رقم ٨٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٥٦ حديث رقم ٩/ ٢٦٧١ وأبو داود في السنن ١/ ٣٩٠ حديث رقم ٦٠. والترمذي في السنن ٤/ ٤٢٦ حديث رقم ٢٢٠٥. والنسائي ٧/ ٢٤٤ حديث رقم ٤٤٥٦ وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٤٧ حديث رقم ٤٠٤٥. والدارمي ١/ ١٣٤ حديث رقم ٤٧٦. وأحمد في المسند ٣/ ١٧٦.

الساعةِ أن يُرفعَ العلمُ، ويكثرَ الجهلُ، ويكثرَ الزِّنا، ويكثُرَ شُربُ الخمرِ، ويقِلَّ الرِّجالُ، وتكثُرَ النساءُ، حتى يكونَ لخمسينَ امرأةً القيِّمُ الواحدُ». وفي روايةٍ: «يقِلُّ العلمُ، ويظهرَ الجهلُ». متفق عليه.

٥٤٣٨ - (٢) وعن جابرِ بن سمُرةَ، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «إنَّ بينَ يدَي الساعةِ كذّابينَ،

الساعة أن يرفع العلم) أي يرتفع إما بقبض العلماء وإما بخفضهم عند الأمراء (ويكثر الجهل) أي بغلبة السفهاء (ويكثر الزنا) أي لأجل قلة الحياء (ويكثر شرب الخمر) بضم الشين وفتحها، وقرىء بهما في المتواتر عند قوله تعالى: ﴿فشاربون شرب الهيم﴾ [الواقعة - ٥٥]. ويجوز كسرها. ففي القاموس: شرب كسمع شرباً ويثلث. ثم كثرة شرب الخمر مورثة لكثير من الفساد في البلاد والعباد فيحصل الاعتداء. (ويقل الرجال) أي وجودهم المطلوب منهم نظام العالم (ويكثر النساء) أي ممن لا يتعلق بظهورهن الأمر الأهم، بل وجودهن مما يكثر الغم والهم ويقتضي تحصيل الدينار والدرهم. (حتى يكون لخمسين امرأة القيم) بكسر التحتية المشددة، أي القائم (الواحد) أي المنفرد لمصالحهن. وليس المراد أنهن زوجات له، بل أعم منها ومن الأمهات والجدات والأخوات والعمات والخالات. (وفي رواية: يقل العلم ويظهر الجهل) والظاهر أنهما بدلان من يرفع ويكثر، فالتقدير: أن يقل العلم ويظهر الجهل. ولعل هذه الرواية مبنية على أول الأمر فإن مآل آخره إلى رفع العلم بالكلية كما جاء في حديث رواه السجزي عن ابن عمر مرفوعاً: لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن والقرآن[1]. وفي حديث أحمد ومسلم والترمذي عن أنس: لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله[2]. (متفق عليه) ورواه الترمذي وابن ماجه ذكره السيد جمال الدين [رحمه الله]. وفي الجامع رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس بلفظ: إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد[3]. وفي رواية لأحمد والشيخين عن ابن مسعود وأبي موسى مرفوعاً: إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج والمرج وهو القتل[4].

٥٤٣٨ - (وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: إن بين يدي الساعة كذابين) قال المظهر: أراد منه كثرة الجهل وقلة العلم والإتيان بالموضوعات من الأحاديث وما يفترونه على رسول الله ﷺ. ويحتمل أن يراد به ادعاء النبوة كما كان في زمانه

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/٥٨٣ حديث رقم ٩٨٥٤.

(٢) راجع الحديث رقم (٥٥١٦). (٣) الجامع الصغير ٢/١٤٩ حديث رقم ٢٤٧٤.

(٤) البخاري في صحيحه ١٣/٦٣ حديث رقم ٧٠٦٢. ومسلم في صحيحه ٤/٥٦. حديث رقم ٢٦٧٢.

الحديث رقم ٥٤٣٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٣/١٤٥٤ حديث رقم ١٠/١٨٢٢. وابن ماجه في سننه ٢/١٣٠٤ حديث رقم ٣٩٥٢. وأحمد في المسند ٥/٨٦.

فاحذروهم». رواه مسلم.

٥٤٣٩ ـ (٣) وعن أبي هريرةَ، قال: بينما كانَ النبيُّ ﷺ يُحدِّثُ إذ جاءَ أعرابيٌّ فقال: متى السَّاعةُ؟ قال: «إذا ضُيِّعتِ الأمانةُ فانتظرِ الساعةَ». قال: كيفَ إضاعتُها؟ قال: «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِه فانتظرِ الساعةَ».

وبعد زمانه، وأن يراد بهم جماعة يدعون أهواء فاسدة ويسندون اعتقادهم الباطل إليه ﷺ كأهل البدع كلهم. (فاحذروهم رواه مسلم). قال ابن الملك في شرح المشارق قوله: فاحذروهم. غير مذكور في صحيح مسلم، لكن جاء في بعض روايات غيره. وقيل: إنه قول جابر. اهـ. وفي الجامع كلفظ المشكاة بكماله وقال: رواه أحمد ومسلم عن جابر بن سمرة[1].

٥٤٣٩ ـ (وعن أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه (قال: بينما النبي ﷺ لم يحدث) أي يتكلم في أمر مع أصحابه (إذ جاء أعرابي فقال: متى الساعة قال: إذا ضيعت) بصيغة المفعول من التضييع، وفي نسخة من الإضاعة (الأمانة) أي حين جعلت الأمانة ضائعة بالخيانة أو وضعت عند غير أرباب الديانة. (فانتظر الساعة) أي فإنه من أشراط القيامة (قال: كيف إضاعتها) هذا يؤيد النسخة، أي كيف تضييع الأمانة والأمة قائمون بأمرها والعامة معتنون بقدرها. (قال: إذا وسد) بضم الواو وتشديد السين، وقد تخفف على ما في المقدمة أي أسند وفوّض (الأمر) أي أمر السلطنة أو الإمارة أو القضاء أو الحكومة. (إلى غير أهله) أي ممن لم يوجد فيه شرائط الاستحقاق كالنساء والصبيان والجهلة والفسقة والبخيل والجبان، ومن لم يكن قرشياً ولو كان من نسل سلاطين[2] الزمان هذا في الخليفة، وقس على هذا سائر أولي الأمر والشأن وأرباب المناصب من التدريس والفتوى والإمامة والخطابة وأمثال ذلك مما يفتخر به الأقران. قال التوربشتي [رحمه الله]: معناه أن يلي الأمر من ليس له بأهل فيلقى له وسادة الملك. وأراد بالأمر الخلافة وما ينضم إليها من قضاء وإمارة ونحوها. والتوسيد أخذ من الوساد يقال: وسدته الشيء بالتخفيف فتوسده إذا جعله تحت رأسه. ولفظة إلى فيها إشكال إذ كان من حقه أن يقال: وسد الأمر لغير أهله. فلعله أتى بها ليدل على إسناد الأمر إليه. اهـ. وفي القاموس: إن إلى تأتي مرادفة للأمر نحو قوله تعالى: ﴿والأمر إليك﴾ [النمل ـ ٣٣]. اهـ. ويريد أن المعنى والأمر لك، لكن الأظهر أن يقال: الأمر راجع إليك. والأحسن في الحديث أن يضمن معنى التفويض والإسناد كما أشرنا إليه أوّلاً. (فانتظر الساعة) للدلالة على قرب قيامها. وإنما دل ذلك على دنوّ الساعة لإفضائه إلى اختلال الأمر وعدم تمام النظام ووهن أمور الدين وضعف أحكام الإسلام. وقال الطيبي [رحمه الله]: لأن تغير الولاة وفسادهم مستلزم لتغير الرعية. وقد قيل: الناس على دين ملوكهم. قال القاضي [رحمه الله]: أخرج

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٣٧ حديث رقم ٢٢٥٦.

الحديث رقم ٥٤٣٩: أخرجه البخاري في صحيحه. حديث رقم ٥٩.

(٢) في المخطوطة «سلطان».

رواه البخاري.

٥٤٤٠ - (٤) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يكثرَ المالُ ويفيضَ، حتى يُخرجَ الرجلُ زكاةَ ماله فلا يجدُ أحداً يقبلُها منه، وحتى تعودَ أرضُ العربِ مروجاً وأنهاراً». رواه مسلم. وفي رواية له: قال: «تبلغ المساكنُ إهابَ أو يهابَ».

الجوابين مخرج الاستئناف للتأكيد ولأن السؤال الأوّل لما لم يكن مما يمكن أن يجيب عنه بجواب حقيقي يطابقه، فإن تأقيت الساعة غيب لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل عدل عن الجواب إلى ذكر ما يدل على المسؤول عنه دلالة من أماراتها، وسلك في الجواب الثاني مسلك الأوّل لينتسق الكلام. قال الطيبي [رحمه الله]: كان من حق الظاهر أن يكتفي عن جواب السؤال الأوّل بقوله: إذا ضيعت الأمانة، وأن يؤتى في السؤال الثاني بمتى ليطابق الجواب، فزاد في الأوّل فانتظر الساعة لينبه على أن قوله: إذا ضيعت الأمانة، ليس إبان الساعة من أماراتها فلا تكون إذاً شرطية، وتأويل السؤال الثاني متى تضيع الأمانة وكيف حصول التضييع. فقال: إذا وسد الأمر، فأطنب في الأوّل لإفادة معنى زائد واختصر في الثاني لدلالة الكلام عليه تفنناً. اهـ. وفيه أنه يوهم أن قوله: فانتظر الساعة، غير موجود في الجواب الثاني والحال أن الأمر بخلافه، بل هو موجود في الجوابين ولعله سقط من أصل الطيبي [رحمه الله] والله [تعالى]أعلم. **(رواه البخاري)** ولفظ الجامع: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة. رواه البخاري عن أبي هريرة[1].

٥٤٤٠ - **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يكثر المال)** أي ابتلاء في الحال والمآل **(ويفيض)** بفتح الياء فيه وفيما قبله وهو عطف تفسير. أي يسيل من كثرته من كل جانب كالسيل ليميل الخلق إليه كل الميل. **(حتى يخرج)** بضم الياء أي يفرز **(الرجل زكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه)** أي لكثرة المال ولقلة الميل إليه بتشوّش الحال. **(وحتى تعود أرض العرب)** أي تصير أو ترجع **(مروجاً)** بالضم أي رياضاً كما كانت بنباتاتها وأشجارها وأثمارها. **(وأنهاراً)** أي مياهاً كثيرة جارية في أنهارها. وفي النهاية: المرج الأرض الواسعة ذات نبات كثير تمرج فيه الدواب، أي تخلي تسرح مختلطة كيف شاءت. اهـ. وفيه إشارة إلى ما قيل من أن الدنيا جنة الحمقى في أنهم يأكلون كما تأكل الأنعام غافلين عن العقبى. **(رواه مسلم)**.

(وفي رواية له) أي لمسلم **(قال: تبلغ المساكن)** أي تصل نهاية مساكن المدينة **(إهاب)** بكسر الهمزة وفتح الموحدة **(أو يهاب)** بكسر الياء التحتية وهو الأنسب للازدواج المعتبر عند الفصحاء والبلغاء. وفي نسخة صحيحة بفتحها وهما موضعان قرب المدينة، فأو للتنويع وعدم

---

(١) الجامع الصغير ١/ ٦٠ حديث رقم ٨٨٧.

الحديث رقم ٥٤٤٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٨١. حديث رقم ٧١٢٠. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٠١ حديث ٢٠/ ١٥٧.

٥٤٤١ ـ (٥) وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يكونُ في آخرِ الزمانِ خليفةٌ يقسِمُ المالَ ولا يعدُّه». وفي رواية: قال: «يكونُ في آخرِ أُمتي خليفة يحثي المالَ حثياً، ولا يعدُّه عدّاً». رواه مسلم.

٥٤٤٢ ـ (٦) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يوشِكُ الفراتُ أنْ

صرفهما باعتبار البقعة. والمراد كثرة عمارة المدينة وما حولها. وقال شارح: أو نهاب بالنون المكسورة وروي بالياء المكسورة. قال النووي [رحمه الله]: أما إهاب فبكسر الهمزة، وأما يهاب فبياء مثناة تحتية مفتوحة ومكسورة، ولم يذكر القاضي في الشرح والمشارق إلا الكسر. وحكى القاضي [رحمه الله] عن بعضهم نهاب بالنون والمشهور الأوّل. وقد ذكر في الكتاب أنه موضع بقرب المدينة على أميال منها. قال التوربشتي [رحمه الله]: يريد أن المدينة يكثر سوادها حتى يتصل مساكن أهلها بإهاب، أو يهاب شك الراوي في اسم الموضع أو كان يدعي بكلا الاسمين فذكر، أو للتخيير بينهما. وفي التصحيح على ما نقله ميرك أن قوله: إهاب. بكسر الهمزة ولم يصرفه على قصد البقعة ويهاب بياء آخر الحروف مكسورة كذا قيده عياض في المشارق، وقيده غيره بالفتح. وقيل: فيه نهاب بالنون وكأنه تصحيف والشك فيه من الراوي. وفي القاموس: الإهاب ككتاب الجلد وكسحاب موضع قرب المدينة، ولم يذكر فيه يهاب والله [تعالى] أعلم بالصواب.

٥٤٤١ ـ (وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يكون) أي يوجد (في آخر الزمان خليفة) أي سلطان بحق (يقسم المال) أي على المستحقين بالعدل ولا يخزنه كسلاطين زماننا (ولا يعده) بفتح الياء وضم العين والدال المشددة، أي ويعطي كثيراً من غير عدٍ وإحصاء بل يكون إحسانه جزفاً. قال ابن الملك [رحمه الله]: ويحتمل كونه من الإعداد وهو جعل الشيء عدة وذخيرة، أي لا يدخر لعدوّ ولا يكون له خزانة كفعل الأنبياء عليهم [الصلاة و] السلام، وقد سبقه شارح حيث قال: إما بفتح الياء وضم العين، أي لا يحصيه. أو بعد بضم الياء وكسر العين، أي لا يدخره. وهو كذا في بعض النسخ، لكن يضعف هذا الاحتمال مبني ومعنى قوله: (وفي رواية قال: يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال) بفتح الياء وكسر المثلثة، أي يعطيه بالكفين (حثياً) مفعول مطلق أتى به للمبالغة أي حثياً بليغاً. ثم أكد ذلك بقوله: (ولا يعده عداً) مصدر بين أن فعله ثلاثي لا رباعي. قال النووي [رحمه الله تعالى]: والحثو الذي يفعله هذا الخليفة يكون لكثرة الأموال والغنائم والفتوحات مع سخاء نفسه. وقال ابن الملك: السر فيه أن ذلك الخليفة يظهر له كنوز الأرض أو يعلم الكيمياء أو يكون من كرامته أن ينقلب الحجر ذهباً. كما رُوِيَ عن بعض الأولياء. (رواه مسلم).

٥٤٤٢ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يوشك الفرات أن

الحديث رقم ٥٤٤١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٥ حديث رقم (٦٩ ـ ٢٩١٤).

الحديث رقم ٥٤٤٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٧٨. حديث رقم ٧١١٩. ومسلم في صحيحه =

يحسرَ عن كنزٍ من ذهبٍ، فمن حضرَ فلا يأخذْ منه شيئاً». متفق عليه.

٥٤٤٣ ـ (٧) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى يَحسِرَ الفراتُ عن جبلٍ من ذهبٍ، يقتتلُ النّاسُ عليه، فيقتلُ من كلِّ مائةٍ تسعةٌ وتسعونَ، ويقولُ كلُّ رجلٍ منهم: لعلي أكونُ أنا الذي أنجُو». رواه مسلم.

يحسر) بضم السين وكسرها، أي يكشف. (عن كنز) ففي النهاية: يقال: حسرت العمامة عن رأسي وحسرت الثوب عن بدني، أي كشفتهما. وقال شارح: أي يظهر ويكشف نفسه عن كنزه. فيه إشارة إلى أن حسر متعد. وقال الخلخالي أحد شراح المصابيح: أي سيظهر فرات عن نفسه كنزاً، ففيه إيماء إلى أنه وقع القلب في الكلام فهو من باب عرضت الناقة على الحوض. وفي القاموس: حسره يحسره ويحسِره كشفه وحسر الشيء حسوراً انكشف فالفعل متعد ولازم وعلى تقدير اللزوم لا يحتاج إلى تكلف، فالأولى حمله عليه. فالمعنى: يقرب الفرات أن ينكشف عن كنز، أي انكشافاً صادراً عن كنز عظيم. (من ذهب) أي كثير (فمن حضر) أي فالغائب بالأولى (فلا يأخذ) بصيغة النهي. (منه شيئاً) أي لما يترتب على الأخذ منه ما سيأتي من المقاتلة الكثيرة والمنازعة الكبيرة. ويحتمل أن يكون فلا يأخذ نفياً. ويؤيده ما سيأتي من قوله: فلا يأخذون منه شيئاً. (متفق عليه) ورواه أبو داود والترمذي.

٥٤٤٣ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب) الظاهر أن القضية متحدة والرواية متعددة. فالمعنى: عن كنز عظيم مقدار جبل من ذهب. ويحتمل أن يكون هذا غير الأول ويكون الجبل معدناً من ذهب. (يقتتل الناس عليه) أي على تحصيله وأخذه (فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون) أي من الناس المتقاتلين (ويقول كل رجل منهم:) أي من الناس أو من التسعة والتسعين. (لعلي أكون أنا الذي أنجو) قال الطيبي [رحمه الله]: هو من باب قوله:

أنا الذي سمتني أمي حيدره

أي أنا الذي ينجو فنظر إلى المبتدأ فحمل الخبر عليه لا على الموصول. اهـ. أي يرجو كل واحد منهم أن يكون هو الناجي فيقتل الباقي في الحال رجاء أن ينجو في المآل فيأخذ المال، وهذا من سوء الآمال وتضييع الأعمال. قال الطيبي [رحمه الله]: فيه كناية لأن الأصل أن يقال: أنا الذي أفوز به، فعدل إلى أنجو لأنه إذا نجا من القتل تفرد بالمال وملكه. (رواه مسلم).

= ٤/ ٢٢١٩ حديث رقم (٣٠. ٢٨٩٤). وأبو داود في السنن ٤/ ٤٩٣ حديث رقم ٤٣١٣. والترمذي في السنن ٤/ ٦٠٢ حديث رقم ٢٥٦٩. وابن ماجه ٢/ ١٣٤٣ حديث رقم ٤٠٤٦.

الحديث رقم ٥٤٤٣: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢١٩ حديث رقم (٢٩. ٢٨٩٤). أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٤٠.

٥٤٤٤ ـ (٨) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تقيءُ الأرضُ أفلاذَ كبدِها أمثالَ الأسطوانةِ منَ الذهبِ والفضةِ، فيجيءُ القاتلُ، فيقولُ: في هذا قَتلتُ. ويجيءُ القاطعُ فيقولُ: في هذا قطعتُ رَحِمي. ويجيءُ السَّارقُ فيقولُ: في هذا قُطِعت يدي، ثم يدعونَه، فلا يأخذونَ منه شيئاً». رواه مسلم.

٥٤٤٥ ـ (٩) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «والذي نفْسي بيدِه، لا تذهبُ الدنيا حتى يمرَّ الرجلُ على القبرِ فيتمرَّغ عليه،

٥٤٤٤ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: تقيء الأرض) مضارع من القيء، أي تلقي الأرض (أفلاذ كبدها) بفتح الهمز جمع الفلذة وهي القطعة المقطوعة طولاً. وسمي ما في الأرض كبداً تشبيهاً بالكبد التي في بطن البعير لأنها أحب ما هو مخبأ فيها. كما أن الكبد أطيب ما في بطن الجزور وأحبه إلى العرب. وإنما قلنا في بطن البعير لأن ابن الأعرابي قال: الفلذ لا يكون إلا للبعير. فالمعنى: تظهر كنوزها وتخرجها من بطونها إلى ظهورها، (أمثال الأسطوان) بضم الهمزة والطاء. وفي نسخة صحيحة الأسطوانة فهي واحدة والأول جنس وهو الأنسب بجمع الأمثال. وقوله: (من الذهب والفضة) لبيان مجمل الحال. قال القاضي [رحمه الله]: معناه أن الأرض تلقي من بطنها ما فيه من الكنوز. وقيل: ما رسخ فيها من العروق المعدنية ويدل عليه قوله: أمثال الأسطوانة. وشبهها بأفلاذ الكباد هيئة وشكلاً، فإنها قطع الكبد المقطوعة طولاً. أقول: ولعل الحديث فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها﴾ [الزلزلة ـ ١ و٢]. (فيجيء القاتل) أي قاتل النفس (فيقول: في هذا) أي في طلب هذا الغرض ولأجل تحصيل هذا المقصود (قتلت) أي من قتلت من الأنفس (ويجيء القاطع) أي قاطع الرحم (فيقول: في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي) بصيغة المجهول، ولو رُوي[1] معلوماً لكان له وجه، أي تسبب لقطع يدي (ثم يدعونه) بفتح الدال، أي يتركون ما قاءه الأرض من الكنز أو المعدن (فلا يأخذون منه شيئاً. رواه مسلم) وكذا الترمذي.

٥٤٤٥ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: [والذي نفسي بيده] لا تذهب الدنيا) أي لا تفرغ ولا تنقضي (حتى يمر الرجل على القبر) المراد بهما الجنس، فهما في قوة النكرة. ويمكن أن يراد بهما الاستغراق فكل فرد في هذا الاستحقاق. (فيتمرغ) أي يتقلب الرجل (عليه) أي فوق القبر. وقال ابن الملك: أي يتمسك على رأس القبر

الحديث رقم ٥٤٤٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٢/٧٠١ حديث رقم (٦٢ ـ ١٠١٣) والترمذي السنن ٤/ ٤٢٧ حديث رقم ٢٢٠٨.

(١) في المخطوطة «كان».

الحديث رقم ٥٤٤٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٣١ حديث رقم (٥٤ ـ ١٥٧) وابن ماجه في السنن ٢/١٣٤٠. حديث رقم ٤٠٣٧.

ويقولُ: يا ليتني كنتُ مكانَ صاحبِ هذا القبرِ، وليسَ به الدِّينُ إلاَّ البلاءُ». رواه مسلم.

٥٤٤٦ ـ (١٠) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ السَّاعةُ حتى تخرجَ نارٌ من أرضِ الحجازِ تضيءُ أعناقَ الإبلِ ببُصْرى».

ويتقلب في التراب. (ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر) أي ميتاً (وليس به الدين) بكسر الدال (إلا البلاء) أي الحامل له على التمني ليس الدين بل البلاء وكثرة المحن والفتن وسائر الضراء. قال المظهر: الدين هنا العادة وليس في موضع الحال من الضمير في يتمرغ. يعني: يتمرغ على رأس القبر ويتمنى الموت في حال ليس التمرغ من عادته، وإنما حمل عليه البلاء. وقال الطيبي [رحمه الله]: ويجوز أن يحمل الدين على حقيقته، أي ليس ذلك التمرغ والتمني لأمر أصابه من جهة الدين لكن من جهة الدنيا فيفيد البلاء المطلق بالدنيا بواسطة القرينة السابقة. (رواه مسلم) أي بهذا اللفظ، واتفقا على: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه[١]. كذا ذكره ميرك عن التصحيح. قلت: وهذا اللفظ في الجامع أسند إلى أحمد والشيخين[٢]، وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: لا يخرج الدجال حتى لا يكون شيء أحب إلى المؤمن من خروج نفسه[٣]. وخرج أيضاً عن أبي هريرة قال: يوشك أن يكون الموت أحب إلى المؤمن من الماء البارد يصب عليه العسل فيشربه[٤]. وأخرج أيضاً عن أبي ذر قال: ليأتين على الناس زمان تمر الجنازة فيهم فيقول الرجل: يا ليت أني مكانه[٥]. وأخرج ابن سعد عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن قال: مرض أبو هريرة فأتيت أعوده فقلت: اللهم اشف أبا هريرة. فقال: اللهم لا ترجعها. وقال: يوشك يا أبا سلمة أن يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر، ويوشك يا أبا سلمة إن بقيت إلى قريب أن يأتي الرجل القبر فيقول: يا ليتني مكانك.

٥٤٤٦ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز) أي مكة والمدينة وما حولهما (تضيء) بضم أوله أي تنوّر (أعناق الإبل) جمع العنق بضمتين وهو العضو المعروف وقيل بفتحتين وهو الجماعة (ببصرى) بضم موحدة وهي مدينة حوران بالشام. وقيل: مدينة قيسارية البصرة. قال النووي [رحمه الله]: هكذا الرواية بنصب أعناق وهو مفعول تضيء. يقال: أضاءت النار وأضاءت غيرها. وبصرى بضم الباء مدينة معروفة بالشام وهي مدينة حوران بينها وبين دمشق نحو ثلاث

---

(١) البخاري في صحيحه ١٣/ ٧٤ حديث رقم ٧١١٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣١. حديث رقم (٥٣ ـ ١٥٧).

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٥٨٣ حديث رقم ٩٢٥٢. (٣) لم أقف عليه في الحلية والله تعالى أعلم.

(٤) لم أقف عليه في الحلية والله تعالى أعلم. (٥) لم أقف عليه في الحلية. والله تعالى أعلم.

الحديث رقم ٥٤٤٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٧٨. حديث رقم ٧١١٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٢٧ حديث رقم (٤٢ ـ ٢٩٠٢).

متفق عليه.

٥٤٤٧ ـ (١١) وعن أنسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أولُ أشراطِ السّاعةِ نارٌ تحشُرُ النّاسَ منَ المشرقِ إلى المغربِ». رواه البخاري.

مراحل. وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة ست وخمسين وستمائة وكانت ناراً عظيمة خرجت من جنب المدينة شرفها الله تعالى الشرقي وراء الحرة وتواتر العلم بها عند جميع أهل الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة. قال التوربشتي [رحمه الله]: رأى هذه النار أهل المدينة ومن حولهم رؤية لا مرية فيها ولا خفاء، فإنها لبثت نحواً من خمسين يوماً تتقدر وترمي بالأحجار المجمرة بالنار من بطن الأرض إلى ما حولها مشاكلة للوصف الذي ذكره الله تعالى في كتابه عن نار جهنم ﴿**ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر**﴾ [المرسلات ـ ٣٢، ٣٣]. وقد سال من ينبوع النار في تلك الصحاري مد عظيم شبيه بالصفر المذاب فيجمد الشيء بعد الشيء فيوجد شبيهاً بخبث الحديد. قال القاضي [رحمه الله]: فإن قلت: كيف يصح أن يحمل هذا عليها وقد رُوِيَ في الحديث الذي يليه أنه ﷺ قال: أول أشراط الساعة نار تحشر الناس. وهي لم تحدث بعد. قلت: لعله لم يرد بذلك أوّل الأشراط مطلقاً بل الأشراط المتصلة بالساعة الدالة على أنها تقوم عما قريب، فإن من الأشراط بعثة النبي ﷺ ولم تتقدمها تلك النار أو أراد بالنار نار الحرب والفتن كفتنة التتر[1]، فإنها سارت من المشرق إلى المغرب. (**متفق عليه**) قال ميرك نقلاً عن التصحيح: والعجب من الحاكم أنه أخرجه في مستدركه على الصحيحين وأسنده من طريق رشد بن سعد عن عقبة عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة وساقه بلفظه فاستدركه عليهما وهو فيهما. وأعجب من هذا روايته له من طريق رشد بن سعد وهو ضعيف باتفاق الحفاظ[2]. اهـ. وقد سبق جوابه بأنه أتى بإسناد غير إسناد الصحيحين فيكون مستدركاً لا مستدركاً، ويدل عليه أنه روي من طريق رشد ولعله قوي عنده أوله متابع أو مشاهد ينجبر به مع أنه قل راو أجمعوا على ضعفه والله [تعالى] أعلم.

٥٤٤٧ ـ (**وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أوّل أشراط الساعة**) سبق الكلام عليه (**نار**) أي شعلة ساطعة أو فتنة طالعة (**تحشر الناس**) أي تجمعهم (**من المشرق إلى المغرب. رواه البخاري**) ورواه الطيالسي عنه بلفظ: أوّل شيء يحشر الناس نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب[3]. كذا في الجامع وبه يزول الإشكال السابق.

---

(١) في المخطوطة «الترك».

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٤٣.

الحديث رقم ٥٤٤٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٧٨ تعليقاً في الباب ٢٤ باب خروج النار. وأحمد في المسند ٣/ ١٠٨.

(٣) الجامع الصغير ١/ ١٦٧ حديث رقم ٢٨١٦.

الفصل الثاني

٥٤٤٨ - (١٢) عن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ السّاعةُ حتى يتقاربَ الزمانُ، فتكونُ السَّنةُ كالشهرِ، والشّهرُ كالجمعةِ، وتكونُ الجمعةُ كاليومِ، ويكونُ اليومُ كالساعةِ، وتكونُ السّاعةُ كالضَّرمةِ بالنارِ».

(الفصل الثاني)

٥٤٤٨ - (عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان) أي زمان الدنيا والآخرة، أو يتقارب أهل بعضهم من بعض في الشر، أو يتقارب الزمان نفسه في الشر حتى يشبه أوّله آخره، أو تقصر الأيام والليالي وهو المناسب هنا لقوله: (فتكون) بالرفع وينصب وهو بالتأنيث ويجوز تذكيره [ليلاً]، ثم عطف الشهر عليه والمعنى فتصير. (السنة كالشهر) قال التوربشتي [رحمه الله]: يحمل ذلك على قلة بركة الزمان وذهاب فائدته في كل مكان، أو على أن الناس لكثرة اهتمامهم بما دهمهم من النوازل والشدائد وشغل قلبهم بالفتن العظام لا يدرون كيف تنقضي أيامهم ولياليهم. فإن قيل: العرب تستعمل قصر الأيام والليالي في المسرات وطولها في المكاره، قلنا: المعنى الذين يذهبون إليه في القصر والطول مفارق للمعنى الذي يذهب إليه، فإن ذلك راجع إلى تمني الإطالة للرخاء أو إلى تمني القصر للشدة. والذي يذهب إليه راجع إلى زوال الإحساس بما يمر عليهم من الزمان لشدة ما هم فيه وذلك أيضاً صحيح. (والشهر) أي ويكون الشهر (كالجمعة) بضم الميم ويسكن، والمراد بها الأسبوع. (وتكون) بالتأنيث رفعاً وينصب، أي وتصير (الجمعة كاليوم) أي كالنهار (ويكون اليوم كالساعة) أي العرفية النجومية وهي جزء من أجزاء القسمة الاثنتي عشرية في اعتدال الأزمنة الصيفية والشتائية (وتكون الساعة كالضرمة بالنار) بفتح الضاد وسكون الراء ويفتح، أي مثلها في سرعة ابتدائها وانقضائها. قال القاضي [رحمه الله]: أي كزمان إيقاد الضرمة وهي ما يوقد به النار أوّلاً كالقصب والكبريت. وفي القاموس: الضرمة محركة السعفة أو الشيحة في طرفها نار، وفي الأزهار: الضرمة بفتح المعجمة وسكون الراء غصن النخل، والشيحة نبت في طرفها نار فإنها إذا اشتعلت تحرق سريعاً. اهـ. فالمراد بها الساعة اللغوية وهي أدنى ما يطلق عليه اسم الزمان من اللمحة واللحظة والطرفة. قال الخطابي: ويكون ذلك في زمن المهدي أو عيسى عليه [الصلاة] والسلام أو كليهما. قلت: والأخير هو الأظهر لظهور هذا الأمر في خروج الدجال وهو في زمانهما. قال: فإن قيل: إذا كانت السنة كالشهر والشهر كالجمعة

الحديث رقم ٥٤٤٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٩٠ حديث رقم ٢٣٣٢.

رواه الترمذي.

٥٤٤٩ ـ (١٣) وعن عبدِ الله بنِ حوالةَ، قال: بعثَنا رسولُ الله ﷺ لنغنَمَ على أقدامِنا، فرجعنا فلم نغنَمْ شيئاً، وعرفَ الجُهدَ في وجوهِنا، فقامَ فينا فقال: «اللهُمَّ لا تكلْهُم إليَّ فأضعفَ عنهم،

والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة فما وجه التقارب. ومعناه قلنا: المراد بذلك أن السنة ذات شهور وجمع وأيام وساعات، فإن كل سنة اثنا عشر شهراً وثمان وأربعون جمعة وثلثمائة وستون يوماً وأربعة آلاف وثلثمائة وعشرون ساعة، وإذا عادت السنة إلى الشهر عادت جمعتها إلى جمعة شهر تلك السنّة وهي أربع وأيامها إلى أيام شهر بتلك السنة وهي ثلاثون يوماً، وساعاتها إلى ساعات شهر بتلك السنة وهي ثلثمائة وستون ساعة[1]. ونسبة كل منها إلى السنة كجزء من اثني عشر جزءاً بلا زيادة ونقص، نعم يزيد وينقص من أمد الضرمة بالنار فإنها غير مقدرة شرعاً ولا عرفاً ولا يتبين للناظر في رأي العين فلذا قال: يتقارب الزمان، ولم يقل: يتساوى الزمان. اهـ. وسيأتي لهذا الحديث زيادة تحقيق وبيان وما يتعلق به من أداء الصلاة في كل زمان في حديث النوّاس من الباب الآتي. **(رواه الترمذي)**.

٥٤٤٩ ـ **(وعن عبد الله بن حوالة)** بفتح الحاء المهملة وتخفيف الواو. قال المؤلف في فصل الصحابة: أزدي نزل الشام روى عنه جبير بن نفير وغيره. **(قال: بعثنا رسول الله ﷺ)** أي أرسلنا **(لنغنم)** أي لنأخذ الغنيمة **(على أقدامنا)** أي ماشين عليها وهو حال من الضمير في بعثنا، أي بعثنا رجالاً غير ركاب. **(فرجعنا)** أي سالمين مأمونين **(فلم نغنم شيئاً)** أي قصرنا مغمومين محزونين. **(وعرف الجهد)** بالفتح وفي نسخة صحيحة بالضم، ففي **القاموس**: الجهد الطاقة ويضم والمشقة. وقال ابن الملك: الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة. قلت: الظاهر أنهما لغتان لكل منهما، والمراد به هنا المشقة. وقد صرح شارح بالفتح واقتصر عليه السيد في أصله، أي وعرف مشقة ألم فقد الغنيمة. **(في وجوهنا)** أي فيما ظهر عليها من آثار الكآبة والحزن والخجلة والحياء. **(فقام)** أي خطيباً **(فينا)** أي لأجلنا أو فيما بيننا **(فقال: اللهم لا تكلهم)** من الوكول، أي لا تترك أمورهم. **(إليّ)** أي إلى أمري **(فأضعف عنهم)** بالنصب جواباً للنهي، والسبب في ذلك أن الإنسان خلق ضعيفاً وأن المخلوق من حيث هو عاجز عن نفسه فكيف عن غيره. ولذا ورد في الدعاء النبوي: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك، فإنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعورة وذنب وخطيئة وإني لا أثق إلا برحمتك»[2]. وقال تعالى: **﴿قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله﴾** [يونس ـ ٤٩]. وهذا هو التوحيد المبين بقوله: لا حول ولا قوّة ألا بالله. وقد ورد في حديث رواه ابن عدي

---

(١) في المخطوطة «يوماً».

الحديث رقم ٥٤٤٩: أخرجه أبو داود في السنن ٣/ ٤١. حديث رقم ٢٥٣٥.

(٢) أخرج شطر الأول البزار وتكلمته في المسند عند الإمام أحمد ٥/ ١٩١.

ولا تكلْهم إلى أنفسِهم فيعجزوا عنها، ولا تكلْهم إلى النَّاسِ فيستأثِروا عليهم» ثمّ وضعَ يدَه على رأسي، ثمّ قال: «يا ابنَ حَوالةَ! إذا رأيتَ الخلافة قد نزلت الأرضَ المقدّسةَ، فقد دنَتِ الزَّلازلُ والبلابلُ والأمورُ العِظامُ، والسَّاعةُ يومئذٍ أقربُ من النَّاسِ من يدي هذه إلى رأسِكَ». رواه أبو داود وإسناده حسن ورواه الحاكم في صحيحه الشيخ الجزري.

في الكامل أن إلياس والخضر عليهما [الصلاة] والسلام يلتقيان في كل عام بالموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوّة إلا بالله. ثم لما كان له القرب الإلهي قدم دفع وكولهم إليه أوّلاً، ثم قال: **(ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها)** بكسر الجيم وتفتح. ففي القاموس: عجز من باب ضرب وسمع. ثم في تأخير أنفسهم عن نفسه إلا نفس إيماء إلى قوله تعالى: ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾ [الأحزاب ـ ٦] . **(ولا تكلهم إلى الناس)** أي إلى الخلق. وإنما خص الناس لقرب الاستئناس **(فيستأثروا عليهم)** عدل عن قوله: فيعجزوا، لظهوره إلى قوله: فيستأثروا. إشعاراً بأنهم ما يكتفون بإظهار العجز، بل يتبادرون إلى أن يختاروا الجيد لأنفسهم والرديء لغيرهم. ففيه تعليم للأمة في شهود صنع الله والغيبة عما سواه حتى يكلوا أمورهم إليه ويعتمدوا في جميع حوائجهم عليه لأن من توكل على الله كفاه أمور دينه ودنياه، كما قال: ﴿**ومن يتوكل على الله فهو حسبه**﴾ [الطلاق ـ ٣]. قال الطيبي [رحمه الله]: المعنى لا تفوّض أمورهم إلي فأضعف عن كفاية مؤنتهم وسد خلتهم، ولا تفوضهم إلى أنفسهم فيعجزوا عن أنفسهم لكثرة شهواتها وشرورها، ولا تفوضهم إلى الناس فيختاروا أنفسهم على هؤلاء فيضيعوا، بل هم عبادك فافعل بهم ما يفعل السادة بالعبيد. **(ثم وضع يده على رأسي)** أي لحكمة ستأتي مع ما فيه من البركة، وهو يحتمل الاستمرار على ذلك المرام حتى فرغ من الكلام، ويحتمل أنه وضعها ثم رفعها. **(ثم قال: يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة)** أي خلافة النبوّة **(قد نزلت الأرض المقدسة)** أي من المدينة إلى أرض الشام كما وقعت في أمارة بني أمية **(فقد دنت)** أي قربت **(الزلازل)** أي وقوعها وهي مقدمات زلزلة الساعة التي هي شيء عظيم. وقد أخبر سبحانه أيضاً بقوله: ﴿**إذا زلزلت الأرض زلزالها**﴾ [الزلزلة ـ ١]. والزلزلة هي الحركة والزلزال مصدر. **(والبلابل)** جمع بلبلة. ففي النهاية: هي الهموم والأحزان، وبلبلة الصدر وسواسه. **(والأمور العظام)** أي من أشراط الساعة **(والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه)** أي الموضوعة على رأسك. **(إلى رأسك. رواه...)** كذا هنا بياض بالأصل والحق في الحاشية أبو داود وإسناده حسن، ورواه الحاكم في صحيحه جزري والحق في نسخة رواه أبو داود والحاكم[1].

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٢٥.

٥٤٥٠ ـ (١٤) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا اتخذَ الفيْءُ دِوَلاً، والأمانةُ مغنماً، والزكاةُ مَغرَماً، وتُعلِّمَ لغيرِ الدِّينِ، وأطاعَ الرجلُ امرأتَه، وعقَّ أُمَّه، وأدنى صديقَه، وأقصى أباهُ، وظهرتِ الأصواتُ في المساجدِ،

٥٤٥٠ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا اتخذ) بصيغة المجهول أي إذا أخذ (الفيء) أي الغنيمة (دولاً) بكسر الدال وفتح الواو ويضم أوّله جمع دولة بالضم والفتح، أي غلبة المداولة والمناولة. ففي القاموس: الدولة انقلاب الزمان والعقبة في المال، ويضم أو الضم فيه والفتح في الحرب أو هما سواء، أو الضم في الآخرة والفتح في الدنيا الجمع دول مثلثة. وفي شرح ابن الملك قال الأزهري: الدولة بالضم اسم لما يتناول من المال، يعني الفيء. وبالفتح الانتقال من حال البؤس والضر إلى حال السرور. قال التوربشتي [رحمه الله]: أي إذا كان الأغنياء وأصحاب المناصب يستأثرون بحقوق الفقراء، أو يكون المراد منه أن أموال الفيء تؤخذ غلبة وأثرة صنيع أهل الجاهلية وذوي العدوان. (والأمانة مغنماً) أي بأن يذهب الناس بودائع بعضهم وأماناتهم فيتخذونها كالمغانم يغتنمونها. (والزكاة مغرماً) أي بأن يشق عليهم أداؤها حتى تعد غرامة. (وتعلم) بصيغة المجهول من باب التفعل (لغير الدين) قال الطيبي [رحمه الله]: هو بالألف واللام كذا في جامع الترمذي وجامع الأصول. وفي نسخة المصابيح بغير اللام والأولى أولى، أي رواية ودراية أي يتعلمون العلم لطلب الجاه والمال لا للدين ونشر الأحكام بين المسلمين لإظهار دين الله. (وأطاع الرجل امرأته) أي فيما تأمره وتنهاه مخالف لأمر الله وهداه. (وعق أمه) أي خالفها فيما تأمره وتنهاه. وفي القرينتين إشعار بانقلاب الدهر لانعكاس الأمر، كما في قوله: (وأدنى صديقة وأقصى أباه) حيث قرب صديقه الأجنبي إليه وبعد أقرب الأقربين منه مع أنه أشفق الأشفقين عليه. هذا وقال ابن الملك: خص عقوق الأم بالذكر وإن كان عقوق كل من الأبوين معدوداً من الكبائر لتأكد حقها، أو لكون قوله: وأقصى أباه، بمنزلة: وعق أباه. فيكون عقوقهما مذكوراً. أقول: ففيه تفنن وتسجيع مع زيادة المبالغة في قوله: أقصى على قوله: عق. على أنه يفهم عقوق الأب من عقوق الأم بالأولى. وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: وأدنى صديقه وأقصى أباه. كلاهما قرينة لقوله: وأطاع الرجل امرأته وعق أمه. لكن المذموم في الأولى الجمع بينهما لأن إدناء الصديق محمود بخلاف الثانية، فإن الافراد والجمع بينهما مذمومان. أقول: فيه نظر لأن إطاعة المرأة والأم في المباح مندوبتان. وفي المعصية منهيتان. فالغرابة بينهما إنما هي في انعكاس القضية وانقلاب البلية وكذا في القرينتين الأوليين، إذ يتصوّر إدناء الصديق الصالح وإبعاد الأب الصالح. ويؤيد ما حررناه قوله: فرجح جانب الزوجة لأنها محل الشهوة على جانب الأم فإنها مرضاة الرب. وخص الأم بالذكر لزيادة حقها وتأكد مشقتها في تربيته فعقوقها أقبح من عقوق الأب. وأدنى صديقه أي قربه إلى نفسه للمؤانسة والمجالسة، وأقصى أباه أبعده ولم يستصحبه ولم يستأنس به. (وظهرت الأصوات) أي رفعها (في المساجد) وهذا مما كثر في هذا الزمان. وقد نص

الحديث رقم ٥٤٥٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٤٢٨ حديث رقم ٢٢١١.

وسادَ القبيلةَ فاسقُهم، وكانَ زعيمُ القومِ أرذلَهم، وأُكرِمَ الرَّجلُ مخافةَ شرِّه، وظهرت القَيْناتُ والمَعازِفُ، وشُرِبتِ الخمورُ، ولعنَ آخرُ هذه الأمّةِ أوّلَها؛

بعض علمائنا بأن رفع الصوت في المسجد ولو بالذكر حرام. **(وساد القبيلة)** وفي معناه البلد والمحلة **(فاسقهم)** وظالمهم بالأولى وقد كثر هذا أيضاً. والظاهر أن الكثرة هي العلامة وإلا فلم يكن يخلو زمان عن مثل هذه الأشياء وقد قال تعالى: **﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها﴾** [الأنعام - ١٢٣]. **(وكان زعيم القوم)** أي المتكفل بأمرهم **(أرذلهم)** أي أبخلهم أو أكثرهم رذالة في النسب والحسب. قال السيوطي: زعيم القوم رئيسهم. وفي القاموس: الزعيم الكفيل، وسيد القوم رئيسهم والمتكلم عنهم. ثم اعلم أن النسخ جميعها على رفع زعيم ونصب أرذلهم. وكان الظاهر أن يعكس، اللهم إلا أن يراد بالزعيم الكريم وبالأرذل الأحمق والأخمل وفي المال والجاه أقل. **(وأكرم الرجل)** أي عظم **(مخافة شره)** أي لا لسبب غيره من نحو رجاء خيره. **(وظهرت القينات)** بفتح القاف وسكون التحتية، أي الإماء المغنيات. **(والمعازف)** بفتح الميم وكسر الزاي، أي وظهرت آلات اللهو. **(وشربت)** بصيغة المجهول **(الخمور)** أي أنواع الخمر والمراد أنها تشرب شرباً ظاهراً. **(ولعن آخر هذه الأمة أولها)** فيه إشارة إلى أن هذه العلامة من خصوصيات هذه الأمة وأنها لم تقع في الأمم السابقة، وهي المناسبة أن تكون من أشراط الساعة. ويؤيده أنه لو قيل لليهود والنصارى من أفضل أهل ملتكم قالوا: أصحاب موسى وعيسى عليهما [الصلاة]والسلام. قال الطيبي [رحمه الله]: أي: وطعن الخلف في السلف وذكروهم بالسوء ولم يقتدوا بهم في الأعمال الصالحة فكأنه لعنهم. أقول: إذا كانت الحقيقة متحققة فما المحوج إلى العدول عنها إلى المعنى المجازي، وقد كثرت كثرة لا تخفى في العالم مع أن الله تعالى قال في حق الأولين: **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾** [التوبة - ١٠٠]. وقال: **﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾** [الفتح - ١٨]. والكتاب والسنة مشحونان بمناقبهم وفضائلهم وهم الذين نصروا نبيهم في اجتهاده وجاهدوا في الله حق جهاده فتحوا[1] بلاد الإسلام وحفظوا الأحكام وسائر العلوم من سيد الأنام وانتفعوا بهم علماء الأعلام ومشايخ الكرام، وقد علمنا الله في كتابه أن نقول في حقهم: **﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾** [الحشر - ١٠]. وقد ظهرت طائفة لاعنة ملعونة إما كافرة أو مجنونة حيث لم يكتفوا باللعن والطعن[2] في حقهم بل نسبوهم إلى الكفر بمجرد أوهامهم الفاسدة وأفهامهم الكاسدة من أن أبا بكر وعمر وعثمان [رضي الله تعالى عنهم]أخذوا الخلافة وهي حق علي بغير حق. والحال أن هذا باطل بالإجماع سلفاً وخلفاً ولا اعتبار بإنكار المنكرين، وأي دليل لهم من الكتاب والسنة يكون نصاً على خلافة علي. ثم من خالفه من بعض الصحابة في أيام خلافته أيضاً بناء على اختلاف اجتهاد فليس يستحق اللعن غايته أنه كان مخطئاً. ولو فرضنا أنه كان مسيئاً فلعله مات تائباً أو باقياً تحت المشيئة مع غالب رجاء المغفرة والشفاعة

(١) في المخطوطة «حفظوا». (٢) في المخطوطة «الطرد».

فارتقبوا عندَ ذلكَ ريحاً حمراءَ وزلزلةً وخسفاً ومسخاً، وقذفاً، وآياتٍ تتابَعُ كنِظامٍ قُطِعَ سِلكُه فتتابَعَ». رواه الترمذي.

٥٤٥١ ـ (١٥) وعن عَليٍّ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا فعلتْ أُمَّتي خمسَ عشرةَ خِصْلةً حلَّ بها البَلاءُ» وعدَّ هذه الخصالَ ولم يذكر «تُعلَّمَ لغيرِ الدِّينِ» قال:

ببركة الخدمة المتقدمة. وقد روى ابن عساكر عن علي كرم الله [تعالى]وجهه مرفوعاً: يكون لأصحابي زلة يغفرها الله لهم لسابقتهم معي. فنحن مع كثرة ذنوبنا من الصغائر والكبائر إذا كنا راجين رحمة ربنا وشفاعة نبينا ﷺ، فكيف بأكابر هذه الأمة وبأنصار هذه الملة. ومن العجيب أن طائفة الرافضة المرفوضة الباغضة المبغوضة أفسق الخلق وأظلمهم وأحمق العالمين وأجهلهم، فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس. هذا وقد قال ﷺ: لا تذكروا موتاكم إلا بخير[1]. وقال: إذا ذكر أصحابي فأمسكوا[2]. وقد أخرج ابن عساكر عن جابر مرفوعاً: حب أبي بكر وعمر من الإيمان وبغضهما كفر، وحب الأنصار من الإيمان وبغضهم كفر، وحب العرب من الإيمان وبغضهم كفر، ومن سب أصحابي فعليه لعنة الله، ومن حفظني فيهم فأنا أحفظه يوم القيامة[3]. (فارتقبوا) جواب إذا، والمعنى: فانتظروا. (عند ذلك) أي عند وجود ما ذكر (ريحاً حمراء) أي شديدة في الهواء (وزلزلة) أي حركة عظيمة للأرض (وخسفاً) أي ذهاباً في الأرض وغيبوبة فيها (ومسخاً) بتغيير الصور على طبق اختلاف تغير السير (وقذفاً) أي رمي حجارة من السماء (وآيات) أي علامات أخر لدنوّ القيامة وقرب الساعة (تتابع) بحذف إحدى التاءين، أي يتبع بعضها بعضاً. (كنظام) بكسر النون، أي عقد من نحو جوهر وخرز. (وقطع سلكه) بكسر السين أي انقطع خيطه. (فتتابع) أي ما فيه من الخرز وهو فعل ماض بخلاف الماضي فإنه حال أو استقبال. (رواه الترمذي) أي وقال: غريب. وروى أحمد والحاكم عن ابن عمر مرفوعاً: الآيات خرزات منظومات في سلك فانقطع السلك فيتبع بعضها بعضاً[4].

٥٤٥١ ـ (وعن علي رضي الله [تعالى]عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا فعلت أمتي خمس عشرة) بسكون الشين المعجمة ويكسر (خصلة) أي فعلة ذميمة (حل بها البلاء) أي نزل (وعد) أي وأحصى النبي ﷺ (هذه الخصال) أي الخمس عشرة (ولم يذكر) أي علي رضي الله عنه (تعلم لغير الدين) قال الطيبي [رحمه الله]: هذا كلام صاحب المصابيح، وذلك أن الترمذي ذكر الحديثين على الولاء وعد في كل واحد منهما الأعداد الخمسة عشر. (قال:) أي

---

(١) النسائي.

(٢) الطبراني في الكبير. ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٤٣ حديث رقم ٦١٥.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٢٢٣ حديث رقم ٣٦٦٨.

(٤) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٧٤ وأحمد في المسند ٢/ ٢١٩.

الحديث رقم ٥٤٥١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٢٨ حديث رقم ٢٢١٠.

«وبَرَّ صديقَه، وجَفا أباهُ» وقال: «وشُرْبَ الخمرُ، ولُبسَ الحريرُ». رواه الترمذي.

٥٤٥٢ ـ (١٦) وعن عبدِ الله بن مسعودٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهبُ الدنيا حتى يملِكَ العربَ رجلٌ من أهلِ بيتي، يُواطِئُ اسمُه اسمي». رواه الترمذي، وأبو داود. وفي رواية له: قال: «لوْ لم يبقَ منَ الدُّنيا إلاَّ يومٌ لطوَّلَ اللَّهُ ذلكَ اليومَ حتى

علي (**وبر صديقه**) أي بدل أدنى (**وجفا أباه**) بدل أقصى فهو اختلاف عبارة، وكذا قوله: (**وقال:**) أي علي (**وشرب الخمر**) أي بدل شربت الخمور بتغيير الفعل والفاعل (**ولبس**) بصيغة المجهول (**الحرير**) قال صاحب المختصر: هذا يدل من اللعن وهو غير صحيح لأن اللعن مذكور في حديث علي [رضي الله عنه]، فالصواب أنه بدل من تعلم لغير الدين. فتطابق العددان في الروايتين، فصح قول الطيبي أنه عد في كل واحد منهما الأعداد الخمسة عشر، وبطل قول صاحب المختصر أن المجموع خمسة عشر. وأما المذكور في الحديث السابق فستة عشر. اهـ. وها أنا أذكر لك مفصلاً ما ذكره المؤلف مجملاً بل مختصراً مخلاً مهملاً بقوله: (**رواه الترمذي**) ففي الجامع: إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء. إذا كان المغنم دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء أو خسفاً أو مسخاً[1]. رواه الترمذي عن علي [رضي الله عنه]، فأو هنا للتنويع والواو هناك للجمع وبه يحصل الجمع.

٥٤٥٢ ـ (**وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تذهب الدنيا**) أي لا تفنى ولا تنقضي (**حتى يملك العرب**) أي ومن تبعهم من أهل الإسلام فإن من أسلم فهو عربي. (**رجل من أهل بيتي يواطىء**) أي يوافق (**اسمه اسمي**) أي ويطابق رسمه رسمي فإنه محمد المهدي ويهديه ﷺ [للناس]يهدي. وقال الطيبي [رحمه الله]: لم يذكر العجم وهم مرادون أيضاً لأنه إذا ملك العرب واتفقت كلمتهم وكانوا يداً واحدة قهروا سائر الأمم. ويؤيد حديث أم سلمة بعيد هذا. اهـ. ويمكن أن يقال ذكر العرب لغلبتهم في زمنه أو لكونهم أشرف. أو هو من باب الاكتفاء. ومراده العرب والعجم كقوله تعالى: ﴿سرابيل تقيكم﴾ [النحل ـ ٨١]. أي والبرد، والأظهر أنه اقتصر على ذكر العرب لأنهم كلهم يطيعونه بخلاف العجم بمعنى ضد العرب، فإنه قد يقع منهم خلاف في إطاعته والله [تعالى]أعلم. (**رواه الترمذي وأبو داود**).

(**وفي رواية له**) أي لأبي داود (**قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى**

---

(١) الجامع الصغير ١/ ٥٣ حديث رقم ٧٧٤.

الحديث رقم ٥٤٥٢: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٧٣ حديث رقم ٤٢٨٢. والترمذي في السنن ٤/ ٤٣٨ حديث رقم ٢٢٣٠. وابن ماجه ٢/ ٩٢١ حديث رقم ٢٧٧٩. وأحمد في المسند ١/ ٣٧٦.

يبعث الله فيه رجلاً مني ـ أو من أهل بيتي ـ يواطىء اسمه اسمي واسمُ أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً».

(يبعث الله) أي يظهر (فيه) أي في ذلك اليوم (رجلاً) أي كاملاً (مني) أي من نسبي (أو من أهل بيتي) شك من الراوي. ولفظ الجامع: حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي. واختلف في أنه من بني الحسن أو من بني الحسين، ويمكن أن يكون جامعاً بين النسبتين الحسنين. والأظهر أنه من جهة الأب حسني ومن جانب الأم حسيني قياساً على ما وقع في ولدي إبراهيم وهما إسماعيل وإسحاق عليهم [الصلاة]والسلام، حيث كان أنبياء بني إسرائيل كلهم من بني إسحاق، وإنما نبيء من ذرية إسماعيل نبينا ﷺ وقام مقام الكل ونعم العوض وصار خاتم الأنبياء. فكذلك لما ظهرت أكثر الأئمة وأكابر الأمة من أولاد الحسين فناسب أن ينجبر الحسن بأن أعطى له ولد يكون خاتم الأولياء ويقوم مقام سائر الأصفياء، على أنه قد قيل: لما نزل الحسن رضي الله [تعالى]عنه عن الخلافة الصورية ورد في منقبته في الأحاديث النبوية [أعطي له][الواء]ولاية المرتبة القطبية، فالمناسب أن يكون من جملتها النسبة المهدوية المقارنة للنبوّة العيسوية واتفاقهما على إعلاء كلمة الملة النبوية على صاحبها ألوف السلام وألوف التحية. وسيأتي في حديث أبي إسحاق عن علي كرم الله تعالى وجهه ما هو صريح في هذا المعنى والله [تعالى]أعلم. (يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي) فيكون محمد بن عبد الله. فيه رد على الشيعة حيث يقولون المهدي الموعود هو القائم المنتظر وهو محمد بن الحسن العسكري (يملأ الأرض) استئناف مبين لحسبه كما أن ما قبله [مبين]لنسبه، أي يملأ وجه الأرض جميعاً أو أو]أرض العرب وما يتبعها والمراد أهلها. (قسطاً) بكسر أوّله، وتفسيره قوله: (وعدلاً) أتى بهما تأكيد وكذا الجمع في قوله: (كما ملئت) أي الأرض قبل ظهوره (ظلماً وجوراً) على أنه يمكن أن يغاير بينهما بأن يجعل الظلم هنا قاصراً لازماً والجور تعدياً متعدياً. وكذلك يحتمل أن يراد بالقسط إعطاء كل ذي حق حقه وبالعدل النصفة والحكم بميزان الشريعة وانتصار المظلوم وانتقامه من الظالم فيكون جامعاً لما قال تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل ـ ٩٠]. وقائماً بما قاله العلماء من أن الدين هو التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله وموصوفاً بوصف الكمال وهو إجراء كل من تجلي الجمال وتجلي الجلال في محله اللائق بكل حال من الأحوال. هذا ورواه أحمد وأبو داود عن علي رضي الله [تعالى]عنه مرفوعاً: لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله تعالى رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً. ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي يملك جبال الديلم والقسطنطينية. وفي القاموس: الديلم جيل معروف. ورواه الروياني عن حذيفة مرفوعاً: المهدي رجل من ولدي وجهه كالكوكب الدري.

٥٤٥٣ ـ (١٧) وعن أمّ سلمة، قالت: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «المهديّ من عترتي من أولادِ فاطمة». رواه أبو داود.

٥٤٥٤ ـ (١٨) وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «المهديُّ مني، أجلى الجبهة، أقنى

٥٤٥٣ ـ (وعن أم سلمة) رضي الله عنها وهي من أمهات المؤمنين (قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: المهدي من عترتي) قال بعض الشراح: العترة ولد الرجل من صلبه وقد تكون العترة الأقرباء أيضاً وهي العمومة. قلت: المعنيان لا يلائمان بيانه بقوله: (من أولاد فاطمة) [رضي الله تعالى عنها]. وفي النهاية: عترة الرجل أخص أقاربه، وعترة النبي ﷺ بنو عبد المطلب، وقيل قريش كلهم. والمشهور المعروف أنهم الذين حرمت عليهم الزكاة. أقول: المعنى الأوّل هو المناسب للمرام وهو لا ينافي أن يطلق على غيره بحسب ما يقتضيه المقام. وقيل عترته أهل بيته لخبر ورد. وقيل أزواجه وذريته، وقيل أهله وعشيرته الأقربون، وقيل نسله ورهطه الأدنون وعليه اقتصر الجوهري. قلت: وهو الذي ينبغي هنا أن عليه يقتصر ويختصر. (رواه أبو داود) وكذا ابن ماجه، ورواه الحاكم وصححه[١]. وأما ما رواه الدارقطني في الأفراد عن عثمان رضي الله [تعالى]عنه: «المهدي من ولد العباس عمي»[٢]. فمع ضعف إسناده محمول على المهدي الذي وجد من الخلفاء العباسية، أو يكون للمهدي الموعود أيضاً نسبة نسبية إلى العباسية فقد رواه أحمد وابن ماجه عن علي مرفوعاً: «المهدي من أهل البيت يصلحه الله في ليلة»[٣]. أي يصلح أمره، ويرفع قدره في ليلة واحدة أو في ساعة واحدة من الليل حيث يتفق على خلافته أهل الحل والعقد فيها.

٥٤٥٤ ـ (وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: المهدي مني) أي من نسلي وذريتي أو من عشيرتي وأهل بيتي (أجلى الجبهة) قال شارح: أي واسعها. وفي النهاية: خفيف الشعر ما بين النزعتين من الصدغين والذي انحسر الشعر عن جبهته، كذا ذكره الطيبي [رحمه الله تعالى]مختصراً. وفي النهاية: النزعتان من جانبي الرأس مما لا شعر عليه، والجلا مقصوراً انحسار مقدم الرأس من الشعر أو نصف الرأس، أو هو دون الصلع والنعت أجلي وجلواء وجبهة جلواء واسعة. فهذا يؤيد قول الشارح السابق وهو الموافق للمقام والمطابق. (أقنى

الحديث رقم ٥٤٥٣: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٧٤. حديث رقم ٤٢٨٤. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٦٨ حديث رقم ٤٠٨٦.

(١) لم أجده في فهارس المستدرك والله تعالى أعلم. لكن ذكره في الجامع أن راويه الحاكم، وأبو داود. وابن ماجه. ٢/ ٥٥٢ حديث رقم ٩٢٤١.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٥٢ حديث رقم ٩٢٤٢.

(٣) أحمد في المسند ١/ ٨٤ وابن ماجه في السنن الحديث رقم ٤٠٨٥.

الحديث رقم ٥٤٥٤: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٧٤ حديث رقم ٤٢٨٥. وأحمد في المسند ٣/ ١٧.

الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، يملكُ سبعَ سنين». رواه أبو داود.

٥٤٥٥ ـ (١٩) وعنه، عن النبي ﷺ في قصّة المهدي قال: «فيجيء إليه الرجلُ فيقول: يا مهدي! أعطني أعطني. قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله». رواه الترمذي.

٥٤٥٦ ـ (٢٠) وعن أمّ سلمةَ، عن النبي ﷺ، قال: «يكونُ اختلافٌ عند موتِ خليفةٍ، فيخرجُ رجلٌ من أهلِ المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه الناسُ من أهل مكة، فيخرجونه وهو كاره،

الأنف) أي مرتفعه كذا قال شارح. وفي النهاية: القنا في الأنف طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه. يقال: رجل أقنى وامرأة قنواء انتهى. ففي الكلام تجريد. والأرنبة طرف الأنف على ما في القاموس، والحدب الارتفاع وهو ضد الانخفاض. والمراد أنه لم يكن أفطس فإنه مكروه الهيئة. **(يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يملك سبع سنين)** وأما ما سيأتي من قول راو: أو ثمان سنين أو تسع سنين فهو شك منه، فيحتمل أن هذه الرواية مجزومة بالسبع ويؤيده ما سيأتي من رواية أبي داود أيضاً عن أم سلمة. ويحتمل أن تكون مشكوكة وطرح الشك ولم يذكره واكتفى باليقين والله [تعالى]أعلم. **(رواه أبو داود)** وصححه ابن العربي ورواه الحاكم في مستدركه.

٥٤٥٥ ـ **(وعنه)** أي عن أبي سعيد رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ في قصة المهدي قال: فيجيء [إليه]الرجل فيقول: يا مهدي أعطني أعطني)** التكرير للتأكيد. ويمكن أن يقول: أعطني مرة بعد أخرى لما تعود من كرمه وإحسانه. **(قال:)** أي النبي ﷺ **(فيجيء له في ثوبه ما استطاع أن يحمله)** لما رأى من حرصه على المال ومطالبته منه في كل الأحوال. فأغناه عن السؤال وخلص نفسه عن الملال. **(رواه الترمذي)**.

٥٤٥٦ ـ **(وعن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: يكون)** أي يقع **(اختلاف)** أي فيما بين أهل الحل والعقد **(عند موت خليفة)** أي حكمية وهي الحكومة السلطانية بالغلبة التسليطية. **(فيخرج رجل من أهل المدينة)** أي كراهية لأخذ منصب الأمارة أو خوفاً من الفتنة الواقعة فيها وهي المدينة المعطرة أو المدينة التي فيها الخليفة **(هارباً إلى مكة)** لأنها مأمن كل من التجأ إليها ومعبد كل من سكن فيها. قال الطيبي [رحمه الله]: وهو المهدي بدليل إيراد هذا الحديث أبو داود في باب المهدي. **(فيأتيه ناس من أهل مكة)** أي بعد ظهور أمره ومعرفة نور قدره. **(فيخرجونه)** أي من بيته **(وهو كاره)** إما بنية الإمارة وإما خشية الفتنة، والجملة حالية

الحديث رقم ٥٤٥٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٣٩ حديث رقم ٢٢٣٣. وابن ماجه ٢/ ١٣٦٧ حديث رقم ٤٠٨٣. وأحمد في المسند ٣/ ٢١.

الحديث رقم ٥٤٥٦: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٧٥ حديث رقم ٤٢٨٦. وأحمد في المسند ٦/ ٣١٦.

فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعثُ إليه بعثٌ من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكّة والمدينة، فإذا رأى الناسُ ذلك أتاه أبدال الشام، وعصائب أهل العراق،

معترضة. (فيبايعونه بين الركن) أي الركن الأسعد وهو الحجر الأسود (والمقام) أي مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ويقع ما بين زمزم أيضاً [شرفها الله]وهذا المثلث هو المسمى بالحطيم من الزمن القديم، وسمي به لأن من حلف فيه وحنث أو خالف العهد ونقض حطم أي كسر رقبته وقطع حجته وهلك دولته. (ويبعث إليه) بصيغة المجهول. أي يرسل إلى حربه وقتاله مع أنه من أولاد سيد الأنام وأقام في بلد الله الحرام (بعث من الشام) أي جيش من أهل الشام والملام (فيخسف بهم) أي كرامة للإمام (بالبيداء) بفتح الموحدة وسكون التحتية (بين مكة والمدينة) ولعل تقديم مكة لفضيلتها وتقدمها. قال التوربشتي [رحمه الله]: هي أرض ملساء بين الحرمين. وفي الحديث: «يخسف بالبيداء بين المسجدين». وليست بالبيداء التي أمام ذي الحليفة وهي شرف من الأرض. قلت: ولا بدع أن تكون هي إياها مع أنها المتبادر منها. ولعل الشيخ ظفر بنقل صريح أو بنى على أن طريق أهل الشام من قديم الأيام ليس على المدينة، ولهذا جعل ميقاتهم الجحفة لكنهم عدلوا عن طريقهم المشهورة ومالوا إلى دخول المدينة المطهرة لمصالح دينية ومنافع دنيوية، وأما إذا كان غرضهم محاربة المهدي فمن المعلوم أنهم [ما]يطولون على أنفسهم المسافة، بل يريدون المسابقة والمسارعة إلى المحاربة والمسايفة. (فإذا رأى الناس ذلك) أي ما ذكر من خرق العادة وما جعل للمهدي من العلامة (أتاه أبدال الشام) ونعم البدل من الكرام عن اللئام. وفي النهاية: أبدال الشام هم الأولياء والعباد الواحد بدل كجمل أو بدل كحمل، سموا بذلك لأنه كلما مات منهم واحد بدل بآخر. قال الجوهري: الأبدال قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم، إذا مات واحد أبدل الله مكانه بآخر. قال ابن دريد: واحده بديل. قلت: ويؤيده أنه يقال لهم بدلاء أيضاً فيكون نظير شريف وأشراف وشرفاء، ثم قيل إنهم سموا إبدالاً لأنهم قد يرتحلون إلى مكان ويقيمون في مكانهم الأول شبحاً آخر شبيهاً بشبحهم الأصلي بدلاً عنه. وفي القاموس: الأبدال قوم بهم يقيم الله عزّ وجلّ الأرض وهم سبعون أربعون بالشام وثلاثون في غيرها انتهى. والظاهر أن المراد بالشام جهته وما يليه من روائه لا بخصوص دمشق الشام والله [تعالى]أعلم بالمرام. ثم يحتمل أنهم سموا أبدالاً لأنهم أبدلوا الأخلاق الدنية بالشمائل الرضية أو لأنهم ممن بدل الله سيئاتهم حسنات. وقال القطب الحقاني الشيخ عبد القادر الجيلاني: إنما سموا أبدالاً لأنهم فنوا عن إراداتهم فبدلت بإرادة الحق عزّ وجلّ، فيريدون بإرادة الحق أبداً إلى الوفاة فذنوب هؤلاء السادة أن يشركوا إرادة الحق بإراداتهم على وجه السهو والنسيان وغلبة الحال والدهشة فيدركهم الله تعالى برحمته باليقظة والتذكرة فيرجعون عن ذلك ويستغفرون ربهم عزّ وجلّ. أقول: ولعل العارف ابن الفارض أشار إلى هذا المعنى في قوله:

ولو خطرت لي في سواك إرادة ... على خاطري سهواً حكمت بردتي

فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وقد علم كل أناس مشربهم من ماء معين والله المعين. (وعصائب أهل العراق) أي خيارهم من قولهم عصبة القوم خيارهم. ولعله من قوله

فيبايعونه، ثم ينشأ رجلٌ من قريش، أخواله كلبٌ، فيبعث إليهم بعثاً، فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب، ويعمل في الناس بسنّة نبيّهم، ويلقي الإسلام بجرانه في الأرض، فيلبث سبع سنين، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون». رواه أبو داود.

تعالى: ﴿ونحن عصبة﴾ [يوسف - ٨]. أو طوائفهم فإن العصابة تأتي بمعنى الجماعة بتعصب بعضهم لبعض وشد بعضهم ظهر بعض وتعضده. وفي النهاية: العصائب جمع عصابة وهي الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين ولا واحد لها من لفظها. ومنه حديث علي رضي الله [تعالى]عنه: الأبدال بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق. أراد أن التجمع للحروب يكون بالعراق. وقيل: أراد جماعة من الزهاد سماهم بالعصائب لأنه قرنهم بالأبدال والنجباء. ذكر أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء بإسناده عن ابن عمر رضي الله [تعالى]عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: خيار أمتي في كل قرن خمسمائة، والأبدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون، كلما مات رجل أبدل الله عزّ وجلّ من الخمسمائة مكانه وأدخل في الأربعين، وكأنهم قالوا: يا رسول الله دلنا على أعمالهم. قال: يعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم ويتواسون فيما آتاهم الله عزّ وجلّ[1]. وبإسناده أيضاً عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عزّ وجلّ في الخلق سبعة. وساق الحديث إلى قوله: فبهم يحيي ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء. قيل لعبد الله بن مسعود: كيف بهم يحيي ويميت. قال: لأنهم يسألون الله عزّ وجلّ إكثار الأمم فيكثرون ويدعون على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون ويسألون فتنبت لهم الأرض ويدعون فيدفع بهم أنواع البلاء[2]. انتهى. والمعنى أن الأبدال والعصائب يأتون المهدي. (فيبايعونه ثم ينشأ) أي يظهر (رجل من قريش) هذا هو القوي الذي يخالف المهدي. (أخواله كلب) وهم قبيلة فتكون أمه كلبية. وفيه إشارة حقية وبشارة جلية وتفاؤل بغلبة ذرية خير البرية. قال التوربشتي رحمه الله: يريد أم القرشي تكون كلبية فينازع المهدي في أمره ويستعين عليه بأخواله من بني كلب. (فيبعث) أي الكلبي (إليهم) أي إلى المبايعين للمهدي (بعثاً) أي جيشاً (فيظهرون عليهم) أي فيغلب المبايعون على البعث الذي بعثه الكلبي (وذلك) أي البعث (بعث كلب) أي جيش كلب باعثه هو نفس الكلبي. (ويعمل) أي المهدي في الناس (بسنة نبيهم) أي شريعته (ويلقي) بضم أوله، أي يرمي ويرخي. (الإسلام) أي المشبه بالبعير المنقاد للأنام (بجرانه) بكسر الجيم فراء ونون وهو مقدم عنقه أي بكماله. ففيه مجاز التعبير عن الكل بالجزء كإطلاق الرقبة على المملوك. وفي النهاية: الجران باطن العنق. ومنه الحديث «أن ناقته ﷺ وضعت جرانها». وحديث عائشة رضي الله [تعالى] عنها. حتى ضرب الحق بجرانه، أي قرّ الإسلام واستقر قراره واستقام، كما أن البعير إذا برك واستراح مد عنقه على الأرض. قيل: ضرب الجران مثل للإسلام إذا استقر قراره فلم يكن فتنة وجرت أحكامه على السنة والاستقامة والعدل. (فيلبث) بفتح الباء والموحدة، أي المهدي بعد ظهوره. (سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون. رواه أبو داود) قال الحافظ السيوطي

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٨.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٨.

....

[رحمه الله] في تعليقه على أبي داود: لم يرد في الكتب الستة ذكر الأبدال إلا في هذا الحديث عند أبي داود، وقد أخرجه الحاكم وصححه. وقال الشيخ زكريا [رحمه الله] في رسالته المشتملة على تعريف غالب ألفاظ الصوفية القطب ويقال له الغوث هو الواحد الذي هو محل نظر الله تعالى من العالم في كل زمان، أي نظراً خاصاً يترتب عليه إفاضة الفيض واستفاضته فهو الواسطة في ذلك بين الله [تعالى] وبين عباده فيقسم الفيض المحتوي على أهل بلاده بحسب تقديره ومراده. ثم قال: الأوتاد أربعة منازلهم على منازل الأركان من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب مقام كل منهم مقام تلك الجهة. قلت: فهم الأقطاب في الأقطار يأخذون الفيض من قطب الأقطاب المسمى بالغوث الأعظم فهم بمنزلة الوزراء تحت حكم الوزير الأعظم، فإذا مات القطب الأفخم أبدل من هذه الأربعة أحد بدله غالباً. ثم قال: الأبدال قوم صالحون لا تخلو الدنيا منهم إذا مات واحد منهم أبدل الله مكانه آخر وهم سبعة. قلت: الأبدال اللغوي صادق على رجال الغيب جميعاً. وقد سبق للبدل معنى آخر فالأولى حمله عليه، ولعلهم خصوا بذلك لكثرتهم ولحصول كثرة البدل فيهم لغلبتهم فإنهم أربعون على ما في الحديث السابق، أو سبعون على ما ذكره صاحب القاموس. فقوله: وهم سبعة وهم. ثم قال النقباء: هم الذين استخرجوا خبايا النفوس وهم ثلثمائة. أقول: لعله أخذ هذا المعنى من النقب بمعنى الثقب. والأظهر أن النقباء جمع نقيب وهو شاهد القوم وضمينهم وعريفهم على ما في القاموس، ومنه قوله تعالى: ﴿**وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً**﴾ [المائدة - ١٢] . أي شاهداً من كل سبط ينقب عن أحوال قومه ويفتش عنها، أو كفيلاً يكفل عليهم بالوفاء بما أمروا به وعاهدوا عليه على ما في البيضاوي. والظاهر أنهم خمسمائة على ما سبق في الحديث. ثم قال النجباء: هم المشتغلون بحمل أثقال الخلق وهم أربعون. أقول: كأنه أخذ هذا المعنى من اللغة. ففي القاموس: ناقة نجيب ونجيبة وجمعه نجائب، والأنسب ما ذكر فيه أيضاً من أن النجيب الكريم والجمع نجباء والمنتجب المختار ونجائب القرآن أفضله. هذا وقد أخرج ابن عساكر عن ابن مسعود مرفوعاً: إن لله تعالى ثلاثمائة نفس قلوبهم على قلب آدم عليه [الصلاة و] السلام، وله أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه [الصلاة و] السلام وله سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم عليه [الصلاة و] السلام، وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه [الصلاة و] السلام وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه [الصلاة و] السلام، وله واحد قلبه على قلب إسرافيل عليه [الصلاة و] السلام، كلما مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وكلما مات واحد من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وكلما مات من الخمسة واحد أبدل الله مكانه من السبعة، وكلما مات واحد من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين، وكلما مات واحد من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة، وكلما مات واحد من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة، بهم يدفع الله تعالى البلاء عن هذه الأمة. انتهى. وأرجو من الله تعالى وحسن فضله وكرمه وعموم جوده أنه إذا وقع محلولاً من هذه المناصب العلية [أن]يجعلني منصوباً على طريق البدلية ولو من مرتبة العامة إلى أدنى مرتبة الخاصة، ويتم علي هذه النعمة مع الزيادة إلى حسن الخاتمة. ثم

....

في الحديث دلالة على ما ذكرنا من الاحتمال أن الأبدال لا تكون من خواص الأبدال، بل تعم الرجال من أرباب الأحوال. وفيه تنبيه نبيه على أنه لم يذكر أن أحداً يكون على قلب النبي ﷺ، إذ لم يخلق الله في عالمي الخلق والأمر أشرف وألطف من قلبه الأكرم ﷺ. وفيه أيضاً ما يشعر بظاهره بتفضيل خواص الملك على خواص البشر، وكذا تفضيل إسرافيل وميكائيل على جبرائيل والجمهور على خلاف ذلك والله [تعالى] أعلم. هذا وقال العارف الصمداني الشيخ علاء الدولة السمناني في العروة الوثقى: أن الأبدال من بدلاء السبعة، كما أخبر عنه النبي ﷺ فقال: هو من السبعة وسيدهم. أقول: لا بد من ثبوت هذا من ثقات وسندهم. قال: وكان القطب في زمان النبي ﷺ عم أويس القرني عصام، فحري أن يقول: إني لأجد نفس الرحمٰن من قبل اليمن. وهو مظهر خاص للتجلي الرحماني كما كان النبي ﷺ مظهراً خاصاً للتجلي الإلهي المخصوص باسم الذات وهو الله. قلت: هذا يفيد مؤيداً لما سبق من أن أحداً لم يشاركه ﷺ في مقامه الأعظم، لكن في كون القطبية لعصام وهو غير معروف في أنه من الصحابة أو التابعين بخلاف أويس، فإنه مشهور وقد ورد في حقه أنه سيد التابعين إشكالاً عظيماً، فإنه كيف يكون له القطبية الكبرى مع وجود الخلفاء الأربعة وسائر فضلاء الصحابة الذين هم أفضل الناس بعد الأنبياء بالإجماع. وأيضاً فقد قال اليافعي رحمه الله: وقد سترت أحوال القطب وهو الغوث عن العامة والخاصة غيرة من الحق عليه لكني أقول: الظاهر أن هذا غالبي لثبوت القطبية للسيد عبد القادر [رحمه الله] بلا نزاع، ثم اعلم أن كثيراً من الناس ادعوا أنه المهدي فمنهم من أراد المعنى اللغوي فلا إشكال ومنهم من ادعى باطلاً وزوراً واجتمع عليه جمع من الأوباش، وأراد الفساد في البلاد فقتل واستراح منه العباد. ومنهم من رأى واقعة الحال فحملها شيخه على الآفاق، وكان حقه أن يحملها على الأنفس لئلا يحصل الاختلال وهو رئيس النور بخشية أحد مشايخ الكبروية. وقد ظهر في البلاد الهندية جماعة تسمى المهدوية ولهم رياضات عملية وكشوفات سفلية وجهالات ظاهرية من جملتها أنهم يعتقدون أن المهدي الموعود هو شيخهم الذي ظهر ومات ودفن في بعض بلاد خراسان وليس يظهر غيره مهدي في الوجود. ومن ضلالتهم أنهم يعتقدون أن من لم يكن على هذه العقيدة فهو كافر. وقد جمع شيخنا العارف بالله الولي الشيخ علي المتقي [رحمه الله] رسالة جامعة في علامات المهدي منتخبة من رسائل السيوطي [رحمه الله] واستفتى من علماء عصره الموجودين في مكة من المذاهب الأربعة وقد أفتوا بوجوب قتلهم على من يقدر من ولاة الأمر عليهم، وكذا معتقد الطائفة الشيعية من الإمامية أن المهدي الموعود هو محمد بن حسن العسكري وأنه لم يمت، بل هو مختف عن أعين الناس من العوام والأعيان وأنه إمام الزمان وأنه سيظهر في وقته ويحكم في دولته وهو مردود عند أهل السنة والجماعة والأدلة مستوفاة في الكتب الكلامية. وقد صرح في العروة الوثقى بأن محمد بن الحسن العسكري إذا اختفى دخل في دائرة الأبدال أولاً وبقي فيهم حتى لم يبق منهم أحد فصار سيد الأبدال ثم دخل في دائرة الأبطال، يعني دائرة الأربعين وبقي فيهم حتى لم يبق منهم أحد فصار سيد الأبطال ثم دخل في

٥٤٥٧ ـ (٢١) وعن أبي سعيد، قال: ذكرَ رسول الله ﷺ: «بلاءٌ يصيبُ هذه الأمةَ، حتى لا يجدَ الرجلُ ملجأً يلجأُ إليه منَ الظلم، فيبعثُ اللَّهُ رجلاً من عترتي وأهلِ بيتي، فيملأُ به الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكنُ السماء وساكنُ الأرض، لا تدع السماءُ من قطرها شيئاً إلا صبَّته مدراراً،

دائرة السياح وهم السبعة وبقي فيهم حتى لم يبق منهم أحد فصار سيد السياح ثم دخل في دائرة الأوتاد وهم الخمسة وبقي فيهم حتى لم يبق منهم أحد فصار سيد الأوتاد ثم دخل في دائرة الأفذاذ وهم الثلاثة وبقي فيهم حتى لم يبق منهم أحد فصار سيد الأفذاذ، ثم جلس على الأريكة القطبية بعد أن توفى الله علي بن الحسن البغدادي القطب إليه وأنه دفن في بغداد في الشونيز بروح وريحان وبقي في المرتبة القطبية تسع عشرة سنة، ثم توفاه الله إليه بروح وريحان انتهى. وقد نقل مولانا عبد الرحمٰن الجامي قدس الله سره السامي هذا عنه في بعض كتبه واعتمد عليه في اعتقاده. لكن لا يخفى أن الشيخ علاء الدولة ظهر بعد محمد بن الحسن العسكري بزمان كثير ولم يسند هذا القول إلى من كان في ذلك الوقت. والظاهر أنه يدعي هذا من طريق الكشف وكذا لا يمكن من غيره أيضاً إلا كذلك. ولا يخفى أن مبنى الاعتقاد لا يكون إلا على الأدلة اليقينية. ومثل هذا المعنى الذي أساسه على ذلك المبنى لا يصلح أن يكون من الأدلة الظنية ولذا لم يعتبر أحد من الفقهاء جواز العمل في الفروع الفقهية بما يظهر للصوفية من الأمور الكشفية أو من الحالات المنامية ولو كانت منسوبة إلى الحضرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية. لكن الأحاديث الواردة في أحوال المهدي مما جمعه السيوطي [رحمه الله] وغيره ترد على الشيعة في اعتقاداتهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة، بل جعلوا تمام إيمانهم وبناء إسلامهم وأركان أحكامهم بأن محمد بن الحسن العسكري هو الحي القائم المنتظر وهو المهدي الموعود على لسان صاحب المقام المحمود والحوض المورود.

٥٤٥٧ ـ **(وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله بلاء)** أي عظيماً **(يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ)** أي ملاذاً **(يلجأ إليه)** أي يعوذ ويلوذ به **(من الظلم)** أي بلاء ناشئاً من الظلم العام **(فيبعث الله رجلاً)** أي كاملاً عادلاً عالماً عاملاً وهو المهدي **(من عترتي)** أي أقاربي **(وأهل بيتي)** أي من أخصهم **(فيملأ)** أي الله **(به)** أي بسبب وجود ذلك الرجل **(الأرض)** أي جميعها. وفي نسخة ضعيفة تملأ بالتأنيث مجهولاً، فالأرض مرفوع. **(قسطاً وعدلاً)** تمييز من النسبة **(كما ملئت)** أي بغيره **(ظلماً وجوراً يرضى عنه ساكن السماء)** أي جنسه من الملائكة وأرواح الأنبياء عليهم [الصلاة]والسلام **(وساكن الأرض)** أي من المؤمنين أو حتى الدواب في البر والحيتان في البحر كما سبق في فضل العلماء. والجملة استئناف بيان كقوله: **(لا تدع السماء)** أي لا تترك في زمانه **(من قطرها شيئاً)** أي من أقطار أمطارها **(إلا صبته)** أي كبته **(مدراراً)** في الفائق: المدرار الكثير الدر ومفعال مما يستوي فيه

الحديث رقم ٥٤٥٧: أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٧. والحاكم في المستدرك ٤/ ٢٦٥.

ولا تدع الأرضُ من نباتها شيئاً إلاّ أخرجته حتى يتمنى الأحياءُ الأمواتَ، يعيشُ في ذلك سبعَ سنين أو ثمانَ سنين أو تسع سنين». رواه الحاكم.

٥٤٥٨ ـ (٢٢) وعن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرجُ رجلٌ من وراء النهرِ يقال له: الحارث، حرَّاث، على مقدمته رجل يقال له: منصور، يُوَطِّن أو يمكن لآل محمّد كما مكَّنتْ قريشٌ لرسول الله ﷺ،

المذكر والمؤنث كقولهم: امرأة معطار ومطفال، وهو منصوب على الحال من السماء أي من فاعل صبه. (ولا تدع الأرض من نباتها) أي من أنواع نباتاتها وأصنافها (شيئاً إلا أخرجته) أي أنبته وأظهرته (حتى يتمنى الأحياء) بفتح الهمزة جمع الحي مرفوع. وأخطأ من كسر الهمزة ونصبه. (الأموات) بالنصب ومن عكس الترتيب لم يصب. قال التوربشتي [رحمه الله]: الأحياء رفع بالفاعلية وفي الكلام حذف، أي يتمنون حياة الأموات أو كونهم أحياء. وإنما يتمنون ليروا ما هم فيه من الخير والأمن ويشاركوهم فيه. ومن زعم فيه الإحياء بالنصب من باب الإفعال وفاعل التمني الأموات فقد أحال. (يعيش) أي المهدي (في ذلك) أي فيما ذكر من العدل وأنواع الخير (سبع سنين) وهو مجزوم به في أكثر الروايات (أو ثمان سنين) شك من الراوي. وكذا قوله: (أو تسع سنين. رواه) ترك هنا بياضاً في الأصل. وألحق به رواه الحاكم في مستدركه وقال: صحيح. لكن نقل الجزري أن الذهبي قال: إسناده مظلم.

٥٤٥٨ ـ (وعن علي رضي الله [تعالى]عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج رجل) أي صالح (من وراء النهر) أي مما وراءه من البلدان كبخارى وسمرقند ونحوهما (يقال له: الحارث) اسم له. وقوله: (حراث) بتشديد الراء صفة له، أي زراع (على مقدمته) أي مقدمة جيشه (رجل يقال له: منصور) اسم له أو صفة. وقيل: المراد به أبو منصور الماتريدي وهو إمام جليل مشهور وعليه مدار أصول الحنفية في العقائد الحنيفية. لكن إيراد الحديث في هذا الباب غير ملائم له، ومع لا يمنع من الاحتمال والله [تعالى]أعلم بالحال مع أن عنوان الباب أشراط الساعة وهو أعم من المهدي وغيره. ونقل عن خواجه عبيد الله السمرقندي النقشبندي [رحمه الله]أنه قال: المنصور هو الخضر، ومثل هذا لم يصدر عنه إلا بنقل. قال: أو كشف حال. (يوطن) أي يقرر ويثبت الأمر. وأصل التوطين جعل الوطن لأحد. (أو يمكن) شك من الراوي ومنه قوله تعالى: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾ [الحج ـ ٤١]. أو هي بمعنى الواو، أي يهيىء الأسباب بأمواله وخزائنه وسلاحه ويمكن أمر الخلافة ويقويها ويساعدها بعسكره. (لآل محمد) أي لذريته وأهل بيته عموماً وللمهدي خصوصاً أو الآل مقحم. والمعنى لمحمد المهدي (كما مكنت قريش) أي كتمكينهم (لرسول الله ﷺ) والمراد من آمن منهم ودخل في التمكين أبو طالب أيضاً وإن لم يؤمن عند أهل السنة. وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: يمكن لآل محمد، أي في الأرض كقوله تعالى: ﴿مكناهم في

الحديث رقم ٥٤٥٨: أخرجه أبو داود في المسند ٤/ ٤٧٧ حديث رقم ٤٢٩٠.

وجب على كل مؤمن نصره ـ أو قال: إجابته ـ». رواه أبو داود.

٥٤٥٩ ـ (٢٣) وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تقومُ الساعةُ حتى تُكلِمَ السباعُ الإنس، وحتى تكلم الرجلَ عذبة سوطه، وشِراكُ نعله، ويُخبِرُه فخذُه بما أحدثَ أهلُهُ بعده». رواه الترمذي.

الأرض ما لم نمكن لكم ﴾ [الأنعام ـ ٦]. أي جعل له في الأرض مكاناً وأما مكانته في الأرض فاثبته فيها ومعناه جعلهم في الأرض ذوي بسطة في الأموال ونصرة على الأعداء. وأراد بقوله: كما مكنت لرسول الله ﷺ قريش آخر أمرها. فإن قريشاً وإن أخرجوا النبي ﷺ أولاً من مكة لكن بقاياهم وأولادهم أسلموا ومكنوا محمد ﷺ وأصحابه في حياته وبعد مماته انتهى. ولا يخفى أن المراد بالتمكين في الآية غير التمكين في الحديث، مع أن المراد من تمكين المشبه تمكينه في أوّل أمره فلا يحسن حمل المشبه به على آخر أمره. ثم قوله: أخرجوا ليس على ظاهره الموهم لإهانته ﷺ ولذا قيل بكفر من أطلق هذا القول. وتأويله أنهم تسببوا لخروجه بالهجرة إلى مكان أنصاره من المدينة المعطرة. فقوله تعالى: ﴿**وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك** ﴾ [محمد ـ ١٣]. على حذف المضاف وإجراء أحكامه على المضاف إليه والإخراج باعتبار السبب على ما صرح به البيضاوي [رحمه الله]وغيره. (**وجب على كل مؤمن نصره**) أي نصر الحارث وهو الظاهر أو نصر المنصور وهو الأبلغ أو نصر من ذكر منهما، أو نصر المهدي بقرينة المقام إذ وجود نصرهما على أهل بلادهما ومن يمران به لكونهما من أنصار المهدي. (**أو قال: إجابته**) شك من الراوي. والمعنى قبول دعوته والقيام بنصرته (**رواه أبو داود**) أي في باب المهدي بناء على المعنى المتبادر أو لما قام عنده من الدليل الظاهر. قال السيد: وفيه انقطاع.

٥٤٥٩ ـ (**وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع**) أي سباع الوحش كالأسد أو سباع الطير كالبازي، ولا منع من الجمع. (**الإنس**) أي جنس الإنسان من المؤمن والكافر (**وحتى تكلم الرجل**) في تقديم المفعول هنا تفنن في العبارة وبيان جواز في الاستعمال مع أنه يجب تأخير الفاعل في مثل هذا الحال. (**عذبة سوطه**) بفتح العين المهملة والذال المعجمة أي طرفه على ما في القاموس وغيره. وقال شارح: أي رأس سوطه وهي قد تكون في طرفه يساق به الفرس من عذب الماء إذا طاب وساغ في الحلق إذ بها يطيب سير الفرس ويستريح راكبه. وقيل: من العذاب إذ بها يجلد الفرس ويعذب فيرتاض ويهذب به أهله بعده. (**وشراك نعله ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده: رواه الترمذي**) وكذا الحاكم وصححه[1].

الحديث رقم ٥٤٥٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٤١٣ حديث رقم ٢١٨١. وأحمد في المسند ٣/ ٨٤.

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٦٧.

الفصل الثالث

٥٤٦٠ ـ (٢٤) عن أبي قتادة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيات بعد المائتين». رواه ابن ماجه.

٥٤٦١ ـ (٢٥) وعن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الراياتِ السُّودَ قدْ جاءتْ من قِبَلِ خُراسان فأتوها فإنَّ فيها خليفةَ الله المهدي».

(الفصل الثالث)

٥٤٦٠ ـ (عن أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: الآيات) أي آيات الساعة وعلامات القيامة تظهر باعتبار ابتدائها ظهوراً كاملاً (بعد المائتين) أي من الهجرة أو من دولة الإسلام أو من وفاة النبي ﷺ. ويحتمل أن يكون اللام في المائتين للعهد، أي بعد المائتين بعد الألف وهو وقت ظهور المهدي وخروج الدجال ونزول عيسى عليه [الصلاة]والسلام وتتابع الآيات من طلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض وظهور يأجوج ومأجوج وأمثالها. قال الطيبي: الآيات بعد المائتين مبتدأ وخبر أي تتابع الآيات، وظهور أشراط الساعة على التتابع والتوالي بعد المائتين ويؤيده قوله في الحديث السابق: «وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع». والظاهر اعتبار المائتين بعد الإخبار انتهى. ولا يخفى عدم ظهوره على ذوي النهي. (رواه ابن ماجه) وكذا الحاكم في مستدركه[1].

٥٤٦١ ـ (وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم) المقصود منه الخطاب العام، أي إذا أبصرتم. (الرايات) أي الأعلام (السود) ويحتمل أن يكون السواد كناية عن كثرة عساكر المسلمين من قبل خراسان. الظاهر أنهم عسكر الحرث والمنصور. (فأتوها) أي فاتوا الرايات واستقبلوا أهلها واقبلوا أمر أميرها. (فإن فيها خليفة الله المهدي) أي نصرته وأجابته فلا ينافي أن ابتداء ظهور المهدي إنما يكون في الحرمين الشريفين. ثم دل ظاهره على جواز أن يقال: فلان خليفة الله إذا كان على طريق الحق وسبيل العدل، وقد سبق منعه. لكن قد يؤول بأن المراد منه أنه منصوب من الله خليفة لأنبيائه فيصح أن يكون المنصوب هو

الحديث رقم ٥٤٦٠: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٤٨. حديث رقم ٤٠٥٧.

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٢٨.

الحديث رقم ٥٤٦١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٦٠ حديث رقم ٢٢٦٩. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٦٧ حديث رقم ٤٠٨٤. والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٥١٦.

رواه أحمد، والبيهقي في «دلائل النبوّة».

٥٤٦٢ ـ (٢٦) وعن أبي إسحاق، قال: قال عليّ ونظر إلى ابنه الحسن قال: إنَّ ابني هذا سيّدٌ كما سماه رسول الله ﷺ، وسيخرج من صُلبه رجلٌ يسمى باسم نبيّكم، يُشبهه في الخُلق، ولا يشبهه في الخَلق، ـ ثم ذكر قصة ـ يملأ الأرض عدلاً. رواه أبو داود ولم يذكر القصة.

المنسوب. ونظيره قوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء ـ ٨٠]. (رواه أحمد) أي في مسنده (والبيهقي في دلائل النبوّة) وكذا الحاكم في مستدركه[١]

٥٤٦٢ ـ (وعن أبي إسحاق) الظاهر أن المراد به أبو إسحاق السبيعي الهمداني الكوفي. قال المؤلف: رأى علياً وابن عباس وغيرهما من الصحابة وسمع البراء بن عازب وزيد بن أرقم، وروى عنه الأعمش وشعبة والثوري وهو تابعي مشهور كثير الرواية. ولد لسنتين من خلافة عثمان ومات سنة تسع وعشرين ومائة. (قال: قال علي [رضي الله تعالى عنه]) أي موقوفاً (ونظر إلى ابنه الحسن قال:) الجملة حال معترضة بين القول ومقوله، وأتى بقوله: قال، أما تأكيد للمبالغة أو لتوهم الاطالة. (أن ابني هذا) إشارة إلى تخصيص الحسن لئلا يتوهم أن المراد هو الحسين أو الجنس. (سيد كما سماه رسول الله ﷺ) أي بقوله على ما سيأتي في المناقب: أن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين. (وسيخرج من صلبه) أي من ذريته (رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق) بضم الخاء واللام وتسكن (ولا يشبهه في الخلق) أي في جميعه إذ سبق بعض نعته الموافق لخلقه ﷺ. (ثم ذكر قصة يملأ الأرض عدلاً) بالإضافة ودونها. فهذا الحديث دليل صريح على ما قدمناه من أن المهدي من أولاد الحسن ويكون له انتساب من جهة الأم إلى الحسين جمعاً بين الأدلة، وبه يبطل قول الشيعة أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري القائم المنتظر فإنه حسيني بالاتفاق. لا يقال لعل علياً [رضي الله تعالى عنه]أراد به غير المهدي، فإنا نقول يبطله قصة: يملأ الأرض عدلاً، إذ لا يعرف في السادات الحسينية ولا الحسنية من ملأ الأرض عدلاً إلا ما ثبت في حق المهدي الموعود. (رواه أبو داود ولم يذكر القصة) هذا أعني ولم يذكر القصة كلام جامع الأصول نقله عنه صاحب المشكاة، وهذا معنى كلام الطيبي [رحمه الله]قوله: لم يذكر القصة التعريف فيه للعهد. وهذا كلام جامع الأصول وليس في سنن أبي داود. ثم اعلم أن حديث: «لا مهدي إلا عيسى ابن مريم». ضعيف باتفاق المحدثين كما صرح به الجزري على أنه من باب: لا فتى إلا علي. قال الطيبي[٢] [رحمه الله]: الأحاديث عنه ﷺ في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث، فالحكم لها دونه. قال: ويحتمل معناه لا مهدي كاملاً معصوماً إلا عيسى عليه السلام انتهى. وأخرج

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٥١٢.

الحديث رقم ٥٤٦٢: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٧٧ حديث رقم ٤٢٩٠.

(٢) في المخطوطة «القرطبي».

٥٤٦٣ ـ (٢٧) وعن جابر بن عبد الله، قال: فقد الجراد في سنة من سني عمر التي توفي فيها فاهتم بذلك همّاً شديداً، فبعث إلى اليمن راكباً، وراكباً إلى العراق، وراكباً إلى الشام، يسأل عن الجراد، هل أري منه شيئاً، فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة فنثرها بين يديه، فلما رآها عمر كبَّر، وقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عزَّ وَجلَّ خلق ألف أمةٍ، ستُّمائةٍ منها في البحر، وأربعمائةٍ في البر، فإن أوّل هلاك هذه الأمة الجراد، فإذا هلك الجراد تتابعت الأمم كنظام السلك». رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

الدارقطني في سننه عن محمد بن علي قال: إن لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق الله السموات والأرض ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان وتنكسف الشمس في النصف منه[1]. كذا في العرف الوردي في أخبار المهدي للجلال السيوطي [رحمه الله].

٥٤٦٣ ـ **(وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: فقد الجراد)** أي عدم **(في سنة)** أي عام **(من سني عمر)** أي من أيام خلافته **(التي توفي فيها)** صفة لسنة **(فاهتم)** أي اغتم عمر **(بذلك)** أي بفقده **(هماً شديداً)** أي خوفاً من هلاك سائر الأمم لما سيأتي **(فبعث إلى اليمن راكباً وراكباً إلى العراق)** وهو المشرق فتفنن في العبارة **(وراكباً إلى الشام)** ولعل عدم بعثه إلى الغرب لبعده أو لفصله بالبحر أو لقلة وجوده غالباً في ذلك القطر. **(يسأل)** أي عمر أو كل من الركبان يتفحص **(عن الجراد)** وقوله: **(هل أري)** روي معلوماً ومجهولاً أي يبعث قائلاً: هل أري **(منه)** أي من الجراد **(شيئاً)** أي من أثره أو خبره وهو تمن. **(فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة)** بفتح القاف والضاد المعجمة أي بمقبوضة من الجراد **(فنثرها بين يديه فلما رآها عمر كبر)** أي فرحاً لما سيأتي **(وقال)** أي عمر رضي الله عنه **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله عزّ وجلّ خلق ألف أمة)** المراد كل جنس من أجناس الدواب كما في قوله تعالى: ﴿**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم**﴾ [الأنعام ـ ٣٨]. **(ستمائة)** بالرفع **(منها)** أي من الألف **(في البحر وأربعمائة في البر)** وفي نسخة بالنصب في ستمائة وأربعمائة على البدلية من ألف أمة. **(فإن أول هلاك هذه الأمة)** إشارة إلى قوله: ألف أمة، فالمراد بها الجنس. **(الجراد)** وفي رواية: إن أول هذه الأمة. بدون لفظ هلاك. فيقدر هلاكاً. أو المراد أن أول هذه الأمة خلقاً الجراد، ويمكن أن يكون المراد بهذه الأمة أمته ﷺ. **(فإذا هلك الجراد تتابعت الأمم)** أي في الهلاك **(كنظام السلك)** أي كتتابع خرز منظوم الخيط في النثر إذا انقطع السلك أو كتتابع وجود الخرز في حال نظام السلك، لأن المقصود من التشبيه هو التوالي وهو حاصل في الصورتين. لكن الأول أبلغ وأكمل في ملاحظة وجه الشبه في الهلال **(رواه البيهقي في شعب الإيمان)**.

---

(١) الدارقطني في سننه ٢/ ٦٥ حديث رقم ١٠ من باب صفة صلاة الخسوف.

الحديث رقم ٥٤٦٣: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٢٣٤ حديث رقم ١٠١٣٢.

(٣) باب العلامات بين يدي الساعة وذكر الدجال

الفصل الأول

٥٤٦٤ ـ (١) عن حذيفةَ بن أسيد الغفاري، قال: اطَّلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر. فقال: «ما تذكرون؟». قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقومَ حتى تَرَوا قبلها عشرَ آياتٍ، فذكر

(باب العلامات بين يدي الساعة وذكر الدجال)

وفي نسخة: باب علامات. وقوله: بين يدي الساعة أي قدامها. وأصله أن يستعمل في مكان يقابل صدر الشخص مما بين يديه ثم نقل إلى الزمان. ثم قوله: وذكر الدجال، من باب التخصيص بعد التعميم. وهو من دجل إذا ساح في الأرض، ويقال: دجل فلان الحق إذا أعطاه. وفي النهاية: أصل الدجل الخلط، يقال: دجل إذا لبس وموه، والدجال فعال من أبنية المبالغة أي يكثر منه الكذب والتلبيس. وهو الذي يظهر في آخر الزمان يدعي الإلهية.

(الفصل الأول)

٥٤٦٤ ـ **(وعن حذيفة بن أسيد)** بفتح الهمزة وكسر السين المهملة ذكره ابن الملك، ولم يذكره المؤلف في أسمائه. **(الغفاري)** بكسر الغين المعجمة نسبة إلى قبيلة منهم أبو ذر. **(قال: اطلع)** بتشديد الطاء أي أشرف. **(النبي ﷺ علينا)** أي وشرفنا بطلعة وجهه المشتمل على الخدين الغالب نورهما على طلوع القمرين حيث يستفاد منه ضياء الدارين. **(ونحن نتذاكر)** أي فيما بيننا **(فقال: ما تذكرون)** أي بعضكم مع بعض **(قالوا:)** وفي نسخة: قلنا. **(نذكر الساعة)** أي أمر القيامة واحتمال قيامها في كل ساعة **(قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات)** أي علامات **(فذكر)** أي النبي ﷺ بياناً للعشر. **(الدخان)** قال الطيبي رحمه الله: هو الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿**يوم تأتي السماء بدخان مبين**﴾ [الدخان ـ ١٠] . وذلك كان في عهد رسول الله ﷺ انتهى. ويؤيده ما قال ابن مسعود، وهو عبارة عما أصاب قريشاً من القحط حتى يرى الهواء لهم كالدخان. لكن قال حذيفة هو على حقيقته لأنه ﷺ سئل عنه فقال: يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة، والمؤمن يصير كالزكام والكافر كالسكران. فقوله: يصير كالزكام أي كصاحب[1]. أو مصدر بمعنى المفعول أي كالمزكوم، أو هو من باب المبالغة

الحديث رقم ٥٤٦٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٢٥ حديث (رقم ٣٩ ـ ٢٩٠١). وأبو داود في السنن ٤/ ٤٩١ حديث رقم ٤٣١١. والترمذي في السنن ٤/ ٤١٤ حديث رقم ٢١٨٣.

(١) في المخطوطة «كصاحبه».

الدُّخان، والدجَّال، والدَّابة، وطلوعَ الشمسِ من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخرُ ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرِهم».

كرجل عدل. **(والدجال والدابة)** وهي المذكورة في قوله تعالى: **﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾** [النمل - ٨٢]. **(وطلوع الشمس من مغربها)** قيل: للدابة ثلاث خرجات، أيام المهدي ثم أيام عيسى ثم بعد طلوع الشمس من مغربها، ذكره ابن الملك. **(ونزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام)** أي المنضم إلى ظهور المهدي الأعظم، فهو من باب الاكتفاء. وقد روى الطبراني عن أوس بن أوس مرفوعاً: ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق[١]. وروى الترمذي عن مجمع بن جارية مرفوعاً: يقتل ابن مريم الدجال بباب لد[٢]. في النهاية: هو موضع بالشام، وقيل بفلسطين كذا في شرح الترمذي للسيوطي. وفي القاموس: لد بالضم قرية بفلسطين يقتل عيسى عليه الصلاة والسلام الدجال عند بابها. هذا وقد قيل: إن أول الآيات الدخان ثم خروج الدجال ثم نزول عيسى عليه الصلاة والسلام ثم خروج يأجوج ومأجوج، ثم خروج الدابة ثم طلوع الشمس من مغربها فإن الكفار يسلمون في زمن عيسى عليه السلام حتى تكون الدعوة واحدة، ولو كانت الشمس طلعت من مغربها قبل خروج الدجال ونزوله لم يكن الإيمان مقبولاً من الكفار، فالواو لمطلق الجمع فلا يردان نزوله قبل طلوعها ولا ما سيأتي أن طلوع الشمس أول الآيات. **(ويأجوج ومأجوج)** بألف فيهما ويهمز، أي خروجهما. **(وثلاثة خسوف)** قال ابن الملك: قد وجد الخسف في مواضع، لكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدراً زائد على ما وجد كأن يكون أعظم مكاناً وقدراً. **(خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب)** بالرفع في الثلاثة على تقدير أحدها أو منها، ولو روي بالجر لكان له وجه من البدلية. **(وآخر ذلك)** أي ما ذكر من الآيات **(نار تخرج من اليمن)** وفي رواية: تخرج من أرض الحجاز[٣]. قال القاضي عياض: لعلها ناران تجتمعان تحشران الناس أو يكون ابتداء خروجها من اليمن وظهورها من الحجاز ذكره القرطبي رحمه الله. ثم الجمع بينه وبين ما في البخاري من أن أول أشراط الساعة نار تخرج من المشرق إلى المغرب[٤]. بأن آخريتها باعتبار ما ذكر من الآيات وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلاً، بل يقع بانتهائها النفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها فإنه يبقى مع كل آية منها أشياء من أمور الدنيا كذا ذكره بعض المحققين من العلماء الموفقين. **(تطرد)** أي تسوق تلك النار **(الناس إلى محشرهم)** بفتح الشين ويكسر، أي إلى مجمعهم[٥]

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٩٠ حديث رقم ١٠٠٢٣.

(٢) الترمذي في السنن ٤/ ٢٤٧ حديث رقم ٢٢٤٤.

(٣) جاء في البخاري ١٣/ ٧٨ حديث رقم ٧١١٨.

(٤) رواه البخاري تعليقاً في كتابه ١٣/ ٧٨ باب رقم ٢٤. خروج النار. من كتاب الفتن.

(٥) في المخطوطة «جمعهم».

وفي روايةٍ: «نارٌ تخرجُ من قعرِ عدن تسوقُ الناس إلى المحشر». وفي روايةٍ في العاشرة «وريحٌ تُلقي الناسَ في البحرِ». رواه مسلم.

٥٤٦٥ ـ (٢) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال ستاً. الدخانَ، والدجالَ، ودابةَ الأرض، وطلوعَ الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخُوَيْصة أحدِكم».

وموقفهم. قيل: المراد من المحشر أرض الشام إذ صح في الخبر أن الحشر يكون في أرض الشام، لكن الظاهر أن المراد أن يكون مبتدؤه منها أو تجعل واسعة تسع خلق العالم فيها. **(وفي رواية:)** أي لمسلم أو غيره **(نار تخرج من قعر عدن)** أي أقصى أرضها وهو غير منصرف، وقيل منصرف باعتبار البقعة والموضع. ففي المشارق عدن مدينة مشهورة باليمن. وفي القاموس: عدن محركة جزيرة باليمن. **(تسوق)** أي تطرد النار **(الناس إلى المحشر. وفي رواية في العاشرة:)** أي في بيانها وبدلاً عما ذكر فيها من النار **(وريح تلقي الناس في البحر)** ولعل الجمع بينهما أن المراد بالناس الكفار وأن نارهم تكون منضمة إلى ريح شديدة الجري سريعة التأثير في إلقائها إياهم في البحر وهو موضع حشر الكفار أو مستقر الفجار كما ورد أن البحر يصير ناراً. ومنه قوله تعالى: ﴿**وإذا البحار سجرت**﴾ [التكوير ـ ٦]. بخلاف نار المؤمنين فإنها لمجرد التخويف بمنزلة السوط مهابة لتحصيل السوق إلى المحشر والموقف الأعظم والله تعالى أعلم. **(رواه مسلم)** وكذا أبو داود والترمذي والنسائي.

٥٤٦٥ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: بادروا)** أي أسرعوا وسابقوا **(بالأعمال)** أي الصالحة النافعة في الآخرة **(ستاً)** أي ست آيات أي علامات لوجود الساعة إذ يعسر العمل ويصعب فيما بعدها، أو لم يقبل ولم يعتبر بعد تحققها. **(الدخان والدجال ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة)** أي الفتنة التي تعم الناس، أو الأمر الذي يستبد به العوام ويكون من قبلهم دون الخواص من تأمير الأمة. **(وخويصة أحدكم)** بضم وفتح وسكون وتشديد وهو تصغير خاصة، أي الوقعة التي تخص أحدكم. قيل: يريد الموت، وقيل: هي ما يختص به الإنسان من الشواغل المتعلقة في نفسه وماله وما يهتم به وصغرت لاستصغارها في جنب سائر الحوادث من البعث والحساب وغير ذلك. ويؤيده ما قررناه بحسب ما حررناه ما قاله الشارح بعين ما ذكرناه، أي قبل ظهور الآيات الست المذكورة في الحديث لأن ظهورها يوجب عدم قبول إيمان اليأس لكونها ملجئة إلى الإيمان فلا ثواب للمكلف عند الالجاء على عمله، فإذا انقطع الثواب انقطع التكليف. وقال القاضي: أمرهم أن يبادروا بالأعمال قبل نزول هذه الآيات فإنها إذا نزلت دهشتهم وشغلتهم عن الأعمال، أو سد عليهم باب التوبة وقبول الأعمال. وفي الفائق: معنى مبادرة الست بالأعمال الانكماش في

الحديث رقم ٥٤٦٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٦٧ حديث رقم (١٢٩ ـ ٢٩٤٧) وابن ماجه في السنن ٢/١٣٤٨ حديث رقم ٤٠٥٦. وأحمد في المسند ٢/٣٢٤.

رواه مسلم.

٥٤٦٦ ـ (٣) وعن عبدِ الله بنِ عمرٍو، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ أولَ الآيات خروجاً طلوع الشمسِ من مغربها، وخروجُ الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً». رواه مسلم.

٥٤٦٧ ـ (٤) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ إذا خرجن

الأعمال الصالحة والاهتمام بها قبل وقوعها. وتأنيث الست لأنها دواه[1] ومصائب. (رواه مسلم) وكذا أحمد في مسنده.

٥٤٦٦ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو)** بالواو **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها)** قال الطيبي رحمه الله: فإن قيل طلوع الشمس من مغربها ليس أول الآيات لأن الدخان والدجال قبله، قلنا: الآيات أما أمارات لقرب قيام الساعة وإما أمارات دالة على وجود قيام الساعة وحصولها، ومن الأول الدخان وخروج الدجال ونحوهما ومن الثاني ما نحن فيه من طلوع الشمس من مغربها والرجفة وخروج النار وطردها الناس إلى المحشر. وإنما سمي أوّلاً لأنه مبتدأ القسم الثاني ويؤيده حديث أبي هريرة بعده: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها. **(وخروج الدابة)** هي بالرفع عطف على طلوع الشمس وهو خبر أول، فيلزم أن يكون الأول متعدداً. ولهذا قال ابن الملك: ولعل الواو بمعنى أو، ويؤيده ما في رواية: أو خروج الدابة **(على الناس ضحى)** بالتنوين، أي وقت ارتفاع النهار. ثم الظاهر أن نسبة الأولية الحقيقية إليهما مبهمة وأنها بالنسبة إلى أحدهما مجازية، ولذا قال: **(وأيهما)** ولفظ الجامع: فأيتهما، بالفاء والتأنيث. **(ما كانت)** ما زائدة، أي وأي الآيتين المذكورتين وقعت **(قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها)** بفتحتين وبكسر فسكون أي تحصل عقبها **(قريباً)** أي حصولاً أو وقوعها قريباً. وقد تقدم ما يتعلق بتحقيق الترتيب بينهما. وقال ابن الملك: إن قيل كل منهما ليس بأول الآيات لأن بعض الآيات وقع قبلهما، قلنا: الآيات إما أمارات دالة على قربها، فأولها بعثة نبينا ﷺ أو أمارات متوالية دالة على وقوعها قريباً وهي المرادة هنا. وأما حديث: أن أولها خروج الدجال. فلا صحة له، كذا في جامع الأصول. **(رواه مسلم)** وكذا أحمد وأبو داود وابن ماجه.

٥٤٦٧ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاث)** أي آيات **(إذا خرجن)** فيه

---

(١) في المخطوطة «داوه».

الحديث رقم ٥٤٦٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٦٠ حديث رقم (١١٨ . ٢٩٤١). وأخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٩٠ حديث رقم ٤٣١٠ وأخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٥٣.

الحديث رقم ٥٤٦٧: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٣٨ حديث رقم (٢٤٩ . ١٥٨) وأبو داود في السنن ٤/ ٤٩٢ حديث رقم ٤٣١٢.

﴿لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكنْ آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيراً﴾: طلوعُ الشمسِ من مغربِها، والدجالُ، ودابةُ الأرضِ». رواه مسلم.

٥٤٦٨ ـ (٥) وعن أبي ذرٍّ، قال: قال رسول الله ﷺ حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب هذه؟». قلتُ: اللهُ ورسولهُ أعلم. قال: «فإنها تذهبُ حتى تسجدَ تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد، ولا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، ويقال لها: ارجعي من حيثُ جئتِ، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿والشمسُ تجري لمستقرٍّ لها﴾ قال: «مستقرها تحت العرش». متفق عليه.

تغليب، أو معناه ظهرت. والمراد هذه الثلاث بأسرها. (﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾[1]. طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض) وقدم الطلوع وإن كان متأخراً في الوقوع لأن مدار عدم قبول التوبة عليه وإن ضم خروج غيره إليه. (رواه مسلم) وكذا الترمذي.

٥٤٦٨ ـ (وعن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: حين غربت الشمس: أتدري أين تذهب هذه) أي الشمس، والإشارة للتعظيم. (قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش) قال بعض المحققين: لا يخالف هذا قوله تعالى: ﴿وجدها تغرب في عين حمئة﴾ [الكهف ـ ٨٦]. فإن المراد بها نهاية مدرك البصر، وسجودها تحت العرش إنما هو بعد الغروب. وفي الحديث رد على من زعم أن المراد بمستقرها غاية ما تنتهي إليه في الارتفاع وذلك يوم في السنة إلى منتهى أمرها عند انتهاء الدنيا. قال الخطابي: يحتمل أن يراد بذلك أنها تستقر تحته استقراراً علمنا لا يحيط به. (فتستأذن) بالرفع في أصل السيد وبعض النسخ المصححة، وكذا قوله: (فيؤذن لها ويوشك أن تسجد ولا يقبل) بالتذكير، أي السجود والظرف هو نائب الفاعل ويؤنث أي السجدة. (منها) أي من الشمس وهو مرفوع، وقيل منصوب وكذا قوله: (وتستأذن فلا يؤذن لها ويقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾[2]. قال: (مستقرها تحت العرش) وقوله: لمستقر لها. قال الخطابي عن بعض أهل التفسير: معناه أن الشمس تجري لأجل قدر لها، يعني إلى انقطاع مدة بقاء العالم. وقال بعضهم: مستقرها غاية ما تنتهي إليه في صعودها وارتفاعها، لأطول يوم من الصيف ثم تأخذ في النزول في أقصى مشارق الشتاء لأقصر يوم في السنة. وأما قوله: مستقرها تحت العرش، فلا ينكر أن يكون لها استقرار تحت العرش من حيث لا ندركه ولا نشاهده، وإنما أخبر عن غيب فلا نكذبه ولا نكيفه لأن علمنا لا يحيط به ذكره الطيبي. (متفق عليه) رواه الترمذي والنسائي.

---

(١) سورة الأنعام. آية رقم ١٥٨.

الحديث رقم ٥٤٦٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٩٧. حديث رقم ٣١٩٩. ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٨ حديث رقم (٢٥٠ ـ ١٥٩). والترمذي في السنن ٤/ ٤١٦ حديث رقم (١٥٦).

(٢) سورة يس. آية رقم ٣٨.

٥٤٦٩ ـ (٦) وعن عمران بن حصين، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما بينَ خَلْقِ آدم إلى قيامِ الساعةِ أمرٌ أكبرُ من الدجال». رواه مسلم.

٥٤٧٠ ـ (٧) وعن عبدِ اللهِ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللّهَ لا يخفى عليكم، إن اللّهَ تعالى ليسَ بأعْوَر وإن المسيحَ الدجال أعورُ عينِ اليمنى، كأنَّ عينَه عِنَبةٌ طافيةٌ».

٥٤٦٩ ـ **(وعن عمران بن حصين قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر)** ما نافية[١]. والمعنى: ليس فيما بينهما فتنة. **(أكبر)** أي أعظم **(من الدجال)** لعظم فتنته وبليته ولشدة تلبيسه ومحنته. **(رواه مسلم)** وفي الجامع رواه أحمد ومسلم عن هشام ابن عامر[٢] فلينظر في الأصول ليتحقق التقول.

٥٤٧٠ ـ **(وعن عبد الله)** أي ابن مسعود **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله لا يخفى عليكم)** أي بالنظر إلى نعوته الثبوتية وصفاته السلبية وتنزهه عن العيوب والنقائص وسائر الحدوثات الزمانية والمكانية، فالجملة توطئة لقوله: **(إن الله ليس بأعور)** ومفهومه لا يعتبر فإن المراد به نفي النقص والعيب لا إثبات الجارحة بصفة الكمال. قال الطيبي رحمه الله: هو للتنزيه كما وصف سبحانه في قوله: ﴿**ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون**﴾ [النحل ـ ٥٧]. **(وإن المسيح)** بحاء مهملة هو الصواب المعروف وهو فعيل بمعنى فاعل لأنه يمسح الأرض جميعها بسرعة، أو بمعنى مفعول فإنه ممسوح إحدى العينين. قال السيوطي رحمه الله نقلاً عن أبي بكر بن العربي: إن من شدد سينه أو أعجم حاءه فقد حرف انتهى. وهو لقب مشترك بينه وبين عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، لكنه يطلق عليه بمعنى الماسح لحصول البرء ببركة مسحه، وبمعنى الممسوح لنزوله نظيفاً من بطن أمه. وفي القاموس: المسيح عيسى عليه [الصلاة]والسلام لبركته، وذكرت في اشتقاقه خمسين قولاً في شرحي لمشارق الأنوار وغيره. والدجال لشؤمه أو هو كسكين، والممسوح بالشؤم والكثير السياحة كالمسيح كسكين، والممسوح الوجه والكذاب. **(الدجال)** تقدم معناه **(أعور عين اليمنى)** من باب إضافة الموصوف إلى الصفة ومن لم يجوزه كالطيبي، قال: أي عين الجثة أو الجهة اليمنى. **(كأن)** بتشديد النون **(عينه)** أي العوراء أو الأخرى **(عنبة)** أي شبيهة بها فهو تشبيه بليغ. **(طافية)** بالياء ويهمز أي مرتفعة. قال ميرك: روي بهمز وتركه وكلاهما صحيح. قال الطيبي رحمه الله: وهي الناتئة عن [حد]أخواتها من الطفو وهو أن يعلو الشيء على الماء انتهى. ومنه الطافي من السمك، ولا

الحديث رقم ٥٤٦٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٦٧ حديث رقم (١٢٦ ـ ٢٩٤٦).

(١) في المخطوطة «فأنا».

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٤٨٠ حديث رقم ٧٨٦١.

الحديث رقم ٥٤٧٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٩٠. حديث رقم ٧١٢٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٤٧ حديث رقم (١٠٠ ـ ١٦٩). وأبو داود في السنن ٤/ ٤٩٤ حديث رقم ٤٣١٦ وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٥٣ حديث رقم ٤٠٧١. وأحمد في المسند ٢/ ٣٣.

متفق عليه.

٥٤٧١ ـ (٨) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما مِنْ نبيّ إلا قد أنذرَ أمّته الأعورَ الكذّاب،

تنافي بين هذه الرواية وبين ما روي أنها ليست بناتئة ولا حجراء، أي لا طافية مرتفعة ولا غائرة منحجرة لإمكان اجتماع الوصفين باختلاف المعنيين. وقال ابن الملك في شرح المشارق: طافئة بالهمز أي ذهب ضوؤها. وروي بغير الهمز أي ناتئة بارزة. قال التوربشتي رحمه الله: في الأحاديث التي وردت في وصف الدجال وما يكون منه كلمات متنافرة يشكل التوفيق بينها، ونحن نسأل الله التوفيق في التوفيق بينها ونبين كلاً منها على حدته في الحديث الذي ذكر فيه أو تعلق به. ففي هذا الحديث أنها طافية وفي آخر أنه جاحظ العين كأنها كوكب، وفي آخر أنها ليست بناتئة ولا حجراء. والسبيل في التوفيق بينها أن نقول: إنما اختلف الوصفان بحسب اختلاف المعنيين ويؤيد ذلك ما في حديث ابن عمر هذا أنه أعور عين اليمنى، وفي حديث حذيفة أنه ممسوح العين عليها ظفرة غليظة، وفي حديثه أيضاً أنه أعور عين اليسرى. ووجه الجمع بين هذه الأوصاف المتنافرة أن يقدر فيها أن إحدى عينيه ذاهبة والأخرى معيبة فيصح أن يقال لكل واحدة عوراء، إذ الأصل في العور العيب وذكر نحوه الشيخ محيي الدين كذا في شرح الطيبي رحمه الله. (متفق عليه).

٥٤٧١ ـ (وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: ما من نبي إلا قد أنذر أمته الأعور الكذاب) أي خوفهم به. ولا يشكل هذا بما ثبت أنه يقتله عيسى ابن مريم بعد أن ينزل ويحكم بالشريعة المحمدية لأن تعيين وقت خروجه غير معلوم لهم حين أنذروا قومهم، وأيضاً يحمل على هذا ما في بعض طرقه: أن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه. على ما سيأتي فإن ذلك كان قبل أن يتبين له وقت خروجه وعلاماته، ثم تبين له وقت خروجه فأخبر به على أنه يحتمل أن الإبهام إنما وقع بسبب أن العلامات قد يكون وجودها معلقاً بشرط، فإذا فقد يتصور خروجه بعدم ظهورها. ونظيره خوف الأنبياء والمرسلين صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين مع تحقق عصمتهم وثبوت أمنهم من العذاب المهين، وكذلك خشية العشرة المبشرة بالجنة على لسان سيد المرسلين، أو لأنه لا يجب على الله تعالى شيء وأفعاله لا تعلل والأسباب لا يتعين وجودها ولا تأثير لها أيضاً بعد حصولها. ولعل هذا هو الوجه في السر إليهم حتى ظهر على لسان صاحب الدين الأقوم والله سبحانه وتعالى أعلم. أو يقال إن المراد بالدجال كل من يدعي الألوهية من الرجال كفرعون وشداد ونمروذ وسائر الأبطال، ولا يخلو كل منهم من نقصان العور سواء مما بطن فيه أو ظهر عند أهل النظر، لكن إذا جاء القدر عمي البصر وبطل الحذر

الحديث رقم ٥٤٧١: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٤١٥. حديث رقم ٧٤٣١. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٤٨ حديث رقم (١٠١ ـ ٢٩٣٣). وأبو داود في السنن ٤/ ٤٩٤ حديث رقم ٤٣١٦. والترمذي في السنن ٤/ ٤٤٧ حديث رقم ٢٢٤٥.

ألا إنَّه أعورُ، وإنَّ ربكم ليسَ بأعوَرَ، مكتوبٌ بينَ عينيه: ك ف ر». متفق عليه.

٥٤٧٢ ـ (٩) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أُحدِّثُكم حديثاً عن

ويكون الدجال الموعود أشر وفتنة[1] وبلية على العامة أظهر وكبرياء ربنا وعظمته أكبر من أن يعرف كنهه أو يقدر، ومظاهر تجلياته الجمالية والجلالية أكثر من أن تحصى وتحصر. وقد قال الشيخ أبو مدين المغربي:

لا تنكر الباطل في طوره * فإنه بعض ظهوراته

فينبغي للسالك أن يقول دائماً بعد امتثال الأوامر واجتناب النواهي: إلهي أرنا الأشياء كما هي وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه وأرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه وارتكابه. **(ألا)** للتنبيه **(إنه)** أي الدجال **(أعور)** أي وهو الغالب أن يكون طالباً للشر **(وإن ربكم ليس بأعور)** أي تنزه أن يكون ناقصاً ومعيباً في ذاته وصفاته. وهذا الكلام منه عليه الصلاة والسلام من باب التنزل إلى عقل العوام وفهومهم كما ورد: كلم الناس على قدر عقولهم. ونظيره ما في التنزيل: ﴿**إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها**﴾ [الأعراف ـ ١٩٤ ـ ١٩٥]. والمعنى أن الأصنام مع كمال عجزهن ونقصان آلاتهن بالنسبة إلى العابدين كيف يصلحن أن يكن في مرتبة المعبودين، وليس القصد أنهن لو فرض أن تكون هذه الأعضاء ثابتة لهن لكان يجوز أن يعبدن. وقد روي أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال لأمه: من ربي. فقال: من ربك. قالت: أبوك. قال: من ربه. قالت: نمروذ. قال: من ربه. قالت: هو الرب الأكبر لأن جنده أكثر. فقال لأمه: إن كان الأمر كذلك فلأي شيء صورته قبيحة وصورة غلمانه مليحة. وخلاصة الكلام أنه عليه [الصلاة]والسلام جعل ذلك العيب الأكبر والنقصان الأظهر علامة كذبه وكفره لئلا يبقى للناس عذر في قبول تلبيسه ومكره، مع أن الدلائل العقلية والبراهين النقلية تشهد على أن الجسم لا يكون إلهاً وأن الحادث المعيوب لا يصح أن يكون معبوداً. **(مكتوب بين عينيه ك ف ر)** فيه إشارة إلى أنه داع إلى الكفر لا إلى الرشد فيجب اجتنابه. وهذه نعمة عظيمة من الله في حق هذه الأمة حيث ظهر رقم الكفر بين عينيه. قال الطيبي رحمه الله: ولعل المراد بالتنصيص أن لا يتوهم فيه السماحة من حيث المعنى. قال النووي [رحمه الله]: هو بيان علامة تدل على كذب الدجال دلالة قطعية بديهية يدركها كل أحد ولم يقتصر على لحوقه جسماً أو غير ذلك من الدلائل القطعية لكون بعض العقول لا يهتدي إليها **(متفق عليه)**.

٥٤٧٢ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ألا)** للتنبيه **(أحدثكم حديثاً عن**

---

(١) كذا في المخطوطة.

الحديث رقم ٥٤٧٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٧٠. حديث رقم ٣٣٣٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٥٠ حديث رقم (١٠٩ . ٢٩٣٦).

الدجالِ ما حدَّث به نبيٌّ قومَه؟: إنه أعورُ؛ وإنَّه يجيء معه بمثل الجنة والنار، فالتي يقول: إنها الجنة، هي النار،

الدجال ما حدث) أي حديثاً لم يحدث **(به نبي قومه)** ويمكن أن تكون الهمزة للاستفهام ولا للنفي ويلي مقدرة محذوفة، أو بادر جوابهم بقوله: **(إنه أعور)** أي مصور بصورة كريهة ظاهرة ومزور بسيرة مموهة باهرة على طريقة الطائفة الساحرة، وهذا معنى قوله: **(وإنه)** أي الشأن **(يجيء معه بمثل الجنة)** وفي رواية: بمثال الجنة. **(والنار)** فالباء للتعدية. والمعنى: إنه يأتي بصورتهما معه في نظر الناس مما يقلب الله تعالى حقيقتهما في حق المؤمنين، والباء زائدة. أي يسير معه مثلهما ويصحب له شكلهما. ويؤيده ما في رواية: يجيء معه تمثال، بكسر المثناة الفوقية بدل الجار أي صورتهما. **(فالتي)** أي فالصورة التي **(يقول إنها الجنة)** أي ويظهر بادي الرأي أنها النعمة **(هي النار)** أي ذات النقمة. والظاهر أن هذا من باب الاكتفاء. ويدل عليه الحديث الذي يليه فالتقدير: والتي يقول إنها النار هي الجنة، ونظيره الدنيا في نظر العارفين من أن نقمتها نعمة ونعمتها نقمة ومحنها منحة ومنحها محنة وحسنها وقبحها مختلفة، كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين. **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾** [الإسراء - ٨٢]. قال شارح: يعني من دخل جنته استحق النار لأنه صدقه، فأطلق اسم السبب على المسبب. أقول: وكذا من لم يطعه ورماه في النار استحق دخول الجنة لأنه كذبه. لكن الأظهر أنهما ينقلبان وينعكسان بالفعل عليهما كما ورد في أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، ومنه قوله تعالى: **﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾** [الأنبياء - ٦٩]. وكذا الدنيا المكدرة المسماة بالسجن تصير جنة للعارفين الواقفين في مقام الرضا كما قيل في قوله تعالى: **﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾** [الرحمن - ٤٦]. جنة في الدنيا وجنة في العقبى، وكذا زهرة الدنيا بالنسبة إلى أربابها لعدم حضورهم مع ربها كالسم في الدسم والهم في الدرهم والنار في الدينار، وربما لا يحسون بها كالمجنون والمجروح في حال ابتداء الجراحة وكالمصروع ولذا قيل:

سوف ترى إذا انجلى الغبار ❊ أفرس تحتك أم حمار

وقضية ولد السلطان حال كونه سكران وعناقه للميتة العجوز المعطرة مشهورة بين أهل العرفان. قال النووي [رحمه الله]: هذه الأحاديث حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عبادة وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذي يقتله وظهور زهرة الدنيا والخصب معه واتباع كنوز الأرض له وأمر السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويقتله عيسى ابن مريم [ويثبت]الله الذين آمنوا. وقصته عظيمة جداً تدهش العقول وتحير الألباب مع سرعة مروره في الأرض ولا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء دلائل الحدوث والنقص فيصدقه من يصدقه في هذه الحالة، ولهذا حذرت الأنبياء عليهم [الصلاة و]السلام من فتنته ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله. وأما أهل التوفيق فلا

وإني أنذركم كما أنذر به نوحٌ قومه». متفق عليه.

٥٤٧٣ ـ (١٠) وعن حذيفةَ، عن النبي ﷺ قال: «إن الدجالَ يخرجُ وإن معه ماءً وناراً، فأما الذي يراه الناس ماءً فنار تحرق، وأما الذي يراه الناسُ ناراً فماء بارد عذبٌ، فمن أدركَ ذلكَ منكم فليقعْ في الذي يراه ناراً؛ فإنه ماءٌ عذبٌ طيّبٌ». متفق عليه. وزاد مسلم: «وإن الدجالَ

يغترون ولا ينخدعون بما فيه لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله. (وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه) فإن قيل: لم خص نوحاً عليه [الصلاة]والسلام بالذكر. قلت: فإن نوحاً عليه الصلاة والسلام تقدم المشاهير من الأنبياء كما خصه بالتقديم في قوله تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾ [الشورى ـ ١٣]. ذكره الطيبي [رحمه الله]: وفيه أنه إنما يتم هذا إن صح أن من سبقه من الأنبياء أنذر قومه وإلا فيترك على حقيقة أوليته، ويدل عليه حديث: إنه لم يكن نبي بعد نوح إلا قد أنذر الدجال قومه. وأما تقديمه في الآية فلكونه مقدماً[1] على سائر أولي العزم من الرسل بحسب الوجود، ولذا قدم نبينا ﷺ في آية أخرى على أولي العزم لكون تقدمه وجوداً ورتبة وهي قوله سبحانه جلّ جلاله: ﴿وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾ [الأحزاب ـ ٧]. وحاصله أن الخمسة هم أولو العزم من الرسل، واجتمع ذكرهم في الآيتين المذكورتين والله [تعالى]أعلم. (متفق عليه).

٥٤٧٣ ـ (وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن الدجال يخرج وإن معه ماء) أي وما يتولد منه من أسباب النعم بحسب الظاهر المعبر عنه بالجنة فيما تقدم يرغب إليه من أطاعه. (ونارا) أي ما يكون ظاهره سبباً للعذاب والمشقة والألم يخوف به من عصاه. (فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب) أي حلو[2] يكسر العطش. والمعنى أن الله تعالى يجعل ناره ماء بارداً عذباً على من كذبه وألقاه فيها غيظاً كما جعل نار نمروذ برداً وسلاماً على إبراهيم عليه [الصلاة]والسلام، ويجعل ماءه الذي أعطاه من صدقه ناراً محرقة دائمة. ومجمله أن ما ظهر من فتنته ليس له حقيقة بل تخيل منه وشعبذة كما يفعله السحرة والمشعبذون، مع احتمال أن الله تعالى يقلب ناره وماءه الحقيقيان فإنه على كل شيء قدير. (فمن أدرك ذلك) أي الدجال أو ما ذكر من تلبيسه (منكم فليقع في الذي يراه ناراً) أي فليختر تكذيبه ولا يبالي بإيقاعه فيما يراه ناراً. (فإنه ماء عذب طيب) أي في الحقيقة أو بالقلب أو بحسب المآل والله [تعالى]أعلم بالحال. والكلام من باب الاكتفاء، فالتقدير: ولا يصدقه مغتراً بما يراه معه ماء فإنه نار وعذاب وحجاب. (متفق عليه. وزاد مسلم: وإن الدجال

---

(١) في المخطوطة «مقدم».

الحديث رقم ٥٤٧٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٩٤. حديث رقم ٣٤٥٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٤٩ حديث رقم (١٠٥ ـ ٢٩٣٤).

(٢) في المخطوطة «حلوة».

ممسوحُ العينِ، عليها ظفرةٌ غليظةٌ، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن، كاتبٌ وغيرُ كاتبٍ».

٥٤٧٤ ـ (١١) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدجالُ أعورُ العينِ اليُسْرى، جُفالُ الشعرِ، معه جنّتُه ونارُه، فنارُه جنّةٌ، وجنتُه نارٌ». رواه مسلم.

٥٤٧٥ ـ (١٢) وعن النوّاس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال فقال: «إن يخرجْ وأنا فيكم فأنا حجيجُه

ممسوح العين) أي موضع إحدى عينيه ممسوح مثل جبهته ليس له أثر العين. قال القاضي [رحمه الله]: أي ممسوح إحدى عينيه للحديث السابق ونظائره. **(عليها)** أي على العين الأخرى بحيث لا تواري الحدقة بأسرها لتعميها **(ظفرة)** بفتحتين، أي لحمة غليظة أو جلدة. أو على العين الممسوحة ظفرة. **(مكتوب بين عينيه كافر)** كما سبق **(يقرؤه كل مؤمن كاتب)** بالجر بدلاً من مؤمن. وفي نسخة بالرفع بدل بعض من كل. **(وغير كاتب)** وفي رواية لمسلم عن أنس مرفوعاً: الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مسلم.

٥٤٧٤ ـ **(وعنه)** أي عن حذيفة **(قال: قال رسول الله ﷺ: الدجال أعور العين اليسرى)** قد سبق أنه أعور العين اليمنى وأنه ممسوح إحدى عينيه، فالجمع أن يقال: إحدى عينيه ذاهبة والأخرى معيبة فيصح أن يقال لكل واحدة عوراء، إذ العور في الأصل هو العيب. وقيل: إن الأعور إنما يكون بالنسبة إلى أشخاص متفرقة فقوم يرونه أعور اليسرى وقوم يرونه أعور اليمنى ليدل على بطلان أمره لأنه إذا كان لا يرى خلقته كما هي دل على أنه ساحر كذاب. قال شارح: ويحتمل أن يكون أحدهما من سهو الراوي. وفي الجامع روى البخاري في تاريخه عن أبي هريرة مرفوعاً: الدجال عينه خضراء[1]. [فهو] كالحرباء والغول متلون بألوان شتى. **(جفال الشعر)** بضم الجيم، أي كثير الشعر المجتمعة كذا في الفائق مكسر. **(معه جنته وناره فناره جنة وجنته نار. رواه مسلم)** وكذا أحمد وابن ماجه.

٥٤٧٥ ـ **(وعن النواس)** بتشديد الواو **(ابن سمعان)** بكسر السين ويفتح. **(قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال)** أي خروجه وسائر أموره وابتلاء الناس به **(فقال: إن يخرج وأنا فيكم)** أي موجود فيما بينكم فرضاً وتقديراً. **(فأنا حجيجه)** فعيل بمعنى الفاعل من الحجة وهي

الحديث رقم ٥٤٧٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٤٩، حديث رقم (١٠٤ ـ ٢٩٣٤). وابن ماجه في السنن ٢/١٣٥٣ حديث رقم ٤٠٧١. وأحمد في المسند ٣/١١٥.

(١) الجامع الصغير ٢/٢٥٨ حديث رقم ٤٢٥٠.

الحديث رقم ٥٤٧٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٥٠ حديث رقم (١١٠ ـ ٢٩٣٧). وأبو داود في السنن ٤/٤٩٦ حديث رقم ٤٣٢١. والترمذي في السنن ٤/٤٤٢ حديث رقم ٢٢٤٠. وابن ماجه في السنن ٢/١٣٥٦ حديث رقم ٤٠٧٥.

دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيجُ نفسه، واللهُ خليفتي على كل مسلم، إنَّه شابٌ قَطَط،

البرهان، أي غالب عليه بالحجة. (دونكم) أي قدامكم ودافعه عنكم وأنا إمامكم وأمامكم. وفيه إرشاد إلى أنه ﷺ كان في المحاجة معه غير محتاج إلى معاونة معاون من أمته في غلبته عليه بالحجة كذا ذكره الطيبي رحمه الله. والأظهر أنه ﷺ يدفعه بنور النبوّة ويدفع خارق عادته الباطل بمعجزاته المقرونة بالحق من غير دليل وبرهان لأن بطلانه أظهر من الشمس عند أرباب العرفان، وأيضاً هو من المصممين على الباطل من دعوته ولم يلتفت إلى المجادلة وإثبات الأدلة، وإلا فبحمد الله سبحانه من يوجد في الأمة من يحقق الملة بالحجة، لا سيما خاتمة الأولياء وهو المهدي وزبدة الأنبياء وهو عيسى عليه [الصلاة]والسلام. وحاصله أنه لا ينفع معه الكلام فدفعه إما بإعدامه مع وجود سيد الأنام أو بذوبانه وقتله على يد عيسى عليه [الصلاة و] السلام، هذا ما ظهر لي في هذا المقام والله سبحانه وتعالى أعلم بالمرام. قال التوربشتي رحمه الله: فإن قيل: أو ليس قد ثبت في أحاديث الدجال أنه يخرج بعد خروج المهدي وأن عيسى عليه [الصلاة] والسلام يقتله إلى غير ذلك من الوقائع الدالة على أنه لا يخرج ونبي الله بين أظهرهم، بل لا تراه القرون الأولى من هذه الأمة فما وجه قوله: إن يخرج وأنا فيكم. قلت: إنما سلك هذا المسلك من التورية لإبقاء الخوف على المكلفين من فتنه والملجأ إلى الله تعالى من شره لينالوا بذلك من الله ويتحققوا[1] بالشح على دينهم. وقال المظهر: يحتمل أن يريد تحقق خروجه، والمعنى: لا تشكوا في خروجه فإنه سيخرج لا محالة، وأن يريد به عدم علمه بوقت خروجه كما أنه كان لا يدري متى الساعة. قال الطيبي [رحمه الله]: والوجه الثاني من الوجهين هو الصواب لأنه يمكن أن يكون قوله هذا قبل علمه ﷺ بذلك. أقول: كان حقه أن يقول هو الظاهر ليطابق تعليله بقوله لأنه يمكن، إذ مع الإمكان لا يقال في حق أحدهما هو الصواب لاحتمال الخطأ في كل واحد منهما والله [تعالى] أعلم بالصواب. وخلاصة المعنى: إني إن كنت فيكم فأكفيكم شره وقت خروجه. **(وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه)** بالرفع أي فكل امرىء يحاجه ويحاوره ويغالبه لنفسه كذا قاله الطيبي [رحمه الله]: أي ليدفع شره عن نفسه بما عنده من الحجة كما قاله ابن الملك، لكن هذا على تقدير أنه يسمع الحجة وإلا فالمعنى: إن كل أحد يدفع عن نفسه شره بتكذيبه واختيار صورة تعذيبه. **(والله خليفتي على كل مسلم)** يعني والله سبحانه وتعالى ولي كل مسلم وحافظه فيعينه عليه ويدفع شره. وهذا دليل على أن المؤمن الموقن لا يزال منصوراً وإن لم يكن معه نبي ولا إمام، ففيه رد على الإمامية من الشيعة. **(إنه)** أي الدجال وهو استئناف بيان لبعض أحواله وتبيان لبعض ما يفيد في دفع شر أفعاله **(شاب)** فيه إشعار بأنه غير ابن الصياد وإيماء إلى أنه محروم من بياض الوقار وثابت على اشتداد السواد في الظاهر الذي هو عنوان الباطن من سواد الفؤاد. **(قطط)** بفتح القاف والطاء[2]، أي شديد جعودة الشعر. وفيه إيماء إلى استحباب

(١) كذا في المخطوطة. (٢) في المخطوطة «بكسر قال النووي هو بفتح القاف والطاء».

عينه طافية، كأني أُشبِّهُه بعَبْد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف». وفي روايةٍ «فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف، فإنها جوارُكم من فتنته».

تسريح الشعر دفعاً للمشابهة بالهيئة البشيعة[١]. (عينه طافية) بالياء ويهمز، أي مرتفعة. (كأني أشبهه) بتشديد الموحدة، أي أمثله. (بعبد العزى) بضم العين وتشديد الزاي. (ابن قطن) بفتحتين وهو يهودي قاله شارح. وقال الطيبي [رحمه الله]: قيل: إنه كان يهودياً. ولعل الظاهر أنه مشرك لأن العزى اسم صنم، ويؤيده ما جاء في بعض الحواشي: هو رجل من خزاعة هلك في الجاهلية. ثم قال الطيبي [رحمه الله]: لم يقل كأنه عبد العزى لأنه لم يكن ﷺ جازماً في تشبيهه به. قلت: لا شك في تشبيهه به إلا أنه لما كان معرفة المشبه في عالم الكشف أو المنام عبر عنه بكأني كما هو المعتبر في تعبير حكاية الرؤيا والله [تعالى]أعلم. ويمكن أن يقال: لما لم يوجد في الكون أقبح صورة منه فلا يتم التشبيه من جميع الوجوه، بل ولا من وجه واحد عدل عن صيغة الجزم وعبر عنه بما عبر عنه. ثم في صيغة الحال إشعار باستحضار صورة المآل. (فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف) أي أوائلها[٢] إلى ﴿كذباً﴾ [الكهف ـ ٥]. لدلالة تلك الآيات على معرفة ذات الله وصفاته. [لكن لفظه: من أدرك الدجال فليقرأ عليه خواتمها، فإنها جوار له من فتنته]. وثبوت كتابه وآيات بيناته وصدق رسوله وإتيانه بمعجزاته ما يصير خوارق عادات الدجال هباء منثوراً، وإن تابعه يدعو هلاكاً وثبوراً. قال الطيبي [رحمه الله]: المعنى أن قراءته أمان له من فتنته كما أمن تلك الفتية من فتنة دقيانوس الجبار. (وفي رواية:) أي لمسلم أيضاً (فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف فإنها جواركم من فتنة) أي بلية (الدجال) والجوار بكسر الجيم، وفي آخره راء على ما في نسخة السيد والشيخ الجزري وكثير من النسخ المصححة. وفي بعضها بفتح الجيم وزاي في آخره، وهو الصك الذي يأخذه المسافر من السلطان أو نوابه لئلا يتعرض لهم المترصدة في الطريق. واقتصر عليه شارح المصابيح، وذكره ابن الملك ثم قال: وفي بعض النسخ بكسر الجيم وبالراء، فمعناه حافظكم. انتهى. وفي بعض شروح البردة، الجوار بالكسر والضم، والكسر أفصح هو الأمان. هذا والمتبادر من كلام المؤلف أنها رواية لمسلم. لكن صرح الجزري في حصنه بأنها رواية أبي داود عن النواس لكن لفظه: من أدرك الدجال فليقرأ عليه فواتحها فإنها جوار له من فتنته. ثم اعلم أنه جاء في الحصن روايات متعددة في هذا المعنى حيث قال: من قرأها، أي الكهف، كما أنزلت كانت له نوراً من مقامه إلى مكة، ومن قرأ بعشر آيات من آخرها فخرج الدجال لم يسلط عليه[٣]. رواه النسائي والحاكم في مستدركه من حديث أبي سعيد الخدري واللفظ للنسائي وقال: رفعه خطأ. والصواب أنه موقوف. وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد أيضاً واختلف في رفعه ووقفه أيضاً ولفظ[ـه]: من قرأ سورة الكهف كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة، ومن قرأ بعشر آيات من آخرها

---

(١) في المخطوطة «البشعة».

(٢) في المخطوطة «أولها».

(٣) الحاكم في المستدرك ١/ ٥٦٤.

إنه خارج خَلَّةً بين الشامِ والعراقِ، فعاث

ثم خرج الدجال لم يضره. وروى مسلم وأبو داود عن [أبي الدرداء مرفوعاً: من حفظ عشر آيات من أولها عصم من الدجال. وفي رواية أبي داود]والنسائي عنه: من فتنة الدجال. وفي رواية لمسلم وأبي داود عنه: من حفظ عشر آيات[١]. والنسائي عنه: من قرأ العشر الأواخر من الكهف عصم من فتنة الدجال[٢]. وفي رواية للترمذي عنه: من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال[٣]. وفي رواية لمسلم والأربعة عن النواس بن سمعان: من أدرك الدجال فليقرأ عليه فواتحها[٤]. الحديث. قيل: وجه الجمع بين الثلاث وبين قوله ﷺ: من حفظ عشر آيات. أن حديث العشر متأخر ومن عمل بالعشرة فقد عمل بالثلاث. وقيل: حديث الثلاث متأخر ومن عصم بثلاث فلا حاجة إلى العشر وهذا أقرب إلى أحكام النسخ. أقول: بمجرد الاحتمال لا يحكم بالنسخ مع أن النسخ إنما يكون في الإنشاء لا في الإخبار، فالأظهر أن أقل ما يحفظ به من شره قراءة الثلاث وحفظها أولى وهو لا ينافي الزيادة كما لا يخفى. وقيل: حديث العشر في الحفظ وحديث الثلاث في القراءة، فمن حفظ العشر وقرأ الثلاث كفي وعصم من فتنة الدجال. وقيل: من حفظ العشر عصم من أن لقيه[٥]، ومن قرأ الثلاث عصم من فتنته إن لم يلقه. وقيل: المراد من الحفظ القراءة عن ظهر القلب ومن العصمة الحفظ من آفات الدجال، والله [تعالى]أعلم بالأحوال. **(إنه)** أي الدجال **(خارج خلة)** بفتح معجمة وتشديد لام، أي طريقاً واقعاً. **(بين الشام والعراق)** وأصله الطريق في الرمل. وقال شارح: أي [من]سبيل بينهما ففيه إشارة إلى أنها منصوبة بنزع الخافض، ويؤيده ما في النهاية أي في طريق بينهما. قال النووي [رحمه الله]: هكذا هو في نسخ بلادنا خلة بفتح الخاء [المعجمة]وتنوين التاء. وقال القاضي [رحمه الله]: المشهور فيه حلة بالحاء المهملة ونصب التاء، يعني غير منونة. ومعناه سمت ذلك وقبالته. قلت: المناسب أن يكون هي الحلة قرية بناحية دجلة من بغداد أهلها شر من في البلاد من العباد. قال: ورواه بعضهم حله بضم اللام وبهاء الضمير أي نزوله وحلوله. قال: وكذا ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين أيضاً ببلادنا. وقوله: **(فعاث)** هو بعين مهملة وثاء مثلثة ماض من العيث وهو أشد الفساد والإسراع فيه. وحكى القاضي [رحمه الله]أنه رواه بعضهم فعاث على صيغة اسم الفاعل. قال الأشرف: قيل: الصواب فيه فعاث بصيغة اسم الفاعل لكونه عطفاً على اسم فاعل قبله وهو خارج. قلت: أكثر النسخ ومنها أصل السيد على أنه فعل ماض من العيث، وفي بعضها عاث كقاض من العثي بمعنى العيث وهو الأصح[٦] الموافق لما في التنزيل من قوله: **﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين**

---

(١) مسلم في صحيحه ١/ ٥٥٥ حديث رقم ٨٠٩. وأبو داود ٤/ ٤٩٧ حديث رقم ٤٣٢٣.

(٢) النسائي في الكبرى ورواه أيضاً أحمد في المسند ٦/ ٤٤٦.

(٣) الترمذي في سننه ٥/ ٤٩ حديث رقم ٢٨٨٦.

(٤) وهو حديث الباب.

(٥) هكذا في الأصل ولعل الصواب يلقاه.

(٦) في المخطوطة «أفصح».

يميناً، وعاث شمالاً، يا عباد اللهِ فاثبتوا». قلنا: يا رسول الله! وما لَبثُه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً، يومٌ كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجُمُعة، وسائر أيامه كأيامكم». قلنا: يا رسول الله! فذلك اليوم الذي كسنةٍ أتكفينا فيه صلاةُ يوم؟ قال: «لا، اقْدُرُوا له قَدْرَه».

﴾ [البقرة - ٦٠] . ولكن القول بأنه الصواب خطأ، إذ هما لغتان بمعنى الإفساد على ما هو مقرر في كتب اللغة. فالحاصل أن الدجال أفسد أو مفسد. (يميناً وعاث شمالاً) وهما ظرفا عاث. والمعنى: يبعث سراياه يميناً وشمالاً ولا يكتفي بالإفساد فيما يطؤه من البلاد ويتوجه له من الأغوار والأنجاد فلا يأمن من شره مؤمن ولا يخلو من فتنته موطن ولا مأمن. (يا عباد الله) أي أيها المؤمنون الموجودون في ذلك الزمان، أو أنتم أيها المخاطبون على فرض أنكم تدركون ذلك الأوان. (فاثبتوا) أي على دينكم وإن عاقبكم. قال الطيبي [رحمه الله] : هذا من الخطاب العام أراد به من يدرك الدجال من أمته، ثم قيل: هذا القول منه استمالة لقلوب أمته وتثبيتهم على ما يعاينونه من شر الدجال وتوطينهم على ما هم فيه من الإيمان بالله تعالى واعتقاده وتصديق ما جاء به الرسول ﷺ. (قلنا: يا رسول الله وما لبثه) بفتح لام وسكون موحدة، أي ما قدر مكثه وتوقفه. (في الأرض. قال: أربعون يوماً) سيأتي حديث: يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة السنة كالشهر إلى آخره. لكنه نقل البغوي في شرح السنة ولا يصلح أن يكون معارضاً لرواية مسلم هذه، وعلى تقدير صحته لعل المراد بأحد المكثين مكث خاص على وصف معين مبين عند العالم به. (يوم) أي من تلك الأربعين (كسنة) أي مقدار عام في طول الزمان أو في كثرة الغموم والأحزان. (ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم) قال ابن الملك [رحمه الله] : قيل: المراد منه أن اليوم الأول لكثرة غموم المؤمنين وشدة بلاء اللعين يرى لهم كسنة، وفي اليوم الثاني يهون كيده ويضعف أمره فيرى كشهر والثالث يرى كجمعة لأن الحق في كل وقت يزيد قدراً والباطل ينقص حتى ينمحق أثراً، أو لأن الناس كلما اعتادوا بالفتنة والمحنة يهون عليهم إلى أن تضمحل شدتها. ولكن هذا القول مردود لأنه غير مناسب لما ذكر الراوي. (قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة) أي مثلاً (أيكفينا فيه صلاة يوم. قال: لا اقدروا له قدره) بل هذا جار على حقيقته ولا امتناع فيه لأن الله تعالى قادر على أن يزيد كل جزء من أجزاء اليوم الأول حتى يصير مقدار سنة خارقاً للعادة كما يزيد في أجزاء ساعة من ساعات اليوم انتهى. وفيه أن هذا [القول] الذي قرره على المنوال الذي حرره لا يفيد إلا بسط الزمان كما وقع له ﷺ في قصة الإسراء مع زيادة على المكان. لكن لا يخفى أن سبب وجوب كل صلاة إنما هو وقته المقدر من طلوع صبح وزوال شمس وغروبها وغيبوبة شفقها، وهذا لا يتصور إلا بتحقق تعدد الأيام والليالي على وجه الحقيقة وهو مفقود. فالتحقيق ما قاله الشيخ التوربشتي رحمه الله [تعالى] : وهو أنه يشكل من هذا الفصل قوله ﷺ: يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة، مع قوله: وسائر أيامه كأيامكم. ولا سبيل إلى تأويل امتداد تلك الأيام على أنها وصفت بالطول والامتداد لما فيها من شدة البلاء وتفاقم البأساء والضراء لأنهم قالوا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم قال: لا. الحديث. فنقول وبالله التوفيق ومنه المعونة في التحقيق قد تبين لنا بأخبار الصادق المصدوق صلوات الله [تعالى]

قلنا: يا رسولَ اللّهِ! وما إسراعُه في الأرضِ؟ قال: «كالغيثِ استدبرَتْه الريح، فيأتي على القوم، فيدعوهم فيؤمنون به، فيأمر السماءَ فتمطر،

وسلامه عليه أن الدجال يبعث معه من المشبهات ويفيض على يديه من التمويهات ما يسلب عن ذوي العقول عقولهم ويخطف من ذوي الأبصار أبصارهم، فمن ذلك تسخير الشياطين له ومجيئه بجنة ونار وإحياء الميت على حسب ما يدعيه وتقويته على من يريد إضلاله تارة بالمطر والعشب وتارة بالأزمة والجدب، ثم لا خفاء بأنه أسحر الناس فلم يستقم لنا تأويل هذا القول إلا أن نقول إنه يأخذ بأسماع الناس وأبصارهم حتى يخيل إليهم أن الزمان قد استمر على حالة واحدة إسفار بلا ظلام وصباح بلا مساء، يحسبون أن الليل لا يمد عليهم رواقه وأن الشمس لا تطوي عنهم ضياءها فيبقون في حيرة والتباس من امتداد الزمان ويدخل عليهم دواخل باختفاء الآيات الظاهرة في اختلاف الليل والنهار، فأمرهم أن يجتهدوا عند مصادمة تلك الأحوال ويقدروا لكل صلاة قدرها إلى أن يكشف الله عنهم تلك الغمة. هذا الذي اهتدينا إليه من التأويل والله الموفق لإصابة الحق وهو حسبنا ونعم الوكيل. وفي شرح مسلم للنووي رحمه الله قالوا: هذا على ظاهره وهذه الأيام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور في الحديث يدل عليه قوله: وسائر أيامه كأيامكم. وأما قوله ﷺ: اقدروا له قدره. فقال القاضي [رحمه الله]وغيره: هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع. قالوا: ولولا هذا الحديث ووكلنا إلى اجتهادنا اقتصرنا على الصلاة عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام. ومعناه: إذا بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر في كل يوم فصلوا الظهر ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر فإذا مضى بعدها قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب وكذا العشاء والصبح ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب وكذا حتى ينقضي ذلك اليوم. وقد وقع فيه صلاة السنة[1] فرائض مؤداة في وقتها. وأما الثاني الذي كشهر والثالث الذي كجمعة فيقاس على اليوم الأول في أنه يقدر له كاليوم الأول على ما ذكرناه انتهى. وحاصله أن الأوقات للصلوات أسباب وتقديم المسببات على الأسباب غير جائز إلا بشرع مخصوص كما يقدم العصر على وقته بعرفات. فمعنى اقدروا أي قدروا وخمنوا له أي لأداء الصلوات الخمس قدره أي قدر يوم كذا. قيل: والأظهر ما قاله شارح، أي قدر والوقت صلاة يوم في يوم كستة مثلاً قدره، أي قدره الذي كان له في سائر الأيام كمحبوس اشتبه عليه الوقت. (**قلنا: يا رسول الله وما إسراعه**) أي ما قدر اسراعه أو كيفية اعجاله (**في الأرض**) أي في سيرها ووطرة ساحتها. قال الطيبي [رحمه الله]: لعلهم علموا أن له اسراعاً في الأرض فسألوا عن كيفيته كما كانوا عالمين بلبثه فسألوا عن كميته بقولهم: ما لبثه، أي ما مدة لبثه. (**قال: كالغيث**) المراد به هنا الغيم اطلاقاً للسبب على المسبب، أي يسرع في الأرض اسراع الغيم. (**استدبرته الريح**) قال ابن الملك: الجملة حال أو صفة للغيث وأل فيه للعهد الذهني. والمعنى: أن هذا مثال [لا يدرك]كيفيته ولا يمكن تقدير كميته. (**فيأتي**) أي فيمر الدجال (**على القوم**) أي على جنس من الناس (**فيدعوهم**) أي إلى باطله (**فيؤمنون به فيأمر السماء**) أي السحاب (**فتمطر**)

---

(١) في المخطوطة «صلوات ست».

والأرض فتنبت، فتروحُ عليهم سارحتُهم أطول ما كانت ذُرىً، وأسبغه ضروعاً، وأمدّه خواصر، ثم يأتي القوم فيدعُوهم، فيردّون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمرّ بالخَرِبة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزُها كيعاسيب النحل،

من الأمطار حتى تجري الأنهار (والأرض) أي ويأمرها (فتنبت) من الانبات حتى تظهر الأزهار استدراجاً من الواحد القهار (فتروح عليهم سارحتهم) أي فترجع بعد زوال الشمس إليهم ماشيتهم التي تذهب بالغدوة إلى مراعيها (أطول ما كانت) أي السارحة من الإبل، ونصب أطول على الحالية. وقوله: (ذرى) بضم الذال المعجمة وحكي كسرها وفتح الراء منوناً جمع ذروة مثلثة وهي أعلى السنام، وذروة كل شيء أعلاه وهو كناية عن كثرة السمن. (وأسبغه) أي وأتم ما كانت (ضروعاً) بضم أوله جمع ضرع وهو الثدي، كناية عن كثرة اللبن. (وأمده) أي وأمد ما كانت، وهو اسم تفضيل من المد. (خواصر) جمع خاصرة، وهي ما تحت الجنب ومدها كناية عن الامتلاء وكثرة الأكل. (ثم يأتي القوم) أي قوماً آخرين وفي العدول عن قوله على بناء على ما سبق، اشعار بأن اتيانه على الأولين ضرر في الحقيقة دون الآخرين. (فيدعوهم) أي بدعوى ألوهيته (فيردون عليه قوله) أي لا يقبلونه أو يبطلونه بالحجة. (فينصرف عنهم) فيه إشارة إلى أنه ليس له قدرة الاجبار. قال تعالى [جلّ جلاله]: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ [الحجر - ٤٢]. والمعنى: فيصرفه الله عنهم. (فيصبحون ممحلين) بضم الميم وبالحاء، أي داخلين في المحل. قال التوربشتي [رحمه الله]: أمحل القوم أصابهم المحل وهو انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلأ. (ليس بأيديهم شيء من أموالهم) والحاصل أن المؤمنين صاروا به مبتلين بأنواع من البلاء والمحن والضراء ولكنهم صابرون وراضون وشاكرون لما أعطاهم الله من صفات الأولياء ببركة سيد الأنبياء وسيد الأصفياء. (ويمر على الخربة) بكسر الراء، أي يمر الدجال بالأرض الخربة أو بالبقاع الخربة. (فيقول لها: اخرجي كنوزك) أي مدفونك أو معادنك. (فتتبعه) الفاء فصيحة، أي فتخرج فتعقب الدجال. (كنوزها كيعاسب النحل) أي كما يتبع النحل اليعسوب. [قال النووي [رحمه الله]: ليعاسيب ذكور النحل هكذا فسره ابن قتيبة وآخرون. قال القاضي رحمه الله: المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة، لكنه كني عن الجماعة باليعسوب] وهو أميرها [لأنه متى طار تبعته جماعته]، منه قيل للسيد يعسوب. وروى الديلمي عن علي [رضي الله تعالى عنه] مرفوعاً: علي يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين[1]. ففي الكلام نوع قلب، إذ حق الكلام كنحل اليعاسيب. ولعل النكتة في جمع اليعاسيب هو الإيماء إلى كثرة الكنوز التابعة وأنه قدر كأنه جمع باعتبار جوانبه وأطرافه، والمراد جمع من أمرائه ووكلائه][2]. وقال الأشرف: قوله: كاليعاسيب، كناية عن سرعة أتباعه، أي تتبعه الكنوز بالسرعة. وقال الطيبي [رحمه الله]: إذا

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/٣٤٦ حديث رقم ٥٦٠٠ ونسبه إلى ابن عدي.

(٢) هذه العبارة التي بين معكوفتين ليست كذلك في المخطوطة.

ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلَتين رميةَ الغَرض، ثم يدعوه، فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذْ بعثَ اللّهُ المسيحَ ابنَ مريم، فينزل عند المنارة البيضاء، شرقيّ دمشق بين مهروذتين،

كان قوله كاليعاسيب حالاً من الدجال، فالخربة صفة البقاع، وإذا كان حالاً من الكنوز فيجوز أن يكون الموصوف جمعاً أو مفرداً. (**ثم يدعو رجلاً**) أي يطلبه حال كونه (**ممتلئاً**) أي تاماً كاملاً قوياً (**شباباً**) تمييز عن النسبة. قال الطيبي [رحمه الله]: والممتلىء شباباً هو الذي يكون في غاية الشباب. (**فيضربه بالسيف**) أي غضباً عليه لإبائه قبول دعوته الألوهية، أو إظهاراً للقدرة وتوطئة لخرق العادة. (**فيقطعه جزلتين**) بفتح الجيم وتكسر، أي قطعتين تتباعدان. (**رمية الغرض**) أي قدر حذف الهدف فهي منصوبة بمقدر. وفائدة التقييد به أن يظهر عند الناس أنه هلك بلا شبهة كما يفعله السحرة والمشعبذة. قال النووي [رحمه الله]: هو بفتح الجيم على المشهور، وحكى ابن دريد كسرها. ومعنى رمية الغرض أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رمية الغرض هذا هو الظاهر المشهور. وحكى القاضي هذا ثم قال: وعندي أن فيه تقديماً وتأخيراً وتقديره: فيصيبه إصابة رمية الغرض فيقطعه جزلتين، والصحيح الأول: قال التوربشتي [رحمه الله]: أراد برمية الغرض إما سرعة نفوذ السيف وإما إصابة المحز. قال الطيبي رحمه الله: ويؤيده تأويل النووي قوله في الحديث الذي يليه: ثم يمشي الدجال بين القطعتين. (**ثم يدعوه فيقبل**) أي الرجل الشاب على الدجال. (**ويتهلل**) أي يتلألأ ويضيء (**وجهه يضحك**) حال من فاعل يقبل، أي يقبل ضاحكاً بشاشاً فيقول: هذا كيف يصلح إلهاً. (**فبينما**) بالميم على الصحيح (**هو**) أي الرجل (**كذلك**) أي على تلك الحال وذلك المنوال (**إذ بعث الله المسيح ابن مريم**) [عليهما الصلاة والسلام]فسبحان من يدفع المسيح بالمسيح. قال تعالى جلّ شأنه: ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**﴾ [الأنبياء - ١٨]. (**فينزل**) أي عيسى [عليه الصلاة والسلام](**عند المنارة البيضاء شرقي**) بالنصب على الظرفية مضافاً إلى قوله: (**دمشق**) بكسر الدال وفتح الميم وتكسر وهو المشهور الآن بالشام فإنه تحت ملكه. وفي الجامع روى الطبراني عن أوس بن أوس: ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق[١]. ذكر السيوطي في تعليقه على ابن ماجه أنه قال الحافظ ابن كثير في رواية: أن عيسى عليه [الصلاة] والسلام ينزل ببيت المقدس. وفي رواية: بالأردن. وفي رواية: بمعسكر المسلمين. قلت: حديث نزوله ببيت المقدس عند ابن ماجه[٢] وهو عندي أرجح ولا ينافي سائر الروايات لأن بيت المقدس شرقي دمشق وهو معسكر المسلمين إذ ذاك، والأردن اسم الكورة كما في الصحاح وبيت المقدس داخل فيه وإن لم يكن في بيت المقدس الآن منارة فلا بد أن تحدث قبل نزوله والله [تعالى]أعلم. وقوله: (**بين مهرودتين**) بالدال المهملة ويعجم، أي حال كون عيسى بينهما بمعنى لابس حلتين مصبوغتين بورس أو زعفران. قال النووي رحمه الله: روي

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٩٠ حديث رقم ١٠٠٢٣.

(٢) ضمن الحديث ٤٠٧٧.

واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدّر منه مثل جُمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافرٍ يجدُ مِن ريح نَفَسِهِ إلا مات، ونَفَسُهُ ينتهي حيثُ ينتهي طرفه، فيطلبه

بالدال المهملة، والذال المعجمة أكثر، والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة. ومعناه: لابس ثوبين مصبوغين بالورس ثم الزعفران انتهى. وقال ابن الأنباري: يروى بدال مهملة ومعجمة، أي بين مخصرتين على ما جاء في الحديث ولا نسمعه إلا فيه وكذلك أشياء كثيرة لم تسمع إلا في الحديث. والمخصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة كذا في النهاية. **(واضعاً كفيه على أجنحة ملكين)** حال لبيان كيفية انزاله كما أن ما قبله حال البيان كيفية لبسه وجماله. ثم بين له حالة أخرى بقوله: **(إذا طأطأ)** بهمزتين، أي حفض **(رأسه قطر)** أي عرق **(وإذا رفعه)** أي رأسه **(تحدر)** بتشديد الدال، أي نزل **(منه)** أي من شعره قطرات نورانية **(مثل الجمان)** بضم الجيم وتخفيف الميم وتشدد، حب يتخذ من الفضة. **(كاللؤلؤ)** أي في الصفاء والبياض. ففي النهاية: الجمان بضم الجيم وتخفيف الميم يتخذ من الفضة على هيئة اللآلىء الكبار. قال الطيبي رحمه الله: شبهه بالجمان في الكبر ثم شبه الجمان باللؤلؤ في الصفاء والحسن، فالوجه أن يكون الوجه الكبر مع الصفاء والحسن. وفي القاموس: الجمان كغراب اللؤلؤ أو هنوات أشكال اللؤلؤ. وقال شارح: الجمان بتشديد الميم. وقال ابن الملك: بالتشديد اللؤلؤ الصغار وبتخفيفها حب يتخذ من الفضة. وقيل: المراد بالجمان في صفة عيسى عليه [الصلاة]والسلام هو الحب المتخذ من الفضة. قلت: بل هو المتعين بقوله: كاللؤلؤ. **(فلا يحل)** بكسر الحاء، أي لا يمكن ولا يقع. **(لكافر أن يجد من ريح نفسه)** بفتح الفاء **(إلا مات)** كذا ذكره النووي. وقال القاضي: معناه عندي حق واجب، قال: ورواه بعضهم بضم الحاء وهو وهم وغلط. قال الطيبي [رحمه الله]: معناه لا يحصل ولا يحق أن يجد من ريح نفسه وله حال من الأحوال إلا حال الموت. فقوله: يجد مع ما في سياقه فاعل يحل على تقديران. **(ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه)** بسكون الراء، أي لحظه ولمحه. ويجوز كون الدجال مستثنى من هذا الحكم لحكمة إراءة دمه في الحربة ليزداد كونه ساحراً في قلوب المؤمنين. ويجوز كون هذه الكرامة لعيسى أولاً حين نزوله ثم تكون زائلة حين يرى الدجال، إذ دوام الكرامة ليس بلازم وقيل: نفس الذي يموت الكافر هو النفس المقصود به اهلاك كافر لا النفس المعتاد، فعدم موت الدجال لعدم النفس المراد. وقيل: المفهوم منه أن من وجد من نفس عيسى من الكفار يموت، ولا يفهم منه أن يكون ذلك أول وصول نفسه، فيجوز أن يحصل ذلك بهم بعد أن يريهم عيسى عليه [الصلاة] والسلام دم الدجال في حربته للحكمة المذكورة كذا بخط شيخنا المرحوم مولانا عبد الله السندي رحمه الله تعالى. ثم من الغريب أن نفس عيسى عليه [الصلاة] والسلام تعلق به الاحياء لبعض والإماتة لبعض. **(فيطلبه)** أي [يطلب] عيسى عليه [الصلاة] والسلام الدجال **(حتى يدركه بباب لد)** بضم لام وتشديد دال مصروف اسم جبل بالشام، وقيل قرية من قرى بيت المقدس وعليه اقتصر النووي. وزاد غيره سمي به لكثرة شجره. وقال السيوطي رحمه الله في شرح الترمذي: هو على ما في النهاية

حتى يُدركه بباب لُدّ فيقتُلُه، ثم يأتي عيسى [إلى] قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدثُهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي لا يدانِ لأحدٍ بقتالهم، فحرِّزْ عبادي إلى الطور، ويبعث اللهُ يأجوج ومأجوج ﴿وهم من كل حدبٍ ينسلون﴾، فيمُر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمرّ آخرُهم فيقول: لقد كانَ بهذه مرّة ماءٌ، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا منْ في الأرض، هلمّ

موضع بالشام، وقيل بفلسطين. (**فيقتله**) في الجامع رواه الترمذي وكذا أحمد. وعن مجمع بن جارية: يقتل ابن مريم الدجال بباب لد (**ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه**) أي حفظهم من شر الدجال (**فيمسح عن وجوههم**) أي يزيل عنها ما أصابها من غبار سفر الغزو ومبالغة في إكرامهم، أو المعنى يكشف ما نزل بهم من آثار الكآبة والحزن على وجوههم بما يسرهم من خبره بقتل الدجال. (**ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة**) قال النووي [رحمه الله]: وهذا المسح يحتمل أن يكون على ظاهره فيمسح وجوههم تبركاً، أو أنه إشارة إلى كشف ما يكون فيه من الشدة والخوف. (**فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني**) بفتح الهمزة ويكسر (**قد أخرجت عباد لي**) أي أظهرت جماعة منقادة لقضائي وقدري (**لا يدان**) أي لا قدرة ولا طاقة (**لأحد بقتالهم**) وإنما عبر عن الطاقة باليد لأن المباشرة والمدافعة إنما تكون باليد وثنى مبالغة كان يديه معدومتان لعجزه عن دفعه، ويمكن أن يكون في التثنية إيماء إلى العجز عنهما جميعاً. (**فحرز عبادي**) أي من التحرير مأخوذ من الحرز، أي احفظهم وضمهم. (**إلى الطور**) واجعله لهم حرزاً (**ويبعث الله يأجوج ومأجوج**) بالألف ويبدل فيهما (**وهم**) أي جميع القبيلتين لقوله تعالى: ﴿**هذان خصمان اختصموا**﴾ [الحج - ١٩]. (﴿**من كل حدب**﴾) بفتحتين أي مكان مرتفع من الأرض (﴿**ينسلون**﴾) بفتح الياء وكسر السين، أي يسرعون. (**فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية**) بالإضافة، وبحيرة تصغير بحرة وهي ماء مجتمع بالشام طوله عشرة أميال. وطبرية بفتحتين اسم موضع. وقال شارح: هي قصبة الأردن بالشام. (**فيشربون ما فيها**) أي من الماء (**ويمر آخرهم فيقول:**) أي آخرهم أو قائل منهم (**لقد كان بهذه**) أي البحيرة أو البقعة (**مرة**) أي وقتاً (**ماء**) أي ماء كثير (**ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر**) بفتح الخاء المعجمة والميم وبالراء الشجر الملتف، وفسر في الحديث بقوله: (**وهو جبل بيت المقدس**) لكثرة شجره أو هو كل ما سترك[1] من شجر أو بناء أو غيره كذا في النهاية. (**فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض**) أي من ظهر على وجهها لما سيأتي من استثناء عيسى عليه [الصلاة]والسلام وأصحابه حيث كانوا محصورين محصونين. (**هلم**) أي تعال والخطاب لأميرهم وكبيرهم، أو عام غير مخصوص بأحدهم. وفي النهاية: فيه لغتان فأهل الحجاز يطلقونه على الواحد والاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد مبني على الفتح، وبنو تميم تثنى وتجمع وتؤنث تقول: هلم وهلمي

---

(١) في المخطوطة «يترك».

فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيردّ الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً، ويُحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينارٍ لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسلُ الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموتِ نفسٍ واحدة، ثم يهبط نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبرٍ إلا ملأه زَهَمُهم ونَتْنُهُم،

وهلماً وهلموا. (**فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم**) بضم فتشديده مفرده نشابة والباء زائدة أي سهامهم (**إلى السماء**) أي إلى جهتها (**فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة**) أي مصبوغة (**دماً**) تمييز وهذا مكر واستدراج منه سبحانه مع احتمال اصابة سهامهم لبعض الطيور في السماء، فيكون فيه إشارة إلى احاطة فسادهم بالسفليات والعلويات (**ويحصر**) بصيغة المفعول، أي يحبس في جبل الطور. (**نبي الله**) أي عيسى عليه [الصلاة]والسلام (**وأصحابه**) أي من مؤمني هذه الأمة (**حتى يكون**) أي يصير من شدة المحاضرة والمضايقة (**رأس الثور**) أي البقر مع كمال رخصه في تلك الديار (**لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم**) قال التوربشتي رحمه الله: أي تبلغ بهم الفاقة إلى هذا الحد. وإنما ذكر رأس الثور ليقاس البقية عليه في القيمة. (**فيرغب**) أي إلى الله أو يدعو (**نبي الله**) فيه تنبيه [نبيه على]أنه مع متابعته لشريعة [محمد ﷺ]باق على نبوته (**عيسى وأصحابه**) قال القاضي: أي يرغبون إلى الله تعالى في إهلاكهم وانجائهم عن مكابدة قبلائهم ويتضرعون إليه فيستجيب الله فيهلكهم بالنغف كما قال: (**فيرسل الله عليهم**) أي على يأجوج ومأجوج (**النغف**) بفتح النون والغين المعجمة، دود يكون في أنوف الابل والغنم (**في رقابهم فيصبحون فرسي**) كهلكي وزناً، ومعنى وهو جمع فريس كقتيل وقتلى من فرس الذئب الشاة إذا كسرها وقتلها، ومنه فريسة الأسد. (**كموت نفس واحدة**) لكمال القدرة وتعلق المشيئة، قال تعالى: ﴿**ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة**﴾ [لقمان - ٢٨]. قال التوربشتي [رحمه الله]: يريد أن القهر الإلهي الغالب على كل شيء يفرسهم دفعة واحدة فيصبحون قتلى. وقد نبه بالكلمتين أعني النغف وفرسي على أنه سبحانه يهلكهم في أدنى ساعة بأهون شيء وهو النغف فيفرسهم فرس السبع فريسته بعد أن طارت نفرة البغي في رؤوسهم فزعموا أنهم قاتلوا من في السماء. (**ثم يهبط**) أي ينزل من الطور (**نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض**) أي في وجهها جميعاً وهذا هو وجه العدول عن الضمير إلى الظاهرة، فاللام في الأولى للعهد وفي الثانية للاستغراق بدليل الاستثناء. وبه يتبين أن القاعدة المعروفة أن المعرفة إذا أعيدت تكون عيناً للأولى مبنية على غالب العادة أو حيث لا قرينة صارفة. (**موضع شبر إلا ملأه زهمهم**) بفتح الزاي والهاء وقد تضم الزاي. وقال شارح: هو بالضم، وروي بالتحريك وتفسيره قوله: (**ونتنهم**) بسكون التاء. قال التوربشتي [رحمه الله]: الزهم بالتحريك مصدر قولك زهمت يدي بالكسر من الزهومة فهي زهمة أي دسمة وعليه أكثر الروايات فيما أعلم. وفيه من طريق المعنى وهن، وضم الزاي مع فتح الهاء أصح معنى وهو جمع زهمة يعني بضم الزاي وسكون الهاء وهي الريح المنتنة. وقال شارح: هو أصح رواية ودراية ويوافقهما ما في القاموس حيث قال: الزهومة والزهمة بضمها ريح لحم سمين منتن، والزهم بالضم الريح

فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسلُ الله طيراً كأعناقِ البُخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله». وفي روايةٍ «تطرحهم بالنهبل، ويستوقد المسلمون من قسِيّهم ونُشّابِهم وجِعابِهم سبع سنين، ثم يرسل الله مَطراً لا يَكُنُّ منه بيتُ مدرٍ ولا وبرٍ، فيغسل الأرضَ حتى يتركَها كالزَّلَفَة،

المنتنة وبالتحريك مصدر زهمت يدي كفرح فهي زهمة أي دسمة انتهى. وقد يقال أطلق المصدر وأريد به الوصف مبالغة كرجل عدل. (**فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله**) في ضم أصحابه إليه إشارة إلى أن الهيئة الاجتماعية في الهمة الأطماعية لها تأثير بليغ في الاجابة الدعائية[1]، وفي ذكرهم إيماء إلى أنهم هم الباعث على الدعاء والتضرع إلى رب السماء. (**فيرسل الله طيراً كأعناق البخت**) بضم موحدة وسكون معجمة نوع من الإبل، أي طيراً أعناقها في الطول والكبر كأعناق البخت والطير جمع طائر وقد يقع على الواحد ولذا قال: (**فتحملهم**) أي تلك الطير (**فتطرحهم**) أي فترميهم (**حيث شاء الله**) أي من البحار أو مما وراء معمورة الديار أو خلف جبال قاف ونحوها أو إلى عالم الاعدام والافناء. (**وفي رواية: تطرحهم بالنَّهْبَل**) بفتح النون وسكون الهاء وفتح الموحدة موضع، وقيل مكان ببيت المقدس، وفيه أنه كيف يسعهم. ولعل المراد به موضع بعضهم أو على طريق خرق العادة يسعهم. وقيل هو حيث تطلع الشمس، وفي القاموس: نهبل أسن. وروى الترمذي في حديث الدجال: فتطرحهم بالنهبل. وهو تصحيف، والصواب بالميم انتهى[2]. ولم يذكر المهبل لا لفظاً ولا معنى. (**ويستوقد المسلمون من قسيهم**) بكسرتين فتشديد تحتية جمع قوس والضمير ليأجوج ومأجوج (**ونشابهم**) أي سهامهم (**وجعابهم**) بكسر الجيم جمع جعبة بالفتح وهي ظرف النشاب (**سبع سنين ثم يرسل الله مطراً**) أي عظيماً (**لا يكن**) بفتح الياء وضم الكاف وتشديد النون من كنت الشيء، أي سترته وصنته عن الشمس وهي من أكننت الشيء بهذا المعنى والمفعول محذوف والجملة صفة مطراً، أي لا يستر ولا يصون شيئاً. (**منه**) أي من ذلك المطر (**بيت مدر**) بفتحتين أي تراب وحجر (**ولا وبر**) أي صوف أو شعر. والمراد تعميم بيوت أهل البدو والحضر. قال النووي رحمه الله: أي لا يمنع من نزول الماء بيت المدر وهو الطين الصلب. وقال القاضي رحمه الله: أي لا يحول بينه وبين مكان ماء حائل بل يعم الأماكن كلها (**فيغسل**) أي المطر (**الأرض**) أي وجهها كلها (**حتى يتركها كالزلفة**) بفتح الزاي واللام ويسكن وبالفاء، وقيل بالقاف وهي المرآة بكسر الميم. وقيل ما يتخذ لجمع الماء من المصنع. والمراد أن الماء يعم جميع الأرض بحيث يرى الرائي وجهه فيه. قال النووي رحمه الله: روي بفتح الزاي واللام وبالفاء وبالقاف، وروي بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء. وقال القاضي رحمه الله: روي بالفاء والقاف وبفتح اللام وبإسكانها وكلها صحيحة. قلت: الأصح وهو الذي عليه الأكثر بفتحتين

---

(١) في المخطوطة «إجابة الرعاية».

(٢) رواه الترمذي في السنن بلفظ «بالمهبل» راجع تخريج الحديث.

ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتكِ ورُدِّي بركتك، فيومئذٍ تأكل العصابةُ من الرُّمانة ويستظلون بقِحفِها ويبارك في الرِّسْل، حتى إن اللِقحةَ من الإبل لَتكفي الفِئامَ من الناس، واللِقحة من البقرِ لتكفي القبيلةَ من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفَخِذَ من الناس، فبينا هم كذلك إذ بعثَ اللهُ ريحاً طيبةً فتأخذُهم تحت آباطهم، فتقبض رُوحَ كلِّ مؤمنٍ وكلِّ مسلمٍ،

والفاء واقتصر عليه القاموس في المعاني الآتية كلها [والله تعالى أعلم. قال:]واختلفوا في معناها فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون معناه كالمرآة، وحكى صاحب المشارق هذا عن ابن عباس أيضاً شبهها بالمرآة في صفائها ونظافتها. وقيل: معناه كمصانع الماء، أي الماء يستنقع فيها حتى تصير الأرض كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء. وقال أبو عبيدة: معناه الإجانة الخضراء. وقيل كالصحفة، وقيل كالروضة. **(ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي)** أي إلى أملك **(بركتك)** أي من سائر نعمك **(فيومئذ تأكل العصابة)** بكسر العين، أي الجماعة. **(من الرمانة)** أي ويشبعون منها **(ويستظلون بقحفها)** بكسر القاف أي بقشرها. قال النووي رحمه الله: هو مقعر قشرها شبهها بقحف الآدمي وهو الذي فوق الدماغ. وقيل: هو ما انفلق من جمجمته وانفصل. وقال شارح: أراد نصف قشرها الأعلى وهو في الأصل العظم المستدير فوق الدماغ، وهو أيضاً إناء من خشب على مثاله كأنه نصف صاع واستعير هنا لما يلي رأسها من القشرة. **(ويبارك)** بصيغة المجهول، أي يوضع البركة والكثرة. **(في الرسل)** بكسر الراء وسكون السين. أي اللبن **(حتى أن اللقحة)** بكسر اللام ويفتح أي الناقة الحلوبة. قال النووي [رحمه الله]: اللقحة بكسر اللام وفتحها [لغتان]مشهورتان والكسر أشهر وهي القريبة العهد بالولادة. وقال في المختصر: من النوق وغيرها. فقوله **(من الإبل)** بيانية **(لتكفي)** أي اللقحة والمراد لبنها **(الفئام)** بهمز على زنة رجال والعامة تبدل الهمز ياء أي الجماعة **(من الناس)** ولا واحد له من لفظه والمراد به هنا أكثر القبيلة كما أن القبيلة أكثر من الفخذ على ما سيأتي. وقال النووي [رحمه الله]: الفئام بكسر الفاء وبعدها همزة ممدودة، هي الجماعة الكثيرة هذا هو المشهور المعروف في اللغة. ورواية الحديث بكسر الفاء وبالهمز. قال القاضي: ومنهم من لا يجيز الهمز بل يقوله بالياء. وقال في المشارق: وحكاه الخليل بفتح الفاء، قال: وذكره صاحب العين غير مهمز وأدخله في حرف الياء. وحكى الخطابي أن بعضهم ذكرهم بفتح الفاء وتشديد الياء وهو غلط فاحش. **(واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس)** قال القاضي عياض [رحمه الله]: الفخذ هنا بسكون الخاء المعجمة لا غير، جماعة من الأقارب وهم دون البطن والبطن دون القبيلة. وأما الفخذ بمعنى العضو فبكسر الخاء وسكونها. **(فبينا)** بلا ميم **(هم)** مبتدأ خبره **(كذلك)** وناعوض عن المضاف إليه والعامل فيه قوله: **(إذا بعث الله)** وإذ للمفاجأة، أي بين أوقات يتنعمون في طيب عيش وسعة أرسل عليهم فجأة. **(ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم)** بهمزة ممدودة جمع إبط **(فتقبض)** أي تلك الريح **(روح كل مؤمن)** أسند الفعل إلى الريح مجازاً **(أو كل مسلم)** قال النووي [رحمه الله]: هكذا هو في جميع النسخ بالواو. يعني: كان الظاهر أن يكون بأو بالشك فإنه لا فرق بين المؤمن والمسلم عند أرباب الحق من أهل السنة والجماعة،

ويبقى شرارُ الناس يتهارجون فيها تهارج الحُمُرِ، فعليهم تقومُ الساعة» رواه مسلم إلا الرواية الثانية وهي قوله: «تطرحهم بالنهبل إلى قوله: سبع سنين». رواها الترمذيُّ.

٥٤٧٦ ـ (١٣) وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرجُ الدجالُ، فيتوجّه قِبَلَهُ رجلٌ من المؤمنين، فيلقاه المَسالِحُ مسالِحُ الدجال. فيقولون له: أين

فالمقصود المبالغة في التعميم والتغاير باعتبار اختلاف الوصفين كما في التنزيل: ﴿تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ [الحجر ـ ١]. وقوله سبحانه: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ [الأحزاب ـ ٣٥]. أو بناء على الفرق اللغوي بينهما من أن المراد بالمؤمن المصدق وبالمسلم المنقاد، لكن لما كان أحدهما لا ينفع بدون الآخر جعل الموصوف بهما واحداً وأطلق عليه كل واحد من الوصفين بطريق التساوي، أو لكون أحدهما غالباً عليه في نفس الأمر والله [تعالى]أعلم. قال الطيبي [رحمه الله]: المراد بالتكرار هنا الاستيعاب أي تقبض روح خيار الناس كلهم. (ويبقى شرار الناس) بكسر أوله جمع شر (يتهارجون) أي يختلطون (فيها) أي في تلك الأزمنة أو في الأرض (تهارج الحمر) أي كاختلاطها ويتسافدون. وقيل: يتخاصمون. فإن الأصل في الهرج القتل وسرعة عدو الفرس، وهرج في حديثه أي خلط. قال النووي [رحمه الله]: أي يجامع الرجل النساء علانية بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك. والهرج بإسكان الراء الجماع، ويقال: هرج زوجته أي جامعها يهرجها بفتح الراء وضمها وكسرها. (فعليهم تقوم الساعة) أي لا على غيرهم. وسيأتي حديث: لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس. وفي رواية: لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله. (رواه) أي الحديث بكماله (مسلم إلا الرواية الثانية وهي) أي الرواية، وفي نسخة: وهو. وتذكيره لتذكير خبره وهو (قوله: تطرحهم بالنهبل إلى قوله: سبع سنين رواها) أي تلك الرواية (الترمذي).

٥٤٧٦ ـ (وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج الدجال فيتوجه قبله) بكسر قاف وفتح موحدة، أي إلى جانبه (رجل) أي عظيم (من المؤمنين) قال أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الفقيه راوي صحيح مسلم: يقال: إن هذا الرجل الخضر عليه [الصلاة]والسلام وكذا قال معمر وهذا يقتضي أن يكون الخضر حياً. وقد اختلف العلماء في ذلك، فالجمهور من الفقهاء والمحدثين وغيرهم وبعض الصوفية على أنه مات. وذهب جمهور الصوفية وبعض الفقهاء وغيرهم إلى أنه حي. قال النووي [رحمه الله]: وهو الصحيح ذكره الشيخ الجزري. (فيلقاه المسالح) بفتح الميم وكسر اللام جمع المسلحة وهم القوم ذوو السلاح يحفظون الثغور. (مسالح الدجال) مرفوع على الإبدال. وفي إشارة إلى أن اللام عوض عن المضاف إليه أو اللام للعهد. قال القاضي [رحمه الله]: ولعل المراد به ههنا مقدمة جيشه وأصلها موضع السلاح ثم استعمل للثغر، فإنه يعد فيه الأسلحة ثم للجند المترصدين ثم لمقدمة الجيش فإنهم من الجيش كأصحاب الثغور ممن وراءهم من المسلمين. (فيقولون له: أين

الحديث رقم ٥٤٧٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٥٦. حديث رقم (١١٣. ٢٩٣٨).

تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج، قال: فيقولون له: أو ما تؤمنُ بربّنا؟ فيقول: ما بربّنا خفاءٌ. فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعضٍ: أليس قد نهاكم ربُّكم أن تقتلوا أحداً دونه». [قال]: «فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمنُ قال: يا أيُّها الناس! هذا الدجالُ الذي ذكرَ رسولُ اللهِ ﷺ». قال: «فيأمر الدجال به فَيُشَبَّحُ. فيقول: خذوه وشُجُّوه، فيُوسَعُ ظهرهُ وبطنُهُ ضرباً». قال: «فيقول: أوَ ما تؤمنُ بي؟» قال: «فيقول: أنتَ المسيحُ الكذّابُ». قال: «فيؤمر به فَيُؤشَرُ بالمنشارِ

تعمد) بكسر الميم، أي تقصد. (فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج) أي خرج عن الحق أو على الخلق أو ظهر بالباطل، والإشارة للتحقير. (فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا) يعنون به الدجال حيث وجدوا عنده الجاه والمال. (فيقول:) أي الرجل (ما بربنا) أي بربي وربكم، ففيه تغليب أو ما بربنا معشر المؤمنين (خفاء) وما نافية، أي ليس يخفى علينا صفات ربنا عن غيره لنعدل عنه إليه أو لنترك الاعتماد عليه:

فـفـي كـل شـيء لـه شـاهـد يـدل عـلـى أنـه واحـد

وأما ما عداه فآثار الحدوث عليه لائحة وأنواع النقصان فيه واضحة، ومن أظهر الأدلة القطعية أن المخلوقية تنافي الربوبية والعبودية تناقض الألوهية ما للتراب ورب الأرباب، كيف والعيوب الظاهرة فيه تشهد لمن له أدنى عقل كما لا يخفى. وفيه إيماء إلى ما سبق من قوله ﷺ: إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور. قال الطيبي [رحمه الله]: هذا تكذيب لهم وبيان لتمويههم وتلبيسهم إذ ما يؤمن بربنا كما قال ﷺ: إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور[1]. (فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا) أي من قتلكم (أحداً دونه) أي دون علمه وأمره وإذنه. (فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن) أي أبصر الدجال الرجل الموقن وقد عرف علاماته (قال:) تذكيراً للأمة وتوهيناً للغمة. (هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ) أي في أحاديثه أنه سيخرج في آخر الزمان (قال:) أي النبي ﷺ (فيأمر الدجال به) أي بضربه (فيشبح) بتشديد الموحدة المفتوحة، أي يمد للضرب. (فيقول:) أي الدجال تأكيداً وتغليظاً وتشديداً. (خذوه) أي امسكوه أخذاً شديداً (وشجوه) بضم الشين المعجمة وتشديد الجيم، أي اكسروا رأسه. وفي نسخة: فشبحوه بفتح الشين وكسر الموحدة فحاء مهملة، أي مدوه على بطنه أو على قفاه. يقال: تشبح الحرباء على العود، أي امتد وتشبيح الشيء جعله عريضاً. (فيوسع) بسكون الواو وفتح السين (ظهره وبطنه ضرباً) أي يكثر الضرب على ظهره وبطنه. (قال: فيقول:) أي الدجال (أما تؤمن بي) وفي نسخة: أو ما تؤمن بي. أي أتنكرني وألوهيتي وما تؤمن بي وربوبيتي. (قال: فيقول:) أي المؤمن (أنت المسيح الكذاب) أي الذي يقتلك المسيح الصديق (قال: فيؤمر به فيؤشر) بضم فسكون همز ويبدل واواً ففتح شين، أي فيقطع (بالمئشار) بكسر الميم وسكون الهمز ويبدل ياء وبالنون في

---

(١) راجع الحديث رقم (٥٤٧٠).

من مَفرِقه حتى يُفَرَّقَ بين رِجليه». قال: «ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقولُ له: قُم، فيستوي قائماً، ثم يقول له: أتؤمنُ بي؟ فيقول: ما ازددتُ إلا بصيرةً». قال: «ثم يقولُ: يا أيُّها الناس! إنه لا

بعض النسخ، وهو آلة النشر والقطع. (من مفرقه) بفتح الميم وكسر الراء ويفتح، أي مبتدأ من فرق رأسه. (حتى يفرق) بصيغة المجهول مخففاً ويشدد، أي حتى يفصل بدنه قطعتين واقعتين. (بين رجليه) أي في طرفي قدميه. قال النووي [رحمه الله]: قوله: يشبح بشين معجمة ثم باء موحدة وحاء مهملة وكذا شبحوه، أي مدوه على بطنه. وجاء أيضاً شجوه بجيم مشددة من الشج وهو الجرح في الرأس. ثم قال: وهذه الرواية أصح عندنا. وقوله: فيؤشر الرواية فيه بالهمزة، والمئشار بهمز بعد الميم وهو الأفصح، ويجوز تخفيف الهمز فيهما فيجعل في الأول واواً وفي الثاني ياء. ويجوز المنشار بالنون وعلى هذا يقال: نشرت الخشبة ومفرقه بكسر الراء وسطه، يعني وسط فرقه أو وسط رأسه انتهى. قال الجزري [رحمه الله]: روي هذا الحديث على ثلاثة أوجه، يشبح بمعجمة فموحدة فمهملة وشجوه بالجيم من الشج وهو الجرح في الرأس والوجه، وثانيهما يشبح كالأول وشبحوه بالباء والحاء، وثالثها فيشج وشجوه كلاهما بالجيم وهو الذي ذكره المؤلف. والوجه الثاني هو الذي ذكره الحميدي وصححه القاضي عياض والأصح عند جماعة من أصحابنا الأول والله [تعالى]أعلم. وقال شارح: يقال: وشرت الخشب بالميشار إذا نشرته بالمنشار، وفي الحديث بالياء لا غير يدل عليه فيؤشر. قلت: فيه بحث، إذ قوله: فيؤشر، يحتمل أن يكون بالهمز وأن يكون بواو مبدلة أو أصلية، وكذا في الميشار يصح همزه وإبداله من همز أو من واو. وهذا لا ينافي أن يكون بالهمز وأن يكون المنشار بالنون بناء على التفنن في العبارة، مع أنه هو المشهور باعتبار اللغة على لسان العامة. وفي القاموس: أشر الخشب بالميشار شقه ونشر الخشب نحته ووشر الخشب بالميشار غير مهموز لغة في أشرها بالمنشار إذا نشرها انتهى. وبه يعلم أن الأصل هو الهمز، والواو لغة في الشق والنون خاص بمعنى النحت. (قال:) أي النبي ﷺ (ثم يمشي الدجال بين القطعتين) أي الشقتين من الرجل تخييلاً لتحقيق القتل (ثم يقول له: قم. فيستوي قائماً. ثم يقول له: أتؤمن بي. فيقول: ما ازددت) بفتح الدال. وقال شارح: بكسر الدال الأولى على بناء المجهول. أقول: صحته موقوفة على إتيانه متعدياً إلى مفعولين. وظاهر ما في القاموس أنه لازم حيث قال: زاده الله خيراً، فزاد وازداد حيث أشار إلى أن زاد لازم متعد وإن ازداد قاصر فقط حيث جعله مطاوعاً. نعم قوله تعالى: ﴿ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾ [الفتح ـ ٤]. صريح في أنه متعد إلى مفعول واحد، وأما زاد فيجيء لازماً ومتعدياً إلى مفعول وإلى مفعولين كقوله تعالى: ﴿فزادهم إيماناً﴾ [آل عمران ـ ١٧٣]. وقيل: نصب إيماناً على التمييز، وحاصل المعنى ما زدت. (فيك) أي في معرفتك بفعلك هذا من القتل والإحياء (إلا بصيرة) أي زيادة علم ويقين بأنك كاذب مموه. (قال: ثم يقول:) المؤمن (أيها الناس إنه) أي الشأن أو الدجال[1] (لا

---

(١) في المخطوطة «الحال».

يَفعَلُ بعدي بأحدٍ من الناسِ». قال: «فيأخذه الدجال ليذبحه، فيُجعَلُ ما بينَ رقبته إلى تَرقوته نُحاساً، فلا يستطيع إليه سبيلاً». قال: «فيأخذه بيديه ورجليه، فيقذفُ به، فيحسبُ الناسُ أنما قذفه إلى النار، وإنما أُلقي في الجنة» فقال رسول الله ﷺ: «هذا أعظمُ الناسِ شهادةً عند ربِّ العالمين». رواه مسلم.

٥٤٧٧ ـ (١٤) وعن أمّ شريكٍ، قالتْ: قال رسولُ الله ﷺ:

يفعل) مفعوله محذوف، أي لا يفعل ما فعل بي من القتل والإحياء في الظاهر. (بعدي) أي بعد فعله بي (بأحد من الناس) وفي هذا اخبار عن سلب القدرة الاستدراجية عنه وتسلية للناس في الخوف منه. (قال: فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل) بضم أوله. وفي نسخة بفتحه، أي فيجعل الله. (ما بين رقبته إلى ترقوته) بفتح التاء وسكون الراء وضم القاف وفتح الواو، العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق. (نحاساً) أي كالنحاس لا يعمل فيه السيف. وفي شرح السنة قال معمر: بلغني أنه يجعل [على]حلقه صفحة نحاس. (فلا يستطيع) أي الدجال (إليه) أي إلى وصول قتله ولا يقدر على حصول مضرته. (سبيلاً) تمييز، أي طريقاً من التعرض. قال: فيأخذ) أي الدجال (بيديه ورجليه فيقذف به) أي يرمي بالمؤمن ويطرحه. (في الهواء فيحسب الناس) بكسر السين وفتحها، أي فيظنون. (إنما قذفه إلى النار) في تأويل المصدر أي قذفه إليها. والأظهر ما اختاره الزمخشري من أن أنما بالفتح يفيد الحصر أيضاً كما اجتمعا في قوله تعالى: ﴿قل إنما يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد﴾ [الأنبياء ـ ١٠٨]. ويؤيده قوله: (وإنما ألقي) بصيغة المجهول، أي أوقع. (في الجنة) واللام للعهد، أي في بستان من بساتين الدنيا. ويمكن أنه يرميه في النار التي معه ويجعلها الله عليه جنة كما سبق برداً وسلاماً على إبراهيم عليه [الصلاة]والسلام، وتصير تلك النار روضة وجنة. وعلى كل تقدير فلم يحصل له موت على يده سوى ما تقدم. وأما قول الراوي: (فقال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين) فالمراد بها قتله الأول فتأمل فإنه موضع الزلل والخطل والوجل كما وقع فيه الطيبي [رحمه الله] بقوله: فيحسب الناس أن الدجال قذفه فيما يزعم أنه ناره وإنما ألقي في الجنة وهي دار البقاء، يدل عليه قوله: هذا أعظم الناس شهادة. ونحوه قوله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين﴾ [آل عمران ـ ١٦٩]. أي يسرحون في ثمار الجنة. أقول: فهذا مناقض لقوله: إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس اللهم إلا أن يقال المراد بقوله: لا يفعل بعدي، أي بعد قتلي ثانياً بأحد من الناس أي غيري، ولا يخفى بعده والله [تعالى] أعلم وسيأتي في حديث أبي سعيد ما يفيد تأييد ما اخترناه. (رواه مسلم).

٥٤٧٧ ـ (وعن أم شريك) بفتح فكسر، أي الأنصارية أو القرشية. (قالت: قال رسول

الحديث رقم ٥٤٧٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٦٦ حديث رقم (١٢٥ ـ ٢٩٤٥) والترمذي في السنن ٥/ ٦٨١. حديث رقم ٦/ ٤٦٢.

«ليفِرنَّ الناس من الدجالِ حتى يلحقوا بالجبال». قالت أم شريك: قلتُ: يا رسول الله! فأين العربُ يومئذٍ؟ قال: «هم قليل». رواه مسلم.

٥٤٧٨ ـ (١٥) وعن أنسٍ، عن رسول الله ﷺ قال: «يَتْبَعُ الدجالَ من يهود أصفهانَ سبعونَ ألفاً، عليهم الطيالسة». رواه مسلم.

٥٤٧٩ ـ (١٦) وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي الدجالُ

الله ﷺ: **ليفرن)** أي ليهربن **(الناس)** أي المؤمنون **(من الدجال حتى يلحقوا بالجبال. قالت أم شريك: قلت: يا رسول فأين العرب يومئذ)** قال الطيبي [رحمه الله]: الفاء فيه جزاء شرط محذوف، أي إذا كان هذا حال الناس فأين المجاهدون في سبيل الله الذابون عن حريم الإسلام المانعون عن أهله صولة أعداء الله. فكني عنهم بها. **([يومئذ]. قال: هم)** أي العرب **(قليل)** أي حينئذ فلا يقدرون عليه. **(رواه مسلم)** وكذا الترمذي ذكره السيد. ولفظ الجامع: ليفرن الناس من الدجال في الجبال. رواه أحمد ومسلم والترمذي[1].

٥٤٧٨ ـ **(وعن أنس عن رسول الله ﷺ قال: يتبع)** بفتح فسكون ففتح. وقال شارح: من الأتباع بتشديد التاء، أي يطيع. **(الدجال من يهود أصفهان)** بفتح الهمزة ويكسر وفتح الفاء، بلد معروف من بلاد الأرفاض. قال النووي [رحمه الله]: يجوز فيه كسر الهمزة وفتحها وبالباء والفاء انتهى. ونسخ المشكاة كلها بالفاء، وفي المشارق بفتح الهمزة. وقيدها أبو عبيد العكبري بكسر أوله، وأهل خراسان يقولونها بالفاء مكان الباء. وفي القاموس: الصواب أنها أعجمية وقد يكسر همزها وقد يبدل باؤها فاء. وفي المغني بكسر همزة وفتحها وبفاء مفتوحة في أهل الشرق وباء موحدة في الغرب انتهى. وبه يعلم أن أصفهان اثنان فيطابق ما نقله ابن الملك من أنه قيل: المراد منه أصفهان خراسان لا أصفهان الغرب. لكن في قوله: أصفهان خراسان، مسامحة لأن أصفهان إنما هو في العراق ولكن لما كان خراسان في جهة الشرق أيضاً وكان أشهر من العراق أضيف إليه بأدنى ملابسة **(سبعون ألفا)** وفي رواية: تسعون. والصحيح المشهور هو الأول ذكره ابن الملك. **(عليهم الطيالسة)** بفتح الطاء وكسر اللام جمع طيلسان وهو ثوب معروف. وفي القاموس: الطيلس والطيلسان مثلثة اللام عن عياض وغيره معرب، أصله تالسان جمعه الطيالسة والهاء في الجمع للعجمة. واستدل بهذا الحديث على ذم لبسه. ورواه السيوطي في رسالة سمّاها طي اللسان عن الطيلسان. **(رواه مسلم)**.

٥٤٧٩ ـ **(وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: يأتي الدجال)** أي يظهر في الدنيا أو

---

(١) الجامع الصغير ٣/ ٤٧٢ حديث رقم ٧٧١٤.

الحديث رقم ٥٤٧٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٦٦ حديث رقم (١٢٤. ٢٩٤٤) وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٥٩ حديث رقم ٤٠٧٧.

الحديث رقم ٥٤٧٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ١٠١. حديث رقم ٧١٣٢. والترمذي ٤/ ٤٤٦ حديث رقم ٢٢٤٢. وأحمد في المسند ٥/ ٣٢.

وهو مُحَرَّمٌ عليه أن يدخلَ نِقابَ المدينة، فينزلُ بعضَ السِّباخ التي تلي المدينة، فيخرجُ إليه رجل وهو خير الناس، أو من خيار الناس، فيقول: أشهدُ أنَّك الدجالُ الذي حدَّثنا رسول الله ﷺ حديثَه، فيقولُ الدجالُ: أرأيتم إن قتلتُ هذا ثم أحييتُه، هل تشكُّون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول: واللّهِ ما كنتُ فيكَ أشدَّ بصيرةً مني اليوم، فيريد الدجال أن يقتلَه، فلا يُسلَّطُ عليه».

يتوجه إلى صوب المدينة المعطرة المصونة. (وهو محرم) جملة حالية، أي ممنوع (عليه أن يدخل نقاب المدينة) بكسر النون كما نص عليه النووي [رحمه الله]. وهو جمع نقب بفتح النون وهو الطريق بين الجبلين والأنقاب جمع قلة، كذا في النهاية. (فينزل) أي الدجال (بعض السباخ)بكسر السين أي في بعض الأراضي السبخة وهي ذات ملح لا تنبت. (التي تلي المدينة) أي تقربها. وسيأتي أنه ينزل دبر أحد (فيخرج إليه رجل) أي عظيم (وهو خير الناس) أي حينئذ (أو من خيار الناس) على الإطلاق. ويحتمل أن يكون الترديد منه ﷺ وأو للتخيير، ويمكن أن يكون من الراوي فأو للشك. وتقدم أنه الخضر عليه [الصلاة]والسلام بناء على القول الأصح. (فيقول:) أي بعد رؤيته (أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه) أي وصفه وحاله. ولما كان الظاهر أن يقال: حديثك. قال الطيبي [رحمه الله]: هو جار على قوله الدجال لأن المظهر غائب لا على ضمير المخاطب. وعكسه قوله:

* أنا الذي سمتني أمي حيدرة *

(فيقول الدجال:) أي لمن حوله (أرأيتم) أي أخبروني (إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر) أي أمري. وقيل: أي في أني إله. (فيقولون: لا) أي لا نشك. وهو محتمل أن يتوجه النفي إلى إثبات الأمر أو نفيه. قال النووي [رحمه الله]: أما قول الدجال: إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر فيقولون: لا. فقد يشكل لأن ما أظهره الدجال لا دلالة فيه على ربوبيته لظهور النقص عليه ودلائل الحدوث وتشويه الذات وشهادة كذبه وكفره المكتوبة بين عينيه وغير ذلك. ويجاب بأنهم لعلهم قالوه خوفاً منه لا تصديقاً. ويحتمل أنهم قصدوا لا نشك في كذبك وكفرك فإن من شك في كفره وكذبه كفر وخادعوه بهذه التورية خوفاً منه. ويحتمل أن الذين قالوا لا نشك، هم مصدقوه من اليهود وغيرهم ممن قدر الله سبحانه وتعالى شقاوته. (فيقتله) أي الرجل على ما سبق (ثم يحييه) أي ويسأله كما تقدم (فيقول:) أي المقتول (والله ما كنت) أي في سابق الأيام (فيك) أي في بطلانك (أشد بصيرة) أي يقيناً (مني) متعلق بأشد (اليوم) بالنصب ظرف لأشد (فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط) بفتح اللام المشددة أي فلا يقدر (عليه) أي على قتله بوجه من الوجوه كما قررناه فيما تقدم والله [تعالى] أعلم. ثم في عجز الدجال آخراً دليل صريح في أن قدرته أولاً كانت حادثة عارضة مستعارة للاستدراج به والابتلاء لغيره فسلبت عنه. كما ستنزع عنه روحه، فيبقى جيفة ملقاة بالأرض يأكل منها الكلاب. وما أحسن من قال من أرباب الألباب بالتراب ورب الأرباب. قال الكلاباذي: في الحديث دليل على أن الدجال لا يقدر على ما يريد وإنما يفعل الله ما يشاء عند حركته في نفسه ومحل قدرته أن يفعله أختيار للخلق ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ويضل إليه

متفق عليه.

٥٤٨٠ ـ (١٧) وعن أبي هريرةَ، عن رسولُ الله ﷺ قال: «يأتي المسيحُ من قِبَلِ المشرقِ هِمَّتُهُ المدينة، حتى ينزلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثم تَصرِفُ الملائكةُ وجهه قِبَلَ الشامِ، وهنالكَ يهلِكُ». متفق عليه.

٥٤٨١ ـ (١٨) وعن أبي بكرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «لا يدخلُ المدينةَ رُعْبُ المسيحِ الدجَّالِ، لها يومئذٍ سبعةُ أبوابٍ، على كلِّ بابٍ ملكان». رواه البخاري.

من يشاء ويهدي من يشاء. (**متفق عليه**).

٥٤٨٠ ـ (**وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: يأتي المسيح**) أي الدجال (**من قبل المشرق**) بكسر القاف وفتح الموحدة، أي من جهته. (**همته**) أي قصده ونيته (**المدينة**) أي السكينة (**حتى ينزل دبر أحد**) بضم الدال والموحدة أي خلف أحد، وهو جبل معروف قرب المدينة. (**ثم**) أي بعد ما تقع قصة الرجل السابق (**تصرف الملائكة**) أي ترد (**وجهه**) أي توجهه وقصده (**قبل الشام**) أي إلى حيث جاء منه. وفيه دليل بطلانه وأمارة عجزه ونقصانه حيث رجع القهقرى ولم يقدر أن يدخل داراً فيه مدفن سيد الورى. وظاهره أنه لا يدخل حرم مكة بالأولى والأخرى. (**وهنالك**) أي في الشام (**يهلك**) أي يقتله عيسى عليه [الصلاة]والسلام (**متفق عليه**).

٥٤٨١ ـ (**وعن أبي بكرة رضي الله عنه**) بالباء (**عن النبي ﷺ قال: لا يدخل المدينة**) أي ومن بها (**رعب المسيح الدجال**) بضم راء فسكون عين وبضمتين، أي خوفه. (**لها**) أي للمدينة (**يومئذ سبعة أبواب**) أي طرق، أو المراد بها أبواب القلعة حينئذ. (**على كل باب ملكان**) أي يدفعانه عن الدخول في ذلك المكان. (**رواه البخاري**) قال السيوطي [رحمه الله]: ما اشتهر على الألسنة أن جبريل عليه [الصلاة]والسلام لا ينزل إلى الأرض بعد موت النبي ﷺ فهو شيء لا أصل له، ومن الدليل على بطلانه ما أخرجه الطبراني أن جبريل يحضر موت كل مؤمن يكون على طهارة، وأخرج أبو نعيم في الفتن قال ﷺ: يمر الدجال بالمدينة فإذا هو بخلق عظيم فقال: من أنت. قال: أنا جبريل بعثني لأمنع حرم رسوله. انتهى. ولا مفهوم له كما لا يخفى، فإنه يحتمل أن يكون من باب الاكتفاء أو فوض إلى جبريل منع حرم رسوله. وأما حرمه فهو له ولي وكفيل كما يشير إليه سورة الفيل. وسيأتي فيما روى لتميم الداري عن الدجال أنه قال: فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان على كلتاهما. وقد قرره النبي ﷺ. وقد روى أحمد عن أبي سعيد مرفوعاً: الدجال لا يولد ولا يدخل المدينة ولا مكة[1].

الحديث رقم ٥٤٨٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ١٠٠٥ حديث رقم (٤٨٦ . ١٣٨٠) والترمذي في السنن ٤/ ٤٤٦ حديث رقم ٢٢٤٣.

الحديث رقم ٥٤٨١: أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٩٥. حديث رقم ١٨٧٩.

(١) أحمد في المسند ٣/ ٤٣.

٥٤٨٢ ـ (١٩) وعن فاطمة بنت قيس قالت: سمعتُ منادي رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعة؛ فخرجت إلى المسجد فصلّيت مع رسول الله ﷺ، فلما قضى صلاته جلس على المنبر وهو يضحك؛ فقال: «ليلزمْ كلُّ إنسان مصلاه». ثم قال: «هل تدرون لِمَ جمعتكم؟». قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلم. قال: «إني واللهِ ما جمعتكم لرغبةٍ ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأنّ تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً، فجاء [فبايع] وأسلم، وحدّثني حديثاً وافق الذي

٥٤٨٢ ـ (وعن فاطمة بنت قيس) أي القرشية أخت الضحاك كانت من المهاجرات الأول، روى عنها نفر كانت ذات جمال وعقل وكمال وزوجها النبي ﷺ من أسامة بن زيد مولاه رضي الله [تعالى]عنه. (قالت: سمعت منادي رسول الله ﷺ ينادي:) تحقيق إعرابه كما في القرآن: ﴿سمعنا منادياً ينادي للإيمان﴾ [آل عمران ـ ١٩٣]. (الصلاة) بنصبها وبرفع وكذا قوله: (جامعة) قال النووي [رحمه الله]: هو بنصب الصلاة وجامعة الأول على الإغراء والثاني على الحال. وقال التوربشتي [رحمه الله]: وجه الرواية بالرفع أن يقدر هذه أي هذه الصلاة جامعة، ويجوز أن بنصب جامعة على الحال. ولما كان هذا القول للدعاء إليها والحث عليها كان النصب أجود وأشبه بالمعنى المراد منه انتهى. فالتركيب ثلاثي كما لا يخفى. وقال شارح: هذه الجملة مفعول ينادي لأنه في معنى القول، وهي في إعرابه على أربعه أوجه كما مر أي في صلاة العيد. وتوضيحه ما ذكره ابن الملك هنا حيث قال برفعهما مبتدأ وخبر ونصبهما على تقدير احضروا، الصلاة حال كونها جامعة برفع الأول على تقدير هذه الصلاة ونصب الثاني على الحالية وبالعكس على تقدير احضروا الصلاة وهي جامعة وهو ضعيف لإضمار حرف العطف، وعلى جميع التقادير محل الجملة نصب لأنه مفعول ينادي حكاية لكونه في معنى القول. (فخرجت إلى المسجد) ولعل خروجها قبل النهي، أو كان في الليل أو لهن رخصة في حضور الصلاة الجامعة قياساً على صلاة العيد. (فصليت مع رسول الله ﷺ) أي صلاة نافلة أو إحدى الصلوات الخمس (فلما قضى صلاته) أي أداها وفرغ عنها (جلس على المنبر وهو يضحك) أي يتبسم ضاحكاً على عادته الشريفة (فقال: ليلزم) بفتح الزاي أو ليلتزم (كل إنسان مصلاه) أي موضع صلاته فلا يتغير ولا يتقدم ولا يتأخر (ثم قال: هل تدرون لم جمعتكم) أي بنداء الصلاة جامعة (قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إني والله ما جمعتكم لرغبة) أي لأمر مرغوب فيه من عطاء كغنيمة (ولا رهبة) أي ولا لخوف من عدو (ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري) وهو منسوب إلى جد له اسمه الدار. وفي نسخة صحيحة: تميم الداري. والأول هو الصحيح. قال الطيبي [رحمه الله]: كذا هو في جامع الأصول وأكثر نسخ المصابيح، وتميم الداري من غير تنوين في كتاب الحميدي وفي بعض نسخ المصابيح وفي مسلم لأن تميم الداري. (كان رجلاً نصرانياً فجاء وأسلم وحدثني حديثاً وافق الذي) أي طابق الحديث الذي

الحديث رقم ٥٤٨٢: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٦١ حديث رقم (١١٩ ـ ٢٩٤٢). وأبو داود في السنن ٤/ ٥٠٠ حديث رقم ٤٣٢٦. والترمذي ٤/ ٤٥٢ حديث رقم ٢٢٥٣.

كنت أُحدِّثُكم به عن المسيح الدجال، حدَّثني أنه رَكِبَ في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخْم وجُذام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، فأرفؤوا إلى جزيرة حين تغرب الشمس، فجلسوا في أقرُب السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابةٌ أهلبُ، كثير الشعر، لا يدرون ما قبْلُه من دُبُرِه من كثرة الشعر،

(كنت أحدثكم به عن المسيح الدجال) فهذا كما في حديث رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. وفيه إشعار أن كثرة الرواة لها دخل في قوة الاسناد ولهذا قال على سبيل الاستشهاد وطريق الاعتضاد. (حدثني) فهو من قبيل رواية الأكابر عن الأصاغر. وفيه إيماء إلى الرد على الجاهل المكابر حتى يتكبر عن أخذ العلم من أهل الخمول والأصاغر وقد قال تعالى: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ [الأعراف - ١٤]. وقال ﷺ: كلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها[(١)]. ومن كلام علي رضي الله عنه: انظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال. والمعنى: أن تميماً حكى لي. (أنه ركب في سفينة بحرية) أي لا برية احترازاً عن الإبل فإنها تسمى سفينة البر. وقيل: أي مركباً كبيراً بحرياً لا زورقاً صغيراً نهرياً. (مع ثلاثين رجلاً من لخم) بفتح لام وسكون خاء معجمة مصروف وقد لا يصرف، قبيلة معروفة. وكذا قوله: (وجذام) بضم الجيم (فلعب) أي دار (بهم الموج شهراً) أي مقدار شهر (في البحر) واللعب في الأصل ما لا فائدة فيه من فعل أو قول فاستعير لصد الأمواج السفن عن صوب المقصد وتحويلها يميناً وشمالاً. (فأرفؤوا) بهمزتين، أي قربوا السفينة. (إلى جزيرة حين تغرب الشمس) في شرح التوربشتي قال الأصمعي: أرفأت السفينة أرفئها إرفاء. وبعضهم يقول أرفيها بالياء على الإبدال وهذا مرفأ السفن، أي الموضع الذي تشد إليه وتوقف عنده. (فجلسوا) أي بعد ما تحولوا من المركب الكبير (في أقرب السفينة) بفتح الهمزة وضم الراء جمع قارب بكسر الراء وفتحه أشهر وأكثر، وحكي ضمها وهو جمع على غير قياس والقياس قوارب. قال النووي [رحمه الله]: أقرب السفينة هو بضم الراء جمع قارب بكسر الراء وفتحها، وهي سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة كالجنيبة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم. وفي النهاية: أما أقرب فلعله جمع قارب فليس بمعروف في جمع فاعل أفعل. وقد أشار الحميدي في غريبه إلى انكار ذلك. وقال الخطابي أنه جمع على غير قياس. (فدخلوا في الجزيرة) اللام للعهد، أي في الجزيرة التي هناك. (فلقيتهم) أي فرأتهم (دابة أهلب) الهلب الشعر. وقيل ما غلظ من الشعر، وقيل ما كثر من شعر الذنب. وإنما ذكر لأن الدابة يطلق على الذكر والأنثى لقوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض﴾ [الأنعام - ٣٨]. كذا قالوا. والأظهر أنه بتأويل الحيوان ولذا قال: (كثير الشعر) وهو تفسير لما قبله وعطف بيان. ثم بينه زيادة تبيان حيث قال استئنافاً: (لا يدرون) أي لا يعرف الناس الحاضرون (ما قبله من دبره) بضمتين فيهما. قال الطيبي [رحمه الله]: ما استفهامية ويدرون بمعنى يعلمون لمجيء الاستفهام تعليقاً، ولا بد من تقدير مضاف بعد حرف الاستفهام. أي ما نسبة قبله من دبره. (من كثرة الشعر) أي

---

(١) الترمذي في السنن ٥/ ٤٩ حديث رقم ٢٦٨٧. وكذلك ابن ماجه.

قالوا: ويلَكِ ما أنت؟ قالت: أنا الجسَّاسةُ [قالوا: وما الجسّاسة؟ قالت: أيها القوم] انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، قال: لما سَمَّتْ لنا رجلاً فرِقنا منها أن تكونَ شيطانةً. قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدَّير، فإذا فيه أعظمُ إنسان ما رأيناه قطُّ خَلقاً، وأشدُّهُ وَثاقاً،

من أجلها وبسببها (**قالوا: ويلك ما أنت**) خاطبوها مخاطبة المتعجب المنفجع (**قالت: أنا الجسامة**) قال النووي [رحمه الله]: هي بفتح الجيم فتشديد المهملة الأولى. قيل: سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال. وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنها دابة الأرض المذكورة في القرآن. (**انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير**) بفتح الدال وسكون التحتية، أي دير النصارى. ففي المغرب: الدير صومعة الراهب. والمراد هنا القصر كما سيأتي، والجار والمجرور حال والعامل فيه اسم الإشارة أو حرف التنبيه. (**فإنه**) أي الرجل الذي في الدير (**إلى خبركم**) متعلق بقوله: (**بالأشواق**) بفتح الهمزة جمع شوق، أي كثير الشوق وعظيم الاشتياق والباء للإلصاق. قال التوربشتي [رحمه الله]: أي شديد نزاع النفس إلى ما عندكم من الخبر حتى كانت الأشواق ملصقة به، أو كأنه مهتم بها. (**قال:**) أي تميم (**لما سمت**) أي ذكرت ووصفت (**لنا رجلاً فرقنا**) بكسر الراء. أي خفنا (**منها**) أي من الدابة (**أن تكون شيطانة**) أي كراهة أن تكون شيطانة وأن يكون الرجل شيطاناً متعلقاً بها. وقال الطيبي [رحمه الله]: أن تكون شيطانة بدل من الضمير المجرور. (**قال:**) أي تميم (**فانطلقنا سراعاً**) أي حال كوننا مسرعين (**حتى دخلنا الدير**) قال شارح: دير النصارى وأصله الواو انتهى. والمعنى: أن أصله دار بالألف المبدلة من الواو مأخوذاً من الدور لكونه مدوراً، أو يدار فيها أو مدار المعيشة والمبيت إليه ثم أبدلت الألف ياء للفرق. ومراده بقوله: دير النصارى، أنه مثله أو في الأصل يطلق عليه، وقد يطلق على بيت الخمر. (**فإذا فيه أعظم إنسان**) أي أكبره جثة أو أهيبه هيئة. (**رأيناه**) صفة إنسان احتراز عمن لم يروه. ولما كان هذا الكلام في معنى ما رأينا مثله صح قوله: (**قط**) الذي يختص بنفي الماضي وهو بفتح القاف وتشديد الطاء المضمومة في أفصح اللغات وقد تكسر، وقد يتبع[1] قافه[2] طاءه في الضم وقد تخفف طاؤه مع ضمها وإسكانها على ما في المغني. ووقع في نسخة: ما رأيناه قط. وقوله: (**خلقا**) تمييز أعظم (**وأشده**) أي أقوى انسان (**وثاقا**) بفتح الواو ويكسر، أي قيداً من السلاسل والأغلال على ما سيأتي. هذا وذكر الأشرف أن ضمير المفعول راجع إلى الأعظم، أي ما رأيناه قط أعظم إنسان خلقاً وخلقاً، نصب على التمييز من أعظم إنسان. وقال الطيبي [رحمه الله]: ويحتمل أن يقدر مضاف، أي ما رأينا مثل ذلك الأعظم، وأشد مرفوع عطف على الأعظم. هذا وإن لفظة: ما، ليست في صحيح مسلم ولا في كتاب الحميدي ولا في جامع الأصول ولا في أكثر نسخ المصابيح. ولعل من زادها نظر إلى لفظة قط حيث يكون في الماضي المنفي، فالوجه أن يكون مراده كما جاء في قول القائل:

---

(١) في المخطوطة «يشبع».   (٢) في المخطوطة «طاؤه».

مجموعةٌ يده إلى عُنُقِه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا في سفينة بحرية، فلعب بنا البحر شهراً، فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابةٌ أهلب، فقالت: أنا الجسّاسة، اعمِدُوا إلى هذا في الدَّيْر، فأقبلنا إليك سراعاً [وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة] فقال: أخبروني عن نخل بَيْسان [قلنا: عن أيّ شأنها تستخبرُ؟ قال: أسألكم عن نخلها] هل تثمرُ؟ قلنا: نعمْ قال: أما إنها توشِكُ أن لا تثمر. قال: أخبروني عن بُحيرة الطبريَّةِ [قلنا: عن أيّ شأنها تستخبر؟ قال:] هل فيها ماءٌ؟ قلنا: هي كثيرةُ الماءِ. قال: [أما] إنَّ ماءَها يوشِكُ أن يذهبَ.

* لله يبقي على الأيام ذو حيد *

(**مجموعة**) بالنصب وفي نسخة بالرفع، أي مضمومة. (**يده إلى عنقه**) وقوله: (**ما بين ركبتيه إلى كعبيه**) لما كان ظاهره أن يؤتى بالواو في أوله ليكون المعنى ومجموعة ساقاه عليه ويكون قوله بالحديد قيداً لهما. (**قال الطيبي** [رحمه الله]: **ما موصولة مرفوعة المحل المعني** (**بالحديد**) وحذف مجموعة في الثاني لدلالة الأولى عليه (**قلنا: ويلك ما أنت**) استغربوه فأوردوا مكان من، ويمكن أن يكون السؤال عن وصفه وحاله إذ قد علموا أنه رجل. وقد يجيء ما بمعنى من كما حقق في قوله تعالى: ﴿**والسماء وما بناها**﴾ [الشمس ـ ٥]. أو روعي مشاكلة ما قبلها. وقال الطيبي [رحمه الله]: كأنهم لما رأوا خلقاً عجيباً خارجاً عما عهدوه خفي عليهم حاله فقالوا: ما أنت، مكان: من أنت. (**قال: قدرتم**) أي تمكنتم (**على خبري**) أي فإني لا أخفيه عنكم فأحدث لكم عن حالي (**فأخبروني**) أي عن حالكم وما أسأله عنكم أولاً، وهذا معنى قوله: (**ما أنتم**) حيث لم يقل من أنتم، ويمكن أن يكون طباقاً لقولهم وجزاء لفعلهم. قال الطيبي [رحمه الله]: ومثل ما قالوا له: ما أنت، قال لهم: ما أنتم، لأنه ما عهد أن انساناً يطرق ذلك المكان. وقال ابن الملك: أي من أنتم، أو ما حالكم. (**قالوا:**) فيه التفات من التكلم إلى الغيبة ذكره ابن الملك [رحمه الله]. ويمكن أن يكون التقدير قال بعضنا، ففيه تغليب للغائبين على الحاضرين. (**نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فلعب بنا البحر شهراً فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب فقالت: أنا الجساسة اعمدوا**) بكسر الميم، أي اقصدوا (**إلى هذا**) أي الرجل (**في الدير**) أي القصر الكبير (**فأقبلنا إليك سراعاً. فقال: أخبروني عن نخل بيسان**) بفتح موحدة وسكون تحتية وهي قرية بالشام ذكره الطيبي [رحمه الله]. قرية من الأردن ذكره ابن الملك [رحمه الله]. وفي القاموس: قرية بالشام وقرية بمرو وموضع باليمامة، وفي نسخة بنون بدل الموحدة، لكن ما وجدت له أصلاً في اللغة يناسب المقام. وإنما ذكره في القاموس وقال: نيسان سابع الأشهر الرومية. (**هل تثمر**) أي تلك النخل (**قلنا: نعم. قال: أما**) بالتخفيف للتنبيه (**إنها توشك**) أي تقرب (**أن لا تثمر. قال:**) أي الرجل (**أخبروني عن بحيرة الطبرية**) بفتحتين والبحيرة تصغير البحر. وفي القاموس: الطبرية محركة قصبة بالأردن والنسبة إليها طبراني. (**هل فيها ماء. قلنا: هي كثيرة الماء. قال: إن ماءها يوشك أن يذهب**) أي يفنى

قال: أخبروني عن عين زُغَرَ [قالوا: وعن أيّ شأنِها تستخبرُ؟ قال:] هل في العينِ ماءٌ؟ وهل يزرعُ أهلُها بماءِ العينِ؟ قلنا [له]: نعم، هي كثيرةُ الماءِ وأهلُها يزرعونَ من مائِها. قال: أخبروني عن نبيِّ الأمّيّينَ ما فعلَ؟ قُلنا: قد خرجَ من مكةَ ونزلَ يثربَ. قال: أقاتلَه العربُ؟ قلنا: نعم. قال: كيفَ صنعَ بهم؟ فأخبرناه أنّه قد ظهرَ على مَن يَليهِ من العربِ، وأطاعوهُ. قال: [لهم: قد كانَ ذلكَ؟ قلنا: نعم]. قال: أما إنَّ ذلكَ خيرٌ لهم أن يُطيعوه وإنّي مُخبرُكم عني: إنّي أنا المسيحُ الدجالُ، وإنّي

(قال: أخبروني عن عين زغر) بزاي فغين معجمتين فراء كزفر بلدة بالشام قليلة النبات قيل: عدم صرفة للتعريف والتأنيث لأنه في الأصل اسم امرأة، ثم نقل يعني ليس تأنيثه باعتبار البلدة والبقعة فإنه قد يذكر مثله ويصرف باعتبار البلد والمكان. وقد قال شارح: هو موضع بالشام. وقال النووي [رحمه الله]: هي بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام. (هل في العين) أي في عينه أو تلك العين فاللام للعوض عن المضاف إليه أو للعهد. (ماء) أي كثير لقوله: (وهل يزرع أهلها) أي أهل تلك العين أو البلدة وهي الأظهر لقوله: (بماء العين. قلنا: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها) الظاهر أن جوابه على طبق ما سبق، وهو أما إنها يوشك أن لا يبقى فيها ماء يزرع به أهلها. وفي الأسئلة المذكورة وأجوبتها المسطورة إشارة إلى أنها علامات لخروجه وأمارات لذهاب بركتها بشآمة ظهوره ووصوله، ولما كانت هذه الأسئلة توطئة لما بعدها. (قال:) أي الدجال معرضاً عن الجواب الثاني وبادر إلى السؤال المقصود وهو ظهور محمد المحمود. (أخبروني عن نبي الأميين) أي العرب (ما فعل) بفتحتين، أي ما صنع بعدما بعث. قال ابن الملك في شرح المشارق: أراد الدجال بالأميين العرب لأنهم لا يكتبون ولا يقرؤون غالباً، وإنما أضاف نبينا محمداً ﷺ إليهم طعناً عليه بأنه مبعوث إليهم خاصة كما زعم بعض اليهود، أو بأنه غير مبعوث إلى ذوي الفطنة والكياسة والعقل والرياسة. (قلنا: قد خرج من مكة ونزل بيثرب) أي هاجر منها إلى المدينة. (قال: أقاتله العرب. قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم. فأخبرناه أنه قد ظهر) أي غلب وظفر (على من يليه) أي يقربه (من العرب وأطاعوه. قال: أما إن ذلك خير لهم) قال الطيبي [رحمه الله]: المشار إليه ما يفهم من قوله: وأطاعوه، وقوله: (أن يطيعوه) جاء لمزيد البيان. ويجوز أن يكون المشار إليه رسول الله ﷺ وخيراً ما خبر مسند إلى أن يطيعوه، وعلى هذا لا يكون بمعنى التفضيل، أو يكون أن يطيعوه مبتدأ وخير خبره مقدماً عليه والجملة خبر إن. قال التوربشتي [رحمه الله]: فإن قيل: يشبه هذا القول قول من عرف الحق والمخذول من البعد من الله بمكان لم ير له فيه مساهم، فما وجه قوله هذا. قلنا: يحتمل أنه أراد به الخير في الدنيا، أي طاعتهم له خير لهم فإنهم إن خالفوه اجتاحهم واستأصلهم. ويحتمل أنه من باب الصرفة صرفه الله تعالى عن الطعن فيه والتكبر عليه وتفوه بما ذكر عنه، كالمغلوب عليه والمأخوذ عليه فلا يستطيع أن يتكلم بغيره تأييداً لنبيه ﷺ:

* والفضل ما شهدت به الأعداء *

(وإني مخبركم عني إني) بكسر الهمزة وفتحه (أنا المسيح) أي الدجال (وإني) بالوجهين

يوشكُ أن يؤذنَ لي في الخروجِ فأخرُجَ، فأسيرَ في الأرض، فلا أدعَ قريةً إلاّ هبطتُها في أربعينَ ليلةً، غيرَ مكةَ وطيبةَ، وهما مُحرّمتانِ عَليَّ كلتاهُما، كلما أردتُ أن أدخُلَ [واحدةً أو] واحداً منهما استقبلَني ملَكٌ بيدِهِ السيفُ صَلْتاً يصدُّني عنها، وإنَّ على كلِّ نَقْبٍ منها ملائكةً يحرسونَها». قال رسولُ الله ﷺ ـ وطعنَ بمخْصَرتِهِ في المنبرِ ـ: «هذه طيبةُ، هذه طيبةُ، هذه طيبةُ» يعني المدينة «ألاَ هلْ كنتُ حدَّثتُكم؟» فقال الناسُ: نعم، [فإنه أعجبَني حديثُ تميمٍ أنه وافقَ الذي كنتُ أحدِّثُكم عنه وعن المدينةِ ومكةَ]. ألا إنه في بحرِ الشّأمِ أو بحرِ اليمن،

(يوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع) بالنصب في الثلاثة وجوز رفعها، أي فلا أترك. (قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة) ظرف لأسير وعدم الترك إشعاراً بقوة سياحته التي هي أحد وجوه تسميته بالمسيح، على أن فعيل بمعنى الفاعل لكون سياحته مروراً كالمسح. (غير مكة) استثناء من القرية التي وقعت نكرة في سياق النفي المنصب عليه الاستثناء المفيد للاستغراق. (وطيبة) عطف على مكة، وهي بفتح الطاء وسكون تحتية فموحدة من أسماء المدينة كطابة. (هما) أي مكة وطيبة (محرمتان علي) أي ممنوعتان على دخولهما. (كلتاهما) تأكيد لهما. ثم بين سبب المنع بقوله: (كلما أردت أن أدخل واحداً) أي حرماً واحداً (منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً) بفتح الصاد وبضم، أي مجرداً عن الغمد. قال شارح: هو بالفتح والضم مصدر بمعنى الفاعل أو المفعول حال عن الملك أو السيف، أي مصلتاً أو مصلتاً من قولهم: أصلت سيفه، أي جرده من غلافه. وقوله: (يصدني عنها) أي يمنعني عن كل واحدة منهما استئناف بيان أو حال، والضمير للملك أو السيف مجازاً، أو لله تعالى حقيقة وهو المذكور في اللسان والمحظور في الجنان فصح أن يكون مرجعاً للضمير على وجه البيان كما حقق في قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص ـ ١]. (وإن على كل نقب) بفتح نون وسكون قاف، أي طريق أو باب. (منها) أي من كل واحدة (ملائكة يحرسونها) أي يحفظونها عن الآفات والبليات من غير ذلك الملك. والظاهر أنه جبريل عليه [الصلاة] والسلام لما تقدم والله [تعالى] أعلم. (قال رسول الله ﷺ: وطعن) أي وقد طعن، أي ضرب (بمخصرته) بكسر الميم وفتح الصاد، أي بعصاه. (في المنبر) أي عليه. ففي بمعنى على كقوله تعالى: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ [طه ـ ٧١]. أو في الطعن تضمن الإيقاع كقوله: يجرح في عراقيبها نصلي. وفي الفائق هي قضيب يشير به الخطيب أو الملك إذا خاطب. وقال التوربشتي [رحمه الله]: المخصرة كالسوط وكل ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا ونحوها فهو مخصرة. وقال شارح: المخصرة ما يمسكه الإنسان بيده من قضيب أو عصا ونحوهما فيضع تحت خاصرته ويتكيء عليها. وقيل: هي كالسوط. (هذه طيبة) الجملة مقول لقال وما بينهما حال معترضة بين الفاعل والمفعول. (هذه طيبة هذه طيبة) كررها ثلاثاً للتأكيد (يعني المدينة) أي يريد النبي ﷺ بقوله: هذه، الموضوعة للإشارة المحسوسة المدينة المحروسة. قال التوربشتي [رحمه الله]: لما وافق هذا القول ما كان حدثهم به أعجبه ذلك وسرّ به. (فقال: ألا) أي تنبهوا (هل كنت حدثتكم) أي بمثل هذا الحديث ومطابق لهذا الخبر (فقال الناس: نعم، ألا) للتنبية (إنه) أي الدجال (في بحر الشام أو بحر اليمن) قيل: لما حدثهم بقول تميم الداري

لا بل من قِبَلِ المشرقِ ما هو، [من قِبَل المشرق ما هو، من قبل المشرقِ ما هوَ]». وأومأ بيده إلى المشرق. رواه مسلم.

٥٤٨٣ ـ (٢٠) وعن عبد الله بن عُمر، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «رأيتُني الليلةَ عندَ الكعبةِ، فرأيتُ رجلاً آدَمَ كأحسن ما أنتَ راءٍ من أُدْم الرجال، له لِمَّةٌ كأحسنِ ما أنتَ راءٍ من اللِّمم قد رجَّلَها، فهي تقطر ماءً، متكئاً على عواتق رجلين، يطوف

لم ير أن يبين لهم موطنه ومجلسه كل التبيين لما رأى في الالتباس من المصلحة فرد الأمر فيه إلى التردد بين كونه في بحر الشام أو بحر اليمن. ولم تكن العرب يومئذ تسافر إلا في هذين البحرين. ويحتمل أنه أراد ببحر الشام ما يلي الجانب الشامي وببحر اليمن ما يلي الجانب اليماني. والبحر واحد وهو الممتد على أحد جوانب جزيرة العرب، ثم أضرب عن القولين مع حصول اليقين في أحدهما فقال: (لا بل من قبل المشرق ما هو) أي هو، وما زائدة أو موصولة بمعنى الذي، أي الجانب الذي هو فيه. قال القاضي [رحمه الله]: لفظة ما هنا زائدة للكلام وليست بنافية، والمراد إثبات أنه في جهة المشرق. قال التوربشتي [رحمه الله]: ويحتمل أن يكون خبراً أي الذي هو فيه، أو الذي هو يخرج منه. (وأومأ) بهمزتين أي أشار (بيده إلى المشرق) قال الأشرف: يمكن أنه ﷺ كان شاكاً في موضعه وكان في ظنه أنه لا يخلو عن هذه المواضع الثلاثة فلما ذكر بحر الشام وبحر اليمن تيقن له من جهة الوحي أو غلب على ظنه أنه من قبل المشرق، فنفى الأولين وأضرب عنهما وحقق الثالث. (رواه مسلم).

٥٤٨٣ ـ (وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: رأيتني) من الرؤيا كذا ذكره شارح. ويحتمل أن يكون بطريق المكاشفة مع أن رؤيا الأنبياء حق كمكاشفاتهم. (الليلة) أي البارحة إن وقع القول في النهار (عند الكعبة) ظرف للرؤية أو حال من المفعول. والمعنى: رأيت نفسي عند الكعبة. (فرأيت رجلاً آدم) بالمد، أي أسمر. (كأحسن ما أنت راء) أي في الأوصاف (من أدم الرجال) بضم همز وسكون دال مهملة جمع آدم كحمر جمع أحمر على ما في النهاية. فما وقع في بعض النسخ من الضم فهو من سهو القلم. (له لمة) بكسر اللام وتشديد الميم ما جاوز شحمة الأذن من الشعر. (كأحسن ما أنت راء من اللمم) بكسر ففتح جمع لمة (قد رجلها) بتشديد الجيم، أي سرحها ومشطها، (فهي) أي اللمة (تقطر ماء) يحتمل أن يراد بالماء الذي سرح به إذ لا يسرح الشعر وهو يابس، وأن يكون كناية عن مزيد النظافة والنضارة. (متكئاً) صفة أخرى لرجلاً أو حال منه لوصفه بآدم أي معتمداً (على عواتق رجلين) جمع عاتق وهو موضع الرداء من الكتف. وقال السيوطي [رحمه الله]: ما بين المنكب والعنق. ثم التركيب من قبيل قوله تعالى: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾. وحديث أنصاف ساقيه. (يطوف

الحديث رقم ٥٤٨٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٧٧. حديث رقم ٣٤٤٠. ومسلم في صحيحه ١/ ١٥٤ حديث رقم (٢٧٣ ـ ١٦٩) ومالك في الموطأ ٢/ ٩٢٠ حديث رقم ٢ من كتاب صفة النبي ﷺ وأحمد في المسند ٢/ ١٥٤.

بالبيت، فسألتُ: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح ابن مريم» قال: «ثم إذا أنا برجلٍ جعدٍ قَطَطٍ، أعورِ العينِ اليمنى، كأنَّ عينه عنبةٌ طافية، كأشبه من رأيتُ من الناس بابن قَطَن واضعاً يديه على منكبي رجلين، يطوف بالبيت، فسألت من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح الدجّال».

بالبيت) استئناف بيان أو حال **(فسألت:)** أي الطائفين أو الملائكة الحافين **(من هذا)** وفيه إيماء إلى أن المكاشفة قد تكون في بعض الأشياء مع وجود بعض الاخفاء. **(فقالوا: هذا المسيح ابن مريم. قال:)** أي النبي ﷺ **(ثم إذاً أنا برجل جعد)** بفتح جيم فسكون عين وهو من الشعر خلاف السبط، أو القصير منه كذا في القاموس. **(قطط)** بفتح الطاء الأولى ويكسر. في القاموس: القط القصير الجعد من الرأس كالقطط محركة. **(أعور العين اليمنى)** بالجر في أعور مضافاً **(كان عينه عنبة طافية)** بكسر الفاء بعدها ياء، وفي نسخة بالهمزة. قال السيوطي [رحمه الله]: روي بالهمز بمعنى ذاهب ضوءها وبدونه، وصححه الأكثر بمعنى ناتئة بارزة كنتؤ حبة العنب. قال القاضي عياض [رحمه الله]: كلا عينيه معيبة عوراء فاليمنى مطموسة وهي الطافئة بالهمز واليسرى ناتئة جاحظة كأنها كوكب وهي الطافية بلا همز. **(كأشبه من رأيت)** قال الجزري: ضبطناه بالتكلم والخطاب وهو أوضح. قلت: أكثر النسخ على التكلم وهو الأظهر في مقام التشبيه من الخطاب العام، ثم الكاف مزيدة للمبالغة في التشبيه. والمعنى هو أشبه من أبصرته من الناس. **(بابن قطن)** بفتحتين واحد من اليهود والجار متعلق بأشبه، وفي الرواية الآتية: أقرب الناس به شبهاً ابن قطن. ولعل وجه الشبه باعتبار بعض الوجوه الآتية. **(واضعاً)** أو باعتبار أن عينه عنبة طافية. **(يديه)** حال من الدجال **(على منكبي رجلين)** الظاهر أن المراد بهما من يعاونه على باطله من أمرائه، كما أن المراد بالرجلين الأولين من يساعدان المسيح على حقه ولعلهما الخضر والمهدي من أصحابه. **(يطوف بالبيت)** فيه إشعار بأن أحداً لا يستغني عن هذا الجناب ولا يفتح لهم غرض إلا من هذا الباب. وفي قوله تعالى: ﴿مثابة للناس﴾ [البقرة - ١٢٥] . إيماء إلى ذلك ولذا وجد الكفار في الجاهلية وزمن البعثة ما كانوا يتركون الطواف، والآن أيضاً يتمنى اليهود والنصارى أن يتشرفوا برؤية هذا البيت والطواف حوله. وقال التوربشتي [رحمه الله] : طواف الدجال عند الكعبة مع أنه كافر مؤول بأن رؤيا النبي ﷺ من مكاشفاته، كوشف بأن عيسى عليه [الصلاة] والسلام في صورته الحسنة التي ينزل عليها يطوف حول الدين لإقامة أوده واصلاح فساده وأن الدجال في صورته الكريهة التي ستظهر بدول حول الدين يبغي العوج والفساد. **(فسألت من هذا فقالوا: هذا المسيح الدجال)** قال التوربشتي [رحمه الله] : وجه تسميته بالمسيح في أحب الوجوه إلينا أن الخير مسح عنه فهو مسيح الضلالة، كما أن الشر مسح عن مسيح الهداية. وقيل: سمي عيسى به لأنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برأ. أو قيل: لأنه كان أمسح الرجل لا أخمص له. وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن. وقيل: لأنه كان يمسح الأرض أي يقطعها. وقيل: المسيح الصديق، وسمي الدجال به لأن إحدى عينيه ممسوحة لا يبصر بها، والأعور يسمى مسيحاً انتهى. ولأنه يمسح في أيام معدودة

متفق عليه. وفي رواية: قال في الدجال: «رجل أحمر جسيمٌ، جعدُ الرأس، أعورُ عينِ اليمنى، أقربُ الناس به شَبَهاً ابنُ قطَنٍ».

وذكر حديث أبي هريرة: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها» في «باب الملاحم».

وسنذكر حديث ابن عمر: قام رسول الله ﷺ في الناس في «باب قصة ابن صياد» إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني

٥٤٨٤ ـ (٢١) عن فاطمة بنتِ قيسٍ في حديث تميم الداريِّ قالت: قال: «فإذا أنا بامرأةٍ

جميع مساحة الأرض إلا مكة والمدينة فهو فعيل بمعنى فاعل ووصف بالمسيح الدجال لأن المسيح وصف غلب على عيسى عليه [الصلاة] والسلام فوصف بالدجال ليتميز المحق من المبطل. **(متفق عليه)** قيل: رواه مسلم في باب الإسراء. **(وفي رواية قال)** أي النبي ﷺ **(في الدجال:)** أي في حقه وشأنه **(رجل)** أي هو رجل **(أحمر)** أي لوناً **(جسيم)** أي بدناً **(جعد الرأس)** أي شعراً **(أعور عين اليمنى أقرب الناس به شبهاً ابن قطن. وذكر حديث أبي هريرة:)** لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها. في باب الملاحم وسنذكر حديث **(ابن عمر: قام رسول الله ﷺ)** أي فأثنى على الله بما هو أهله **(ثم ذكر الدجال الخ في باب قصة ابن صياد إن شاء الله تعالى.)** متعلق بقوله سنذكر، وكان المؤلف رأى أن ذكره في ذلك الباب أقرب إلى الصواب [والله تعالى أعلم].

(الفصل الثاني)

٥٤٨٤ ـ **(عن فاطمة بنت قيس في حديث تميم الداري)** أي على ما سبق بطوله **(قال:)** أي تميم. وفي نسخة: قالت، أي ناقلة عنه. **(فإذا أنا بامرأة)** قال في الحديث السابق: فلقينهم دابة أهلب. وههنا: فإذا أنا بامرأة. قيل: يحتمل أن للدجال جساستين إحداهما دابة والثانية امرأة، ويحتمل أن الجساسة كانت شيطانة تمثلت تارة في صورة دابة وأخرى في صورة امرأة، وللشيطان التشكل بكل شكل أراد. ويحتمل أن تسمى المرأة دابة مجازاً، قال تعالى: **﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم﴾** [الأنفال ـ ٢٢]. قلت: الأظهر في الاستشهاد قوله سبحانه: **﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾** [هود ـ ٦]. إذ الدابة في هذه الآية تعم المخلوقين المرزوقين بخلاف الآية السابقة، فإن الظاهر أن المراد من الدواب بها الحيوانات

الحديث رقم ٥٤٨٤: أخرجه أبو داود في السنن ٤/٥٩٩ حديث رقم ٤٣٢٥.

تجرُّ شعرها قال: ما أنت؟ قالت: أنا الجسّاسة، اذهبْ إلى ذلك القصر، فأتيتُه، فإذا رجلٌ يجرُّ شعره، مسلسَلٌ في الأغلال، ينزو فيما بين السماء والأرض. فقلت: من أنت؟ قال: أنا الدجال». رواه أبو داود.

٥٤٨٥ ـ (٢٢) وعن عبادة بن الصامت، عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «إني حدثتكم عن الدجّال حتى خشيتُ أن لا تعقلوا. إنَّ المسيحَ الدجّال قصيرٌ، أفحج، جَعْدٌ، أعورُ، مطموسُ العين، ليست بناتئة ولا جَحْراء فإنْ أُلبِس عليكم فاعلموا أن ربَّكم ليس بأعور» رواه أبو داود.

فيكون في المعنى كقوله تعالى: ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾ [الفرقان ـ ٤٤]. (تجر شعرها) صفة لامرأة وهو كناية عن طول شعرها، والشعر يحرك ويسكن. (قال:) أي تميم (ما أنت. قالت: أنا الجساسة اذهب إلى ذلك القصر.) أي المعبر عنه فيما سبق بالدير (فأتيته فإذا رجل يجر شعره مسلسل) صفة ثانية، أي مقيد بالسلاسل. (في الأغلال) أي معها (ينزو) بسكون النون وضم الزاي، أي يثب وثوباً. (فيما بين السماء والأرض) وأبعد من قال إنه متعلق بمسلسل. (فقلت: من أنت. قال: أنا الدجال. رواه أبو داود).

٥٤٨٥ ـ (وعن عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال: إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا) أي لا تفهموا ما حدثتكم في شأن الدجال أو تنسوه لكثرة ما قلت في حقه. قال الطيبي [رحمه الله]: حتى غاية حدثتكم، أي حدثتكم أحاديث شتى حتى خشيت أن يلتبس عليكم الأمر فلا تعقلوه فاعقلوه. وقوله: (إن المسيح الدجال) أي بكسر إن استئناف وقع تأكيداً لما عسى أن يلتبس عليهم انتهى. وقيل: خشيت بمعنى رجوت. وكلمة لا زائدة. ثم قوله: (قصير) وهو غير ملائم لما سبق من كونه أعظم إنسان. ووجه الجمع أنه لا يبعد أن يكون قصيراً بطيناً عظيم الخلقة وهو المناسب لكونه كثير الفتنة، أو العظمة مصروفة إلى الهيبة. قيل: يحتمل أن الله تعالى يغيره عند الخروج. (أفحج) بتقديم الحاء على الجيم، أي الذي يتداني صدور قدميه ويتباعد عقباه وينفحج ساقاه أي ينفرج وهو خلاف الأروح كذا قاله شارح. وفي النهاية: الفحج تباعد ما بين الفخذين. (جعد) أي شعره (أعور) أي إحدى عينيه (مطموس العين) أي ممسوحها بالنظر إلى الأخرى (ليست) أي عينه (بناتئة) أي مرتفعة فاعلة من النتوء (ولا جحراء) بفتح جيم وسكون حاء، أي ولا غائرة. والجملة المنفية مؤكدة لإثبات العين الممسوحة وهي لا تنافي أن الأخرى ناتئة بارزة كنتوء حبة العنب على ما تقدم والله [تعالى] أعلم. (فإن ألبس عليكم) بصيغة المجهول، أي إن اشتبه عليكم أمر الدجال بنسيان ما بينت لكم من الحال، أو أن ليس عليكم أمره بما يدعيه من الألوهية بالأمور الخارقة عن العادة. (فاعلموا أن ربكم ليس بأعور) أي أقل ما يجب عليكم من معرفة صفات الربوبية هو التنزيه عن الحدوث والعيوب لا سيما النقائص الظاهرة المرئية. (رواه أبو داود) وكذا النسائي.

الحديث رقم ٥٤٨٥: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٩٥ حديث رقم ٤٣٢٠. وأحمد في المسند ٥/ ٣٢٤.

٥٤٨٦ ـ (٢٣) وعن أبي عبيدة بنِ الجرّاح، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنه لم يكن نبيٌ بعدَ نوحٍ إلا قد أنذرَ الدجالَ قومَه، وإني أُنذركموه» فوصَفَه لنا قال: «لعلّه سيدركه بعض من رآني أو سمع كلامي». قالوا: يا رسولَ الله! فكيف قلوبنا يومئذ؟ قال: «مثلها» يعني اليوم «أو خيرٌ». رواه الترمذي، وأبو داود.

٥٤٨٧ ـ (٢٤) وعن عمرو بن حُرَيثٍ، عن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «الدجّال يخرج من أرضٍ بالمشرق يقال لها: خراسان، يتبعه أقوام

٥٤٨٦ ـ (وعن أبي عبيدة بن الجراح قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه) أي الشأن (لم يكن نبي بعد نوح إلا قد أنذر الدجال قومه) أي خوفهم به، وقدم المفعول الثاني للاهتمام بذكره. وقد تقدم أن نوحاً عليه [الصلاة] والسلام أنذر قومه فبعد نوح ليس للاحتراز. (وإني أنذركموه). أي الدجال ببيان وصفه خوفاً عليكم من تلبيسه ومكره. (فوصفه لنا) أي ببعض أوصافه (قال:) أي النبي ﷺ (لعله سيدركه بعض من رآني) أي على تقدير خروجه سريعاً. وقيل: دل على بقاء الخضر. (أو سمع كلامي) ليس أو للشك من الراوي بل للتنويع، لأنه لا يلزم من الرؤية السماع وهو لمنع الخلو لإمكان الجمع. وقيل: المعنى أو سمع حديثي بأن وصل إليه ولو بعد حين. (قالوا: يا رسول الله فكيف قلوبنا يومئذ) فيه إشارة إلى أن سحره لا يؤثر في قلوب المؤمنين وإن كان يخيل في أعينهم ما ليس من اليقين. (قال: مثلها) أي مثل قلوبكم الآن، وهو معنى قول الراوي. (يعني) أي يريد بالإطلاق تقييد الكلام بقوله: (اليوم أو خير) شك من الراوي ويحتمل التنويع بحسب الأشخاص. (رواه الترمذي) قيل: وحسنه. (وأبو داود).

٥٤٨٧ ـ (وعن عمرو بن حريث) تصغير حرث بمعنى زرع. قال المؤلف: قرشي مخزومي رأى النبي ﷺ ومسح رأسه ودعا له بالبركة. (عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما) بصيغة التثنية لأن الحديث من باب رواية الصحابي الصغير عن الكبير (قال:) أي الصديق (حدثنا رسول الله ﷺ قال:) استئناف مؤكد لحدثنا أو بدل على مذهب الشاطبي ومن تبعه من أن الإبدال يجري في الأفعال وهو أصح الأقوال، أو التقدير حدثنا أشياء من جملتها. (قال: الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان) بضم أوله وفي القاموس أنه بلاد يعني معروفة بين بلاد ما وراء النهر وبلدان العراق ومعظمها الآن بلدة هراة المسماة بخراسان كتسمية دمشق بالشام. (يتبعه) بسكون التاء وفتح الباء، وفي نسخة بتشديد التاء وكسر الباء. أي يلحقه ويطيعه. (أقوام) أي جماعات أي عظيمة وغريبة من جنس الإنسان ولكنهم يشبهون الجان.

الحديث رقم ٥٤٨٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١١٧ حديث رقم ٤٧٥٦. والترمذي في السنن ٤/ ٤٤٠ حديث رقم ٢٢٣٤. وأحمد في المسند ٢/ ١٧٨.

الحديث رقم ٥٤٨٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٤١ حديث رقم ٢٢٣٧. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٥٣ حديث رقم ٢٢٣٧. وأحمد في المسند ١/ ٤.

كأنَّ وجوههم المجانُّ المطرقة». رواه الترمذي.

٥٤٨٨ - (٢٥) وعن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع بالدجّال فلينأ منه، فواللّهِ إن الرجلَ ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمنٌ، فيتبعه مما يُبعثُ به من الشبهات» رواه أبو داود.

٥٤٨٩ - (٢٦) وعن أسماء بنت يزيد بن السَّكن، قالت: قال النبي ﷺ: «يمكثُ الدَّجالُ في الأرضِ أربعينَ سنةً، السنةُ كالشّهرِ، والشهر

(كأن وجوههم المجان) بفتح الميم وتشديد النون جمع المجن بكسر الميم، وهو الترس. وقوله: **(المطرقة)** بضم الميم وسكون الطاء على ما في أصل السيد وأكثر النسخ. وقال السيوطي: روي بتشديد الراء وتخفيفها فهي مفعولة من أطرقه أو طرقه، أي جعل الطراق على وجه الترس. والطراق بكسر الطاء الجلد الذي يقطع على مقدار الترس. والطراق بكسر الطاء الجلد الذي يقطع على مقدار الترس فيلصق على ظهره. والمعنى: أن وجوههم عريضة وجناتهم مرتفعة كالمجنة، وهذا الوصف إنما يوجد في طائفة الترك والأزبك ما وراء النهر. ولعلهم يأتون إلى الدجال في خراسان كما يشير إليه قوله: يتبعه. أو يكونون حينئذ موجودين في خراسان حماه الله من آفات الزمان. **(رواه الترمذي)** وكذا ابن ماجه والحاكم[1].

٥٤٨٨ - **(وعن عمران بن حصين)** أسلم قديماً وكان من فضلاء الصحابة **(قال: قال رسول الله ﷺ: من سمع بالدجال)** أي بخروجه وظهوره **(فلينأ)** بفتح الياء وسكون النون وفتح الهمزة، أمر غائب من نأى ينأى حذف الألف للجزم، أي فليبعد. **(منه)** أي من الدجال لأن البعد عن قربه سعد قال تعالى: ﴿**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار**﴾ [هود - ١١٣]. والركون أدنى الميل **(فوالله إن الرجل ليأتيه وهو)** أي الرجل **(يحسب)** بكسر السين وفتحها أي يظن **(أنه)** أي الرجل بنفسه **(مؤمن فيتبعه)** بالتخفيف ويشدد، أي فيطيع الدجال. **(مما يبعث به)** بضم أوّله ويفتح، أي من أجل ما يثيره ويباشره. **(من الشبهات)** أي المشكلات كالسحر وإحياء الموتى وغير ذلك فيصير تابعه كافراً وهو لا يدري. **(رواه أبو داود)**.

٥٤٨٩ - **(وعن أسماء بنت يزيد بن السكن)** بفتحتين أنصارية من ذوات العقل والدين **(قالت: قال النبي ﷺ: يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة)** وتقدم أن لبثه في الأرض أربعون يوماً. ولعل وجه الجمع بينهما اختلاف الكمية والكيفية كما يشير إليه قوله: **(السنة كالشهر)** فإنه محمول على سرعة الانقضاء كما أن ما سبق من قوله: يوم كسنة، محمول على أن الشدة في غاية من الاستقصاء على أنه يمكن اختلافه باختلاف الأحوال والرجال. **(والشهر)**

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٢٨.

الحديث رقم ٥٤٨٨: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٩٥ حديث رقم ٤٣١٩. وأحمد في المسند ٤/ ٤٣١.
الحديث رقم ٥٤٨٩: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٥/ ٦٢ حديث رقم ٤٢٦٤. وأحمد في المسند ٦/ ٤٥٤.

كالجمعةِ، والجمعةُ كاليومِ، واليومُ كاضطرامِ السَّعَفَةِ في النارِ». رواه في «شرح السنة».

٥٤٩٠ ـ (٢٧) وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يتْبعُ الدَّجالَ من أُمَّتي سبعون ألفاً عليهم السِّيجانُ». رواه في «شرح السنة».

٥٤٩١ ـ (٢٨) وعن أسماءَ بنتِ يزيدَ، قالتْ: كانَ رسولُ الله ﷺ في بيتي، فذكرَ الدجَّالَ، فقال: «إنَّ بين يديهِ ثلاثَ سنينَ: سنةٌ تُمسكُ السماءُ فيها ثُلُثَ قطرِها، والأرضُ ثُلُثَ نباتِها. والثانيةُ تمسكُ السماءُ ثُلُثي قطرِها، والأرضُ ثُلُثي نباتِها. والثالثةُ تمسكُ السماءُ قطرَها كلَّه، والأرضُ نباتَها كلَّه. فلا يبقى

أي من السنة (**كالجمعة**) أي كالأسبوع (**والجمعة**) يعني الأسبوع من الشهر (**كاليوم**) أي كالنهار (**واليوم كاضطرام السعفة في النار**) بفتحتين واحدة السعف وهو غصن النخل، أي كسرعة التهاب النار بورق النخل، والاضطرام الالتهاب والاشتعال. فالمعنى: إن اليوم كالساعة. (**رواه**) أي البغوي (**في شرح السنة**) أي بإسناده.

٥٤٩٠ ـ (**وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: يتبع الدجال من أمتي**) أي أمة الإجابة أو الدعوة وهو الأظهر لما سبق أنهم من يهود أصفهان. (**سبعون ألفاً عليهم السيجان**) بكسر السين جمع ساج كتيجان وتاج، وهو الطيلسان الأخضر. وقيل: المنقوش ينسج كذلك. قال ابن الملك: أي إذا كان أصحاب الثروة سبعين ألفاً فما ظنك بالفقراء. قلت: الفقراء لكونهم مفلسين هم في أمان الله إلا إذا كانوا طامعين في المال والجاه فهم في المعنى من أصحاب الثروة التابعين لتحصيل الكثرة، سواء يكون متبوعهم على الحق أو الباطل كما شوهد في الأزمنة السابقة من أيام يزيد والحجاج وابن زياد، وهكذا يزيد الفساد كل سنة بل كل يوم في البلاد فيتبع العلماء العباد والمشايخ الزهاد على ما يشاهد بشر العباد للأغراض الفاسدة والمناصب الكاسدة، ونسأل الله العفو والعافية وحسن الخاتمة. (**رواه في شرح السنة**) قيل: في سنده أبو هارون وهو متروك.

٥٤٩١ ـ (**وعن أسماء بنت يزيد**) أي ابن السكن (**قالت: كان النبي ﷺ في بيتي فقال: إن بين يديه**) أي قدام الدجال وقبيل زمان خروجه (**ثلاث سنين**) أي مختلفة في ذهاب البركة (**سنة**) بالرفع، وفي نسخة بالنصب. (**تمسك السماء**) أي تمنع بإمساك الله (**فيها**) أي في تلك السنة (**ثلث قطرها**) بفتح القاف أي مطرها المعتاد في البلاد (**والأرض**) أي وتمسك الأرض (**ثلث نباتها**) أي ولو كانت تسقى من غير المطر. (**والثانية**) أي السنة الثانية وهي بالرفع ويجوز نصبها إما على البدلية وإما على الظرفية. (**تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها، والثالثة تمسك السماء قطرها كله والأرض نباتها كله.**) يعني فيقع القحط فيما بين أهل الأرض كله ويكون الخزائن والكنوز تتبعه وأنواع النعم من الخبز والثمار والأنهار معه. (**فلا يبقى**) بالتذكير

الحديث رقم ٥٤٩٠: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٥/ ٦٢ حديث رقم ٤٢٦٥.

الحديث رقم ٥٤٩١: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٥٩ حديث رقم ٤٠٧٧. وأحمد في المسند ٦/ ٤٥٥.

ذاتُ ظِلفٍ ولا ذاتُ ضِرسٍ منَ البهائمِ إلا هَلَكَ، وإنَّ من أشدِّ فتنتِه أنه يأتي الأعرابيَّ فيقول: أرأيتَ إنْ أحييتُ لكَ إبلكَ! ألستَ تعلمُ أني ربُّكَ؟ فيقول: بَلى، فيمثلُ له الشيطانُ نحوَ إبلِه كأحسنِ ما يكونُ ضُروعاً، وأعظمِه أسنمةً». قال: «ويأتي الرجلَ قد ماتَ أخوهُ، وماتَ أبوهُ، فيقولُ: أرأيتَ إنْ أحييتُ لكَ أباكَ وأخاكَ ألستَ تعلمُ أني ربُّكَ؟ فيقولُ: بَلى، فيُمثِّلُ له الشياطينَ نحوَ أبيهِ ونحوَ أخيهِ». قالتْ: ثمَّ خرجَ رسولُ الله ﷺ لحاجتِه، ثمَّ رجعَ والقومُ في اهتمامٍ وغمٍّ ممَّا حدَّثهم. قالت: فأخذَ بلحمتَي البابِ

ويؤنث (ذات ظلف) بكسر الظاء المعجمة، هي البقرة والشاة والظبي. (ولا ذات ضرس) وهي السباع من البهائم (إلا هلك) أي لا يبقى في حال من الأحوال إلا في حال الهلاك (وإن من أشد فتنته) أي أعظم بليته (أنه يأتي) أي الدجال (الأعرابي) أي البدوي ومن في معناه من جنس الغبي. (فيقول:) أي الدجال (أرأيت) أي أخبرني (إن أحييت لك إبلك) أي التي ماتت من القحط (ألست تعلم أني ربك. فيقول: بلى فيمثل) بكسر المثلثة المشددة ويفتح، أي يصور له. (نحو إبله) أي مثال إبله من الشياطين كما يدل عليه نسخة: فيمثل له الشياطين نحو إبله. (كأحسن ما يكون) أي كأحسن أكوانه (ضروعاً) أي من اللبن، ونصبه على التمييز. (وأعظمه) أي وأعظم ما يكون من جهة السمن. (أسنمة) بكسر النون جمع السنام. (قال:) أي النبي ﷺ، وإنما ذكره تأكيداً أو اعادة لطول الفصل تأييداً. (ويأتي الرجل) عطف على قوله: ويأتي الأعرابي. فيكون من جملة أشد الفتنة (قد مات أخوه) أي مثلاً (ومات أبوه) الظاهر أن الواو بمعنى أو ولذا أعاد الفعل (فيقول: أرأيت) أي أخبرني، والخطاب لمن مات أبوه أو لكل ممن مات أبوه وأمه. (إن أحييت لك أباك وأخاك) جميعاً أو أخاك (ألست تعلم أني ربك فيقول: بلى. فيمثل له الشياطين) مفعول أول (نحو أبيه ونحو أخيه) مفعول ثان. وفي نسخة يمثل بصيغة المجهول ورفع الشياطين. وقيل نصب الشياطين بنزع الخافض، أي من الشياطين فعلى هذا ينصب نحو ويرفع باختلاف العاملين. (قالت:) أي أسماء [رضي الله تعالى عنها] (ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجته، ثم رجع والقوم في اهتمام وغم) أي شديد وزيد للتأكيد (مما حدثهم) أي من أجل تحديثه إياهم به (قالت: فأخذ بلحمتي الباب) بفتح اللام وسكون الحاء كذا في جميع نسخ المشكاة أن ناحيته ذكره ابن الملك في شرح المصابيح. وقال شارح له: هو بلجفتي الباب بالجيم والفاء. قال التوربشتي [رحمه الله]: الصواب: فأخذ بلجفتي الباب. أريد بهما العضادتان وقد فسر بجانبيه ومنه ألجاف البئر أي جوانبها. وفي كتاب المصابيح: بلجمتي الباب، وليس بشيء ولم يعرف ذلك من كتب أصحاب الحديث إلا على ما ذكرنا. قلت: ويؤيده ما في القاموس من أن اللجف حفر في جانب البئر ولجيفتا الباب جانباه، لكن بعد اتفاق النسخ لا بد من التوجيه[1]. ففي القاموس: اللحمة القطعة من اللحم فيجرد ويقال: المراد بهما قطعتا الباب فإنهما تلتحمان وتنفصلان وتلتئمان[2] وهو أولى من تخطئة رواة

---

(١) في المخطوطة «الوجه». (٢) في المخطوطة «بالياء».

فقال: «مَهْيَم أسماءُ؟» قلتُ: يا رسولَ الله! لقد خلعتَ أفئدَتنا بذكرِ الدَّجالِ. قال: «إنْ يخرجْ وأنا حيٌّ، فأنا حجيجُهُ، وإلا فإنَّ ربي خليفَتي على كلِّ مؤمنٍ» فقلتُ: يا رسولَ الله! واللهِ إنا لنعجنُ عجينَنا فما نخبزه حتى نجوعَ، فكيف بالمؤمنينَ يومئذ؟ قال: «يُجزِئُهم ما يُجزِئُ أهلَ السماءِ من التسبيحِ والتقديسِ». رواه أحمد.

الفصل الثالث

٥٤٩٢ - (٢٩) عن المغيرةِ بن شعبةَ، قال: ما سألَ أحدٌ رسولَ الله ﷺ عن الدجالِ

الكتاب والله [تعالى] أعلم بالصواب. (فقال:) أي النبي ﷺ (مهيم) بفتح فسكون ثم فتح فسكون. في القاموس: مهيم كلمة استفهام، أي ما حالك وما شأنك أو ما وراءك أو أحدث لك شيء. وقال القاضي [رحمه الله]: مهيم كلمة يمانية ومعناه ما الحال والخبر. وقوله: (أسماء) منادى حذف منه حرف النداء (قلت: يا رسول الله لقد خلعت أفئدتنا) أي أقلقت أو قلعت قلوبنا (بذكر الدجال) أي وما معه من الفتنة وشدة الحال (قال: إن يخرج وأنا حي) أي فرضاً وتقديراً (فأنا حجيجه) أي دافعه عنكم بالحجة أو الهمة (وإلا فإن ربي خليفتي على كل مؤمن) وهو لا ينافي ما سبق من قوله: فامرؤ حجيج نفسه. فإن المقصود أنه يجب على شخص أنه يدفعه عن نفسه بالحجة اليقينية فإذا كان صاحب النبوة موجوداً فلا يحتاج إلى غيره لأنه مؤيد من عند الله تعالى، وإلا فالله ولي دينه وناصر نبيه وحافظ أوليائه ممن آمن به. (فقلت: يا رسول الله إنا لنعجن) بكسر الجيم (عجيننا فما نخبزه) بكسر الموحدة ويضم أي فما يتم خبزه (حتى نجوع) أي من قلة صبرنا عن الأكل (فكيف بالمؤمنين) الباء زائدة، أي كيف حالهم. (يومئذ) أي وقت القحط وانحصار وجود الخبز عند الدجال وأتباعه (قال: يجزئهم ما يجزيء) بضم أوله مهموزاً أي يكفيهم ما يكفي (أهل السماء) أي الملائكة (من التسبيح والتقديس) قال المظهر: يعني من ابتلي بزمانه في ذلك اليوم لا يحتاج إلى الأكل والشرب كما لا يحتاج الملأ الأعلى. وأبعد الطيبي [رحمه الله] حيث قال: معناه: إنا نعجن العجين لنخبزه فلا نقدر على خبزه لما فينا من خوف الدجال حين خلعت أفئدتنا بذكره، فكيف حال من ابتلي بزمانه. فمعنى قوله يجزئهم: إنه تعالى يسليهم ببركة التسبيح والتقديس. هذا وفي الحديث: كلمة سبحان الله وبحمده عبادة الخلق وبها يقطع أرزاقهم. رواه البزار عن ابن عمر. ومعنى الإقطاع تسويغ الإمام من مال الله شيئاً لمن يراه أهلاً لذلك، ثم استعمل في كل ما يعين للشخص. (رواه) هنا بياض في الأصل وألحق به أحمد وأبو داود والطيالسي. وقيل: رواه أحمد عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عنها وانفرد به عنها.

(الفصل الثالث)

٥٤٩٢ - (عن المغيرة بن شعبة قال: ما سأل أحد رسول الله ﷺ عن الدجال

الحديث رقم ٥٤٩٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٨٩. حديث رقم ٧١٢٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٥٨ حديث رقم (١١٥ - ٢٩٣٩) وأحمد في المسند ٥/ ٤٣٤.

أكثرَ ممَّا سألته، وإنه قال لي: «ما يضرُّكَ؟» قلتُ: إنَّهم يقولون: إنَّ معه جبلَ خبزٍ ونهرَ ماءٍ. قال: هوَ أهونُ على الله منْ ذلكَ». متفق عليه.

٥٤٩٣ ـ (٣٠) وعن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «يخرجُ الدَّجالُ على حمارٍ أقمرَ، ما بينَ أذنَيه سبعونَ باعاً». رواه البيهقي في «كتاب البعث والنشور».

بأكثر مما سألته) أي عنه (وإنه) بكسر الهمزة والواو للحال أو لعطف الجملة الثانية على المنفية والتقدير. وقال إنه. والواو لمطلق الجمع والضمير للشأن أوله ﷺ. (قال لي: ما يضرك) قال الطيبي [رحمه الله]: الجملة حال والمعنى: كنت مولعاً بالسؤال عن الدجال، مع أنه ﷺ قال: ما يضرك. فإن الله تعالى كافيك شره. أقول: والظاهر أن الجملة إخبارية تقريرية، ويمكن أن تكون خبرية لفظاً وفي المعنى دعائية. وإنما أتى بصيغة المضارع لتوقع وجوده في الاستقبال والله [تعالى]أعلم بالحال. (قلت: إنهم) أي الناس أو أهل الكتاب أو اليهود (يقولون إن معه جبل خبز) بضم الخاء المعجمة وسكون الموحدة فزاي، أي معه من الخبز قدر الجبل. وفي نسخة: حبل خبز. وهي كذا في المصابيح وكأنه تصحيف (ونهر ماء) بفتح الهاء وهو أفصح وتسكن وهو أشهر. وفيه إشارة إلى أن في زمانه قحط الماء أيضاً ابتلاء للعباد وزوالاً للبركة في البلاد لعموم الفساد، وهذا سؤال مستقل لا تعلق له بما قبله. وأبعد الطيبي [رحمه الله]في قوله: قلت إلى آخره، استئناف جواب عن سؤال مقدر، أي سألته يوماً فقال لي: ما يضرك، أي ما يضلك. قلت: كيف ما يضلني وإنهم يقولون إن معه جبل خبز. (قال: هو أهون على الله من ذلك) أي الدجال هو أحقر عند الله [تعالى] أن يحقق له ذلك، وإنما هو تخييل وتمويه للابتلاء فيثبت المؤمن ويزل الكافر. أو المراد أنه أهون من أن يجعل شيئاً من ذلك آية على صدقه ولا سيما قد جعل فيه آية ظاهرة في كذبه وكفره يقرؤها من لا يقرأ. وفي شرح مسلم قال القاضي [رحمه الله]: معناه هو أهون على الله من أن يجعل ما خلق الله تعالى على يده مضلاً للمؤمنين ومشككاً لقلوبهم، بل إنما جعله الله ليزداد الذين آمنوا إيماناً ويلزم الحجة على الكافرين والمنافقين ونحوهم، وليس معناه أنه ليس معه شيء من ذلك. (متفق عليه).

٥٤٩٣ ـ (وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: يخرج الدجال على حمار أقمر) أي شديد البياض على ما في النهاية. وفيه إيماء إلى أن حماره أحسن من وجهه. (ما بين أذنيه) صفة ثانية لحمار (سبعون باعاً) وهو طول ذراعي الإنسان وما بينهما. (رواه البيهقي في كتاب البعث والنشور).

الحديث رقم ٥٤٩٣: لم يخرج أحاديث الرجال في كتاب البعث والنشور للبيهقي. الصادر عن مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ـ بيروت. بتحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر. فقد ذكر المحقق في مقدمته: «أنه وقع لي أني رأيت في كتاب شرح مسلم للنووي ١٨/ ٤٧ ـ ٤٨ عبارة يعزوها للبيهقي في كتابه البعث ولم أجدها في النسخة التي اعتمدت عليها»... ثم ساق العبارة. والنقص الواقع في هذه النسخة هي أحاديث الرجال وقصة ابن الصياد. والله تعالى أعلم.

(٤) باب قصة ابن صياد

الفصل الأول

٥٤٩٤ ـ (١) عن عبدِ الله بنِ عُمرَ: أنَّ عُمرَ بن الخطابِ رضي الله عنه انطلقَ مع رسول اللهِ ﷺ، في رهط من أصحابه قِبَل ابن الصياد،

(باب قصة ابن صياد)

كذا في نسخة السيد وأكثر النسخ المعتمدة، وفي بعض النسخ ابن الصياد معرفاً في القاموس ابن صائد أو صياد الذي كان يظن إنه الدجال. وقال الأكمل: ابن صائد اسمه عبد الله، وقيل صياف ويقال ابن صائد وهو يهودي من يهود المدينة. وقيل: هو دخيل فيهم وكان حاله في صغره حال الكهان يصدق مرة ويكذب مراراً ثم أسلم لما كبر وظهرت منه علامات من الحج والجهاد مع المسلمين، ثم ظهرت منه أحوال وسمعت منه أقوال تشعر بأنه الدجال وقيل: إنه تاب ومات بالمدينة. وقيل: بل فقد يوم الحرة. وقال ابن الملك [رحمه الله]: اختلفوا في حال ابن الصياد فقيل هو الدجال، وما يقال إنه مات بالمدينة لم يثبت إذ قد روي أنه فقد يوم الحرة وأما أنه لم يولد للدجال وأنه لا يدخل البلدين وأنه يكون كافراً فذلك في زمان خروجه. وقيل: ليس هو الدجال ونقل أن جابراً حلف بالله أن ابن الصياد هو الدجال وأنه سمع عمر بن الخطاب يحلف ذلك عند النبي ﷺ ولم ينكره. والظاهر من قصة تميم الداري [رضي الله تعالى عنه] أنه ليس هو الدجال، نعم كان أمر ابن الصياد ابتلاء من الله تعالى لعباده فوقى الله تعالى المسلمين من شره. أقول: ولا يناقضه قصة تميم الداري إذ يمكن أن يكون له أبدان مختلفة، فظاهره في عالم الحس والخيال دائر مع اختلاف الأحوال وباطنه في عالم المثال مقيد بالسلاسل والأغلال. ولعل المانع من ظهور كماله في الفتنة وجود سلاسل النبوة وأغلال الرسالة والله سبحانه [وتعالى]أعلم.

(الفصل الأول)

٥٤٩٤ ـ **(عن عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله [تعالى]عنه)** أفرد الضمير لكونه هو الأصل المروي عنه وذكر ابنه تبعاً له، وفي نسخة عنهما وهو موهم أن يدخل فيه الخطاب وهو عدول عن الصواب. **(انطلق مع رسول الله ﷺ)** أي ذهب عمر معه **(في رهط)** وهو ما دون العشرة من الرجال، والمعنى في جملة جمع. **(من أصحابه قبل ابن صياد)** بكسر

الحديث رقم ٥٤٩٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٧١. حديث رقم ٣٠٥٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٤٤ حديث رقم (٩٥ . ٢٩٣٠). أخرجه أبو داود في ٤/ ٥٠٣ حديث رقم ٤٣٢٩ وأخرجه الترمذي ٤/ ٤٥٠ حديث رقم ٢٢٤٩. وأحمد في المسند ٢/ ١٤٨.

حتى وجدوهُ يلعبُ مع الصِّبيانِ في أُطُمِ بني مَغالة، وقد قاربَ ابنُ صيَّادٍ يومئذ الحُلُم، فلم يشعرْ حتى ضربَ رسولُ اللّهِ ﷺ ظهرَه بيدِه، ثمَّ قال: «أتشهدُ أني رسولُ الله؟» فنظر إليه، فقال: أشهدُ أنكَ رسولُ الأميِّينَ. ثمَّ قال ابن صياد: أتشهدُ أني رسول الله؟ فرصَّه النبيُّ ﷺ ثمَّ قال: «آمنتُ باللهِ وبرسلِه»

قاف وفتح موحدة، أي جانبه. (**حتى وجدوه**) قيل: حتى هنا حرف ابتداء يستأنف بعده الكلام ويفيد انتهاء الغاية. وقوله: (**يلعب مع الصبيان**) حال من مفعول وجدوه (**في أطم بني مغالة**) بفتح الميم ويضم والغين المعجمة، ونقل بالضم والمهملة وهو قبيلة. والأطم بضمتين القصر وكل حصن مبني بحجارة وكل بيت مربع مسطح، الجمع آطام وأطوم كذا في القاموس. وقال النووي [رحمه الله تعالى]: المشهور مغالة بفتح الميم وتخفيف الغين المعجمة. (**وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم**) بضمتين ويسكن اللام، أي البلوغ بالاحتلام وغيره. (**فلم يشعر**) بضم العين. وفيه إشعار بأنهم جاؤه[1] على غفلة منه، أي لم يتفطن بمأتانا. (**حتى ضرب رسول الله ﷺ ظهره**) أي ظهر ابن صياد (**بيده**) أي الكريمة (**ثم قال:**) أي النبي ﷺ (**أتشهد أني رسول الله فنظر إليه**) أي إلى النبي ﷺ نظر غضب أو غفلة ولذا لم يترتب عليه نظره له كما قال تعالى: ﴿**وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون**﴾ [الأعراف - ١٩٨]. (**فقال: أشهد أنك رسول الأميين**) قال القاضي [رحمه الله]: يريد بهم العرب لأن أكثرهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون، وما ذكره وإن كان حقاً من قبل المنطوق لكنه يشعر بباطل من حيث المفهوم وهو أنه مخصوص بالعرب غير مبعوث إلى العجم كما زعمه بعض اليهود، وهو إن قصد به ذلك فهو من جملة ما يلقي إليه الكاذب الذي يأتيه وهو شيطانه انتهى. ويمكن أن يكون مسموعه من اليهود لأنه منهم، أو هذا منه على طريقة الحكماء في زعمهم أنهم يستغنون عن الأنبياء. (**ثم قال ابن صياد: أتشهد أني رسول الله.**) يحتمل أنه أراد به الرسالة النبوية كما يدل عليه المقابلة الكلامية، ويحتمل أنه أراد الرسالة اللغوية فإنه أرسل من عنده تعالى للفتنة والبلية. (**فرصه النبي ﷺ**) بتشديد الصاد المهملة، أي ضغطه حتى ضم بعضه إلى بعض ومنه قوله تعالى: ﴿**كأنهم بنيان مرصوص**﴾ [الصف - ٤]. ذكره الخطابي. وقال النووي [رحمه الله]: في أكثر نسخ بلادنا فرفضه بالفاء والضاد المعجمة، والمعنى تركه وقطع سؤاله وجوابه وجداله من هذا الباب. وقال شارح: قوله: فرضه، أي كسره. وقيل: صوابه بالمهملة والمراد منه العصر والتضييق. (**ثم قال:**) أي النبي ﷺ (**آمنت بالله وبرسله**) قال الطيبي [رحمه الله]: هو عطف على فرصه وثم للتراخي في الرتبة والكلام خارج على إرخاء العنان، أي آمنت بالله ورسله فتفكر هل أنت منهم انتهى. وفيه إيهام تجويز التردد في كونه من الرسل أم لا ولا يخفى فساده. فالصواب أنه عمل بالمفهوم كما فعله الدجال، فالمعنى: إني آمنت برسله وأنت لست منهم فلو كنت منهم لآمنت بك، وهذا أيضاً على الفرض والتقدير أو قبل أن يعلم أنه خاتم

---

(١) في المخطوطة «جاؤوا».

ثمّ قال لابن صيّاد: «ماذا ترى؟» قال: يأتيني صادقٌ وكاذبٌ. قال رسولُ الله ﷺ: «خُلِّطَ عليكَ الأمرُ». قال رسولُ الله ﷺ: «إني خبَأتُ لكَ خَبيئاً» وخبأ له: ﴿يومَ تأتي السَّماءُ بدُخانٍ مُبينٍ﴾. فقال: هوَ الدُّخُ. فقال: «اخسأ فلن تعدُوَ

النبيين، وإلا فبعد العلم بالخاتمة فلا يجوز أيضاً الفرض والتقدير به. وقد صرح بعض علمائنا بأنه لو ادعى أحد النبوة فطلب منه شخص المعجزة كفر. وإنما لم يقتله ﷺ مع أنه ادعى بحضرته النبوة لأنه صبي، وقد نهي عن قتل الصبيان. أو أن اليهود كانوا يومئذ مستمسكين بالذمة مصالحين أن يتركوا على أمرهم وهو منهم أو من حلفائهم، فلم تكن ذمة ابن الصياد لتنقض بقوله الذي قال كذا قاله بعض علمائنا من الشراح. وقال ابن الملك: وهذا يدل على أن عهد الوالد يجزىء عن ولده الصغير. وقيل: إنه ما ادعى النبوة صريحاً لأن قوله: أتشهد، استفهام لا تصريح فيه. وفيه تأييد لما قدمته من احتمال المعنى اللغوي في الرسالة. **(ثم قال لابن صياد: ماذا ترى)** إذ زائدة وما استفهامية، أي ما تبصر وتكاشف من الأمر الغيبي. **(قال: يأتيني صادق)** أي خبر صادق تارة **(وكاذب)** أي أخرى أو ملك صادق وشيطان كاذب. وقيل: حاصل السؤال أن الذي يأتيك ما يقول لك، ومجمل الجواب أنه يحدثني بشيء قد يكون صادقاً وقد يكون كاذباً. **(قال رسول الله ﷺ: خلط)** بصيغة المجهول مشدداً للمبالغة والتكثير ويجوز تخفيفه، أي شبه عليك الأمر أي الكذب بالصدق. قال النووي [رحمه الله]: أي ما يأتيك به شيطانك مخلط. قال الخطابي: معناه أنه كان له تارات يصيب في بعضها ويخطىء في بعضها فلذلك التبس عليه الأمر. **(قال رسول الله ﷺ: إني خبأت)** أي أضمرت **(لك)** أي في نفسي **(خبيئاً)** أي اسماً مضمراً لتخبرني به. قال ابن الملك: وإنما امتحنه ﷺ بذلك ليظهر إبطال حاله للصحابة وأنه كاهن يأتيه الشيطان فيلقي على لسانه. **(وخباله: ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾)** [(1)]. الجملة حال بتقدير قد أو بدونه. **(فقال: هو الدخ)** بضم فتشديد، وقيل بالفتح وحكي الكسر أيضاً. ففي النهاية: الدخ بضم الدال وفتحها الدخان لأنه أراد بذلك: **﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾** [الدخان ـ ١٠]. وقيل: إن عيسى يقتل الدجال بجبل الدخان فيحتمل أن يكون أراده تعريضاً لقتله. وفي القاموس: الدخ ويضم الدخان. أقول: ولو روي بضم الدال وتخفيف الخاء لكان له وجه في أنه رمز وإشارة إلى الدخان وتصريح بنقصان إدراكه كما هو دأب الكهان. وقال النووي [رحمه الله]: وهو بضم الدال وتشديد الخاء المعجمة وهي لغة في الدخان. ومعنى خبأت أضمرت لك اسم الدخان. والصحيح المشهور أنه ﷺ أضمر له آية الدخان وهي قوله تعالى: **﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾**. قال القاضي عياض [رحمه الله]: وأصح الأقوال أنه لم يأت من الآية التي أضمرها النبي ﷺ إلا بهذا اللفظ الناقص على عادة الكهان إذا ألقى الشيطان إليهم بقدر ما يخطف قبل أن يدركه الشهاب. ويدل عليه ما ذكره الدارمي عنه. **(فقال: اخسأ)** بفتح السين وسكون الهمزة، كلمة زجر واستهانة، أي امكث صاغراً أو أبعد حقيراً واسكت مزجوراً من الخسوء وهو زجر الكلب. **(فلن تعدو)** بضم الدال،

---

(١) سورة الدخان، آية رقم ١٠.

قدرك». قال عمرُ: يا رسولَ الله! أتأذنُ لي فيه أن أضربَ عنُقه؟ قال رسولُ الله ﷺ: «إنْ يكنْ هوَ لا تُسلَّط عليه، وإنْ لم يكنْ هو فلا خير لك في قتلِه». قال ابنُ عمرَ: انطلقَ بعد ذلك رسولُ الله ﷺ وأبيُّ بن كعبٍ الأنصاريُّ يؤُمَّانِ النخلَ التي فيها ابنُ صيادٍ، فطفقَ رسولُ الله ﷺ يتّقي بجذوعِ النخلِ وهوَ يختِلُ أنْ يسمعَ من ابن صيادٍ شيئاً قبل أنْ يراهُ، وابنُ صيادٍ مضطجع على فراشِه في قطيفةٍ، له فيها زمزمةٌ،

أي فلن تجاوز. (قدرك) أي القدر الذي يدركه الكهان من الاهتداء إلى بعض الشيء ذكره النووي. وقال الطيبي [رحمه الله]: أي لا تتجاوز عن إظهار الخبيئات على هذا الوجه كما هو دأب الكهنة إلى دعوى النبوّة فتقول: أتشهد أني رسول الله. أقول: وحاصل الجملة وزبدة المسألة أنك وإن أخبرت عن الخبيء فلن تستطيع أن تجاوز عن الحد الذي حد لك، يريد أن الكهانة لا ترفع بصاحبها عن القدر الذي عليه هو وإن أصاب في كهانته. (قال عمر:) فيه التفات أو تجريد، ويمكن أن يكون ابن عمر مصاحباً لهم ويدل عليه ما بعده فقال: قال عمر: (يا رسول الله أتأذن لي فيه) أي في حقه (أضرب) وفي نسخة: فلأضرب، وفي أخرى: أن أضرب. (عنقه. قال رسول الله ﷺ إن يكن هو) أي الدجال (لا تسلط) بصيغة المجهول مجزوماً، وفي نسخة بالرفع، أي لا تقدر. (عليه) أي على هلاكه لأن المقدر أن قاتله عيسى عليه [الصلاة]والسلام فيما سيأتي من الأيام. (وإن لم يكن هو فلا خير لك في قتله) أي لما قدمناه من كونه صغيراً أو ذمياً أو كون كلامه محتملاً. أقوال وأوسطها أعدلها قال ابن الملك [رحمه الله تعالى]: ولما كان فيه قرائن دالة على كونه الدجال ذكر النبي ﷺ الحديث بصورة الشك والله [تعالى]أعلم. قال القاضي: قوله: إن يكن، هو الضمير للدجال ويدل عليه ما روي أنه ﷺ قال: «إن يكن هو فلست صاحبه إنما صاحبه عيسى ابن مريم، وإلا يكن هو فليس لك أن تقتل رجلاً من أهل العهد». وهو خبر كان واسمه مستكن فيه. وكان حقه أن يكنه فوضع المرفوع المنفصل موضع المنصوب المتصل عكس قولهم لولاه. ويحتمل أن يكون تأكيداً للمستكن والخبر محذوفاً على تقدير إن يكن هو هذا قال الطيبي [رحمه الله]. ويجوز أن يقدر إن يكن هو الدجال وهو ضمير فصل، أو هو مبتدأ والدجال خبره والجملة خبر كان انتهى. وعلى الأخير يكون في يكن ضمير الشأن كما لا يخفى. (قال ابن عمر: انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ وأبي بن كعب الأنصاري) بالرفع للعطف ويجوز النصب للمعية (يؤمان النخل) من أمه يؤمه إذا قصده، أي يقصدان النخيل. (التي فيها) أي فيما بينها أو في بستانها (ابن صياد فطفق) بكسر الفاء، أي شرع (رسول الله ﷺ يتقي) أي يستر نفسه (بجذوع النخل) أي ويتخبأ عن ابن صياد ليأخذه على غرة وغفلة فإن تلك الحالة أدل على بطلان الرهبان. (وهو) أي النبي ﷺ (يختل) بسكون الخاء المعجمة وكسر الفوقية، من الختل وهو طلب الشيء بحيلة، والمفعول محذوف، أي يخدع ابن صياد. (أن يسمع) أي ليسمع (من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه) أي يعلم هو وأصحابه حاله في أنه كاهن أم ساحر ونحوهما. قال النووي [رحمه الله]: وفيه جواز كشف أحوال ما يخاف مفسدته وكشف الأمور المبهمة بنفسه. (وابن صياد مضطجع على فراشه في قطيفة) أي دثار مخمل، وقيل لحاف صغير. (له فيها زمزمة) قال

فرأت أمُّ ابن صيادٍ النبيَّ ﷺ وهو يتقي بجذوع النخل. فقالت: أيْ صافُ - وهو اسمُه - هذا محمَّدٌ. فتناهى ابنُ صيادٍ. قال رسول الله ﷺ: «لو تركتْه بيَّنَ». قال عبدُ الله بنُ عمرَ: قام رسولُ الله ﷺ في الناسِ، فأثنى على الله بما هوَ أهلُه، ثمَّ ذكر الدَّجالَ فقال: «إني أُنذِركموهُ، وما من نبيّ إلاَّ وقد أنذرَ قومَه، لقدْ أنذرَ نوحٌ قومَه، ولكني سأقولُ لكم فيه قولاً لم يقلْه نبيٌّ لقومه، تعلمونَ أنّه أعورُ، وأنَّ اللّهَ ليسَ بأعورٍ».

النووي [رحمه الله]: هو في معظم نسخ مسلم بزاءين معجمتين وفي بعضها براءين مهملتين، ووقع في البخاري بالوجهين وهو صوت خفي لا يكاد يفهم أو لا يفهم. قال شارح: هي صوت لا يفهم منه شيء وهو في الأصل صوت الرعد. **(فرأت أم ابن صياد النبي ﷺ وهو يتقي بجذوع النخل فقالت: أي)** للنداء **(صاف)** بالضم، وفي نسخة بالكسر على أن أصله صافي فحذف الياء واكتفى بالكسرة، ويؤيد الأول ظاهر قوله: **(وهو اسمه)** ويمكن أن يكون الاسم بمعنى الوصف فإنه قد يستعمل بالمعنى الأعم من نحو اللقب والعلم. **(هذا)** أي وراءك **(محمد)** أو جاءك فتنبه له **(فتناهى ابن صياد)** أي انتهى عما كان فيه من الزمزمة وسكت. **(قال رسول الله ﷺ: لو تركته)** أي أمه **(بين)** أي أظهر ما في نفسه كذا في شرح السنة. وقال النووي [رحمه الله]: أي بين لكم باختلاف كلامه ما يهون عليكم شأنه. **(قال عبد الله بن عمر:)** الظاهر أن ما سيأتي حديث آخر ذكره استطراداً ولذا لم يأت بعاطفة. وقال: **(قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: إني أنذركموه وما من نبي إلا وقد أنذر قومه)** أي بعد نوح **(لقد أنذر نوح قومه)** أي قبل الأنبياء **(ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، تعلمون)** خبر بمعنى الأمر، أي اعلموا. **(أنه أعور وأن الله)** بالفتح للعطف وبالكسر على أن الجملة حالية **(ليس بأعور)**. أي بالأمر البديهي في التنزيه الإلهي. قال التوربشتي [رحمه الله]: يحتمل أن أحداً من الأنبياء لم يكاشف أو لم يخبر بأنه أعور، ويحتمل أنه أخبر ولم يقدر له أن يخبر عنه كرامة لنبينا ﷺ حتى يكون هو الذي يبين بهذا الوصف دحوض حجته الداحضة ويبصر بأمره جهال العوام فضلاً عن ذوي الألباب والأفهام. وفي شرح مسلم للنووي قالوا: قصته مشكلة وأمره مشتبه في أنه هل هو المسيح الدجال أم غيره، ولا شك أنه دجال من الدجاجلة. قالوا: وظاهر الأحاديث أنه ﷺ لم يوح إليه بأنه المسيح الدجال ولا غيره، وإنما أوحي إليه بصفات الدجال وكان لابن صياد قرائن محتملة فلذلك كان ﷺ لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره ولهذا قال لعمر رضي الله [تعالى]عنه: لا يولد للدجال وقد ولد له وأن لا يدخل مكة والمدينة. وابن صياد قد دخل المدينة وهو متوجه إلى مكة فلا دلالة فيه لأنه ﷺ إنما أخبر عن صفاته وقت فتنته وخروجه في الأرض. قال الخطابي: واختلف السلف في أمره بعد كبره، فروي عنه أنه تاب من ذلك القول ومات بالمدينة وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى يراه الناس وقيل لهم اشهدوا. قال: وكان ابن عمر وجابر يحلفان أن ابن صياد هو الدجال لا يشكان فيه. فقيل لجابر: إنه أسلم فقال: وإن أسلم، فقيل: إنه دخل مكة وكان بالمدينة، فقال: وإن دخل. وروى أبو داود بإسناد

متفق عليه.

٥٤٩٥ ـ (٢) وعن أبي سعيد الخدري، قال: لقيه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ـ يعني ابن صيّاد ـ في بعض طرق المدينة، فقال له رسولُ الله ﷺ: «أتشهد أني رسولُ الله؟». فقال هو:

صحيح عن جابر قال: فقدنا ابن صياد يوم الحرة[١]. وهذا يبطل رواية من روى أنه مات بالمدينة وصلي عليه. وقد روى مسلم في هذه الأحاديث أن جابراً حلف بالله تعالى أن ابن صياد هو الدجال وأنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله [تعالى]عنه يحلف ذلك عند النبي ﷺ ولم ينكره[٢]. قال البيهقي في كتاب البعث والنشور: اختلفوا في أمر ابن صياد اختلافاً كثيراً هل هو الدجال أم لا، فمن ذهب إلى أنه غيره احتج بحديث تميم الداري في قصة الجساسة ويجوز أن يتوافق صفة ابن صياد وصفة الدجال كما ثبت في الصحيح: إن أشبه الناس بالدجال عبد العزى بن قطن وليس هو. هو قال: وكان أمر ابن صياد فتنة ابتلى الله بها عباده فعصم الله تعالى منها المسلمين ووقاهم شرها. قال: وليس في حديث تميم هذا كلام البيهقي فقد اختار أنه غيره. وقدمنا أنه صح عن ابن عمر وجابر أنه الدجال. فإن قيل: لم لم يقتله النبي ﷺ مع أنه ادعى بحضرته النبوّة. فالجواب من وجهين ذكرهما البيهقي وغيره أحدهما: أنه كان غير بالغ. واختار القاضي عياض [رحمه الله]هذا الجواب. والثاني: أنه كان في أيام مهادنة اليهود وحلفائهم، وجزم الخطابي بالجواب الثاني، قال: لأن النبي ﷺ بعد قدومه المدينة كتب بينه وبين اليهود كتاب الصلح على أن يتركوا على حالهم، وكان ابن صياد منهم أو دخيلاً فيهم. قال الخطابي: وأما امتحان النبي ﷺ بما خبأه له من آية الدخان فلأنه كان يبلغه ما يدعيه من الكهانة ويتعاطاه من الكلام في الغيب، فامتحنه ليعلم حقيقة حاله ويظهر إبطال حاله للصحابة وإنه كاهن ساحر يأتيه الشيطان فيلقي على لسانه ما يلقيه الشياطين إلى الكهنة فامتحنه ثم قال: فلن تعدو قدرك. أي لا تتجاوز قدرك وقدر أمثالك من الكهان الذين يحفظون من إلقاء الشيطان كلمة واحدة من جملة كثيرة، بخلاف الأنبياء عليهم [الصلاة]والسلام فإنه يوحي الله تعالى إليهم من علم الغيب ما يوحي، فيكون واضحاً جلياً كاملاً وبخلاف ما يلهم الله الأولياء من الكرامات والله [تعالى]أعلم. (**متفق عليه**) ورواه أبو داود والترمذي.

٥٤٩٥ ـ (**وعن أبي سعيد الخدري قال: لقيه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر يعني**) أي يريد أبو سعيد بالضمير البارز (ابن صياد) والمعنى لقوه (**في بعض طرق المدينة فقال له رسول الله ﷺ: أتشهد أني رسول الله. فقال هو:**) أي ابن صياد وهو تأكيد للضمير المستكن في

---

(١) راجع الحديث رقم (٥٥٠٢).

(٢) راجع الحديث رقم(٥٥٠٠).

الحديث رقم ٥٤٩٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٤١. حديث رقم (٨٧ . ٢٩٢٥) والترمذي ٤/٤٤٨ حديث رقم ٢٢٤٧.

أتشهد أني رسولُ الله؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «آمنتُ بالله وملائكته وكتبه ورسله، ماذا ترى؟». قال: أرى عرشاً على الماء. فقال رسول الله ﷺ: «ترى عرش إبليسَ على البحر، وما ترى؟» قال: أرى صادقَينِ وكاذباً، أو كاذبَيْنِ وصادقاً. فقال رسول الله ﷺ: «لُبِّسَ عليه، فدعوه». رواه مسلم.

٥٤٩٦ ـ (٣) وعنه، أنَّ ابنَ صيَّادٍ سألَ النبيَّ ﷺ عن تُربة الجنة. فقال: «دَرمكةٌ بيضاءُ، مسكٌ خالصٌ». رواه مسلم.

٥٤٩٧ ـ (٤) وعن نافع، قال: لقي ابنُ عمرَ ابنَ صيادٍ في بعض طرق المدينة، فقال له قولاً أغضبه، فانتفخ حتى ملأ السكة. فدخل ابنُ عمر على حفصة وقد بلغها، فقالت له:

[فقال:](أتشهد أني رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: آمنت بالله وملائكته ورسله) تقدم ما يتعلق به (ماذا ترى. قال: أرى عرشاً على الماء. فقال رسول الله ﷺ: ترى عرش إبليس على البحر) أقول: قد جرى لبعض المكاشفين من هذه الأمة وقد قدمنا بيانه. (وما ترى) أي غير هذا (قال: أرى صادقين وكاذباً أو كاذبين وصادقاً) أي يأتيني شخصان يخبراني بما هو صدق وشخص يخبرني بما هو كذب والشك من ابن الصياد في عدد الصادق والكاذب يدل على افترائه، إذ المؤيد من عند الله لا يكون كذلك. (فقال رسول الله ﷺ:) أي لأصحابه (لبس) بضم لام وكسر موحدة مخففة ولو شدد لأفاد التأكيد والتكثير أي خلط. (عليه الأمر) في كهانته (فدعوه) أي فاتركوه فإنه لا يحدث بشيء يصلح أن يعول عليه (رواه مسلم).

٥٤٩٦ ـ (وعنه) أي عن أبي سعيد (أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن تربة الجنة) أي ما ترابها (فقال: درمكة) في القاموس: الدرمك كجعفر، دقيق الحواري والتراب الناعم. (بيضاء) صفة مؤكدة (مسك خالص) خبر ثان. وفي النهاية: الدرمكة الدقيق الحواري، شبه تربة الجنة بها لبياضها ونعومتها وبالمسك لطيبها انتهى. ويقال: دقيق حواري بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء، هو ما حور أي بيض من الطعام. (رواه مسلم).

٥٤٩٧ ـ (وعن نافع قال: لقي ابن عمر ابن صياد) أي رآه (في بعض طرق المدينة فقال) أي ابن عمر له (قولاً أغضبه) أي القول مجازاً أو ابن عمر (فانتفخ) أي صار ذا نفخ من الغضب (حتى ملأ) أي جسده المنتفخ (السكة) بكسر فتشديد، أي الطريق. (فدخل ابن عمر على حفصة) وهي أخته أم المؤمنين (وقد بلغها) أي وقد وصل إليها ما جرى بينهما (فقالت له:) أي

الحديث رقم ٥٤٩٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٤٣ حديث رقم (٩٣ . ٢٩٢٨) وأحمد في المسند ٣/٤.

الحديث رقم ٥٤٩٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٤٦. حديث رقم (٩٨ . ٢٩٣٢). وأحمد في المسند ٦/٢٨٣.

رحمك الله ما أردت من ابن صيّاد؟ أمّا علمت أن رسول الله ﷺ قال: «إنما يخرجُ من غضبةٍ يغضبها». رواه مسلم.

٥٤٩٨ ـ (٥) وعن أبي سعيد الخدري، قال: صحبْتُ ابن صيّادٍ إلى مكةَ، فقال لي: ما لقيتُ من الناس؟! يزعمون أني الدجال، ألستَ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّه لا يولد له»؟. وقد وُلِدَ لي، أليس قد قال: «هو كافر»؟ وأنا مسلم، أو ليس قد قال: «لا يدخل المدينة ولا مكة»؟ وقد أقبلتُ من المدينةِ وأنا أريدُ مكة. ثم قال لي في آخر قوله: أمَا والله إني لأعلم مولده ومكانه وأين هو، وأعرف أباه وأمّه قال: فلبَّسني،

لأخيها (رحمك الله) جملة دعائية دالة على جواز مثلها للأحياء وإن كان العرف الآن على خلاف ذلك. (ما أردت) ما استفهام مفعول أردت، أي أي شيء قصدت. (من ابن صياد) أي حيث أغضبته في الكلام (أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: إنما يخرج) أي الدجال حين يخرج (من غضبة) بسكون الضاد المعجمة، أي من مرة واحدة من الغضب. (يغضبها) الجملة في موضع الجر والضمير في موضع النصب، أي أنه يغضب غضبة فيخرج بسبب غضبه فيدعي النبوّة فلا تغضبه يا عبد الله ولا تتكلم معه كيلا يخرج فتظهر الفتن ذكره الطيبي [رحمه الله]وقال المظهر: يعني إنما يخرج الدجال حين يغضب. (رواه مسلم).

٥٤٩٨ ـ (وعن أبي سعيد الخدري قال: صحبت ابن صياد إلى مكة) أي متوجهين إليها (فقال لي: ما لقيت) ما استفهام تعجيب، أي شيئاً عظيماً لقيت. (من الناس) أي من كلامهم، ثم بينه بقوله: (يزعمون أني الدجال) أي ولست إياه. وقال بعضهم: قوله: يزعمون، استئناف كأنه لما قال: ما لقيت، أي أي شيء لقيت من الناس. قيل له: ماذا تشكو منهم. فقال: يزعمون، أو حال من فاعل لقيت، أي أي شيء لقيت من الناس وإنهم يزعمون كذا، أي يترددون في أمري ويشكون فيه أنت تعلم أن الأمر على خلاف ذلك. (ألست سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يولد له وقد ولد لي، أليس قد قال: هو كافر، وأنا مسلم. أو ليس قد قال: لا يدخل المدينة ولا مكة. وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة.) وقد سبق تأويلات الجمل المذكورة. (ثم قال لي في آخر قوله: أما والله إني لأعلم) أي لأعرف (مولده) أي زمان ولادة الدجال (ومكانه) أي حينئذ (وأين هو) أي الآن (وأعرف أباه وأمه) فيه أنه يحتمل أن يكون كاذباً وصادقاً فيه. (قال:) أي أبو سعيد (فلبسني) بتخفيف الموحدة المفتوحة. قال النووي [رحمه الله]: هو بالتخفيف، أي جعلني ألتبس على أمره وأشك فيه يعني حيث قال أوّلاً: اعلم أنا مسلم، ثم ادعى الغيب بقوله: إني لأعلم، ومن ادعى علم الغيب فقد كفر فالتبس عليّ إسلامه وكفره. وقال ابن الملك: فلبسني من التلبيس، أي التخليط حيث لم يبين مولده وموضعه بل

الحديث رقم ٥٤٩٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٤٢ حديث رقم (٨٩ ـ ٢٩٢٧) وأحمد في المسند ٣/ ٢٦.

قال: قلت له: تبّاً لكَ سائرَ اليوم. قالَ: وقيل له: أيسرُّكَ أنك ذاكَ الرجل؟ قال: فقال: لو عُرِض عَليَّ ما كرهتُ. رواه مسلم.

٥٤٩٩ ـ (٦) وعن ابن عمر [رضي الله عنهما]، قال: لقيتُه وقد نَفَرت عينه فقلت: متى فعلت عينك ما أرى؟ قال: لا أدري. قلت: لا تدري وهي في رأسك؟ قال: إنْ شاءَ الله خلقها في عصاك.

تركه ملتبساً فلبس علي، أو معناه أوقعني في الشك بقوله: ولد لي وبدخوله المدينة ومكة، وكان يظن أنه الدجال. (قال:) أي أبو سعيد (قلت له:) أي لابن صياد (تباً) بتشديد الموحدة، أي هلاكاً وخسراناً. (لك سائر اليوم) أي جميع اليوم أو باقيه، أي ما تقدم من اليوم قد خسرت فيه فكذا في باقيه. (قال:) أي أبو سعيد (وقيل له:) أي لابن صياد (أيسرك) أي أيوقعك في السرور ويفرحك ويعجبك (أنك ذلك الرجل) أي أن تكون الدجال (قال:) أي أبو سعيد (فقال:) أي ابن صياد (لو عرض علي) بصيغة المجهول، أي لو عرض علي ما جبل في الدجال من الإغواء والخديعة والتلبيس على (ما كرهت) أي بل قبلت، والحاصل رضاه بكونه الدجال وهذا دليل واضح على كفره كذا ذكره المظهر وغيره من الشراح. (رواه مسلم).

٥٤٩٩ ـ (وعن ابن عمر قال: لقيته) أي ابن صياد (وقد نفرت) بفتح الفاء، أي ورمت (عينه) كأن الجلد ينفر من اللحم الحادث بينهما. قال شارح: وروي بالقاف على بناء المجهول أي استخرجت. قال النووي: هو بفتح النون والقاف، أي ورمت ونتأت. وذكر القاضي عياض [رحمه الله]وجوهاً أخر، والظاهر أنها تصحيف. (قلت: متى فعلت عينك) أسند الفعل إلى العين مجازاً والمراد غيره، والمعنى: متى فعل الله بعينك. (ما أرى) أي الذي أراه فيها من الورم، وكأنه لبس على ابن صياد يخبره أو يوافقه أو يخالفه. (قال: لا أدري. قلت: لا تدري) بتقدير الاستفهام الإنكاري (وهي في رأسك) جملة حالية، وهذا استبعاد بحسب العادة وإلا فمن الإمكان، بل من أبدع ما كان أنه يحدث في عينه شيء ولا يدري فإنه إذا جاء القدر عمي البصر، لا سيما وكل أحد أعمى في عيب نفسه بصير بعيوب غيره يرى القذى[1] في عين الناس ولا يرى الجذع[2] في باصرته. (قال: إن شاء الله خلقها) أي هذه العلة، أو هذه العين المعيبة. (في عصاك) أي بحيث لا تدري بها وهي أقرب شيء إليك. قال القاضي [رحمه الله]: قول ابن صياد: إن شاء الله خلقها في عصاك، في جواب قوله: لا تدري، وهي في رأسك. إشارة إلى أنه يمكن أن تكون العين بحال لا يكون له شعور بحالها، فلم يجوز أن يكون الإنسان مستغرقاً في أفكاره بحيث يشغله عن الإحساس بها والتذكر لأحوالها. قلت: ونظيره قطع عضو مأكولة من بعض العارفين حالة كونه من المصلين مستغرقاً في بلوغ مدارج مشاهدة المقربين، وطلوع معراج مناجاة رب العالمين. وكما يشاهد من آحاد الناس أنه لا يحس بألم الجوع فرحاً أو حزناً

---

(١) في المخطوطة «الجذع». (٢) في المخطوطة «القذى».

الحديث رقم ٥٤٩٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٤٦ حديث رقم (٩٩. ٢٩٣٢).

قال: فَنَخَر كأشدِّ نخيرِ حمارٍ سمعتُ. رواه مسلم.

٥٥٠٠ ـ (٧) وعن محمد بن المنكدر، قال: رأيتُ جابر بن عبدِ اللّهِ يحلفُ باللّهِ أنَّ ابنَ الصيَّاد الدجالُ. قلتُ: تحلف بالله؟ قال: إني سمعتُ عمر يَحْلِفُ على ذلك عند النبي ﷺ، فلم ينكره النبيُّ ﷺ. متفق عليه.

الفصل الثاني

٥٥٠١ ـ (٨) عن نافعٍ، قال: كان ابْنُ عُمر يقول: واللّهِ ما أَشكُّ أنَّ المسيحَ

وغير ذلك. (قال:) أي ابن عمر (فنخر) أي ابن صياد وهو بفتح النون والخاء المعجمة، أي صوت صوتاً منكراً. (كأشد نخير حمار) قال شارح: هو صوت الأنف، يعني مد النفس في الخيشوم. (سمعت) بالضم، أي سمعت منه صوتاً منكراً، فإن أنكر الأصوات لصوت الحمير. قال الطيبي [رحمه الله]: كأشد نخير صفة مصدر محذوف، أي نخر نخرة إلى آخره. (رواه مسلم).

٥٥٠٠ ـ (وعن محمد بن المنكدر) تابعي كبير روى عنه الثوري ومالك وغيرهما وهو ممن جمع بين العلم والزهد والعبادة. (قال: رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن الصياد) بكسر الهمز وتعريف الصياد في الأصول (الدجال) أي هو الدجال (قلت: تحلف بالله) أي أتحلف مع أنه أمر مظنون غير مجزوم به. (قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك) أي على أن ابن الصياد الدجال (عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ) أي ولو لم يكن مقطوعاً لأنكره، أي ولم يجز اليمين على ما يغلب به الظن لما سكت عنه. قيل: لعل عمر أراد بذلك أن ابن الصياد من الدجالين الذين يخرجون فيدعون النبوّة أو يضلون الناس ويلبسون الأمر عليهم، لا أنه المسيح الدجال لأن النبي ﷺ تردد حيث قال: إن يكن هو وإن لم يكن هو. ولكن فيه أن الظاهر المتبادر من إطلاق الدجال هو الفرد الأكمل، فالوجه حمل يمينه على الجواز عند غلبة الظن والله [تعالى]أعلم. ثم رأيت شارحاً قال: فلم ينكره، لأن النبي ﷺ عرف أنه من جملة من حذر الناس عنه من الدجالين بقوله: يخرج في أمتي دجالون كذابون قريباً من ثلاثين. وابن صياد لم يكن خارجاً من جملتهم لأنه ادعى النبوّة بمحضر من النبي ﷺ، فلم يكن حلف عمر رضي الله [تعالى]عنه مخالفاً للحقيقة، أو يريد أن فيه صفة الدجال والله [تعالى]أعلم بالحال (متفق عليه).

(الفصل الثاني)

٥٥٠١ ـ (عن نافع قال: كان ابن عمر يقول: والله ما أشك) أي لا أتردد (أن المسيح

الحديث رقم ٥٥٠٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٣٢٣. حديث رقم ٧٣٥٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٤٣ حديث رقم (٩٤. ٢٩٢٩) وأبو داود في السنن ٤/ ٥٠٦ حديث رقم ٤٣٣١.

الحديث رقم ٥٥٠١: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٥٠٦ حديث رقم ٤٣٣٠.

الدجالَ ابنُ صيَّادٍ. رواه أبو داود، والبيهقي في «كتاب البعث والنشور».

٥٥٠٢ ـ (٩) وعن جابرٍ [رضي الله عنه] قال: قد فقدنا ابنَ صيَّادٍ يوم الحرة. رواه أبو داود.

٥٥٠٣ ـ (١٠) وعن أبي بكرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يمكثُ أبوا الدجالِ ثلاثينَ عاماً، لا يولد لهما ولد، ثم يولد لهما غلامٌ أعورُ أضرَسُ، وأقلُّهُ منفعةً، تنامُ عيناه ولا ينامُ قلبهُ». ثم نعت لنا رسول اللّهِ ﷺ أبويهِ فقال: «أبوه طُوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار،

الدجال ابن صياد) أي هو هو، وفي نسخة باللام. (رواه أبو داود) أي في سننه بسند صحيح (والبيهقي في كتاب البعث والنشور).

٥٥٠٢ ـ (وعن جابر قال: قد فقدنا ابن صياد) وفي نسخة قد فقد بصيغة المجهول وضم ابن صياد. (يوم الحرة) هو يوم غلبة يزيد بن معاوية على أهل المدينة ومحاربته إياهم. قيل: هذا يخالف رواية من روى أنه مات بالمدينة وليس بمخالف ذكره الطيبي [رحمه الله]. وهو مخالف إذ يلزم من فقده المحتمل موته بها وبغيرها وكذا بقاؤه في الدنيا إلى حين خروجه عدم جزم موته بالمدينة. (رواه أبو داود) أي بسند صحيح.

٥٥٠٣ ـ (وعن أبي بكرة) بالتاء (قال: قال رسول الله ﷺ: يمكث أبو الدجال) أي والداه (ثلاثين عاماً) ولعل المراد به أحد الدجالين، فلا ينافيه ما سبق ولا ما يأتي من الكلام. (لا يولد لهما ولد، ثم يولد لهما غلام أعور أضرس،) أي عظيم الضرس وهو السن. والمراد به الناب لما سيأتي (وأقله) أي وأقل غلام (منفعة) والمعنى لا غلام أقل منه نفعاً. قال الجزري: قوله: أضرس. كذا في نسخ المصابيح، أي عظيم الضرس، أو الذي يولد وضرسه معه. ولا شك عندي أنه تصحيف أضر شيء وكذا هو في كتاب الترمذي الذي أخذه المؤلف منه، وبهذا يصح عطف: وأقله منفعة عليه، من غير تعسف ولا تكلف تقدير ويكون الضمير عائد إلى شيء، أي أقل شيء منفعة. قلت: ويؤيده أنه أورد الحافظ ابن حجر في شرح البخاري حديث أبي بكرة ناقلاً عن أبي داود: وفيه غلام أعور أضر شيء وأقله نفعاً. (تنام عيناه ولا ينام قلبه) قال القاضي [رحمه الله]: أي لا تنقطع أفكاره الفاسدة عنه عند النوم لكثرة وساوسه وتخيلاته وتواتر ما يلقي الشيطان إليه، كما لم يكن ينام قلب النبي ﷺ من أفكاره الصالحة بسبب ما تواتر عليه من الوحي والإلهام. (ثم نعت لنا رسول الله ﷺ أبويه فقال:) أي النبي ﷺ (أبوه طوال) بضم الطاء وتخفيف الواو مبالغة طويل والمشدد أكثر مبالغة، لكن الأول هو الرواية. (ضرب اللحم) أي خفيفه. وفي النهاية: هو الخفيف اللحم المستدق. وفي صفة موسى عليه [الصلاة]والسلام أنه ضرب من الرجال. (كأن) بتشديد النون (أنفه منقار) بكسر الميم، أي في أنفه طول بحيث

الحديث رقم ٥٥٠٢: أخرجه أبو داود في السنن ٤/٥٠٦ حديث رقم ٤٣٣٢.

الحديث رقم ٥٥٠٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٤٤٩ حديث رقم ٢٢٤٨. وأحمد في المسند ٥/٤٠.

وأمُّه امرأةٌ فِرضاخيةٌ طويلة اليدين». فقال أبو بكرة: فسمعنا بمولودٍ في اليهود بالمدينة، فذهبتُ أنا والزبيرُ بنُ العوام، حتى دخلنا على أبويه، فإذا نعتُ رسول الله ﷺ فيهما، فقلنا: هل لكما ولدٌ؟ فقالا: مكثنا ثلاثين عاماً لا يُولدُ لنا ولد، ثُمَّ وُلد لنا غلام أعورُ أضرس، وأقلُّه منفعةً، تنامُ عيناه ولا ينامُ قلبُه. قال: فخرجنا من عندهما، فإذا هو منجدلٌ في الشمسِ في قطيفةٍ، وله هَمْهَمَةٌ، فكشفَ عن رأسه فقال: ما قلتما؟ قلنا: وهل سمعتَ ما قُلْنا؟ قال: نعم، تنامُ عيناي ولا ينامُ قلبي. رواه الترمذي.

٥٥٠٤ ـ (١١) وعن جابرٍ، أنّ امرأةً من اليهودِ بالمدينةِ ولَدتْ غُلاماً ممسوحةً عينُه طالعةً نابُهُ،

يشبه منقار طائر. (وأمه امرأة فرضاخية) بكسر الفاء وتشديد التحتية، أي ضخمة عظيمة ذكره القاضي. وفي الفائق هي صفة بالضخم، وقيل بالطول والياء مزيدة فيه للمبالغة كأحمري. وفي القاموس: رجل فرضاخ ضخم عريض أو طويل، وهي بهاء وامرأة فرضاخة أو فرضاخية عظيمة الثديين. وفي النهاية: فرضاخية ضخمة عظيمة الثديين. (طويلة اليدين) أي بالإضافة إلى عادة نسائها، أو بالنسبة إلى سائر أعضائها. (فقال أبو بكرة: فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام) بالرفع أو النصب (حتى دخلنا على أبويه فإذا نعت رسول الله) أي وصفه (ﷺ فيهما. فقلنا: هل لكما ولد) بالرفع، أي ولد ولد (فقالا: مكثنا) بفتح الكاف وضمها، أي لبثنا (ثلاثين عاماً لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أعور أضرس) فيه ما تقدم. (وأقله منفعة تنام عينه ولا ينام قلبه) ولعله كان يظهر بعض آثار قلبه على صفحة قالبه، أو هو أخبرهما عن بعض مدركات قلبه حال نومه. (قال:) أي أبو بكرة (فخرجنا من عندهما فإذا هو) أي الغلام (منجدل) بكسر الدال، أي ملقى على وجه الأرض. قال الطيبي رحمه الله: أي ملقى على الجدالة وهي الأرض، ومنه الحديث: «أنا خاتم الأنبياء في أم الكتاب وآدم لمنجدل في طينته»[1]. قلت: ففيه تجريد أو تأكيد. والمعنى أنه ساقط أو واقع. (في الشمس في قطيفة) أي دثار مخمل على ما في القاموس. (وله همهمة) أي زمزمة وقال شارح: أي كلام غير مفهوم منه شيء وهي في الأصل ترديد الصوت في الصدر، أي كما هو مشاهد في الفرس[2] عند جريانه. وفي النهاية: وأصل الهمهمة صوت البقر. (فكشف) أي ابن صياد (عن رأسه) أي غطاءه (فقال: ما قلتما) فكأنه وقع كلام بينهما فيه [أو في]غيره (قلنا: وهل سمعت ما قلنا. قال: نعم تنام عيناي ولا ينام قلبي. رواه الترمذي) وكذا أبو داود.

٥٥٠٤ ـ (وعن جابر أن امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلاماً ممسوحة عينه) أي اليمنى وقيل اليسرى (طالعة نابه) هكذا هو في شرح السنة. والظاهر طالعاً نابه إلا أن يراد به الجنس

---

(١) أحمد في المسند ٤/ ١٢٦.　　(٢) في المخطوطة «القاموس».

الحديث رقم ٥٥٠٤: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٥/ ٧٨ حديث رقم ٤٢٧٤. وأحمد في المسند ٣/ ٣٦٨.

فأشفقَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يكونَ الدجالَ، فوجدَه تحت قطيفةٍ يُهَمْهِم. فآذنته أُمُّه فقالت: يا عبدَ اللَّهِ! هذا أبو القاسم فَخَرَجَ مِنَ القطيفةِ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما لها قاتلها الله؟ لو تركته لبيَّن». فذكر مثل معنى حديثِ ابنِ عمر، فقال عمر بن الخطاب: ائذنْ لي يا رسول الله فأقتُله، فقال رسول الله ﷺ: «إن يكن هو فَلَسْت صاحبَه إنما صاحبُه عيسى ابنُ مريم، وإلاَّ يكن هو فليس لكَ أن تَقْتُلَ رجلاً من أهل العهد». فلم يزلْ رسول الله ﷺ مشفقاً أنه هو الدجال. رواه في «شرح السنة».

وهذا الباب خال عن الفصل الثالث

والتعدد فيه على التحمل ذكره الطيبي [رحمه الله]: فالمعنى: طالعة أنيابه. وفي القاموس: الناب السن خلف الرباعية مؤنث، فالتعدد باعتبار الطرفين والجمع باعتبار أن الأقل يكون لاثنين. وهذا الحديث يقوي رواية أضرس فيما تقدم والله [تعالى]أعلم. **(فأشفق)** أي خاف **(رسول الله ﷺ)** أي على أمته **(أن يكون)** أي هو **(الدجال فوجد جده تحت قطيفة يهمهم)** أي يتكلم بكلام غير مفهوم **(فآذنته)** بالمد، أي أعلمته. **(أمه)** أي بمأتي النبي ﷺ إياه **(فقالت: يا عبد الله)** يحتمل العلمية والوصفية **(هذا أبو القاسم)** أي حاضراً و حضر فتنبه له وتهيأ لكلامه. **(فخرج من القطيفة فقال رسول الله ﷺ: ما لها)** ما للاستفهام مبتدأ، ولها خبره، أي أي شيء لها. **(قاتلها الله)** دعاء عليها زجراً لها **(لو تركته لبين)** أي لأظهر ما في ضميره **(فذكر)** أي جابر **(مثل معنى حديث ابن عمر)** أي الحديث الأول من باب قصة ابن صياد **(فقال عمر بن الخطاب: ائذن لي)** أمر من الإذن، أي أعطني الإجازة يا رسول الله. **(فأقتله)** بالنصب على جواب الأمر **(فقال رسول الله ﷺ: إن يكن هو)** أي ابن الصياد الدجال **(فلست صاحبه)** أي صاحب قتله ومباشرة هلاكه **(إنما صاحبه عيسى ابن مريم وإن لم يكن)** استعمال لا أولى هنا من قولهم في مثل هذا المقام وإن لم يكن **(فليس لك أن تقتل رجلاً من أهل العهد)** أي من الذمة والجزية **(فلم يزل رسول الله ﷺ مشفقاً)** أي خائفاً على أمته **(أنه)** أي ابن الصياد **(هو الدجال. رواه)** أي البغوي **(في شرح السنة)** بإسناده. قال بعض المحققين: الوجه في الأحاديث الواردة في ابن صياد مع ما فيها من الاختلاف والتضاد أن يقال إنه ﷺ حسبه الدجال قبل التحقيق بخبر المسيح الدجال، فلما أخبر ﷺ بما أخبر به من شأن قصته في حديث تميم الداري ووافق ذلك ما عنده تبين له ﷺ أن ابن الصياد ليس بالذي ظنه. ويؤيده ما ذكره أبو سعيد حين صحبه إلى مكة. وأما توافق النعوت في أبوي الدجال وأبوي ابن صياد فليس مما يقطع به قولاً، فإن اتفاق الوصفين لا يلزم منه اتحاد الموصوفين، وكذا حلف عمر وابنه مع عدم إنكاره ﷺ من أنه الدجال فإن كل ذلك قبل تبين الحال وقد كان للدجال في بعض علاماته[1] ما أورث ذلك فيه ﷺ إشفاقاً منه.

(١) في المخطوطة «علامة».

(٥) باب نزول عيسى عليه السلام

الفصل الأول

٥٥٠٥ ـ (١) عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «والذي نفسي بيده لَيوشكَنَّ أن ينزِلَ فيكم ابنُ مريم، حكَماً عَدْلاً، فيكسرُ الصليب، ويقتلُ الخنزير، ويضعُ الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ، حتى تكونَ السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها».

(باب نزول عيسى عليه الصلاة والسلام)

(الفصل الأول)

٥٥٠٥ ـ **(عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً)** بفتحتين أي حاكماً **(عدلاً)** أي عادلاً **(فيكسر)** بالرفع وقيل بالنصب والفاء فيه تفصيلية لقوله: حكماً عدلاً، أو تفريعية أي يهدم ويقطع. **(الصليب)** قال في شرح السنة وغيره، أي فيبطل النصرانية ويحكم بالملة الحنيفية. وقال ابن الملك: الصليب في اصطلاح النصارى خشبة مثلثة يدعون أن عيسى عليه [الصلاة]والسلام صلب على خشبة مثلثة على تلك الصورة، وقد يكون فيه صورة المسيح. **(ويقتل الخنزير)** أي يحرم اقتناءه وأكله ويبيح قتله. في شرح السنة: وفيه بيان أن أعيانها نجسة لأن عيسى عليه [الصلاة]والسلام إنما يقتلها على حكم شرع الإسلام والشيء الطاهر المنتفع به لا يباح إتلافه انتهى. وفيه أنه قد يباح لمصلحة دينية أو دنيوية مع أن في كون الخنزير نجس العين بجميع أجزائه خلافاً للعلماء. **(ويضع الجزية)** أي عن أهل الكتاب ويحملهم على الإسلام ولا يقبل منهم غير دين الحق. وقيل: يضع الجزية عنهم لأنه لا يوجد محتاج يقبل الجزية منهم لكثرة المال وقلة أهل الحرص والآمال، ويؤيده قوله: **(ويفيض)** بفتح أوّله من فاض الماء يفيض إذا كثر حتى سال كالوادي على ما في القاموس، أي يكثر. **(المال حتى لا يقبله أحد)** أي من الرجال **(حتى تكون السجدة)** أي الواحدة لما فيها من لذة العبادة. والمراد بالسجدة نفسها أو الصلاة بكمالها لتضمنها لها. **(خيراً من الدنيا وما فيها)** قال الطيبي [رحمه الله تعالى]: حتى الأولى متعلقة بقوله: ويفيض المال، والثانية غاية لمفهوم قوله: فيكسر الصليب الخ. أقول: والأظهر أن الثانية بدل من الأولى أو غاية لما قبلها قائمة مقام العلة لها. قال التوربشتي [رحمه الله]: لم تزل السجدة الواحدة في الحقيقة كذلك، وإنما أراد بذلك أن الناس يرغبون

الحديث رقم ٥٥٠٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٩٠. حديث رقم ٣٤٤٨. ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٥ حديث رقم (٢٤٢ ـ ١٥٥). وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٣٩. حديث رقم ٢٢٣٣. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٦٣ حديث رقم ٤٠٧٨.

ثم يقول أبو هريرة: فاقرؤوا إن شئتم ﴿وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته﴾ الآية. متفق عليه.

٥٥٠٦ ـ (٢) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «واللهِ لينزلَنَّ ابنُ مريم حكماً عادلاً، فَلَيَكْسِرَنَّ الصليبَ وليَقْتُلَنَّ الخنزير، وليضَعَنَّ الجزيةَ، وليَتْرُكن القلاص، فلا يسعى عليها، ولتذهبنَّ الشحناء

في أمر الله ويزهدون عن الدنيا حتى تكون السجدة الواحدة أحب إليهم من الدنيا وما فيها. (ثم يقول أبو هريرة: فاقرؤوا إن شئتم: **﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ الآية)**[1]. بالنصب ويجوز رفعها وخفضها وقدمنا وجهها. قال الطيبي [رحمه الله]: استدل بالآية على نزول عيسى عليه [الصلاة]والسلام في آخر الزمان مصداقاً للحديث. وتحريره أن الضميرين في به وقبل موته لعيسى، والمعنى: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله، فتكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام انتهى. وقيل: المعنى ليس أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ عند المعاينة قبل خروج الروح وهو لا ينفع، فضمير به راجع إلى نبينا ﷺ وضمير موته للكتابي. وقيل: كل منهم يؤمن عند الموت بعيسى وأنه عبد الله وابن أمته ولا ينفع. وقيل: ضمير به لله سبحانه، أي كل منهم يؤمن به تعالى عند الموت ولا ينفع، والأولى مذهب أبي هريرة [رضي الله تعالى عنه]في الآية. **(متفق عليه)**.

٥٥٠٦ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً)** وفي نسخة: عدلاً. وهو أبلغ. **(فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية)** أي ليحكم بما ذكر **(وليتركن القلاص)** بصيغة الفاعل وفي نسخة بالمفعول، وهو الملائم لقوله: **(فلا يسعى عليها)** أي لا يعمل على القلاص وهو بكسر القاف جمع القلوص بفتحها وهي الناقة الشابة على ما في النهاية. والمعنى: إنه يترك العمل عليها استغناء عنها لكثرة غيرها، أو معناه لا يأمر أحداً بأن يسعى على أخذها وتحصيلها للزكاة لعدم من يقبلها. ففي النهاية: أي يترك زكاتها فلا يكون لها ساع. وقيل: لا يكون معها راع يسعى. ففي الصحاح: كل من ولي أمر قوم فهو ساع عليهم. وقال المظهر: يعني ليتركن عيسى عليه [الصلاة]والسلام إبل الصدقة ولا يأمر أحداً أن يسعى عليها ويأخذها لأنه لا يجد من يقبلها لاستغناء الناس عنها، والمراد بالسعي العمل. قال الطيبي [رحمه الله]: ويجوز أن يكون ذلك كناية عن ترك التجارات والضرب في الأرض لطلب المال وتحصيل ما يحتاج إليه لاستغنائهم. **(ولتذهبن)** أي ولتزولن **(الشحناء)** بفتح أوله أي العداوة التي تشحن القلب وتملؤه من الغضب.

---

(١) سورة النساء. آية رقم ١٥٩.

الحديث رقم ٥٥٠٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٩١. حديث رقم ٣٤٤٩. ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٥ حديث رقم ٢٤٣/ ١٥٢ وأحمد في المسند ٢/ ٤٩٤.

والتباغُضُ والتحاسدُ، وليَدْعُوَنَّ إلى المال فلا يقبله أحدٌ». رواه مسلم. وفي رواية لهما قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟».

٥٥٠٧ ـ (٣) وعن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزالُ طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين

(والتباغض) أي الذي هو سبب العداوة (والتحاسد) أي الذي هو باعث التباغض، وكلها نتيجة حب الدنيا فتزول كل هذه العيوب بزوال محبة الدنيا عن القلوب. وقال الأشرف: إنما تذهب الشحناء والتباغض والتحاسد يومئذ لأن جميع الخلق يكونون يومئذ على ملة واحدة وهي الإسلام، وأعلى أسباب التباغض وأكثرها هو اختلاف الأديان. قلت: اليوم كثير من البلدان متفقون على ملة الإسلام وفيهم علماء الأعلام ومشايخ الكرام مع كثرة التباغض والتحاسد والعداوة، بل المقاتلة والمحاربة بين الحكام وليس السبب الباعث عليها إلا حب الجاه بين الأنام والميل إلى المال الحرام. (وليدعون) ضبط في نسخة بضم الواو ونسب إلى النووي رحمه الله تعالى ولا وجه له. فالصواب ما في الأصول المعتمدة من أنه بفتح الواو وتشديد النون، وفاعله ضمير عيسى عليه الصلاة والسلام. والمعنى: ليدعون الناس. (إلى المال) أي أخذه وقبوله (فلا يقبله أحد) أي استغناء بعطاء الأحد (رواه مسلم). (وفي رواية لهما) أي لمسلم والبخاري بقرينة ذكر مسلم، فإن الغالب أن يكون قريناً له ففيه نوع تغليب للحاضر على الغائب. (قال:) أي النبي ﷺ (كيف أنتم) أي حالكم ومآلكم (إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم) أي من أهل دينكم، وقيل من قريش وهو المهدي. والحاصل أن إمامكم واحد منكم دون عيسى فإنه بمنزلة الخليفة، وقيل فيه دليل على أن عيسى عليه [الصلاة]والسلام لا يكون من أمة محمد [عليه الصلاة والسلام]بل مقرراً لملته ومعيناً لأمته عليهما السلام. وفي شرح السنة قال معمر: وإنكم وإمامكم منكم. وقال ابن أبي ذئب عن ابن شهاب: فإمامكم منكم. قال ابن أبي ذئب في معناه: فأمكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم. قال الطيبي [رحمه الله]: فالضمير في أمكم لعيسى ومنكم حال، أي يؤمكم عيسى حال كونه من دينكم. ويحتمل أن يكون معنى إمامكم منكم كيف حالكم وأنتم مكرمون عند الله تعالى، والحال أن عيسى ينزل فيكم وإمامكم منكم عيسى يقتدي بإمامكم تكرمة لدينكم، ويشهد له الحديث الآتي. اهـ. وسيأتي بقية الكلام عليه فيه وهو قوله:

٥٥٠٧ ـ (وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق) أما مقاتلة حسية أو معنوية على ظهور الحق، أو حال كونهم على الحق. (ظاهرين) أي غالبين،

الحديث رقم ٥٥٠٧: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٣٧ حديث رقم (٢٤٧ . ١٥٦). وأخرجه أبو داود في السنن ٣/ ١١ حديث رقم ٢٤٨٤. والترمذي في السنن ٤/ ٤٣٧ حديث رقم ٢٢٢٩. وابن ماجه في السنن ١/ ٤ وأحمد في المسند ٥/ ٢٧٩.

إلى يوم القيامة». قال: «فينزل عيسى ابنُ مريم، فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا، إنَّ بعضكم على بعضٍ أمراءُ، تكرمةَ الله هذه الأمة». رواه مسلم.

وهذا الباب خال عن: الفصل الثاني.

الفصل الثالث

٥٥٠٨ - (٤) عن عبدِ الله بن عمروٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ينزلُ عيسى ابنُ مريمَ

أي على أعدائهم. قال تعالى: ﴿إلا أن حزب الله هم الغالبون﴾. (**إلى يوم القيامة**) أي إلى قرب قيام الساعة (**قال:**) أي النبي ﷺ (**فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم:**) أي المهدي (**تعال**) بفتح اللام، أي أحضر وتقدم. (**صل**) بدل أو استئناف بيان، والمعنى أم. (**لنا**) أي في صلاتنا فإن الأولى بالإمامة هو الأفضل وأنت النبي [ﷺ] لرسول الكمل. وفي رواية: تعال فصل لنا. (**فيقول: لا**) أي لا أصير إماماً لكم لئلا يتوهم بإمامتي لكم نسخ دينكم. وقيل: تعلل بأن هذه الصلاة أقيمت لإمامكم فهو أولى بها، لكن يؤيد الأول إطلاق قوله: (**إن بعضكم على بعض أمراء**) أي دينية أو دنيوية وأن على الإعانة المعية. (**تكرمة الله هذه الأمة**) أي إكراماً منه سبحانه لهذه الجماعة المكرمة. قال القاضي [رحمه الله]: تكرمة الله نصب على المفعول لأجله والعامل محذوف. والمعنى: شرع الله أن يكون إمام المسلمين منهم وأميرهم من عدادهم تكرمة لهم وتفخيماً لشأنهم، أو على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبله. قال التفتازاني في شرح العقائد: الأصح أن عيسى عليه [الصلاة]والسلام يصلي بالناس ويؤمهم ويقتدي به المهدي لأنه أفضل وإمامته أولى. قال ابن أبي شريف: هذا يوافق ما في مسلم من قوله: وإمامكم منكم. لكنه فيه ما يخالفه وهو حديث جابر. ويمكن الجمع بينهما بأن يكون صلى بهم أول نزوله تنبيهاً على أنه نزل مقتدى به في الحكم على شريعتهم، ثم دعي إلى الصلاة فأشار بأن يؤمهم المهدي إظهاراً لاكرام الله به هذه الأمة. قلت: ويمكن الجمع بالعكس أيضاً وربما يدعي أنه الأولى على أن قوله: إمامكم منكم، ظاهر في أن المهدي هو الإمام والله تعالى أعلم بالمرام. قال: وأما كونه أفضل فلا يلزم منه بطلان الاقتداء بغيره، وأما الأولوية بالأفضلية فيعارضها اظهار تكرمة الله تعالى هذه الأمة بدوام شريعته كما نطق به الحديث. (**رواه مسلم. وهذا الباب خال عن الفصل الثاني**) يعني عن الأحاديث الموصوفة بالحسان على اصطلاح البغوي المعبر عنها بالفصل الثاني على مصطلح صاحب المشكاة.

(الفصل الثالث)

أي الموضوع في الأحاديث الزائدة لصاحب المشكاة على المصابيح المناسبة للباب.

٥٥٠٨ - (**وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: ينزل عيسى ابن مريم**

الحديث رقم ٥٥٠٨: رواه ابن الجوزي في كتاب الوفاء.

إلى الأرض، فيتزوَّجُ، ويولدُ له، ويمكثُ خمساً وأربعينَ سنةً، ثمّ يموتُ، فيُدْفَنُ معي في قبري، فأقومُ أنا وعيسى ابنُ مريمَ في قبرٍ واحدٍ بينَ أبي بكرٍ وعمرَ». رواه ابنُ الجوزي في «كتاب الوفاء».

(٦) باب قرب الساعة وأن من مات فقد قامت قيامته

إلى الأرض فيتزوج ويولد له ويمكث خمساً وأربعين سنة) وهذا بظاهره يخالف قول من قال إن عيسى رفع به إلى السماء وعمره ثلاث وثلاثون، ويمكث في الأرض بعد نزوله سبع سنين فيكون مجموع العدد أربعين. لكن حديث مكثه سبعاً رواه مسلم فيتعين الجمع بما ذكر، أو ترجيح ما في الصحيح. ولعل عدد الخمس ساقط من الاعتبار لإلغاء الكسر. (ثم يموت فيدفن معي) أي مصاحباً لي (في قبري) أي في مقبرتي، وعبر عنها بالقبر لقرب قبره بقبره فكأنهما في قبر واحد. (فأقوم أنا وعيسى في قبر واحد) أي من مقبرة واحدة. ففي القاموس: إن في تأتي بمعنى من وكذا في المغني. (بين أبي بكر وعمر) [رضي الله عنهما]، أي حال كوننا قائمين واقفين بين أبي بكر وعمر فأحدهما عن يمينهما إيماء إلى تيمنه بالإيمان وأن الإيمان يمان، والظاهر أنه أبو بكر، والآخر عن يسارهما ليسر الإسلام وعزه به وهو عمر. وسيأتي في فضائل سيد المرسلين عن عبد الله بن سلام برواية الترمذي عنه قال: مكتوب في التوراة صفة محمد، وعيسى ابن مريم يدفن معه. قال أبو داود: وقد بقي في البيت موضع قبر[1]. أقول: والظاهر اللائق بمقام عيسى عليه [الصلاة]والسلام أن يكون بين النبي ﷺ وبين أبي بكر رضي الله [تعالى]عنه. لكن سيأتي في كلام الجزري أنه يدفن بعد عمر، ولعله نظر إلى تأخر الدفن باعتبار تأخر زمن الموت أو تكرمة لهذه الأمة وتعظيماً للصحابيين الكريمين أن يكونا بين النبيين العظيمين والله سبحانه [وتعالى]أعلم. (رواه ابن الجوزي في كتاب الوفاء).

(باب قرب الساعة وأن من مات فقد قامت قيامته)

وفي نسخة: القيامة. وأطلق الساعة عليها لأنها تكون بغتة وفجأة، فوقوعها في أدنى ما يطلق عليه اسم الزمان وإن كانت بالنسبة إلى انتهائها مديدة. وقيل: أطلقت عليها لطولها كما يسمى الزنجي بالكافور تسمية بالضد. (وأن من مات فقد قامت قيامته) عطف على قرب الساعة لا على الساعة لفساد المعنى. قال التوربشتي [رحمه الله]: الساعة جزء من أجزاء الزمان ويعبر بها عن القيامة، وقد ورد في كتاب الله وسنة رسوله على أقسام ثلاثة: الكبرى وهي بعث الناس للجزاء، والقيامة الوسطى وهي انقراض القرن الواحد بالموت، والقيامة الصغرى وهي موت الإنسان. والمراد هنا هذه أي الأخيرة. والظاهر أن المراد بالساعة هي الكبرى سواء أريد بها

---

(١) راجع الحديث رقم (٥٧٧٢) والقائل أبو مودود وليس أبو داود.

الفصل الأول

٥٥١٩ ـ (١) عن شعبة، عن قتادة، عن أنس، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بُعِثْتُ أنا والسَّاعةُ كهاتَين».

النفخة الأولى لقوله ﷺ: لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس[١]. أو الثانية وهي الطامة الكبرى المعروفة في الكتاب والسنة. ومن أحاديث الباب قوله عليه [الصلاة]والسلام: «بعثت أنا والساعة كهاتين يحتملهما»[٢]. نعم[٣] حديث عائشة الآتي يدل على القيامة الوسطى، وأما في كتاب الله فما أظن أن الساعة وردت بهذا المعنى ولا ما يدل على القيامة الصغرى إلا ما رواه الديلمي عن أنس مرفوعاً بلفظ: «إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته»[٤]. وهو المعنون في الباب مع عدم إيراد حديث يلائمه، وهذا كما ترى لم يرد بلفظ الساعة وأريد بها القيامة الصغرى، بل ولا ورد بمعنى القيامة الوسطى إلا بالإضافة فالأولى أن يقال: إن الساعة منقسمة إلى ثلاثة: كبرى وهي الطامة الجامعة، ووسطى وهي النفخة للإماتة العامة، وصغرى وهي إماتة الجماعة. والقيامة تطلق على الثلاثة وعلى من مات وحده أيضاً والله سبحانه [وتعالى]أعلم.

(الفصل الأول)

٥٥١٩ ـ (عن شعبة) أحد رواة الحديث (عن قتادة) تابعي جليل (عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: بعثت أنا والساعة) بالرفع في بعض وفي بعض النسخ بالنصب. قال النووي [رحمه الله]: وروي بنصب الساعة ورفعها. قال شارح من علمائنا: الساعة مرفوعة رواية ويجوز النصب على أن الواو بمعنى مع. (كهاتين) قال القاضي [رحمه الله]: معناه أن نسبة تقدم بعثه على قيام الساعة كنسبة فضل إحدى الإصبعين على الأخرى انتهى. وهو المعنى بما قيل كفضل الوسطى على السبابة في السبق، ويدل عليه ما سيأتي من حديث ابن شداد. والأظهر أن يقال: كفصل إحداهما عن الأخرى بالصاد المهملة لما بينهما من قليل الانفصال، ويزيده ما في النهاية. ويحتمل وجهاً آخر أن يكون المراد منه ارتباط دعوته بالساعة لا تفترق إحداهما عن الأخرى كما أن السبابة لا تفترق عن الوسطى ولم يوجد بينهما ما ليس منهما. وقال شارح آخر: يريد أن دينه متصل بقيام الساعة لا يفصله عنه دين آخر ولا يفرق بينهما دعوة أخرى، كما لا يفصل شيء بين السبابة والوسطى. قال الطيبي [رحمه الله]: ويؤيد الوجه الأول الحديث الآتي للمستورد بن شداد. قلت: فيه نظر لأن في كل حديث روعي معنى لم يراع في

---

(١) راجع الحديث رقم (٥٥١٧). (٢) وهو الحديث رقم (٥٥١٩).

(٣) في المخطوطة «نعم». (٤) وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/ ٢٦٧.

الحديث رقم ٥٥١٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٤٧. حديث رقم ٦٥٠٤. ومسلم في صحيحه ٢/ ٢٢٦٨ حديث رقم (١٣٣ ـ ٢٩٥١). وابن ماجه ٢/ ١٣٤١ حديث رقم ٤٠٤٠ والدارمي في السنن ٢/ ٤٠٤ حديث رقم ٢٧٥٩. وأحمد في المسند ٤/ ٣٠٩.

قال شعبةُ: وسمعتُ قتادةَ يقولُ في قصصِه: كفضلِ إحداهُما على الأخرى، فلا أدري أذكرَهُ عن أنسٍ أو قاله قتادةُ؟. متفق عليه.

٥٥١٠ ـ (٢) وعن جابرٍ، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ قبلَ أنْ يموتَ بشهرٍ: «تسألونيّ عن الساعةِ؟ وإنما علمُها عندَ الله، وأُقسمُ بالله ما على الأرضِ من نفسٍ منفوسةٍ يأتي عليها مائةُ سنةٍ وهي حيَّةٌ يومئذٍ».

الآخر، إذ التأسيس أولى من التأكيد على أنه لا مانع من أن يلاحظ في هذا الحديث كلا المعنيين، إذ لا تدافع فيما بينهما في رأي العينين. نعم يفهم من المعنى الأول إغراق في التشبيه القربي ما لا يفهم من الثاني ولذا اختاره بعضهم. ويؤيده موافقته لتفسير الراوي. **(قال شعبة: وسمعت قتادة يقول في قصصه:)** بفتح القاف مصدر قص يقص بمعنى يعظ أو يحكي القصة، أو يحدث ويروي ومنه قوله تعالى: **﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾** [يوسف ـ ٣]. وفي نسخة بكسر القاف وهي جمع قصة. والمعنى في قصص قتادة، أي تحديثه أو تفسير حديثه. **(كفضل إحداهما)** أي إحدى الإصبعين **(على الأخرى)** قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: كفضل إحداهما، بدل من قوله كهاتين موضح له وهو يؤيد الوجه الأول، والرفع على العطف، والمعنى: بعثت أنا والساعة بعثاً متفاضلاً مثل فضل إحداهما. ومعنى النصب لا يستقيم على هذا، يعني لا بد على قصد المعية لكن يمكن ادعاؤها على طريق المبالغة كما عبر عنه في الحديث الآتي بقوله: بعثت في نفس الساعة بفتحتين أي في قربها. **(فلا أدري أذكره)** أي قتادة **(عن أنس)** أي مرفوعاً أو موقوفاً **(أو قاله قتادة)** أي من عند نفسه وتلقاء رأيه وهو الأظهر حتى يثبت الآخر **(متفق عليه)** ورواه أحمد والترمذي عن أنس، وكذا روى أحمد والشيخان عن سهل ابن سعد.

٥٥١٠ ـ **(وعن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر: تسألوني)** بتشديد النون وتخفيفه على صيغة الخطاب للأصحاب، وهمزة الإنكار مقدرة أي أتسألوني. **(عن الساعة)** أي القيامة وهي النفخة الأولى أو الثانية **(وإنما علمها عند الله)** أي لا يعلمها إلا هو. وقال الطيبي [رحمه الله]: حال مقررة لجهة الإشكال أنكر عليهم سؤالهم وأكده بقوله: وإنما علمها عند الله. وقوله: **(وأقسم بالله)** مقرر له يعني: تسألونني عن القيامة الكبرى وعلمها عند الله، وما أعلمه هو القيامة الصغرى. انتهى. وهو يؤيد تقسيمنا المتقدم في الساعة. **(ما على الأرض)** ما نافية ومن في قوله: **(من نفس)** زائدة للاستغراق. وقوله: **(منفوسة)** صفة نفس وكذا ما يأتي. والمعنى: ما من نفس مولودة اليوم. **(يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ)** يقال: نفست المرأة غلاماً بالكسر ونفست على البناء للمفعول إذا ولدت نفساً فهي نافس ونفساء والولد منفوس. قال الشاعر:

الحديث رقم ٥٥١٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٩٦٦ حديث رقم (٢١٨ . ٢٥٣٨) وأحمد في المسند ٣/٣٢٢.

رواه مسلم.

٥٥١١ ـ (٣) وعن أبي سعيد، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لا يأتي مائةُ سنة وعلى الأرض نفسٌ منفوسةٌ اليومَ». رواه مسلم.

٥٥١٢ ـ (٤) وعن عائشةَ، قالت: كانَ رجالٌ من الأعراب يأتونَ النبيَّ ﷺ فيسألونه عن الساعةِ، فكانَ ينظرُ إلى أصغرِهم فيقول: «إنْ يعشْ هذا لا يدركه الهرمُ حتى تقومَ عليكم ساعتُكم».

---

* كما سقط المنفوس بين القوابل *

قال الأشرف: معناه ما تبقى نفس مولودة اليوم مائة سنة، أراد به موت الصحابة رضي الله عنهم. وقال ﷺ هذا على الغالب وإلا فقد عاش بعض الصحابة أكثر من مائة سنة انتهى. ومنهم أنس بن مالك وسلمان وغيرهما. والأظهر أن المعنى لا تعيش نفس مائة سنة بعد هذا القول كما يدل عليه الحديث الآتي فلا حاجة إلى اعتبار الغالب، فلعل المولودين في ذلك الزمان انقرضوا قبل تمام المائة من زمان ورود الحديث. ومما يؤيد هذا المعنى استدلال المحققين من المحدثين وغيرهم من المتكلمين على بطلان دعوى بابارتن الهندي وغيره ممن ادعى الصحبة وزعم أنه من المعمرين إلى المائتين والزيادة، بقي أن الحديث بظاهره يدل على عدم حياة الخضر وإلياس. وقد قال البغوي [رحمه الله]في معالم التنزيل: أربعة من الأنبياء في الحياة اثنان في الأرض الخضر وإلياس واثنان في السماء عيسى وإدريس [عليهم الصلاة والسلام]، فالحديث مخصوص بغيرهم. أو المراد ما من نفس منفوسة من أمتي والنبي [عليه الصلاة والسلام]لا يكون من أمته نبي آخر. وقيل: قيد الأرض يخرج الخضر وإلياس فإنهما كانا على البحر حينئذ والله تعالى أعلم. **(رواه مسلم)**.

٥٥١١ ـ **(وعن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: لا يأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة)** والجملة حالية **(اليوم)** هو ظرف منفوسة ذكره الطيبي [رحمه الله]. قال ابن الملك: إشارة إلى زمنه ﷺ. **(رواه مسلم)**.

٥٥١٢ ـ **(وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رجال من الأعراب)** أي أهل البدو **(يأتون النبي ﷺ فيسألونه عن الساعة)** الظاهر أن سؤالهم عن الساعة الكبرى، فالجواب الآتي على أسلوب الحكيم. **(فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: إن يعش هذا لا يدركه)** بالرفع وقيل بالجزم، أي لا يلحقه. **(الهرم)** بفتحتين وهو الكبر. **(حتى تقوم عليكم ساعتكم)** أي قيامتكم

الحديث رقم ٥٥١١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٦٦ حديث رقم (٢١٩ ـ ٢٥٣٩) والترمذي في السنن ٤/ ٤٥٠ حديث رقم ٢٢٥٠. وأحمد في المسند ٣/ ٣٧٩.

الحديث رقم ٥٥١٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٦١. حديث رقم ٦٥١١. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٦٩ حديث رقم (١٣٦ ـ ٢٩٥٢) وأحمد في المسند ٣/ ١٩٢.

متفق عليه.

الفصل الثاني

٥٥١٣ ـ (٥) وعن المستوردِ بن شدّادٍ، عن النبيّ ﷺ، قال: «بُعثتُ في نَفَسِ الساعةِ، فسبقتُها كما سبقتْ هذه هذه» وأشارَ بأصبعيهِ السبّابةِ والوسطى. رواه الترمذي.

٥٥١٤ ـ (٦) وعن سعدِ بن أبي وقاصٍ، عن النبيّ ﷺ، قال: «إني لأرجو أنْ لا تعجزَ أمتي عند ربِّها أن يؤخرَهم نصفَ يومٍ».

وهي الساعة الصغرى عندي والوسطى عند بعض الشراح. والمراد موت جميعهم وهو الظاهر، أو أكثرهم وهو الغالب. قال القاضي [رحمه الله]: أراد بالساعة انقراض القرن الذين هم من عدادهم ولذلك أضاف إليهم. وقال بعضهم: أراد موت كل واحد منهم (**متفق عليه**).

(الفصل الثاني)

٥٥١٣ ـ (**عن المستورد بن شداد**) يقال إنه كان غلاماً يوم قبض النبي ﷺ ولكنه سمع منه وروى عنه جماعة. (**عن النبي ﷺ قال: بعثت في نفس الساعة**) بفتح النون والفاء لا غير، أراد به قربها أي حين تنفست وتنفسها ظهور اشراطها ومنه قوله تعالى: ﴿**والصبح إذا تنفس**﴾ [التكوير ـ ١٨]. أي ظهر آثار طلوعه، وبعثة النبي ﷺ من أوّل أشراطها هذا معنى كلام التوربشتي [رحمه الله]. والأظهر أن معناه بعثت أنا والساعة في نفس واحد من كمال الاتصال وعدم الاعتبار بقليل من الانفصال ويؤيده قوله: (**فسبقتها**) أي الساعة في الوجود. (**كما سبقت هذه**) أي السبابة (**هذه**) أي الوسطى أي وجوداً أو حساباً باعتبار الابتداء من جانب الابهام وعدل عن الابهام لطول الفصل بينه وبين المسبحة، ثم بين الاشارتين الراوي بقوله: (**وأشار**) أي النبي ﷺ (**بإصبعيه السبابة**) أي المسبحة (**والوسطى**) على طريق اللف والنشر المرتب. (**رواه الترمذي**) وروى البيهقي عن سهل بن سعد مرفوعاً: مثلي ومثل الساعة كفرسي رهان مثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة فلما خشي أن يسبق ألاح بثوبه أتيتم أتيتم أنا ذاك أنا ذاك[1].

٥٥١٤ ـ (**وعن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ قال: إني لأرجو أن لا تعجز أمتي**) بكسر الجيم ويجوز ضمها وهو مفعول أرجو، أي أرجو عدم عجز أمتي. (**عند ربها**) من كمال قربها. (**أن يؤخرهم نصف يوم**) يوم بدل من أن لا تعجز واختاره ابن الملك، أو متعلق به بحذف عن كما اقتصر عليه الطيبي. ثم قال: وعدم العجز هنا كناية عن التمكن من القربة

الحديث رقم ٥٥١٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٢٩ حديث رقم ٢٢١٣.

(١) البيهقي في شعب الإيمان الحديث رقم ١٠٢٣٧.

الحديث رقم ٥٥١٤: أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٥١٧ حديث رقم ٤٣٥٠. وأحمد في المسند ١/ ١٧٠.

قيل لسعْدٍ: وكم نصف يومٍ؟ قال: خمسمائةِ سنة. رواه أبو داود.

الفصل الثالث

٥٥١٥ - (٧) عن أنس، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مثَلُ هذه الدُّنيا مثَلُ ثوبٍ شُقَّ من أوَّله إلى آخرِه، فبقيَ متعلِّقاً بخيطٍ في آخرِه، فيوشِكُ ذلك الخيطُ أن ينقطع».

والمكانة عند الله تعالى، مثال ذلك قول المقرب عند السلطان: إني لا أعجز أن يوليني الملك كذا، وكذا يعني به أن لي عنده مكانة وقربة يحصل بها كل ما أرجوه عنده. فالمعنى: إني ارجو أن يكون لأمتي عند الله مكانة ومنزلة يمهلهم من زماني هذا إلى انتهاء خمسمائة سنة بحيث لا يكون أقل من ذلك إلى قيام الساعة. (قيل لسعد: وكم نصف يوم قال: خمسمائة سنة) إنما فسر الراوي نصف اليوم بخمسمائة، نظراً إلى قوله تعالى: ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ [الحج - ٤٧]. وقوله تعالى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة﴾ [السجدة - ٥]. وإنما عبر رسول الله ﷺ عن خمسمائة سنة بنصف يوم تقليلاً لبغيتهم ورفعاً لمنزلتهم، أي لا يناقشهم في هذا المقدار القليل بل يزيدهم من فضله وقد وهم بعضهم، ونزل الحديث على أمر القيامة وحمل اليوم على يوم المحشر. فهب أنه غفل عما حققناه ونبهنا عليه فهلا انتبه لمكان الحديث، وأنه في أي باب من أبواب الكتاب فإنه مكتوب في باب قرب الساعة فأين هو منه ذكره الطيبي رحمه الله. ولعله ﷺ أراد بالخمسمائة أن يكون بعد الألف السابع فإن اليوم نحن في سابع سنة من الألف الثامن. وفيه إشارة إلى أنه لا يتعدى عن الخمسمائة فيوافق حديث عمر: الدنيا سبعة آلاف سنة. فالكسر الزائد يلغى. ونهايته إلى النصف وأما ما بعده فيعد ألفاً ثامناً بإلغاء الكسر الناقص. وقيل: أراد بقاء دينه ونظام ملته في الدنيا مدة خمسمائة سنة. فقوله: أن يؤخرهم، أي عن أن يؤخرهم الله سالمين عن العيوب من ارتكاب الذنوب والشدائد الناشئة من الكروب والله [تعالى]أعلم. (رواه أبو داود).

(الفصل الثالث)

٥٥١٥ - (عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: مثل هذه الدنيا) أي وقلة بقائها (مثل ثوب شق) بضم أوله، أي قطع. (من أوله إلى آخره) أي إلى قريب منه أو هو من قبيل أن الغاية فيه لا تكون داخلة تحت المغيا كقوله تعالى: ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ [البقرة - ١٧٨]. (فبقي متعلقاً بخيط في آخره) الضميران للثوب (فيوشك ذلك الخيط) وهو عبارة عن زمان قليل يكون فيه الدين المحمدي. (أن ينقطع) أي فتنقطع الدنيا وتنفصل عن وجودها وتذهب وتأتي

الحديث رقم ٥٥١٥: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٢٦٠ حديث رقم ١٠٢٣٨.

رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

(٧) باب لا تقوم الساعة إلاّ على شرار الناس

الفصل الأول

٥٥١٦ ـ (١) عن أنسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا تقومُ الساعةُ حتى لا يقالَ في الأرضِ: اللّهُ اللّهُ». وفي رواية: قال: «لا

الأخرى فتبقى على أبد الآباد فيسعد أهلها أو يشقى. (رواه البيهقي في شعب الإيمان).

(باب لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس)

روي بتنوين باب وبالإضافة إلى الجملة، واقتصر على الأول أصل السيد، والطيبي على الثاني حيث قال: هذه الجملة محكية مضاف إليها ترجمة الباب وهو من باب تسمية الشيء بالحمل على سبيل الحكاية كما سموا بتأبط شراً وبرق نحره وشاب قرناها، وكما لو سمي بزيد منطلق أو بيت شعر.

(الفصل الأول)

٥٥١٦ ـ **(عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله)** بالرفع فيهما وكرر للتأكيد. وقيل: تكريره عبارة عن تكثير ذكره وقيل معناه الله حسبي أو هو المعبود، فالأول مبتدأ والثاني خبر، وفي نسخة بنصبهما. قال شارح: قوله: الله الله، بالرفع مبتدأ وخبر أي الله هو المستحق للعبادة لا غير، وإن رويا بالنصب فعلى التحذير أي اتقوا الله واعبدوه، فعلى هذا معناه: لا تقوم الساعة حتى لا يبقى في الأرض مسلم لم يحذر الناس من الله. وقيل: أي لا يذكر الله فلا يبقى حكمة في بقاء الناس، ومن هذا يعرف أن بقاء العالم ببركة العلماء العاملين والعباد الصالحين وعموم المؤمنين وهو المراد بما قاله الطيبي [رحمه الله]معنى حتى لا يقال: حتى لا يذكر اسم الله ولا يعبد، وإليه ينظر قوله تعالى: **﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا﴾** [آل عمران ـ ١٩١]. يعني: ما خلقته خلقاً باطلاً بغير حكمة، بل خلقته لأذكر وأعبد فإذا لم يذكر ولم يعبد فبالحري أن يخرب وتقوم الساعة. وقال المظهر: هذا دليل على أن بركة العلماء والصلحاء تصل إلى من في العالم من الجن والإنس وغيرهما من الحيوانات والجمادات والنباتات. **(وفي رواية: لا**

الحديث رقم ٥٥١٦: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٣١ حديث رقم (٢٣٤ ـ ١٤٨). والترمذي ٤/ ٤٢٦ حديث رقم ٢٢٠٧. وأحمد في المسند ٣/ ١٠٧.

تقومُ الساعةُ على أحدٍ يقولُ: اللَّهُ اللَّهُ». رواه مسلم.

٥٥١٧ - (٢) وعن عبدِ الله بن مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ إلا على شرارِ الخلقِ». رواه مسلم.

٥٥١٨ - (٣) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتى تضطربَ أَلْيَاتُ نساءِ دَوْس حولَ ذي الخَلَصةِ». وذو الخَلَصة: طاغيةُ دوسٍ التي كانوا يعبُدونَ في الجاهلية.

تقوم الساعة على أحد يقول الله الله) بالوجهين فيهما (رواه مسلم) وكذا أحمد والترمذي.

٥٥١٧ - (وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق) بكسر الشين جمع الشر. قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قيل: ما وجه التوفيق بين هذا الحديث والحديث السابق: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قلنا: السابق مستغرق للأزمنة عام فيها، والثاني مخصص. (رواه مسلم) وروى أبو يعلى في مسنده والحاكم في مستدركه عن أبي سعيد مرفوعاً: لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت[١]. وروى السجزي عن ابن عمر رفعه: لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن والقرآن[٢].

٥٥١٨ - (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تضطرب) أي تتحرك (أليات نساء دوس) بفتح فسكون قبيلة من اليمن والأليات بفتحتين جمع ألية بفتح فسكون وهي في الأصل اللحمة التي تكون في أصل العضو. وقيل: هي اللحمة المشرفة على الظهر والفخذ وهي لحم المقعد. والمعنى: حتى يرتدوا فتطوف نساؤهم (حول ذي الخلصة) بفتح الخاء المعجمة واللام (وذو الخلصة طاغية دوس) أي صنمهم. وقال شارح: أي أصنامهم. (التي كانوا) أي دوس (يعبدون) أي يعبدونها (في الجاهلية) أي قبل الملة الحنيفية. والظاهر أن هذا تفسير من أبي هريرة أو غيره من الرواة. وفي النهاية: هو بيت كان فيه صنم لدوس وخثعم وبجيلة وغيرهم. وقيل: ذو الخلصة الكعبة اليمانية التي كانت باليمن فأنفذ إليها رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله فخربها. وقيل: ذو الخلصة اسم الصنم نفسه، وفيه نظر لأن ذو لا يضاف إلا إلى اسم الجنس. والمعنى: أنهم يرتدون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٥٣.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٨٣ حديث رقم ٩٨٥٤.

الحديث رقم ٥٥١٧: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٦٨ حديث رقم (١٣١ - ٢٩٤٩) وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٤٠ حديث رقم ٤٠٣٩. وأحمد في المسند ٤٠٣٩.

الحديث رقم ٥٥١٨: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٧٦. حديث رقم ٧١١٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣٠ حديث رقم (٥١ - ٢٩٠٦) وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٢.

متفق عليه.

٥٥١٩ - (٤) وعن عائشةَ، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا يذهبُ الليلُ والنهارُ حتى يُعبدَ اللاتُ والعُزّى». فقلتُ: يا رسولَ الله! إنْ كنتُ لأظنُّ حينَ أنزلَ اللّهُ: ﴿هوَ الذي أرسلَ رسوله بالهدى ودينِ الحقِّ ليُظهِرَه على الدِّينِ كلّه ولو كرِهَ المشركونَ﴾ أنَّ ذلكَ تامّاً؛ قال: «إنّه سيكونُ منْ ذلكَ، ما شاءَ اللّهُ، ثمّ يبعثُ اللّهُ ريحاً طيّبةً، فتوفي كلَّ مَن كانَ في قلبِه مثقالُ حبّةٍ من خردلٍ من إيمانٍ، فيبقى مَن لا خيرَ فيه، فيرجعونَ إلى دينِ

فتسعى نساء بني دوس طائفات حول ذي الخلصة فترتج أعجازهن مضطربة ألياتهن كما كانت عادتهن في الجاهلية. (متفق عليه).

٥٥١٩ - (وعن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يذهب الليل والنهار) أي لا تقوم الساعة (حتى يعبد) بالتذكير وجوز تأنيثه (اللات) صنم لثقيف (والعزى) بضم عين فتشديد زاي صنم لغطفان. (فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن) إن هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة. قال المظهر: تقديره إنه كنت لأظن، يعني أن الشأن كنت لأحسب. (حين أنزل الله: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى﴾) أي بالتوحيد (﴿ودين الحق﴾) أي وبالشريعة الثابتة، ولما كان مؤداهما واحداً أفرد الضمير في قوله: (﴿ليظهره﴾) أي ليعليه ويغلبه (﴿على الدين كله﴾) أي على الأديان جميعها باطلها بردها وحقها بنسخها (﴿ولو كره المشركون﴾)[1] أي ما عليه الموحدون المخلصون (أن ذلك) بفتح الهمزة مفعول لأظن، وحين أنزل الله ظرف له، أي كنت أظن حين إنزال تلك الآية أن ذلك الحكم المذكور المستفاد منها يكون. (تاماً) أي عاماً كاملاً شاملاً للأزمنة كلها، فنصبه بالكون المقدر. وفي نسخة صحيحة تام بالرفع، والمعنى: أن ما ذكر من عبادة الأصنام قد تم واختتم وغدا ولا يكون بعد ذلك أبداً. (قال:) أي النبي ﷺ (إنه) أي الشأن (سيكون من ذلك) أي بعض ما ذكر من تمام الدين ونقصان الكفر. وأغرب شارح حيث قال: من ذلك أي من عبادة الأصنام. (ما شاء الله) أي مدة مشيئته، وبين ذلك بقوله: (ثم يبعث الله ريحاً طيبة) أي يشم منها رائحة الوصال (فتوفي) بصيغة المجهول، أي فقبض. (كل من كان في قلبه) وفي نسخة بصيغة الفاعل على أنه حذف منه إحدى التاءين، أي تتوفى على إسناد التوفي إلى الريح مجازاً فيكون كل منصوباً على المفعولية. والمعنى: تميت كل من كان في قلبه. (مثقال حبة) أي مقدار خردل. فقوله: (من خردل) بيان لحبة. وقوله: (من إيمان) بيان لمثقال. والمراد منه أن يكون في قلبه من العقائد الدينية أقل ما يجب عليه من التصديق القلبي واليقين بالأمور الإجمالية. فليس فيه دلالة على تصور الزيادة والنقصان في نفس الإيمان وحقيقة الإيقان كما لا يخفى على أهل العرفان. (فيبقى من لا خير فيه) أي لا إسلام ولا إيمان ولا قرآن ولا حج ولا سائر الأركان ولا علماء الأعيان. (فيرجعون إلى دين

الحديث رقم ٥٥١٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣١ حديث رقم ٥٢. ٢٩٠٧.

(١) سورة التوبة. آية رقم ٣٣.

آبائهم». رواه مسلم.

٥٥٢٠ ـ (٥) وعن عبدِ الله بنِ عَمْرٍو، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يخرجُ الدَّجالُ فيمكثُ أربعينَ» لا أدري أربعينَ يوماً أو شهراً أو عاماً «فيبعثُ اللّٰهُ عيسى ابنَ مريمَ كأنه عروةُ بنُ مسعودٍ، فيطلبُه فيهلكُه، ثمَّ يمكثُ في الناسِ سبعَ سنينَ، ليسَ بينَ اثنينِ عداوةٌ، ثمَّ يرسلُ اللّٰهُ ريحاً باردةً من قِبَلِ الشامِ، فلا يبقى على وجه الأرضِ أحدٌ في قلبِه مثقالُ ذرّةٍ منْ خيرٍ أو إيمانٍ إلاّ قبضتْه، حتى لو أنَّ أحدَكم دخلَ في كبدِ جبلٍ لدخلته عليه حتى

آبائهم) أي الأولين من المشركين الجاهلين الضالين المضلين. فروعي لفظ من في ضمير فيه، ومعناه في قوله: فيرجعون. كما في قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ [البقرة ـ ٨]. هذا وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: تاماً هو بالرفع في الحميدي على أنه خبر أن، وفي صحيح مسلم وشرح النسائي بالنصب. فعلى هذا هو إما حال والعامل اسم الإشارة والخبر محذوف، أو خبر لكان المقدر، أي ظننت من مفهوم الآية أن ملة الإسلام ظاهرة على الأديان كلها غالبة عليها غير مغلوبة، فكيف يعبد اللات والعزى. وجوابه ﷺ بقوله: فتوفي كل من كان في قلبه. نظير قوله: إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً. الحديث. (رواه مسلم).

٥٥٢٠ ـ (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج الدجال فيمكث أربعين) وأبهمه ﷺ لحكمة في ترك التميز أو نسيه الراوي، ولذا قال: (لا أدري أربعين يوماً أو شهراً أو عاماً) قال التوربشتي [رحمه الله]: لا أدري إلى قوله: فيبعث الله، من قول الصحابي، أي لم يزدني النبي ﷺ على أربعين شيئاً يبين. المراد منها فلا أدري أياً أراد بهذه الثلاثة. (فيبعث الله عيسى ابن مريم) أي فينزل من السماء (كأنه) أي في الصورة (عروة بن مسعود) أي الثقفي شهد صلح الحديبية كافراً وقدم على النبي ﷺ سنة تسع بعد عوده من الطائف وأسلم ثم عاد إلى قومه ودعاهم إلى الإسلام فقتلوه. وقيل: هو أخو عبد الله بن مسعود، وليس بشيء. (فيطلبه) أي عيسى الدجال (فيهلكه) أي بحربة (ثم يمكث في الناس سبع سنين) تقدم ما ورد خلافه (ليس بين اثنين عداوة) يحتمل أن يكون قيداً للعدد فلا ينافيه ما سبق من الزيادة، ويؤيده التراخي المفهوم من قوله: (ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام) بكسر ففتح، أي جانبه. (فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان) الظاهر أن أو للشك، ويحتمل أن يكون للتخيير في التعبير. (إلا قبضته) إلا أخذت روحه تلك الريح (حتى لو أن أحدكم دخل) أي فرضاً وتقديراً على طريق المبالغة (في كبد جبل) أي وسطه وجوفه، ومنه كبد السماء وسطها. (لدخلته) أي كبد الجبل (عليه) أي على أحدكم (حتى تقبضه.

الحديث رقم ٥٥٢٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٥٨ حديث رقم (١١٦ . ٢٩٤٠).

تقبضه» قال: «فيبقى شرارُ الناسِ في خِفَّةِ الطيرِ وأحلامِ السباعِ، لا يعرفونَ معروفاً، ولا ينكرونَ منكراً، فيتمثَّلُ لهمُ الشيطانُ، فيقولُ: ألا تستجيبونَ؟ فيقولونَ: فما تأمرُنا؟ فيأمرهم بعبادةِ الأوثانِ، وهم في ذلكَ دارٌّ رزقُهم، حسَنٌ عيشُهم، ثمَّ ينفخُ في الصورِ، فلا يسمعُه أحدٌ إلاّ أصغى لِيتاً، ورفعَ لِيتاً» قال: «وأولُ من يسمعُه رجلٌ يلوطُ حوضَ إبلِه، فيصعَقُ ويصعقُ الناسُ، ثمَّ يُرسلُ اللّهُ مطراً كأنَّه الطلُّ، فينبُتُ منه أجسادُ الناسِ، ثمَّ يُنفخُ فيهِ أخرى فإذا هُم قيامٌ ينظرونَ، ثمَّ يقالُ: يا أيُّها الناسُ! هَلُمَّ

قال: **فيبقى شرار الناس في خفة الطير)** بكسر الخاء المعجمة وتشديد الفاء. قال القاضي [رحمه الله]: المراد بخفة الطير اضطرابها وتنفرها بأدنى توهم، شبه حال الأشرار في تهتكهم وعدم وقارهم وثباتهم واختلال رأيهم وميلهم إلى الفجور والفساد بحال الطير. **(وأحلام السباع)** أي وفي عقولها الناقصة، جمع حلم بالضم أو جمع حلم بالكسر. ففيه إيماء إلى أنهم خالين عن العلم والحلم بل الغالب عليهم الطيش والغضب والوحشة والإتلاف والإهلال وقلة الرحمة. **(لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً)** بل يعكسون فيما يفعلون **(فيتمثل لهم الشيطان)** أي يتصوّر لهم بصورة إنسان فكأن التشكل أقوى على التسلط في الضلالة من طريق الوسوسة، ولذا قدم الله سبحانه شياطين الإنس في قوله: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن**﴾ [الأنعام ـ ١١٢]. **(فيقول: ألا تستجيبون)** أي من الله في ترك عبادته والتوسل إلى مقام قربته **(فيقولون: فماذا تأمرنا)** أي به تمتثله، فما موصولة أو استفهامية. فالمعنى: فأي شيء تأمرنا لنطيعك فيه. **(فيأمرهم بعبادة الأوثان)** أي توسلاً إلى رضا الرحمٰن كما قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ [الزمر ـ ٣]. ﴿**ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾ [يونس ـ ١٨]. ﴿**زين لهم سوء أعمالهم**﴾ [التوبة ـ ٣٧]. **(وهم في ذلك)** أي والحال أنهم فيما ذكر من الأوصاف الردية والعبادات الوثنية **(دار)** بتشديد الراء، أي كثير. **(رزقهم حسن عيشهم)** فالأول إشارة إلى الكمية والثاني إلى الكيفية، أو الأول إيماء إلى كثرة الأمطار وما يترتب عليه من الأنهار وأثمار الأشجار والثاني من جهة الأمن وعدم الظلم وكثرة الصحة والغنى بالمال والجاه. **(ثم ينفخ في الصور)** بصيغة المجهول والنافخ هو إسرافيل عليه [الصلاة]والسلام. **(فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا)** بكسر اللام. قال التوربشتي [رحمه الله]: أي أمال صفحة عنقه خوفاً ودهشة. **(ورفع ليتا)** والمراد منه هنا أن السامع يصعق فيصغي ليتا ويرفع ليتا أي يصير رأسه هكذا وكذلك شأن من يصيبه صيحة فيشق قلبه، فأول ما يظهر منه سقوط رأسه إلى أحد الشقين فأسند الاصغاء إليه اسناد الفعل الاختياري. **(قال: وأول من يسمعه رجل يلوط)** أي يطين ويصلح **(حوض إبله فيصعق)** أي يموت هو أولاً **(ويصعق الناس)** أي معه **(ثم يرسل الله مطراً كأنه الطل)** بفتح الطاء وتشديد اللام، أي المطر الضعيف الصغير القطر. **(فينبت منه)** أي من أجله وسببه **(أجساد الناس)** أي النخرة في قبورهم **(ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)** وبين النفختين أربعون عاماً على ما سيأتي. **(ثم يقال: يا أيها الناس هلم)** في القاموس: هلم. يقال: مركبة من هاء التنبيه ومن لم، أي ضم نفسك إلينا، يستوي فيه الواحد والجمع

إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسؤولونَ. فيقالُ: أخرجوا بعثَ النارِ. فيقالُ: من كم؟ كم؟ فيقالُ: من كلِّ ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةً وتسعينَ» قال: «فذلك يومٌ يجعلُ الولدانَ شيباً، وذلك يومَ يُكشفُ عن ساقٍ». رواه مسلم.

وذُكر حديث معاوية: «لا تنقطعُ الهجرة»

والتذكير والتأنيث عند الحجازيين. فالمعنى: تعالوا أو ارجعوا أو أسرعوا إلى ربكم. **(قفوهم)** وفي نسخة صحيحة وقفوهم بالعاطفة. قال الطيبي: عطف على قوله: يقال، على سبيل التقدير. أي يقال للناس: هلم، ويقال: للملائكة قفوهم. وفي بعض النسخ بدون العاطف فهو على الاستئناف انتهى. وهو أمر مخاطب والخطاب للملائكة والضمير للناس. يقال: وقفت الدابة ووقفتها يتعدى ولا يتعدى. والمعنى: احبسوهم **(إنهم مسؤولون)** استئاف تعليل. **(فيقال: اخرجوا)** أمر للملائكة، أي ميزوا مما بين الخلائق **(بعث النار)** أي مبعوثها بمعنى من يبعث إليها. **(فيقال: من كم كم)** أي سأل المخاطبون من كمية العدد المبعوث إلى النار، فيقولون: كم عدداً نخرجه من كم عدد. ذكره الطيبي [رحمه الله]. فكم الأولى خبر مقدم وكم الثانية مبتدأ وهما مفعولاً نخرج الذي للمتكلم. **(فيقال: من كل ألف تسعمائة)** بالنصب، أي اخرجوا النار من كل ألف تسعمائة. **(وتسعة وتسعين)** قيل: هم الذين يستوجبون النار بذنوبهم يتركون فيها بقدر ذنوبهم، ويجوز أن يصرفوا عن طريق جهنم بالشفاعة ذكره ابن الملك [رحمه الله]. ويجوز أن يخلصوا منها بعد دخولها بالشفاعة. لكن الظاهر أن المراد بهم الكفار الذين يستحقون عذاب النار بلا حساب ولا كتاب فهم مخلدون في العقاب والله [تعالى] أعلم بالصواب. **(فذلك)** أي الوقت **(يوم)** أو فذاك الحكم وقت **(يجعل)** أي يصير **(فيه الولدان)** أي الصبيان جمع وليد **(شيبا)** بكسر أوله جمع أشيب كأبيض وبيض. والمعنى: أنه يصير الأطفال شيباً في الحال فالمعنى: لو أن وليداً شاب من واقعة عظيمة لكان ذلك اليوم هذا. ويوم مرفوع منون في أكثر النسخ، وفي نسخة بالفتح مضافاً. قال الطيبي [رحمه الله]: يحتمل أن يكون اليوم مرفوعاً ويجعل الولدان صفة له، فيكون الاسناد مجازياً، وأن يكون مضافاً مفتوحاً فيكون الاسناد حينئذ حقيقياً، والأول أبلغ وأوفق لما ورد في التنزيل يعني قوله تعالى: ﴿**يوماً يجعل الولدان شيباً**﴾. **(وذلك)** أي أيضاً **(يوم يكشف)** في كثير من النسخ برفع يوم منوناً وفي بعضها بالفتح مضافاً وهو أوفق لما في القرآن: يوم يكشف. **(عن ساق)** أي شدة عظيمة، يقال: كشفت الحرب عن الساق إذا اشتد فيها، وكان أصله أن الولد يموت في بطن الناقة فيدخل المدمر يده في رحمها فيأخذ ساقه، فجعل لكل أمر عظيم وخطب جسيم. قال الخطابي: هذا مما هاب القول فيه شيوخنا فأجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب، أما من تأوله فقال ذلك يوم يكشف عن شدة عظيمة وبلية فظيعة وهو اقبال الآخرة وظهورها وذهاب الدنيا وادبارها. ويقال للأمر إذا اشتد وتفاقم وظهر وزال خفاؤه كشف عن ساقه، وهذا جائز في اللغة وإن لم يكن للأمر ساق. **(رواه مسلم وذكر حديث معاوية: لا تنقطع الهجرة)** أي حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى

في «باب التوبة».

تطلع الشمس من مغربها. وقد ثبت: لا هجرة بعد الفتح. فالمراد بالهجرة التي هي غير منقطعة هي الهجرة من المعصية إلى الطاعة أو من ديار البدعة إلى ديار السنة أو من بلاد الشر إلى بلاد الخير. (**في باب التوبة**) وفيه اعتراض فعلي منضم إلى بيان قولي، وهو أن الحديث أنسب بذلك الباب والله [تعالى] أعلم بالصواب.

[كتاب أحوال القيامة وبدء الخلق]

(١) باب النفخ في الصور

الفصل الأول

٥٥٢١ ـ (١) عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما بينَ النَّفختين أربعون». قالوا: يا أبا هريرةَ! أربعونَ يوماً؟ قال: أبيتُ. قالوا: أربعونَ شهراً، قال: أبيتُ. قالوا: أربعونَ سنةً؟ قال: أبيتُ «ثمّ يُنزلُ اللهُ من

(باب نفخ الصور)(*)

بضم أوله وهو قرن ينفخ فيه والمراد به النفخة الثانية. ففي النهاية: هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه [الصلاة] والسلام عند بعث الموتى إلى المحشر.

(الفصل الأول)

٥٥٢١ ـ (عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما بين النفختين) أي نفخة الصعق وهي الإماتة، ونفخة النشور وهي الإحياء. (أربعون) أبهم في الحديث وبين في غيره أنه أربعون عاماً، ولعل اختيار الإبهام لما فيه من الإبهام. (قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً) باستفهام مقدر (قال: أبيت) أي امتنعت عن الجواب لأني لا أدري ما هو الصواب، أو عن السؤال من صاحب المقال فلا أدري ما الحال. (قالوا: أربعون شهراً. قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة. قال: أبيت) قال القاضي [رحمه الله]: أي لا أدري أن الأربعين الفاصل بين النفختين أي شيء أياماً أو شهوراً أو أعواماً، وامتنع عن الكذب على الرسول ﷺ والإخبار عما لا أعلم. ((قال:)) كذا في نسخة والظاهر أن ضميره إليه ﷺ، ويحتمل أن يكون إلى أبي هريرة فيكون موقوفاً، أو التقدير راوياً عنه وناقلاً منه. وليس في الجامع لفظ قال فيه ولا فيما بعده. (ثم ينزل الله من

الحديث رقم ٥٥٢١: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٦٨٩. حديث رقم ٤٩٣٥ ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٠ حديث رقم (١٤١ ـ ٢٩٥٥) وأبو داود في السنن ٥/ ١٠٨ حديث رقم ٤٧٤٣. وأحمد في المسند ٢/ ٣٢٢.

السَّماءِ ماءً فينبتونَ كما ينبتُ البقلُ» قال: «وليسَ من الإنسانِ شيءٌ لا يبلى إلاَّ عظماً واحداً، وهوَ عَجْبُ الذَّنب، ومنه يُركَّبُ الخلقُ يومَ القيامةِ». متفق عليه. وفي رواية لمسلم، قال: «كلُّ ابنِ آدمَ يأكلُه الترابُ إلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ، منه خُلِقَ، وفيهِ

السماء ماء) أي مطراً كالطل على ما سبق (فينبتون) أي فينبت أجساد الخلق منه (كما ينبت البقل) أي من المطر. والظاهر أن هذا قبل النفخة الثانية كما فهم من الرواية الماضية، فتعبيره بثم هنا للتراخي الرتبي، أي بعد ما علمت ما سبق فاعلم هذا فإنه أمر محقق. (قال: وليس من الإنسان شيء) أي جزء من أجزائه (لا يبلى) أي لا يخلق ولا يرم ممن يبلى جسده فإن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل من أجساد الأنبياء وكذا من في معناهم من الشهداء والأولياء، بل قيل ومنهم المؤذنون المحتسبون فإنهم في قبورهم أحياء أو كالأحياء. (إلا عظماً واحداً) ولفظ الجامع: إلاَّ عظم واحد. بالرفع على البدلية من شيء وهو واضح. وقيل منصوب لأنه استثناء من موجب لأن قوله: ليس شيء من الإنسان لا يبلى إلا عظماً، نفي النفي ونفي النفي إثبات فيكون تقديره: كل شيء منه يبلى إلا عظماً فإنه لا يبلى. ويحتمل أن يكون منصوباً على أنه خبر ليس لأن اسمه موصوف كقولك: ليس زيد إلا قائماً. فمن الإنسان حال من شيء. (وهو عجب الذنب) بفتح العين المهملة وسكون الجيم، وحكى اللحياني تثليث العين مع الباء والميم، ففيه ست لغات. وهو العظم بين الأليتين الذي في أسفل الصلب. قال بعض علمائنا من الشراح: المراد طول بقائه تحت التراب لا أنه لا يفنى أصلاً فإنه خلاف المحسوس، وجاء في حديث آخر: إنه أول ما يخلق وآخر ما يبلى. ومعنى الحديثين واحد. وقال بعضهم: الحكمة فيه أنه قاعدة بدن الإنسان وأسه الذي يبنى عليه، فبالحري أن يكون أصلب من الجميع كقاعدة الجدار، وأسه واذا كان أصلب كان أطول بقاء. أقول التحقيق والله ولي التدقيق: إن عجب الذنب يبلى آخراً كما شهد به حديث لكن لا بالكلية كما يدل عليه هذا الحديث وهو الحديث المتفق عليه، ولا عبرة بالمحسوس كما حقق في باب عذاب القبر على أن الجزء القليل منه المخلوط بالتراب غير قابل لأن يتميز بالحس كما لا يخفى على أرباب الحس. (ومنه يركب) بتشديد الكاف المفتوحة (الخلق) أي سائر الأعضاء المخلوقات من الحيوانات (يوم القيامة) أي كما خلق أولاً في الإيجاد كذلك خلق أولاً في الإعادة، أو أبقي حتى يركب عليه الخلق ثانياً. قال تعالى: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ [الأنبياء ـ ١٠٤]. وقال سبحانه: ﴿كما بدأكم تعودون﴾ [الأعراف ـ ٢٩]. (متفق عليه) ورواه النسائي. (وفي رواية لمسلم) وكذا للبخاري ذكره السيد. وفي الجامع رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة[١] (قال:) أي النبي ﷺ (كل ابن آدم) بالرفع وفي نسخة بالنصب، أي كل أعضاء بدن الإنسان وكذا سائر الحيوان. (يأكله التراب إلا عجب الذنب) أي فإنه لا يأكله كله أو بعضه (منه) أي من عجب الذنب (خلق) بصيغة المجهول، أي ابتدىء منه خلق الإنسان أولاً. (وفيه) وفي نسخة: منه. وهو رواية الجامع

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٨٠ حديث رقم ٧٨٥٩.

يُرْكَبُ».

٥٥٢٢ - (٢) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يقبِضُ اللَّهُ الأرض يومَ القيامةِ، ويطوي السَّماءَ بيمينه، ثمَّ يقولُ: أنا الملكُ، أينَ مُلوكُ الأرضِ؟». متفق عليه.

٥٥٢٣ - (٣) وعن عبدِ الله بنِ عُمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يطوي اللَّهُ

وسبق أن في تأتي مرادفة لمن. (يركب) أي ثانياً. قال النووي [رحمه الله]: هذا مخصوص فيخص منه الأنبياء فإن الله حرم على الأرض أجسادهم وهو كما صرح به في الحديث.

٥٥٢٢ - (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله ﷺ: يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء) ولعل المراد بهما إبدالهما كما قال تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾ [إبراهيم - ٤٨]. (بيمينه) أي بقوته أو قدرته أو بيمينه الصادر عنه أنه يفعله، أو بقبض الملائكة وطيهم الكائنين بيمين عرشه. قال القاضي: عبر به عن إفناء الله تعالى هذه المظلة وهذه المقلة ورفعهما من البين وإخراجهما من أن يكونا مأوى ومنزلاً لبني آدم بقدرته الباهرة التي تهون عليها الأفعال العظام التي يتضاءل دونها القوي والقدر، ويتحير فيها الأفهام والفكر على طريقة التمثيل والتخييل. وأضاف في الحديث الذي يليه طي السموات وقبضها إلى اليمين وطي الأرض إلى الشمال تنبيهاً وتخييلاً لما بين المقبوضين من التفاوت والتفاضل. وقال بعضهم: اعلم أن الله تعالى منزه عن الحدوث وصفة الأجسام وكل ما ورد في القرآن والأحاديث في صفاته مما ينبىء عن الجهة والفوقية والاستقرار والإتيان والنزول فلا نخوض في تأويله، بل نؤمن بما هو مدلول تلك الألفاظ على المعنى الذي أراد سبحانه مع التنزيه عما يوهم الجهة والجسمية. (ثم يقول: أنا الملك) أي لا ملك إلا لي، وأنا ملك الملوك والأملاك. وفيه تنبيه على أن الملك أبلغ من المالك مع أن المفسرين اختلفوا في قوله تعالى: ﴿ملك يوم الدين﴾ و﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة - ٤]. إن أي القراءتين أبلغ كما أشار إليه الشاطبي بقوله:

* ومالك يوم الدين راويه ناصر *

ومجمل الكلام في البيضاوي مذكور والتفصيل في غيره مسطور. (أين ملوك الأرض) أي الذين كانوا يزعمون أن الملك لهم استقلالاً أو دواماً لا يرون به زوالاً، أو الذين كانوا يدعون الألوهية في الجهة السفلية. وقيد بها لأن الملأ الأعلى هم معصومون عن أفعال أهل السفلى. (متفق عليه) ورواه النسائي وابن ماجه.

٥٥٢٣ - (وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: يطوي الله

الحديث رقم ٥٥٢٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٥٥١. حديث رقم ٤٨١٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٤٨ حديث رقم (٢٣ - ٢٧٨٧) والدارمي في السنن ٢/ ٤١٨ حديث رقم ٢٧٩٩.

الحديث رقم ٥٥٢٣: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٤٨. حديث رقم (٢٤ - ٢٧٨٨) وأبو داود في السنن ٥/ ١٠ حديث رقم ٤٧٣٢. وأخرجه ابن ماجه في السنن ١/ ١٩ حديث رقم ١٩٨.

السماواتِ يومَ القيامةِ، ثمّ يأخذُهنّ بيدِه اليُمنى، ثمّ يقولُ: أنا الملكُ، أينَ الجبّارونَ؟ أينَ المتكبّرونَ؟ ثمّ يطْوي الأرَضينَ بشمالِه ـ وفي روايةٍ: يأخذهنّ بيدِه الأخرى ـ ثمّ يقولُ: أنا الملكُ، أينَ الجبّارونَ؟ أينَ المتكبّرونَ؟». رواه مسلم.

٥٥٢٤ ـ (٤) وعن عبدِ الله بن مسعودٍ، قال: جاء حَبْرٌ منَ اليهودِ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يا محمّدُ إنّ اللهَ يُمسكُ السّماواتِ يومَ القيامةِ على أصبعٍ، والأرَضينَ على أصبعٍ، والجبالَ والشجرَ على أصبعٍ، والماءَ والثّرى على أصبعٍ، وسائرَ الخلقِ على أصبعٍ،

السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: **(أنا الملك أين الجبارون)** أي الظلمة القهارون **(أين المتكبرون)** أي بمالهم وجاههم وخيلهم وحشمهم. لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة. حفاة عراة غرلاً. **(ثم يطوي الأرضين)** بفتح الراء وتسكن **(بشماله. وفي رواية: يأخذهن)** أي بدل يطوي، فالتقدير: ثم يأخذهن. **(بيده الأخرى)** وهذه الرواية أوفق بحديث: وكلتا يديه يمين. وضميرهن إلى الأرضين بقرينة ذكر السموات. ويحتمل أن المصنف نقل بالمعنى وأن لفظ الرواية: ثم يأخذ الأرضين بيده الأخرى. **(ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون)** فينظر في الأصول لطلب الأخرى. قال أصحاب التأويل: المراد باليد اليمنى والشمال المقدرة، والمراد من الطي التسخير التام والقهر الكامل وهو كذلك الآن أيضاً، ولكن في القيامة يكون أظهر ونسب طي السموات إلى اليمين وطي الأرضين إلى الشمال تنبيهاً لما بينهما من المقبوضين من التفاوت بعد أن نزه ذاته سبحانه من نسبة الشمال إليه بقوله: «وكلتا يديه يمين»[1]. لأن الشمال ناقص في القوّة عادة والله منزه عن النقصان وعن سائر صفات الحدثان **(رواه مسلم)**.

٥٥٢٤ ـ **(وعن عبد الله بن مسعود قال: جاء حبر)** بفتح الحاء ويكسر مفرد الأحبار، أي عالم. **(من اليهود)** أي من جملتهم أو من أحبارهم **(إلى النبي ﷺ فقال: إن الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع)** بكسر الهمزة وفتح الموحدة. وفي القاموس بتثليث الهمزة والباء، ففيه تسع لغات. **(والأرضين على أصبع والجبال والشجر)** أي جنسه **(على أصبع والماء والثرى)** أي التراب الندي يعني الماء وما تحته من الثرى **(على أصبع وسائر الخلق)** أي باقيه **(على أصبع)** وهذا الحديث بظاهره يخالف ما سبق من أن طي العلوي بيمينه والسفلي بالأخرى، وأيضاً ظاهر تقسيم الأشياء على الأصابع موهم لإرادة تحقق الجارحة المشتملة على الأصابع الخمسة كما هو مذهب المجسمة من اليهود وسائر أهل البدع، ولكنه لما قرره ﷺ حيث لم ينكره لزم إما[2] التأويل وهو مذهب الخلف وهو أعلم، أو التسليم والتفويض مع

---

(١) من حديث أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٤٥٨ حديث رقم ١٨٢٧.

الحديث رقم ٥٥٢٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٥٥١. حديث رقم ٤٨١١. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٤٧ حديث رقم (١٩ ـ ٢٧٨٦) والترمذي ٥/ ٣٤٥ حديث رقم ٣٢٣٨.

(٢) في المخطوطة «أن».

ثمّ يهزُّهنّ فيقولُ: أنا الملكُ، أنا اللّهُ. فضحكَ رسولُ الله ﷺ تعجُّباً ممّا قال الحَبرُ تصديقاً له. ثمّ قرأ: ﴿وما قدَروا اللّهَ حقّ قدْرِه والأرضُ جميعاً قبضتُه يومَ القيامة والسّماواتُ مطويّاتٌ بيمينِه سُبحانه وتعالى عمّا يشركونَ﴾. متفق عليه.

٥٥٢٥ ـ (٥) وعن عائشةَ، قالت: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن قولِه:

الاتفاق على التنزيه وهو مذهب السلف وهو أسلم والله [تعالى] أعلم. فقال شارح: والمعنى يهون على الله إمساكها وحفظها كما يقال في العرف: فلان يحمل بأصبعه لقوته. وقال التوربشتي: السبيل في هذا الحديث أن يحمل على نوع من المجاز أو ضرب من التمثيل، والمراد منه تصوير عظمته والتوفيق على جلالة شأنه وأنه سبحانه يتصرف في المخلوقات تصرف قوي قادر على أدنى مقدور. تقول العرب في سهولة المطلب وقرب التناول ووفور القدرة وسعة الاستطاعة هو مني على حبل الذراع وإني أعالج ذلك ببعض كفي، واستقله بفرد أصبع ونحو ذلك من الألفاظ استهانة بالشيء واستظهاراً في القدرة عليه. والمتورع عن الخوض في تأويل أمثال هذا الحديث في فسحة من دينه إذ لم ينزلها في ساحة الصدر منزلة مسميات الجنس (**ثم يهزهن**) الضمير للأصابع، والمعنى يحركهن. (**فيقول: أنا الملك**) أي القادر القوي القاهر (**أنا الله**) أي المعبود بالحق المستحق للمعبودية والعبادة في الباطن والظاهر. (**فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما قال الحبر تصديقاً له**) علة العلة. قال صاحب الكشاف: إنما ضحك أفصح العرب وتعجب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور إمساك ولا أصبع ولا هز ولا شيء من ذلك، ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة. ولا ترى باباً في علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء، فإن أكثره تخيلات قد زلت فيها الأقدام قديماً. (**ثم قرأ:**) أي النبي ﷺ اعتضاداً، ويحتمل أن يكون القارىء هو ابن مسعود استشهاداً. (**﴿وما قدروا الله حق قدره﴾**) أي ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه حق تعظيمه. (**﴿والأرض﴾**) الواو للحال أي والحال أن جنس الأرض وهو الأرضين السبع (**﴿جميعاً قبضته﴾**) أي مقبوضته وفي ملكه وتصرفه (**﴿يوم القيامة﴾**) يتصرف فيه كيف يشاء بلا مزاحم مع سهولة. والمعنى أنهن بعظمتهن بالنسبة إلى قدرته ليست إلا قبضة واحدة. (**﴿والسموات مطويات بيمينه﴾**) أي مجموعات بقدرته أو مفنيات بقسمه لأنه تعالى أقسم بعزته وجلاله أنه يفنيهما. (**﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾**)[1] بنسبة الولد والشريك إليه (**متفق عليه**) ورواه الترمذي والنسائي.

٥٥٢٥ ـ (**وعن عائشة**) رضي الله [تعالى] عنها (**قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله:**)

---

(١) سورة الزمر. آية رقم ٦٧.

الحديث رقم ٥٥٢٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٥٠ حديث رقم (٢٩ ـ ٢٧٩١). وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣٠ حديث رقم ٤٢٧٩. والدارمي في السنن ٢/ ٤٢٣ حديث رقم ٢٨٠٩. وأحمد في المسند ٦/ ٣٥.

﴿يومَ تُبدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرض والسَّماواتُ﴾، فأينَ يكونُ النّاسُ يومئذٍ؟ قال: «على الصراطِ». رواه مسلم.

٥٥٢٦ ـ (٦) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الشمسُ والقمرُ مكوَّران يوم القيامة». رواه البخاري.

أي سبحانه وتعالى (﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾) أي يوم تبدل هذه الأرض التي تعرفونها أرضاً أخرى غير هذه المعروفة (﴿والسموات﴾)[1] أي كذلك. قال صاحب الكواشي: إنها تبدل بخبزة بيضاء فيأكل المؤمنون من تحت أقدامهم حتى يفرغ الحساب وسيأتي في أول باب الحشر ما يؤيد هذا المعنى. وروي عن الضحاك أنه يبدلها أرضاً من فضة بيضاء كالصحائف، وكذا عن علي كرم الله وجهه [ورضي الله تعالى عنه]. وفي شرح السنة: التبديل تغيير الشيء عن حاله، والإبدال جعل الشيء مكان آخر. وقال الطيبي [رحمه الله]: قد يكون التبديل في الذوات كقولك: بدلت الدراهم دنانير، وفي الأوصاف كقولك: بدلت الحلقة خاتماً إذا أذبتها وسوّيتها خاتماً. واختلف في تبديل الأرض والسموات فقيل: تبدل أوصافهما فتسير على الأرض جبالها وتفجر بحارها وتجعل مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، وتبدل السموات بانتشار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها. وقيل: يخلق بدلها أرض وسموات أخر. وعن ابن مسعود وأنس: يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطىء عليها أحد خطيئة[2]. والظاهر من التبديل تغيير الذات كما يدل عليه السؤال والجواب حيث قالت: (فأين يكون الناس يومئذ. قال: على الصراط) المعهود عند الناس أو جنس الصراط والله [تعالى] أعلم (رواه مسلم).

٥٥٢٦ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: الشمس والقمر مكوران) بتشديد الواو المفتوحة وتذكيره لتغليب القمر لأنه المذكر، أو باعتبار الكوكبين النيرين. وقوله: (يوم القيامة) ظرف له والتكوير معناه اللف ومنه تكوير العمامة. وقال تعالى: ﴿يكور الليل على النهار﴾ [الزمر ـ ٥]. وهو معنى الجمع في قوله تعالى: ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ [القيامة ـ ٩]. قال التوربشتي: يحتمل أنه من التكوير الذي هو بمعنى اللف والجمع، أي يلف صورهما لفاً فيذهب انبساطهما في الآفاق. ويحتمل أن يراد به رفعهما لأن الثوب إذا طوي رفع، ويحتمل أن يكون من قولهم طعنة مكورة من كوره إذا ألقاه، أي ملقيان من فلكهما. وهذا التفسير أشبه بنسق الحديث لما في بعض طرقه: مكوران في النار. فيكون تكويرهما فيها ليعذب بهما أهل النار، لا سيما عباد الأنوار ولا يعذبان في النار فإنهما بمعزل عن التكليف، بل سبيلهما في النار سبيل النار نفسها وسبيل الملائكة الموكلين بها. (رواه البخاري) وروى ابن مردويه عن أنس: الشمس والقمر ثوران عقيران في النار إن شاء أخرجهما وإن شاء تركهما: والعقير الزمن.

---

(١) سورة إبراهيم ـ آية رقم ٤٨.
(٢) لم أقف عليه في كتب السنن والله تعالى أعلم.

الحديث رقم ٥٥٢٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٩٧. حديث رقم ٣٢٠٠.

الفصل الثاني

٥٥٢٧ ـ (٧) عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحبُ الصور قد التقمه وأصغى سمعه، وحنى جبهته ينتظِرُ متى يؤمرُ بالنفخِ؟». فقالوا: يا رسول اللّهِ! وما تأمرنا؟ قال: «قولوا: حسبُنا اللّهُ ونعمَ الوكيل». رواه الترمذي.

٥٥٢٨ ـ (٨) وعن عبدِ اللّهِ بن عَمْرٍو، عن النبي ﷺ قال: «الصورُ قرنٌ ينفخُ فيه». رواه الترمذي، وأبو داود، والدارمي.

(الفصل الثاني)

٥٥٢٧ ـ (عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: كيف أنعم) أي أفرح وأتنعم من نعم عيشة كفرح اتسع ولأن كذا في المصباح. وفي النهاية: هو من النعمة بالفتح وهي المسرة والفرح والترفه. (وصاحب الصور قد التقمه) أي وضع طرف الصور في فمه (وأصغى سمعه) أي أمال أذنه (وحنى جبهته) أي أمالها وهو كناية عن المبالغة في التوجه لإصغاء السمع وإلقاء الأذن (ينتظر متى يؤمر بالنفخ) والظاهر أن كلاً من الالتقام والإصغاء وما بعده على الحقيقة وأنه عبادة لصاحبه بل هو مكلف به. وقال القاضي [رحمه الله]: معناه: كيف يطيب عيشي وقد قرب أن ينفخ في الصور. فكني عن ذلك بأن صاحب الصور وضع رأس الصور في فمه وهو مترصد مترقب لأن يؤمر فينفخ فيه. (فقالوا: يا رسول الله وما تأمرنا) أي أن تقول الآن أو حينئذ أو مطلقاً عند الشدائد (قالوا: قولوا: حسبنا الله) مبتدأ وخبر أي كافينا الله (ونعم الوكيل) فعيل بمعنى المفعول والمخصوص بالمدح محذوف. أي نعم الموكول إليه الله. (رواه الترمذي) وكذا الحاكم، وصححه عنه. وعن ابن عباس. قال ميرك: عن ابن عباس قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه [الصلاة] والسلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾ [آل عمران ـ ١٧٣]. الآية. رواه البخاري والنسائي.

٥٥٢٨ ـ (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (عن النبي ﷺ قال: الصور قرن) قيل: دائرة رأسه كعرض السموات والأرض. (ينفخ فيه) بصيغة المجهول، أي ينفخ فيه إسرافيل النفختين. (رواه الترمذي وأبو داود والدارمي) وكذا أحمد والنسائي والحاكم.

الحديث رقم ٥٥٢٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٣٦ حديث رقم ٢٤٣١. وأحمد في المسند ٣/ ٧٣.

الحديث رقم ٥٥٢٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٠٧ حديث رقم ٤٧٤٢. والترمذي في السنن ٥٣٦ حديث رقم ٢٤٣٠. والدارمي في السنن ٢/ ٤١٨ حديث رقم ٢٧٩٨. وأحمد في المسند ٢/ ١٦٢.

الفصل الثالث

٥٥٢٩ ـ (٩) عن ابن عبَّاس، قال في قوله تعالى ﴿فإذا نُقر في النَّاقور﴾: الصُّور قال: و ﴿الراجفة﴾: النفخة الأولى، و ﴿الرادفة﴾: الثانية. رواه البخاري في ترجمة بابٍ.

٥٥٣٠ ـ (١٠) وعن أبي سعيد، قال: ذكرَ رسولُ الله ﷺ صاحبَ الصُّور، وقال: «عن يمينه جبريل، وعن يساره ميكائيل».

٥٥٣١ ـ (١١) وعن أبي رَزين العقيلي، قال: قلتُ: يا رسول الله! كيف يُعيدُ الله الخلقَ؟ وما آية ذلك في خلقه؟ قال: «أمَا مررتَ بوادي قومكَ جَدْباً

(الفصل الثالث)

٥٥٢٩ ـ (عن ابن عباس قال: في قوله تعالى: ﴿فإذا نقر﴾) أي نفخ (﴿في الناقور﴾: الصور) بالجر على التفسير. وفي نسخة بالرفع على تقدير هو الصور. (قال:) أي ابن عباس أيضاً (﴿والراجفة﴾) أي في قوله تعالى: ﴿يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة﴾ [النازعات ـ ٦ و ٧]. (النفخة الأولى) لأنها ترجف الأرض والجبال عندها أي تضطرب وتتحرك وتتزلزل لها. (﴿والرادفة﴾ الثانية) أي لأنها تقع عقيبها. وقال الطيبي: الراجفة الواقعة التي ترجف عندها الأرض والجبال، وهي النفخة الأولى وصفت بما يحدث بحدوثها. والرادفة الواقعة التي تردف الأولى وهي النفخة الثانية. (رواه البخاري في ترجمة باب) بفتح التاء والجيم، أي في عنوانه تعليقاً لكن وصله في موضع آخر منه.

٥٥٣٠ ـ (وعن أبي سعيد قال: ذكر رسول الله ﷺ صاحب الصور) أي إسرافيل (وقال: عن يمينه جبريل) بكسر الجيم وتفتح فكسر راء فسكون ياء وبفتحهما وبهمزة بعدها تحتية وتحذف أربع لغات كلهن متواترات. (وعن يساره ميكائيل) بهمزة وتحتية وتحذف وبوزن مفعال ثلاث قراءات. لكن في شرح الشاطبية للجعبري قال أبو عبيدة: هما ممدودان في الحديث انتهى. وهو يحتمل أن مراده المدة الطبيعية أو حرف المد. ويحتمل أنه أراد جبرائيل بالألف الممدودة على الشذوذ واختير لمشاكلة ميكائيل والله [تعالى] أعلم.

٥٥٣١ ـ (وعن أبي رزين) بفتح الراء وكسر الزاي (العقيلي) مصغراً ولم يذكره المؤلف في أسمائه. (قال: قلت: يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق وما آية ذلك) أي علامته (في خلقه)) أي مخلوقاته الموجودين (قال: أما مررت بوادي قومك جدباً) بفتح الجيم وسكون

الحديث رقم ٥٥٢٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٦٧. تعليقاً في الباب ٤٣ باب نفخ الصور.

الحديث رقم ٥٥٣٠: أخرجه أحمد في المسند ٣/ ١٠ وأبو داود ٤/ ٢٩٣ حديث رقم ٣٩٩٩.

الحديث رقم ٥٥٣١: رواه رزين. وأخرجه أحمد في المسند ٤/ ١١.

ثم مررتَ به يهتزّ خضرا؟». قلت: نعم، قال: «فتلك آيةُ اللهِ في خلقه، ﴿كذلك يحيي اللهُ الموتى﴾». رواهما رزين.

(٢) باب الحشر

الفصل الأول

٥٥٣٢ ـ (١) عن سهل بن سعد، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُحشرُ النَّاسُ يومَ

الدال كذا في النهاية والقاموس. وفي المقدمة بفتح أوله وكسر ثانيه وقد تسكن ضد الخصب. (ثم مررت به يهتز) بتشديد الزاي يتحرك (خضرا) بفتح فكسر. قال الطيبي [رحمه الله]: يهتز جملة حالية وخضراً نصب على التمييز استعار الاهتزاز لأشجار الوادي تصويراً لحسنها. ويقال: اهتز فلان فرحاً، أي خف له وكل من خف لأمر وارتاح له فقد اهتز له. (قلت: نعم. قال: فتلك آية الله) أي علامة قدرته (في خلقه) أي وفي إعادته والعود أحمد. قال تعالى: ﴿وهو الذي يبدؤوا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ [الروم ـ ٢٧]. (﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾)[1] الظاهر أن هذا استشهاد بالآية أو اقتباس منها. قال الطيبي [رحمه الله]: أي ليس فرق بين إنشاء خلق وإعادته، والتشبيه في قوله تعالى: ﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾. بيان للتسوية نحو قوله تعالى: ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ [يس ـ ٧٩]. أي بكل من الإنشاء والاعادة عليم. ونظر هذا الحديث في الدلالة قوله تعالى: ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ [الروم ـ ٥٠]. يعني أن ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قادر، وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء. (رواهما) أي الحديثين (رزين) قال المؤلف [رحمه الله]: هو أبو الحسن رزين بن معاوية العبدري الحافظ صاحب كتاب التجريد في الجمع بين الصحاح، مات بعد العشرين والخمسمائة.

(باب الحشر)

في المغرب الحشر الجمع قلت: وهو ضد النشر.

(الفصل الأول)

٥٥٣٢ ـ (عن سهل بن سعد) سبق ذكره (قال: قال رسول الله ﷺ: يحشر الناس يوم

---

(١) سورة البقرة، آية رقم ٧٣.

الحديث رقم ٥٥٣٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٧٢ حديث رقم ٦٥٢١. وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٥٠ حديث رقم (٢٨ ـ ٢٧٩٠).

القِيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عفراءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ ليس فيها عَلَم لأحدٍ». متفقٌ عليه.

٥٥٣٣ ـ (٢) وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «تكونُ الأرضُ يومَ القيامةِ خُبزةً واحدةً، يتكفَّؤها الجبَّار بيده كما يتكفَّأ أحَدُكم خُبْزَتَه في السفر نُزُلاً لأهلِ الجنةِ».

القيامة على أرض بيضاء عفراء) أي غير شديدة البياض، والعفرة لون الأرض. وقيل: المعنى لا يخلص بياضها بل يضرب إلى الحمرة. (كقرصة النقي) بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء وهو الدقيق المنخول المنظف الذي يتخذ منه الحواري، والقرصة بالضم الرغيف والتاء للوحدة والتشبيه بها في اللون والشكل دون القدر. (ليس فيها علم) بفتحتين أي علامة (لأحد) يريد به الأبنية. ومعناه أنها تكون قاعاً لا بناء فيها ذكره [القاضي رحمه الله. وقال الطيبي رحمه الله:][١] لعل الظاهر أن ذلك تعريض بأرض الدنيا وتخصيص كل من ملاكها بقطع منها أعلم عليها على نحو قوله تعالى: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ [غافر ـ ١٦]. (متفق عليه).

٥٥٣٣ ـ (وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة) أي كخبزة واحدة فهو تشبيه بليغ، أو التقدير تصير خبزة واحدة وهو الظاهر على ما سيأتي. (يتكفؤها) بالهمزة بعد تشديد الفاء. قال التوربشتي [رحمه الله]: هذه رواية كتاب البخاري، ورواية كتاب مسلم: يكفؤها، بسكون الكاف والهمز من كفأت الإناء أي قلبته وهو الصواب، والمعنى: يقلبها. (الجبار) أي الواحد القهار (بيده) أي من يد إلى يد وكلتا يديه يمين. ولعل المراد بهما القدرة والإرادة فإنه سبحانه منزه عن الجارحة. (كما يتكفأ أحدكم خبزته) أي عجينته فهي تسمية بالمآل كقوله تعالى: ﴿إني أراني أعصر خمراً﴾ [يوسف ـ ٣٦]. (في السفر) بفتحتين، وقيل بضم أوّله جمع سفرة، فالأول ظرف الزمان والثاني مكان البيان. والمعنى: كما يفعل بالعجينة إذا أريد به ترقيقها واستواؤها حتى تلقى على الملة في السفر استعجالاً. (نزلاً) بضمتين ويسكن الثاني ذكره ابن الملك. أي إضافة. (لأهل الجنة) وهو ما يستعجل للضيف من الطعام. قال النووي [رحمه الله]: يتكفؤها بالهمز، أي يقلبها ويميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوي لأنها ليست مبسوطة كالرقاقة ونحوها. وفي نسخة مسلم: ويكفؤها، بالهمز. والخبزة هي الظلمة[٢] التي توضع في الملة. والمعنى: أن الله تعالى يجعل الأرض كالظلمة والرغيف العظيم يكون ذلك طعاماً نزلاً لأهل الجنة والله على كل شيء قدير. قال التوربشتي [رحمه الله]: أرى الحديث مشكلاً جداً غير مستنكر شيئاً من صنع الله

---

(١) ما بين المعكوفتين جاء في المخطوطة على الشكل التالي: «ذكره الطيبي رحمه الله وقال القاضي رحمه الله».

الحديث رقم ٥٥٣٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٧٢. حديث رقم ٦٥٢٠ ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٥١ حديث رقم (٣٠ ـ ٢٧٩٢).

(٢) في المخطوطة «الظلة».

فأتى رجلٌ من اليهود، فقال: باركَ الرحمٰنُ عليكَ يا أبا القاسم! ألا أُخبِرُكَ بِنُزُلِ أهلِ الجنةِ يومَ القيامةِ؟ قال: «بلى». قال: تكونُ الأرضُ خُبزةً واحِدةً كما قال النبي ﷺ. فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بَدَتْ نواجِذُه، ثم قال: ألاَ أُخبِرُكَ بإدامِهِم؟ بالام والنون. قالوا: وما هذا؟

[تعالى]وعجائب فطرته، بل لعدم التوفيق الذي يكون موجباً للعلم في قلب جرم الأرض من الطبع الذي عليه إلى طبع المطعوم والمأكول مع ما ورد في الآثار المنقولة، أن هذه الأرض برها وبحرها تمتلىء ناراً في النشأة الثانية وتنضم إلى جهنم. فنرى الوجه فيه أن نقول معنى قوله: خبزة واحدة، أي كخبزة واحدة من نعتها كذا وكذا هو مثل ما في حديث سهل بن سعد كقرصة النقي، وإنما ضرب المثل بقرصة النقي لاستدارتها وبياضها على ما ذكرنا. وفي هذا الحديث ضرب المثل بخبزة تشبه الأرض هيئة وشكلاً ومساحة، فاشتمل الحديث على معنيين أحدهما بيان الهيئة التي تكون الأرض عليها يومئذ، والآخر بيان الخبزة التي يهيئها الله تعالى نزلاً لأهل الجنة وبيان عظم مقدارها ابداعاً واختراعاً من القادر الحكيم الذي لا يعجزه أمر ولا يعوزه شيء. اهـ. وأطنب الطيبي [رحمه الله]هنا بما لا طائل تحته فأعرضت عن ذكره. وقيل: الحديث مشكل لا من جهة إنكار قدرته، بل من جهة عدم التوفيق بينه وبين حديث: إن هذه الأرض تصير يوم القيامة ناراً. وأجيب بأنه شبه أرض الحشر بالخبزة في الاستواء والبياض كما في حديث سهل، وشبه أرض الجنة كما في حديث أبي سعيد في كونها نزلاً لأهلها تكرمة لهم بعجالة الراكب زاداً يقنع به في سفره. لكن آخر هذا الحديث يشعر بأن كون الأرض خبزة على التجوز. والأولى الحمل على الحقيقة مهما أمكن وقدرته تعالى صالحة لذلك بل اعتقاد كونه حقيقة أبلغ بأن يقلب الله تعالى بقدرته الكاملة طبع الأرض حتى يأكلوا منها تحت أقدامهم ما شاء الله بغير كلفة ولا علاج، وبهذا يتبين ضعف ما قاله القاضي من أنه لم يرد بذلك أن جرم الأرض ينقلب خبزة في الشكل والطبع وإنما أراد به أنها تكون حينئذ بالنسبة إلى ما أعد الله. **(لأهل الجنة)** كقرصة نقي يستعجل المضيف بها نزلاً للضيف. ثم تعريف الأرض في الحديث كتعريفها في قوله تعالى: ﴿**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**﴾ [الأنبياء - ١٠٥]. قال ابن عباس: هي أرض الجنة. هذا ومما يؤيد الحمل على الحقيقة قول الراوي: **(فأتى رجل من اليهود)** أي من أحبارهم **(فقال: بارك الرحمٰن عليك)** دعا له بنزول كثرة الرحمة عليه أو إخبار عنه[1]. **(يا أبا القاسم)** كناه تعظيماً **(ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة. فقال: بلى. قال: تكون الأرض خبزة واحدة. كما قال النبي ﷺ فنظر النبي ﷺ إلينا)** أي نظر التفات وتعجب وتنبيه **(ثم ضحك)** أي فرحاً للمطابقة والموافقة **(حتى بدت نواجذه)** أي ظهرت آخر أضراسه وهو كناية عن المبالغة **(ثم قال:)** أي اليهودي كما في نسخة **(ألا أخبرك بإدامهم)** أي بما يأتدم أهل الجنة الخبزة به **(بالام)** أي هو بالام وهو على وزن فاعال أي ثور **(والنون)** أي السمك **(قالوا:)** أي الصحابة **(وما هذا)** أي ما معنى الذي ذكرته **(قال:**

---

(١) في المخطوطة «عليه».

قال: ثورٌ ونونٌ، يأكل من زائدةِ كبدِهما سبعونَ ألفاً. متفق عليه.

٥٥٣٤ ـ (٣) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحشَرُ النَّاسُ على ثلاث طرائق: راغبينَ، راهبينَ، واثنانِ على بعيرٍ، وثلاثةٌ على بعيرٍ، وأربعةٌ على بعيرٍ، وعشرةٌ على بعيرٍ،

ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً) قال النووي [رحمه الله]: أما النون فهو الحوت باتفاق العلماء، وأما بالام فبباء موحدة مفتوحة وتخفيف لام وميم [منوّنة]مرفوعة، وفي معناه أقوال. والصحيح منها ما اختاره المحققون [من]أنها لفظة عبرانية معناها بالعربية الثور وفسر اليهودي به، ولو كانت عربية لعرفها الصحابة ولم يحتاجوا إلى سؤاله عنها. وأما قوله: يأكل منها سبعون ألفاً. فقال القاضي عياض [رحمه الله]: إنهم السبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب فخصوا بأطيب النزل. ويحتمل أنه عبر به عن العدد الكثير ولم يرد الحصر في ذلك القدر وهذا معروف في كلام العرب والله [تعالى]أعلم. **(متفق عليه)**.

٥٥٣٤ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يحشر الناس)** أي بعد البعث **(على ثلاث طرائق)** أي فرق وأصناف الركبان على طريقة واحدة من تلك الثلاث والبقية تتناول الطريقتين الأخيرتين وهما المشاة والذين على وجوههم كما سيأتي في الفصل الثاني. **(راغبين)** أي في الجنة لما فيها من لقاء ربهم، وهو بدل عن ثلاث وهو [و]أحد الفرق وهم: الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. **(راهبين)** أي من النار وهم الذين يخافون ولكن ينجون منها وهم الفرقة الثانية، ففيه تنبيه نبيه على أن طاعة الله تعالى على الرجاء أولى من عبادته على الخوف، ولذا سمي الأولون الطيارين والآخرون السيارين وتحقيقه في كتب التصوف ويعرفه أهل التعرف. وجملة الكلام أن المراد بالراغبين من غلب عليهم الرجاء وبالراهبين من غلب عليهم الخوف قال تعالى: ﴿**يدعون ربهم خوفاً وطمعاً**﴾ [السجدة ـ ١٦]. وإنما قدم الخوف في الآية لأنه أنسب بعموم العامة لا سيما في البداية. **(واثنان على بعير)** أي اعتقاباً أو اجتماعاً وهو الأظهر. **(وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير)** فعلى مقدار مراتبهم يستريحون على مراكبهم والباقون يمشون على أقدامهم على قدر أقدامهم. قال ابن الملك: قوله: واثنان على بعير، الواو فيه للحال وصفة المبتدأ محذوف أي اثنان منهم وكذا الحكم فيما بعده. وهذه الأعداد تفصيل لمراتبهم على سبيل الكناية والتمثيل، فمن كان أعلى مرتبة كان أقل شركة وأشد سرعة وأكثر سباقاً. فإن قلت: كون الاثنين وإخوانه على البعير بطريق الاجتماع أم الاعتقاب. قلنا: قال شارح السنة بطريق الاعتقاب لكن الأولى أن يحمل على الاجتماع إذ في الاعتقاب لا يكون الاثنان والثلاثة على بعير حقيقة، وإنما اقتصر على ذكر العشر إشارة إلى أنه غاية عدد الراكبين على ذلك البعير المحتمل للعشرة من بدائع فطرة الله تعالى كناقة صالح حيث

الحديث رقم ٥٥٣٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٧٧. حديث رقم ٦٥٢٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٣ حديث رقم (٥٩ ـ ٢٨٦١). وأخرجه النسائي ١١٥/٤ حديث رقم ٢٠٨٥.

وتحشرُ بقيتهم النارُ. تقيلُ معهم حيث قالوا، وتبيتُ معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصْبَحُوا، وتمسي معهم حيث أمسوا».

قوي ما لا يقوى من البعران، وإنما لم يذكر الخمسة والستة وغيرهما إلى العشرة للإيجاز. (**ويحشر بقيتهم**) أي تجمعهم (**النار تقيل**) بفتح أوله من القيلولة وفاعله النار، والمراد أنها تكون: (**معهم**) في النهار (**حيث قالوا**) أي كانوا أو استراحوا (**وتبيت**) أي النار (**معهم حيث باتوا**) أي كانوا في الليل (**وتصبح معهم حيث أصبحوا**) أي دخلوا في الصباح (**وتمسي معهم حيث أمسوا**) والمقصود أن النار تلزمهم بحيث لا تفارقهم أبداً هذا مجمل الكلام في تحصيل المرام. وأما تفصيله فقال الخطابي: الحشر المذكور في هذا الحديث إنما يكون قبل قيام الساعة، يحشر الناس أحياء إلى الشام. فأما الحشر بعد البعث من القبور فإنه على خلاف هذه الصورة من ركوب الإبل والمعاقبة عليها، وإنما هو على ما ورد في الحديث: «إنهم يبعثون حفاة عراة»[١]. وفسر ثلاثة على بعير وأربعة على بعير على أنهم يعتقبون البعير الواحد يركب بعضهم ويمشي بعضهم. قال التوربشتي [رحمه الله]: قول: من يحمل الحشر على الحشر الذي هو بعد البعث من القبور أشد وأقوى وأشبه بسياق الحديث من وجوه أحدها: أن الحشر على الإطلاق في متعارف الشرع لا يراد منه إلا الحشر الذي بعد قيام الساعة إلا أن يخص بنوع من الدليل ولم نجد ههنا. والآخر أن التقسيم الذي ذكر في هذا الحديث لا يستقيم في الحشر إلى أرض الشام لأن المهاجر إليها لا بد وأن يكون راغباً راهباً أو راغباً أو راهباً، فأما أن لا يكون راغباً وراهباً وتكون هذه طريقة واحدة لا ثاني لها من جنسها فلا. والثالث أن حشر النار بقية الطائفتين على ما ذكره في هذا الحديث إلى أرض الشام والتزامها لهم حتى لا تفارقهم في مقيل ولا مبيت ولا صباح ولا مساء قول لم يرد به التوقيف ولم يكن لنا أن نقول بتسليط النار على أولي الشقاوة في هذه الدار من غير توقيف. والرابع وهو أقوى الدلائل وأوثقها ما روي عن أبي هريرة وهو في الحسان من هذا الباب: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف»[٢]. الحديث. وأما ما ذكر من بعث الناس حفاة عراة فلا تضاد بين القضيتين لأن إحداهما حالة البعث من النشر والأخرى حالة السوق إلى المحشر. ونرى التقسيم الذي جاء به الحديث التقسيم الذي جاء به التنزيل، قال الله تعالى: ﴿**إذا رجت الأرض رجاً وبست الجبال بساً فكانت هباء منبثاً وكنتم أزواجاً ثلاثة**﴾ [الواقعة - ٤ و٥ و٦ و٧]. الآيات. فقوله: راغبين راهبين، يريد به عوام المؤمنين وهم ذوو الهنات الذين يترددون بين الخوف والرجاء بعد زوال التكليف، فتارة يرجون رحمة الله لإيمانهم وتارة يخافون عذابه لما اجترحوا من السيئات وهم أصحاب الميمنة في كتاب الله على ما في الحديث الذي رواه أيضاً أبو هريرة وهو في الحسان من هذا الباب. وقوله: واثنان على بعير فالمراد منه أولو السابقة من أفاضل المؤمنين وهم السابقون. وقوله: ويحشر بقيتهم النار، يريد أصحاب المشأمة فهذه ثلاث طرائق. فإن قيل: فلم لم يذكر من السابقين من يتفرد بفرد مركب لا يشاركه فيه أحد. قلنا: لأنه عرف أن ذلك مجعول لمن فوقهم

---

(١) راجع الحديث رقم (٥٥٣٦).

(٢) وهو الحديث (٥٥٤٦).

متفق عليه.

٥٥٣٥ ـ (٤) وعن ابن عبّاس، عن النبي ﷺ قال: «إنكم محشورون حُفاةً عُراةً غُرلاً». ثم قرأ: ﴿كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعداً علينا إنا كنّا فاعلين﴾ «وأول من يكسى يومَ القيامةِ إبراهيمُ»

في المرتبة من أنبياء الله ليقع الامتياز بين النبيين والصديقين في المراكب كما وقع في المراتب. اهـ. وعارضه الطيبي [رحمه الله]بما لا طائل تحته فحذفنا بحثه. (متفق عليه).

٥٥٣٥ ـ (وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: إنكم محشورون) أي ستبعثون (حفاة) بضم الحاء جمع حاف وهو الذي لا نعل له (عراة) بضم العين جمع عار وهو من لا ستر له. (غرلاً) بضم الغين المعجمة وسكون الراء جمع الأغرل، وهو الأقلف أي غير مختونين. قال العلماء في قوله: غرلاً، إشارة إلى أن البعث [يكون]بعد رد تمام الأجزاء والأعضاء الزائلة في الدنيا إلى البدن. وفيه تأكيد لذلك، فإن القلفة كانت واجبة الإزالة في الدنيا فغيرها من الأشعار والأظفار والأسنان ونحوها أولى وذلك لغاية تعلق علم الله تعالى بالكليات والجزئيات ونهاية قدرته بالأشياء الممكنات. (ثم قرأ:) أي استشهاداً واعتضاداً. وقوله تعالى: (﴿كما بدأنا أوّل خلق نعيده﴾) الكاف متعلق بمحذوف دل عليه تعيده، أي نعيد الخلق إعادة مثل الأوّل. والمعنى: بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلاً كذا نعيدهم يوم القيامة. (﴿وعداً علينا﴾) أي لازماً ما لا يجوز الخلف فيه (﴿إنا كنا فاعلين﴾)[1] أي ما وعدناه وأخبرنا به لا محالة. قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: سياق الآية في إثبات الحشر والنشر لأن المعنى نوجدكم من العدم كما أوجدناكم أوّلاً عن العدم، فكيف يستشهد بها للمعنى المذكور. قلت: دل سياق الآية وعبارتها على إثبات الحشر وإشارتها على المعنى المراد من الحديث، فهو من باب الإدماج. قلت: الظاهر أن الآية بعبارتها تدل على المعنيين وإن كان سياق الآية مختصاً لأحدهما، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ثم في قوله: نوجدكم من العدم مسامحة والله [تعالى]أعلم. (وأوّل من يكسى يوم القيامة إبراهيم) [عليه الصلاة والسلام]. قيل: لأنه أوّل من كسا الفقراء، وقيل لأنه أوّل من عري في ذات الله حين ألقي في النار، لا لأنه أفضل من نبينا أو لكونه أباه فقدمه لعزة الأبوّة على أنه قيل إن نبينا يخرج في الناس من قبره في ثيابه التي دفن فيها، وعندي والله [تعالى]أعلم أن الأنبياء بل الأولياء يقومون من قبورهم حفاة عراة لكن يلبسون أكفانهم بحيث لا تكشف[2] عوراتهم على أحد ولا على أنفسهم وهو المناسب لقوله ﷺ: أخرج من قبري وأبو بكر عن يميني وعمر عن يساري وآتي

الحديث رقم ٥٥٣٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٣٨٦. حديث رقم ٣٣٤٩. ومسلم في صحيحه ٤/٢١٩٤. حديث رقم (٥٨ ـ ٢٨٦٠) والترمذي في السنن ٤/٥٣٢ حديث رقم ٢٤٢٣. وأخرجه النسائي ٤/١١٩ حديث رقم ٢٠٨٧. وأحمد في المسند ١/٢٢٠.

(١) سورة الأنبياء. آية رقم ١٠٤. (٢) في المخطوطة «فيكشف».

وإن ناساً من أصحابي يُؤخذ بهم ذاتَ الشمال، فأقول: أُصَيحابي أُصَيحابي!! فيقول: إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم. فأقول كما قال العبدُ الصالح: ﴿وكُنتُ عليهم شهيداً ما دمت فيهم﴾ إلى قوله: ﴿العزيزُ الحكيم﴾».

البقيع. الحديث. ثم يركبون النوق ونحوها ويحضرون المحشر فيكون هذا الإلباس محمولاً على الخلع الإلهية والحلل الجنتية[1] على الطائفة الاصطفائية. وأولية إبراهيم عليه [الصلاة]والسلام يحتمل أن تكون حقيقية أو إضافية والله سبحانه [وتعالى]أعلم. ثم رأيت في الجامع الصغير حديث: أنا أوّل من تنشق عنه الأرض فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري[2]. رواه الترمذي عن أبي هريرة، ورواه الترمذي والحاكم عن ابن عمر: أنا أوّل من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة[3]. وقال التوربشتي [رحمه الله]: نرى أن التقديم بهذه الفضيلة إنما وقع لإبراهيم عليه [الصلاة]والسلام لأنه أوّل من عري في ذات الله حين أرادوا إلقاءه في النار، فإن قيل: أو ليس نبينا ﷺ هو المحكوم له بالفضل على سائر الأنبياء وتأخره في ذلك موهم أن الفضل للسابق. قلنا: إذا استأثر الله سبحانه عبداً بفضيلة على آخر واستأثر المستأثر عليه على المستأثر بتلك الواحدة بعشر أمثالها أو أفضل كانت السابقة له ولا يقدح استئثار صاحبه عليه بفضيلة واحدة في فضله، ولا خفاء بأن الشفاعة حيث لا يؤذن لأحد في الكلام لم تبق سابقة لأولي السابقة ولا فضيلة لذوي الفضائل إلا أتت عليها، وكم له من فضائل مختصة به لم يسبق إليها ولم يشارك فيها. (**وأن ناساً من أصحابي**) أي جماعة منهم والتنكير للتقليل (**يؤخذ بهم ذات الشمال**) أي إلى النار مع أصحاب المشأمة (**فأقول: أصيحابي**) بالتصغير للتقليل، أي هؤلاء أصحابي. (**أصيحابي**) كرره تأكيداً، ويمكن أن يكون إشارة إلى جماعتين (**فيقول:**) أي قائل أو مجيب (**إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم**) قال القاضي [رحمه الله]: يريد بهم من ارتد من الأعراب الذين أسلموا في أيامه كأصحاب مسيلمة والأسود وأضرابهم، فإن أصحابه وإن شاع عرفاً فيمن يلازمه من المهاجرين والأنصار شاع استعماله لغة في كل من تبعه أو أدرك حضرته ووفد عليه ولو مرة. قلت: الأوّل اصطلاح أصول الفقه والثاني مصطلح أهل الحديث. وقيل: أراد بالارتداد إساءة السيرة والرجوع عما[4] كانوا عليه من الإخلاص وصدق النية والإعراض عن الدنيا. أقول: هذا بالإشارات الصوفية أنسب وأقرب، وإلا فعبارة الارتداد غير مستقيمة على هذا المعنى أصلاً ولا موافقة لقوله عليه [الصلاة] والسلام. (**فأقول كما قال العبد الصالح:**) وهو عيسى عليه [الصلاة] والسلام (**﴿وكنت عليهم﴾**) أي على أمتي (**﴿شهيداً﴾**) أي مطلعاً رقيباً حافظاً (**﴿ما دمت فيهم﴾**) أي موجوداً فيما بينهم (**إلى قوله: ﴿العزيز الحكيم﴾**)[5]. وهو قوله: **﴿فلما توفيتني كنت أنت**

---

(١) في المخطوطة «الجنية».
(٢) الجامع الصغير ١/ ١٦١ حديث رقم ٢٦٩٠.
(٣) الترمذي في السنن ٥/ ٥٨١ حديث رقم ٣٦٩٢.
(٤) في المخطوطة «كما».
(٥) المائدة. الآيتان ١١٧ و١١٨.

متفق عليه.

٥٥٣٦ ـ (٥) وعن عائشةَ، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يُحشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ حُفاةً عُراةً غُرْلاً». قلتُ: يا رسولَ الله! الرجالُ والنساءُ جميعاً ينظرُ بعضهم إلى بعضٍ؟ فقال: «يا عائشةُ! الأمرُ أشدُّ من أن ينظرَ بعضُهم إلى بعضٍ». متفق عليه.

الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [المائدة ـ ١١٧ ـ ١١٨]. **(متفق عليه)** ورواه الترمذي.

٥٥٣٦ ـ **(وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً. قلت: يا رسول الله الرجال)** بتقدير الاستفهام، ويمكن أن يقرأ بالمد والتسهيل أيضاً على ما تقرر في قوله تعالى: ﴿**قل آلله أذن لكم**﴾ [يونس ـ ٥٩]. **(والنساء)** عطف على الرجال وهما مبتدأ وقوله: **(جميعاً)** أي مجتمعين، حال منهما على ما جوّزه البعض فالخبر قوله: **(ينظر بعضهم إلى بعض)** وهو محط الاستفهام التعجبي. قال الطيبي [رحمه الله]: الرجال والنساء مبتدأ وجميعاً حال سد مسد الخبر، أي مختلطون جميعاً. ويجوز أن يكون الخبر ينظر بعضهم إلى بعض وهو العامل في الحال قدم اهتماماً كما في قوله تعالى: ﴿**والأرض جميعاً قبضته**﴾ [الزمر ـ ٦٧]. وفيه معنى الاستفهام، ولذلك أجاب. **(فقال: يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض)** أي أمر القيامة أصعب من أن يقدر أحد على النظر إلى غيره عمداً أو سهواً لقوله تعالى: ﴿**لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه**﴾ [عبس ـ ٣٧]. **(متفق عليه)** وأخرج عبد بن حميد والترمذي والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: يحشرون حفاة عراة غرلاً. فقالت زوجته: أينظر بعضنا إلى عورة بعض. فقال: يا فلانة لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه[1]. وأخرج الطبراني عن سهل بن سعد نحوه. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أنس أن عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله ﷺ فقالت: كيف يحشر الناس. قال: حفاة عراة. قالت: واسوأتاه. قال: إنه قد نزل علي آية لا يضرك كان عليك ثياب أو لا. قالت: وأي آية هي. قال: ﴿**لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه**﴾. وأخرج الحاكم وصححه وابن مردويه عن عائشة نحوه[2]. وأخرج الطبراني في الأوسط عن أم سلمة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة. قلت: يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض. فقال: شغل الناس. قلت: ما شغلهم. قال: نشر

الحديث رقم ٥٥٣٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٧٧. حديث رقم ٦٥٢٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٤ حديث رقم (٥٦ ـ ٢٨٥٩). وأخرجه النسائي في السنن ٤/ ١١٤ حديث رقم ٢٠٨٤. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٢٩ حديث رقم ٤٢٧٦.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٢٥١.

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٦٥.

٥٥٣٧ ـ (٦) وعن أنس، أن رجلاً قال: يا نبي الله! كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «أليسَ الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يُمْشِيَهُ على وجهه يوم القيامة؟». متفق عليه.

٥٥٣٨ ـ (٧) وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يَلقى إبراهيمُ أباه آزر يومَ القيامةِ وعلى وجهِ آزر قَتَرَةٌ وغَبَرَةٌ فيقول له إبراهيم: ألم أقل لكَ: لا تعصني؟ فيقول له أبوه: فاليومَ لا أعصيكَ. فيقول إبراهيم: يا رب! إنك وعدتني أنْ لا تُخزيَني يومَ يبعثونَ، فأيُّ خزيٍ أخزى من أبي الأبعد، فيقول الله تعالى: إني حرّمْتُ الجنةَ على

الصحائف، فمنها مثاقيل الذرة ومثاقيل الخردل.

٥٥٣٧ ـ (**وعن أنس أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة**) ولكون[1] الاستفهام مقدراً (**قال: أليس**) أي الشأن (**الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا**) مبتدأ خبره قوله: (**قادر على أن يمشيه**) بالتخفيف ويجوز تشديده. (**على وجهه يوم القيامة، متفق عليه**) وسيأتي حديث الترمذي في الفصل الثاني وحديث أبي ذر في الثالث. وفي الدر المنثور أخرج أحمد والشيخان والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وأبو نعيم في المعرفة، والبيهقي في الأسماء والصفات عن أنس قال: قيل: يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم. قال: الذي أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم[2]. وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿**الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم**﴾ [الفرقان ـ ٣٤]. فقالوا: يا نبي الله كيف يحشرون على وجوههم. قال: أرأيت الذي أمشاهم على أقدامهم أليس قادراً على أن يمشيهم على وجوههم.

٥٥٣٨ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يلقى**) أي يرى (**إبراهيم أباه آزر**) بدل أو بيان (**يوم القيامة على وجه آزر**) وضع الظاهر موضع الضمير لئلا يتوهم رجعه إلى إبراهيم في ابتداء الحال. (**قترة**) بفتحتين، أي سواد من الكآبة والحزن. (**وغبرة**) بفتحتين غبار معه سواد، فذكرهما مبالغة، والجملة حالية. (**فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني. فيقول له أبوه: فاليوم**) ظرف مقدم (**لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني**) أي لا تفضحني (**يوم يبعثون**) أي الخلائق (**فأي خزي**) في النهاية: هو الهلاك والوقوع في بلية. (**أخزى من أبي**) أي من خزي أبي (**الأبعد**) يريد البعد في المرتبة والالتحاق بأهل النار، أو الهالك من البعد بمعنى الهلاك، أو الأبعد من رحمة الله تعالى فإن الفاسق بعيد والكافر أبعد، ورحمة الله قريب من المحسنين وإلى الأنبياء والأولياء أقرب. قال الطيبي [رحمه

الحديث رقم ٥٥٣٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٤٩٢. حديث رقم ٤٧٦٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٦١ حديث رقم (٥٤ ـ ٢٨٠٦).

(١) في المخطوطة «ولكن». (٢) هذا اللفظ غير موجود في الصحيحين.

الحديث رقم ٥٥٣٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٨٧. حديث رقم ٣٣٥٠.

الكافرين. ثم يقال لإبراهيم: ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فيُلقى في النار». رواه البخاري.

٥٥٣٩ ـ (٨) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَعْرَقُ الناسُ يومَ القيامةِ حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعينَ ذراعاً ويُلجمهم حتى يبلغَ آذانهم». متفق عليه.

الله]: هو من أفعال الذي قطع عن متعلقه للمبالغة. (**فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال لإبراهيم: ما تحت رجليك**). وفي نسخة: انظر ما تحت رجليك. وما استفهامية أو موصولة. قال ابن الملك: ما استفهام خبره تحت، ويجوز كونه بمعنى الذي، أي انظر إلى الذي تحت رجليك. (**فينظر فإذا هو**) أي آزر (**بذيخ**) بكسر الذال المعجمة فتحتية ساكنة فخاء معجمة، وهو ذكر الضبع الكثير الشعر. وفي نسخة بموحدة ساكنة وحاء مهملة، وهو ما يذبح. (**متلطخ**) إما برجيعه أو بدمه، أو بالطين. (**فيؤخذ بقوائمه**) جمع قائمة وهو ما يقوم به الدواب بمثابة الأرجل للإنسان كذا ذكره شارح. ففيه تغليب إذ المراد أنه يؤخذ بيديه ورجليه. (**فيلقى**) أي فيطرح (**في النار**) أي في مقام الكفار فغير صورته ليكون تسلية لإبراهيم حتى لا يخزيه لو رآه قد ألقي في النار على صورته، فيكون خزياً وفضيحة على رؤوس الخلائق فغيره سترة لحاله في تقبيح مآله. قيل: هذا الحديث مخالف لظاهر قوله تعالى: ﴿**وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أن عدوّ لله تبرأ منه**﴾ [التوبة ـ ١١٤]. وأجيب بأنه اختلف في الوقت الذي تبرأ إبراهيم فيه من أبيه، فقيل: كان ذلك في الدنيا لما مات آزر مشركاً. وقيل: إنما تبرأ منه يوم القيامة لما أيس منه حين مسخ. ويمكن الجمع بين القولين بأنه تبرأ منه لما مات مشركاً فترك الاستغفار له، لكن لما رآه يوم القيامة أدركته الرأفة فسأل منه فلما رآه مسخ أيس منه وتبرأ تبرءاً أبدياً. وقيل: إن إبراهيم لم يتيقن بموته على الكفر لجواز أن يكون آمن في نفسه ولم يطلع إبراهيم ويكون وقت تبرئه منه بعد الحال التي وقعت في هذا الحديث. (**رواه البخاري**).

٥٥٣٩ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: يعرق**) بفتح الراء (**الناس**) أي جميعاً والجن بالأولى فتركه من باب الاكتفاء، والظاهر استثناء الأنبياء والأولياء. (**يوم القيامة**) أي في ابتداء أمره (**حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً**) قيل: سبب هذا العرق تراكم الأهوال وحصول الحياء والخجالة والندامة والملامة وتزاحم حر الشمس والنار كما جاء في رواية: إن جهنم تدير أهل المحشر فلا يكون إلى الجنة طريق إلا الصراط. (**ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم**) أي يصل العرق إليها وهي بالمد جمع أذن. قال شارح: أي إلى أفواههم، وسيأتي أن الناس مختلفون في أحوالهم على مراتب أعمالهم. (**متفق عليه**). وروى الطبراني عن ابن مسعود مرفوعاً: إن الرجل ليلجمه

الحديث رقم ٥٥٣٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٩٢. حديث رقم ٦٥٣٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٦. حديث رقم (٦١ ـ ٢٨٦٣). وأحمد في المسند ٢/ ٤١٨.

٥٥٤٠ ـ (٩) وعن المقداد، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «تُدْنَى الشمسُ يومَ القيامةِ من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميلٍ، فيكونُ الناسُ على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكونُ إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكونُ إلى حقويه، ومنهم من يُلجمهم العرق إلجاماً». وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه. رواه مسلم.

٥٥٤١ ـ (١٠) وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «يقول اللهُ تعالى: يا آدم! فيقول: لبَّيك وسعديك، والخير كله في يديك. قال:

العرق يوم القيامة فيقول: رب أرحني ولو إلى النار[١].

٥٥٤٠ ـ (وعن المقداد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تدنو الشمس) أي تقرب (يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم) أي الشمس والمراد جرمها (كمقدار ميل) تقديره حتى يكون مقدار قرب الشمس منهم مثل مقدار ميل، نظيره قوله تعالى: ﴿فكان قاب قوسين﴾ [النجم ـ ٩]. أي كان قرب رسول الله من جبريل أو من مكان القرب مثل مقدار قوسين. وفي شرح السنة قال سليم: لا أدري أي الميلين، يعني مسافة الأرض أو الميل الذي يكحل به العين. (فيكون الناس على قدر أعمالهم) أي السيئة (في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه) أي تقريباً فيقبل النقصان والزيادة (ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه) الحقو الخصر ومشد الإزار. (ومنهم من يلجمهم العرق إلجاماً. وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه) أي فمه. قال ابن الملك: إن قلت: إذا كان العرق كالبحر يلجم البعض فكيف يصل إلى كعب الآخر. قلنا: يجوز أن يخلق الله تعالى ارتفاعاً في الأرض تحت أقدام البعض، أو يقال: يمسك الله تعالى عرق كل انسان بحسب عمله فلا يصل إلى غيره منه شيء كما أمسك جرية البحر لموسى عليه [الصلاة]والسلام. قلت: المعتمد هو القول الأخير فإن أمر الآخرة كله على وفق خرق العادة، ألا ترى أن شخصين في قبر واحد يعذب أحدهما وينعم الآخر ولا يدري أحدهما عن غيره. ونظيره في الدنيا نائمان مختلفان في رؤياهما فيحزن أحدهما ويفرح الآخر. بل شخصان قاعدان في مكان واحد أحدهما في عليين والآخر في أسفل سافلين، أو أحدهما في صحة والآخر في وجع أو بلية. (رواه مسلم).

٥٥٤١ ـ (وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى) أي يوم القيامة كما في رواية البغوي (يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك والخير كله في يديك. قال:

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٢٢ حديث رقم ١٩٩٠.

الحديث رقم ٥٥٤٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٩٦. حديث رقم (٦٢ ـ ٢٨٦٤). والترمذي في السنن ٤/ ٥٣١ حديث رقم ٢٤٢١. وأحمد في المسند ٥/ ٢٥٤.

الحديث رقم ٥٥٤١: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٨٢. حديث رقم ٣٣٤٨. ومسلم في صحيحه ١/ ٢٠١ حديث رقم (٣٧٩ ـ ٢٢٢). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٣٠٢ حديث رقم ٣١٦٨.

أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ. قال: وما بَعْثُ النارِ؟ قال: من كلِّ ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةً وتسعينَ، فعندَه يشيبُ الصغيرُ، **﴿وتضعُ كلُّ ذاتِ حملٍ حملَها وترى الناسَ سكارى وما هم بسكارى ولكنَّ عذابَ اللهِ شديدٌ﴾**. قالوا: يا رسولَ اللهِ؟ وأيُّنا ذلكَ الواحدُ؟ قال: «أبشِروا

(أخرج) بفتح الهمزة وكسر الراء، أي أظهر وميز[1] من بين أولادك. **(بعث النار)** أي جمعاً يستحقون البعث إليها **(قال: وما بعث النار)** قيل: عطف على مقدر، أي سمعت وأطعت وما بعث النار، أي وما مقدار [مبعوث]النار، وقيل: ما بمعنى كم العددية. والأظهر أن الواو استئنافية تفيد الربط بين سابقها ولاحقها. **(قال:)** أي الله تعالى **(من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين)** قيل: يخالفه ما في حديث أبي هريرة: من كل مائة تسعة وتسعين. وأجاب الكرماني بأن مفهوم العدد مما لا اعتبار له والمقصود منه تقليل عدد المؤمنين وتكثير عدد الكافرين، ويمكن حمل حديث أبي سعيد على جميع ذرية آدم فيكون من كل ألف عشرة. ويقرب من ذلك أن يأجوج ومأجوج ذكروا في حديث أبي سعيد دون حديث أبي هريرة: ويحتمل أن يكون الأول يتعلق بالخلق أجمعين والثاني بخصوص هذه الأمة وأن يكون المراد ببعث النار الكفار ومن يدخل النار من العصاة، فيكون من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون كافراً ومن كل مائة تسعة وتسعون عاصياً وهذا هو الأظهر والله [تعالى]أعلم. **(فعنده)** أي عند هذا الحكم **(يشيب الصغير)** أي من الحزن الكثير والهم الكبير. وفي رواية البغوي: فحينئذ يشيب المولود. وظهور الشيب إما على الحقيقة أو على الفرض والتقدير وهذا هو الأظهر الملائم لقوله: (**﴿وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى﴾**) أي من الخوف (**﴿وما هم بسكارى﴾**) [أي] من الخمر (**﴿ولكن عذاب الله شديد﴾**) ثم اعلم أن هذا الحديث مقتبس من قوله تعالى: **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾**. أي احذروا بطاعته عقابه حتى ترجوا ثوابه. **﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾**. والزلزلة شدة الحركة على الحالة الهائلة واختلفوا فيها فقال علقمة والشعبي هي من أشراط الساعة قبل قيامها، وقال الحسن والسدي هي تكون يوم القيامة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: زلزلة الساعة قيامها فتكون معها **﴿يوم ترونها﴾**. أي الساعة أو الزلزلة **﴿تذهل كل مرضعة﴾** أي تشغل. **﴿عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها﴾** [الحج - ٢]. أي تسقط ولدها من هول ذلك اليوم. قال الحسن: تذهل المرضع عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها من غير تمام. وهذا بظاهره يؤيد قول من قال: إن هذه الزلزلة تكون في الدنيا لأن بعد البعث لا يكون حبل. ومن قال: تكون في القيامة. قال: هذا على وجه التعظيم للأمر لا على حقيقته كقولهم: أصابنا أمر يشيب فيه الوليد، يريد به شدته. **(قالوا: يا رسول الله وأينا ذلك الواحد)** ولما استعظموا ذلك الأمر واستشعروا الخوف منه **(قال:)** أي في جوابهم تسلية لفؤادهم **(أبشروا)** قال الطيبي [رحمه الله]: لا يخلو هذا الاستفهام من أن يكون مجرى على حقيقته أو يكون استعظاماً لذلك الحكم واستشعار خوف منه، فالأول يستدعي أن يجاب بأن ذلك الواحد فلان أو متصف بالصفة الفلانية، والثاني يستدعي أن يجاب بما يزيل ذلك الخوف رفقاً للناس. والثاني هو المراد لقوله:

---

(١) في المخطوطة «ميزه».

فإنَّ منكم رجلاً، ومن يأجوجَ ومأجوجَ ألفٌ».

ثمّ قال: «والذي نفسي بيده أرجو أن تكونوا رُبعَ أهلِ الجنّةِ» فكبَّرنا. فقال: «أرجو أن تكونوا ثُلثَ أهلِ الجنةِ» فكبَّرنا فقال: «أرجو أن تكونوا نصفَ أهلِ الجنّةِ». فكبَّرنا. قال: «ما أنتم في الناسِ إلاَّ كالشَّعرةِ السَّوداءِ في جلدِ ثورٍ أبيضَ، أو كشعرةٍ بيضاءَ في جلدِ ثورٍ أسوَدَ». متفق عليه.

أبشروا، وكأنه قال: وأينا من أمة محمد ذلك الناجي المفلح من بين سائر بني آدم. فقال: أبشروا. **(فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج)** بالألف ويهمز فيهما. **(ألف)** بالرفع في الأصول المصححة فالجملة حالية وقدم الجار لكون المبتدأ نكرة. وفي نسخة السيد عفيف الدين ألفاً بالنصب وهو الظاهر فإنه من باب العطف على معمولي عاملين مختلفين والمجرور مقدم. والمعنى: سيوجد بعدد كل رجل منكم ألف من يأجوج ومأجوج فحينئذ يكثر أهل الجنة. وفيه إشعار بأن أهل النار أكثر من أهل الجنة. ولعل أهلها يكثرون بوجود الملائكة المقربين والحور العين فصح معنى الحديث القدسي: «غلبت رحمتي غضبي»[1]. زاد البغوي قال: فقال الناس: الله أكبر. **(ثم قال: والذي نفسي بيده أرجو أن تكونوا)** أي أنتم أيها الصحابة أو أيها الأمة وهو الأظهر **(ربع أهل الجنة. فكبرنا)** التكبير للعجب والفرح التام والاستبشار والاستعظام **(فقال: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة. فكبرنا)** ولعله ﷺ درج الأمر لئلا تنقطع قلوبهم بالفرح الكثير دفعة، أو بالنظر إلى دخولهم في دفعات أو أوحي إليه وحياً بعد وحي فأخبر بما بشر. **(فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. فكبرنا)** قال الطيبي [رحمه الله]: في الحديث تنبيه على أن يأجوج ومأجوج داخلون في هذا الوعيد ودل بقوله: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. أن غير يأجوج ومأجوج من الأمم السالفة الفائتة للحصر أيضاً داخلون في الوعيد، فإذا وزع نصف أمة محمد ﷺ مع مثله من الأمم السالفة على هؤلاء يكون كالواحد من الألف، يدل عليه رواية الراوي: **(قال:)** أي النبي ﷺ. وفي نسخة صحيحة: فقال. **(ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود)** الظاهر أن أو للتخيير في التعبير وتحتمل الشك. قال الطيبي [رحمه الله]: وقولهم: الله أكبر مراراً ثلاثاً متعجبين استبشار منهم واستعظام لهذه النعمة العظمى والمنحة الكبرى، فيكون في هذا الاستعظام بعد ذلك الاستعظام إشارة إلى فوزهم بالبغية بعد اليأس منها. اهـ. ولعل ورود هذا الحديث قبل علمه ﷺ بأن أمته ثلثا أهل الجنة. إذ قد ورد أن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً ثمانون صفاً أمته ﷺ وأربعون سائر الأمم[2]. ويمكن أن يكونوا نصفاً بالنسبة إلى الداخلين أوّلاً. والأظهر أن هذا الحديث وقع مختصراً على ما سيأتي الحديث بطوله. **(متفق عليه)** ورواه النسائي. وفي المعالم روي عن عمران بن الحصين وأبي سعيد الخدري [رضي الله عنهما] أن

---

(١) البخاري في صحيحه ١٣/ ٥٥٢ حديث رقم ٧٥٥٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٠٨ حديث رقم ٢٧٥١.

(٢) الحاكم في المستدرك ١/ ٨٢ والترمذي في السنن الحديث رقم ٢٥٤٦. وكذلك أحمد وابن ماجه.

٥٥٤٢ ـ (١١) وعنه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يكشفُ ربُّنا عن ساقِهِ، فيسجدُ له كلُّ

هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلاً فنادى منادي رسول الله ﷺ فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله ﷺ فقرأها عليهم فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة. فلما أصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا قدراً والناس بين باك أو جالس حزين متفكرين. فقال رسول الله ﷺ: أتدرون أي يوم ذلك. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذلك يوم يقول الله عزَّ وجلَّ: يا آدم قم فابعث بعث النار من ولدك. قال: فيقول آدم: من كل كم كم. فيقول الله عزَّ وجلَّ: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحداً إلى الجنة. قال: فكبر ذلك على المسلمين وبكوا وقالوا: فمن ينجو إذاً يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: أبشروا وسددوا وقاربوا فإن معكم خليقتين ما كانتا في قوم إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا وحمدوا الله. ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا وحمدوا الله ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة، وإن أهل الجنة مائة وعشرون صفاً ثمانون منها أمتي. وما المسلمون في الكفار إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة، بل كالشعرة السوداء في الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود. ثم قال: ويدخل من أمتي سبعون ألفاً الجنة بغير حساب. فقال عمر [رضي الله تعالى عنه]: سبعون ألفاً. قال: نعم ومع كل واحد سبعون ألفاً. فقام عكاشة بن محيصن فقال: يا رسول الله ادع الله لي أن يجعلني منهم. فقال رسول الله ﷺ: أنت منهم. فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله لي أن يجعلني منهم. فقال: سبقك بها عكاشة.

٥٥٤٢ ـ **(وعنه)** أي عن أبي سعيد رضي الله عنه **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يكشف ربنا عن ساقه)** قال التوربشتي [رحمه الله]: مذهب أهل السلامة من السلف التورع من التعرض للقول في مثل هذا الحديث وهو الأمثل والأحوط. وقد تأوله جمع من العلماء بأن الكشف عن الساق مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب واستعماله فيها شائع ومنه قول الشاعر:

عجبت من نفسي ومن اشفاقها * ومن طرادي الطير عن أرزاقها

* في سنة قد كشفت عن ساقها *

ومنه قوله تعالى: ﴿**يوم يكشف عن ساق**﴾ [القلم ـ ٤٢]. أي عن شدة وتنكير الساق في الآية من دلائل هذا التأويل، ووجه تعريف الساق في الحديث دون الآية أن يقال: أضافها إلى الله تعالى تنبيهاً على أنها الشدة التي لا يجليها لوقتها إلا هو، أو على أنها هي التي ذكرها في كتابه. اهـ. وعند الحاكم عن ابن عباس في الآية: هو يوم كرب وشدة. وقال الخطابي: المعنى يكشف عن قدرته التي تكشف عن الشدة والكرب. وقيل: الأصل فيه أن يموت الولد في بطن الناقة فيدخل الرجل يده في رحمها فيأخذ بساقه ليخرجه، فهذا هو الكشف عن

الحديث رقم ٥٥٤٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/٦٦٣. حديث رقم ٤٩١٩ ومسلم في صحيحه ١/ ١٦٨ حديث رقم (٣٠٢ ـ ١٨٣).

مؤمنٍ ومؤمنة، ويبقى من كانَ يسجدُ في الدنيا رياءً وسُمعةً، فيذهبُ ليسجدَ فيعودُ ظهرُهُ طبقاً واحداً». متفق عليه.

٥٥٤٣ ـ (١٢) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليأتي الرجلُ العظيمُ السَّمينُ يومَ القيامةِ لا يزِنُ عندَ الله جَناحَ بعوضةٍ». وقال: «اقرؤوا **﴿فلا نُقيمُ لهم يومَ القيامةِ وزناً﴾**».

الساق، ثم استعمل في كل أمر فظيع. أقول: ويمكن أن يكون استعارة. وحاصله أن الله تعالى يأخذهم بالشدائد كمن يكشف عن ساقه بالتشمير عند دخوله في أمر خطير. (**فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة**) أي من كمال الشدة يقعون في السجدة طالبين رفعها بتلك القربة. وأخرج أبو يعلى بسند فيه ضعف عن أبي موسى مرفوعاً في قوله تعالى: **﴿يوم يكشف عن ساق﴾** قال: عن نور عظيم فيخرون له سجداً. فهذا يشعر بأنه تعالى يتجلى للناس تجلياً صورياً وبهذا ينحل الإشكال في كثير من أحاديث الصفات على ما قرره بعض مشايخنا والله [تعالى]أعلم. ثم المراد بالمؤمن والمؤمنة المخلص منهما ولذا قال: (**ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة**) أي نفاقاً وشهرة (**فيذهب**) أي يقصد ويشرع (**ليسجد فيعود**) أي يصير (**ظهره طبقاً واحداً**) أي عظماً بلا مفصل بحيث لا ينثني عند الرفع والخفض فلا يقدر والطبق فقار الظهر واحده طبقة، يعني صار فقاره واحداً فلا يقدر على الانحناء. والمعنى: إنه تعالى يكشف يوم القيامة عن شدة ترتفع دونها سواتر الامتحان فيتميز أهل الإخلاص والإيقان بالسجود عن أهل الريب والنفاق في اليوم الموعود وكما قال تعالى: **﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾** [القلم ـ ٤٢ و٤٣]. (**متفق عليه**) وأخرج الإسماعيلي الحديث بلفظ: يكشف عن ساق. قال: وهذا أصح لموافقة لفظ القرآن والله سبحانه [وتعالى] أعلم.

٥٥٤٣ ـ (**وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ليأتي الرجل العظيم**) أي جاهاً ومالاً أو لحماً وشحماً فيكون قوله: (**السمين**) عطف بيان له (**يوم القيامة لا يزن**) أي لا يعدل ولا يساوي (**عند الله جناح بعوضة**) أي لا يكون له عند الله قدر ومنزلة. تقول العرب: ما لفلان عندنا وزن، أي قدر لخسته ومنه حديث: لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى كافراً منها شربة ماء. (**وقال:**) أي النبي ﷺ، أو أبو هريرة (**اقرؤوا**) أي استشهاداً واعتضاداً (**﴿فلا نقيم لهم﴾**) أي للكفار (**﴿يوم القيامة وزناً﴾**)[1] قيل: مقداراً وحساباً واعتباراً. وقيل ميزاناً فالتقدير آلة الوزن إذ الكفار الخلص يدخلون النار بغير حساب، وإنما الميزان للمؤمنين الكاملين والمرائين والمنافقين والله سبحانه [وتعالى]أعلم. قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت:

الحديث رقم ٥٥٤٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/٤٢٦. حديث رقم ٤٧٢٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٤٧ حديث رقم (١٨ . ٢٧٨٥).

(١) سورة الكهف ـ آية رقم ١٠٥.

متفق عليه.

الفصل الثاني

٥٥٤٤ ـ (١٣) عن أبي هريرة، قال: قرأ رسولُ الله ﷺ هذه الآية: ﴿يومئذٍ تُحدِّثُ أخبارَها﴾ قال: «أتدرونَ ما أخبارُها؟» قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «فإنَّ أخبارَها أنْ تشهدَ على كلِّ عبدٍ وأَمَةٍ بما عُمِلَ على ظهرِها، أن تقول: عمِلَ عليَّ كذا وكذا، يومَ كذا وكذا». قال: «فهذِهِ أخبارُها». رواه أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريب.

كيف وجه صحة الاستشهاد بالآية، فإن المراد بالوزن في الحديث وزن الجثة ومقداره لقوله العظيم السمين وفي الآية، إما وزن الأعمال لقوله تعالى: ﴿فحبطت أعمالهم﴾ [الكهف ـ ١٠٥]. وإما مقدارهم. والمعنى: نزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار. قلت: الحديث من الوجه الثاني على سبيل الكفاية وذكر الجثة والعظم لا ينافي ارادة مقداره وتفخيمه قال تعالى: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وأن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة﴾ [المنافقون ـ ٤] (متفق عليه).

(الفصل الثاني)

٥٥٤٤ ـ (عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يومئذ تحدث﴾) أي الأرض (﴿أخبارها﴾[١]. قال: أتدرون ما أخبارها) بفتح الهمزة جمع خبر، وفي نسخة بكسرها على أنه مصدر أي تحديثها. (قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن أخبارها) بالوجهين (أن تشهد على كل عبد أو أمة) أي ذكر وأنثى (بما عمل) بفتح أوّله، أي فعل كل واحد. (على ظهرها) وفي نسخة بالضم على أن نائب الفاعل قوله: على ظهرها. (أن تقول) بدل بعض من أن تشهد أو بيان ويؤيده ما في رواية الجامع تقول بدون أن، أو خبر مبتدأ محذوف أي هي. يعني: شهادتها أن تقول. (عمل) أي فلان (علي) أي على ظهري (كذا وكذا) أي من الطاعة أو المعصية (يوم كذا وكذا) أي من شهر كذا وعام كذا (قال: فهذه) أي الشهادات أو المذكورات (أخبارها. رواه أحمد والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب). وكذا رواه عبد بن حميد والنسائي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان[٢].

الحديث رقم ٥٥٤٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٣٥ حديث رقم ٢٤٢٩. وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٤.

(١) سورة الزلزال. آية رقم ٤.

(٢) الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٣٢ والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس حديث رقم ٧٢٩٦.

٥٥٤٥ ـ (١٤) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما من أحد يموتُ إلا ندِمَ». قالوا: وما ندامتُه يا رسولَ الله؟ قال: «إنْ كان مُحسناً ندمَ أن لا يكونَ ازدادَ، وإنْ كان مُسيئاً ندمَ أن لا يكون نزعَ». رواه الترمذيُّ.

٥٥٤٦ ـ (١٥) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُحشرُ الناسُ يومَ القيامة ثلاثة أصنافٍ: صنفاً مشاةً، وصنفاً رُكباناً، وصنفاً على وُجوهِهِم» قيل: يا رسولَ الله! وكيفَ يمشون على وجوهِهِم؟ قال: «إنَّ الذي أمشاهُم على أقدامِهِم قادرٌ على أنْ يُمشِيَهم على وجوهِهِم، أما إنَّهم يتَّقونَ بوُجوهِهم كلَّ حدَبٍ وشوكٍ».

٥٥٤٥ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة (**قال: قال رسول الله ﷺ: ما من أحد يموت إلا ندم**) أي فاغتنموا الحياة قبل الموت واستبقوا الخيرات قبل الفوت. (**قالوا: وما ندامته**) أي ما وجه تأسف كل أحد وملامته يا رسول الله (**قال: إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد**) أي خيراً أو براً (**وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع**) أي كف نفسه عن الإساءة (**رواه الترمذي**).

٥٥٤٦ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة (**قال: قال رسول الله ﷺ: يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف**) وفي نسخة على ثلاثة أصناف، ويؤيد الأول قوله: (**صنفاً مشاة**) بضم الميم جمع ماش وهم المؤمنون الذين خلطوا صالح أعمالهم بسيئها. (**وصنفاً ركباناً**) أي على النوق وهو بضم الراء جمع راكب وهم السابقون الكاملون الإيمان. وإنما بدأ بالمشاة جبراً لخاطرهم كما قيل في قوله تعالى: ﴿**فمنهم ظالم لنفسه**﴾ [فاطر ـ ٣٢]. وفي قوله سبحانه: ﴿**يهب لمن يشاء إناثاً**﴾ [الشورى ـ ٤٩]. أو لأنهم المحتاجون إلى المغفرة أوّلاً أو لإرادة الترقي وهو ظاهر. وقال التوربشتي [رحمه الله]: فإن قيل: لم بدأ بالمشاة بالذكر قبل أولي السابقة. قلنا: لأنهم هم الأكثرون من أهل الإيمان. (**وصنفاً على وجوههم**) أي يمشون عليها وهم الكفار (**قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم**) أي يمشون عليها وهم الكفار (**قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم**) أي والعادة أن يمشى على الأرجل (**قال: إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم**) يعني وقد أخبر في كتابه بقوله: ﴿**الذين يحشرون على وجوههم**﴾ [الفرقان ـ ٣٤]. وأخباره حق ووعده صدق وهو على كل شيء قدير فلا ينبغي أن يستبعد مثل ذلك. (**أما**) بالتخفيف للتنبيه (**إنهم**) أي الكفار (**يتقون**) أي يحترزون ويدفعون (**بوجوههم كل حدب**) أي مكان مرتفع (**وشوك**) أي ونحوه من أنواع ما يتأذى به. والمعنى أن وجوههم واقية لأبدانهم من جميع الأذى لأجل أن غلت أيديهم وأرجلهم، والأمر في الدنيا على عكس ذلك وإنما كان كذلك لأن الوجه الذي هو أعز الأعضاء لم يضعه ساجداً على التراب وعدل عنه تكبراً فجعل أمره على العكس. قال القاضي [رحمه الله]: قوله: يتقون بوجوههم، يريد به بيان هو أنهم واضطرارهم إلى حد جعلوا وجوههم مكان الأيدي والأرجل

الحديث رقم ٥٥٤٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٢٢ حديث رقم ٢٤٠٣. والنسائي في السنن ٤/ ٢ حديث رقم ١٨١٨. والدارمي في السنن ٢/ ٤٠٣ حديث رقم ٢٧٥٨. وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٣.

الحديث رقم ٥٥٤٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٨٥ حديث رقم ٣١٤٢. وأحمد في المسند ٢/ ٣٥٤.

رواه الترمذي.

٥٥٤٧ - (١٦) وعن ابنِ عمَرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامةِ كأنّه رأيُ عينٍ فليَقرأ: ﴿إذا الشَّمسُ كُوِّرَتْ﴾ و ﴿إذا السَّماءُ انفطرَتْ﴾ و ﴿إذا السَّماءُ انشقَّتْ﴾». رواه أحمد، والترمذيُّ.

الفصل الثالث

٥٥٤٨ - (١٧) عن أبي ذرّ، قال: إنَّ الصادقَ المصْدوقَ ﷺ حدَّثني: «إنَّ النَّاسَ يُحشرونَ

في التوقي عن مؤذيات الطرق والمشي إلى المقصد لما لم يجعلوها ساجدة لمن خلقها وصوّرها. ومما يناسب المقام ما يحكى أنه رؤي بعض الأغنياء أنه يسعى بين الصفا والمروة على بغلة بطريق الخيلاء، ثم رؤي في بعض البادية والصحراء أنه يمشي فقيل له في ذلك فقال: لما ركبنا في محل المشي عاقبنا الله بأن نمشي في محل الركوب. هذا وقد قال تعالى: ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة﴾ [الزمر - ٢٤]. وفسروا بأنه يلقى الكافر مقلوباً في النار فلا يقدر أن يدفع عن نفسه النار إلا بوجهه. (رواه الترمذي) وكذا أبو داود وابن جرير وابن مردويه والبيهقي في البعث وحسنه الترمذي رحمهم الله.

٥٥٤٧ - (وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من سره) أي أعجبه (أن ينظر إلى يوم القيامة) أي أحواله وأن يطلع في أهواله (كأنه رأي عين) أي فيترقى من علم اليقين إلى عين اليقين (فليقرأ: ﴿إذا الشمس كورت﴾) أي لفت وألقيت في النار. وقال القاضي رحمه الله: أي لفت بمعنى رفعت، أو لف ضوؤها أو ألقيت عن فلكها. في الدر عن ابن عباس: أي أظلمت، وعن أبي صالح نكست. (و﴿إذا السماء انفطرت﴾) أي انشقت (و﴿إذا السماء انشقت﴾) أي انصدعت، والمراد هذه السور فإنها مشتملة على ذكر أحوال يوم القيامة وأهواله. (رواه أحمد والترمذي) وكذا ابن المنذر والطبراني وحسنه الترمذي والحاكم[1] وصححه وابن مردويه.

(الفصل الثالث)

٥٥٤٨ - (عن أبي ذر رضي الله عنه قال: إن الصادق المصدوق حدثني أن الناس يحشرون

الحديث رقم ٥٥٤٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٤٠٣ حديث رقم ٣٣٣٣. وأحمد في المسند ٢/١٠٠.

(١) الحاكم في المستدرك ٢/٥٧٦.

الحديث رقم ٥٥٤٨: أخرجه النسائي في السنن ٤/١١٦ حديث رقم ٢٠٨٦.

ثلاثةَ أفواجٍ: فوجاً راكبينَ طاعمينَ كاسِينَ، وفوجاً تسحبُهم الملائكةُ على وُجوهِهِم وتحشرُهم النارَ، وفوجاً يمشونَ ويسعونَ ويُلقي اللّهُ الآفةَ على الظهرِ، فلا يبقى، حتى إنَّ الرجلَ لتكونُ له الحديقةُ يعطِيها بذاتِ القَتَبِ لا يقدر عليها». رواه النسائي.

ثلاثة أفواج) قال الطيبي [رحمه الله]: المراد بالحشر هنا ما في قوله ﷺ: أوّل أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب[1]. وقوله: ستخرج نار من نحو حضرموت تحشر الناس. قلنا: يا رسول الله فما تأمرنا. قال: عليكم بالشام[2]. (فوجاً) وهم السابقون من المؤمنين الكاملين. (راكبين طاعمين كاسين) قال الطيبي [رحمه الله]: هو عبارة عن كونهم مرفهين لاستعدادهم ما يبلغهم إلى المقصد من الزاد والراحلة. (وفوجاً) وهم الكفار (يسحبهم) بفتح الحاء، أي يجرهم. (الملائكة على وجوههم) وهو إما على حقيقته وإما كناية عن كمال هوانهم وذلهم، والأوّل أظهر لدلالة السياق واللحاق. (وتحشر النار) بنصب النار في أصل السيد وأكثر النسخ، وفي نسخة برفعها. وفي نسخة صحيحة: وتحشرهم النار. بالضمير مع نصب النار على نزع الخافض أي إليها، ومع رفعها على الفاعلية. قال الطيبي [رحمه الله]: أي تحشر الملائكة لهم النار وتلزمهم إياها حتى لا تفارقهم أين باتوا وأين قالوا وأصبحوا، ويصح أن ترفع النار أي وتحشرهم النار. (وفوجاً) وهم المؤمنون المذنبون (يمشون ويسعون) أي ويسرعون لا أنهم يمشون بسكينة وراحة. (ويلقي الله الآفة على الظهر) أي على المركوب تسمية بما هو المقصود منه وتعبيراً عن الكل بالجزء. (فلا يبقى) أي ظهر وفي نسخة بالتأنيث أي دابة. وفي نسخة بضم أوّله، أي فلا تبقي الآفة دابة. (حتى أن الرجل لتكون له الحديقة) أي البستان (يعطيها بذات القتب) أي بعوضها وبدلها وهو بفتح القاف والتاء للجمل كالأكاف لغيره. (لا يقدر) أي أحد (عليها) أي على ذات القتب لعزة وجودها. وهذا صريح في أن المراد بالحشر في هذا الحديث ليس حشر القيامة. قال الطيبي [رحمه الله]: فبقي أن يقال لم ذكر المؤلف هذا الحديث في باب الحشر، وهذا محل ذكره باب أشراط الساعة. قلنا: تأسياً بمحيي السنة. والعجب أن محيي السنة حمل الحديث على ما ذهب إليه الخطابي حيث قال: وهذا الحشر قبل قيام الساعة وإنما يكون ذلك إلى الشام أحياء، فأما الحشر بعد البعث من القبور فعلى خلاف هذه الصفة من ركوب الإبل والمعاقبة عليها، وإنما هو كما أخبر أنهم يبعثون حفاة عراة وأورده في هذا الباب. اهـ. وتقدم الجواب على وجه الصواب في كلام التوربشتي [رحمه الله]في حديث أبي هريرة أوّل الباب. والحاصل أن ركوب بعض الخواص من الأنبياء والأولياء ثابت في الحشر بعد البعث أيضاً وأن حديث: يبعثون حفاة عراة. بناء على أكثر الخلق أو نظراً إلى ابتداء الأمر والله [تعالى]أعلم. (رواه النسائي) وفي الدر المنثور أخرج أحمد والنسائي والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي ذر أنه تلا هذه الآية: ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم﴾ [الاسراء ـ ٩٧]. فقال: حدثني الصادق

---

(١) راجع الحديث رقم (٥٤٤٧).

(٢) أحمد في المسند ٢/ ٦٩. والترمذي في السنن الحديث رقم ٢٢١٧.

(٣) باب الحساب والقصاص والميزان

الفصل الأول

٥٥٤٩ ـ (١) عن عائشة، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ليسَ أحدٌ يُحاسَبُ يومَ القيامةِ إلا هلَكَ». قلتُ: أوَ ليسَ يقولُ اللهُ: ﴿فسوفَ يُحاسبُ حساباً يسيراً﴾ فقال: «إنما ذلكِ العرضُ؛ ولكنْ مَن نُوقشَ في الحسابِ يهلكْ».

المصدوق أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج: فوج طاعمين كاسين راكبين وفوج يمشون ويسعون وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم[١]. اهـ. فهذا الحديث صريح بأن الحشر حشر يوم القيامة لتصريحه في الآية والحديث بيوم القيامة، ويؤيده سحب الملائكة إياهم على وجوههم فالوجه الوجيه ما اختاره شيخنا التوربشتي [رحمه الله]، لا ما أخطأ الخطابي حيث لم يدركه هذا المدرك وإنما جاء الآفة من قول أبي ذر في هذا الحديث على رواية أصل الكتاب زيادة على ما في رواية الجامع: ويلقي الله الآفة. ويمكن دفعه بأن يقال هذا حديث آخر أدرجه معه وأدمجه فيه بأدنى مناسبة، فينبغي أن يحمل على المسامحة والله [تعالى]أعلم.

(باب الحساب والقصاص والميزان)

الحساب بمعنى المحاسبة والقصاص على ما في النهاية اسم من قصة الحاكم، يقصه إذا مكنه من أخذ القصاص وهو أن يفعل به مثل ما فعله من قتل أو قطع أو ضرب أو جرح.

(الفصل الأوّل)

٥٥٤٩ ـ (عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك) أي على تقدير المناقشة، والمراد بالهلاك العذاب. **(قلت: أو ليس يقول الله:)** أي في حق أهل النجاة (**﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾**)[٢] وتمامه: **﴿وينقلب إلى أهله مسرورا﴾** [الانشقاق ـ ٩]. **(فقال: إنما ذلك العرض)** بكسر الكاف وجوز الفتح على خطاب العام أو تعظيماً لها. والمعنى: إنما ذلك الحساب اليسير في قوله تعالى عرض عمله لا الحساب على وجه المناقشة. **(ولكن من نوقش في الحساب يهلك)** بالرفع وفي نسخة بالجزم، أي يعذب. قال صاحب الفائق: يقال: ناقشه الحساب إذا عاسره فيه واستقصى فلم يترك قليلاً ولا كثيراً.

---

(١) أحمد في المسند ٥/ ١٦٤ والحاكم في المستدرك ٤/ ٥٦٤.

الحديث رقم ٥٥٤٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤٠٠. حديث رقم ٦٥٣٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٠٤ حديث رقم (٧٩ . ٢٨٧٦). والترمذي في السنن ٤/ ٥٣٣ حديث رقم ٢٤٢٦. وأحمد في المسند ٦/ ٢٠٦.

(٢) سورة الانشقاق ـ آية رقم ٨.

متفق عليه.

٥٥٥٠ ـ (٢) وعن عديّ بن حاتم، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا سيكلِّمُه ربُّه، ليسَ بينَه وبينَه ترجمانٌ ولا حجابٌ يحجبُه، فينظرُ أيمنَ منه فلا يرى إلا ما قدَّمَ من عمله، وينظرُ أشأمَ منه فلا يرى إلا ما قدَّمَ،

وحاصله أن المراد بالمناقشة الاستقصاء في المحاسبة والاستيفاء بالمطالبة وترك المسامحة في الجليل والحقير والقليل والكثير. ووجه المعارضة أن لفظ الحديث عام في تعذيب كل من حوسب، ولفظ الآية دال على أن بعضهم لا يعذب. وطريق الجمع أن المراد بالحساب في الآية إنما هو العرض وهو إبراز الأعمال وإظهارها فيقر صاحبها بذنوبه ثم يتجاوز عنها لإظهار الفضل، كما أن المناقشة لبيان ظهور العدل. **(متفق عليه)** ورواه أحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن المنذر وابن مردويه. وأخرج البزار والطبراني في الأوسط وابن عدي والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاث من كن فيه يحاسبه الله حساباً يسيراً وأدخله الجنة برحمته: تعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك[١]. وفي الجامع الصغير: من نوقش [في الحساب عذب. رواه الشيخان عن عائشة مرفوعاً، ورواه الطبراني عن ابن الزبير ولفظه: من نوقش المحاسبة هلك][٢].

٥٥٥٠ ـ **(وعن عدي بن حاتم)** بكسر التاء **(قال: قال رسول الله ﷺ: ما منكم من أحد)** من مزيدة لاستغراق النفي والخطاب للمؤمنين **(إلا سيكلمه ربه)** أي بلا واسطة والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال. **(ليس بينه وبينه)** أي بين الرب والعبد **(ترجمان)** بفتح الفوقية وسكون الراء وضم الجيم، ويجوز ضمه اتباعاً على ما في نسخة، وكزعفران على ما في القاموس أي مفسر للكلام بلغة عن لغة. يقال: ترجمت عنه، والفعل يدل على أصالة التاء. وفي التهذيب التاء أصلية وليست بزائدة والكلمة رباعية. **(ولا حجاب)** أي حاجز وساتر ومانع بينه وبينه. **(يحجبه)** أي يحجب ذلك العبد من ربه **(فينظر)** أي ذلك العبد **(أيمن منه)** أي من ذلك الموقف. وقال شارح: ضمير منه راجع إلى العبد. قلت: والمآل واحد، والمعنى ينظر في الجانب الذي على يمينه. **(فلا يرى إلا ما قدم من عمله)** أي عمله الصالح مصوراً أو جزاءه مقدراً **(وينظر أشأم منه)** أي في الجانب الذي في شماله **(فلا يرى إلا ما قدم)** أي من عمله السيىء. والحاصل أن

---

(١) الحاكم في المستدرك ٢/ ٥١٨.

(٢) الحديث الأول ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٤٥ حديث رقم ٩٠٦٨. وقد أخرجه الشيخان البخاري في صحيحه ١٠/ ١٩٧ حديث رقم ١٠٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٠٤ حديث رقم ٢٨٧٦. والثاني ذكره في نفس المصدر حديث رقم ٩٠٦٧.

الحديث رقم ٥٥٥٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤٠٠. حديث رقم ٦٥٣٩. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٠٣ حديث رقم (٦٧ ـ ١٠١٦) والترمذي في السنن ٤/ ٥٢٨ حديث رقم ٢٤١٥. وابن ماجه في السنن ١/ ٦٦ حديث رقم ١٨٥. وأحمد في المسند ٤/ ٣٧٧.

وينظرُ بينَ يديه فلا يرى إلا النارَ تِلقاءَ وجهِه، فاتَّقوا النارَ ولو بشقِّ تمرة». متفق عليه.

٥٥٥١ ـ (٣) وعن ابنِ عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ يُدني المؤمنَ فيضعُ عليه كنَفَه ويستُرُه، فيقولُ: أتعرفُ ذنبَ كذا؟ أتعرفُ ذنبَ كذا؟

النصب في أيمن وأشأم على الظرفية والمراد بهما اليمين والشمال. فقيل: نظر اليمين والشمال هنا كالمثل لأن الإنسان من شأنه إذا دهمه[1] أمر أن يلتفت يميناً وشمالاً لطلب الغوث. وقال الحافظ العسقلاني: ويحتمل أن يكون سبب الالتفات أنه يترجى أن يجد طريقاً يذهب فيها لتحصل له[2] النجاة من النار، فلا يرى إلا ما يفضي إلى النار. **(وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه)** أي في محاذاته وعليها الصراط **(فاتقوا النار)** أي إذا عرفتم ذلك فاحذروا منها ولا تظلموا أحداً **(ولو بشق تمرة)** أو فتصدقوا ولو بشق تمرة، أي ولو بمقدار نصفها أو بعضها، والمعنى: ولو بشيء يسير منها أو من غيرها فإنه حجاب وحاجز بينكم وبين النار، فإن الصدقة جنة ووسيلة إلى الجنة[3]. **(متفق عليه)** وفي الجامع: اتقوا النار ولو بشق تمرة، رواه الشيخان والنسائي عن عدي بن حاتم، وأحمد عن عائشة والبزار والطبراني في الأوسط، والضياء عن أنس والبزار أيضاً عن النعمان بن بشير، وعن أبي هريرة والطبراني في الكبير عن ابن عباس وعن أبي أمامة. ورواه أحمد والشيخان عن عدي مرفوعاً: اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة[4].

٥٥٥١ ـ **(وعن ابن عمر رضي الله عنهما [قال:]قال رسول الله ﷺ: إن الله يدني المؤمن)** بضم الياء، أي يقربه قرب كرامة لا قرب مسافة فإنه سبحانه يتعالى عن ذلك، والمؤمن في المعنى كالنكرة إذ لا عهد في الخارج ولا بعد أن يراد به الجنس. **(فيضع عليه كنفه)** بفتحتين، أي يحفظه مستعار من كنف الطائر وهو جناحه لأنه يحيط به نفسه ويصون به بيضه. **(ويستره)** أي عن أهل الموقف كيلا يفتضح. وقيل: أي يظهر عنايته عليه ويصونه عن الخزي بين أهل الموقف **(كما يضع أحدكم كنف ثوبه)** أي طرفه **(على رجل)** إذا أراد صيانته وقصد حمايته، وهذا تمثيل. قيل: هذا في عبد لم يغتب ولم يعب ولم يفضح أحداً ولم يشمت بفضيحة مسلم، بل ستر على عباد الله الصالحين ولم يدع أحداً يهتك عرض أحد حي على ملأ من الناس فستره الله وجعله تحت كنف حمايته جزاء وفاقاً من جنس عمله. **(فيقول: أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا)** في التكرير إشارة إلى التكثير وإيماء إلى أنه عالم بما في الضمير.

---

(١) في المخطوطة «وهمه».

(٢) في المخطوطة «ليحصل». (٣) في المخطوطة «جنته».

(٤) الجامع الصغير ١/ ١٦ حديث رقم ١٤٣ وحديث رقم ١٤٤.

الحديث رقم ٥٥٥١: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٩٦. حديث رقم ٢٤٤١. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٢٠ حديث رقم (٥٢ ـ ٢٧٦٨). وأحمد في المسند ٢/ ١٠٥.

فيقولُ: نعمْ أيْ ربِّ! حتى قرَّره بذنوبِه، ورأى في نفسِه أنه قد هلَك. قال: سترتُها عليكَ في الدنيا، وأنا أغفرُها لكَ اليومَ، فيُعطى كتابَ حسناتِه. وأمَّا الكفَّارُ والمنافقونَ فيُنادى بِهم على رؤوسِ الخلائقِ: ﴿هؤلاءِ الذينَ كذبوا على ربِّهم ألا لعنةُ اللَّهِ على الظالمينَ﴾». متفق عليه.

٥٥٥٢ - (٤) وعن أبي موسى، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا كانَ يومُ القيامةِ دفعَ اللَّهُ إلى كلِّ مسلمٍ يهوديًّا أو نصرانيًّا، فيقولُ: هذا فكاكُكَ منَ النارِ». رواه مسلم.

(**فيقول: نعم أي رب، حتى قرره بذنوبه**) أي جعله مقراً بها بأن أظهرها له وألجأه إلى الإقرار بها. (**ورأى في نفسه**) أي ظن المؤمن في باطنه (**أنه قد هلك**) أي مع الهالكين وليس له طريق مع الناجين. وقال شارح: أي علم [الله]في ذاته أنه هلك أي المؤمن. ويجوز كون ضمير رأى للمؤمن والواو للحال. (**قال:**) أي الله تعالى (**سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته**). أي بيمينه (**وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم**) بصيغة المجهول (**على رؤوس الخلائق. ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾**) أي بإثبات الشريك ونحوه. (**﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾**)[1] أي المشركين والمنافقين (**متفق عليه**).

٥٥٥٢ - (**وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ**: إذا كان يوم القيامة) بالرفع، أي وقع وحصل. وفي نسخة بالنصب، أي إذا كان الزمان يوم القيامة. (**دفع الله إلى كل مسلم**) أي موصوف بالإسلام مذكراً كان أو مؤنثاً (**يهودياً أو نصرانيا**) أي واحداً من أهل الكتاب، فأو للتنويع. (**فيقول:**) أي الله [تعالى](**هذا**) أي الكتابي (**فكاكك**) بفتح الفاء ويكسر أي خلاصك. (**من النار**) قال التوربشتي [رحمه الله]: فكاك الرهن ما يفك به ويخلص والكسر لغة فيه. قال القاضي [رحمه الله]: لما كان لكل مكلف مقعد من الجنة ومقعد من النار فمن آمن حق الإيمان بدل مقعده من النار بمقعد من الجنة ومن لم يؤمن فبالعكس كانت الكفرة كالخلف للمؤمنين في مقاعدهم من النار والنائب منابهم فيها. وأيضاً لما سبق القسم الإلهي بملء جهنم كان ملؤها من الكفار خلاصاً للمؤمنين ونجاة لهم من النار فهم في ذلك للمؤمنين كالفداء والفكاك. ولعل تخصيص اليهود والنصارى بالذكر لاشتهارهما بمضادة المسلمين ومقابلتهما إياهم في تصديق الرسول المقتضي لنجاتهم. اهـ. وقيل: عبر عن ذلك بالفكاك تارة وبالفداء أخرى على وجه المجاز والاتساع، إذ لم يرد به تعذيب الكتابي بذنب المسلم لقوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [فاطر - ١٨]. (**رواه مسلم**) وفي الجامع رواه مسلم عن أبي موسى بلفظ: إذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى كل رجل من هذه الأمة رجلاً من الكفار. فيقال له: هذا فداؤك من النار. ورواه الطبراني في الكبير، والحاكم في الكنى عن أبي موسى

---

(١) سورة هود. آية رقم ١٨.

الحديث رقم ٥٥٥٢: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١١٩ حديث رقم (٤٩ - ٢٧٦٧) وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣٢ حديث رقم ٤٢٨٥.

٥٥٥٣ ـ (٥) وعن أبي سعيد، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُجاءُ بنوحٍ يومَ القيامةِ، فيُقالُ له: هل بلَّغتَ؟ فيقولُ: نعمْ، يا ربِّ! فتُسألُ أمتُه: هل بلَّغَكم؟ فيقولونَ: ما جاءَنا مِنْ نذيرٍ. فيُقالُ: مَن شهودُكَ؟ فيقولُ: محمَّدٌ وأُمَّتُه». فقالَ رسولُ الله ﷺ: «فيُجاءُ بكمْ فتشهدونَ أنَّه قد بلَّغَ» ثُمَّ قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿**وكذلكَ جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداءَ على النَّاسِ ويكونَ الرسولُ عليكم شهيداً**﴾».

ولفظه: إذا كان يوم القيامة بعث الله تعالى إلى كل مؤمن ملكاً معه كافر فيقول الملك للمؤمن: يا مؤمن هاك هذا الكافر فهذا فداؤك من النار(١).

٥٥٥٣ ـ **(وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يجاء)** أي يؤتى **(بنوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت. فيقول: نعم يا رب)** وهذا لا ينافي قوله تعالى: ﴿**يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب**﴾ [المائدة ـ ١٠٩]. لأن الإجابة غير التبليغ وهي تحتاج إلى تفصيل لا يحيط بكنهه إلا علمه سبحانه، بخلاف نفس التبليغ لأنه من العلوم الضرورية البديهية. **(فتسأل أمته:)** أي أمة الدعوة **(هل بلغكم)** أي نوح رسالتها **(فيقولون: ما جاءنا من نذير)** أي منذر لا هو ولا غيره مبالغة في الإنكار توهماً أنه ينفعهم الكذب في ذلك اليوم عن الخلاص من النار، ونظيره قول جماعة من الكفار: ﴿**والله ربنا ما كنا مشركين**﴾ [الأنعام ـ ٢٣]. **(فيقال:)** أي لنوح **(من شهودك)** وإنما طلب الله من نوح شهداء على تبليغه الرسالة أمته وهو أعلم به إقامة للحاجة وإنافة لمنزلة أكابر هذه الأمة. **(فيقول: محمد وأمته)** والمعنى: أن أمته شهداء وهو مزك لهم. وقدم في الذكر للتعظيم ولا يبعد أنه ﷺ يشهد لنوح عليه [الصلاة]والسلام أيضاً لأنه محل النصرة وقد قال تعالى: ﴿**وإذا أخذ الله ميثاق النبيين**﴾ إلى قوله: ﴿**لتؤمنن به ولتنصرنه**﴾ [آل عمران ـ ٨١]. **(فقال رسول الله ﷺ: فيجاء بكم)** وفيه تنبيه نبيه أنه ﷺ حاضر ناظر في ذلك العرض الأكبر فيؤتى بالرسل وأولهم نوح ويؤتى بشهوده وهم هذه الأمة. **(فتشهدون)** أي أنتم **(أنه)** أي أن نوحاً **(قد بلغ)** أي [قومه]رسالة ربه ونبيكم مزك لكم، أو أنتم ونبيكم معكم تشهدون ففيه تغليب. **(ثم قرأ رسول الله ﷺ:)** استشهاداً بالآية الدالة على العموم في مادة الخصوص **(﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾)** قيل: أي عدولاً وخياراً لأنهم لم يغلوا غلو النصارى ولا قصروا تقصير اليهود في حق أنبيائهم بالتكذيب والقتل والصلب. وقد صح عنه ﷺ تفسير الوسط بالعدل. ففي النهاية يقال: هو من وسط قومه، أي خيارهم. **(﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾)** أي على من قبلكم من الكفار. **(﴿ويكون الرسول﴾)** أي رسولكم واللام للعوض أو اللام للعهد، والمراد به محمد ﷺ. **(﴿عليكم شهيداً﴾)**(٢) أي مطلعاً ورقيباً عليكم وناظراً لأفعالكم ومزكياً لأقوالكم.

---

(١) الجامع الصغير الحديث رقم ٨٢٠ والحديث رقم ٨٢١.

الحديث رقم ٥٥٥٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٧١. حديث رقم ٣٣٣٩.

(٢) البقرة. آية رقم ١٤٣.

رواه البخاري.

٥٥٥٤ ـ (٦) وعن أنس، قال: كنّا عندَ رسول الله ﷺ فضحك، فقال: «هل تدرون ممّا أضحكُ؟». قال: قلنا: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «من مُخاطبةِ العبدِ ربَّه، يقول: يا ربِّ! ألَم تُجِرني منَ الظُّلمِ؟» قال: «يقول: بلى». قال: «فيقول: فإني لا أُجيزُ على نفسي إلاّ شاهداً مني».

قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: كيف قال محمد وأمته وقد قال تعالى: ﴿**لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾. مقدماً صلة الشهادة ليفيد اختصاصهم بشهادته عليهم للزوم المضرة. قلت: الكلام وارد في مدح الأمة فالغرض هنا أنه يزكيهم فضمن شهد معنى رقب لأن العدول تحتاج[1] إلى رقيب يحفظ أحوالهم ليطلع عليها ظاهراً وباطناً فيزكيهم. ولما كانوا هم العدول من بين سائر الأمم خصهم الله بكون الرسول عليهم شهيداً أي رقيباً مزكياً. وهذا لا يدل على أنه لا يشهد على سائر الأمم مع أن مزكي الشاهد أيضاً شاهد. أقول: الأظهر أن معنى الآية هو أن الأمة يشهدون على الأمم السابقة وأنه ﷺ يشهد على هذه الأمة وأن الأنبياء بأجمعهم يشهدون على الكل والله سبحانه [وتعالى]أعلم. ويؤيده ما أخرجه ابن جرير عن أبي سعيد في قوله: ﴿**لتكونوا شهداء على الناس**﴾. بأن الرسل قد بلغوا ويكون الرسول عليكم شهيداً بما علمتم. (**رواه البخاري**) وكذا الترمذي والنسائي وأحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات. وأخرج سعيد بن منصور وأحمد والنسائي وابن ماجه والبيهقي في البعث والنشور عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعي قومه فيقال لهم: هل بلغكم هذا فيقولون: لا. فيقال له: هل بلغت. فيقول: نعم. فيقال: من يشهد لك. فيقول: محمد وأمته. فيدعي محمد وأمته فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه فيقولون: نعم. فيقال: وما علمكم. فيقولون: جاء نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً**﴾ الآية[2]. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر عن النبي ﷺ قال: أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد إلا وداده منا وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه.

٥٥٥٤ ـ (وعن أنس قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: هل تدرون مما أضحك). فيه إيماء إلى أنه لا ينبغي الضحك إلا لأمر غريب وحكم عجيب. (**قال:**) أي جابر (**قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني**) من الاجارة، أي ألم تجعلني في اجارة منك بقولك: وما ربك بظلام للعبيد. (**من الظلم**) والمعنى: ألم تؤمني من

---

(١) في المخطوطة «يحتاج».

(٢) أحمد في المسند ٣/٥٨. وابن ماجه في السنن الحديث رقم ٤٢٨٤.

الحديث رقم ٥٥٥٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٨٠ حديث رقم (١٧ ـ ٢٩٦٩).

قال: «فيقول: كفى بنفسِكَ اليومَ عليكَ شهيداً وبالكِرامِ الكاتبينَ شهوداً». قال: «فيُختمُ على فيه، فيقال لأركانه: انطقي». قال: «فتنطقُ بأعماله ثمّ يُخلّى بينه وبينَ الكلام». قال: «فيقول: بُعداً لكُنّ وسُحقاً، فعنكنّ كنتُ أُناضلُ». رواه مسلم.

أن تظلم علي. (قال:) أي النبي ﷺ (يقول:) أي الله تعالى في جواب العبد (بلى. قال: فيقول: فإني) أي فإذا أجرتني من الظلم فإني (لا أجيز) بالزاي المعجمة، أي لا أجوز ولا أقبل. (على نفسي إلا شاهداً مني) أي من جنسي لأن الملائكة شهدوا علينا بالفساد قبل الايجاد. (قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً) نصبه على الحال وعليك معموله تقدم عليه للاهتمام والاختصاص والباء زائدة في فاعل كفى واليوم ظرف له، أو لشهيد. (وبالكرام) أي وكفى بالعدول المكرمين. (الكاتبين) أي لصحف الأعمال (شهوداً) قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: دل أداة الحصر على أن لا يشهد [عليه] غيره فكيف أجاب بقوله: كفى بنفسك وبالكرام الكاتبين. قلت: بذل مطلوبه وزاد عليه تأكيداً وتقريراً (قال: فيختم) بصيغة المجهول (على فيه) أي فمه ومنه قوله تعالى: ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ [يس - ٦٥]. وفي آية أخرى: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ [النور - ٢٤]. وفي رواية أخرى: ﴿شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم﴾ [فصلت - ٢٠]. وهذا معنى قوله: (فيقال لأركانه:) أي لأعضائه وأجزائه (انطقي. قال: فتنطق) أي الأركان (بأعماله) أي بأفعاله التي باشرها بها وارتكبها بسببها. (ثم يخلى) أي يترك (بينه وبين الكلام) أي يرفع الختم من فيه حتى يتكلم بالكلام العادي فشهادة ألسنتهم في الآية يراد بها نوع آخر من الكلام على خرق العادة والله [تعالى]أعلم به. (قال: فيقول:) أي العبد (بعداً لكن وسحقاً) بضم فسكون ويضم، أي هلاكاً. وهما مصدران ناصبهما مقدر والخطاب للأركان، أي أبعدن وأسحقن. (فعنكن) أي عن قبلكن ومن وجهتكن ولأجل خلاصكن. (كنت أناضل) أي أجادل وأخاصم وأدافع على ما في النهاية. وقال شارح: أي أخاصم لخلاصكن وأنتن تلقين أنفسكن فيها، والمناضلة المراماة بالسهام. والمراد هنا المحاجة بالكلام. يقال: تناضل فلان عن فلان إذا تكلم عنه بعذر ودفع. قلت: وجوابهن محذوف دل عليه قوله تعالى: ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلك ظنكم الذي بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾ [فصلت - ٢١ و٢٢]. (رواه مسلم) وأخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن سعيد أن رسول الله ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقال: هؤلاء جيرانك يشهدون عليك. فيقول: كذبوا. فيقال: أهلك وعشيرتك. فيقول: كذبوا. فيقال: احلفوا. فيحلفون، ثم يصمتهم الله وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم ثم يدخلهم النار.

٥٥٥٥ ـ (٧) وعن أبي هريرة، قال: قالوا: يا رسولَ الله! هلْ نرى ربَّنا يومَ القيامةِ؟ قال: «هلْ تضارُّونَ في رؤيةِ الشَّمسِ في الظهيرةِ ليستْ في سحابةٍ؟» قالوا: لا. قال: «فهل تضارُّونَ في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البدرِ ليسَ في سحابةٍ؟» قالوا: لا. قال: «فوالذي نَفْسي بيده لا تضارُّونَ في رؤيةِ ربكم إلاَّ كما تضارُّونَ في رؤيةِ أحدِهما».

٥٥٥٥ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا:) أي بعض الصحابة (يا رسول الله هل نرى ربنا) الاستفهام للاستخبار والاستعلام (يوم القيامة) قيد به للإجماع على أنه تعالى لا يرى في الدنيا لأن الذات الباقية لا ترى بالعين الفانية. (قال: هل تضارون) بضم التاء وتفتح وتشديد الراء على أنه من باب المفاعلة أو التفاعل من الضرر، والاستفهام للتقرير وهو حمل المخاطب على الإقرار. والمعنى: هل يحصل لكم تزاحم وتنازع يتضرر به بعضكم من بعض. (في رؤية الشمس) أي لأجل رؤيتها أو عندها (في الظهيرة) وهي نصف النهار وهو وقت ارتفاعها وظهورها وانتشار ضوئها في العالم كله. (ليست) أي الشمس (في سحابة) أي غيم (تحجبها عنكم. قالوا: لا. قال: فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة قالوا: لا. قال: فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما). قال النووي [رحمه الله]: روي تضارون بتشديد الراء وتخفيفها والتاء مضمومة فيهما. وفي الرواية الأخرى: هل تضامون، بتشديد الميم وتخفيفها فمن شددها فتح التاء ومن خففها ضمها. وفي رواية البخاري: لا تضارون أو لا تضامون على الشك. قال القاضي البيضاوي [رحمه الله: وفي]تضارون المشدد من الضرر والمخفف من الضير، أي تكون رؤيته تعالى رؤية جلية بينة لا تقبل مراء ولا مرية، فيخالف فيها بعضكم بعضاً ويكذبه كما لا يشك في رؤية أحدهما يعني الشمس والقمر ولا ينازع فيها. فالتشبيه إنما وقع في الرؤية باعتبار جلائها وظهورها بحيث لا يرتاب فيها لا في سائر كيفياتها ولا في المرئي، فإنه سبحانه منزه عن الجسمية وعما يؤدي إليها. وفي تضامون بالتشديد من الضم، أي لا ينضم بعضكم إلى بعض في طلب رؤيته لإشكاله وخفائه كما يفعلون في الهلال، أو لا يضمكم شيء دون رؤيته فيحول بينكم وبينها. وبالتخفيف من الضيم، أي لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعض دون بعض بل يستوون فيها. وأصله تضيمون فنقلت فتحة الياء إلى الضاد فصارت ألفاً لسكونها وانفتاح ما قبلها وكذلك تضارون بالتخفيف. وأما المشدد فيحتمل أن يكون مبنياً للفاعل على معنى: لا تضارون، أي تتنازعون في رؤيته. سذا وقال الطيبي. قوله: إلا كما تضارون، كان الظاهر أن يقال: لا تضارون في رؤية ربكم كما لا تضارون في رؤية أحدهما، ولكنه أخرج مخرج قوله:

الحديث رقم ٥٥٥٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٢/ ٢٩٢. حديث رقم ٨٠٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٩ حديث رقم (١٦. ٢٩٦٨). وأبو داود في السنن ٦/ ٩٨ حديث رقم ٤٧٣٠ والترمذي في السنن ٤/ ٥٩١ حديث رقم ٢٥٤٩. وابن ماجه في السنن ١/ ٦٣ حديث رقم ١٧٧. والدارمي في السنن ٢/ ٤١٩ حديث رقم ٢٨٠١. وأحمد في المسند ٣/ ١٦.

قال: «فيلقى العبدَ فيقول: أي فُلْ: ألم أُكرِمْكَ وأُسوِّدْكَ وأُزوِّجكَ وأُسخرْ لكَ الخيلَ والإبلَ، وأذَرْكَ ترأسُ وتربعُ؟ فيقول: بَلى». قال: «فيقول: أفظننتَ أنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فيقول: لا. فيقول: فإني قد أنساك كما نسيتني. ثمّ يلقى الثاني، فذكر مثلَه، ثمّ يلقى الثالثَ، فيقول له مثلَ ذلكَ، فيقول: يا ربِّ! آمنتُ بكَ وبكتابكَ وبرسُلكَ، وصلَّيتُ وصمتُ، وتصدَّقتُ، ويُثني بخيرٍ ما استطاعَ، فيقول: ههنا إذاً.

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

أي لا تشكون فيه إلا كما تشكون في رؤية القمرين، وليس في رؤيتهما شك فلا تشكون فيها البتة. **(قال:)** أي النبي ﷺ **(فيلقى)** أي الرب **(العبد)** أي عبداً من عباده **(فيقول: أي فل)** بضم الفاء وسكون اللام وتفتح وتضم أي فلان. ففي النهاية معناه يا فلان، وليس ترخيماً له لأنه لا يقال إلا بسكون اللام ولو كان ترخيماً لفتحوها أو ضموها. قلت: وقيل: فلا كما يقال: سعي في سعيد. قال سيبويه: ليست ترخيماً وإنما هي صيغة ارتجلت في باب النداء وقد جاء في غير النداء، قال:

* في لجة أمسك فلان عن فل *

بكسر اللام للقافية، وإنما قيل: ليس مرخماً لأن شرط مثله أن يبقى بعد حذف النون والألف ثلاثة أحرف كمروان. وقال قوم أنه ترخيم فلان فحذفت النون للترخيم والألف لسكونها ويفتح اللام ويضم على مذهبي الترخيم. **(ألم أكرمك)** أي ألم أفضلك على سائر الحيوانات **(وأسودك)** أي ألم أجعلك سيداً في قومك **(وأزوّجك)** أي ألم أعطك زوجاً من جنسك ومكنتك منها وجعلت بينك وبينها مودة ورحمة ومؤانسة وألفة. **(وأسخر لك الخيل والإبل)** أي ألم أذللها لك. وخصتا بالذكر لأنهما أصعب الحيوانات. **(وأذرك)** أي ألم أذرك. والمعنى: ألم أدعك ولم أمكنك على قومك. **(ترأس)** أي تكون رئيساً على قومك، والجملة حال. **(وتربع)** أي تأخذ رباعهم وهو ربع الغنيمة. وكان ملوك الجاهلية يأخذونه لأنفسهم. **(فيقول: بلى)** أي في كل أو في الكل **(قال: فيقول:)** أي الرب **(أفظننت)** أي أفعلمت **(أنك ملاقي)** بضم الميم وتشديد الياء المحذوفة العائدة بحذف التنوين، والثانية ياء المتكلم المضاف إليه. **(فيقول: لا. فيقول: فإني قد أنساك)** أي اليوم أتركك من رحمتي **(كما نسيتني)** أي في الدنيا من طاعتي. قال الطيبي [رحمه الله]: هو مسبب عن قوله: أفظننت أنك ملاقي، يعني سودتك وزوجتك وفعلت بك من الاكرام حتى تشكرني وتلقاني لأزيد في الأنعام وأجازيك عليه، فلما نسيتني في الشكر نسيناك وتركنا جزائك وعليه قوله تعالى: **﴿كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾** [طه ـ ١٢٦]. ونسبة النسيان إلى الله تعالى إما مشاكلة أو مجاز عن الترك. **(ثم يلقى)** أي الرب **(الثاني)** أي من العبيد **(فذكر مثله)** أي قال الراوي: ذكر ﷺ في الثاني مثل ما ذكر في الأول من سؤال الله تعالى له وجوابه. **(ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني)** أي يمدح الثالث على نفسه **(بخير ما استطاع. فيقول:)** أي الرب **(ههنا إذا)** بالتنوين. قال الطيبي [رحمه الله]: إذاً جواب وجزاء، والتقدير إذا أثنيت على نفسك بما أثنيت إذا فأثبت هنا كي نريك أعمالك

ثمّ يقال: الآنَ نبعثُ شاهداً عليك، ويتفكّرُ في نفسه: مَن ذا الذي يشهدُ عليّ؟ فيُختم على فيه، ويُقال لفخذه: انطقي، فتنطقُ فخذُه ولحمُه وعظامُه بعمله، وذلكَ ليُعذِرَ مِنْ نفسه، وذلكَ المنافقُ، وذلكَ الذي يسخطُ اللهُ عليه». رواه مسلم.

وذُكر حديث أبي هريرة: «يدخلُ من أمتي الجنّة» في «باب التوكّل» برواية ابن عبّاس.

الفصل الثاني

٥٥٥٦ ـ (٨) عن أبي أمامة، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «وعدني ربّي أن يُدخلَ الجنّة من أمتي سبعينَ ألفاً

بإقامة الشاهد عليها. وقال شارح: أي يقول: إذا نجزي بأعمالك ههنا. وقال ابن الملك: أي أقر الثالث بظنه لقاء الله تعالى وعد أعماله الصالحة فيقول ههنا إذا، أي قف في هذا الموضع إذا ذكرت أعمالك حتى تتحقق خلاف ما زعمت. (ثم يقال: **الآن نبعث شاهداً عليك ويتفكر**) أي العبد الثالث (**في نفسه من ذا الذي يشهد علي**) حال تقديره يتفكر في نفسه قائلاً: من ذا الذي يشهد علي. (**فيختم على فيه**) أي فمه (**فيقال**:) وفي نسخة: ويقال (**لفخذه: انطقي. فتنطق فخذه ولحمه وعظامه**) أي المتعلقة بفخذه (**بعمله وذلك**) أي انطاق أعضائه أو بعث الشاهد عليه. وقال الطيبي [رحمه الله]: أشار إلى المذكور من السؤال والجواب وختم الفم ونطق الفخذ وغيره (**ليعذر من نفسه**) قال التوربشتي [رحمه الله]: ليعذر على بناء الفاعل من الأعذار. والمعنى: ليزيل الله عذره من قبل نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة أعضائه عليه بحيث لم يبق له عذر يتمسك به. وقيل: ليصير ذا عذر في تعذيب من قبل نفس العبد. (**وذلك**) أي العبد الثالث (**المنافق وذلك الذي سخط**) بكسر الخاء أي غضب (**الله عليه. رواه مسلم. وذكر حديث أبي هريرة: يدخل من أمتي الجنة**) صوابه على ما سبق: يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. (**في باب التوكل برواية ابن عباس**) فكأن البغوي [رحمه الله]ذكر الحديث مكرراً بإسنادين أحدهما هنا عن أبي هريرة والآخر هناك عن ابن عباس، فحذف صاحب المشكاة ما هنا وأشار إلى أنه ذكر سابقاً برواية ابن عباس تنبيهاً على ذلك فاندفع ما يتوهم من التدافع بين قوله: حديث أبي هريرة، وقوله: برواية ابن عباس.

(الفصل الثاني)

٥٥٥٦ ـ (**عن أبي أمامة**) أي الباهلي (**قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وعدني ربي أن يدخل الجنة**) من الادخال لقوله: (**سبعين ألفاً**) والمراد به إما هذا العدد أو الكثرة. قال

الحديث رقم ٥٥٥٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٤٠ حديث رقم ٢٤٣٧. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣٣ حديث رقم ٤٢٨٥. والدارمي في السنن ٢/ ٤٢٢ حديث رقم ٢٨٠٧. وأحمد في المسند ٥/ ٢٦٨.

لا حسابَ عليهم، ولا عذابَ، مع كلِّ ألفٍ سبعونَ ألفاً، وثلاث حثَياتٍ مِنْ حثَياتِ ربِّي». رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

٥٥٥٧ ـ (٩) وعن الحسنِ، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يعرضُ الناس يومَ القيامةِ ثلاثَ عَرضاتٍ: فأما عَرْضَتان فجدالٌ ومعاذيرُ، وأما العرضةُ الثالثةُ فعند ذلك تطيرُ الصحفُ

الأزهري: سبعين في قوله تعالى: ﴿أن تستغفر لهم سبعين مرة﴾. جمع السبع الذي يستعمل للكثرة، ألا ترى أنه لو زاد على السبعين لم يغفر لهم. (لا حساب عليهم) أي لا مناقشة لهم في المحاسبة (ولا عذاب) أي بالأولى أو لا عذاب مما يترتب على الحساب (مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات) بفتح الحاء والمثلثة جمع حثية. (من حثيات ربي) قال شارح: الحثية والحثوة يستعمل فيما يعطيه الإنسان بكفيه دفعة واحدة من غير وزن وتقدير ثم تستعار لما يعطى من غير تقدير. وإضافة الحثيات إلى ربه تعالى للمبالغة في الكثرة. قال صاحب النهاية: الحثيات كناية عن المبالغة والكثرة وإلا فلا كف ثمة ولا حثي جلّ الله عن ذلك. ثم قوله: وثلاث، مرفوع عطف على سبعون وهو أقرب. وقيل منصوب عطفاً على سبعين، أي وأن يدخل ثلاث قبضات من قبضاته أي عدداً غير معلوم. والمعنى: يكون مع هذا العدد المعلوم عدد كثير غير معلوم، أو المراد منهما جميعاً المبالغة في الكثرة. قال الأشرف: يحتمل النصب عطفاً على قوله: سبعين ألفاً. والرفع عطفاً على قوله: سبعون ألفاً. والرفع أظهر في المبالغة، إذ التقدير مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات بخلاف النصب. قال التوربشتي رحمه الله] الحثية ما يحثيه الإنسان بيديه من ماء أو تراب أو غير ذلك ويستعمل فيما يعطيه المعطي بكفيه دفعة واحدة وقد جيء به ههنا على وجه التمثيل وأريد بها الدفعات، أي يعطي بعد هذا العدد المنصوص عليه ما يخفى على العادين حصره وتعداده فإن عطاءه الذي لا يضبطه الحساب أو في وأربي من النوع الذي يتداخله الحساب. قلت: ويمكن حمله على التجلي الصوري والله أعلم بالصواب. (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه).

٥٥٥٧ ـ (وعن الحسن) أي البصري (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يعرض الناس) أي على الله (يوم القيامة ثلاث عرضات) بفتحتين. قيل: أي ثلاث مرات. فأما المرة الأولى فيدفعون عن أنفسهم ويقولون: لم يبلغنا الأنبياء ويحاجون الله تعالى، وفي الثانية يعترفون ويعتذرون بأن يقول كل فعلته سهواً وخطأ أو جهلاً أو رجاء ونحو ذلك، وهذا معنى قوله: (فأما عرضتان فجدال ومعاذير) جمع معذرة ولا يتم قضيتهم في المرتين بالكلية (وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف) كذا هو في سنن الترمذي وجامع الأصول، وفي نسخ المصابيح: تطاير أي تتطاير الصحف وهو بضمتين جمع الصحيفة وهو

الحديث رقم ٥٥٥٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٣٣ حديث رقم ٢٤٢٥. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣٠ حديث رقم ٤٢٧٧. وأحمد في المسند ٤/ ٤١٤.

في الأيدي، فآخذٌ بيمينه وآخذٌ بشماله». رواه أحمد، والترمذي وقال: لا يصحُّ هذا الحديثُ من قِبَلِ أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة.

٥٥٥٨ ـ (١٠) وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى.

٥٥٥٩ ـ (١١) وعن عبدِ اللَّهِ بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن اللَّهَ سيخلِّصُ رجلاً من أُمّتي على رؤوس الخلائق يومَ القيامة، فينشرُ عليه تسعةً وتسعين سِجِلاًّ، كلُّ سِجِلٍّ مثلُ مدِّ البصرِ، ثم يقول: أتُنكِرُ من هذا شيئاً؟ أظَلَمَكَ كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا، يا رب! فيقول: أفلكَ عُذْرٌ؟ قال: لا، يا رب! فيقول: بلى؛ إن لكَ عندنا

المكتوب. وقال شارح للمصابيح: تطاير الصحف، أي تفرقها إلى كل جانب. فروايته بالمصدر، وأما على رواية غيره فبالمضارع، أي يسرع وقوعها. **(في الأيدي)** أي أيدي المكلفين جميعاً. **(فآخذ بيمينه وآخذ بشماله)** الفاء تفصيلية، أي فمنهم آخذ بيمينه وهو من أهل السعادة ومنهم آخذ بشماله وهو من أهل الشقاوة، فحينئذ تتم قضيتهم على وفق البداية ويتميز أهل الضلالة من أهل الهداية. **(رواه أحمد والترمذي وقال:)** أي الترمذي **(لا يصح هذا الحديث من قبل)** بكسر ففتح، أي من جهة **(أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة)** أي فإسناده منقطع غير متصل. لكن قال الشيخ الجزري في تصحيح المصابيح أن البخاري أخرج في صحيحه الحسن عن أبي هريرة ثلاثة أحاديث وبينها قال: وأما مسلم فلم يخرج للحسن عن أبي هريرة شيئاً نقله ميرك. أقول: ولا يلزم من عدم إخراج مسلم حديثه عنه أنه لا يصح إسناده، إذ شرط البخاري وهو تحقق اللقي ولو مرة أقوى من شرط مسلم وهو مجرد وجود المعاصرة.

٥٥٥٨ ـ **(وقد رواه)** أي هذا الحديث **(بعضهم)** أي بعض المخرجين **(عن الحسن عن أبي موسى)** يعني فالحديث متصل من طريقه واعتضد بإسناده، فإن المؤلف ذكر في أسماء رجاله أن الحسن روى عن الصحابة كأبي موسى وأنس بن مالك وابن عباس وغيرهم.

٥٥٥٩ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو)** بالواو **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله سيخلص)** بتشديد اللام أي يختار **(رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر)** بضم الشين المعجمة أي فيفتح **(عليه تسعة وتسعين سجلاً)** بكسرتين فتشديد، أي كتاباً كبيراً. **(كل سجل مثل مد البصر)** أي كل كتاب منها طوله وعرضه مقدار ما يمتد إليه بصر الإنسان **(ثم يقول:)** أي الرب **(أتنكر من هذا)** أي المكتوب **(شيئاً)** أي مما لا تفعله **(أظلمك كتبتي)** بفتحات جمع كاتب، والمراد الكرام الكاتبون. **(الحافظون)** أي لأعمال بني آدم **(فيقول: لا يا رب)** جواب لهما جميعاً أو لكل منهما **(فيقول: أفلك عذر)** أي فيما فعلته من كونه سهواً أو خطأً أو جهلاً ونحو ذلك **(قال: لا يا رب. فيقول: بلى)** أي لك عندنا ما يقوم مقام عذرك **(إن لك عندنا**

الحديث رقم ٥٥٥٨: أحمد في المسند ٤/ ٤١٤.

الحديث رقم ٥٥٥٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٥ حديث رقم ٢٦٣٩. وابن ماجه ٢/ ١٤٣٧ حديث رقم ٤٣٠٠ وأحمد في المسند ٢/ ٢١٣.

حسنةً، وإنه لا ظلم عليكَ اليوم، فتخرجُ بطاقةٌ فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنكَ. فيقول: يا رب! ما هذه البطاقةُ مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تُظلمُ، قال: فتوضعُ السجلاتُ في كِفَّةٍ والبطاقةُ في كِفَّةٍ، فطاشتْ السجلات وثقلتِ البطاقة، فلا يَثقُلُ مع اسمِ اللهِ شيءٌ».

حسنة) أي واحدة عظيمة مقبولة تمحو جميع ما عندك. قال تعالى: ﴿**وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً**﴾ [النساء ـ ٤٠]. وإذا قال الله [جلَّ جلاله ولا إله غيره]الشيء عظيم فهو عظيم. وقد قال عمر رضي الله [تعالى]عنه: لئن كانت لي حسنة عند الله كفتني. **(وإنه)** أي الشأن **(لا ظلم عليك اليوم)** لعله مقتبس من قوله تعالى: ﴿**اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم**﴾ [غافر ـ ١٧]. أي بنقصان أجر لك ولا بزيادة عقاب عليك بل لا حكم إلا لله، وهو إما بالعدل وإما بالفضل. **(فتخرج)** بصيغة المجهول، أي فتظهر **(بطاقة)** بكسر الباء أي رقعة صغيرة ثبت فيها مقدار ما به ويجعل في الثوب إن كان عيناً فوزنه أو عدده، وإن كان متاعاً فثمنه أو قيمته. وقيل: سميت بذلك لأنها تشد بطاقة من هدب الثوب فتكون الباء حينئذ زائدة وهي كلمة كثيرة الاستعمال بمصر، ويروى بالنون وهو غريب. **(فيها)** أي مكتوب في البطاقة **(أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله)** يحتمل أن الكلمة هي أول ما نطق بها. واختلف العلماء في أن الإقرار شرط الإيمان أو شطره، ويحتمل أن تكون غير تلك المرة مما وقعت مقبولة عند الحضرة وهو الأظهر في مادة الخصوص من عموم الأمة. **(فيقول: احضر وزنك)** أي الوزن الذي لك أو وزن عملك أو وقت وزنك أو آلة وزنك وهو الميزان ليظهر لك انتفاء الظلم وظهور العدل وتحقق الفضل. **(فيقول: يا رب ما هذه البطاقة)** أي الواحدة **(مع هذه السجلات)** أي الكثيرة وما قدرها بجنبها ومقابلتها **(فيقول: إنك لا تظلم)** أي لا يقع عليك الظلم لكن لا بد من اعتبار الوزن كي يظهر أن لا ظلم عليك فاحضر الوزن. قيل: وجه مطابقة هذا جواباً لقوله: ما هذه البطاقة أن اسم الإشارة للتحقير كأنه أنكر أن يكون مع هذه البطاقة المحقرة موازنة لتلك السجلات فرد بقوله: إنك لا تظلم بحقيرة، أي لا تحقر هذه فإنها عظيمة عنده سبحانه إذ لا يثقل مع اسم الله شيء ولو ثقل عليه شيء لظلمت. **(قال: فتوضع السجلات في كفة)** بكسر فتشديد أي فردة من زوجي الميزان. ففي القاموس: الكفة بالكسر من الميزان معروف ويفتح. **(والبطاقة)** أي وتوضع **(في كفة)** أي في أخرى **(فطاشت السجلات)** أي خفت **(وثقلت البطاقة)** أي رجحت والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه. ففي الدر أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة أنه تلا هذه الآية يعني: ﴿**إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً**﴾ [النساء ـ ٤٠]. فقال: لأن تفضل حسناتي على سيئاتي مثقال ذرة أحب إليّ من الدنيا وما فيها. ثم هذا الحديث يحتمل أن تكون البطاقة وحدها غلبت السجلات وهو الظاهر المتبادر، ويحتمل أن تكون مع سائر أعماله الصالحة ولكن الغلبة ما حصلت إلا ببركة هذه البطاقة. **(فلا يثقل)** بالرفع وفي بعض النسخ بالجزم. لا يظهر وجهه بحسب المعنى: أي فلا يرجح ولا يغلب. **(مع اسم الله شيء)** والمعنى لا يقاومه شيء من المعاصي بل يترجح ذكر الله تعالى على جميع المعاصي. قال تعالى: ﴿**إن**

رواه الترمذي، وابن ماجه.

٥٥٦٠ ـ (١٢) وعن عائشةَ، أنّها ذكرت النار فبكت، فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيكِ؟». قالت: ذكرتُ النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يومَ القيامةِ؟ فقال رسول الله ﷺ: «أمّا في ثلاثةِ مواطن فلا يذكر أحدٌ أحداً: عند الميزان حتى يعلم: أيخِفُّ ميزانُه أم يثقل؟ وعند الكتاب حين يقال ﴿هاؤم اقرؤوا كتابيه﴾، حتى يعلم: أين يقع كتابُه، أفي يمينه أم في شماله؟ أم من وراء ظهره؟

الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود ـ ١١٤]. ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت ـ ٤٥]. فإن قيل: الأعمال أعراض لا يمكن وزنها وإنما توزن الأجسام. أجيب بأنه يوزن السجل الذي كتب فيه الأعمال ويختلف باختلاف الأحوال، أو أن الله يجسم الأفعال والأقوال فتوزن فتثقل الطاعات وتطيش السيئات لثقل العبادة على النفس وخفة المعصية عليها، ولذا ورد: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»[1] (رواه الترمذي وابن ماجه).

٥٥٦٠ ـ (وعن عائشة) رضي الله تعالى عنها (إنها ذكرت) أي في نفسها (النار) أي نار جهنم (فبكت) أي خوفاً منها (فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك) أي ما سبب بكائك (قالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة. فقال رسول الله ﷺ: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً) أي بالخصوص. وأما الشفاعة العظمى فهي عامة للخلائق كلها. (عند الميزان) قال أهل الحق: الميزان حق. قال تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾ [الأنبياء ـ ٤٧]. يوضع ميزان يوم القيامة يوزن به الصحائف التي يكون مكتوباً فيها أعمال العباد وله كفتان إحداهما للحسنات والأخرى للسيئات. وعن الحسن له كفتان ولسان ذكره الطيبي [رحمه الله]. (حتى يعلم) أي كل أحد (أيخف ميزانه أم يثقل) ظاهره أنه يعم كل أحد ولا يستثنى منه نبي ولا مرسل (وعند الكتاب) أي تطايره أو عند عطائه (حين يقال:) أي يقول من يعطى بيمينه (﴿هاؤم﴾) أي خذوا (﴿اقرؤوا كتابيه﴾)[2] تنازع فيه الفعلان والهاء للسكت لبيان ياء الإضافة. (حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله من وراء ظهره) كذا في سنن أبي داود وبعض نسخ المصابيح وفي أكثرها، أو من وراء ظهره. وفي جامع الأصول أم بدل أو والأوّل أولى وأوفق للجمع بين معنى الآيتين: ﴿فأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه﴾ [الحاقة ـ ٢٥]. ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً﴾ [الانشقاق ـ ١٠]. الكشاف قيل: يغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره ويؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره. وقيل: تخلع يده اليسرى من وراء ظهره كذا ذكره الطيبي [رحمه

---

(١) مر في كتاب الرقاق.

الحديث رقم ٥٥٦٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١١٦ حديث رقم ٤٧٥٥. وأحمد في المسند ٦/ ١١٠.
وأحمد في المسند ٦/ ١١٠.

(٢) سورة الحاقة، آية رقم ١٩.

وعند الصِّراط: إذا وضعَ بينَ ظهري جهنم». رواه أبو داود.

الفصل الثالث

٥٥٦١ ـ (١٣) عن عائشةَ، قالتْ: جاءَ رجلٌ فقعدَ بين يدَيْ رسولِ اللّهِ ﷺ فقال: يا رسولَ الله! إنَّ لي مملوكين يكذبونني، ويخونونني، ويعصونني وأشتمهم وأضربهم؛ فكيف أنا منهم؟ فقال رسول الله ﷺ: «إذا كان يومُ القيامة يُحْسَبُ ما خانوكَ وعصوْكَ وكذبوكَ، وعقابُك إياهم؛ فإن كان عقابُك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك، وإنْ كانَ

الله]. (وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم) أي وسطها وفوقها. والمعنى: حتى يعلم أنه نجا بالمرور منها والورود عنها أو وقع وسقط وزل فيها. قال تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾ [مريم ـ ٧١ و٧٢]. قال النووي [رحمه الله]: مذهب أهل الحق أنه جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب أعمالهم ومنازلهم والآخرون يسقطون فيها عافانا الله الكريم. والمتكلمون من أصحابنا والسلف يقولون إنه أدق من الشعر وأحد من السيف وهكذا جاء في رواية أبي سعيد. (رواه أبو داود) قال السيد جمال الدين [رحمه الله]: أي عن الحسن البصري [رحمه الله]عن عائشة [رضي الله عنها]وهو منقطع.

(الفصل الثالث)

٥٥٦١ ـ (عن عائشة قالت: جاء رجل فقعد بين يدي رسول الله ﷺ) أي قدامه (فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين) بكسر الكاف، أي مماليك وهو يحتمل الذكور والإناث ففيه تغليب (يكذبونني) أي يكذبون في أخبارهم لي (ويخونونني) أي في مالي (ويعصونني) أي في أمري ونهيي (وأشتمهم) بكسر التاء ويضم. ففي المصباح شتم من باب ضرب. وفي القاموس من باب نصر أيضاً، أي أسبهم. (وأضربهم) أي ضرب تأديب (فكيف أنا منهم) أي كيف يكون حالي من أجلهم وبسببهم عند الله تعالى. (فقال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك) أي مقدارها (وعقابك) عطف على ما خانوك، أي ويحسب أيضاً قدر شتمك وضربك إياهم (فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم) أي عرفاً وعادة (كان) أي أمرك (كفافاً) بفتح الكاف. ففي القاموس: كفاف الشيء كسحاب مثله، ومن الرزق ما كف عن الناس وأغنى. وفي النهاية: الكفاف الذي لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة إليه[١] وهذا هو الأنسب بالمقام، ولذا قال بياناً له: (لا لك ولا عليك) أي ليس لك فيه ثواب ولا عليك فيه عقاب، بل فعله مباح ليس عليك جناح. (فإن) وفي نسخة: وإن. (كان

الحديث رقم ٥٥٦١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٣٠٠ حديث رقم ٣١٦٥. وأحمد في المسند ٦/ ٢٨٠.

(١) في المخطوطة «اليه».

عقابك إياهم دون ذنبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم، اقتص لهم منك الفضل، فتنحى الرجلُ وجعَلَ يهتفُ ويبكي، فقال له رسول الله ﷺ: «أما تقرأ قول الله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفسٌ شيئاً وإن كان مثقالَ حبّةٍ من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾». فقال الرجلُ: يا رسول الله! ما أجد لي ولهؤلاءِ شيئاً خيراً من مفارقتهم، أشهدكَ أنهم كلّهم أحرارٌ. رواه الترمذي.

٥٥٦٢ ـ (١٤) وعنها، قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته: «اللهمّ حاسِبْني حساباً يسيراً» قلت: يا نبيّ الله! ما الحسابُ اليسيرُ؟ قال: «أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه،

عقابك إياهم دون ذنبهم) أي أقل منه (كان فضلاً لك) أي عليهم فإن قصدت الثواب تجز به وإلا فلا. (وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم) بالجمع هنا وبالإفراد فيما سبق المراد منه الجنس تفنن في الكلام، أي أكثر منها. (اقتص) بصيغة المجهول، أي أخذ بمثله. (لهم) أي لأجلهم (منك الفضل) أي الزيادة (فتنحى الرجل) أي بعد عن المجلس (وجعل يهتف) بكسر التاء أي شرع يصيح ويبكي (فقال له رسول الله ﷺ: أما تقرأ قول الله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط﴾) أي ذوات القسط وهو العدل (﴿ليوم القيامة﴾) أي في ذلك اليوم فاللام للتوقيت. (﴿فلا تظلم نفس شيئاً﴾) أي قليلاً من الظلم (﴿وإن كان﴾) وأي العمل والظلم (﴿مثقال حبة﴾) أي مقدارها وهو بالنصب عند الجمهور على إن كان ناقصة ورفع مثقال على كان التامة. (﴿من خردل أتينا بها﴾) أي أحضرناها والضمير للمثقال وتأنيثه لإضافته إلى الحبة. (﴿وكفى بنا حاسبين﴾)[١] إذ لا مزيد على علمنا وعدنا. (فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء) أي المملوكين. قال الطيبي [رحمه الله]: الجار والمجرور هو المفعول الثاني. (شيئاً) أي مخلصاً (خيراً من مفارقتهم) أي من مفارقتي إياهم لأن المحافظة على مراعاة المحاسبة والمطالبة عسر جداً (أشهدك أنهم كلهم) بالنصب على التأكيد، ويجوز رفعه على الابتداء والخبر قوله: (أحرار) ونظيره قوله تعالى: ﴿قل إن الأمر كله لله﴾ [آل عمران ـ ١٥٤]. حيث قرىء بالوجهين في السبعة. (رواه الترمذي).

٥٥٦٢ ـ (وعنها) أي عن عائشة رضي الله عنها (قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلواته:) أي من الفرائض أو النوافل أو في بعض أجزائها من أوّل القيام أو الركوع أو القومة أو السجود أو القعدة. (اللهم حاسبني حساباً يسيراً) وهذا إما تعليم للأمة وتنبيه لهم عن نوم الغفلة وإما تلذذ بما يقع له من هذه النعمة وأما خشية له كما يقتضيه مقامه من معرفة رب العزة وذهوله عن مرتبة النبوّة ومنزلة العصمة. (قلت: يا نبي الله ما الحساب اليسير. قال: أن ينظر) أي العبد (في كتابه فيتجاوز) بالرفع وينصب أي (الله عنه) وفي نسخة بصيغة المجهول

---

(١) سورة الأنبياء، آية رقم ٤٧.

الحديث رقم ٥٥٦٢: أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٤٨.

إنه من نوقش الحساب يومئذ يا عائشة! هلك». رواه أحمد.

٥٥٦٣ ـ (١٥) وعن أبي سعيد الخدري، أنه أتى رسولَ الله ﷺ فقال: أخبرني من يقوى على القيام يوم القيامة الذي قال الله عزّ وجلّ: ﴿يوم يقوم النّاس لربّ العالمين ﴾؟ فقال: «يخفّف على المؤمن حتى يكون عليه كالصلاة المكتوبة».

٥٥٦٤ ـ (١٦) وعنه، قال: سئل رسول الله ﷺ عن ﴿يوم كان مقداره خمسينَ ألف سنةٍ ﴾ ما طول هذا اليوم؟ فقال: «والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن

فيهما (فإنه) أي الشأن (من نوقش الحساب) بالنصب على نزع الخافض أي في المحاسبة والمضايقة في المطالبة (يومئذ يا عائشة هلك) أي عذب. ففي الصحاح: المناقشة الاستقصاء، وفي الحديث: من نوقش في الحساب عذب. وقد تقدم بعض طرقه. (رواه أحمد) قال السيد وابن ماجه: وأصله في صحيح البخاري. قلت: وفي الدر أخرجه أحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه والحاكم وصححه.

٥٥٦٣ ـ (وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: أخبرني من يقوى) أي يقدر (على القيام) أي على الوقوف للحساب بين يدي الله سبحانه و[تعالى](يوم القيامة الذي قال الله عزّ وجلّ:) أي في حقه، فالموصول صفة ليوم القيامة. (﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾)[1] قال الطيبي [رحمه الله]: بدل من قوله: ليوم عظيم، أي يوم يتجلى سبحانه بجلاله وهيبته ويظهر سطوات قهره على الجبارين. وروي أن ابن عمر قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾. بكى نحيباً ولم يقدر على قراءة ما بعده. (فقال: يخفف) أي يوم القيامة (على المؤمن) أي الكامل أو المصلي (حتى يكون) أي طوله (عليه كالصلاة المكتوبة) أي كمقدار أدائها أو قدر وقتها. والظاهر أنه يختلف باختلاف أحوال المؤمنين كما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ [المعارج ـ ٤]. ﴿فاصبر صبراً جميلاً إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً ﴾ [المعارج ـ ٧]. وبقوله: ﴿فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ﴾ [المدثر ـ ٨]. فمفهومه أنه على المؤمنين يصير يسيراً أما في الكمية وأما في الكيفية، وأما فيهما جميعاً حتى بالنسبة إلى بعضهم يكون هو كساعة وهم من جعلوا الدنيا ساعة وكسبوا فيها طاعة.

٥٥٦٤ ـ (وعنه) أي عن أبي سعيد رضي الله عنه (قال: سئل رسول الله ﷺ عن ﴿يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ ما طول هذا اليوم) أي ما حال الناس في طول هذا اليوم فهل يستطيعون القيام فيه مع طوله (فقال: والذي نفسي بيده إنه) أي الشأن (ليخفف على المؤمن)

الحديث رقم ٥٥٦٣: رواه البيهقي في البعث والنشور. راجع الملاحظة في الحديث رقم ٥٤٩٣.

(١) المطففين. آية رقم ٦.

الحديث رقم ٥٥٦٤: رواه البيهقي في شعب الإيمان ١/ ٣٢٤ فيمن فصل. وأحمد في المسند ٣/ ٧٥.

حتى يكونَ أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا». رواهما البيهقي في كتاب «البعث والنشور».

٥٥٦٥ ـ (١٧) وعن أسماء بنت يزيد، عن رسول الله ﷺ قال: «يُحشر الناس في صعيدٍ واحدٍ يوم القيامة، فينادي منادٍ فيقول: أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ فيقومون وهم قليل، فيدخلون الجنّة بغير حساب، ثمّ يؤمر بسائر الناس إلى الحساب». رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

(٤) باب الحوض والشفاعة

أي الكامل (حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة) أي من أدائها أو قيامها (يصليها في الدنيا. رواهما) أي الحديثين (البيهقي في كتاب البعث والنشور).

٥٥٦٥ ـ (وعن أسماء بنت يزيد) أي ابن السكن بفتحتين (عن رسول الله ﷺ قال: يحشر الناس في صعيد) أي مكان (واحد يوم القيامة فنادي) وفي نسخة: فينادي. (مناد فيقول: أين الذين كانت تتجافى جنوبهم) أي تتنحى وتتباعد (عن المضاجع) وفي الإسناد مجاز ومبالغة لا تخفى إشارة إلى قوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم﴾. أي داعين ربهم عابدين له ﴿خوفاً وطمعاً﴾، أي من سخطه وفي رحمته أو من ناره وفي جنته. ﴿ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ [السجدة ـ ١٦ ـ ١٧]. واختلف في المراد بهم، فقيل هم المجتهدون وقيل هم الأوّابون. ويحتمل أن يراد بهم من يصلي العشاء والصبح [في جماعة](فيقومون) أي فيظهرون القيام ويتميزون عن سائر الأنام. (وهم قليل) أي من أهل الإسلام قال تعالى: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ [الذاريات ـ ١٧]. وقال عزّ وجلّ: ﴿إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم﴾ [ص ـ ٢٤]. ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ [سبأ ـ ١٣]. (فيدخلون الجنة) يحتمل صيغتي الفاعل والمفعول (بغير حساب) لأنهم صبروا على مرارة الطاعة وترك لذة الراحة وقد قال سبحانه: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾. (ثم يؤمر بسائر الناس إلى الحساب) أي المحاسبة والمناقشة والعذاب. (رواه البيهقي في شعب الإيمان).

(باب الحوض والشفاعة)

قال القرطبي: له ﷺ حوضان أحدهما في الموقف قبل الصراط والثاني في الجنة وكلاهما يسمى كوثراً. والكوثر في كلامهم الخير الكثير. ثم الصحيح أن الحوض قبل الميزان، فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم فيقدم الحوض قبل الميزان، وكذا حياض

الحديث رقم ٥٥٦٥: رواه البيهقي في شعب الإيمان.

الفصل الأول

٥٥٦٦ ـ (١) عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا أسيرُ في الجنَّةِ إذا أنا بنهر حافتاه قِبَابُ الدرّ المجوَّف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكَ ربُّك، فإذا طينهُ مسكٌ أذفرُ». رواه البخاري.

٥٥٦٧ ـ (٢) وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، ماؤهُ أبيضُ من اللبن،

الأنبياء في الموقف. قلت: وفي الجامع: «أن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثروا رده وإني أرجو أن أكون أكثرهم وارده»[1]. رواه الترمذي عن سمرة. وقال الراغب: الشفع ضم الشيء إلى مثله ومنه الشفاعة وهو الانضمام إلى آخر ناصراً له وساتراً عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى منه، والشفاعة في القيامة.

(الفصل الأول)

٥٥٦٦ ـ (**عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: بينا أنا أسير في الجنة إذا**) بالألف (**أنا بنهر**) بفتح الهاء ويسكن، أي جدول. (**حافتاه**) بفتح الفاء، أي جانباه وطرفاه. (**قباب الدر**) بكسر القاف جمع قبة بالضم، أي خيم اللؤلؤ. (**المجوف**) الذي له جوف وفي وسطه خلاء يسكن فيه (**قلت: ما هذا يا جبريل**) أي النهر المذكور على الوصف المسطور (**قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك**) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ [الكوثر - ١]. وهو فوعل من الكثرة، والمراد منه الخير الكثير الذي أعطاه ربه من القرآن أو النبوّة أو كثرة الأمة أو سائر المراتب العلية، ومنها المقام المحمود واللواء الممدود والحوض المورود ولا منافاة، بل الكل داخل في الكوثر وإن كان اشتهاره في معنى الحوض أكثر. (**فإذا طينه مسك أذفر**) أي شديد الرائحة. قال الطيبي [رحمه الله]: أي طيب الريح، والذفر بالتحريك يقع على الطيب والكريه، ويفرق بينهما بما يضاف إليه ويوصف به. (**رواه البخاري**).

٥٥٦٧ ـ (**وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما**) بالواو (**قال: قال رسول الله ﷺ: حوضي**) أي مقداره (**مسيرة شهر وزواياه**) جمع زاوية وهي الجانب والناحية، أي أطراف حوضي. (**سواء**) أي مربع مستو لا يزيد طوله على عرضه، وقيل عمقه أيضاً. (**ماؤه**) استئناف بيان (**أبيض من اللبن**) قال النووي [رحمه الله]: النحويون يقولون لا يبنى فعل التعجب وأفعل

---

(١) راجع الحديث رقم ٥٥٩٥.

الحديث رقم ٥٥٦٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤٦٤. حديث رقم ٦٥٨١ وأحمد في المسند ٣/ ١٦٤.

الحديث رقم ٥٥٦٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤٦٣. حديث رقم ٦٥٧٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٧٩٣ حديث رقم (٢٧ ـ ٢٢٩٢) وأحمد في المسند ٣/ ٣٨٤.

وريحه أطيب من المسكِ، وكيزانه كنجوم السَّماءِ، من يشرب منها فلا يظمأ أبداً». متفق عليه.

٥٥٦٨ ـ (٣) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ حوضي أبعدُ من أيْلَةَ من عدنٍ؛ لهو أشدُّ بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيتُه أكثرُ من عددِ النجوم، وإني لأَصُدُّ الناسَ عنه كما يصدُّ الرجل إبلَ النّاس عن حوضه». قالوا: يا رسول الله! أتعرفنا

التفضيل من الألوان والعيوب، بل يتوصل إليه بنحو أشد وأبلغ فلا يقال: ما أبيض زيداً ولا زيد أبيض من عمرو. وهذا الحديث يدل على صحة ذلك وحجة على مانعوه وهي لغة وإن كانت قليلة الاستعمال. (**وريحه أطيب من المسك. وكيزانه**) جمع كوز (**كنجوم السماء**) أي في الكثرة والنورانية (**من يشرب**) بالرفع وفي نسخة بالجزم. قال الطيبي [رحمه الله]: يجوز أن يكون مرفوعاً على أن من موصولة، ومجزوماً على أنها شرطية. وقوله: (**منها**) أي من كيزانه، وفي رواية منه، أي من الحوض أو من مائه. (**فلا يظمأ**) برفع الهمز وقيل بالجزم، أي فلا يعطش. (**أبداً**) فيكون شربه في الجنة تلذذ كأكله تنعماً لقوله تعالى: ﴿**إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى**﴾ [طه ـ ١١٨ ـ ١١٩]. (**متفق عليه**).

٥٥٦٨ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن حوضي**) أي بعد ما بين طرفي حوضي (**أبعد من أيلة**) بفتح فسكون تحتية، أي أزيد من بعد أيلة وهي بلدة على الساحل من آخر بلاد الشام مما يلي بحر اليمن. (**من عدن**) بفتحتين يصرف ولا يصرف وهو آخر بلاد اليمن مما يلي بحر الهند. قال الطيبي [رحمه الله]: من الأولى متعلقة بأبعد والثانية متعلقة ببعد مقدر، ثم التوفيق بين هذا الحديث وبين الخبر الآتي: ما بين عدن وعمان، وهو بفتح المهملة وتشديد الميم اسم بلد بالشام وما بين صنعاء والمدينة ونحو ذلك، بأن ذلك الإخبار على طريق التقريب لا على سبيل التحديد والتفاوت بين اختلاف أحوال السامعين في الاحاطة به علماً، قال القاضي [رحمه الله]: اختلاف الأحاديث في مقدار الحوض لأنه ﷺ قدره على سبيل التمثيل والتخمين لكل أحد على حسب ما رواه وعرفه. (**لهو**) بضم الهاء ويسكن واللام للابتداء، أي لحوضي. (**أشد بياضاً من الثلج**) ولعله ﷺ رأى الثلج في أرض الشام (**وأحلى**) أي ألذ (**من العسل باللبن**) أي المخلوط به (**ولآنيته**) جمع إناء، أي ولظروفه من كيزانه وغيرها. (**أكثر من عدد النجوم. وإني لأصد**) أي أدفع وأمنع (**الناس**) أي المنافقين والمرتدين (**عنه**) أي الحوض (**كما يصد الرجل**) أي الراعي (**إبل الناس**) أي الأجانب (**عن حوضه**) أي صيانة عن المشاركة والمخالطة. (**قالوا:**) أي بعض الصحابة (**أتعرفنا**) أي تميزنا من

الحديث رقم ٥٥٦٨: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٢١٧ حديث رقم (٣٦ . ٢٤٧). والترمذي في السنن ٤/ ٥٤٤ حديث رقم ٣٤٤٥. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣١ حديث رقم ٤٢٨٢. وأحمد في المسند ٤/ ٤٢٤.

يومئذ؟ قال: «نعم، لكم سيماء ليست لأحدٍ من الأمم، تردون عليّ غرّاً محجّلين من أثر الوضوء». رواه مسلم.

٥٥٦٩ ـ (٤) وفي روايةٍ له عن أنس، قال: «تُرى فيه أباريقُ الذهب والفضة كعدد نجوم السّماء».

٥٥٧٠ ـ (٥) وفي أخرى له عن ثوبان، قال: سُئل عن شرابه. فقال: «أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل يغتُّ، فيه ميزابان

غيرنا (يومئذ. قال: نعم لكم سيما) بالقصر وقد يمد وهو العلامة، قال تعالى: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ [الفتح ـ ٢٩]. (ليست) أي تلك السيما (لأحد من الأمم) إذ المقصود التمييز بمنزلة العلم (تردون) بكسر الراء من الورود، أي تمرون (علي غراً) جمع الأغر، وهو من في جبهته بياض. (محجلين) بتشديد الجيم المفتوحة جمع محجل وهو الذي في يديه ورجليه بياض. (من أثر الوضوء) بضم الواو أي استعماله وفي نسخة بالفتح أي ماء الوضوء ونصبهما على الحال. والظاهر أن المراد بالسيما ما ذكر من الوصفين فهما من مختصات هذه الأمة وإن كان الخلاف موجوداً في كون الوضوء هل كان لسائر الأنبياء وأممهم أو لا، وإنما كان لهذه الأمة. وقال بعضهم: وكان أيضاً للأنبياء عليهم [الصلاة]والسلام دون أممهم، وفي هذا فضيلة[1] عظمى ومرتبة كبرى للأمة المرحومة. (رواه مسلم) أي عن أبي هريرة.

٥٥٦٩ ـ (وفي رواية) له أي لمسلم (عن أنس قال: ترى) بصيغة المجهول (فيه) أي في حوضي (أباريق الذهب والفضة) لعل اختلاف الوصفين باختلاف مراتب الشاربين من الأولياء والصالحين (كعدد نجوم السماء). أي من كثرتها.

٥٥٧٠ ـ (وفي أخرى له) أي وفي رواية أخرى لمسلم (عن ثوبان قال: سئل) أي النبي ﷺ على ما هو الظاهر من السياق (عن شرابه) أي صفة مشروبه (فقال: أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يغت) بضم الغين المعجمة وتكسر وبتشديد الفوقية، أي يصب ويسيل. (فيه) أي في الحوض (ميزابان) قال القاضي [رحمه الله]: أي يدفق دفقاً متتابعاً دائماً بقوة فكأنه من ضغط الماء لكثرته عند خروجه. وأصل الغت الضغط، والميزاب بكسر الميم. وقال الحافظ أبو موسى بفتحها أيضاً من وزب الماء، أي سال. فأصل ميزاب موزاب قلبت الواو ياء

---

(١) في المخطوطة «ميزة».

الحديث رقم ٥٥٦٩: أخرجه البخاري في ١١/ ٤٦٣. حديث رقم ٦٥٨٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٠١ حديث رقم (٤٣ ـ ٢٣٠٣). والترمذي في السنن ٤/ ٥٤٢ حديث رقم ٢٤٤٢. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣٩ حديث رقم ٤٣٠٥.

الحديث رقم ٥٥٧٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٩٩ حديث رقم (٣٧ ـ ٢٣٠١). وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣٨ حديث رقم ٤٣٠٣.

يَمُدَّانه من الجنَّة: أحدهما من ذهب والآخر من وَرِق».

٥٥٧١ - (٦) وعن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني فَرَطُكم على الحوض، من مرَّ عَلَيَّ شرب، ومن شرب لم يظمَأ أبداً، ليردنَّ عليَّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفونني؛ ثمَّ يحال بيني وبينهم، فأقول: إنهم مني. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك! فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيَّر بعدي». متفق عليه.

لسكونها وانكسار ما قبلها ولا يظهر وجه فتح الميم. ففي القاموس: أزب الماء كضرب جري ومنه الميزاب، أو هو فارسي معرب أي بل الماء فعلى هذا يجوز أن يهمز الميزاب وأن يبدل همزه ياء. وقال أيضاً: وزب الماء سال ومنه الميزاب، أو هو فارسي معرب ومعناه بل الماء فعربوه بالهمز ولهذا جمعوه مآزيب. **(يمدانه)** بضم الميم وفي نسخة بضم الياء وكسر الميم،أي يزيدان الحوض في مائه **(من الجنة)** أي من أنهارها أو من الحوض الذي له في الجنة المعبر عنه بالنهر الكوثر **(أحدهما من ذهب والآخر من ورق)** بكسر الراء ويسكن، أي من فضة. والقصد بهما الزينة باختلاف لون الأصفر والأبيض لا لكون الذهب عزيز الوجود هناك قياساً على ما في الدنيا. ويمكن أن يكون ميزاب الذهب من نهر العسل وميزاب الفضة من نهر اللبن أو أحدهما من الماء والآخر من العسل، أو اللبن يخلط به في الحوض والله [تعالى]أعلم.

٥٥٧١ - **(وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: إني فرطكم)** بفتحتين أي سابقكم ومقدمكم **(على الحوض)** قال النووي [رحمه الله]: الفرط بفتح الفاء والراء وهو الفارط الذي يتقدم الوارد يصلح لهم الحياض والدلاء والأرشية وغيرها من أمور الاستقاء. فمعناه أنا سابقكم إلى الحوض كالمهيء لكم. **(من مر علي شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً)** قال القاضي عياض [رحمه الله]: ظاهر هذا الحديث يدل على أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار. **(ليردن)** من الورود، أي ليمرن. **(على أقوام)** أي جماعات **(أعرفهم ويعرفونني)** قيل: لعل هؤلاء هم الذين ذكرهم حيث قال: أصحابي. **(ثم يحال بيني وبينهم فأقول: إنهم مني)** أي من أمتي أو من أصحابي **(فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)** أي من الارتداد، فإن سائر المعاصي لا تمنع المؤمن من ورود الحوض والشرب من مائه، ويدل عليه أيضاً قوله: **(فأقول: سحقاً)** بضم فسكون وبضمان **(سحقاً)** كرر للتأكيد أي بعداً وهلاكاً، ونصبهما على المصدر والجملة دعاء بالعذاب. **(لمن غير)** أي دينه **(بعدي)** أي بعد موتي أو بعد قبول ديني والدخول في أمتي **(متفق عليه)**.

الحديث رقم ٥٥٧١: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤٦٤. حديث رقم ٦٥٨٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٧٩٣ حديث رقم (٢٦ - ٢٩٠). وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣٩ حديث رقم ٤٣٠٤ وأحمد في المسند ١/ ٢٥٧.

٥٥٧٢ ـ (٧) وعن أنس، أنَّ النبي ﷺ، قال: «يُحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يُهمُّوا بذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا! فيأتونَ آدمَ، فيقولون: أنتَ آدم أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسكنك جنَّته، وأسجدَ لك ملائكته، وعلمك أسماء كلِّ شيءٍ، اشفعْ لنا عند ربِّك حتى يُريحنا من مكاننا هذا. فيقول: لستُ هناكم. ـ

٥٥٧٢ ـ (وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: يحبس) أي يوقف (المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا) بصيغة المفعول أي يحزنوا (بذلك) أي بسبب ذلك الحبس، وفي نسخة بفتح الياء وضم الهاء على بناء الفاعل وليس بشيء. قال التوربشتي [رحمه الله]: هو على بناء المجهول، أي يحزنوا لما امتحنوا به من الحبس، من قولهم: أهمني الأمر إذا أقلقك وأحزنك. (فيقولون: لو استشفعنا) أي ليت طلبنا أحداً ليشفع لنا. (إلى ربنا فيريحنا) أي يعطينا الراحة ويخلصنا (من مكاننا) قال الطيبي [رحمه الله]: لو هي المتضمنة للتمني والطلب. وقوله: فيريحنا من مكاننا من الإراحة ونصبه بأن المقدرة بعد الفاء الواقعة جواباً للو. والمعنى: لو استشفعنا أحداً إلى ربنا فيشفع لنا فيخلصنا مما نحن فيه من الكرب والحبس. قال في أساس البلاغة: شفعت له إلى فلان وأنا شافعه وشفيعه واستشفعني إليه فشفعت له واستشفع بي. قال الأعمش:

مضى زمن والناس يستشفعونني * فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع

(فيأتون آدم) الظاهر أن المراد بهم رؤساء أهل المحشر لا جميع أهل الموقف. (فيقولون:) أي بعضهم (أنت آدم) هو من باب قوله:

أنا أبو النجم وشعري شعري *

وهو مبهم فيه معنى الكمال لا يعلم ما يراد منه، ففسر بما بعده من قوله: (أبو الناس خلقك الله بيده) أي بلا واسطة أو بقدرته الكاملة أو ارادته الشاملة. (وأسكنك جنته) فيه إيماء إلى حصول المآل ووصول المنال وما تميل إليه النفس من حسن المآل. (واسجد لك ملائكته) أي سجود تحية، وفيه إشارة إلى كمال الجاه والعظمة. (وعلمك أسماء كل شيء) فيه إشعار باعطاء الفضيلة العظمى والمرتبة الكبرى. قال الطيبي [رحمه الله]: وضع كل شيء موضع أشياء أي المسميات لقوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة ـ ٣١]. أي أسماء المسميات بإردة للتقصي، أي واحداً فواحداً حتى يستغرق المسميات كلها. (اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا) أي هذا المكان العظيم والموقف الأليم. (فيقول: لست هناكم) قيل:

الحديث رقم ٥٥٧٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٧. حديث رقم ٦٥٦٥. ومسلم في صحيحه ١/ ١٨٠ حديث رقم (٣٢٢ ـ ١٩٣). وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٣٧ حديث ٢٤٣٤. وأخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ٤٤٢ حديث رقم ٤٣١٢. والدارمي في السنن ١/ ٤١ حديث رقم ٥٢ وأحمد في المسند ٣/ ١٤٤.

ويذكر خطيئته التي أصاب: أكلَهُ منَ الشجرة وقد نُهي عنها ـ ولكن ائتوا نوحاً أوّل نبيٍ بعثَهُ الله إلى أهل الأرض؛

هنا إذا الحق بكاف الخطاب يكون للبعد من المكان المشار إليه. فالمعنى: أنا بعيد من مقام الشفاعة. قال القاضي البيضاوي: أي يقول آدم عليه [الصلاة]والسلام لهم: لست في المكان والمنزل الذي تحسبونني فيه، يريد به مقام الشفاعة. وقال القاضي عياض [رحمه الله]: هو كناية عن أن منزلته دون المنزلة المطلوبة، قاله تواضعاً واكباراً لما يسألونه. قال: وقد يكون فيه إشارة إلى أن هذا المقام ليس لي بل لغيري. قال العسقلاني [رحمه الله]: وقد وقع في رواية فيقول: لست لها. وكذا في بقية المواضع. وفي رواية: ليست لصاحبك ذاك. وهو يؤيد الاشارة المذكورة. **(ويذكر خطيئته التي أصاب)** أي اعتذاراً عن التقاعد والتأني عن الشفاعة، والراجع إلى الموصول محذوف أي التي أصابها. وقوله: **(أكله من الشجرة)** بالنصب بدل من خطيئته، أي يذكر أكله من الشجرة ذكره البيضاوي. قال الطيبي [رحمه الله]: ويجوز أن يكون بياناً للضمير المبهم المحذوف نحو قوله تعالى: ﴿**فسواهن سبع سموات**﴾ [البقرة ـ ٢٩]. **(وقد نهي)** أي آدم [عليه الصلاة والسلام]**(عنها)** أي عن الشجرة أو عن الخطيئة، والجملة حال من المفعول. **(ولكن ائتوا نوحاً [أول]نبي بعثه الله إلى أهل الأرض)** استشكلت هذه الأولية بأن آدم [عليه السلام]نبي مرسل وكذا شيث وإدريس وغيرهم. وأجيب بأن الأولية مقيدة بقوله: أهل الأرض. ويشكل هذا ذلك بحديث جابر في البخاري في التيمم «وكان النبي يبعث خاصة إلى قوم خاصة»[(١)] ويجاب بأن العموم لم يكن في أصل بعثة نوح، وإنما اتفق باعتبار حصر الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس انتهى. وفيه نظر ظاهر لا يخفى. وقيل: إن الثلاثة كانوا أنبياء ولم يكونوا رسلاً ويرد عليه حديث أبي ذر عند ابن حبان فإنه كالصريح بإنزال الصحف على شيث وهو علامة الإرسال انتهى. وفيه بحث إذ لا يلزم من إنزال الصحف أن يكون المنزل عليه رسولاً لاحتمال أن يكون في الصحف ما يعمل به بخاصة نفسه. ويحتمل أن لا يكون فيه أمر ونهي بل مواعظ ونصائح تختص به. فالأظهر أن يقال: الثلاثة كانوا مرسلين إلى المؤمنين والكافرين، وأما نوح [عليه السلام]فإنما أرسل إلى أهل الأرض وكلهم كانوا كفاراً. هذا وقد قيل هو نبي مبعوث أي مرسل ومن قبله كانوا أنبياء غير مرسلين كآدم وإدريس [عليهم الصلاة والسلام]فإنه جد نوح على ما ذكره المؤرخون. قال القاضي عياض: قيل: إن إدريس هو إلياس وهو نبي من بني إسرائيل فيكون متأخراً عن نوح فيصح أن نوحاً أول نبي مبعوث مع كون إدريس نبياً مرسلاً، وأما آدم وشيث فهما وإن كانا رسولين إلا أن آدم أرسل إلى بنيه ولم يكونوا كفاراً، بل أمر بتعليمهم الإيمان وطاعة الله وشيثاً كان خلفاً له فيهم بعده بخلاف نوح فإنه مرسل إلى كفار أهل الأرض، وهذا أقرب من القول بأن آدم وإدريس لم يكونا رسولين. وقد يقال: إنه أول نبي بعثه الله بعد آدم على أن شيثاً كان خليفة له، فأوليته إضافية، أو أوّل نبي بعثه الله من أولي العزم فالأولية حقيقية وهذا أوفق الأقوال وبه يزول الاشكال والله

---

(١) البخاري في صحيحه ١/ ٤٣٥ حديث رقم ٣٣٥.

فيأتون نوحاً، فيقول: لستُ هناكم ـ ويذكرُ خطيئته التي أصاب: سؤالَه ربَّه بغير علم ـ

[تعالى]أعلم بالحال. وفي شرح مسلم قال المازري: قد ذكر المؤرخون أن إدريس جد نوح، فإن قام دليل على أنه أرسل أيضاً لم يصح أنه قبل نوح لاخبار النبي ﷺ عن آدم عليه [الصلاة]والسلام أن نوحاً أول رسول بعث [بعده]. وإن لم يقم دليل جاز ما قالوه، وصح أن يحمل أن إدريس كان نبياً مرسلاً. قال القاضي عياض: وقد قيل إن إدريس هو إلياس وأنه كان نبياً في بني إسرائيل كما جاء في بعض الأخبار، فإن كان هكذا سقط الاعتراض وبمثل هذا يسقط الاعتراض بآدم وشيث ورسالتهما إلى من معهما. وإن كانا رسولين فإن آدم إنما أرسل إلى بنيه ولم يكونوا كفاراً وكذلك شيث خلفه أو بعده بخلاف رسالة نوح إلى كفار أهل الأرض. قال القاضي [رحمه الله]: وقد رأيت أبا الحسن ذهب إلى أن آدم ليس برسول الله ليسلم من هذا الاعتراض. وحديث أبي ذر نص دال على أن آدم وإدريس رسولان والله سبحانه [وتعالى]أعلم. (فيأتون نوحاً فيقول:) إني على ما في نسخة (لست هناكم) قال شارح: أي لست في مكان الشفاعة. وأشار بقوله: هناكم، إلى البعد من ذلك المكان. وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض: إنما يقولونه تواضعاً واكباراً لما يسألونه، وقد يكون إشارة من كل واحد منهم إلى أن هذه الشفاعة وهذا المقام ليس له بل لغيره وكل واحد منهم يدل على الآخر حتى ينتهي الأمر إلى صاحبه. ويحتمل أنهم علموا أن صاحبها محمد ﷺ معيناً ويكون احالة كل واحد منهم على الآخر لأن تتدرج الشفاعة في ذلك إلى نبينا محمد ﷺ، ومبادرة النبي ﷺ لذلك واجابته لرغبتهم لتحققه أن هذه الكرامة والمقام له خاصة. قال الشيخ محيي الدين [رحمه الله]: والحكمة في أن الله تعالى ألهمهم سؤال آدم ومن بعده صلوات الله [تعالى وسلامه]عليهم في الابتداء ولم يلهموا سؤال نبينا ﷺ اظهار الفضيلة نبينا ﷺ، فإنهم لو سألوه ابتداء لكان يحتمل أن غيره يقدر على هذا، وأما إذا سألوا غيره من رسل الله تعالى وأصفيائه فامتنعوا ثم سألوه فأجاب وحصل غرضهم فهو النهاية في ارتفاع المنزلة وكمال القرب[1]. وفيه تفضيله على جميع المخلوقين من الرسل الآدميين والملائكة المقربين، فإن هذا الأمر العظيم وهي الشفاعة العظمى لا يقدر على الاقدام عليه غيره صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. **(ويذكر)** أي نوح [عليه السلام]**(خطيئته التي أصاب يعني سؤاله ربه بغير علم)** أي قوله: إن ابني من أهلي. إلى آخره وكان سؤاله انجاء ابنه وكان غير عالم بأنه لا يجوز هذا السؤال ولذا قال تعالى: **﴿إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم﴾** [هود ـ ٤٦]. إلى آخره. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: سؤاله ربه بغير علم موقع سؤاله هنا موقع أكله في القرينة السابقة، وقوله: بغير علم، حال من الضمير المضاف إليه في سؤاله، أي صادراً عنه بغير علم وربه مفعول سؤاله. والمراد بالسؤال قوله: **﴿إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق﴾** [هود ـ ٤٥]. طلب أن ينجيه من الغرق. والمراد من قوله: بغير علم، إنه سأل ما لا يجوز سؤاله وكان يجب عليه أن لا يسأل كما قال تعالى: **﴿فلا تسألن ما ليس لك به**

(١) في المخطوطة «العزة».

ولكن ائتوا إبراهيمَ خليلَ الرَّحمٰن. قال: فيأتون إبراهيم، فيقول: إني لستُ هناكم ـ ويذكر ثلاث كذبات كذبهنّ ـ ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه اللّهُ التوراة، وكلّمه وقرّبه نجياً. قال: فيأتون موسى فيقول إني لستُ هناكم ـ ويذكر خطيئته التي أصاب قَتْلَهُ النفسَ ـ ولكن ائتوا عيسى عبدَ اللّهِ ورسولَه، وروحَ الله وكلمتَه». قال: «فيأتون عيسى، فيقول: لستُ هناكم، ولكن ائتوا محمّداً عبداً غفر اللّهُ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». قال: «فيأتوني فأستأذن على ربّي في داره، فيؤذن لي عليه،

علم﴾. وذلك أنه قال: ﴿إن ابني من أهلي وأن وعدك الحق﴾. أي وعدتني أن تنجي أهلي من الغرق وأن ابني من أهلي فنجه. قيل له ما شعرت من المراد بالأهل وهو من آمن وعمل صالحاً وأن ابنك عمل غير صالح. (**ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمٰن. قال: فيأتون إبراهيم فيقول: إني لست هناكم ويذكر ثلاث كذبات كذبهن**) بالتخفيف، أي قالهن كذباً. قال البيضاوي [رحمه الله]: إحدى الكذبات المنسوبات إلى إبراهيم عليه [الصلاة]والسلام قوله: ﴿**إني سقيم**﴾ [الصافات ـ ٨٩]. وثانيتها قوله: ﴿**بل فعله كبيرهم هذا**﴾ [الأنبياء ـ ٦٣]. وثالثتها قوله لسارة: هي أختي. والحق أنها معاريض، ولكن لما كانت صورتها صورة الكذب سماها أكاذيب واستنقص من نفسه لها، فإن من كان أعرف بالله وأقرب منه منزلة كان أعظم خطراً وأشد خشية وعلى هذا القياس سائر ما أضيف إلى الأنبياء من الخطايا. قال ابن الملك: الكامل قد يؤاخذ بما هو عبادة في حق غيره كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين. (**ولكن: ائتوا موسى عبداً آتاه [الله]**) استئناف تعليل وبيان. والمعنى: أعطاه الله. (**التوراة**) وهي أوّل الكتب الأربعة المنزلة (**وكلمه**) أي بلا واسطة (**وقربه نجياً**) أي مناجياً له، أو مناجي بناء على أنه حال من الفاعل أو المفعول. (**قال: فيأتون موسى. فيقول: إني لست هناكم. ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس**) أي نفس القبطي. وفي نسخة: قتل النفس. بغير ضمير. (**ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله**) أضافه إليه تشريفاً ولأنه كان يحيي الموتى. (**وكلمته**) أي خلق بأمركن أو كلمته في دعوته كانت مستجابة. (**قال: فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم**) إنما قال كذا مع أن خطيئته غير مذكورة لعله لاستحيائه من افتراء النصارى في حقه بأنه ابن الله ونحو ذلك كذا ذكره ابن الملك في شرح المشارق. (**ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**) أي فلم يكن له مانع من مقام الشفاعة العظمى. قال النووي: هذا مما اختلفوا في معناه. قال القاضي: قيل: المتقدم ما كان قبل النبوّة والمتأخر عصمته بعدها. وقيل: المراد به ما وقع منه ﷺ عن سهو وتأويل، حكاه الطبري واختاره القشيري [رحمه الله]. وقيل: ما تقدم لأبيه آدم [عليه السلام]وما تأخر من ذنوب أمته. وقيل: المراد أنه مغفور له غير مؤاخذ بذنب لو كان. وقيل: هو تنزيه له من الذنوب. (**قال: فيأتوني**) بتشديد النون وتخفف كما في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم [عليه الصلاة والسلام]﴿**أتحاجوني في الله وقد هدان**﴾ [الأنعام ـ ٨٠]. (**فأستأذن على ربي**) أي فاطلب الاذن منه للأدب مع الرب. (**في داره**) أي دار ثوابه وهو الجنة. وقيل: غير ذلك تحت عرشه. قال الطيبي [رحمه الله]: أي فأستأذن في الدخول على دار ربي. (**فيؤذن لي عليه**) أي في الدخول على الرب

فإذا رأيتُهُ وقعتُ ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، فيقول: ارفع محمَّد! وقل تُسمَعْ، واشفَعْ تُشفَعْ، وسَلْ تُعطَه». قال: «فأرفع رأسي، فأثني على ربِّي بثناءٍ وتحميد يُعلِّمُنيه، ثم أشفع فيحدُّ لي حداً، فأخرج، فأُخرجهم من النَّار وأُدخلهم الجنَّة، ثمَّ أعود الثانية فأستأذنُ على ربِّي في داره، فيُؤذنُ لي عليه، فإذا رأيتُهُ وقعت ساجداً، فيدعُني ما شاءَ اللَّهُ أن يدعَني، ثمّ يقولُ: ارفعْ محمَّد! وقل تُسمَعْ، واشفعْ تُشفَّعْ، وسَلْ تُعطَه». قال: «فأرفع رأسي فأثني على ربِّي بثناءٍ وتحميدٍ يُعلمنيه، ثمّ أشفع فيحدُّ

سبحانه. قال التوربشتي [رحمه الله تعالى]: إضافة دار الثواب إلى الله تعالى هنا كاضافته في قوله تعالى: ﴿لهم دار السلام عند ربهم﴾ [الأنعام ـ ١٢٧]. على أن السلام من أسماء الله تعالى على أحد الوجهين واضافتها إلى الله تعالى للشرف والكرامة. والمراد بالاستئذان عليه أن يدخل مكاناً لا يقف فيه داع إلا استجيب ولا يقوم به سائل إلا أجيب ولم يكن بين الواقف وبين ربه حجاب. والحكمة في نقله النبي ﷺ عن موقفه ذلك إلى دار السلام لعرض الحاجة هي أن موقف العرض والحساب موقف السياسة، ولما كان من حق الشفيع أن يقوم مقام كرامته فتقع الشفاعة موقعها أرشد ﷺ إلى النقلة عن موقف الخوف في القيامة إلى موقف الشفاعة والكرامة. وذلك أيضاً مثل الذي يتحرى الدعاء في موقف الخدمة ليكون أحق بالإجابة. قال القاضي عياض [رحمه الله تعالى]: معناه: فيؤذن لي في الشفاعة الموعود بها والمقام المحمود الذي أخره الله تعالى له فأعلمه أنه يبعثه فيه. **(فإذا رأيته)** أي بارتفاع الحجاب عني. وفي المشارق: فإذا أنا رأيته بزيادة أنا. قال ابن الملك: أي أني رأيتني وهذا التفات من التكلم إلى الغيبة. **(وقعت ساجداً)** أي خوفاً منه واجلالاً، أو تواضعاً له واذلالاً أو انبساطاً واذلالاً. **(فيدعني)** أي يتركني **(ما شاء الله أن يدعني)** أي في السجود. ففي مسند أحمد أنه يسجد قدر جمعة من جمع الدنيا، كذا ذكره السيوطي [رحمه الله]في حاشية مسلم. **(فيقول: ارفع)** أي رأسك من السجود **(محمد)** أي يا محمد فإنك صاحب المقام المحمود **(وقل)** أي ما شئت **(تسمع)** بصيغة المجهول، أي يقبل قولك، أو قل ما ألهمك من الثناء لتسمع أي تجاب. **(واشفع)** أي فيمن شئت **(تشفع)** بفتح الفاء المشددة، أي تقبل شفاعتك. **(وسل)** أي ما تريد من المزيد **(تعطه)** بهاء السكت وفي نسخة بالضمير، أي تعط ما تسأل. فالضمير راجع إلى المصدر المفهوم من الفعل وهو بمعنى المفعول. **(قال: فارفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه)** بتشديد اللام، أي يلهمنيه حينئذ ولا أدري ما هو الآن. **(ثم أشفع)** قال القاضي: وجاء في حديث أنس وحديث أبي هريرة ابتدأ النبي ﷺ بعد سجوده وحمده والاذن له في الشفاعة بقوله: أمتي أمتي[1]. **(فيحد)** بضم الياء وفتح الحاء، وفي نسخة بالعكس أي فيعين[2]. **(لي حداً)** وهو إما مصدر او اسم، أي مقداراً معيناً في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٤٧٣ حديث رقم ٧٥١٠. ومسلم في صحيحه ١/ ١٨٢ حديث رقم (٣٢٦ . ١٩٣). عن أنس وعن أبي هريرة حديث رقم ١٩٤.

(٢) في المخطوطة «يقول».

لي حداً، فأخرجُ، فأخرجُهم من النّار وأُدخلهم الجنّة، ثم أعودُ الثالثة، فأستأذن على ربي في داره، فيؤذن لي عليه، فإذا رأيتهُ وقعتُ ساجداً، فيدعُني ما شاء الله أن يدعني، ثمّ يقول: ارفعْ محمّدُ! وقُلْ تُسْمعْ، واشفع تُشَفَّعْ، وسَلْ تُعْطَه» قال: «فأرفعُ

باب الشفاعة. [قال التوربشتي رحمه الله: يريد أنه يبين لي في كل طور من أطوار الشفاعة]حداً أقف عنده فلا أتعداه مثل أن يقول: شفعتك فيمن أخل بالجماعات، ثم يقول: شفعتك فيمن أخل بالجمعات، ثم يقول: شفعتك فيمن أخل بالصلوات، ومثله فيمن شرب الخمر ثم فيمن زنى وعلى هذا ليريه علو الشفاعة في عظم الذنب على ما فيه من الشناعة. **(فأخرج)** أي من دار ربي **(فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة)** قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: دل أوّل الكلام [على]أن المستشفعين هم الذين حبسوا في الموقف وهموا وحزنوا لذلك فطلبوا أن يخلصهم من ذلك الكرب، ودل قوله: فأخرجهم من النار على أنهم من الداخلين فيها فما وجهه. قلت: فيه وجهان أحدهما: لعل المؤمنين صاروا فرقتين فرقة سار بهم إلى النار من غير توقف وفرقة حبسوا في المحشر واستشفعوا به ﷺ فخلصهم مما هم فيه وأدخلهم الجنة، ثم شرع في شفاعة الداخلين في النار زمراً بعد زمر كما دل عليه قوله: فيحد لي حداً الخ. فاختصر الكلام وهو من حلية التنزيل. وقد ذكرنا قانوناً في فتوح الغيب في سورة هود يرجع إليه مثل هذا الاختصار. قلت: مراده إنه ذكر الفرقة الثانية واقتصر على خلاصها لأنه يفهم منها خلاص الفرقة الأولى بالأولى، وقد يقال إنه من باب الاكتفاء. وثانيهما: أن يراد بالنار الحبس والكربة وما كانوا به من الشدة ودنو الشمس إلى رؤوسهم وحرها والجامهم العرق، وبالخروج الخلاص منها. قلت: وهذا القول وإن كان مجازاً لكنه إلى حقيقة الأمر أقرب وإلى أصل القضية أنسب، فإن المراد بهذه الشفاعة الكبرى وهي المعبر عنها بالمقام المحمود واللواء الممدود على ما قاله ﷺ: آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة. ومحط هذه الشفاعة هي الخلاص من الحبس والقيام والأمر بالمحاسبة للأنام وأماله ﷺ وكذا لغيره من الأنبياء والأولياء والعلماء والشهداء والصالحين والفقراء بعد ذلك شفاعات متعددة في ادخال بعض المؤمنين الجنة بلا حساب وادخال بعضهم الجنة ولو استحقوا دخول النار، واخراج بعضهم من النار وفي تخفيف عذاب بعضهم وفي ترقي درجات بعضهم في الجنة وأمثالها. ولكن فيه أنه لو أريد هذا المعنى لما كررت هذه القضية مرات على ما لا يخفى، اللهم إلا أن يقال: ينقسم أهل الموقف من المؤمنين العصاة على أقسام ثلاثة. وقال ابن الملك: تكون الشفاعة أقساماً أوّلها للإراحة من الموقف، وثانيها لإدخالهم الجنة بغير حساب، وثالثها عند المرور على الصراط، ورابعها للإخراج من النار. فذكر في الحديث القسمين وطوى الآخرين من البين والله [تعالى]أعلم. **(ثم أعود)** أي أرجع إلى دار ربي **(الثانية)** أي المرة الثانية **(فأستأذن على ربي في داره)** أي في دخولها **(فيؤذن لي عليه)** أي بالدخول عليه **(فإذا رأيته)** أي ذلك المكان أو رأيت ربي مع تنزيهه عن المكان وعن سائر صفات الحدثان **(وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني)** أي في مقام الفناء **(ثم يقول:)** رداً إلى حال البقاء **(ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه. قال: فارفع**

رأسي فأثني على ربّي بثناءٍ وتحميدٍ يعلّمنيه، ثمّ أشفع؛ فيحدُّ لي حدّاً، فأخرجُ، فأُخرجهم من النّار وأدخلهم الجنّة، حتى ما يبقى في النّار إلاّ من قد حبسه القرآن» أي وجب عليه الخلود، ثمّ تلا هذه الآية ﴿عسى أن يبعثك ربُّكَ مقاماً محموداً﴾ قال: «وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيّكم». متفق عليه.

٥٥٧٣ ـ (٨) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانَ يوم القيامة ماج النّاس بعضهم في بعض، فيأتونَ آدم فيقولون: اشفع إلى ربّك: فيقول: لست لها،

رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حداً فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة. ثم أعود الثالثة فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه. قال: فارفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حداً فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار). أي من هذه الأمة (إلا من قد حبسه القرآن) أي منعه من خروج النار بأن أخبر أنه مخلد في دار الفجار، وهذا معنى قول الراوي للحديث عن أنس وهو قتادة من أجلاء التابعين. (أي وجب عليه الخلود) أي دل القرآن على خلوده وهم الكفار. ومعنى وجب أي ثبت وتحقق، أو وجب بمقتضى اخباره تعالى فإنه لا يجوز فيه التخلف أبداً. (ثم تلا [هذه الآية]) أي النبي ﷺ أو أنس أو قتادة تذكراً أو استشهاداً أو اعتضاداً. (﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾[1]. قال:) أي أنس وهو أنسب أو قتادة وهو أقرب. ويحتمل أن فاعله النبي ﷺ على بعد (وهذا المقام) مبتدأ وخبر موصوف بقوله: (المحمود الذي وعده) أي الله سبحانه (نبيكم) وفي نسخة: وعد نبيكم، بصيغة المجهول وهذا على أن فاعل قال غيره ﷺ ظاهر لا اشكال، وأما على القول بأن القائل هو ﷺ فتوجيهه أنه وضع المظهر موضع المضمر وكان الأصل أن يقول: وعدنيه. وقال الطيبي [رحمه الله]: يحتمل أن يكون فاعل. قال الراوي: وأن يكون النبي ﷺ على سبيل التجريد تعظيماً لشأنه والله سبحانه [وتعالى]أعلم. (متفق عليه).

٥٥٧٣ ـ (وعنه) أي عن أنس رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة ماج) أي اختلط واضطرب ([الناس] بعضهم في بعض) أي داخلين فيهم، أي مقبلين ومدبرين متحيرين فيما بينهم. (فيأتون آدم) [عليه السلام] (فيقولون: اشفع) أي لنا (إلى ربك) ليأمر بالحساب ثم يجازي بالثواب أو العقاب (فيقول: لست لها) أي لست كائناً للشفاعة ولا مختصاً بها. قال الطيبي [رحمه الله]: اللام فيه مثلها في قوله تعالى: ﴿امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾

---

(١) الإسراء ـ آية رقم ٧٩.

الحديث رقم ٥٥٧٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/٤٧٣. حديث رقم ٧٥١٠ ومسلم في صحيحه ١/١٨٢ حديث رقم (٣٢٦ ـ ١٩٣).

ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمٰن، فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله، فيأتون موسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته، فيأتون عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمّد، فيأتوني فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربّي، فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخرّ له ساجداً، فيقال: يا محمّد! ارفع رأسك، وقل: تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا ربِّ! أمّتي أمّتي. فيقال: انطلق، فأخرجْ من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان،

[الحجر - ٣٥]. الكشاف: اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قوله: أنت لهذا الأمر، أي كائن له ومختص به. قال:

* أنت لها أحمد من بين البشر *

وفي[1] قوله: أنا لها، وقوله: ليس ذلك لك. **(ولكن عليكم بإبراهيم)** أي الزموه، فالباء زائدة أو المعنى: تشفعوا وتوسلوا به. **(فإنه خليل الرحمٰن، فيأتون إبراهيم فيقول:)** أي بعد قولهم: اشفع إلى ربك. فاختصر للعلم به، أو قبل أن يذكروا هذا الأمر بناء على كشف القضية عنه[2]. **(لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله)** أي ويناسبه الكلام في مرام هذا المقام **(فيأتون موسى** [عليه السلام]**فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته)** [أي]فإن روحه مستطابة وكلمته مستجابة. **(فيأتون عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد)** [عليه السلام]أي فإنه خاتم النبيين وسيد المرسلين **(فيأتوني)** بتشديد النون ويخفف **(فأقول: أنا لها. فأستأذن على ربي)** اي على كلامه أو على دخول داره **(فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها)** أي حينئذ **(لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد)** وهي جمع حمد على غير قياس كمحاسن جمع حسن أو جمع محمدة. **(وأخر)** بكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء، أي أسقط. **(له)** أي لله تعالى أو لشكره **(ساجداً)** حال **(فيقول: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول)** أي بعد رفع الرأس أو في حال السجود **(يا رب أمتي أمتي)** أي ارحمهم واغفر لهم يوم القيامة وتفضل عليهم بالكرامة، وكرره للتأكيد. أو أريد بهم السابقون واللاحقون. **(فيقال: انطلق)** أي اذهب **(فأخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة)** أي وزنها. قال النووي [رحمه الله]: والله [تعالى]أعلم بقدرها. **(من إيمان)** ثم المثقال ما يوزن من الثقل بفتحتين وهو اسم لكل سنج[3]. واختلف العلماء في تأويله حسب اختلافهم في أصل الإيمان. والتأويل المستقيم هو أن يراد بالأمر المقدر بالشعير والذرة والحبة والخردلة غير الشيء الذي هو حقيقة الإيمان من الخيرات وهو ما يوجد في القلوب من ثمرات الإيمان ولمحات الايقان

---

(١) في المخطوطة «وعلى». (٢) في المخطوطة «عنك».

(٣) سنج: بالسين والصاد. وقال في لسان العرب بالسين أفصح. وقال ابن السكيت وذكره صاحب مختار الصحاح، بأنه لا يقال «سنجه» بالسين. والصنج أو السنج هو الميزان.

فأنطلقُ فأفعل، ثمّ أعودُ فأحمده بتلك المحامد، ثمّ أخرُّ له ساجداً، فيقال: يا محمّدُ! ارفعْ رأسكَ، وقل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا ربِّ! أمّتي أمّتي. فيقال: انطلقْ فأخرِجْ من كان في قلبه مثقالُ ذرّة أو خردلةٍ من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرُّ له ساجداً، فيقال: يا محمّدُ! ارفع رأسك، وقُلْ تُسْمَعْ، وسَلْ تُعْطهْ، واشفعْ تشفّعْ. فأقول: يا ربّ! أمتي أمتي. فيقال: انطلقْ فأخرجْ من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبّةِ خردلةٍ من إيمان، فأخرجه من النار. فأنطلق فأفعل، ثم أعود الرابعةَ فأحمده بتلك المحامد، ثمّ أخرُّ له ساجداً فيقال: يا محمّدُ! ارفعْ رأسَكَ، وقل تسمع، وسل تعطهْ، واشفع تشفع فأقول: يا ربّ! ائذن لي فيمن قال: لا إله إلاّ الله. قال:

ولمعان العرفان، لأن حقيقة الإيمان الذي هو التصديق الخاص القلبي وكذا الاقرار المقرر اللساني لا يدخلها التجزيء والتبعيض ولا الزيادة ولا النقصان على ما عليه المحققون. وحملوا ما قاله غيرهم على الاختلاف اللفظي والنزاع الصوري. **(فانطلق)** أي فاذهب **(فافعل)** أي ما أذن لي بالاخراج ممن عين وبين لي. **(ثم أعود فاحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع. فأقول: يا رب أمتي أمتي. فيقال: انطلق فاخرج من كان في قلبه مثقال ذرة)** وهي أقل الأشياء الموزونة. وقيل: هي الهباء الذي يظهر في شعاع الشمس كرؤوس الأبر. وقيل: النملة الصغيرة. **(أو خردلة من إيمان)** يحتمل أن يكون أو للتخيير أو للتنويع أو الشك. **(فانطلق فافعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول: يا رب أمتي أمتي. فيقال: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردلة من إيمان)** وكرر أدنى ثلاثاً للمبالغة في القلة. **(فأخرجه من النار. فانطلق فأفعل ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع. فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله)** أي ولو في عمره مرة بعد إقراره السابق فإنه من جملة عمله اللاحق وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ولاطلاق حديث: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة[1]. فإنه يشمل دخوله أوّلاً وآخراً. قال الطيبي [رحمه الله]: هذا يؤذن بأن ما قدر قبل ذلك بمثال شعيرة ثم بمثقال حبة أو خردل، غير الإيمان الذي يعبر به عن التصديق وهو ما يوجد في القلوب من ثمرة الإيمان، وهو على وجهين: أن يراد بالثمرة ازدياد اليقين وطمأنينة النفس لأن ظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقوته. وأن يراد بها العمل وأن الإيمان يزيد وينقص بالعمل. وينصر هذا الوجه حديث أبي سعيد بعد هذا يعني قوله: ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من نار فيخرج منها قوماً لم يعلموا خيراً قط. **(قال:)** أي الله تعالى

---

(١) أخرجه البزار كما قال السيوطي في الجامع الصغير ٥٣٦/٢ حديث رقم ٨٨٩٦. والأحاديث في معناه كثيرة في كتب السنة.

ليس ذلك لك، ولكن وعزّتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجنّ منها من قال: لا إله إلا الله». متفق عليه.

٥٥٧٤ ـ (٩) عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «أسعدُ الناسِ بشفاعتي يومَ القيامةِ من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه».

(ليس ذلك لك، ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله) قال القاضي[1] [رحمه الله]: أي ليس هذا لك وإنما أفعل ذلك تعظيماً لأسمي راجلاً لا لتوحيدي. وهو مخصص بعموم قوله ﷺ في حديث أبي هريرة: «أسعد الناس بشفاعتي». الحديث على ما سيأتي. ويحتمل أن يجري على عمومه ويحمل على حال ومقام آخر. قال الطيبي [رحمه الله]: إذا فسرنا ما يختص بالله تعالى بالتصديق المجرد عن الثمرة وذكرنا أن ما يختص به رسول الله ﷺ هو الإيمان مع الثمرة [من]ازدياد اليقين أو العمل فلا اختلاف. وقال شارح من علمائنا المحققين: المعنى: ليس اخراج من قال لا إله إلا الله من النار [لك]، أي إليك يعني مفوضاً إليك وإن كان لك فيهم مكان شفاعة، أو لسنا نفعل ذلك لأجلك بل لأنا أحقاء بأنا نفعله كرماً وتفضلاً. ثم إنه بين بهذا الحديث أن الأمر في اخراج من لم يعمل خيراً قط من النار خارج عن حد الشفاعة، بل هو منسوب إلى محض الكرم موكول إليه. والتوفيق بين هذا الحديث وحديث أبي هريرة: أسعد الناس الخ. أما على الأول فظاهر لأنه أخرجهم الله بشفاعته ﷺ، وأما على المعنى الثاني فهو أن المراد بمن قال لا إله إلا الله في الحديث الأول هم الأمم الذين آمنوا بأنبيائهم لكنهم استوجبوا النار. وفي الثاني هم من أمته ﷺ ممن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً. **(متفق عليه)**.

٥٥٧٤ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه)** أي لا يشوبه شك وشرك ولا يخالطه نفاق وسمعة ورياء. **(أو نفسه)** شك من الراوي. وقيل: أسعد هنا بمعنى أصل الفعل. وقيل: بل على بابه وإن كل أحد يحصل له سعادة شفاعته، لكن المؤمن المخلص أكثر سعادة فإنه ﷺ يشفع في إراحة الخلق من هول الموقف ويشفع في بعض الكفار كأبي طالب في تخفيف عذاب النار وقال الكرماني: المراد هو أسعد ممن لم يكن في هذه المرتبة من الإخلاص البالغ غايته. والدليل على التأكيد ذكر القلب، إذ الإخلاص محله القلب ففائدته التأكيد كما في قوله تعالى: ﴿**فإنه آثم قلبه**﴾ [البقرة ـ ٢٨٣]. وقال القاضي [رحمه الله]: أسعد هنا بمعنى السعيد إذ لا يسعد بشفاعته من لم يكن من أهل التوحيد. أو المراد بمن قال: من لم يكن له عمل يستحق به الرحمة ويستوجب به الخلاص من النار فإن احتياجه إلى الشفاعة أكثر وانتفاعه بها أوفر. قال الطيبي [رحمه الله]: قد سبق أن حلول شفاعته إنما هو في حق من أثمر إيمانه إما مزيد طمأنينة أو عمل. وتختلف

---

(١) في المخطوطة «الطيبي».

الحديث رقم ٥٥٧٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٩٣ حديث رقم ٩٩. وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٣.

رواه البخاري.

٥٥٧٥ ـ (١٠) وعنه، قال: أُتيَ النبي ﷺ بلحم فَرُفِعَ إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، ثم قال: «أنا سيِّد الناس يومَ القيامةِ، يومَ يقوم الناس لرب العالمين، وتدنو الشمس فيبلغ الناس

مراتب اليقين والعمل، فيكون التفضيل بحسب المراتب ولذلك أكد خالصاً بقوله: من قلبه. أي خالصاً كائناً من قلبه. وقد علم أن الاخلاص معدنه ومكانه القلب، فذكر القلب هنا تأكيد وتقرير كما في قوله تعالى: ﴿فإنه آثم قلبه﴾ [البقرة ـ ٢٨٣]. الكشاف: فإن قلت: هلا اقتصر على قوله: فإنه آثم. وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده. قلت: كتمان الشهادة هو أن يضمرها ولا يتكلم بها، فلما كان آثماً مقترياً بالقلب أسند إليه لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ ألا تراك. تقول: إذا أردت التوكيد هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني ومما عرفه قلبي. (رواه البخاري) وفي رواية الجامع: خالصاً مخلصاً من قلبه[1]. ولم يذكر أو من نفسه.

٥٥٧٥ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: أتي النبي ﷺ) أي جيء (بلحم فرفع إليه الذراع وكانت) أي الذراع (تعجبه فنهس) بالمهملة وقيل بالمعجمة، أي فأخذ بمقدم أسنانه. (منها) أي من الذراع يعني مما عليها (نهسة) قال القاضي عياض [رحمه الله]: أكثر الرواة رووه بالسين المهملة. ورواه ابن هامان بالمعجمة. والنهس بالمهملة الأخذ بأطراف الأسنان، وبالمعجمة الأخذ بالأضراس. (ثم قال: أنا سيد الناس) أي جميعهم من الأنبياء وغيرهم (يوم القيامة) أي حيث يحتاجون إلى شفاعتي ذلك اليوم لكرامتي عند الله تعالى، فإذا اضطروا أتوا إلي طالبين لشفاعتي لهم. ويؤيده حديث: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر». على ما رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد[2]. (يوم يقوم الناس لرب العالمين) قال الطيبي [رحمه الله]: بدل من قوله: يوم القيامة. وقال ابن الملك: يحتمل أن يكون جواب سائل قال ما يوم القيامة. قلت: ويمكن أن يكون منصوباً بأعني مقدراً أو مرفوعاً بتقدير مبتدأ محذوف هو هو وفتح يوم على الحكاية. (وتدنو الشمس) أي تقرب من رؤوس الناس (فيبلغ الناس) بالنصب أي فيلحقهم وفي نسخة بالرفع، أي

---

(١) الجامع الصغير ١/ ٦٨ حديث رقم ١٠٢١.

الحديث رقم ٥٥٧٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ٣٩٥. حديث رقم ٤٧١٢. ومسلم في صحيحه ١/ ١٨٤ حديث رقم (٣٢٧ ـ ١٩٤). والترمذي في السنن ٤/ ٢٤٤ حديث رقم ١٨٣٧. وابن ماجه ٢/ ١٠٩٩ حديث رقم ٣٣٠٧. وأحمد في المسند ٢/ ٤٣٥.

(٢) أحمد في المسند ٣/ ٢ وابن ماجه في السنن الحديث رقم ٤٣٠٨. والترمذي في السنن حديث رقم ٣٦١٥.

من الغم والكرب ما لا يطيقون، فيقول الناس: ألا تنظرون من يشفعُ لكم إلى ربكم؟ فيأتون آدم». وذكر حديث الشفاعة وقال: «فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقعُ ساجداً لربي، ثم يفتح الله عَليَّ من محامده وحسن الثناءِ عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم قال: يا محمَّد! ارفع رأسكَ، وسَلْ تُعطَهْ، واشفعْ تُشفَّعْ، فأرفع رأسي فأقول: أمّتي يا رب! أمّتي يا رب! أمّتي يا رب! فيقال: يا محمّدُ! أدخل من أمّتك من لا حسابَ عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنةِ، وهم شركاءُ الناسِ فيما سوى ذلك من الأبواب». ثم قال: «والذي نفسي بيده إنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنّة كما بين مكّة وهَجَر». متفق عليه.

فيصلون. (من الغم) أي من أجله وسببه (والكرب) وهو الهم الشديد الحاصل من القيام ودنو الشمس المترتب عليه الحر التام الموجب للعرق على وجه الإلجام. (ما لا يطيقون) أي ما لا يقدرون على الصبر عليه فيجزعون ويفزعون. (فيقول الناس:) أي بعضهم لبعض (ألا تنظرون) أي ألا تتأملون وألا تتفكرون أو ألا تبصرون (من يشفع لكم إلى ربكم) أي ليريحكم من هذا الهم والغم (فيأتون آدم [عليه السلام]وذكر) أي أبو هريرة أو النبي ﷺ (حديث الشفاعة) أي بطوله كما سبق (وقال: فأنطلق) أي فاذهب (فآتي) بالمد، أي فأجيء. (تحت العرش) قيل: وجه الجمع بينه وبين حديث أنس [رضي الله تعالى عنه]: على ربي في داره، أن يقال داره الجنة والجنة تحت العرش. وقيل: حديث أنس في الجنة وحديث أبي هريرة في الموقف. (فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ثم قال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه) جملة مستأنفة (واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب) ثلاث مرات للتأكيد والمبالغة، أو إشارة إلى طبقات العصاة. (فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم) أي من لا حساب عليهم (شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب) أي ليسوا ممنوعين من سائر الأبواب، بل هم مخصوصون للعناية بذلك الباب. (ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين) بكسر الميم أي البابين المضروبين[1] على مدخل واحد. (من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر) بفتحتين مصروفاً وقد لا يصرف. ففي الصحاح: هجر اسم بلد مذكر[2] مصروف. وقال شارح: هي قرية من قرى البحرين، وقيل من قرى المدينة والأول هو المعول. قال المظهر: المصارعان البابان[3] المغلقان على منفذ واحد، والمصراع مفعال من الصرع وهو الإلقاء وإنما سمي الباب المغلق مصراعاً لأنه كثير الإلقاء والدفع. (متفق عليه).

---

(١) في المخطوطة «المكبرين».

(٢) في المخطوطة «مذكور».

(٣) في المخطوطة «الباب».

٥٥٧٦ ـ (١١) وعن حذيفةَ في حديث الشفاعة، عن رسول الله ﷺ قال: «وترسلُ الأمانة والرحم، فتقومان جَنَبَتي الصراط يميناً وشمالاً». رواه مسلم.

٥٥٧٧ ـ (١٢) وعن عبدِ الله بنِ عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في إبراهيم: ﴿ربِّ إنهنَّ أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني﴾ وقال عيسى: ﴿إن تعذّبهم فإنهم عبادك﴾

٥٥٧٦ ـ (وعن حذيفة في حديث الشفاعة عن رسول الله ﷺ قال: وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط) بفتحات أي بجانبيه (يميناً وشمالاً) قال التوربشتي [رحمه الله]: يريد بجنبتي الصراط ناحيتيه اليمنى واليسرى. والمعنى: إن الأمانة والرحم لعظمة شأنهما وفخامة أمرهما مما يلزم العباد من رعاية حقهما يمثلان هنالك للأمين والخائن والواصل والقاطع فيحاجان عن المحق الذي راعاهما ويشهدان على المبطل الذي أضاعهما ليتميز كل منهما. وقيل: ترسل من الملائكة من يحاج لهما وعنهما. وفي الحديث حث على رعاية حقهما والاهتمام بأمرهما. وقال الطيبي [رحمه الله]: ويمكن أن تحمل الأمانة على الأمانة العظمى وهي ما في قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال﴾ [الأحزاب ـ ٧٢]. وصلة الرحم صلتهما الكبرى وهي ما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾. إلى قوله تعالى: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ [النساء ـ ١]. فيدخل في الحديث معنى التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله وكأنهما اكتنفا جنبي الإسلام الذي هو الصراط المستقيم وقطري الإيمان والدين القويم. (رواه مسلم).

٥٥٧٧ ـ (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في إبراهيم:) [عليه السلام]أي في سورته أو حاكياً في حقه (﴿رب إنهن﴾) أي الأصنام (﴿أضللن كثيراً من الناس﴾) أي صرن سبب ضلال كثير منهم (﴿فمن تبعني﴾) أي في التوحيد والإخلاص والتوكل (﴿فإنه مني﴾) أي من أتباعي وأشياعي وتمامه: (﴿ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾)[1] أي تغفر ما دون الشرك لمن تشاء وترحمه بالتفضل على من تشاء، أو تغفر للعاصي المشرك بأن توفقه للإيمان والطاعة في الدنيا وترحم عليه بزيادة المثوبة في العقبى. (وقال عيسى [عليه السلام]:) قال النووي [رحمه الله]: هو مصدر يقال: قال قولاً وقالاً وقيلاً، وقد أضاف إلى عيسى عطفاً على مفعول تلا، أي تلا قول الله وقول عيسى. (﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾) وآخره (﴿وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾)[2] أي لا يغلبك شيء فإنك القوي القادر وتحكم بما تشاء فأنت الحاكم الذي لا معقب لحكمه، أو الحكيم الذي يضع

الحديث رقم ٥٥٧٦: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٨٤ حديث رقم (٣٢٩ ـ ١٩٥).

الحديث رقم ٥٥٧٧: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٩١ حديث رقم (٣٤٦ ـ ٢٠٢).

(١) سورة إبراهيم. آية رقم ٣٦.

(٢) سورة المائدة. آية رقم ١١٨. وتكملة الآيتان ليست موجودة في متن المشكاة.

فرفع يديه، فقال: «اللهم أمّتي أمّتي»، وبكى. فقال الله تعالى: «يا جبريل! اذهب إلى محمّد، وربُّك أعلم، فسله ما يبكيه؟». فأتاه جبريلُ فسأله فأخبره رسولُ الله ﷺ بما قال: فقال الله لجبريل: «اذهبْ إلى محمّد، فقل: إنا سنرضيكَ في أمّتك ولا نسوءك».

الأشياء في موضعها ويتقن الأفعال ويحسنها. (فرفع) أي النبي ﷺ (يديه) أي كريمتيه (فقال: اللهم أمتي أمتي) أي اللهم اغفر لأمتي اللهم ارحم أمتي. ولعل هذا وجه التكرار أو أريد به التأكيد أو قصد به الأولون والآخرون. (وبكى) لأنه تذكر النبي ﷺ الشفاعة الصادرة عن الخليل وروح الله فرق لأمته. (فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم) جملة معترضة حالية دفعاً لما يوهمه قوله: (فاسأله) بالهمز والنقل (ما يبكيك فأتاه جبريل فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال) أي بشيء قاله النبي ﷺ من سبب البكاء وهو الخوف لأجل أمته[1]. (فقال الله لجبريل: اذهب إلى محمد فقل إنا) أي بعظمتنا (سترضيك) أي سنجعلك راضياً (في أمتك) أي في حقهم (ولا نسوءك) أي ولا نحزنك في حق الجميع بل ننجيهم ولأجل رضاك نرضيهم. وهو في المعنى تأكيد إذ ربما يتوهم من سترضيك نرضيك في حق البعض ولذا قال بعضهم: ما يرضى محمد وأحد من أمته في النار. قال الطيبي [رحمه الله]: لعله عليه [الصلاة] والسلام أتى بذكر الشفاعة التي صدرت عن النبيين عن الخليل بتقدير الشرط والصيغة الشرطية لأن المعنى أن الأصنام أضللن كثيراً من الناس فمن تاب من عبادتها وبعتني في التوحيد فإنه متصل بي فاقبل شفاعتي فيهم، فلا بد من تقدير تاب لأنه مصحح الشفاعة في حق المشركين. قلت: إنما يحتاج تقدير تاب في الشرطية الثانية وهي قوله: ومن عصاني. قال: وعن روح الله كذلك لأن الضمير في تغفر لهم راجع إلى من اتخذه وأمه إلهين من دون الله، فيكون التقدير: أن تغفر لهم بعد ما تابوا عن ذلك فإنك غفور رحيم. قلت: لا يلائمه ما قبله وهو قوله: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك ﴾. مع أن هذا الكلام يصدر عنه يوم القيامة، ولا يمكن تقدير التوبة هناك. ثم الجزاء في الآية إنما هو قوله: ﴿فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾. في كلام عيسى [عليه الصلاة والسلام]، وأما قوله: ﴿فإنك غفور رحيم ﴾. جزاء للشرطية الواقعة في كلام إبراهيم: ﴿ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾. ثم قال: وعقبه بقوله: اللهم أمتي أمتي. ليبين لهم الفرق بين الشفاعتين ويبين ما بين المنزلتين. وفيه أن هذا البيان يحتاج إلى البرهان والتبيان فإن العرض بطريق الكناية أبلغ من التصريح بالدعاء كما هو مقرر عند أرباب الفناء والبقاء، وكذلك طريق التفويض والتسليم والرضا بالقضاء، ولا يظهر بيان للمدعي ولا تبيان للمعنى في قوله. وتحريره أن قوله: أمتي أمتي. متعلق بمحذوف، إما أن يقدر شفعني في أمتي وأرضني فيها، أو أمتي ارحمهم وأرضني بالشفاعة فيهم. والحذف لضيق المقام وشدة الاهتمام. قلت: يحتاج أيضاً هذا الكلام إلى توضيح المرام. قال: وهذا يدل على الجزم والقطع. قلت: الدعاء لا يكون بطريق القطع إذ لا حكم على الله سبحانه، فمآل الطريقين في الدعاء واحد وليس لهذا المقصد جاحد. قال: والتكرير لمزيد التقرير. قلت: قد تقدم وجوه أخر، والأظهر أنه من مستحبات

---

(١) في المخطوطة «لأمته».

رواه مسلم.

٥٥٧٨ ـ (١٣) وعن أبي سعيد الخدري، أنَّ ناساً قالوا: يا رسول الله! هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ قال رسولُ الله ﷺ: «نعم، هل تُضَارُّون

الدعاء فإن الإلحاح من العبد في المسألة لا ينافي الرضا بالقضاء. قال: ومن ثم أجيب في الحديث بقوله: إنا سنرضيك. حيث أتى بإن وضمير التعظيم وسين التأكيد ثم أتبعه بقوله: لا نسوءك. تقريراً بعد تقرير على الطرد والعكس. وفي التنزيل: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ [الضحى ـ ٥]. زيد لام الابتداء على حرف الاستقبال، ولفظة ربك، وجمع بين حرفي التأكيد والتأخير فيكون المعنى: ولأنت سوف يعطيك ربك وإن تأخر العطاء وقوله: وربك أعلم. من باب التتميم صيانة عما لا ينبغي أن يتوهم فهو كقوله: والله يعلم أنك لرسوله. في قوله تعالى: ﴿قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ [المنافقون ـ ١]. قال النووي [رحمه الله]: هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد منها: بيان كمال شفقته ﷺ على أمته واعتنائه بمصالحهم واهتمامه في أمرهم، ومنها البشارة العظيمة لهذه الأمة المرحومة بما وعده الله تعالى بقوله: سنرضيك في أمتك ولا نسوءك. وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة، ومنها بيان عظم منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى. والحكمة في إرسال جبريل عليه [الصلاة] والسلام لسؤاله ﷺ إظهاراً لشرفه وأنه بالمحل الأعلى فيرضى ويكرم. (رواه مسلم) وكذا البخاري والنسائي ذكره السيد.

٥٥٧٨ ـ (وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة. قال رسول الله ﷺ: نعم) أي ترون ربنا، ذكر السيوطي [رحمه الله] في بعض تعاليقه[1] أن رؤية الله تعالى يوم القيامة في الموقف حاصلة لكل أحد من الرجال والنساء، حتى قيل للكافرين والمنافقين أيضاً ثم يحجبون بعد ذلك ليكون عليهم حسرة. وأقول: وفيه بحث لقوله تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين ـ ١٥]. ولقوله ﷺ على ما سيأتي: حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله أتاهم رب العالمين، ولأن لذة النظر ولو مرة تنسي كل محنة وشدة بل يرتفع به كل حسرة، إذ من المعلوم أن النظر لا يوجد دائماً لأهل الجنة أيضاً. قال: وأما الرؤية في الجنة فأجمع أهل السنة على أنها حاصلة للأنبياء والرسل والصديقين من كل أمة ورجال المؤمنين من البشر من هذه الأمة. وفي نساء هذه الأمة ثلاث مذاهب: لا يرين ويرين ويرين في مثل أيام الأعياد دون غيرها، وفي الملائكة قولان: لا يرون ربهم ويرونه، وفي الجن أيضاً خلاف. (هل تضارون) بضم التاء وفتحها مع تشديد الراء وتخفيفها. قال شيخنا المرحوم مولانا عبد الله السندي: ففيه أربعة أوجه، لكن فيه نظر لأن ضم التاء مع التشديد ظاهر لأنه من باب المفاعلة مع احتمال بنائه للفاعل [أو] المفعول، وكذلك

الحديث رقم ٥٥٧٨: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٦٤ حديث رقم (٢٩٩ . ١٨٢).

(١) في المخطوطة «تآليفه».

في رؤية الشمس بالظهيرة صَحْواً ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤيةِ القمر ليلة البدر صحْواً ليس فيها سحاب؟». قالوا: لا، يا رسول الله! قال: «ما تضارّون في رؤية اللَّهِ يومَ القيامةِ إلا كما تضارّون في رؤية أحدهما. إذا كانَ يومُ القيامةِ أذَّن مؤذِّنٌ لِيتَّبعْ كلُّ أمّةٍ ما كانت تعبد فلا يبقى أحدٌ كانَ يعبدُ غيرَ اللَّهِ من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبقَ إلا من كان يعبدُ اللَّهَ من بَرّ وفاجر، أتاهم رب العالمين قال: فماذا تنظرون؟

فتح التاء مع التشديد فإنه من باب التفاعل على حذف إحدى التائين وهو يتعين أن يكون بصيغة الفاعل. وأما ضم التاء مع تخفيف الراء فمبني على أنه للمجهول من ضاره يضيره أو يضوره على ما في القاموس بمعنى ضره. وأما فتح التاء مع الراء المخففة فلا وجه له بحسب القواعد العربية. والمعنى: هل تتدافعون وتتزاحمون ليحصل لكم ضرر. (**في رؤية الشمس بالظهيرة**) أي وقت انتصاف النهار (**صحواً**) أي حين لا سحاب ولا غبار من أصحت السماء إذا خلت من الغيم كذا ذكره شارح. وفي القاموس: الصحو ذهاب الغيم. فقوله: (**ليس معها سحاب**) تأكيد، والمراد بالسحاب الحجاب أعم من أن يكون من جانب الرائي أو من جانب[1] المرئي، ثم أكد ثالثاً وأظهر مثالاً آخر بقوله: (**وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها**) أي في السماء بقرينة المقام وإن لم يجر لها ذكر أو في جهة رؤية القمر من السماء. (**سحاب**) أي مانع وحجاب (**قالوا: لا يا رسول الله. قال: ما تضارون في رؤية الله يوم القيامة**) أريد به الموقف وما بعده من دخول الجنة (**إلا كما تضارون في رؤية أحدهما**) وفيه مبالغة وتعليق بالمحال، أي لو كان في رؤية أحدهما مضارة لكان في رؤيته مضارة. والتشبيه إنما هو لمجرد الظهور، وتحقق الرؤية مع التنزه عن صفات الحدوث من نحو المقابلة والجهة. ولعل ذكر الشمس والقمر للإشعار بأن رؤية الله حاصلة للمؤمنين في الليل والنهار على غاية من الظهور ونهاية من الأنوار، وإيماء إلى تفاوت التجلي الرباني بالنسبة إلى الأبرار. (**إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن**) أي نادى مناد (**ليتبع**) بتشديد التاء المفتوحة وكسر الموحدة، وفي نسخة بالسكون والفتح أي ليعقب. (**كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام**) بيان غير الله (**والأنصاب**) جمع نصب بفتح النون وضمها وسكون الصاد وبضمان وهي حجارة كانت تنصب وتعبد من دون الله تعالى ويذبحون عليها تقرباً إلى آلهتهم، وكل ما نصب واعتقد تعظيمه من الحجر والشجر فهو النصب. (**إلا يتساقطون في النار**) لأن الأنصاب والأصنام ملقاة فيها (**حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله**) أي وحده (**من بر**) أي مطيع صالح (**وعاص**) أي فاجر فاسق (**أتاهم رب العالمين**) أي أتاهم أمره كما أشار إليه بقوله: (**قال:**) أي الرب (**فماذا تنظرون**) أي تنتظرون. ويجوز أن يعبر بالإتيان عن التجليات الإلهية والتعريفات الربانية، بل قيل هو القول الحق وهو بالاعتبار أولى وأحق. وقيل: الإتيان هنا عبارة عن رؤيتهم إياه لأن من غاب عن غيره لا يمكن رؤيته إلا بعد الإتيان فعبر بالإتيان عن الرؤية مجازاً. وقيل: الإتيان

(١) في المخطوطة «جهة».

يتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم».

فعل من أفعال الله سبحانه سماه إتياناً وقيل: المراد إتيان بعض الملائكة، قال القاضي عياض [رحمه الله]: وهذا الوجه أشبه عندي بالحديث أو يكون معناه: يأتيهم الله في صورة الملائكة مخلوقاته التي لا تشبه صفات الإله ليختبرهم، فإذا قال لهم الملك: أو هذه الصورة: أنا ربكم ورأوا عليه من علامة المخلوق ينكرونه ويعلمون أنه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه. وقيل: الرؤية حقيقة غير أنا لا نكيف ذلك. وقيل: كنه معرفتها إلى علم الله تعالى. وقال التوربشتي [رحمه الله]: إتيان الله في الكتاب مفسر بإتيان أمره وإتيان بأسه ولفظ التنزيل محتمل لكلا القولين. فأما هذا الحديث فإنه يؤول على إتيان أمره وهو قوله: فماذا تنظرون. ومن السلف من تنزه عن تأويله خشية الخطأ مع تمسكه بالعروة الوثقى وهي تنزيه الله تعالى عن الاتصاف بما تحدث به النفوس من أوصاف الخلق. قال الشيخ الإمام أبو الفتوح العجلي في كتاب الأقاويل المشهورة: قال البيهقي: قد تكلم الشيخ أبو سليمان الخطابي رحمه الله في تفسير هذا الحديث وتأويله بما فيه الكفاية، قال: إن هذا موضع يحتاج الكلام فيه إلى تأويل وتخريج وليس ذلك من أجل أنا ننكر رؤية الله سبحانه وتعالى: بل نثبتها ولا من أجل أنا ندفع ما جاء في الكتاب والسنة من ذكر المجيء والإتيان، غير أنا لا نكيف ذلك ولا نجعله حركة وانتقالاً كمجيء الأشخاص وإتيانها فإن ذلك من نعوت الحادث[1] تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. ويجب أن يعلم أن الرؤية التي هي ثواب الأولياء وكرامة لهم في الجنة غير هذه الرؤية المذكورة في مقامهم، واحتج بحديث صهيب في الرؤية يعني كما سيجيء في باب رؤية الله تعالى، وإنما تعرضهم لهذه الرؤية امتحان من الله تعالى لهم فيقع بها التمييز بين من عبد الله تعالى وبين من عبد الطواغيت ليتبع كل من الفريقين معبوده، وليس ننكر أن يكون الامتحان إذ ذاك بعد قائماً وحكمه على الخلق جارياً حتى يفرغ من الحساب ويقع الجزاء بما يستحقونه من الثواب أو العقاب ثم ينقطع إذا حقت الحقائق واستقرت أمور العباد قرارها، ألا ترى إلى قوله تعالى: **﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾** [القلم ـ ٤٢]. وجاء في الحديث: أن المؤمنين يسجدون ويصير ظهور المنافقين طبقاً واحداً قال: ويخرج معنى إتيان الله في هذا إياهم أنه يشهدهم رؤيته ليتيقنوه[2] فيكون معرفتهم له في الآخرة عياناً كما كان اعترافهم بربوبيته في الدنيا علماً واستدلالاً ويكون طريق الرؤية بعد أن لم يكن بمنزلة إتيان الآتي من حيث لم يكونوا شاهدوه. ثم قوله: فماذا تنظرون، أي قلنا لكم ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فبعضكم اتبع ما عبده فلم أنتم أيضاً لا تتبعونه وهذا معنى قوله: **(يتبع كل أمة ما كانت تعبد)** فإن لفظه خبر ومعناه أمر **(قالوا: يا ربنا فارقنا الناس)** أي الذين عبدوا غير الله فضلاً عن أن نعبد ما سواه في الدنيا. والمعنى: ما اتبعناهم ما دمنا في الدنيا. **(أفقر ما كنا إليهم)** بالنصب على الظرفية، أي في أفقر أكواننا إلى الناس. **(ولم نصاحبهم)** أي في أفعالهم

---

(١) في المخطوطة «الحدث».

(٢) في المخطوطة «ليتيقنوه».

٥٥٧٩ ـ (١٤) وفي رواية أبي هريرة «فيقولون: هذا مكانُنا حتى يأتينا ربُّنا، فإذا جاء ربُّنا عرفناه».

وفي رواية أبي سعيد: «فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساقٍ، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاءِ نفسِه إلا أذِنَ اللّهُ له بالسجودِ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل اللّهُ ظهره طبقةً واحدةً، كلما أراد أن يسجد خَرَّ على قفاه،

بل قاتلناهم وحاربناهم وعاديناهم وقاطعناهم لمرضاتك ورجاء لتجلياتك. وحاصله: إنا ما اتبعناهم حينئذ والأمر غيب عنا ونحن محتاجون إليهم فكيف نتبعهم الآن وقت العيان، إنهم وما يعبدون من دون الله حصب جهنم. قال الطيبي [رحمه الله]: أفقر حال من ضمير فارقنا وما مصدرية والوقت مقدر. قال النووي [رحمه الله]: معناه أنهم تضرعوا إلى الله تعالى ولجأوا إليه وتوسلوا بهذا القول المشعر بالإخلاص إلى الخلاص يعني: ربنا فارقنا الناس في الدنيا الذين زاغوا عن طاعتك من الأقرباء وممن يحتاج إليهم في المعاش والمصالح الدنيوية، وهكذا كان دأب الصحابة ومن بعدهم من المؤمنين في جميع الأزمان فإنهم كانوا يقاطعون من حاد الله ورسوله مع حاجتهم إليه وآثروا رضا الله تعالى على ذلك.

٥٥٧٩ ـ **(وفي رواية أبي هريرة فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا)** أي يتجلى علينا بوجه نعرفه **(فإذا جاء ربنا)** أي على ما عرفناه من أنه منزه عن الصورة والكمية والكيفية والجهة وأمثالها **(عرفناه)** أي حق المعرفة. قيل: يشبه والله [تعالى]أعلم أن يكون إنما منعهم عن تحقق الرؤية في الكرة الأولى حتى قالوا: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا من أجل من معهم من المنافقين لا يستحقون الرؤية وهم عن ربهم محجوبون، فلما ميزوا عنهم ارتفع الحجاب فقالوا عندما رأوه: أنت ربنا. وهذا معنى قوله. **(وفي رواية أبي سعيد فيقول: هل بينكم وبينه)** أي بين ربكم **(آية)** أي علامة **(تعرفونه)** أي بتلك الآية وهي المعرفة والمحبة التي هي نتيجة التوحيد وثمرة الإيمان والتصديق **(فيقولون: نعم. فيكشف عن ساق)** بصيغة المجهول، وقيل على بناء الفاعل. قيل: معنى كشف الساق زوال الخوف والهول. **(فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه)** أي من نحوها وجهتها مخلصاً لا لجهة اتقاء الخلق وتعلق الرجاء بهم. **(إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء)** أي احتراساً من السيف أو خوفاً من الناس **(ورياء)** أي مراياة ومسامعة للخلق **(إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة)** وفي شرح مسلم للنووي [رحمه الله]قوله: طبقة واحدة، أي صفحة أي صار فقار ظهره واحدة كالصفحة. **(كلما أراد أن يسجد خر)** أي سقط **(على قفاه)** قال الشيخ [رحمه الله]: والذي يوضح ما ذكره الإمام أبو سليمان أن الدنيا وإن كانت دار ابتلاء فقد يتحقق الجزاء في بعض الأحوال كما قال تعالى: ﴿**وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم**﴾ [الشورى ـ ٣٠]. فكذا الآخرة وإن كانت دار جزاء فقد يقع

الحديث رقم ٥٥٧٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٣/ ٤٢٠. حديث رقم ٧٤٣٩. ومسلم في صحيحه ١/ ١٦٧ حديث رقم (٣٠٢ . ١٨٣). وأحمد في المسند ٢/ ٥٣٤.

ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلّم سلّم، فيمرُّ المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلَّمٌ، ومخدوش مرسَلٌ، ومكدوس في نار جهنم،

بها الابتلاء، أي بالتجلي والسجود ونحوهما بدليل أن القبر هو أول منزل من منازل الآخرة يجري فيه الابتلاء. ثم قال: ولئن كان معنى الخبر هذا فذاك وإلا فمعناه ما أراد ﷺ مع تنزيه الله تعالى عن كل مماثلة ومشابهة. وقال النووي [رحمه الله]: هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده وقد استدل بهذا وبقوله تعالى: ﴿يدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ [القلم - ٤٢]. على [جواز] تكليف ما لا يطاق. أقول: الأظهر ما قال العسقلاني من أن التحقيق هو أن التكليف خاص بالدنيا وأمّا ما يقع في القبر وفي الموقف فإنما هو من آثار ذلك. قال النووي [رحمه الله]: وقد يتوهم من هذا الحديث أن المنافقين يرون الله تعالى وإنما فيه أن الجمع الذي فيهم المؤمنون والمنافقون يرون الله تعالى ثم يمتحن بالسجود، فمن سجد كان مخلصاً ومن لم يقدر عليه كان منافقاً وهذا لا يدل على أن المنافقين يرون الله تعالى. **(ثم يضرب)** أي يجعل ويمد **(الجسر)** بكسر الجيم ويفتح. ففي القاموس: الجسر الذي يعبر عليه ويكسر. والمعنى موضع الصراط كما في رواية. **(على جهنم)** أي متنها أو وسطها **(وتحل الشفاعة)** بكسر الحاء ويضم أي تقع ويؤذن فيها **(فيقولون:)** أي الأنبياء والرسل بدليل حديث أبي هريرة بعد هذا **(اللهم سلم سلم)** تكراره مرتين المراد به الكثرة أو باعتبار كل واحد من أهل الشفاعة أو للإلحاح في الدعاء كما هو من آدابه، وهو أمر مخاطب أي يقول كل نبي: أمتي اللهم سلم أمتي من ضرر الصراط اللهم اجعلهم سالمين من آفاته آمنين من مخافاته. **(فيمر المؤمنون كطرف العين)** وفي المصابيح: كطرفة العين. قال شارح له: التاء للوحدة. يقال: طرف طرفاً إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر. **(وكالبرق وكالريح وكالطير)** أي بحسب مقاماتهم وعلى قدر حالاتهم من أنواع الجذبة وقوة الطيران وسرعة الجريان المعبر عنه بقوله: **(وكأجاويد الخيل)** هي جمع أجواد وهو جمع جواد وهو الفارس السابق الجيد كذا في النهاية: فجواد نعت من جاد إذا أسرع في السير وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف. وقوله: **(والركاب)** بكسر الراء عطف على الخيل، والمراد بها الإبل ولا واحد له من لفظه. **(فناج)** الفاء للتفريع أو التفصيل، وقد قسم المارة على الصراط بطريق الإجمال على ثلاث فرق بحسب مراتبهم في العقيدة والعمل والمعرفة. والمعنى: فمنهم ناج. **(مسلم)** بتشديد اللام المفتوحة، أي ينجو من العذاب ولا يناله مكروه من ذلك الباب. **(ومخدوش)** أي ومنهم مجروح **(مرسل)** أي مخلص. قال شارح: أي الذي يخدش بالكلوب فيرسل إلى النار من عصاة أهل الإيمان. وقوله: مرسل، أي مطلق من القيد والغل بعد أن عذبوا مدة. **(ومكدوس)** بالسين المهملة، أي ومنهم مدفوع. **(في نار جهنم)** يقال: كدس، إذا دفع من ورائه فسقط. وهم الذين لا منجى ولا ملجأ لهم المقضيون بالخلود عليهم كذا قاله شارح وهو غير صحيح لقوله [عليه الصلاة والسلام]: فيمر المؤمنون. اللهم إلا أن يقال قوله: فناج، عطف على قوله: فيمر. لا أنه تفريع له، والضمير في منهم المقدر راجع إلى جميع المارة على الجسر. وروي بالشين المعجمة من كدشه إذا

حتى إذا خَلَص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشدَّ مُناشدةً في الحق - قد تبين لكم - من المؤمنين لله يومَ القيامةِ لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربَّنا! كانوا يصومون معنا، ويصلُّون، ويحجُّون. فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتُحرَّمُ صورُهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربَّنا! ما بقي فيها أحدٌ ممن أمرتنا به،

ساقه سوقاً شديداً وخدشه وجرحه [و] طرده. وروي مكدوش أي ملقى في نار جهنم. قال النووي [رحمه الله]: مكدوس بالسين المهملة هكذا هو في الأصول وكذا نقله القاضي عياض عن أكثر الرواة. قال: ورواه العذري بالشين المعجمة، ومعناه بالمعجمة السوق الشديد، وبالمهملة كون الأشياء بعضها راكبة على بعض، ومنه تكدست الدواب في سيرها إذا ركب بعضها بعضاً. وفي النهاية: مكدوس في النار، أي جمعت يداه ورجلاه وألقي فيها. قال الطيبي [رحمه الله]: قسم المارة على الصراط من المؤمنين على ثلاث فرق: قسم مسلم فلا يناله شيء أصلاً، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص، وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم. وخدش الجلد قشره بعود. **(حتى إذا خلص)** بفتح اللام، أي نجا. **(المؤمنون من النار)** أي من وقوعهم فيها، فحتى غاية لمرور البعض على الصراط وسقوط البعض في النار. وقال الطيبي [رحمه الله]: حتى غاية قوله: مكدوس في نار جهنم، أي يبقى المكدوس في النار حتى يتخلص بعد العذاب بمقدار ذنبه أو بشفاعة أحد، أو بفضله سبحانه وضع المؤمنون موضع الراجع إلى المكدوس أشعار بالعلية وأن صفة الإيمان منافية للخلود في النار. **(فوالذي نفسي بيده)** جواب إذا **(ما من أحد منكم)** خطاب للمؤمنين، وقوله: **(بأشد)** خبر ما وقوله: **(مناشدة)** منصوب على التمييز. أي أشد مطالبة ومناظرة. وقوله: **(في الحق)** ظرف للمناشدة. **(وقد تبين لكم)** صفة للحق لأنه في المعنى نكرة، أي في حق [قد] تبين [و] ظهر لكم على خصمكم أو حال أما من الضمير في أشد وإما من الحق. وقال شارح: حال من الحق والتقدير: ما من أحد منكم بأشد مناشدة في حال أن تبين لكم [الأمر] الحق. وقوله: **(من المؤمنين)** متعلق بأشد، أي بأشد مناشدة منكم فوضع المظهر موضع المضمر، وقوله: **(لله)** متعلق بمناشدة، وقوله: **(يوم القيامة)** ظرف أشد، أي يناشدون الله. **(لإخوانهم)** أي لأجل إخوانهم **(الذين في النار)** بالشفاعة من الجبار الغفار. قال النووي [رحمه الله]: معناه: ما منكم من أحد يناشد الله في الدنيا في استيفاء حقه واستقصائه وتحصيله من جهة خصمه والمعتدي عليه بأشد منكم مناشدة لله تعالى في الشفاعة لإخوانكم يوم القيامة. وقال شارح من علمائنا: معناه: ما من أحد منكم أكثر اجتهاداً ومبالغة في طلب الحق حين ظهر لكم الأمر الحق من المؤمنين في طلب خلاص إخوانهم العصاة في النار من النار يوم القيامة، ثم بين مناشدتهم بقوله: **(يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا)** أي موافقين لنا **(ويصلون)** أي صلاتنا **(ويحجون)** أي على طريقتنا **(فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم)** أي بهذه الأوصاف **(فتحرم)** بفتح الراء المشددة، أي فتمنع **(صورهم)** أي تغيرها **(على النار)** أي بأن تأكلها أو تسودها بحيث لا تعرف وجوههم فيعرفهم المؤمنون الشافعون بسيماهم. **(فيخرجون خلقاً كثيراً)** أي منها **(ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به)** أي بإخراجه من أرباب

فيقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقالَ دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقالَ نصف دينار من خيرٍ فأخرجوه، فيُخرجونَ خلقاً كثيراً. ثم يقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقالَ ذرّة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربَّنا لم نذر فيها خيراً. فيقول اللَّهُ: شَفَعت الملائكةُ، وشَفَعَ النبِيُّونَ، وشَفَعَ المؤمنونَ، ولم يبقَ إلا أرحمُ الراحمينَ، فيقبضُ قبضةً من النارِ فيُخرِجُ منها قوماً لم يعملوا خيراً قطُّ قد عادوا حُمَماً فيُلقيهم في نهرٍ في أفواهِ الجنةِ

الصيام والصلاة والحج (فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار) أي مقداره (من خير فأخرجوه) في شرح السنة قال القاضي عياض [رحمه الله]: قيل: معنى الخير هنا اليقين. قال: والصحيح أن معناه شيء زائد على مجرد الإيمان لأن مجرد الإيمان الذي هو التصديق لا يتجزأ وإنما يكون هذا التجزؤ بشيء زائد عليه من عمل صالح أو ذكر خفي، أو عمل من أعمال القلب من الشفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى ونية صادقة. (فيخرجوا خلقاً كثيراً. ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه نصف مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً. . . ثم يقولون: ربنا لم نذر) أي لم نترك (فيها) أي في جهنم (خيراً) أي أهل خير. قال الطيبي [رحمه الله]: أي من كان فيه شيء من ثمرات الإيمان من ازدياد اليقين أو العمل الصالح فوضع الخير موضع الذات كما يوضع العدل موضعه مبالغة، أي فيقال رجل عدل وأريد به المعنى المصدري مبالغة على أن المعنى كأنه هو، بل هو هو مع أنه قد يقال: إن العدل مصدر بمعنى العادل، أو على تقدير مضاف أي صاحب عدل نحو قوله: ﴿واسئل القرية﴾ [يوسف ـ ٨٢] . والله [تعالى] أعلم. (فيقول الله: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق) أي أحد ممن يرحم على أحد (إلا أرحم الراحمين) أي الذي رحمته وسعت كل شيء وإن رحمة كل أحد في جنب أثر رحمته كلا شيء. (فيقبض قبضة) أي ما يسع الكف (من النار) أي من أهلها (فيخرج) أي الله (منها) أي من النار أو من جهة تلك القبضة (قوماً لم يعملوا خيراً قط) أي ليس لهم خير زائد على مجرد الإيمان. قال النووي: هم الذي معهم مجرد الإيمان ولم يؤذن فيهم بالشفاعة، وتفرد الله تعالى بعلم ما تكنه القلوب بالرحمة لمن ليس عنده إلا مجرد الإيمان. [وفيه دليل على أنه لا ينفع من العمل إلا ما حضر له القلب بالرحمة وصحبته نية وعلى زيادة الإيمان] ونقصانه وهو مذهب أهل السنة. قلت: المحققون منهم على أن التصديق الذي هو الإيمان على التحقيق لا يقبل الزيادة والنقصان وإنما التفاوت في أنواره وثمراته ونتائجه من حقائق الإيقان ودقائق العرفان ومراتب الإحسان ومنازل العرفان والله [تعالى] أعلم. (قد عادوا) الجملة صفة أو حال والمعنى صاروا (حمماً) بضم ففتح جمع حممة وهي الفحم. (فيلقيهم) أي بأمر الله بإلقائهم أو يلقيهم بلا واسطة (في نهر) بفتح الهاء ويسكن، أي جدول ماء كائن. (في أفواه الجنة) أي في أوائلها وهو جمع جمع فوهة بضم الفاء وتشديد الواو المفتوحة وهو جمع سمع من العرب على غير قياس، وأفواه الأزقة والأنهار أوائلها كذا ذكره الطيبي [رحمه الله] . ويمكن أن يكون الأفواه كناية عن أبواب الجنة وهو الملائم لدخولهم إياها

يُقال له: نهرُ الحياةِ، فيخرجونَ كما تخرجُ الحِبَّةُ في حميلِ السَّيلِ، فيخرجونَ كاللؤلؤِ، في رقابهمُ الخواتمُ، فيقول أهلُ الجنةِ: هؤلاءِ عُتقاءُ الرحمٰنِ، أدخلَهمُ الجنةَ بغير عملٍ عملوه ولا خيرٍ قدَّموهُ، فيُقالُ لهم: لكم ما رأيتم ومثلُه معه». متفق عليه.

٥٥٨٠ ـ (١٥) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ وأهلُ النارِ النارَ يقولُ اللّٰهُ تعالى: مَن كانَ في قلبه مثقالُ حبَّةٍ من خردلٍ من إيمانٍ فأخرجوهُ،

على أحسن الهيئة. **(يقال له)** أي لذلك النهر **(نهر الحياة. فيخرجون)** أي من النهر **(كما تخرج الحبة)** بكسر الحاء فتشديد الموحدة **(في حميل السيل)** بفتح الحاء وكسر الميم أي محمولة. ففي شرح السنة: الحبة بالكسر اسم جامع لحبوب البقول التي تنتشر إذا هاجت ثم إذا مطرت من قابل نبتت، [و] قال الكسائي: هي حب الرياحين فأما الحنطة ونحوها فهي الحب لا غير والحبة من الحب فبالفتح وحميل السيل هو ما يحمله السيل من غثاء أو طين فإذا اتفق فيه الحبة واستقرت على شط مجرى السيل تنبت في يوم وليلة وهي أسرع نابتة نباتاً. قال النووي [رحمه الله]: وإنما شبههم بها لسرعة نباتها وحسنها وطراوتها انتهى. فالتشبيه في سرعة الظهور. وقال شارح: الحبة بالكسر بذور الصحراء مما ليس بقوت. وقال العسقلاني: الحبة بالكسر بذر الصحراء والجمع حبب، وأما الحبة بالفتح فهو ما يزرعه الناس والجمع حبوب. **(فيخرجون كاللؤلؤ)**. أي في البياض والصفاء **(في رقابهم الخواتيم)** جمع الخاتم والجمع لمقابلة الجمع بالجمع، والمراد هنا علامة تظهر في رقابهم ليكونوا متميزين من المغفورين بواسطة العمل الصالح كذا قاله شارح. وقال صاحب التحرير: المراد بالخواتيم هنا أشياء من ذهب أو غيره تعلق في أعناقهم يعرفون بها. **(فيقول أهل الجنة:)** أي حين رأوهم وظهر لهم تلك العلامة **(هؤلاء عتقاء الرحمٰن أدخلهم)** أي الله كما في نسخة **(الجنة بغير عمل)** أي عملوه على ما في نسخة صحيحة **(ولا خير)** أي من عمل باطن **(قدموه فيقال لهم: لكم)** الخطاب للعتقاء أي لكم **(ما رأيتم)** أي مقدار مد بصركم من الجنة **(ومثله معه)** أو لكم ما رأيتم مما جاء في نظركم ومثله معه من الحور العين والقصور. وقال الطيبي [رحمه الله تعالى]: فيه حذف، أي فينظرون في الجنة إلى أشياء ينتهي مد بصرهم إليها فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه. أقول: وفيه إيماء إلى قوله تعالى: ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾ [الرحمن ـ ٤٦]. أي جنة ظاهرة وجنة باطنة، أو جنة من جهة العدل وجنة من طريق الفضل. **(متفق عليه)**.

٥٥٨٠ ـ **(وعنه)** أي عن أبي سعيد رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يقول الله تعالى:)** أي للأنبياء أو لغيرهم من الشفعاء أو للملائكة وهو الأظهر لما سيأتي مصرحاً في رواية أبي هريرة. **(من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فاخرجوه)** أي من النار. قيل: بهذا الحديث يظهر أن من أخرجهم الرحمٰن بقبضة كانوا

الحديث رقم ٥٥٨٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/٤١٦. حديث رقم ٦٥٦٠ ومسلم في صحيحه ١/١٧٢ حديث رقم (٣٠٤ ـ ١٨٤).

فيخرجونَ قدِ امتحشوا، وعادوا حمماً، فيُلقون في نهرِ الحياةِ، فينبتونَ كما تنبتُ الحِبَّةُ في حَميلِ السَّيلِ، ألم ترَوْا أنّها تخرُجُ صفراءَ مُلتَوِيةً». متفق عليه.

٥٥٨١ ـ (١٦) وعن أبي هريرة، أن الناس قالوا: يا رسولَ الله! هل نرى ربَّنا يومَ القيامةِ؟ فذكر معنى حديثِ أبي سعيدٍ غيرَ كشفِ السّاقِ، وقال: «يُضربُ الصِّراطُ بينَ ظَهرانَيْ جهنمَ، فأكونُ أوّلَ من يَجوزُ من الرُّسلِ بأمّته، ولا يتكلّمُ يومئذٍ إلا الرسلُ، وكلامُ الرُّسلِ يومئذٍ: اللهمَّ سلِّمْ سلِّمْ.

مؤمنين بلا خير وعمل زائد على الإيمان دون الكفار كما يوهمه ظاهر العبارة هناك فإنه مخالف للإجماع. (فيخرجون) بصيغة المجهول (قد امتحشوا) على بناء الفاعل أي احترقوا والجملة حالية، وقيل بالمفعول فكأنه جعل متعدياً بمعنى المحش [على حذف الزوائد] وهو [حراق النار الجلد. وفي النهاية: المحش إحراق الجلد وظهور العظم. وفي القاموس: امتحش احترق. وقال العسقلاني: امتحشوا احترقوا وزناً. معنى، وعند بعضهم بضم المثناة وكسر الحاء ولا يعرف في اللغة امتحشه متعدياً[1] وإنما سمع لازماً مطاوع محشه. وقال النووي [رحمه الله]: هو بفتح التاء والحاء المهملة والشين المعجمة هكذا هو في الروايات وبه ضبط الخطابي والهروي ونقله القاضي عياض [رحمه الله] عن شيوخه ومعناه احترقوا. قال القاضي: ورواه بعض شيوخنا بضم التاء وكسر الحاء[2]. (وعادوا حمماً فيلقون في نهر الحياة فينبتون) أي تعود أبدانهم إليهم (كما تنبت الحبة في حميل السيل. ألم تروا) أي ألم تبصروا أو ألم تعلموا (أنها) أي الحبة (تخرج) أي أولاً (صفراء) أي خضراء (ملتوية) أي ملفوفة مجتمعة[3]، وقيل منحنية. (متفق عليه).

٥٥٨١ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فذكر) أي أبو هريرة (معنى حديث أبي سعيد) أي الذي مر قبيل ذلك (غير كشف الساق وقال:) أي النبي ﷺ، أو أبو هريرة مرفوعاً. (يضرب الصراط) أي يمد (بين ظهراني جهنم) أي بين طرفيها فيوافق رواية على متنها وظهرها وفوقها. (فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته) الباء للتعدية أي من يجاوزهم عنها. (ولا يتكلم يومئذ) أي في ذلك المقام (إلا الرسل) قال ابن الملك: أراد بقوله: يومئذ، وقت جواز الصراط وإنما فسرناه بهذا لأن ثمة مواطن لا يتكلم فيها الناس. قلت: لقوله: ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ [المرسلات ـ ٣٥] . ولكن هناك مواقف يتكلم فيها عموم الناس أيضاً، فالحصر يفيد التقييد بحينئذ. (وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم.)

---

(١) في المخطوطة «ومتعدياً».
(٢) في المخطوطة زيادة كلمة: «وقد».
(٣) وقع تقديم وتأخير في المخطوطة.

الحديث رقم ٥٥٨١: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤٤٤. حديث رقم ٦٥٧٣. ومسلم في صحيحه ١/ ١٦٣ حديث رقم (٢٩٩ ـ ١٨٢). وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣٠ حديث رقم ٤٢٨٠. وأحمد في المسند ٢/ ٢٩٣.

وفي جهنمَ كلاليب مثلُ شَوْكِ السَّعْدانِ، لا يعلمُ قدْرَ عظَمِها إلا اللّهُ، تخطفُ النَّاسَ بأعمالِهم، فمنهم من يُوبَقُ بعمله، ومنهم مَن يُخردَلُ ثمّ ينجو، حتى إذا فرغَ اللّهُ من القضاءِ بينَ عبادِه وأرادَ أن يخرجَ منَ النَّارِ من أرادَ أن يُخرجَه ممَّن كانَ يشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّهُ، أمرَ الملائكة أنْ يُخرِجوا مَن كان يعبدُ اللّهَ، فيُخرجونَهم ويعرفونهم بآثارِ السُّجودِ، وحرَّم اللّهُ تعالى على النارِ أن تأكلَ أثرَ السجودِ، فكلُّ ابنِ آدمَ تأكلُه النَّارُ إلا أثرَ السجودِ،

كرر للتأكيد **(وفي جهنم)** أي في أطرافها **(كلاليب)** بلا صرف لكونه على صيغة منتهى الجموع جمع كلاب بالضم أو كلوب بالفتح وبتشديد اللام فيهما، وهي حديدة معوجة الرأس يخطف بها أو يعلق عليها اللحم ويرسل في التنور، أو عود في رأسه اعوجاج يجر بها الجمر. **(مثل شوك السعدان)** بفتح فسكون وهو نبت له شوك عظيم. ويقال لشوكه[1] حسك السعدان ويشبه حلمة الثدي. **(لا يعلم قدر عظمها)** بكسر ففتح، أي عظمة تلك الكلاليب. **(إلا الله. تخطف)** أي تأخذ الكلاليب بسرعة، والطاء مفتوحة، وروي بكسرها والأولى هي الأولى لموافقة القرآن الذي هو اللغة الفصحى. وقال النووي [رحمه الله]: يروى بفتح الطاء وكسرها، أي تختطف. **(الناس بأعمالهم)** أي بسبب أعمالهم القبيحة أو بحسب أعمالهم السيئة. **(فمنهم)** أي من الناس أو من العصاة أو من المخطوفين **(من يوبق)** أي يهلك ويحبس **(بعمله)** أي القبيح من وبق أي هلك وأوبقه غيره. ففي النهاية: وبق يبق ويوبق فهو وبق إذا هلك وأوبقه غيره فهو موبق أي مهلك. **(ومنهم من يخردل)** بالدال المهملة على صيغة المجهول، أي يصرع أو يقطع قطعاً كالخردلة. ففي النهاية: المخردل المقطع تقطعه[2] كلاليب الصراط حتى يهوي في النار. يقال: خردلت اللحم بالدال والذال، أي فصلت أعضاءه وقطعتها. قال ابن الملك [رحمه الله]: وقيل: يقطع الكلاليب لحمه على الصراط ويخرج أعضاؤه. **(ثم ينجو)** أي من الوقوع في النار، فالكافر يوبق والفاسق يخردل ثم يتخلص. **(حتى إذا فرغ الله من القضاء)** أي من الحكم بين عباده بما يستحق كل من جزاء[3] عمله **(وأراد أن يخرج من أراد أن يخرجه ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله أمر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله)** أي يوحده أو يعرفه بالوحدانية أو يعبده على نعت التوحيد. **(فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود)** قال تعالى: **﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾** [الفتح ـ ٢٩]. **(وحرم الله على النار)** أي منعها **(أن تأكل أثر السجود)** أي من وجوههم أو جباههم. قال النووي [رحمه الله]: ظاهر هذا أن النار لا تأكل جميع أعضاء السجود السبعة وهي الجبهة واليدان والركبتان والقدمان. وقال القاضي عياض [رحمه الله]: المراد بأثر السجود الجبهة خاصة والمختار الأول. قلت: ويؤيد الثاني ما سبق من القرآن وما في رواية مسلم إلا دارة الوجه وهو المتبادر مما تقدم فتحرم صورهم على النار فهو المعول. **(فكل ابن آدم)** أي آثار أفعاله من أعضائه **(تأكله النار إلا أثر السجود)** وهذا تأكيد

---

(١) في المخطوطة «الشوك».
(٢) في المخطوطة «تقطعه».
(٣) في المخطوطة «أجزاء».

فيخرجونَ من النارِ قدِ امْتحشوا، فيصبُّ عليهم ماء الحياةِ، فينبُتونَ كما تنبتُ الحِبَّةُ في حميلِ السَّيل، ويبقى رجلٌ بينَ الجنّةِ والنارِ، وهو آخرُ أهلِ النارِ دُخولاً الجنةَ، مُقبلٌ بوجهِهِ قِبَلَ النارِ، فيقول: يا ربِّ! اصرِفْ وجْهي عن النار، قد قشَبني ريحُها، وأحرقَني ذكاؤها. فيقولُ: هل عَسَيتَ إن أفعلْ ذلك أنْ تسأل غيرَ ذلكَ؟ فيقول: لا وعزّتكَ، فيُعطي اللهَ ما شاءَ اللهُ منْ عهدٍ وميثاقٍ، فيَصرفُ اللهُ وجهَه عن النارِ، فإذا أقبلَ به على الجنةِ ورأى بهجتَها، سكتَ

لما قبله (فيخرجون من النار قد امتحشوا) أي احترقوا وقد سبق (فيصب عليهم ماء الحياة) وقد مر أنهم يلقون في نهر الحياة، ولعل الاختلاف باختلاف الأشخاص. (فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل) أي محموله (ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولاً) تمييز (الجنة) بالنصب على أنه مفعول الدخول. (مقبل) خبر آخر[1] أو خبر مبتدأ آخر هو مقدر، أي متوجه. (بوجهه قبل النار) بكسر القاف وفتح الباء، أي إلى جهتها. (فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار) أي رده عنها (وقد قشبني) بفتح القاف والشين المعجمة والموحدة، أي آذاني وأهلكني. (ريحها) وقيل: سمني وأهلكني من القشيب وهو السم المهلك. وفي المقدمة: أي ملأ خياشيمي، والقشب السم ويطلق على الإصابة بكل مكروه. وقال الداودي: معناه: غير جلدي وصورتي. (وأحرقني ذكاؤها) بفتح المعجمة والمد وفي نسخة صحيحة ذكاها بالقصر. قال النووي [رحمه الله]: هو بالمد وفتح الذال المعجمة كذا وقع في جميع روايات الحديث، أي لهبها واشتعالها وشدة وهجها. والأشهر في اللغة مقصورة. وقيل: إن القصر والمد لغتان. (فيقول:) أي الرب (هل عسيت) أي يتوقع منك (إن أفعل ذلك) أي بك، والإشارة إلى صرف الوجه والجملة الشرطية معترضة بين اسم عسى وخبرها وهو قوله: (أن تسأل غير ذلك) والمعنى هل يتوقع منك بعد حصول ذلك سؤال غيره. قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: كيف يصح هذا من الله تعالى وهو عالم بما كان وما يكون. قلت: معناه أنكم يا بني آدم لما عهد منكم من رخاوة الوعد ونقض العهد أحقاء بأن يقال لكم يا هؤلاء ما ترون[2] هل يتوقع منكم ذلك أم لا. وحاصله أن معنى عسى راجع إلى المخاطب لا إلى الله تعالى وهو من باب إرخاء العنان وبعث المخاطب على التفكر في أمره وشأنه لينصف من نفسه ويذعن للحق. (فيقول: لا) أي لا أسألك غير ذلك (وعزتك) لا أسأل غير ذلك (فيعطي) أي الرجل (الله ما شاء الله) مفعول ثان ليعطي، أي ما قدره وقضاه أو ما أراده من عهد وميثاق أي قسم يوثق العهد به ويؤكد. (فيصرف الله وجهه من النار فإذا أقبل) بصيغة الفاعل وفي نسخة على بناء المفعول به أي بوجهه. (على الجنة رأى بهجتها) أي حسنها (وكثرة خيرها سكت) كذا في الأصول بلا عاطف في الفعلين هنا. والظاهر أن يكون أحدهما جواب إذا والآخر عطف على الشرط والجزاء. ولعل توجيهه أن قوله: رأى بهجتها. جملة حالية على مذهب من يجوزه،

---

(١) في المخطوطة عبارة «عطف على آخر». (٢) في المخطوطة «تدرون».

ما شاءَ اللّهُ أن يسكتَ، ثمّ قال: يا ربِّ! قدِّمني عند بابِ الجنةِ، فيقول اللّهُ تباركَ وتعالى: أليسَ قد أعطيتَ العهودَ والميثاقَ أن لا تسألَ غير الذي كنتَ سألتَ. فيقول: يا ربِّ! لا أكونُ أشقى خلقك. فيقول: فما عسيت إن أُعطيتَ ذلكَ أن تسألَ غيرَه. فيقول: لا وعزّتِكَ لا أسألُكَ غيرَ ذلكَ، فيُعطي ربَّه ما شاءَ من عهدٍ وميثاقٍ، فيُقدمُه إلى بابِ الجنةِ، فإذا بلغَ بابَها فرأى زهرتَها وما فيها من النَّضرةِ والسرورِ، فسكتَ ما شاءَ اللّهُ أن يسكتَ، فيقول: يا ربِّ! أَدخلني الجنّةَ فيقول اللّهُ تباركَ وتعالى: ويلكَ يا ابنَ آدمَ! ما أغدرَكَ! أليسَ قد أعطيتَ

ولفظ المشارق: فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت. (**ما شاء الله أن يسكت**) أي سكوته (**ثم قال: يا رب قدمني عند باب الجنة**) أي إلى بابها كما سيأتي ويمكن أن يكون الظرف حالاً مقدرة (**فيقول الله تبارك وتعالى: أليس**) أي الشأن (**قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك**) أي لا تجعلني أشقاهم. والمراد بالشقاوة هنا الحرمان، أي لا أكون محروماً. (**فيقول:**) أي الرب (**فما عسيت**) ما استفهامية، أي فهل عسيت. (**إن أعطيت ذلك**) بصيغة المجهول (**أن تسأل غيره**) أي غير ذلك (**فيقول: لا وعزتك لا أسألك غير ذلك**) تأكيد وبيان لقوله: لا. قبل ذلك. وفي نسخة صحيحة: لا أسأل غير ذلك. (**فيعطي**) أي الرجل (**ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه**) أي الله (**إلى باب الجنة فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها**) بفتح الزاي، أي طيب عيش من فيها والزهرة البياض وزهرة الدنيا نضارتها. (**وما فيها من النضرة**) أي الحسن والرونق (**والسرور**) أي الفرح بما فيها من الدور والقصور وكثرة الحور والتنعم بالحبور. (**فسكت ما شاء الله أن يسكت**) بالفاء هنا على ما في جميع نسخ المشكاة، قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: فسكت. كذا في صحيح البخاري وأكثر نسخ المصابيح، فعلى هذا جواب إذا محذوف، والمعنى: إذا رأى ما رأى تحير فسكت، ونظيره قوله تعالى: ﴿**وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها**﴾ [الزمر ـ ٧٣] . انتهى. وقيل: الواو زائدة وتسمى واو الثمانية نحو قوله تعالى: ﴿**ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم**﴾ [الكهف ـ ٢٢] . وقال أبو البقاء [رحمه الله]: الواو زائدة عند قوم لأن الكلام جواب حتى إذا وليست زائدة عند المحققين والجواب محذوف تقديره: اطمأنوا، أو نحو ذلك، (**فيقول: يا رب أدخلني الجنة. فيقول الله تبارك وتعالى: ويلك يا ابن آدم**) قال شارح: ويلك منصوب على المصدر لا غير إن أضيف وإن لم يضف يرفع على الابتداء وينصب بإضمار الفعل مثل: ويل لزيد وويلا لزيد، أي أهلك الله إهلاكاً أو هلكت هلاكاً. (**ما أغدرك**) بالغين المعجمة والدال المهملة وما فيه للتعجب، أي يستحق أن يتعجب منك بكثرة غدرك في عهودك بأن لا تسأل غيره[1]. ويجوز أن يكون ما للاستفهام والهمزة للصيرورة، أي أي شيء صيرك غادرا في عهودك. وفي نسخة بالعين المهملة والذال المعجمة، أي أي شيء جعلك في هذا السؤال معذوراً. (**أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت**). بصيغة

---

(١) في المخطوطة «ميرك».

العهودَ والميثاقَ أن لا تسألَ غيرَ الذي أعطيتَ. فيقول: يا ربِّ! لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزالُ يدعو حتى يضحكَ اللَّهُ منه، فإذا ضحكَ أذنَ له في دخولِ الجنةِ. فيقولُ: تمنَّ، فيتمنَّى حتى إذا انقطعتْ أُمنيتُه قال اللَّهُ تعالى: تمنَّ مِنْ كذا وكذا، أقبلَ يذكِّره ربُّه، حتى إذا انتهتْ به الأماني قال اللَّهُ: لكَ ذلكَ ومثلُه معه».

وفي رواية أبي سعيدٍ: «قال اللَّهُ: لكَ ذلكَ وعشرةُ أمثالِه». متفق عليه.

٥٥٨٢ ـ (١٧) وعن ابن مسعودٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «آخرُ من يدخلُ الجنةَ رجلٌ، يمشي مرةً

المجهول (فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك) قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: كيف طابق هذا الجواب قوله: أليس قد أعطيت العهود والميثاق. قلت: كأنه قال: يا رب بلى أعطيت العهود والميثاق ولكن تأملت في كرمك وعفوك ورحمتك وقولك ﴿لا تيأسوا من روح الله أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [يوسف ـ ٨٧]، فوقفت على أني لست من الكفار الذين أيسوا من رحمتك وطمعت في كرمك وسعة رحمتك فسألت ذلك. فكأنه تعالى رضي عنه بهذا القول فضحك انتهى. وهذا معنى قوله: (فلا يزال يدعو حتى يضحك الله) أي يرضى (منه) أي من أجله وسبب كلامه ودعائه (فإذا ضحك أذن له في دخول الجنة فيقول: تمن) أمر مخاطب (فيتمنى حتى إذا انقطعت أمنيته) بضم همز وتشديد تحتية، أي مطلوبة ومتمناه. (قال الله تعالى: تمن من كذا وكذا) قال المظهر: من فيه للبيان يعني: تمن من كل جنس ما تشتهي منه. قال الطيبي [رحمه الله]: ونحوه: ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ [الأحقاف ـ ٣١]. ويحتمل أن تكون[1] من زائدة في الإثبات على مذهب الأخفش. وقوله: (أقبل يذكره ربه) بدل من الجملة السابقة على سبيل البيان وربه يتنازع فيه العاملان انتهى. وأقبل بمعنى شرع ويذكره بتشديد الكاف، أي يلهمه ويلقنه ربه بما ينبغي أن يسأله فيتمنى. (حتى إذا انتهت به الأماني) أي انقطعت ولم تبق له أمنية (قال الله: لك ذلك) أي مسؤولك ومأمولك (ومثله معه) أي تفضلا عليك. (وفي رواية أبي سعيد قال: الله: لك ذلك) أي ما تمنيت (وعشرة أمثاله) أي في الكيفية وإن كان مثله في الكمية، وبهذا يرتفع التدافع ويندفع التمانع والله سبحانه [وتعالى] أعلم. (متفق عليه).

٥٥٨٢ ـ (وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة) قال الطيبي [رحمه الله]: الفاء يجوز أن تكون تفصيلية أبهم أولاد دخوله الجنة ثم فصل كيفية دخولها ثانياً وأن تكون لتعقيب الأخبار وأن تقدم ما بعدها على ما قبلها في

---

(١) في المخطوطة «يكون».

الحديث رقم ٥٥٨٢: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٧٤. حديث رقم (٣١٠ ـ ١٨٧) والدارمي في السنن ٢/ ٤٠٩ حديث رقم ٢٧٧٧. وأحمد في المسند ١/ ٤١١.

ويكبو مرةً وتسفعُه النارُ مرةً، فإذا جاوزَها التفتَ إليها فقال: تبارك الذي نجّاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأوّلين والآخرين، فتُرفع له شجرةٌ فيقول: أي ربِّ! أدْنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلِّها وأشرب من مائها، فيقول الله: يا ابن آدم! لعلي إن أعطيتُكَها سألتني غيرَها؟ فيقول: لا يا ربِّ! ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربُّه يعذره، لأنه يرَى ما لا صبر له عليه، فيُدْنيه منها، فيستظل بظلّها، ويشرب من مائها، ثمّ ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي ربِّ أدْنني من هذه الشجرة لأشرب من مائها، وأستظل

الوجود فوقعت موقع ثم في المعنى كأنه قيل: أخبركم عقيب هذا القول حاله فهو يمشي قبل دخوله في الجنة مرة. **(ويكبو)** بضم الموحدة أي يقف. وقيل: يسقط لوجهه. **(مرة)** أي أخرى **(وتسفعه النار)** بفتح الفاء أي تحرقه **(مرة)** أو تجعل عليه علامة من سواد الوجه وزرقة العين يقال: سفع من النار، أي علامة منها وسفعت الشيء إذا جعلت عليه علامة. قال ابن الملك: أي تلفحه لفحاً يسيراً فيتغير لون بشرته. وقيل: أي تعلمه علامة أي أثراً منها. وفي القاموس: لفحت النار بحرها أحرقت وسفع الشيء كمنعه أعلمه ووسمه والسموم وجهه لفحه لفحاً يسيراً. **(فإذا جاوزها التفت إليها فقال: تبارك)** أي تعظم وتعالى أو تكاثر خيره] **(الذي نجاني منك)** هذا فرح بما أعطاه من النجاة. وقوله: **(لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين)** جواب قسم محذوف، أقسم من الفرح أن نجاته نعمة ما ظفر بها أحد من العالمين. ولعل وجهه أنه ما رأى أحداً مشاركاً له في خروجه من النار ولم يدر أن الأبرار في نعيم دار القرار. **(فترفع له شجرة)** أي عندها عين ماء لما سيأتي. **(فيقول: أي رب)** وأي في الأصل لنداء القريب وبابه. ويا للبعيد فتارة ينظر إلى قرب الرب من العبد كما قال سبحانه [وتعالى]: **﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾** [ق ـ ١٦] . وتارة يراعي بعد العبد من الرب كما قيل: يا للتراب ورب الأرباب. **(أدنني)** أمر من الإدناء، أي قربني. **(من هذه الشجرة فلأستظل)** بكسر اللام الأولى ونصب الفعل. قال الطيبي [رحمه الله]: الفاء سببية واللام مزيدة أو بالعكس، يعني والفاء مزيدة واللام للعلة، ففيه مسامحة لا تخفى، ثم في الكلام تجريد، والمعنى: لأنتفع. **(بظلها وأشرب من مائها. فيقول الله: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها)** أي مسألتك أو أمنيتك **(سألتني غيرها)** هو جواب الشرط وهو دال على خبر لعل. **(فيقول: لا يا رب. ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره)** بفتح الياء ويضم، أي يجعله معذوراً. وفي النهاية: وقد يكون أعذر بمعنى جعله موضع العذر. وفي المشارق: عذرته وأعذرته أي قبلت عذره، وفي المصباح: عذرته فيما صنع عذراً من باب ضرب، رفعت عنه اللوم فهو معذور، وأعذرته بالألف لغة واعتذر أي طلب قبول معذرته، واعتذر عن فعله أظهر عذره. **(لأنه)** أي العبد **(يرى ما لا صبر له عليه)** كذا في الأصول في المرتين الأوليين وكذا في الثالثة في بعض الأصول، وفي أكثرها عليها بتأويل ما بنعمة وعلى بمعنى عن كذا في شرح مسلم للنووي، وقرره السيوطي في حاشية على مسلم. **(فيدنيه منها)** أي فيقربه من الشجرة **(فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة)** أي أخرى هي **(أحسن من الأولى)** لأنه أراد له الترقي من الأدنى إلى الأعلى **(فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة لأشرب من مائها وأستظل**

بظلِّها لا أسألكَ غيرها. فيقول: يا ابن آدم! ألم تعاهِدْني أن لا تسألني غيرها؟! فيقول: لعلي إن أدنيتُك منها تسألني غيرَها؟ فيُعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظلُّ بظلِّها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرةٌ عند باب الجنةِ هي أحسنُ من الأوليين، فيقولُ: أي ربِّ! أدْنِني من هذهِ فلأستظلَّ بظلِّها وأشربَ من مائها، لا أسألكَ غيرَها. فيقول: يا ابن آدم! ألم تعاهِدْني أن لا تسألني غَيرَها؟! قال: بلى يا ربِّ! هذه لا أسألكَ غيرَها، وربه يعذِره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيُدْنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصواتَ أهل الجنّة، فيقولُ: أي ربِّ! أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم! ما يصريني منك؟

بظلها) الواو لمطلق الجمع لأن الظاهر أن الاستراحة بظلها قبل الشرب من مائها. **(لا أسألك غيرها)** قال الطيبي [رحمه الله]: هو حال تنازع فيه أستظل وأشرب **(فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها. فيقول:)** أي الرب **(لعلي إن أدنيتك منها تسألني)** بالرفع، أي تطلب مني. **(غيرها. فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة)** أي ثالثة **(عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين. فيقول: أي رب أدنني من هذه فلأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها. قال: بلى يا رب هذه)** منصوب المحل بفعل يفسره ما بعده أي هذه أسألك **(لا أسألك غيرها)** حال أو استئناف **(وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه)** وفي بعض النسخ: عليها، وقد سبق الكلام عليهما. **(فيدنيه منها فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة)** أي في مصاحبتهم مع أزواجهم ومجاورتهم مع أصحابهم فأراد الاستئناس بهم أو في غنائهم فأراد التقرب ليتلذذ بأنغامهم. **(فيقول: يا رب أدخلنيها. فيقول: يا ابن آدم ما يصريني منك)** بفتح الياء وسكون الصاد المهملة. قال صاحب النهاية: وفي رواية: ما يصريك مني، أي ما يقطع مسألتك ويمنعك من سؤالي. يقال: صريت الشيء إذا قطعته وصريت الماء جمعته وحبسته انتهى. والمعنى: قد كررت سؤالك مع معاهدتك أن لا تسأل فماذا يقطع سؤالك عني ويرضيك. قال التوربشتي: صري عنه شره أي دفع، وصريته منعته وصريت ما بينهم صرياً أي فصلت. يقال: اختصمنا إلى الحاكم فصرى ما بيننا، أي قطع ما بيننا وفصل. وحسن أن يقال: ما يفصل بيني وبينك، أي ما الذي يرضيك حتى تترك مناشدتك. والمعنى: إني أجبتك إلى مسألتك كرة بعد أخرى وأخذت ميثاقك أن لا تعود ولا تسأل غيره وأنت لا تفي بذلك، فما الذي يفصل بيني وبينك في هذه القضية. ويكون على وجه المجاز والاتساع، والمبتغى منه التوقيف على فضل الله ورحمته وكرمه وبره بعباده حتى أنه يخاطبهم مخاطبة المستعطف الباعث سائله على الاستزادة. قال: وفي كتاب المصابيح: ما يصريني منك. وهو غلط والصواب: ما يصريك مني. كذا رواه المتقنون من أهل الرواية. قال المظهر: يمكن أن يحمل على القلب فأصله ما يصريك مني وقلب للعلم به والقلب في كلامهم شائع ذائع في استعمالهم. قال الطيبي [رحمه الله]: الرواية صحيحة والمعنى صحيح على سبيل

أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها. قال: أي ربِّ! أتستهزيء مني وأنت ربّ العالمين؟» فضحك ابنُ مسعود، فقال: ألا تسألونيّ ممّ أضحك؟ فقالوا: ممّ تضحكُ؟ فقال: هكذا ضحكَ رسولُ الله ﷺ. فقالوا: ممّ تضحكُ يا رسول الله؟ قال: «من ضحك ربّ العالمين حين قال: أتستهزيء مني وأنت ربُّ العالمين؟

الكناية. قال النووي: ما يصريني منك بفتح الياء وإسكان الصاد المهملة كذا في صحيح مسلم. وروي في غير مسلم: ما يصريك مني. قال إبراهيم الحربي [رحمه الله]: هو الصواب وأنكر الرواية التي في صحيح مسلم [رحمه الله] وغيره، وليس كما قال بل كلاهما صحيح وإن السائل متى انقطع عن المسؤول انقطع المسؤول عنه. والمعنى: أي شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك. (**أيرضيك أن أعطيك الدنيا**) [أي قدرها] (**ومثلها معها. قال: أي رب أتستهزيء مني**) أي أتحلني محل المستهزأ به (**وأنت رب العالمين**) والجملة حالية، والاستهزاء بالشيء إذا أسند إلى الله تعالى يراد إنزال الهوان عليه وإحلاله إياه محل المستهزأ به كذا ذكره شارح. وقال في شرح مسلم للنووي: هذا وارد من السؤال على سبيل الفرح والاستبشار. قال القاضي عياض: هذا الكلام صادر عنه وهو غير ضابط لما نال من السرور ببلوغ ما لم يخطر بباله فلم يضبط لسانه دهشة وفرحاً. وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوق ونحوه حديث التوبة قول الرجل عند وجدان زاده مع راحلته من شدة الفرح: «أنت عبدي وأنا ربك» انتهى. وتوضيحه ما ذكره ابن الملك أن قيل كيف صدر منه هذا القول بعد كشف الغطاء واستواء العالم والجاهل في معرفة الله [تعالى] فيما يجوز على الله وما لا يجوز. قلنا: مثابة هذا العالم مثابة العالم العارف الذي يستولي عليه الفرح بما آتاه الله فيزل لسانه من شدة الفرح، كما أخطأ في القول من ضلت راحلته بأرض فلاة عليها طعامه وشرابه فأيس منها ثم بعدما وجدها وأخذ بخطامها قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك[١]. (**فضحك ابن مسعود فقال: ألا**) بالتخفيف (**تسألوني**) بتشديد النون وتخفف[٢]. (**مم أضحك**) أي من أي شيء أضحك (**فقالوا: مم تضحك. فقال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مم تضحك يا رسول الله. قال: من ضحك رب العالمين حين قال له: أتستهزيء مني وأنت رب العالمين**) قال التوربشتي [رحمه الله]: الضحك من الله ومن رسوله ﷺ وإن كانا متفقين في اللفظ فإنهما متباينان في المعنى، وذلك أن الضحك من الله سبحانه يحمل على كمال الرضا عن[٣] العبد وإرادة الخير ممن يشاء من عباده أن يرحمه. وقال القاضي [رحمه الله]: وإنما ضحك رسول الله ﷺ استعجاباً وسروراً بما رأى من كمال رحمة الله ولطفه على عبده المذنب وكمال الرضا عنه. وأما ضحك ابن مسعود فكان اقتداء بسنة رسول الله ﷺ لقوله: هكذا ضحك رسول الله ﷺ. قلت: الظاهر أنه لاحظ المعنى الموجب للضحك لا أنه مجرد تقليد وحكاية لفعله ﷺ فإنه ليس أمراً اختيارياً ولا يصدر من غير باعث

---

(١) مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٠٤ حديث رقم ٢٧٤٧.

(٢) في المخطوطة «يخفف». (٣) في المخطوطة «من».

فيقول: إني لا أستهزىء منك ولكني على ما أشاء قدير». رواه مسلم.

٥٥٨٣ ـ (١٨) وفي رواية له عن أبي سعيد نحوه، إلا أنه لم يذكر «فيقولُ: يا ابن آدم! ما يصريني منك؟» إلى آخر الحديث وزاد فيه: «ويذكّره الله: سل كذا وكذا، حتى إذا انقطعتْ به الأماني قال الله: هو لك وعشرةُ أمثاله. قال: ثم يدخل بيته، فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين فيقولان: الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك. قال: فيقول: ما أُعطي أحدٌ مثلَ ما أُعطيت».

٥٥٨٤ ـ (١٩) وعن أنس، أن النبيّ ﷺ، قال: «ليصيبنَّ أقواماً سَفْعٌ من النّار بذنوبٍ أصابوها عقوبةً، ثم يدخلهم الله الجنّة بفضله ورحمته،

من قول عجيب أو فعل غريب. (**فيقول: إني لا أستهزىء منك ولكني على ما أشاء قادر**) وفي نسخة: قدير. قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: مم استدركه. قلت: عن مقدر فإنه تعالى لما قال له: أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها. فاستبعده العبد لما رأى أنه ليس أهلاً لذلك وقال: أتستهزىء بي. قال سبحانه وتعالى: نعم كنت لست أهلاً له لكني أجعلك أهلاً لها وأعطيك ما استبعدته لأني على ما أشاء قدير. (**رواه مسلم**) أي عن ابن مسعود.

٥٥٨٣ ـ (**وفي رواية له**) أي لمسلم (**عن أبي سعيد نحوه**) أي نحو المروي عن ابن مسعود (**إلا أنه**) أي أبا سعيد (**لم يذكر فيقول: يا ابن آدم ما يصريني منك إلى آخر الحديث. وزاد**) أي نقص من الحديث ما سبق وزاد (**فيه ويذكره الله**) بالتشديد، أي يعلمه (**سل كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله: هو لك وعشرة أمثاله. قال:**) أي النبي ﷺ (**ثم يدخل**) أي العبد (**بيته**) أي قصره (**فيدخل عليه زوجتاه من الحور العين**) قال النووي: زوجتاه بالتاء تثنية زوجة هكذا ثبت في الرواية والأصول وهي لغة صحيحة معروفة. (**فتقولان: الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك**) أي خلقك لنا وخلقنا لك، ووضع إحياء موضع خلق إشعاراً بالخلود وأنه تعالى جمع بينهما في هذه الدار التي لا موت فيها وأنها دائمة السرور والحياة. قال تعالى: ﴿**وإن الدار الآخرة لهي الحيوان**﴾ [العنكبوت ـ ٦٤]. (**قال:**) أي النبي ﷺ (**فيقول:**) أي العبد (**ما أعطي أحد مثل ما أعطيت**) أي لعدم اطلاعه على إعطاء غيره والله [تعالى] أعلم.

٥٥٨٤ ـ (**وعن أنس أن النبي ﷺ قال: ليصيبن**) أي والله ليدركن وليمسن. (**أقواماً سفع من النار**) بفتح فسكون، أي سواد من لفح النار أو علامة منها كذا في المقدمة. وقيل إحراق قليل منها (**بذنوب**) أي بسببها. وقوله: (**أصابوها**) صفة ذنوب. وقوله: (**عقوبة**) مفعول له (**ثم يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته**) كذا في أصل السيد وبعض النسخ، وفي بعضها: بفضل

الحديث رقم ٥٥٨٣: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٧٥ حديث رقم (٣١١ ـ ١٨٨).

الحديث رقم ٥٥٨٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٦. حديث رقم ٦٥٥٩. وأخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٤٣ حديث رقم ٤٣١٥. وأحمد في المسند ٣/ ١٣٣.

فيقال لهم: الجهنّميُّون». رواه البخاري.

٥٥٨٥ - (٢٠) وعن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخرُجُ أقوامٌ من النارِ بشفاعةِ محمّد فيدخلون الجنّةَ ويُسمُّون الجهنّميّين». رواه البخاري. وفي رواية: «يخرج قوم من أمّتي من النّار بشفاعتي، يسمُّون الجهنّميّين».

٥٥٨٦ - (٢١) وعن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل النّار خروجاً منها، وآخرَ أهلِ الجنّةِ دخولاً، رجلٌ يخرج من النار حَبْواً. فيقول الله: اذهبْ فادخُلِ الجنةَ، فيأتيها، فيُخيَّل إليه أنّها ملأى فيقول: يا ربّ! وَجدتُها ملأى. فيقول الله: اذهبْ فادخلِ الجنة، فإنَّ لكَ مثلَ الدنيا

رحمته. (فيقال لهم الجهنميون) قال الطيبي [رحمه الله]: ليست التسمية بها تنقيصاً لهم بل استذكاراً ليزدادوا فرحاً إلى فرح وابتهاجاً إلى ابتهاج وليكون[1] ذلك علماً لكونهم عتقاء الله تعالى. (رواه البخاري) وكذا أبو داود والترمذي.

٥٥٨٥ - (وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج قوم) وفي نسخة أقوام (من النار بشفاعة محمد) وفي نسخة (ﷺ فيدخلون الجنة) بصيغة المفعول وقيل بالفاعل (ويسمون الجهنميين) وفي المصابيح: الجهنميون. قال شارح له: الرواية بالواو وحقه الياء لأنه مفعول يسمون، ويحتمل أن يكون الجهنميون بالواو علماً لهم فلم يغير. (رواه البخاري) وكذا أبو داود والترمذي وابن ماجه. ([وفي رواية: يخرج قوم من أمتي من النار بشفاعتي يسمون الجهنميين]).

٥٥٨٦ - (وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً) أي فيها، والظاهر أنهما متلازمان فالجمع بينهما للتوضيح ولا يبعد أن يكون احترازاً مما عسى أن يتوهم من حبس أحد في الموقف من أهل الجنة حينئذ والله [تعالى] أعلم. (رجل يخرج من النار حبواً) حال أو مصدر من حبا الصبي إذا مشى على أربع أو دب على أسته أي زحفاً، كما في رواية. (فيقول الله:) أي له (اذهب فأدخل الجنة فيأتيها) أي فيجيء قريباً منها أو فيدخلها (فيخيل إليه) أي من تصويره تعالى (أنها) أي الجنة (ملأى) تأنيث [ملآن] (فيقول: أي رب وجدتها ملأى) يعني وليس لي مكان فيها (فيقول: اذهب فادخل الجنة) المراد بها جنسها أو جنة بخصوصها (فإن لك مثل الدنيا) أي في سعتها

---

(١) في المخطوطة «سيكون».

الحديث رقم ٥٥٨٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٨. حديث رقم ٦٥٦٦ والترمذي ٤/ ٦١٦ حديث رقم ٢٦٠٠. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٤٣. حديث رقم ٤٣١٥.

الحديث رقم ٥٥٨٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٨. حديث رقم ٦٥٧١. ومسلم في صحيحه ١/ ١٧٣ حديث رقم (٣٠٨. ١٨٦). وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٦١٤ حديث رقم ٤/ ٦١٤ حديث رقم ٢٥٩٥.

وعشرة أمثالها. فيقول: أتسخرُ مني ـ أو تضحكُ مني ـ وأنت الملكُ؟» ولقد رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حتى بدَتْ نواجذه، وكان يقال: ذلك أدنى أهلِ الجنّةِ منزلة. متفق عليه.

٥٥٨٧ ـ (٢٢) وعن أبي ذرّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهلِ الجنّةِ دُخولاً الجنةَ، وآخر أهلِ النار خُروجاً منها، رجلٌ يُؤتى به يوم القيامة، فيقال: إعرضوا عليه صغارَ ذنوبه وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا؟ فيقول: نعم. لا يستطيع أن ينكر وهو مشفقٌ من كبارِ ذنوبه أن تعرض عليه. فيقال له: فإنّ لك مكانَ كلِّ سيئةٍ حسنةً. فيقول: ربِّ قد عملتُ أشياء لا أراها ههنا» وقد رأيت

وقيمتها (**وعشرة أمثالها**) أي زيادة عليها في الكمية والكيفية. وفيه إيماء إلى قوله تعالى: ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**﴾ [الأنعام ـ ١٦٠]. فالمؤمن حيث ترك الدنيا وهي صارت كالحبس في حقه جوزي بمثلها عدلاً وبأضعافها فضلاً. (**فيقول: أتسخر**) بفتح الخاء، أي أتستهزىء. (**مني أو تضحك مني**) شك من الراوي (**وأنت الملك**) أي والحال أنك الملك القدوس الجليل. (**فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت**) أي ظهرت (**نواجذه**) أي أواخر أضراسه. (**وكان يقال:**) الظاهر أن هذا كلام عمران أو من بعده من الرواة. فالمعنى: وكان يقول الصحابة أو السلف. (**ذلك أدنى أهل الجنة [منزلة] متفق عليه**).

٥٥٨٧ ـ (**وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة**) أي فيها (**وآخر أهل النار خروجاً منها. رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال: إعرضوا**) بكسر الهمزة والراء، أي أظهروا. (**عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها**) أي بمحوها أو بإخفائها (**فتعرض عليه صغار ذنوبه. فيقال: عملت يوم كذا وكذا**) أي في الوقت الفلاني (**كذا وكذا**) أي من عمل السيئات (**وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا**) أي من ترك الطاعات (**فيقول: نعم**) أي في كل منهما أو بعدهما جميعاً (**لا يستطيع أن ينكر**) أي شيئاً منهما استئناف أو حال (**وهو**) أي الرجل (**مشفق**) أي خائف (**من كبار ذنوبه أن تعرض**) أي تلك الكبار (**عليه**) لأن العذاب المترتب عليها أكبر وأكثر (**فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة**) وهو إما لكونه تائباً إلى الله [تعالى]. وقد قال تعالى: ﴿**إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات**﴾ [الفرقان ـ ٧٠]. لكن يشكل بأنه كيف يكون آخر أهل النار خروجاً. ويمكن أن يقال: فعل بعد التوبة ذنوباً استحق بها العقاب، وإما وقع التبديل له من باب الفضل من رب الأرباب، والثاني أظهر ويؤيده أنه حينئذ يطمع في كرم الله سبحانه. (**فيقول: رب قد عملت أشياء**) أي من الكبائر (**لا أراها ههنا**) أي في الصحائف أو في مقام التبديل (**ولقد رأيت**

الحديث رقم ٥٥٨٧: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٧٧ حديث رقم (٣١٤. ١٩٠) والترمذي ٤/ ٦١٤ حديث رقم ٢٥٩٦.

رسول الله ﷺ ضحك حتى بدَت نواجِذُه. رواه مسلم.

٥٥٨٨ - (٢٣) وعن أنسٍ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: يخرجُ منَ النارِ أربعةٌ، فيُعرضونَ على اللّهِ، ثمَّ يُؤمرُ بهم إلى النارِ، فيلتفتُ أحدُهم فيقول: أي ربِّ! لقد كنتُ أرجو إذ أخرجتني منها أن لا تُعيدني فيها» قال: «فيُنجيهِ اللّهُ منها». رواه مسلم.

٥٥٨٩ - (٢٤) وعن أبي سعيدٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخلَصُ المؤمنونَ من النارِ، فيُحبسونَ على قنطرة بينَ الجنة والنار، فيقتصُّ لبعضهم من بعضٍ مظالمَ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم في دخول الجنةِ،

رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. رواه مسلم).

٥٥٨٨ - (وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: يخرج من النار أربعة) قال ابن الملك [رحمه الله]: هم الآخرون [خروجاً] منها. (فيعرضون على الله ثم يؤمر بهم إلى النار فيلتفت أحدهم فيقول: أي رب لقد كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن لا تعيدني فيها. قال: فينجيه) بالتخفيف ويشدد، أي فيخلصه (الله منها. رواه مسلم) قال الطيبي [رحمه الله]: ولعل هذا الخروج والله [تعالى] أعلم بعد الورود المعنى بقوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم - ٧١] . وقيل: معنى الورود الدخول فيها وهي خامدة فيعبرها المؤمنون[1] وتنهار بغيرهم، وإليه الإشارة بقوله في الحديث الذي يليه وهو قوله:

٥٥٨٩ - (وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا) فذكر من الأربعة واحداً وحكم عليه بالنجاة وترك الثلاثة اعتماداً على المذكور لأن العلة متحدة في الإخراج من النار والنجاة منها، ولأن الكافر لا خروج له البتة فيدخل مرة أخرى ولهذا قال: (حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة) قال: ونحوه في الأسلوب وهو أن يراد أشياء ويذكر بعضها ويترك بعضها قوله تعالى: ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً﴾. جمع الآيات وفصلها بآيتين إحداهما[2] قوله: ﴿مقام إبراهيم﴾. وثانيتهما: ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ [آل عمران - ٩٧] . الكشاف ذكر هاتان الآيتان وطوى عن ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات، ونحوه في طي الذكر قول جرير:

كانت حنيفة أثلاثاً فثلثهم * من العبيد وثلث من مواليها

الحديث رقم ٥٥٨٨: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٨٠ حديث رقم (٣٢١/ ١٩٢). وأحمد في المسند ٣/ ٢٨٥.

(١) في المخطوطة «المؤمن».

الحديث رقم ٥٥٨٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٣٩٥. حديث رقم ٦٥٣٥. وأحمد في المسند ٣/ ١٣.

(٢) في المخطوطة «إحديهما».

فوالذي نفسُ محمَّد بيده لأحدُهم أهدى بمنزلة في الجنةِ منه بمنزلِهِ كان له في الدنيا». رواه البخاري.

٥٥٩٠ ـ (٢٥) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ أحدٌ الجنةَ إلا أُرِي مقعدَه من النارِ لو أساءَ ليزدادَ شكراً، ولا يدخل النارَ أحدٌ إلا أُري مقعدَه منَ الجنةِ لو أحسنَ ليكونَ عليه حسرةً». رواه البخاري.

هذا وضبط قوله: يخلص المؤمنون، بصيغة المجهول مخففاً من الإخلاص وفي نسخة بالتشديد من التخليص وفي أخرى بفتح الياء وضم اللام من الخلاص. ففي النهاية: خلص سلم ونجا. ثم المراد بالقنطرة الصراط الممدود، والمظالم جمع مظلمة بكسر اللام وهي ما تطلبه عند الظالم مما أخذه منك. وقوله: ونقوا، من التنقية عطف تفسير لهذبوا بصيغة المجهول من التهذيب. (**فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم**) أي من أهل الجنة (**أهدى بمنزلة**) أي إليه. فإن الباء تأتي بمعنى إلى على ما في القاموس كقوله تعالى: ﴿**وقد أحسن بي**﴾ [يوسف ـ ١٠٠]. أي إلي. فالمعنى أعرف وأكثر هداية إلى[1] منزله. (**في الجنة منه بمنزلة كان له في الدنيا**) وقال الطيبي [رحمه الله]: هدى لا يعدى بالباء بل باللام وإلى، فالوجه أن يضمن معنى اللصوق أي ألصق بمنزله هادياً إليه. وفي معناه قوله تعالى: ﴿**يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار**﴾ [يونس ـ ٩]. أي يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة، فجعل تجري من تحتهم الأنهار بياناً له وتفسيراً لأن التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها. (**رواه البخاري**).

٥٥٩٠ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل أحد الجنة إلا أري**) بصيغة المجهول من الإراءة، وقوله: (**مقعده**) بالنصب مفعول ثان له وقوله: (**من النار**) بيان للمقعد (**لو أساء**) أي لو أساء العمل وعصى ربه فرضاً وتقديراً لكان ذلك مقعده. (**ليزداد شكراً**) علة لأري، ويحتمل أن يكون الإراءة في القبر على ما يشهد له بعض الأحاديث ويحتمل أن يكون يوم القيامة على ما هو الظاهر المتبادر من هذا الحديث والله [تعالى] أعلم. (**ولا يدخل النار أحد إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن**) أي العمل والجواب مقدر على ما سبق أو لو في الموضعين للتمني. (**ليكون**) أي الإراءة لكونه مصدراً ذكر فعله. (**عليه حسرة**) بالنصب على الخبرية وفي نسخة بالرفع على إن كان تامة، أي ليقع عليه حسرة وندامة وملامة يوم القيامة. (**رواه البخاري**).

---

(١) في المخطوطة «أي».

الحديث رقم ٥٥٩٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٨. حديث رقم ٦٥٦٩. وأحمد في المسند ٢/ ٥٤١.

٥٥٩١ ـ (٢٦) وعن ابن عمَرَ رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا صارَ أهلُ الجنةِ إلى الجنةِ، وأهلُ النارِ إلى النار، جيءَ بالموتِ حتى يُجعلَ بين الجنةِ والنارِ، ثمَّ يذبحُ، ثمَّ يُنادي مُنادٍ: يا أهلَ الجنةِ! لا موتَ. ويا أهلَ النارِ! لا موتَ. فيزدادُ أهلُ الجنةِ فرحاً إلى فرحِهم، ويزدادُ أهلُ النارِ حُزناً إلى حُزنهم». متفق عليه.

الفصل الثاني

٥٥٩٢ ـ (٢٧) عن ثوبانَ، عن النبي ﷺ، قال: «حوْضي من عدَنَ

٥٥٩١ ـ (وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت) أي أحضر به. ورد في رواية [أنه] يؤتى به على صورة كبش أملح ليتيقنوا غاية اليقين والعرفان. (حتى يجعل) أي واقفاً (بين الجنة والنار ثم يذبح) قال العسقلاني [رحمه الله]: والحكمة فيه الإشارة إلى أنه حصل لهم الفداء كما فدي ولد إبراهيم بالكبش، وفي الأملح إشارة إلى صفتي أهل الجنة والنار لأن الأملح ما فيه بياض وسواد. (ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة لا موت) أي أبداً بل خلود بلا موت كما في رواية. (ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم) بضم الحاء وسكون الزاي ويجوز فتحهما وبهما قرىء في السبعة. قال التوربشتي [رحمه الله]: المراد منه أنه يمثل لهم على المثال الذي ذكره في غير هذه الرواية: يؤتى بكبش له. عين الحديث وذلك ليشاهدوه بأعينهم فضلاً أن يدركوه ببصائرهم، والمعاني إذا ارتفعت عن مدارك الأفهام واستعلت عن معارج النفوس لكبر شأنها صيغت لها قوالب من عالم الحس حتى تتصور في القلوب وتستقر[1] في النفوس. ثم إن المعاني في الدار الآخرة تنكشف للناظرين انكشاف الصور في هذه الدار الفانية، وأما إذا أحببنا أن نؤثر الإقدام في سبيل لا معلم بها لأحد من الأنام فاكتفينا بالمرور عن الإلمام. (متفق عليه).

(الفصل الثاني)

٥٥٩٢ ـ (عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: حوضي من عدن) بفتحتين وهو ينصرف ولا

الحديث رقم ٥٥٩١: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٥. حديث رقم ٦٥٤٨ ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٨٩. حديث رقم (٤٣ ـ ٢٨٥٠). والترمذي في السنن ٤/ ٥٩٦ حديث رقم ٢٥٥٧. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٤٧ حديث رقم ٤٣٢٧. وأحمد في المسند ٢/ ١١٨.

(١) في المخطوطة «يستقر».

الحديث رقم ٥٥٩٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٤٣ حديث رقم ٢٤٤٤. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣٨ حديث رقم ٤٣٠٣. وأحمد في المسند ٥/ ٢٧٥.

إلى عمَّان البلقاء، ماؤهُ أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى منَ العسلِ، وأكوابُه عدد نجوم السماءِ، مَن شرب منه شربةً لم يَظمأ بعدَها أبداً، أولُ الناسِ وُروداً فقراءُ المهاجرين

يصرف آخر بلاد اليمن مما يلي بحر الهند. (إلى عمان البلقاء) بضم العين المهملة وتشديد الميم [مضافاً إلى البلقاء بفتح موحدة وسكون لام] . وقاف ممدودة. قال الطيبي [رحمه الله]: عمان مدينة بالشام، وفي شرح السنة: موضع بالشام، وبضم العين وتخفيف الميم موضع بالبحرين. قلت: لكن الأصول المعتمدة والنسخ المصححة اجتمعت على الضبط الأول فهو المعول، ثم الأظهر أن البلقاء مدينة بالشام وعمان موضع بها وإنما أضيف لقربه إليها على ما أشار إليه العسقلاني [رحمه الله] . والمعنى: مقدار سعة حوضي في العقبى كما بين الموضعين في الدنيا. ثم اعلم أن اختلاف الأحاديث في تقدير الحوض كحديث أنس: ما بين أيلة وصنعاء[١]. وحديث ابن عمر [رضي الله تعالى عنهما]: كما بين جوباء وأذرح[٢]. وحديث ابن عمرو: مسيرة شهرين[٣]. وحديث حارثة بن وهب: كما بين صنعاء والمدينة[٤]. ونحو ذلك، مبني على أن المقصود تصوير كثرة طوله وعرضه لا تعيين قدره بعينه وحصره، فورد الحديث في كل مقام بما يوافق إدراك السامع في المرام ولا يبعد أن يختلف باختلاف مذهب الناظرين ومشرب الواردين وسعة صدورهم وحذاقة بصرهم كاختلاف وسعة القبر ومنازل الجنة بالنسبة إلى السالكين والله [تعالى] أعلم. (ماؤه أشد بياضاً من اللبن) فيه إيماء إلى أن البياض هو اللون المحبوب خلافاً لما اختاره بعض من اللون الأصفر لمقتضى طبعه المقلوب، وأغرب منهم أنهم يميلون إلى تغيير شفة نسائهم المحمرة إلى لون السواد مع أنه مما[٥] يغم الفؤاد ويورث السواد والكباد (وأحلى من العسل) أي ألذ منه مع ما فيه من الشفاء للعباد. وفيه إشعار إلى مذمة شربة الخمر لما فيها من الحرارة مع قطع النظر عما يترتب على شربها من الفساد. (وأكوابه) جمع كوب وهو الكوز الذي لا عروة له على ما في الشروح، أو لا خرطوم له على ما في القاموس. (عدد نجوم السماء) بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي عدد أكوابه عدد نجوم السماء. وفي بعض النسخ بالنصب على نزع الخافض وهو الأظهر، أي بعدد نجوم السماء. (من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً) فيه إيماء إلى تفاوت مراتب الشاربين واختلاف رفع ظماء الواردين. (أول الناس وروداً) أي عليه (فقراء المهاجرين) أي لتعطشهم الظاهري والمعنوي، وقد قال ﷺ: «أجوعكم في الدنيا أشبعكم في الآخرة». وعلى قياسه أضمأكم. وقال تعالى: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ [الحاقة - ٢٤] . والمراد من المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وهو ﷺ سيدهم، وفي معناهم كل من هاجر عن وطنه

---

(١) البخاري في صحيحه ١١/ ٤٦٣ حديث رقم ٦٥٨٠.

(٢) راجع الحديث رقم (٥٦٠٧).

(٣) راجع الحديث رقم (٥٥٦٧). وهو بلفظ «شهر».

(٤) البخاري في صحيحه ١١/ ٤٦٥ حديث رقم ٦٥٩١.

(٥) في المخطوطة «إنما».

الشُّعثُ رؤوساً، الدُّنسُ ثياباً، الذين لا ينكحونَ المتنعماتِ، ولا يفتحُ لهم السُّدَدُ». رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه. وقال الترمذيُّ: هذا حديثٌ غريب.

٥٥٩٣ ـ (٢٨) وعن زيدِ بن أرقمَ، قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ، فنزلنا منزلاً، فقال: «ما أنتم جزءٌ من مائةِ ألفِ جزءٍ ممن يرِدُ عليَّ الحَوضَ». قيل: كم كنتم يومئذٍ؟ قال: سبعمائة أو ثمانمائة. رواه أبو داود.

الأصلي لله سبحانه واختار الفقر على الغنى والخمول على الشهرة وزهد في تحصيل المال والجاه واشتغل بالعلم والعمل في رضا مولاه. **(الشعث)** بضم الشين المعجمة وسكون العين المهملة جمع أشعث بالمثلثة، أي المتفرق الشعر. **(رؤوساً)** تمييز. والرأس قد يتناول الوجه فتدخل اللحية في شعر الرأس من هذا الوجه. **(الدنس)** بضم الدال [المهملة] والنون وقد يسكن جمع الدنس، وهو الوسخ. **(ثياباً، الذين لا ينكحون)** بصيغة المجهول أي لا يزوجون لو خطبوا **(المتنعمات)** أي بكسر العين وفي نسخة بفتح الياء وكسر الكاف، أي الذين لا يتزوجون المتنعمات لتركهم الشهوات وزهدهم في اللذات. **(ولا يفتح لهم السدد)** بضم السين وفتح الدال الأولى المهملتين جمع سدة وهي باب الدار سمي بذلك لأن المدخل يسد به. والمعنى: لو وقفوا على باب أرباب الدنيا فرضاً وتقديراً لا يفتح لهم ولا يؤبه بهم، أو هو كناية عن عدم الالتفات إليهم في الضيافة وأنواع الدعوة حيث لم يدعوهم إلى مقامهم ولم يتباركوا بأقدامهم. **(رواه أحمد والترمذي وابن ماجه)** وكذا الحاكم[1] **(وقال الترمذي: هذا حديث غريب)**.

٥٥٩٣ ـ **(وعن زيد بن أرقم قال: كنا مع رسول الله ﷺ)** أي في سفر **(فنزلنا منزلاً فقال: ما أنتم)** أي أيها الصحابة الحاضرون **(جزء)** بالرفع في أصل السيد وكثير من النسخ وفي نسخة بالنصب **(من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض)** قال ابن الملك [رحمه الله]: يجوز نصب جزء على لغة أهل الحجاز بإعمال ما وإجرائه مجرى ليس ويجوز رفعه على لغة بني تميم يريد به كثرة من آمن به وصدقه من الإنس والجن. **(قيل: كم كنتم يومئذ)** كم الاستفهامية محلها نصب على أنه خبر كان، أي كم رجلاً أو عدداً كنتم حين إذ كنتم معه في السفر **(قال:)** أي زيد بن أرقم **(سبعمائة)** بالنصب، أي كنا. وفي نسخة بالرفع، أي كان عددنا سبعمائة. **(أو ثمانمائة)** يحتمل الشك من الراوي عن زيد ويحتمل أن يكون بمعنى بل ويحتمل التردد من زيد كما هو مقرر في باب التخمين. والمراد أن العدد ما بينهما لا ينقص عن الأول ولا يزيد على الثاني [والله تعالى أعلم] . **(رواه أبو داود)**.

---

(١) الحاكم في المستدرك ٤/ ١٨٤.

الحديث رقم ٥٥٩٣: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١١٠ حديث رقم ٤٧٤٦. وأحمد في المسند ٤/ ٣٦٩.

٥٥٩٤ ـ (٢٩) وعن سمرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن لكلِّ نبي حوضاً، وإنهم ليتباهَوْن أيُّهم أكثر واردةً، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردةً». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

٥٥٩٥ ـ (٣٠) وعن أنسٍ، قال: سألتُ النبيَّ ﷺ أن يشفعَ لي يومَ القيامةِ فقال: «أنا فاعلٌ». قلت: يا رسول الله! فأين أطلبُك؟

٥٥٩٤ ـ (وعن سمرة) أي ابن جندب (قال: قال رسول الله ﷺ: إن لكل نبي حوضاً) أي يشرب أمته من حوضه (وإنهم) أي الأنبياء (ليتباهون) بفتح الهاء أي يتفاخرون (أيهم أكثر واردة) أي ناظرين أيهم أكثر أمة واردة ذكره الطيبي [رحمه الله]: وقيل: أيهم موصولة صدر صلتها محذوف أو مبتدأ وخبر كما تقول: يتباهى العلماء أيهم أكثر علماً أي قائلين. (وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة) ولعل هذا الرجاء قبل أن يعلم أن أمته ثمانون صفاً وباقي الأمم أربعون في الجنة على ما سبق. ثم الحوض على حقيقته المتبادر منه على ما في المعتمد في المعتقد. وأغرب الطيبي [رحمه الله] حيث قال: يجوز أن يحمل على ظاهره فيدل على أن لكل نبي حوضاً، وأن يحمل على المجاز ويراد به العلم والهدى ونحوه [قوله]: «ومنبري على حوضي»[1]. في وجه وإليه يلمح قوله ﷺ: ما من نبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً يوم القيامة. قلت: هذا المعنى لا ينافي الحوض الحسي الذي هوَ مبني على مراتب الواردة بقدر أخذ الفيض من العلم والهدى الذي حصل لهم من جهة أنبيائهم، بل أقول لا بد في التفاوت بين ماء كل حوض في الصفاء والرواء واللذة والكثرة بحسب اختيارهم مذهبهم فهو على منوال. ﴿فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم﴾ [البقرة ـ ٦٠]. (رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب).

٥٥٩٥ ـ (وعن أنس رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة) أي الشفاعة الخاصة من بين هذه الأمة دون الشفاعة العامة (فقال: أنا فاعل. قلت: يا رسول الله فأين أطلبك) قال الطيبي [رحمه الله]: أي في أي موطن من المواطن التي أحتاج إلى شفاعتك أطلبك لتخلصني من تلك الورطة، فأجاب على الصراط وعند الميزان والحوض، أي أفقر الأوقات إلى شفاعتي هذه المواطن. فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا الحديث وحديث عائشة في الفصل الثاني من باب الحساب: «فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة. فقال ﷺ: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً»[2]. قلت: جوابه لعائشة بذلك لئلا تتكل على كونها[3] حرم رسول

الحديث رقم ٥٥٩٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٤٢ حديث رقم ٢٤٤٣.

(١) متفق عليه. (٢) الحديث رقم (٥٥٦٠).

(٣) في المخطوطة «فتكل على عون».

الحديث رقم ٥٥٩٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٣٧ حديث رقم ٢٤٣٣. وأحمد في المسند ٣/ ١٧٨.

قال: «اطلبني أوّل ما تطلبُني على الصراط». قلتُ: فإن لم ألقَكَ على الصّراط؟ قال: «فاطلبني عند الميزان». قلت: فإن لم ألقكَ عند الميزان؟ قال: «فاطلبْني عند الحوض، فإني لا أخطئ هذه الثلاثَ المواطنَ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

٥٥٩٦ ـ (٣١) وعن ابنِ مسعود، عن النبي ﷺ قال: قيل له: ما المقامُ المحمودُ؟ قال: «ذلك يومٌ ينزلُ اللّهُ تعالى على كرسيه

الله ﷺ، وجوابه لأنس كيلا ييأس. أقول: فيه أنه خادم رسول الله ﷺ فهو محل الاتكال أيضاً مع أن اليأس غير ملائم لها أيضاً، فالأوجه أن يقال: إن الحديث الأول محمول على الغائبين فلا أحد يذكر أحداً من أهله الغيب، والحديث الثاني محمول على من حضره من أمته فيوفق بأن بين عدم التذكر وبين وجود الشفاعة عند التحضر كما يدل عليه قوله: فأين أطلبك. (**قال: اطلبني أول ما تطلبني**) أي في أول طلبك إياي (**على الصراط**) فما مصدرية وأول نصب على الظرفية. قال الطيبي [رحمه الله]: نصبه على المصدر[ية] (**قلت: فإن لم ألقك على الصراط. قال: فاطلبني عند الميزان**) فيه إيذان بأن الميزان بعد الصراط (**قلت: فإن لم ألقك عند الميزان قال: فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطىء**) بضم همز وكسر الطاء بعدها همز، أي لا أتجاوز. (**هذه الثلاث**) أي البقاع، وفي نسخة هذه الثلاثة بالتاء أي المواطن. والمعنى: لا أتجاوزهن ولا أحد يفقدني فيهن جميعهن فلا بد أن تلقاني في موضع [منهن]. وقد استشكل كون الحوض بعد الصراط لما سيأتي في حديث الباب أن جماعة يدفعون عن الحوض بعد أن كادوا يردون ويذهب بهم إلى النار. ووجه الإشكال أن الذي يمر على الصراط إلى الحوض يكون قد نجا من النار فكيف يرد إليها. ويمكن أن يحمل على أنهم يقربون من الحوض بحيث يرون فيدفعون في النار قبل أن يخلصوا من الصراط كذا حققه الشيخ ابن حجر العسقلاني [رحمه الله]. (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب**).

٥٥٩٦ ـ (**وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قيل له: ما المقام المحمود**) أي الذي وعدته في قوله تعالى: ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**﴾ [الإسراء ـ ٧٩]. (**قال: ذلك يوم**) بالرفع والتنوين على الرواية الصحيحة على ما صرح به جمع من علمائنا، ويجوز فتحه وهو خبر ذلك على التقديرين. أما على الثاني فظاهر وأما على الأول فتقديره: ذلك اليوم الذي أبلغ فيه المقام المحمود. (**ينزل الله تعالى على كرسيه**) يمكن أن يكون كناية عن حكمه بالعدل في يوم الفصل قيل: إظهار الفضل المتوقف على شفاعته ﷺ إشعاراً لمزيد فضله على خلقه، فكما أنه لولاه أولاً لما خلق الأفلاك ولا وجد الأملاك فكذا لولاه آخر الوقع الأنام في الهلاك فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو مظهر الكل المعبر عنه بأنه مظهر الجامع المسمى بالله. وقيل: هذا على طريقة الاستعارة التمثيلية كما أشار إليه القاضي بقوله: مثل التجلي لعبادة بنعت العظمة والكبرياء والإقبال عليهم للعدل والقضاء وإدناء المقربين منهم

الحديث رقم ٥٥٩٦: أخرجه الدارمي في السنن ٢/٤١٩ حديث رقم ٢٨٠٠.

فَيَئِطُّ كما يئِطُّ الرحلُ الجديد من تضايقه به وهو كسعةِ ما بين السماءِ والأرض، ويُجاءُ بكم حُفاةً عُراةً غُرْلاً، فيكون أول مَن يُكسى إبراهيم؛ يقول الله تعالى: أكسوا خليلي، فيؤتى بَرِيطَتَيْنِ بيضاوين من رياط الجنّة، ثم أُكْسَى على أثره، ثم أقومُ عن يمينِ الله مقاماً يغبطني الأولون والآخرون».

على حسب مراتبهم وكشف الحجاب فيما بينه وبينهم بنزول السلطان من غرف القصر إلى صدر الدار وجلوسه على كرسي الملك للحكومة والفصل وإقامة خواصه وأهل كرامته حواليه قداماً ووراء ويميناً وشمالاً على تفاوت مراتبهم لديه، وقيل: معنى نزول الله تعالى على كرسيه ظهور مملكته وحكمه محسوساً. وقيل: معناه التجلي له بنعت العظمة والإقبال بوصف الكبرياء في اليوم الموعود حتى يتضايق من احتمال ما قد غشيه من ذلك، وهذا لم يبعد عن الحق لما في كشف الحجاب من معنى النزول عن معارج الجلال إلى مدارج الجمال. **(فيئط)** بكسر الهمزة وتشديد الطاء، أي يصوت الكرسي. **(كما يئط الرحل)** أي الأكاف **(الجديد براكبه)** أي بسبب ركوب راكبه إذا كان عظيماً. قال الطيبي [رحمه الله]: وهو مبالغة وتصوير لعظمة التجلي على طريق الترشيح **(من تضايقه به)** متعلق بقوله: فيئط. أي من عدم اتساع الكرسي بالله تعالى كذا قاله شارح. وقيل: أي من تضايق الكرسي بملائكة الله وهذا تمثيل عن كثرة الملائكة الحافين حول عرشه. **(وهو كسعة ما بين السماء والأرض)** بفتح سين سعة ويكسر. وفي نسخة: يسعه ما بين السماء والأرض. ففي القاموس: وسعة الشيء بالكسر يسعه كيضعه سعة كدعة ودية. وفي المغرب يقال: وسع الشيء المكان، ومعناه: وسعه المكان وذلك إذا لم يضق عنه. والجملة حال والضمير راجع إلى الكرسي، أي والحال أن الكرسي يسع ما بين السماء والأرض اشارة إلى قوله تعالى: **﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾** [البقرة - ٢٥٥] . لكن جاء في الحديث: إن الأرض بجنب السماء كحلقة في فلاة. وكذا[1] كل سماء بالنسبة إلى ما في فوقها والسموات السبع والأرضين عند الكرسي كحلقة في فلاة، وكذا هو في جنب العرش. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: وهو يسعه حال أو معترضة جيء بها دفعاً لتوهم من يتوهم أن أطيط الكرسي للضيق بسبب تشبيهه بالرحل في الأطيط. **(ويجاء بكم حفاة عراة غرلا)** أي تحضرون في هذه الحالات **(فيكون أول من يكسى إبراهيم)** برفعه ونصب أول وفي نسخة بعكسه. قال الطيبي [رحمه الله]: فعلى الأول فيه تقديم وتأخير كقوله تعالى: **﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾** [القصص - ٢٦] . **(يقول الله تعالى:)** استئناف بيان **(أكسوا)** بضم الهمزة والسين أمر للملائكة، أي ألبسوا **(خليلي. فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة)** بكسر الراء جمع ريطة بفتحها وهي الملاءة الرقيقة اللينة من الكتان التي لا تكون لفقتين بل تكون قطعة واحدة يؤتى بها من الشام. **(ثم أكسى)** بصيغة المفعول، أي ألبس أنا. **(على أثره)** بفتحتين وبكسر فسكون أي عقب إبراهيم وبعده. **(ثم أقوم عن يمين الله)** أي قيام كرامة **(مقاماً يغبطني)** بكسر الموحدة أي يتمناه **(الأولون والآخرون)** فإن قيل: كيف وجه المطابقة بين السؤال والجواب أجيب بأن

---

(١) في المخطوطة «هذا».

رواه الدارمي.

٥٥٩٧ ـ (٣٢) وعن المغيرة بن شعبة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «شعارُ المؤمنين يومَ القيامةِ على

الدال على الجواب هو قوله: ثم أقوم عن يمين الله، لكنه ﷺ ذكر أولاً الوقت الذي يكون فيه المقام المحمود ووصفه بما يكون فيه من الأهوال ليكون أعظم في النفوس وقعاً[1]، ثم أشار إلى الجواب بقوله: ثم أقوم عن يمين الله. وحاصل الجواب أن المقام المحمود هو المقام الذي أقوم فيه عن يمين الله يوم القيامة. قال الطيبي [رحمه الله]: وفي الحديث دلالة ظاهرة على فضل نبينا ﷺ على ما سوى الله تعالى من الموجودات وحيازته قصب السبق من بين السابق واللاحق من الملائكة والثقلين، وكفى بالشاهد شهيداً على أن الملك الأعظم إذا ضرب سرادق الجلال لقضاء شؤون العباد وجمع أساطين دولته وأشراف مملكته وجلس على سرير ملكه لا يخفى أن [من] يكون عن[2] يمينه هو [أولي] أولي القرب. وأما كسوة إبراهيم عليه [الصلاة] والسلام قبلة ﷺ فلا يدل على تفضيله عليه، بل على فضله وأنه إنما قدم كسوته [على كسوة] مثل من يغبطه الأولون والآخرون إظهاراً لفضله وكرامته ومكانته، ونحوه قوله تعالى: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً﴾ [النحل ـ ١٢٠] . إلى قوله: ﴿ثم أوحينا إليك﴾ [النحل ـ ١٢٣] الآية. الكشاف: في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله ﷺ وإجلال محله والإيذان بأن أشرف ما أوتي خليل الله من الكرامة وأجل ما أولي من النعمة أتباع رسول الله ﷺ ملته من قبل أنها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي أثنى الله تعالى عليه بها. اهـ. وقيل: لا يلزم منه الفضيلة المطلقة. ويمكن أن يقال: لا يدخل النبي ﷺ في ذلك على القول بأن المتكلم لا يدخل تحت خطابه. قلت: هذا غفلة من القائل عن تصريح قوله: ثم أكسى على أثره. قيل: ويمكن أن يقال بأن نبينا ﷺ إنما جيء به كاسياً وإنما كسي ثانياً للكرامة بخلاف غيره فإنه كسي للعري. أقول: وهذا مستبعد جداً، بل الظاهر أنهم يبعثون عراة ثم يخلق لهم أكفانهم فيلبسونها ثم يخلع الله تعالى على من يشاء من عباده. ولما كان الخليل أفضل الأنبياء عليهم [الصلاة] والسلام ابتدىء به ولما كان نبينا ﷺ خاتم النبيين ختم به وأقيم عن يمين الرحمٰن، مع أنه قد يكون الأمر ترقياً على أن إبراهيم كان جده عليه السلام ومتبوعه في بعض المقام مع مراعاة كونه أول من عري في ذات الله حين أرادوا إلقاءه في النار. فيما ذكرنا امتاز الخليل عن سائر الأنبياء بإعطاء الخلعة على طريقة الابتداء وتبين مقام نبينا ﷺ في الانتهاء والله سبحانه [وتعالى] أعلم. (رواه الدارمي).

٥٥٩٧ ـ (وعن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ: شعار المؤمنين) بكسر الشين المعجمة أي علامتهم التي يتعارفون بها مقتدياً كل أمة برسولهم قولهم (يوم القيامة على

(١) في المخطوطة «مرقعاً». (٢) في المخطوطة «على».

الحديث رقم ٥٥٩٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥٣٦/٤ حديث رقم ٤٢٣٢.

الصراط: ربّ! سلّم سلّم». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ.

٥٥٩٨ ـ (٣٣) وعن أنسٍ، أنّ النبيَّ ﷺ قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

الصراط: رب سلم سلم) والتكرار للإلحاح، أو المراد به التكثير. ويمكن أن يكون شعار المؤمنين قول الأنبياء في حقهم هذا الدعاء ويؤيده ما رواه الطبراني عن ابن عمر [رضي الله عنهما]: وشعار أمتي إذا حملوا على الصراط يا لا إله إلا أنت[١]. ويمكن الجمع بأن هذا من خصوصيات هذه الأمة والأول لسائر الأمم. والأظهر أن قوله: رب سلم سلم. إنما هو من شعار المؤمنين الكاملين من العلماء العاملين والشهداء الصالحين ممن لهم مقام الشفاعة تبعاً للأنبياء والمرسلين. **(رواه الترمذي)** وكذا الحاكم[٢] **(وقال:)** أي الترمذي **(هذا حديث غريب)** وروى ابن مردويه عن عائشة مرفوعاً: شعار المؤمنين [يوم يبعثون من قبورهم لا إله إلا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون[٣]. وروى الشيرازي عنها أيضاً: شعار المؤمنين] يوم القيامة في ظلم القيامة لا إله إلا أنت[٤].

٥٥٩٨ ـ **(وعن أنس أن النبي ﷺ قال: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)** أي شفاعتي في العفو عن الكبائر من أمتي خاصة دون غيرهم من الأمم. وقال الطيبي [رحمه الله]: أي شفاعتي التي تنجي الهالكين مختصة بأهل الكبائر. وفي شرح مسلم للنووي: قال القاضي عياض [رحمه الله]: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً لصريح قوله تعالى: **﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمٰن ورضي له قولاً﴾** [طه ـ ١٠٩]. وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر لصحة الشفاعة في الآخرة، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها وتعلقوا لمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار بقوله تعالى: **﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾** [المدثر ـ ٤٨]. وبقوله سبحانه: **﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾** [غافر ـ ١٨]. وأجيب بأن الآيتين في الكفار، والمراد بالظلم الشرك. وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار. قلت: ومنه هذا الحديث حيث لا معنى لزيادة الدرجات في الجنة لأصحاب الكبائر الذين هم على زعمهم من أهل الخلود في النار. قال: والشفاعة خمسة أقسام: أولها مختصة بنبينا ﷺ وهي الإراحة

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٠٠ حديث رقم ٤٨٨٥.

(٢) الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٧٥.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٠٠ حديث رقم ٤٨٨٦.

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٠٠ حديث رقم ٤٨٨٧.

الحديث رقم ٥٥٩٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٠٦ حديث رقم ٤٧٣٩. والترمذي في السنن ٤/ ٥٣٩ حديث رقم ٢٤٣٥. وأحمد في المسند ٣/ ٢١٣.

رواه الترمذي، وأبو داود.

٥٥٩٩ ـ (٣٤) ورواه ابن ماجه عن جابر.

٥٦٠٠ ـ (٣٥) وعن عوف بن مالك، قال: قال رسولُ الله ﷺ: أتاني آتٍ من عند ربِّي، فخيَّرني بين أنْ يُدخلَ نصفَ أُمتي الجنةَ وبينَ الشفاعةِ،

من هول الموقف وتعجيل الحساب. الثانية في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهذه أيضاً وردت في نبينا ﷺ. الثالثة الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا ﷺ ومن شاء الله تعالى. الرابعة فيمن دخل النار من المذنبين، فقد جاءت الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا والملائكة وإخوانهم من المؤمنين، ثم يخرج الله تعالى كل من قال: لا إله إلا الله. الخامسة الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وهذه لا ينكرها أيضاً. **(رواه الترمذي وأبو داود)** أي عن أنس.

٥٥٩٩ ـ **(ورواه ابن ماجه عن جابر)** وفي الجامع رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم عن أنس، ورواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن جابر، ورواه الطبراني عن ابن عباس، والخطيب عن ابن عمر وعن كعب بن عجرة [رضي الله تعالى عنهم][1]. وفي رواية للخطيب عن أبي الدرداء: شفاعتي لأهل الذنوب من أمتي وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء[2] وفي رواية له عن علي: شفاعتي لأمتي من أحب أهل بيتي[3]. وروى أبو نعيم في الحلية عن عبد الرحمٰن بن عوف: شفاعتي مباحة إلا لمن سب أصحابي[4]. وروى ابن منيع عن زيد بن أرقم وبضعة عشر من الصحابة ولفظه: شفاعتي يوم القيامة حق فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها[5].

٥٦٠٠ ـ **(وعن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني آت)** أي ملك عظيم **(من عند ربي فخيرني)** أي ربي أو الملك. **(بين أن يدخل)** بفتح الياء وضم الخاء على ما في الأصول المعتمدة، وفي نسخة صحيحة بصيغة المجهول، وفي أخرى بضم أوّله وكسر الخاء على أن الفاعل هو الله أو الملك مجازاً فقوله: **(نصف أمتي)** مرفوع على الأوّلين ومنصوب على الثالثة وقوله: **(الجنة)** بالنصب على أنه مفعول ثان بكل من الروايات **(وبين الشفاعة**

الحديث رقم ٥٥٩٩: أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٤٤١ حديث رقم ٤٣١٠.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٠١ حديث رقم ٤٨٩٢.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٠١ حديث رقم ٤٨٩٣.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٠١ حديث رقم ٤٨٩٤.

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٠١ حديث رقم ٤٨٩٥.

(٥) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٠١ حديث رقم ٤٨٩٦.

الحديث رقم ٥٦٠٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٤١ حديث رقم ٢٤٤١. وابن ماجه ٢/ ١٤٤١ حديث رقم ٤٣١١. وأحمد في المسند ٦/ ٢٣.

فاخترتُ الشفاعةَ، وهي لمن ماتَ لا يشركُ باللّهِ شيئاً». رواه الترمذي، وابن ماجه.

٥٦٠١ ـ (٣٦) وعن عبدِ الله بن أبي الجَدعاءِ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يدخلُ الجنَّةَ بشفاعةِ رجلٍ من أمَّتي أكثرُ من بَني تميمٍ». رواه الترمذيُّ، والدارمي، وابن ماجه.

٥٦٠٢ ـ (٣٧) وعن أبي سعيد، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ منْ أُمتي مَن يشفعُ للفِئامِ، ومنهم مَن يشفعُ للقبيلةِ، ومنهم من يشفعُ للعَصبة، ومنهم من يشفعُ للرَّجلِ حتى

فاخترت الشفاعة) أي لأمة الإجابة لاحتياج أكثرهم إليها **(وهي)** أي الشفاعة **(لمن مات لا يشرك بالله شيئاً)** واعلم أنه نقل عن نسخة السيد جمال الدين المحدث أن تدخل بالتاء المثناة من فوق على بناء الفاعل من الثلاثي المجرد ونصف بالرفع فيحتاج إلى تكلف بل إلى تعسف وهو أن يقال اكتسب التأنيث من المضاف إليه، وضبط بالحمرة أيضاً تدخل من باب الإفعال على البناء للفاعل مخاطباً ويرده قوله: نصف أمتي. والقول بالالتفات في مثل هذا مما لا يلتفت إليه. **(رواه الترمذي وابن ماجه)** وكذا ابن حبان عن عوف، ورواه أحمد عن أبي موسى.

٥٦٠١ ـ **(وعن عبد الله بن أبي الجدعاء)** بفتح الجيم وسكون الدال المهملة كذا في جامع الأصول وهكذا ضبط في النسخ المعتمدة وأيضاً نسب إلى العسقلاني، لكنه في نسخة السيد بالذال المعجمة ويؤيده ما في التقريب من أنه بجيم مفتوحة فذال معجمة ساكنة كناني صحابي له حديثان تفرد بالرواية عنه عبد الله بن شقيق. [وقال المؤلف: تميمي يذكر في الوحدان، روى عنه عبد الله بن شقيق] وعداده في البصريين. **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يدخل الجنة بشفاعة رجل)** أي جليل **(من أمتي أكثر من بني تميم)** وهي قبيلة كبيرة فقيل: الرجل هو عثمان بن عفان رضي الله [تعالى] عنه، وقيل أوس القرني وقيل غيره. قال زين العرب [رحمه الله]: وهذا أقرب. **(رواه الترمذي والدارمي وابن ماجه)**.

٥٦٠٢ ـ **(وعن أبي سعيد)** أي الخدري [رضي الله عنه] **(أن رسول الله ﷺ قال: إن من أمتي)** أي بعض أفرادهم من العلماء والشهداء والصلحاء **(من يشفع للفئام)** بكسر الفاء بعده همز وقد يبدل. قال الجوهري: هو الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه، والعامة تقول: فيام بلا همز. أقول: الأظهر أن يقال ههنا معناه القبائل كما قيل هو في المعنى جمع فئة لقوله: **(ومنهم من يشفع للقبيلة)** وهي قوم كثير جدهم واحد **(ومنهم من يشفع للعصبة)** بضم فسكون وهو ما بين العشرة إلى الأربعين من الرجال لا واحد لها من لفظها، والأظهر أن المراد بها جمع ولو اثنان لقوله: **(ومنهم من يشفع للرجل)** ويمكن أن يقال طوى ما بين العصبة والرجل لما يدل عليه الرجل بالبرهان الجلي كما يدل على المرأة بالقياس الخفي. **(حتى**

الحديث رقم ٥٦٠١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٤٠ حديث رقم ٢٤٣٨. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٤٣ حديث رقم ٤٣١٦. والدارمي ٢/ ٤٢٣ حديث رقم ٢٨٠٨. وأحمد في المسند ٣/ ٤٦٩.

الحديث رقم ٥٦٠٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٤١ حديث رقم ٢٤٤٠. وأحمد في المسند ٣/ ٢٠.

يدخلوا الجنة». رواه الترمذي.

٥٦٠٣ ـ (٣٨) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ وَعَدَني أن يدخل الجنةَ من أُمتي أربعمائةِ ألفٍ بلا حسابٍ». فقال أبو بكر: زِدْنا يا رسولَ الله! قال: وهكذا، فحثا بكفيه وجمعهما، فقال أبو بكر: زدنا يا رسول الله! قال: وهكذا فقال عمر: دَعْنا يا أبا بكر! فقال أبو بكر: وما عليك أن يُدْخِلنا اللّهُ كلَّنا الجنة؟ فقال عمر: إنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ إن شاء أن يُدْخِلَ خَلْقَه الجنّةَ بكفٍّ واحدٍ فعل؟

يدخلوا) أي الأمة كلهم **(الجنة)** قال الطيبي [رحمه الله]: يحتمل أن يكون غاية يشفع والضمير لجميع الأمة، أي ينتهي شفاعتهم إلى أن يدخلوا جميعهم الجنة، ويجوز أن يكون بمعنى كي فالمعنى أن الشفاعة لدخول الجنة. **(رواه الترمذي)** أي وحسنه على ما نقله عنه السيد.

٥٦٠٣ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عزَّ وجلَّ وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف بلا حساب)** أي ولا كتاب ولا سابقة عذاب **(فقال أبو بكر: زدنا يا رسول الله)** أي زدنا في الإخبار عما وعدك ربك إدخال أمتك الجنة بشفاعتك، يدل على هذا التأويل حديث أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وعدني ربي أن يدخل الجنة [من] أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي[1]. كذا ذكره الطيبي [رحمه الله تعالى] وهو مستحسن جداً، إلا أن قيد قوله: بشفاعتك، لا دلالة للكلام عليه. والظاهر أن هؤلاء يدخلون الجنة من غير شفاعة مخصوصة وإن كانوا داخلين في الشفاعة العامة. هذا وفي قوله: زدنا، دليل على أن له ﷺ مدخلاً ومجالاً في الأمور الأخروية وفي التصرفات الربوبية بحسب ما أولاه مولاه من الرتبة الجلية والمزية العلية. **(قال:)** أي أنس **(وهكذا)** أي وفعل هكذا، وتفسيره **(فحثى بكفيه وجمعهما فقال أبو بكر: زدنا يا رسول الله قال: وهكذا)** أي فحثى بكفيه وجمعهما. والظاهر أن هذا حكاية لفعله سبحانه ولذا قال الشراح: إنما ضرب المثل بالحثيات لأن من شأن المعطي الكريم إذا استزيد أن يحثي بكفيه من غير حساب، وربما ناوله ملء كف. فالحثي كناية عن المبالغة في الكثرة وإلا فلا كف ولا حثي. **(فقال عمر: دعنا يا أبا بكر)** أي اتركنا على ما بين لنا الحال بطريق الإجمال لنكون بين الخوف والرجاء على وجه الاعتدال. **(فقال أبو بكر: وما عليك)** أي بأس وضرر **(أن يدخلنا الله كلنا)** أي جميعنا وهو تأكيد للضمير في يدخلنا. **(الجنة. فقال عمر: إن الله عزَّ وجلَّ)** أي بل أقول زيادة على ما تقول على ما هو المعتقد بالمنقول والمعقول، وهو أن الله **(عزَّ وجلَّ إن شاء أن يدخل خلقه الجنة)** أي جميع مخلوقاته من الإنس والجن مؤمنهم وكافرهم ومطيعهم وفاجرهم. **(بكف واحد)** أي بمرتبة واحدة. **(فعل)** كما قال سبحانه: **﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾** [النحل: ٩]. **﴿ولكن الله يفعل ما يريد﴾** [البقرة ـ ٢٥٣]. قيل: أراد

الحديث رقم ٥٦٠٣: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٥/ ١٦٣ حديث رقم ٤٣٣٥. وأحمد في السنن ٣/ ١٦٥.

(١) الحديث رقم (٥٥٥٦).

فقال النبي ﷺ: «صدق عمر» رواه في «شرح السنّة».

٥٦٠٤ ـ (٣٩) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُصَفُّ أهلُ النّار، فيمرُّ بهم الرجلُ من أهل الجنّة، فيقول الرجل منهم: يا فلان! أما تعرفني؟ أنا الذي سَقَيْتُكَ شَرْبَةً. وقال بعضهم: أنا الذي وَهبْتُ لكَ وَضوءاً، فيشفع له فيدخله الجنّة». رواه ابن ماجه.

٥٦٠٥ ـ (٤٠) وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إن رجلين ممَّن دخلَ النّارَ

بكف واحد عطاءه وفضله، أي لو أراد أن يدخل [الخلق] كله بفضل رحمته فعل فإنها أوسع من ذلك. هذا والكف على ما في القاموس اليد أو إلى الكوع وجعلها صاحب المغرب من المؤنثات السماعية، وعدها ابن الحاجب أيضاً في رسالته مما يجب تأنيثه. فقوله: بكف واحد مؤول بعطاء واحد أو بمقبوض واحد. (**فقال النبي ﷺ: صدق عمر**) قال التوربشتي [رحمه الله]: وإنما لم يجب رسول الله ﷺ أبا بكر بمثل كلام عمر رضي الله [تعالى] عنهما لأنه وجد للبشارات مدخلاً عظيماً في توجه النفوس القدسية، فإن الله ينجي خلقه من عذابه بشفاعة الشافعين الفوج بعد الفوج والقبيل بعد القبيل، ثم يخلص من قصرت عنه شفاعة الشافعين بفضل رحمته وهم الذين سلم لهم الإيمان ولم يعملوا خيراً قط على ما سبق في الحديث. قال بعض العارفين: ما ذهب إليه أبو بكر هو من باب التضرع والمسكنة وما ذهب إليه عمر من باب التفويض والتسليم. أقول: التسليم أسلم والله [تعالى] أعلم. (**رواه**) أي صاحب المصابيح (**في شرح السنة**) أي بإسناده ورواه أحمد في مسنده على ما ذكره السيد.

٥٦٠٤ ـ (**وعنه**) أي عن أنس رضي الله عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: يصف**) بضم وفتح وتشديد، أي يجعل صفاً وفي نسخة بفتح فضم، أي يصير صفاً. (**أهل النار**) أي من عصاة المؤمنين والفجار في طريق أهل الجنة من العلماء[1] الأخيار والصلحاء الأبرار على هيئة المساكين السائلين في طريق الأغنياء في هذه الدار. (**فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم:**) أي من أهل النار (**يا فلان**) كناية عن اسمه (**أما تعرفني أنا الذي سقيتك شربة**) أي من ماء أو لبن أو نحوهما (**وقال بعضهم: أنا الذي وهبت لك وضوءاً**) بفتح الواو أي ماء وضوء. وعلى هذا القياس من لقمة وخرقة أو نوع إعانة أو جنس عطية كلية أو جزئية ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، فإن الغريق يتعلق بكل حشيش. (**فيشفع له**) أي ذلك الصالح (**فيدخله الجنة**) أي يصير سبباً لدخوله إياها، أو المعنى فيدخله معه الجنة والله [تعالى] أعلم. قال المظهر: فيه تحريض على الإحسان إلى المسلمين لا سيما مع الصلحاء والمجالسة معهم ومحبتهم فإن محبتهم زين في الدنيا ونور في العقبى. (**رواه ابن ماجه**).

٥٦٠٥ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن رجلين ممن دخل النار**

الحديث رقم ٥٦٠٤: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٢١٥ حديث رقم ٣٦٨٥.

(١) في المخطوطة من دون «ال التعريف».

الحديث رقم ٥٦٠٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٦١٥ حديث رقم ٢٥٩٩.

اشتدَّ صياحهما، فقال الربُّ تعالى: أخرجوهما. فقال لهما: لأيِّ شيءٍ اشتدَّ صياحُكما؟ قالا: فعلنا ذلك لترحمنا. قال: فإنَّ رحمتي لكما أن تنطلقا فتُلقيا أنفسكما حيثُ كنتما من النار، فيُلقي أحدُهما نفسه، فيجعلها الله عليه برداً وسلاماً، ويقومُ الآخر، فلا يُلقي نفسه، فيقول له الرب تعالى: ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك؟ فيقول: ربِّ! إني لأرجو أن لا تعيدَني فيها بعدَ ما أخرجتَني منها. فيقول له الرب تعالى: لك رجاؤك. فيدخلان جميعاً الجنّة برحمة الله». رواه الترمذي.

٥٦٠٦ ـ (٤١) وعن ابن مسعود، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَرِدُ النَّاسُ النارَ،

اشتد صياحهما) [أي بكاؤهما] وتضرعهما واستغاثتهما (فقال الرب تعالى:) أي للزبانية (أخرجوهما. فقال لهما: لأي شيء اشتد صياحكما) أي بعد ما كنتما ساكتين خامدين (قالا: فعلنا ذلك) أي اشتداد الصياح (لترحمنا) أي فإنك تحب من يتضرع إليك (قال: فإن رحمتي لكما أن تنطلقا) أي تذهبا (فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار) فيه إيماء إلى أن مجرد التضرع الظاهري لا يفيد الرحمة بدون الانقياد الباطني ولذا قال تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ [الأعراف ـ ٥٦] . قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: أن تنطلقا فتلقيا، خبر إن. فإن قلت: كيف يجوز حمل الانطلاق إلى النار وإلقاء النفس فيها على الرحمة. قلت: هذا من حمل السبب على المسبب، وتحقيقه أنهما[1] لما فرطا في جنب الله وقصرا في العاجلة في امتثال أمره أمرا هنالك بالامتثال في إلقاء أنفسهما في النار إيذاناً بأن الرحمة إنما هي [مترتبة] على امتثال أمر الله عزّ وجلّ. (فيلقي أحدهما نفسه) أي في النار (فيجعلها الله عليه برداً وسلاماً) أي كما جعلها برداً وسلاماً على إبراهيم (ويقوم الآخر) أي يقف (فلا يلقي نفسه فيقول له الرب تعالى: ما منعك أن تلقي نفسك) أي من إلقائها في النار (كما ألقى صاحبك) أي كإلقائه فيها (فيقول: رب إني لأرجو أن لا تعيدني فيها بعد ما أخرجتني منها) فالأول امتثل بالخوف والعمل والثاني عمل بالعلم والأمل. (فيقول له الرب تعالى: لك رجاؤك) أي مقتضاه ونتيجته كما أن لصاحبك خوفه وعمله بموجبه. (فيدخلان) بصيغة المفعول أي فيدخلها الله (جميعاً الجنة برحمة الله) أي المترتبة على العمل والمعرفة (رواه الترمذي).

٥٦٠٦ ـ (وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يرد الناس النار) يرد على وزن يعد مضارع من الورود بمعنى الحضور يقال: وردت ماء كذا، أي حضرته وإنما سمّاه وروداً لأن المارة على الصراط يشاهدون النار ويحضرونها، وعلى هذا يؤوّل قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم ـ ٧١] . وفيه إيماء إلى أنهم حينئذ في العطش الشديد وإنما

---

(١) في المخطوطة «أنه».

الحديث رقم ٥٦٠٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٢٩٧. حديث رقم ٣١٥٩. والدارمي في السنن ٢/ ٤٢٤. حديث رقم ٢٨١٠. وأحمد في المسند ١/ ٤٣٣.

ثم يصدرون منها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالرِّيح، ثم كحُضْر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشَدِّ الرجلِ، ثم كمشيه». رواه الترمذيُّ، والدارميُّ.

الفصل الثالث

٥٦٠٧ ـ (٤٢) عن ابن عمر، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أمامكم حوضي، ما بين جنبيه كما بين جَرْباء

مروا[1] على الصراط للوصول إلى الحوض المورود. قال التوربشتي [رحمه الله]: الورود لغة قصد الماء ثم يستعمل في غيره، والمراد منه ههنا الجواز على جسر جهنم. (ثم يصدرون منها) بضم الدال أي ينصرفون عنها فإن الصدر إذا عدي بمن اقتضى الانصراف وهذا على الاتساع، ومعناه النجاة إذ ليس هناك انصراف وإنما هو المرور عليها، فوضع الصدر موضع النجاة للمناسبة التي بين الصدور والورود. قال الطيبي [رحمه الله]: ثم في ثم يصدرون مثلها في قوله تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم ـ ٧٢] . في أنها للتراخي في الرتبة لا الزمان بين الله تعالى التفاوت[2] بين ورود الناس وبين نجاة المتقين منها[3]، فكذلك بين رسول الله ﷺ التفاوت بين ورود الناس النار وبين صدورهم منها على أن المراد بالصدور الانصراف انتهى. والحاصل أن الخلق بعد شروعهم في الورود يتخلصون من خوف النار ومشاهدة رؤيتها وملاصقة لهبها ودخانها وتعلّق أشواكها وأمثالها على مراتب شتى في سرعة المجاوز وإبطائها. (بأعمالهم) أي بحسب مراتب أعمالهم الصالحة (فأوّلهم) أي أسبقهم (كلمح البرق) أي الخاطف (ثم كالريح) أي العاصف (ثم كحضر الفرس) أي جريه وهو بضم الحاء وسكون الضاد العدو الشديد. (ثم كالراكب في رحله) أي على راحلته وعداه بفي لتمكنه من السير كذا قاله الطيبي [رحمه الله] . وقيل: أراد الراكب في منزله ومأواه فإنه يكون حينئذ السير والسرعة أشد. (ثم كشد الرجل) أي عدوه وجريه (ثم كمشيه) أي كمشي الرجل على هينته (رواه الترمذي والدارمي) .

(الفصل الثالث)

٥٦٠٧ ـ (عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إن أمامكم) بفتح الهمزة، أي قدامكم يوم القيامة. (حوضي) أي بعد الصراط (ما بين جنبيه) أي طرفيه (كما بين جرباء)

---

(١) في المخطوطة «فإنما مروركم».
(٢) في المخطوطة «الثقات».
(٣) في المخطوطة «فيها».

الحديث رقم ٥٦٠٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤٦٣. حديث رقم ٦٥٧٧. وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٩٧ حديث رقم ٣٤/ ٢٢٩٩. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٣٨ حديث رقم ٤٣٠٣٠ وأحمد في المسند ٢/ ٢١٠.

وأذرحَ». قال بعض الرواة: هما قريتان بالشام، بينهما مسيرة ثلاث ليال. وفي رواية: «فيه أباريقُ كنجوم السماءِ، من ورده فشرب منه لم يظمأ بعدها أبداً». متفق عليه.

٥٦٠٨ ـ (٤٣) ٥٦٠٩ ـ (٤٤) وعن حذيفةَ وأبي هريرة، قالا: قال رسول الله ﷺ: «يجمعُ اللّهُ تباركَ وتعالى الناس فيقومُ المؤمنون حتى تُزْلَفَ لهم الجنةُ، فيأتون آدمَ فيقولون: يا أبانا استفتِحْ لنا الجنّةَ. فيقول: وهل أخرجكم من الجنةِ إلا خطيئة أبيكم؟ لستُ بصاحب ذلك،

بفتح جيم وسكون راء موحدة ممدودة (وأذرح) بفتح همز وسكون ذال معجمة وضم راء وبحاء مهملة غير منصرفين (قال بعض الرواة:) أي رواة هذا الحديث (هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال) قال صاحب القاموس: الجرباء قرية بجنب أذرح وغلط من قال بينهما ثلاثة أيام، وإنما الوهم من رواة الحديث من إسقاط زيادة ذكرها الدارقطني وهي ما بين ناحيتي حوضي كما بين المدينة وجرباء وأذرح[1]. (وفي رواية: فيه) أي موضوع في أطرافه أو على جوانبه[2] (أباريق كنجوم السماء) أي في الكثرة وصفاء الضياء (من ورده فشرب منه) أي شربة (لم يظمأ بعدها) أي بعد تلك الشربة أو بعد الشرب وهو مصدر يذكر ويؤنث. (أبداً) أي دائماً سرمداً فيكون شربه الأشربة في الجنة بعدها بناء على التلذذ والتفكه والتكيف بها. (متفق عليه) ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه عنه بلفظ: الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب ريحاً من المسك وماؤه أحلى من العسل وأشد بياضاً من اللبن[3].

٥٦٠٨ و٥٦٠٩ ـ (وعن حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا:) أي كلاهما (قال رسول الله ﷺ: يجمع الله تبارك وتعالى الناس) المراد بهم الخلق وخصوا بالذكر للتشريف فإنهم عمدة أرباب التكليف. (فيقوم المؤمنون) أي الخواص من عموم الناس (حتى تزلف) بضم التاء وسكون الزاي وفتح اللام وبالفاء أي تقرب. (لهم الجنة) ومنه قوله تعالى: ﴿وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت﴾ [التكوير ـ ١٣ ـ ١٤] . (فيأتون) أي المؤمنون (آدم) والمراد منهم بعضهم الخواص من كل أمة. (فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة) أي اطلب فتح بابها. (حتى تدخلها. فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم) أي وصاحب الخطيئة لا يصلح للشفاعة بل هو محتاج بنفسه إلى الضراعة، وهذا معنى قوله: (لست بصاحب ذلك) أي ذلك

---

(١) «جرباء وأذرح» هما قريتان شرق الأردن تقعان شمال غربي مدينة معان.

(٢) في المخطوطة «أجانب».

(٣) أحمد في المسند ٢/ ٦٧. وابن ماجه في السنن حديث رقم ٤٣٣٤ والترمذي في السنن حديث رقم ٣٣٦١.

الحديث رقم ٥٦٠٨ و٥٦٠٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٧ حديث رقم ٦٥٦٥. ومسلم في صحيحه ١/ ١٨٦ حديث رقم (٣٢٩ ـ ١٩٥). وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٤٢ حديث رقم (٤٣١٢).

اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله» قال: «فيقول إبراهيم: لستُ بصاحبِ ذلك، إنما كنتُ خليلاً من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى الذي كلّمه الله تكليماً، فيأتونَ موسى عليه السلام، فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى: لست بصاحبِ ذلك، فيأتونَ محمداً ﷺ، فيقوم فيؤذَنُ له، وتُرسل الأمانةُ والرحم، فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمرُّ أوّلكم كالبرق». قال: قلت: بأبي أنتَ وأمي، أيّ

المقام الذي أردتموه من الشفاعة الكبرى والمرتبة العظمى المسماة بالمقام المحمود المخصوص لصاحب اللواء الممدود. (**اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله**) أي فإنه من أفضل الرسل وجد خاتم الأنبياء فتقربوا إليه اعرضوا أمركم عليه. (**قال: فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك**) أي المقام الموعود والمرام المشهود (**إنما كنت خليلاً من وراء وراء**) بالفتح فيهما على ما في الأصول المعتمدة والنسخ المقروءة المصححة. قال النووي [رحمه الله]: المشهور الفتح فيهما بلا تنوين ويجوز في العربية بناؤهما[1] على الضم. قال أبو البقاء: الصواب الضم فيهما لأن تقديره من وراء ذلك. قال: وإن صح الفتح قبل. وقال الشيخ أبو عبد الله: الفتح أصح وتكون الكاملة مركبة كشذر مذر وشغر بغر فبناؤهما على الفتح، وإن ورد منصوباً منوناً جاز ذلك. (**اعمدوا**) بكسر الميم، أي اقصدوا. (**إلى موسى الذي كلمه الله تكليماً**) أي بلا واسطة كتاب ومن غير وراء حجاب. قال صاحب التحرير[2]. وهذا وارد[3] على سبيل التواضع، أي لست بصدد تلك الدرجة الرفيعة. ومعناه أن المكارم التي أعطيتها كانت بواسطة سفارة جبريل عليه [الصلاة] والسلام ولكن ائتوا موسى عليه [الصلاة] والسلام فإنه حصل له الكلام بغير واسطة. قال: وإنما كرر لأن نبينا ﷺ حصل له السماع بغير واسطة وحصل له الرؤية أيضاً فكأنه قال: أنا وراء [موسى] الذي هو وراء محمد ﷺ. (**فيأتون موسى فيقول: لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه**) بالجر على البدلية ويجوز رفعهما ونصبهما على المدح. (**فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك**) وحينئذ ينحصر الأمر في نبينا خاتم الرسل ومقدم الكل. (**فيأتون محمداً ﷺ**) فيه وضع الظاهر موضع ضمير المتكلم على سبيل الالتفات أو على طريق التجريد. (**فيقوم**) أي عن يمين عرش الرحمٰن ويستأذن بالشفاعة في نوع الإنسان لإزالة كرب الموقف وعموم الأحزان. (**فيؤذن له**) [أي] فيسجد على ما سبق (**وترسل الأمانة والرحم**) أي مصورتين كما تقدم (**فتقومان**) بالتأنيث على تغليب الأمانة المتقدمة وبالتذكير على تغليب الرحم المذكر، أي فيقفان أو فيحضران. (**جنبتي الصراط**) بالفتحات أي طرفيه (**يميناً وشمالاً**) كالبيان لما قبله ونصبهما على البدلية أو الظرفية. (**فيمر أولكم**) التفات من الغيبة العامة إلى الخطاب للخاصة (**كالبرق**) أي في سرعة السير (**قال:**) أي أبو هريرة (**قلت: بأبي أنت وأمي**) الباء للتعدية، أي أفديك بهما. (**أي**

---

(١) في المخطوطة «بناؤ هو». (٢) في المخطوطة «التجريد».

(٣) في المخطوطة «ورد».

شيء كمرّ البرق؟ قال: «ألم تروا إلى البرق كيف يَمرّ ويرجع في طرفة عين. ثم كمرّ الريح، ثم كمرّ الطير، وشدّ الرّجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيّكم قائم على الصّراط يقول: يا ربِّ! سلّم سلّم، حتى تعجز أعمالُ العباد، حتى يجيء الرجلُ فلا يستطيعُ السَّيرَ إلاّ زحفاً». وقال: «وفي حافتي الصّراط كلاليبُ مُعلّقةٌ مأمورة، تأخذ من أُمرت به، فمخدوشٌ ناجٍ، ومكرْدَسٌ في النار».

شيء) استفهام (كمر البرق) أي أي شيء شبيه به. والمعنى: في أي شيء تشبيهه بالبرق. **(قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر)** أي سريعاً **(ويرجع في طرفه عين)** ذكره على سبيل الاستطراد أو على طريق التتميم للمعنى المراد فيكون الجواب بأنه يشبهه في سرعة السير كذا حرره الشراح. وعندي أن التشبيه مركب من سرعة المرور ومن ضياء الظهور ليكون[1] نوراً على نور وليكون إشارة إلى البدن والروح وإلى الظاهر والباطن وإلى الكمية والكيفية، وأيضاً المرور مذكور في كلام السائل ولا بد في الجواب من أمر زائد والله [تعالى] أعلم. ثم الظاهر أن المراد بهم الأنبياء ويحتمل أن يراد بهم الأصفياء من هذه الأمة وهم أرباب الجذبات الآلهية. **(ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال)** أي جريهم، والرجال أما جمع رجل أو جمع راجل. قال الطيبي رحمه الله: قوله: أي شيء كمر البرق، أي ما الذي يشبهه من المارين بمر البرق. وقوله: ألم تروا إلى البرق. بيان لما شبهوا به بالبرق وهو سرعة اللمعان، يعني سرعة مرورهم على الصراط كسرعة لمعان البرق، كأنه أي السائل استبعد أن يكون في الإنسان ما يشبه البرق في السرعة فسأل عن أمر آخر هو المشبه، فأجاب بأن ذلك غير مستبعد وليس بمستنكر أن يمتحهم الله تعالى ذلك بسبب أعمالهم الحسنة، ألا ترى كيف أسند الجريان إلى الأعمال بقوله: **(تجري بهم أعمالهم)** أي تجري وهي ملتبسة بهم لقوله تعالى: ﴿**وهي تجري بهم في موج كالجبال**﴾ [هود ـ ٤٢] . ويجوز أن يكون الباء للتعدية، أي تجعلهم جارين. **(ونبيكم قائم على الصراط. يقول: يا رب سلم سلم. حتى تعجز أعمال العباد)** متعلق بتجري والجملة قبله معترضة بيانية أو حالية. والمعنى: تجري بهم أعمالهم حتى تعجز أعمالهم عن الجريان بهم. **(حتى يجيء الرجل)** بدل من قوله: حتى تعجز، وتوضيح له. **(فلا يستطيع)** أي الرجل لضعف عمله وتقاعده عن السبق في الدنيا **(السير)** أي المرور **(على الصراط إلا زحفاً)** أي حبواً كما تقدم والله [تعالى] أعلم. **(قال:)** أي النبي ﷺ أو أبو هريرة مرفوعاً. **(وفي حافتي الصراط)** بتخفيف الفاء أي جانبيه **(كلاليب)** جمع كلاب **(معلقة مأمورة تأخذ)** أي هي **(من أمرت به)** ولو روي بالباء وفتح الهمز وسكون الخاء على المصدر لكان له وجه وجيه. **(فمخدوش)** أي فمنهم مجروح **(ناج)** أي من الوقوع في النار. **(ومكردس في النار)** بفتح الدال المهملة وبالسين المهملة، وقيل المعجمة وهو الذي جمعت يداه ورجلاه وألقي في موضع كذا في النهاية في السين المهملة. ثم قال: والمكردش بمعناه

---

(١) في المخطوطة «ليجمع».

والذي نَفْسُ أبي هريرة بيده إن قَعرَ جهنم لسبعين خريفاً. رواه مسلم.

٥٦١٠ ـ (٤٥) وعن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرجُ من النار قومٌ بالشفاعة، كأنهم الثعارير». قلنا: ما الثعارير؟ قال: «إنّه الضَّغابيس». متفق عليه.

٥٦١١ ـ (٤٦) وعن عثمان بن عفّان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يشفعُ يومَ القيامةِ ثلاثةٌ: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء».

وفي [نسخة] مكدوس بالمهملة، أي مدفوع في النار ذكره في النهاية، ثم قال: ويروى بالمعجمة من الكدش وهو السوق الشديد والكدش الطرد والجرح أيضاً. وفي القاموس: كدسه أي صرعه وبالمعجمة دفعه دفعاً عنيفاً. (**والذي نفس أبي هريرة بيده**) هذا يزيد أن مرجع ضمير قال إليه ثم هذا القسم أما موقوف عليه أو مرفوع إليه ﷺ. (**أن قعر جهنم لسبعين خريفاً**) قال الدماميني: أي أن مسافة السير إليه لسبعين خريفاً. وقال صاحب المغني: وجهه أن القعر مصدر قعرت البئر إذا بلغت قعرها وسبعين ظرفه، أي أن بلوغ قعرها يكون في سبعين عاماً، وفي نسخة بالواو. قال النووي [رحمه الله]: في بعض الأصول سبعون بالواو وهو ظاهر وفيه حذف، أي مسافة قهر جهنم مسيرة سبعين خريفاً. وفي معظم الأصول والروايات سبعين بالياء وهو صحيح أيضاً على تقدير مسيرة سبعين فحذف المضاف وترك المضاف إليه على إعرابه، أو يكون التقدير أن بلوغ قعر جهنم لكائن في سبعين خريفاً وسبعين خريفاً ظرف لمحذوف. (**رواه مسلم**).

٥٦١٠ ـ (**وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج من النار قوم بالشفاعة كأنهم الثعارير**) بالمثلثة والعين المهملة والراءين جمع ثعرور كعصافير وعصفور. (**قلنا: ما الثعارير. قال: إنه**) على ما في نسخة صحيحة. وفي نسخة: قال (**الضغابيس**) بضاد وغين معجمتين وموحدة وتحتية وسين مهملة جمع ضغبوس. في النهاية: الثعارير هي القثاء الصغار شبهوا بها لأن القثاء ينمو[1] سريعاً. وقيل: هي رؤوس الطراثيث تكون بيضاً شبهوا ببياضها، واحدها طرثوث وهو نبت يؤكل والضغابيس صغار القثاء (**متفق عليه**).

٥٦١١ ـ (**وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه**) بلا صرف وبصرف (**قال: قال رسول الله ﷺ: يشفع يوم القيامة ثلاثة**) أي ثلاثة أصناف من الأصفياء (**الأنبياء ثم العلماء**) أي العاملون (**ثم الشهداء**) أي المخلصون، وفي العطف بثم دلالة صريحة على تفضيل العلماء على الشهداء كما يدل عليه ما رواه الشيرازي عن أنس وابن عبد البر عن أبي الدرداء، وابن الجوزي في

الحديث رقم ٥٦١٠: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٦. حديث رقم ٦٥٥٨ وأحمد في المسند ٣/ ٣٧٦.

(١) في المخطوطة «ينمي».

الحديث رقم ٥٦١١: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٤٣ حديث رقم ٤٣١٣.

رواه ابن ماجه.

(٥) باب صفة الجنة وأهلها

الفصل الأول

٥٦١٢ ـ (١) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصَّالحين ما لا عينٌ رأت،

العلل عن النعمان بن بشير مرفوعاً: يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء[1]. وفيه مبالغة لا تخفى على الفضلاء فإن مدادهم أقل أمدادهم ودم الشهداء أفضل أسعادهم[2]. (رواه ابن ماجه) وروى أبو داود عن أبي الدرداء مرفوعاً: يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته[3].

(باب صفة الجنة وأهلها)

الجنة البستان من الشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه، والتركيب دائر على معنى الستر في الجنة والجنة والجنون ونحوها، فكأن الجنة لتكاثفها وتظللها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنة إذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها. وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان أو لكونها مستورة عن أعين الناس ليكون الإيمان بالغيب لا بالعيان، أو لأن الله تعالى أخفى من قرة الأعين لأهلها الأعيان والله سبحانه [وتعالى] أعلم.

(الفصل الأول)

٥٦١٢ ـ **(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: أعددت)** أي هيأت **(لعبادي الصالحين)** بفتح ياء المتكلم وبسكن **(ما لا عين رأت)** قال الطيبي [رحمه الله]: ما هنا إما موصولة أو موصوفة، وعين وقعت في سياق النفي فأفاد الاستغراق. والمعنى:

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٩٠ حديث رقم ١٠٠٢٦.

(٢) في المخطوطة «أبعادهم».

(٣) أخرجه أبو داود ٣/ ٣٤ حديث رقم ٢٥٢٢.

الحديث رقم ٥٦١٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣١٨. حديث رقم ٣٢٤٤. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٤ حديث رقم (٢ ـ ٢٨٢٤). والترمذي في السنن ٥/ ٣٢٣ حديث رقم ٣١٩٧. وابن ماجه في سننه ٢/ ١٤٤٧ حديث رقم ٤٣٢٨. والدارمي في السنن ٢/ ٤٣٢ حديث رقم ٢٨٢٨. وأحمد في المسند ٢/ ٣١٣.

ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطَر على قلب بشر. واقرؤوا إن شئتم: ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قرّة أعين﴾.

ما رأت العيون كلهن ولا عين واحدة منهن، والأسلوب من باب قوله تعالى: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾ [غافر ـ ١٨] . فيحتمل نفي الرؤية والعين معاً، أو نفي الرؤية فحسب أي لا رؤية ولا عين أو لا رؤية، وعلى الأول الغرض منه العين وإنما ضمت إليه الرؤية ليؤذن بأن انتفاء الموصوف أمر محقق لا نزاع فيه وبلغ في تحققه إلى أن صار كالشاهد على نفي الصفة وعكسه. (ولا أذن) بضمتين ويسكن الذال (سمعت ولا خطر) أي وقع (على قلب بشر) قال الطيبي [رحمه الله]: هو من باب قوله تعالى: ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ [غافر ـ ٥٢] . أي لا قلب ولا خطور أو لا خطوراً، فعلى الأول لهم قلب مخطر فجعل انتفاء الصفة دليلاً على انتفاء الذات، أي إذا لم يحصل ثمرة القلب وهو الإخطار فلا قلب كقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ [ق ـ ٣٧] . فإن قلت: لم خص البشر هنا دون القرينتين السابقتين. قلت: لأنهم هم الذين ينتفعون بما أعد لهم ويهتمون لشأنه ويخطرون ببالهم بخلاف الملائكة. والحديث كالتفصيل للآية فإنها نفت العلم. والحديث نفي طريق حصوله. (واقرؤوا) ظاهره أنه مرفوع ويؤيده العاطف. والأظهر أنه موقوف لقوله: (إن شئتم) أي أردتم الاستشهاد والاعتضاد (﴿فلا تعلم﴾) في محل النصب على أنه مفعول اقرؤوا، أو التقدير آية: فلا تعلم. (﴿نفس﴾) أي متنفس من الملائكة وغيرهم (﴿ما أخفي لهم﴾) قرأ الجمهور أخفي بتحريك الياء على البناء للمفعول وقرأ حمزة بسكونها على أنه مضارع مسند للمتكلم ويؤيده قراءة ابن مسعود نخفي بنون العظمة، وقرىء أخفى بفتح أوّله والفاء على البناء للفاعل والفاعل هو الله تعالى. (﴿من قرة أعين﴾)[1] الكشاف: لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل أي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لأولئك وأخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه إلا هو مما تقر به عيونهم، ولا مزيد على هذه النعمة ولا مطمع وراءها. وفي شرح السنة يقال: أقر الله عينك [ومعناه] برد الله دمعتها لأن دمعة الفرح باردة حكاه الأصمعي. وقال غيره: معناه: بلغك الله أمنيتك حتى ترضى به نفسك وتقر عينك فلا تستشرف إلى غيره. قال الطيبي [رحمه الله]: فعلى هذا [الأول] من القرة [بمعنى] البرد والثاني من القرار. وفي قوله: أعددت، دليل على أن الجنة مخلوقة ويعضده سكنى آدم وحواء الجنة ولمجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام كالنجم والثريا والكتاب ونحوها، وذلك أن الجنة كانت تطلق على كل بستان متكاثف أغصان أشجارها، ثم غلبت على دار الثواب. وإنما قلنا اللاحقة للأعلام لكونها غير لازمة للام. وتحقيق القول إنها منقولة شرعية على سبيل التغليب، وإنما تغلب إذا كانت موجودة معهودة. وكذلك اسم النار منقولة لدار العقاب على سبيل الغلبة وإن اشتملت على الزمهرير والمهل والضريع وغير ذلك، ولولا ذلك لما كان يغني عن طلب القصور والحور والولدان بالجنة ولا عن طلب الوقاية من الزمهرير

---

(١) سورة السجدة ـ آية رقم ١٧.

متفق عليه.

٥٦١٣ ـ (٢) وعن، قال: قال رسول الله ﷺ: «موضع سوطٍ في الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما فيها».

والمهل والضريع عن مطلق النار. (متفق عليه) وكذا رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة من غير قوله: اقرؤوا إن شئتم. إلى آخره. على ما في الجامع فهو يؤيد كونه موقوفاً[١]. وروى الطبراني عن سهل بن سعد مرفوعاً ولفظه: إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد[٢]. ورواه الطبراني في الأوسط [والبزار] عن أبي سعيد ولفظه: في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[٣]. وروى الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً قال: لما خلق الله تعالى جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها: تكلمي. فقالت: قد أفلح المؤمنون[٤]. هذا وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني [رحمه الله]: سبب هذا الحديث أن موسى عليه [الصلاة] والسلام سأل ربه من أعظم أهل الجنة منزلة فقال: غرزت كرامتهم بيدي وختمت عليها فلا عين رأت. إلى آخره، أخرجه مسلم والترمذي انتهى[٥]. ولا يخفى أن الضمير في ما أخفى لهم لقوم خاص: ﴿**تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون**﴾ [السجدة ـ ١٦] . والمراد المتهجدون والأوابون، ولما أخفوا أعمالهم عن أعين العباد جوزوا بإخفاء الله تعالى لهم ما أراد لهم من الإعداد جزاء وفاقاً على حسب ما وفقوا من الأمداد والأسعاد.

٥٦١٣ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: موضع سوط في الجنة)** أريد به قدر قليل منها أو مقدار موضعه فيها. **(خير)** أي كمية وكيفية **(من الدنيا وما فيها)** لأن الجنة مع نعيمها باقية والدنيا مع ما فيها فانية. قال ابن الملك: سوى كلام الله تعالى وصفاته وجميع أنبيائه انتهى. وغرابة استثنائه مما لا يخفى ثم قال: وما هو باق لا يوازنه[٦] ما هو في معرض الزوال. قلت: فلفظ: خير، لمجرد الزيادة. وقال التوربشتي [رحمه الله]: إنما خص السوط بالذكر لأن من شأن الراكب إذا أراد النزول في منزل أن يلقي سوطه قبل أن ينزل

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٧٣ حديث رقم ٥٩٢٠.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٤٠ حديث رقم ٢٣١٩.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٦٦ حديث رقم ٥٩٢٠.

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٥٢ حديث رقم ٧٣٧٣.

(٥) مسلم في صحيحه ١/ ١٧٦ حديث رقم ١٨٩. والترمذي في السنن ٥/ ٣٢٤ حديث رقم ٣١٩٨. ولفظ الحديث «أي أهل الجنة أدنى منزلة». وليس أعظم كما في المرقاة.

الحديث رقم ٥٦١٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٥. حديث رقم ٢٧٩٦. والترمذي في السنن ٥/ ٢١٦ حديث رقم ٣٠٦٣. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٤٨ حديث رقم ٤٣٣٠. والدارمي ٢/ ٤٢٨ حديث رقم ٢٨٢٠. وأحمد في المسند ٢/ ٣١٥.

(٦) في المخطوطة «يوازنه».

متفق عليه.

٥٦١٤ ـ (٣) وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «غَدْوة في سبيلِ اللهِ أو رَوْحةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولو أنَّ امرأةً من نساءِ أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءَتْ ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفُها على رأسها خيرٌ من الدنيا وما فيها». رواه البخاري.

معلماً بذلك المكان الذي يريده لئلا يسبقه إليه أحد. **(متفق عليه)** وفي الجامع رواه البخاري والترمذي وابن ماجه عن سهل بن سعد، والترمذي عن أبي هريرة[(١)]، فقول المؤلف: متفق عليه، محل توقف من وجهين. وفي الجامع: لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض. رواه أحمد عن أبي هريرة[(٢)].

٥٦١٤ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: غدوة)** أي مرة من ذهاب أول النهار **(في سبيل الله أو روحه)** أي مرة من رواح آخر النهار وأول الليل وأو ليس للشك بل للتنويع، أي كل واحدة منهما في سبيل مرضاته من غزو أو حج أو هجرة أو طلب علم. **(خير من الدنيا وما فيها)** أي جزاء وثواباً ومآلاً ومآباً. **(ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت)** بتشديد الطاء أي أشرفت وطالعت **(إلى الأرض لأضاءت ما بينهما)** أي ما بين المشرق والمغرب أو ما بين السماء والأرض أو ما بين الجنة والأرض وهو الأظهر لتحقق ذكرهما في العبارة صريحاً. **(ولملأت ما بينهما ريحاً)** أي طيباً **(ولنصيفها)** كلام مستأنف، أي ولخمارها. **(على رأسها)** قيد به تحقيراً له بالنسبة إلى خمار البدن جميعه. **(خير من الدنيا وما فيها)** أي فكيف الجنة نفسها وما بها من نعيمها **(رواه البخاري)** وفي الجامع: غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها. رواه أحمد والشيخان وابن ماجه عن أنس، والبخاري والترمذي والنسائي عن سهل بن سعد ومسلم، وابن ماجه عن أبي هريرة والترمذي عن ابن عباس[(٣)]. ورواه أحمد ومسلم والنسائي عن أبي أيوب مرفوعاً ولفظه مرفوعاً: غدوة في سبيل الله أو روحة خير مما طلعت الشمس وغربت[(٤)]. وروى الطبراني والضياء عن سعيد بن عامر مرفوعاً: لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت إلى الأرض لملأت الأرض من ريح المسك ولأذهبت ضوء الشمس والقمر[(٥)]. وروى أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن أنس بلفظ: لغدوة

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٤٧ حديث رقم ٩١٢٣.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٤٤٨ حديث رقم ٧٣٠٣. والحديث أخرجه المسند ٢/ ٣١٥.

الحديث رقم ٥٦١٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٨. حديث رقم ٦٥٦٨. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤٩٩ حديث رقم (١١٢ . ١٨٨٠). والنسائي في السنن ٦/ ١٥ حديث رقم ٣١١٨. والدارمي ٢/ ٤٣٥ حديث رقم ٢٨٣٨. وأحمد في المسند ٣/ ٢٦٤.

(٣) الجامع الصغير ٢/ ٣٥٥ حديث رقم ٥٧٥٨.

(٤) الجامع الصغير ٢/ ٣٥٥ حديث رقم ٥٧٥٩.

(٥) ذكره في الجامع الصغير ٢/ ٤٥٤ حديث رقم ٧٤٠٦.

٥٦١٥ ـ (٤) وعن أبي هريرة: قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ في الجنةِ شجرةً يسيرُ الراكبُ في ظلِّها مائةَ عامٍ لا يقطعُها، ولَقابُ قوسِ أحدِكم في الجنةِ خيرٌ ممّا طلَعتْ عليه الشمسُ أو تغربُ». متفق عليه.

في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قده في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ولأضاءت ما بينهما ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها[1]. والقد بكسر القاف وتشديد الدال وتر القوس وقيل السوط.

٥٦١٥ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة شجرة) قال ابن الجوزي [رحمه الله]: يقال: إنها طوبى. قال العسقلاني: وشاهد ذلك عند أحمد والطبراني وابن حبان[2] (يسير الراكب في ظلها) أي في ناحيتها، وإلا فالظل في عرف أهل الدنيا ما يقي من حر الشمس وأذاها وقد قال تعالى: ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ [الإنسان ـ ١٣]. وقد يقال: المراد بالظل هنا ما يقابل شعاع الشمس ومنه ما بين ظهور[3] الصبح إلى طلوع الشمس ولذا قال تعالى: ﴿وظل ممدود﴾ [الواقعة ـ ٣٠]. ويمكن أن يكون للشجرة من النور الباهر ما يكون لما تحته كالحجاب الساتر (مائة عام لا يقطعها) أي لا ينتهي الراكب إلى انقطاع ظلها (ولقاب قوس أحدكم) في الفائق: القاب والقيب كالقاد والقيد بمعنى القدر وانه علامة يعرف بها المسافة بين الشيئين من قولهم: قوبوا في هذه الأرض، إذا أثروا فيها بموطئهم ومحلهم. وقال التوربشتي: الراجل يبادر إلى تعيين المكان بوضع قوسه كما أن الراكب يبادر إليه برمي سوطه انتهى. والأظهر في المعنى لقدر موضع قوس أحدكم في الجنة أو لمقداره وقيمته لو فرض أنه قوم فيها. (خير مما طلعت عليه الشمس) أي شمس الدنيا (أو تغرب) وفي نسخة: أو غربت، وأو إما للشك وإما للتخيير وإما بمعنى الواو فإن المراد بها ما بين الخافقين وهو المعبر به[4] عن الدنيا وما فيها. (متفق عليه) وفي الجامع: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها. رواه أحمد والبخاري والترمذي عن أنس، والشيخان عن سهل بن سعد وأحمد والشيخان والترمذي عن أبي سعيد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة[5].

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٤٧ حديث رقم ٧٢٨٦. والترمذي في السنن ٤/ ١٥٦ حديث رقم ١٦٥١.

الحديث رقم ٥٦١٥: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٥. حديث رقم ٦٥٥٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٥ حديث رقم (٦. ٢٨٢٦). والترمذي في السنن ٥/ ٣٧٣ حديث رقم ٣٢٩٢ والدارمي ٢/ ٤٣٦ حديث رقم ٢٨٣٩. وأحمد في المسند ٢/ ٢٥٧.

(٢) ذكره في الجامع الصغير ٢/ ٣٢٨ عدة أحاديث في هذا المعنى منها حديث: «طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة عام...» أحمد وابن حبان. (٣) في المخطوطة «طلوع».

(٤) في المخطوطة «عنه».

(٥) الجامع الصغير ١/ ١٤٠ حديث رقم ٢٣١٨.

٥٦١٦ ـ (٥) وعن أبي موسى، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ للمؤمنِ في الجنة لخيمةً من لؤلؤةٍ واحدةٍ مُجوَّفةٍ، عرضُها ـ وفي رواية: طولُها ـ ستُّون ميلاً، في كلِّ زاويةٍ منها أهلٌ، ما يرونَ الآخرينَ، يطوفُ عليهم المؤمنُ، وجنَّتانِ من فضةٍ، آنيتُهما وما فيهما؛ [و] جنَّتان من ذهبٍ، آنيتُهما وما فيهما؛

٥٦١٦ ـ (وعن أبي موسى) أي الأشعري رضي الله [تعالى] عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: إن للمؤمن في الجنة لخيمة) أي عظيمة (من لؤلؤة) بهمزتين وتبدلان، وقد تبدل الأولى دون الثانية أي درة (واحدة مجوفة عرضها) فالطول أولى. (وفي رواية: طولها) أي وعلى قياسه عرضها ويتحصل بالروايتين أن طولها وعرضها كل واحد منهما. (ستون ميلاً وفي كل زاوية) أي من الزوايا الأربعة (منها) أي من تلك الخيمة (أهل) أي للمؤمن من زوج وغيره (ما يرون) أي ذلك الأهل، وجمع باعتبار معناه (الآخرين) أي الجمع الآخرين من الأهل[1] الكائنين في زاوية أخرى (يطوف عليهم) أي يدور على جميعهم (المؤمنون) بصيغة الجمع في أصل السيد وكثير من نسخ المشكاة، وفي بعضها بصيغة الإفراد. قال الطيبي [رحمه الله]: كذا في البخاري وشرح السنة ونسخ المصابيح، وفي مسلم والحميدي وجامع الأصول: المؤمن فعلى هذا جمع لإرادة الجنس انتهى. وقال شارح: وتبعه ابن الملك أن المعنى يجامع المؤمن الأهل وإن الطواف هنا كناية عن المجامعة. (وجنتان) مبتدأ خبره محذوف، أي وللمؤمن جنتان. وأغرب من قال إنه عطف على أهل لكونه بعيداً عن المعنى وإن كان قريباً في اللفظ. ثم قال شارح: أي درجتان أو قصران. (من فضة آنيتهما وما فيهما) أي من القصور والأثاث كالسرر وكقضبان الأشجار وأمثال ذلك. قيل: قوله: من فضة، خبر آنيتهما والجملة صفة جنتان، أو من فضة صفة قوله: جنتان، وخبر آنيتهما [محذوف]، أي آنيتهما وما فيهما كذلك، أو آنيتهما فاعل الظرف أي تفضض آنيتهما وكذا من جهة المبنى، والمعنى قوله: (وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما) ثم ظاهره أن الجنتين من فضة لا غير وبالعكس فالجمع بينه وبين حديث وصفه[2] بناء الجنة من أن لبنة من ذهب ولبنة من فضة، أن الأول صفة ما في الجنة من آنية وغيرها، والثاني صفة حوائط الجنة[3]، أو المراد به التبعيض لا التلميع، أو يقال: الجنتان من ذهب للكمل من أهل مقام الخوف الموجب للقيام[4] بالطاعة على الوجه الأكمل كما قال تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمٰن ـ ٤٦]. والجنتان من فضة لمن يكون في مرتبة النقصان من مقام أرباب الكمال كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿ومن دونهما جنتان﴾ [الرحمٰن ـ ٦٢][5].

الحديث رقم ٥٦١٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣١٨. حديث رقم ٣٢٤٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٨٢ حديث رقم (٢٣. ٢٨٣٨). والترمذي في السنن ٤/ ٥٨١ حديث رقم ٢٥٢٨. والدارمي ٢/ ٤٢٩ حديث رقم ٢٨٢٢. وأحمد في المسند ٤/ ٤٠٠.

(١) في المخطوطة «أهل». (٢) في المخطوطة «وصف».

(٣) في المخطوطة «الجنان». (٤) في المخطوطة «المقام».

(٥) في المخطوطة ذكر الآية الكريمة ﴿ولمن خلق مقام ربه جنتان﴾ [الرحمٰن ـ ٤٦].

وما بينَ القومِ وبينَ أنْ ينظروا إلى ربِّهم إلاَّ رداءُ الكبرياءِ على وجهِهِ في جنةِ عدْنٍ». متفق عليه.

والحاصل أن المراد بالأولين هم السابقون وبالآخرين هم اللاحقون، وأما الجنة الملمعة فأصحابها المخلطون والله سبحانه [وتعالى] أعلم. هذا وقال البيهقي [رحمه الله]: دل الكتاب والسنة على أن الجنان أربع وذلك لأن الله تعالى قال في سورة الرحمٰن: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمٰن - ٤٦]. ووصفهما ثم قال: ﴿ومن دونهما جنتان﴾ [الرحمٰن - ٦٢]. ووصفهما. وروينا عن أبي موسى أن النبي ﷺ قال: جنتان آنيتهما وما فيهما من ذهب وجنتان آنيتهما وما فيهما من فضة. قلت: ويؤيد ما قدمناه ما في رواية: جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة لأصحاب اليمين. ولا يبعد أن يكون المراد بالجنتين نوعين من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من فضة وقد يكون لأرباب الكمال جنتان من ذهب وجنتان من فضة على يمين قصورهم وشمالها طلباً للزينة لا لفقدان[1] الذهب أو كثرة القيمة، على أنه قد يراد بالتثنية التكثير ويقويه أن أبواب الجنة وطبقاتها ثمانية فقد قال في المنجاة[2]: هي ثمان جنة عدن وجنة الفردوس وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة المأوى ودار السلام ودار القرار ودار المقامة. (**وما بين القوم**) أي وليس مانع من الموانع بين أهل الجنة (**وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء**) أي صفة العظمة (**على وجهه**) أي ثابتاً على ذاته فهو حال من الرداء (**في جنة عدن**) أي كائن في جنة إقامة وخلود وهو بدل من قوله: في الجنة. كذا قيل، وهو يوهم الاختصاص مع أن وصف الإقامة والخلود لا ينفك عن جنس الجنة فلا عبرة بالمفهوم الموهوم. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: على وجهه. حال من رداء الكبرياء، والعامل معنى ليس وقوله: في الجنة، متعلق بمعنى الاستقرار في الظرف فيفيد بالمفهوم انتفاء هذا الحصر في غير الجنة. قلت: هذا مسلم لكن لفظ الحديث: في جنة عدن، وقال الشيخ التوربشتي [رحمه الله تعالى]: أي ما بين العبد المؤمن إذا تبوأ مقعده من الجنة مع ارتفاع حجب الكدورة الجسمية واضمحلال الموانع الحسية هناك وبين نظره إلى ربه إلا ما يصده من هيبة الجلال وسبحات الجمال ولا يرتفع ذلك منهم إلا برأفة ورحمة منه تفضلاً على عباده، وأنشد في المعنى:

أشتاقه فإذا بدا * أطرقت من إجلاله
لا خيفة بل هيبة * وصيانة لجماله
وأصد عنه تجلداً * وأروم طيف خياله

(**متفق عليه**) وفي الجامع: إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً. رواه مسلم [رحمه الله] عن أبي موسى، ورواه أحمد ومسلم والترمذي عن أبي موسى [رحمهم الله] بلفظ: في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف

---

(١) في المخطوطة «فقدان».

(٢) المنجاة على المرقاة في الفروع.

٥٦١٧ ـ (٦) وعن عُبادةَ بن الصامتِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «في الجنَّةِ مائةُ درجةٍ، ما بينَ كلِّ درجتَينِ كما بينَ السماءِ والأرضِ، والفردوسُ أعْلاها درجةً، منها تفجَّرُ أنهارُ الجنةِ الأربعةِ، ومن فوقِها يكونُ العرشُ، فإذا سألتُمُ اللهَ فاسألوهُ الفردوسَ»

عليهم المؤمن[١]. وروى أحمد والطبراني عن أبي موسى مرفوعاً: جنان الفردوس أربع جنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وهذه الأنهار تشخب من جنة عدن ثم تصدر بعد ذلك أنهاراً[٢].

٥٦١٧ ـ (وعن عباد بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: في الجنة مائة درجة) يمكن أن يراد به الكثرة لما ورد من رواية البيهقي عن عائشة [رضي الله تعالى عنها] مرفوعاً: عدد درج الجنة عدد آي القرآن، فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة[٣]. ويمكن أن يقال: في الجنة مائة درجة لكل واحد من أهلها فيكون بيان أقل ما يكون فيها من أنواع السعة وأصناف النعمة. (ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض) ويمكن تقييد وصف المائة بما ذكر وغيرها يكون على خلافها من كونه أقل أو أكثر. وروى الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة مرفوعاً: إن في الجنة درجة لا ينالها إلا أصحاب الهموم. (والفردوس) أي الجنة المسماة بالفردوس المذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾. إلى قوله: ﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس﴾ [المؤمنون ـ ١٠ و١١] . (أعلاها) أي على سائر الجنان (درجة) أو أعلى هذه المائة باعتبار كل فرد أو باعتبار المجموع. وفي النهاية: الفردوس في اللغة البستان الذي فيه الكروم والأشجار ومنه جنة الفردوس. قلت: لا بد له من وصف زائد يختص به ويمتاز به عن غيره كما يشير إليه[٤]. بقوله: (منها) وفي رواية الجامع: ومنها، أي من جنة الفردوس. (تفجر [أنهار الجنة]) بصيغة المجهول، أي تشقق وتجري أنهار الجنة. (الأربعة) بالرفع صفة لأنهار وهي أنها الماء واللبن والخمر والعسل المذكورة في القرآن: ﴿فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى﴾ [محمد ـ ١٥] . (ومن فوقها يكون عرش الرحمٰن) فهذا يدل على أن الفردوس فوق جميع الجنان ولذا قال ﷺ تعليماً للأمة وتعظيماً للهمة: (فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس) أي فإنه سر الجنة على ما رواه الطبراني عن العرباض وهو بضم العين وتشديد الراء، أي وسطها وخيرها. وروى الطبراني عن سمرة مرفوعاً: الفردوس ربوة الجنة أعلاها وأوسطها

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٦٦ حديث رقم ٥٩١٨.

(٢) الجامع الصغير ١/ ٢١٩ حديث رقم ٣٦٠٠ وأحمد في المسند ٤/ ٤١٦.

الحديث رقم ٥٦١٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٣ حديث رقم ٢٥٣١. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٤٨ حديث رقم ٤٣٣١. وللبخاري نحوه ٦/ ١١. حديث رقم ٢٧٩٠.

(٣) البيهقي في شعب الإيمان كما ذكره السيوطي.

(٤) في المخطوطة «كما شر إلى بعضه».

رواه الترمذيُّ. ولم أجِدْه في «الصَّحيحين» ولا في «كتاب الحميدي».

٥٦١٨ - (٧) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في الجنةِ لسُوقاً يأتونها كلَّ جُمعةٍ،

ومنها تفجر الأنهار الأربعة[١]. وروى ابن مردويه عن أبي أمامة مرفوعاً: إن أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش[٢]. (رواه الترمذي) وفي الجامع رواه ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي والحاكم في مستدركه. قال المؤلف: (ولم أجده) أي هذا الحديث (في الصحيحين) أي في متنيهما (ولا في كتاب الحميدي) أي الجامع بينهما، ولعله سكت عن جامع الأصول لمانع عن تتبعه. وحاصل كلامه الاعتراض على صاحب المصابيح حيث أورد الحديث في الصحاح، والحال أنه لم يوجد إلا في الحسان. قال ميرك: كذا قاله المصنف ووافقه الشيخ الجزري [رحمه الله] في تصحيح المصابيح. وأقول: قد أخرجه البخاري في كتاب الجهاد عن أبي هريرة مثل عبادة والتفاوت بينهما أي بين حديث أبي هريرة وحديث عبادة يسير[٣]، فكان على صاحب المشكاة والشيخ أيضاً أن يقولا: ورواه البخاري من حديث أبي هريرة مع تفاوت يسير انتهى. وقال الحافظ ابن حجر [رحمه الله] في تخريج أحاديث المشكاة: وعجيب من ادخال البغوي له في أحاديث الصحيحين تم كلامه. قيل: ونسبه صاحب المشارق أيضاً إلى البخاري، وقد قيل إنه موجود في البخاري في موضعين: الأول في كتاب الجهاد والثاني في باب: وكان عرشه على الماء. وكذا في مسلم في باب فضل الجهاد في سبيل الله، فمن حفظ حجة على من لم يحفظ.

٥٦١٨ - (**وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة لسوقاً**) أي مجمعاً فيه الصور المشتهاة (**يأتونها**) أي يحضر أهل الجنة تلك السوق (**كل جمعة**) بضمتين ويسكن الثاني. قال النووي [رحمه الله]: السوق مجمع لأهل الجنة يجتمعون فيها في كل مقدار جمعة أي أسبوع، وليس هناك أسبوع حقيقة لفقد الشمس والليل والنهار. قلت: وإنما يعرف وقت الليل والنهار بإرخاء أستار الأنوار ورفعها على ما ورد في بعض الأخبار فبهذا يعرف يوم الجمعة وأيام الأعياد وما يترتب عليهما من الزيارة والرؤية وسائر الأمداد والأسعاد. ففي الجامع: إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء في الجنة، وذلك أنهم يزورون الله تعالى في كل جمعة فيقول لهم: تمنوا علي ما شئتم. فيلتفتون إلى العلماء فيقولون: ماذا نتمنى. فيقولون: تمنوا عليه كذا وكذا. فهم يحتاجون إليهم في الجنة كما يحتاجون إليهم في الدنيا.

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٧٠ حديث رقم ٥٩٨١.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٣٦ حديث رقم ٢٢٣٦.

(٣) البخاري في صحيحه ٦/ ١١ حديث رقم ٢٧٩٠.

الحديث رقم ٥٦١٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٨ حديث رقم (١٣ - ٢٨٣٣) أحمد في المسند ٣/ ٢٨٤.

فتهبُّ ريحُ الشمالِ، فتحثو في وُجوهِهم وثيابِهم، فيزدادونَ حُسنا وجمالاً، فيرجعونَ إلى أهليهم وقدِ ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقولُ لهم أهلوهُم: واللّهِ لقدِ ازدَدتم بعدَنا حسناً وجمالاً. فيقولونَ: وأنتم واللّهِ لقدِ ازددتم بعدَنا حُسناً وجمالاً». رواه مسلم.

٥٦١٩ ـ (٨) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أولَ زُمرةٍ يدخلونَ الجنةَ على صورةِ القمرِ ليلةَ البدْرِ، ثمَّ الذينَ يلونَهم كأشدِّ كوكبٍ دُرّيٍّ في السماءِ إضاءةً،

رواه ابن عساكر عن جابر[1]. هذا وتسمية يوم الجمعة بيوم المزيد في الجنة يدل على تمييزه عن سائر الأيام والله [تعالى] أعلم بالمرام. (فتهب) بضم الهاء وتشديد الموحدة، أي فتأتي. (ريح الشمال) بفتح أوّله من غير همز وخصت بالذكر لأنها من ريح المطر عند العرب. (فتحثو) أي تنثر تلك الريح، والمفعول محذوف، أي المسك وأنواع الطيب. (في وجوههم) أي أبدانهم، وخصت الوجوه لشرفها، أو المراد بها ذواتها[2]. (وثيابهم فيزدادون) أي في ثيابهم (حسناً وجمالاً) جمع بينهما للتأكيد، أو المراد بأحدهما الزينة وبالآخر حسن الصورة. (فيرجعون) أي من السوق (إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً) قيل: يكون زيادة حسنهم بقدر حسناتهم. (فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم) أي أنتم أيضاً، وفيه تغليب لكون الأهل أعم من النساء والولدان، أو أريد به التعظيم والتكريم، أو روعي المشاكلة والمقابلة. (بعدنا) أي بعد مفارقتكم عنا. (حسناً وجمالاً. فيقولون: [وأنتم] والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً) وهو إما لإصابتهم من تلك الريح أو بسبب انعكاس جمالهم أو لأجل تأثير حالهم وترقي مآلهم (رواه مسلم).

٥٦١٩ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن أول زمرة) بضم الزاي أي أول جماعة وهم الأنبياء والأولياء كذا قاله شارح. والظاهر[3] أن المراد بهم الأنبياء خاصة. (يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر) ولعل دخولها على صورة الشمس مختص بنبينا ﷺ. (ثم الذين يلونهم) أي يقربون تلك الزمرة في قرب المرتبة من الأولياء والعلماء والشهداء والصلحاء. (كأشد) أي كل واحد منهم كأشد (كوكب دري في السماء) وهو بضم الدال وتشديد الراء [والياء] أي شديد الإنارة منسوب إلى الدر، وتقدمت لغات أخر مع بيان مبانيها ومعانيها. ثم قوله: (إضاءة) تمييز يبين وجه الشبه. قال الطيبي [رحمه الله]: أفرد

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٣٥ حديث رقم ٢٢٣٥.

(٢) في المخطوطة مكان هذه العبارة: «وأحدهما المترتب على الآخر حسن التصوير إحداهن أي والسوق وذواتهم».

الحديث رقم ٥٦١٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣١٨. حديث رقم ٣٢٤٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٩ حديث رقم (١٥ ـ ٢٨٣٤) والترمذي في السنن ٤/ ٥٧٨ حديث رقم ٢٥٢٢. والدارمي في السنن ٢/ ٤٣٠ حديث رقم ٢٨٢٣. وأحمد في المسند ٣/ ١٦.

(٣) في المخطوطة «والأظهر».

قلوبُهم على قلب رجلٍ واحدٍ، لا اختلافَ بينهم ولا تباغُضَ، لكلِّ امرىءٍ منهم زوجتان من الحورِ العين، يُرى مُخُّ سُوقِهِنَّ من وراءِ العظمِ واللحمِ من الحسنِ، يسبِّحونَ اللَّهَ بكرةً وعشيًّا، لا يسقمونَ، ولا يبولونَ، ولا يتغوَّطونَ ولا يتفلونَ، ولا يمتخطونَ، آنيتُهم الذهبُ والفضةُ، وأمشاطُهم الذهبُ، ووَقودُ مجامرِهم الألوَّةُ،

المضاف إليه ليفيد الاستغراق في هذا النوع من الكوكب، يعني إذا تقصيت كوكباً كوكباً رأيتهم [كأشد] إضاءة. (قلوبهم) أي قلوب أهل الجنة حينئذ أو قلوب الزمرة الأخيرة فالأولى بالأولى (على قلب رجل واحد) أي في الاتفاق والمحبة. فقوله: (لا اختلاف بينهم ولا تباغض) تفسير لقوله: قلوبهم. الخ وهذا المعنى مقتبس من قوله تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين﴾ [الحجر - ٤٧] . (لكل امرىء منهم زوجتان) أي عظيمتان (من الحور) بضم الحاء أي النساء البيض الأبدان من الحور وهو البياض الخالص، ومنه الحواري والحواريون. (العين) بكسر العين أي [حسان الأعيان] . (يرى) [بصيغة المجهول] أي يبصر (مخ سوقهن) جمع الساق أي مخ عظامهن[1] . (من وراء العظم واللحم) الواو لمطلق الجمع أو الترتيب للترقي (من الحسن) أي من أجل لطافة خلقتهن. قال الطيبي [رحمه الله]: هو تتميم صوناً من توهم ما يتصور من تلك الرؤية مما ينفر عنه الطبع والحسن هو الصفاء ورقة البشرة ونعومة الأعضاء، هذا ولعل الزوجتين المذكورتين لعموم أفراد المؤمنين من أهل الجنة، وأما أهل الخصوص فيزاد لهم على حسب مقاماتهم. وقال الطيبي [رحمه الله]: الظاهر أن التثنية للتكرير لا للتحديد كقوله تعالى: ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ [الملك - ٤] . لأنه قد جاء أن للواحد من أهل الجنة العدد الكثير من الحور العين. (يسبحون الله) أي أهل الجنة ينزهونه تعالى عن صفات النقصان ويثبتون له نعوت الكمال، فإن النفي والاثبات متلازمان كما حقق [في] كلمة التوحيد من [أن] الجمع بينهما للتوكيد وإلى ذلك أشار في قوله سبحانه: ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم﴾ [يونس - ١٠] . (بكرة وعشيا) أي دائماً على أنه أراد بهما ليلاً ونهاراً بإطلاق الجزء وارادة الكل مجازاً. وقال الطيبي [رحمه الله]: يراد بهما الديمومة كما تقول[2] العرب: أنا عند فلان صباحاً ومساء، لا يقصد الوقتين المعلومين بل الديمومة. (لا يسقمون) بفتح القاف ويضم. ففي القاموس: سقم كفرح وكرم، والمعنى: لا يمرضون ولا يضعفون ولا يشيبون. (ولا يبولون) أي من قبل (ولا يتغوطون) أي من دبر (ولا يتفلون) بضم الفاء وتكسر، أي لا يبزقون. (ولا يمتخطون) أي ليس في فمهم وأنفهم من المياه الزائدة والمواد الفاسدة ليحتاجوا إلى إخراجها، لأن الجنة مساكن طيبة للطيبين فلا يلائمها الأدناس والأنجاس. (آنيتهم) جمع آناء أي ظروفهم. (الذهب والفضة) أي ملمعة على ارادة الزينة أو ظروف بعضهم الذهب وظروف بعضهم الفضة، فالواو بمعنى أو للتنويع. (وأمشاطهم) جمع مشط (الذهب ووقود مجامرهم) بفتح الواو، أي ما يوقد به مباخرهم (الألوة) بفتح الهمزة ويضم ويضم اللام وتشديد الواو، قال النووي [رحمه الله]: هو العود الهندي. وقال شارح: المجمر بالفتح ما

---

(١) في المخطوطة «عظامها». (٢) في المخطوطة «يقال».

ورَشحهُمُ المسكُ، على خَلْقِ رجلٍ واحدٍ، على صورةِ أبيهم آدمَ، ستونَ ذراعاً في السماءِ». متفق عليه.

يوضع فيه الجمر ويحترق فيه العود، وبالكسر الآلة. وقال بعضهم: إنه لا نار في الجنة، وأجيب بأنه يفوح بغير نار. أقول: وقد يكون بالنور وهو في غاية من الظهور. وفي النهاية: المجامر جمع مجمر بالكسر وهي التي توضع فيه النار للبخور، وبالضم هو الذي يتبخر به وأعد له الجمر. قال الطيبي [رحمه الله]: والمراد في الحديث هو الأول، وفائدة الإضافة أن الألوة هو الوقود نفسه بخلاف المتعارف فإن وقودهم غير الألوة انتهى. وهذا كله من اللذات المتوالية والشهوات المتعالية، وإلا فلا تلبد لشعورهم ولا وسخ ولا عفونة لأبدانهم وثيابهم، بل ريحهم أطيب من المسك فلا [حاجة] لهم إلى التمشط والتبخر لزيادة الزينة والتلذذ بأنواع النعمة الحسية كما قال: (ورشحهم) أي عرقهم رائحة (المسك) [والمعنى رائحة عرقهم رائحة المسك] ، فهو تشبيه بليغ. (على خلق رجل واحد) بضم الخاء واللام وتسكن. والمعنى: أنهم على قلب واحد كما سبق، وبفتح الأول. والمعنى أنهم أتراب في سن واحد وهو ثلاثون أو ثلاث وثلاثون سنة على ما سيأتي في الحديث، وهو الملائم المناسب لقوله: (على صورة أبيهم آدم) أي في القامة، وبينه بقوله: (ستون ذراعاً في السماء) أي طولاً فكنى عنه به قاله الطيبي [رحمه الله] . وقيل: العرض سبعة [والله تعالى] أعلم. قال النووي [رحمه الله]: روي بضم الخاء واللام وبفتح الخاء وإسكان اللام وكلاهما صحيح، ورجح الضم بقوله في الحديث الآخر: لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد. وقد يرجح الفتح بقوله: لا يمتخطون ولا يتفلون. قال الطيبي [رحمه الله]: فعلى هذا لا يكون قوله: على صورة أبيهم آدم، بدلاً من قوله: على خلق رجل واحد، بل يكون خبر مبتدأ محذوف. فإذا قيل: الموصوفون بالصفات المذكورة كلها على خلق رجل واحد حسن الأبدال انتهى. وإنما الاختلاف في المراد بلفظ الحديث، وإلا فلا خلاف أن أهل الجنة كلهم كاملون في الخلق والخلق جميعاً بل الخلق بالضم هو الخليق بالاعتبار، فإنه موجب بحسن الخلق بالفتح ولذا قيل: الظاهر عنوان الباطن. وقد ورد أنه سبحانه ما خلق نبياً إلا حسن الصورة وحسن الصوت ولكن قوله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم ـ ٤] . بيان أن يكون له ﷺ شأن عظيم في خلق تصويره الجسيم، فإن المؤمن مرآة المؤمن فبمقدار صفاء المرآة وصقالتها وتخليتها وتجليتها تنعكس وتتجلى فيها صورة المحبوب المطلوب. (متفق عليه) وفي الجامع: أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء، لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يبدو مخ ساقها من ورائها. رواه أحمد والترمذي عن أبي سعيد[1].

---

(١) الجامع الصغير ١/١٦٧ حديث رقم ٢٨١٣.

٥٦٢٠ - (٩) وعن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنَّةِ يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلونَ ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون». قالوا: فما بالُ الطعام؟ قال: «جُشاءٌ ورشحٌ كرشحِ المسكِ، يُلْهمُونَ التسبيحَ والتحميدَ كما تلهمون النَّفَس». رواه مسلم.

٥٦٢٠ - (**وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون**) أي فيها (**ولا يتفلون**) أي لا يبصقون (**ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون**) من باب الافتعال وفيما سبق من باب التفعل. (**قالوا:**) أي بعض الصحابة (**فما بال الطعام**) أي ما شأن فضلته (**قال: جشاء**) بضم الجيم وهو تنفس المعدة من الامتلاء. وقال شارح: أي صوت مع ريح يخرج من الفم عند الشبع. أقول: التقدير هو جشاء. (**ورشح**) أي عرق (**كرشح المسك**) أي يصير فضل الطعام جشاء، أي نظيره وإلا فجشاء الجنة لا يكون مكروهاً بخلاف جشاء الدنيا ولهذا قال ﷺ: «أقصر عنا جشاءك»[1]. ويصير رشحاً وهو إما باعتبار اختلاف الأشخاص أو الأوقات، أو بعض الطعام يكون جشاء وبعضه [يكون] رشحاً والأظهر أن الأكل ينقلب جشاء والشرب يعود رشحاً، والطعام قد يطلق عليهما نظراً إلى معنى الطعم. ففي القاموس: طعم الشيء حلاوته ومرارته وما بينهما يكون في الطعام والشراب. أقول: وبه يتم التنزيه في قوله: ﴿**وهو يطعم ولا يطعم**﴾ [الأنعام - ١٤]، هذا وفي رواية الجامع: ولكن طعامهم ذلك جشاء ورشح كرشح المسك. وأما قول الطيبي [رحمه الله]: أي يندفع الطعام بالجشاء والرشح فهو حاصل المعنى لأجل المبنى كما لا يخفى. ثم بين [بعض] أحوال أخر لأهل الجنة على سبيل الاستئناف والبيان حيث قال: (**يلهمون**) أي أهل الجنة (**التسبيح والتحميد**) أي ونحوهما من الأذكار (**كما تلهمون**) أي أنتم في هذه الدار (**النفس**) بفتحتين أي التنفس. والمعنى: لا يتعبون من التسبيح والتهليل كما لا تتعبون أنتم[2]. وفي الجامع بصيغة الغيبة، أي كما يلهمون من النفس ولا يشغلهم شيء من ذلك كما لا يمنعهم من النفس كالملائكة، أو يريد أنها تصير صفة لازمة لا ينفكون عنها كالنفس اللازم للحيوان. والحاصل أنه لا يخرج منهم نفس إلا مقروناً بذكره وشكره سبحانه ولذا قال العارفون: ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾ [الرحمٰن - ٤٦]. جنة عاجلة في الدنيا وجنة آجلة في العقبى، فالأولى وسيلة للأخرى والأخرى نتيجة للأولى وقد أشير إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿**إن الأبرار لفي نعيم**﴾ [الانفطار - ١٣]. [فإنه لا نعيم] أعلى من دوام ذكر الكريم. ﴿**وأن الفجار لفي جحيم**﴾ [الانفطار - ١٤]. فإن الحجاب أشد أنواع العذاب. قال الطيبي [رحمه الله]: الإلهام إلقاء الشيء في الروع ويختص ذلك بما كان من جهة الله وجهة الملأ الأعلى، فقوله: تلهمون وارد على سبيل المشاكلة لأن المراد به التنفس. (**رواه مسلم**) وكذا أحمد والترمذي.

الحديث رقم ٥٦٢٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٨٠ حديث رقم (١٨ . ٢٨٣٥). والدارمي في السنن ٢/ ٤٣١ حديث رقم ٢٨٢٨. وأحمد في المسند ٣/ ٣٤٩.

(١) هو مقدمة الحديث رقم (٥١٩٣).
(٢) في المخطوطة «زيادة أو هم من النفس».

٥٦٢١ ـ (١٠) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من يَدخُلِ الجنَّة ينعَمُ ولا يبأسُ، ولا تَبلى ثيابُه، ولا يفنى شبابُه». رواه مسلم.

٥٦٢٢ ـ (١١) ٥٦٢٣ ـ (١٢) وعن أبي سعيد، وأبي هريرةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «يُنادي مُنادٍ: إنَّ لكم أنْ تصِحُّوا فلا تسقَموا أبداً، وإنَّ لكم أنْ تحيَوا فلا تموتوا أبداً، وإنَّ لكم أنْ تشِبُّوا فلا تَهرَموا أبداً، وإنَّ لكم أنْ تنعَموا فلا تبأسوا أبداً». رواه مسلم.

٥٦٢١ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من يدخل الجنة ينعم)** بفتح العين أي يتنعم. **(ولا يبأس)** بسكون الموحدة، فالهمزة المفتوحة أي لا يفقر ولا يهتم. قال الطيبي [رحمه الله]: هو تأكيد لقوله: ينعم. والأصل أن لا يجاء بالواو لكن أراد به التقرير على الطرد والعكس كقوله تعالى: ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾ [التحريم ـ ٦]. قلت: وفي رواية الجامع: لا يبأس، بلا عطف. **(ولا يبلى)** بفتح اللام مع التذكير والتأنيث، أي لا يخلق ثيابه. **(ولا يفنى)** أي لا يذهب **(شبابه)** قال القاضي [رحمه الله]: معناه أن الجنة دار الثبات والقرار وأن التغير لا يتطرق إليها فلا يشوب نعيمها بؤس ولا يعتريه فساد ولا تغيير فإنها ليست دار الأضداد ومحل الكون والفساد. **(رواه مسلم)**.

٥٦٢٢ ـ ٥٦٢٣ ـ **(وعن أبي سعيد وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ينادي مناد)** أي في الجنة، وقيل: إذا رأوها[1] من بعيد. **(إن لكم)** بكسر الهمزة أي قائلاً إن لكم **(أن تصحوا)** بكسر الصاد وتشديد الحاء، أي تكونوا صحيحي البدن دائماً. **(فلا تسقموا)** أي فلا تمرضوا **(أبداً وإن لكم أن تحيوا)** بفتح الياء، أي تكونوا أحياء. **(فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تشبوا)**. بكسر الشين المعجمة وتشديد الموحدة، أي تدوموا شباباً. **(فلا تهرموا)** بفتح الراء، أي لا تشيبوا. **(أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً)** قال الطيبي [رحمه الله]: هذا النداء والبشارة ألذ وأشهى ما فيه من السرور، وفي عكسه أنشد المتنبي:

أشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه ارتحالا

(رواه مسلم).

الحديث رقم ٥٦٢١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٨١. حديث رقم (٢١ ـ ٢٨٣٦). والترمذي في السنن ٤/ ٥٨٠ حديث رقم ٢٥٢٦. والدارمي في السنن ٢/ ٤٢٨ حديث رقم ٢٨١٩. وأحمد في المسند ٢/ ٣٧.

الحديث رقم ٥٦٢٢ و٥٦٢٣: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٨١ حديث رقم (٢٢ ـ ٢٨٣٧). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٤٣٩. حديث رقم ٣٢٤٦. والدارمي في السنن ٢/ ٤٣١ حديث رقم ٢٨٢٤. وأحمد في المسند ٣/ ٩٥.

(١) في المخطوطة «أرادها».

٥٦٢٤ - (١٣) وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ أهلَ الجنةِ يتراءَونَ أهلَ الغرفِ من فوقِهم كما تتراءَونَ الكوكبَ الدرِّيَّ الغابرَ في الأفقِ، من المشرقِ أو المغربِ».

٥٦٢٤ - (وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن أهل الجنة يتراءون) أي ينظرون أو يرى بعضهم بعضاً (أهل الغرف) بضم ففتح جمع غرفة وهي بيت يبنى فوق الدار. والمراد هنا القصور العالية في الجنة. (من فوقهم) وفي هذا تصريح بأن قوله تعالى: ﴿في جنة عالية﴾ [الحاقة - ٢٢] . يراد بها العلو الحسي أيضاً. (كما تتراءون) أي أنتم في الدنيا (الكوكب الدري) أي لصفاء لونه ونوره وعلو ظهوره (الغابر) بالغين المعجمة [ثم بالموحدة] من الغبور، أي الباقي. (في الأفق) بضمتين جمع الآفاق، أي في أطراف السماء. وفي نسخة بالهمزة بدلها من الغبور، أي الذاهب في الأفق البعيد الغور فيه. (من المشرق) أي من جانبه (أو المغرب) أي من طرفه. والظاهر أن أو للتخيير في التشبيه كقوله تعالى: ﴿أو كصيب من السماء﴾ [البقرة - ١٩] . ونحو: ﴿أو كظلمات في بحر لجي﴾ [النور - ٤٠] . وليست للشك. قال التوربشتي [رحمه الله]: قد اختلف في الغابر فمنهم من رواه بالهمزة بعد الألف من الغور يريدون انحطاطه في الجانب الغربي، ومنهم من رواه بالباء من الغبور والمراد منه الباقي في الأفق بعد انتشار ضوء الفجر، فإنما يستبين في ذلك الوقت الكوكب المضيء، ولا شك أن الرواية الأولى نشأت من التصحيف انتهى. ولم يذكر وجه التصحيف فيه. وقال شارح: وروي الغاير من الغور وهو الانحطاط وهو تصحيف لأنه لا يناسب قوله: من المشرق، إذ غور الكوكب في الجانب الشرقي مما لا يتصور ثم قال: قوله: من المشرق والمغرب، كذا في المصابيح أي بالواو، والصواب من المشرق إلى المغرب كما في كتاب مسلم. قال المؤلف: وكذا بأو في شرح السنة وجامع الأصول ورياض الصالحين. قيل: وإنما ذكر المشرق والمغرب [معاً] دون السماء لأن المقصود البعد والإنارة معاً. وقال النووي: معنى الغاير الذاهب الماضي، أي الذي تدلى للغروب وبعد عن العيون. وروي في غير صحيح مسلم الغارب بتقديم الراء وروي العازب بالعين المهملة والزاي، ومعناه البعيد في الأفق فكلها راجعة إلى معنى واحد. قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: ما فائدة تقييد الكوكب بالدري ثم بالغابر في الأفق. قلت: للإيذان بأنه من باب التمثيل الذي وجهه منتزع من عدة أمور متوهمة في المشبه شبه رؤية الرائي في الجنة صاحب الغرفة برؤية الرائي الكوكب المستضيء الباقي من باب الشرق أو الغرب في الاستضاءة مع البعد، فلو قيل: الغائر لم يصح لأن الإشراق يفوت عند الغروب اللهم إلا أن يقدر المستشرف على الغروب لقوله تعالى: ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ [البقرة - ٢٣٤] . أي شارفن بلوغ أجلهن، لكن لا يصح هذا المعنى في الجانب الشرقي. نعم

الحديث رقم ٥٦٢٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٢٠. حديث رقم ٣٢٥٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٧ حديث رقم (١١ - ٢٨٣١). والترمذي في السنن ٤/ ٥٩٥ حديث رقم ٢٥٥٦. والدارمي في السنن ٢/ ٤٣٣ حديث رقم ٢٨٣٠. وأحمد في المسند ٢/ ٣٣٥.

لتفاضُلِ ما بينَهم» قالوا: يا رسولَ اللّهِ! تلكَ منازلُ الأنبياءِ لا يبلغُها غيرُهم. قال: «بلى والذي نفْسي بيدِه، رجالٌ آمنوا باللّهِ وصدَّقوا المرسلينَ». متفق عليه.

يجوز على التقدير كقولهم: متقلداً سيفاً ورمحاً وعلفته تبناً وماء بارداً، أي طالعاً في الأفق من المشرق وغائراً في المغرب. (لتفاضل ما بينهم) علة للتراني. والمعنى إنما ذلك لتزايد مراتب ما بين سائر أهل الجنة العالية وما بين أرباب أهل الغرف العالية. قيل: الجنة طبقات أعلاها للسابقين وأوسطها للمقتصدين وأسافلها للمخلطين. (قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: بلى) أي يبلغها غيرهم من الأولياء ويشاركها معهم بعض الأصفياء (والذي نفسي بيده رجال) أي وهم رجال أو يبلغها رجال أي كاملون في الرجولية لقوله تعالى: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ [النور - ٣٧] الآية. (آمنوا بالله) أي حق الإيمان وغاية[١] الإيقان ونهاية الإحسان. (وصدقوا المرسلين) في إجابة ما أمروا به ونهوا عنه وقاموا بوصف الصابرين والشاكرين وترفعوا إلى مقام الراضين، قال تعالى: ﴿وعباد الرحمٰن الذين يمشون على الأرض هوناً﴾ [الفرقان - ٦٣] . إلى أن قال: ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾ [الفرقان - ٧٥] الآية. وفي جمع المرسلين إشعار بأن هذه المرتبة العلية عامة للسابقين على حسب تفاوتهم في الرتب السنية وليست خاصة لهذه الأمة مع أن تصديق المرسلين على وجه التحقيق إنما هو لهذه الجماعة. نعم قد يراد به مقابلة الجمع للجمع فالمراد رسوله خاصة بالأصالة وسائر الرسل بالتبعية، فإنه يلزم من التصديق بواحد التصديق بالكل وكذا في جانب التكذيب ومنه قوله تعالى: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾. (متفق عليه) وكذا رواه أحمد وابن حبان والدارمي عن أبي سعيد، وكذا الترمذي عن أبي هريرة، ورواه أحمد والشيخان وابن حبان عن سهل بن سعد ولفظه: أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء. ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان عن أبي سعيد، والطبراني عن جابر بن سمرة، وابن عساكر عن ابن عمر وعن أبي هريرة [رضي الله تعالى عنهم] بلفظ: أن أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع في أفق السماء وأن أبا بكر وعمر منهم وأنعما. وفي بعض طرق الحديث قيل: وما معنى أنعما. قال: أهل لذلك هما. وروى ابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً: أن أهل عليين ليشرف أحدهم على الجنة فيضيء وجهه لأهل الجنة كما يضيء القمر ليلة البدر لأهل الدنيا وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما[٢]. وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الاخوان والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعاً: إن في الجنة لعمداً من ياقوت عليها غرف من زبرجد ولها أبواب مفتحة تضيء كما يضيء الكوكب الدري يسكنها المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتلاقون في الله[٣]. وروى أحمد وابن

---

(١) في المخطوطة «شهادة».

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٣٥ حديث رقم ٢٢٣٢.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٤٠ حديث رقم ٢٣١٣. والحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم ٩٠٠٢.

٥٦٢٥ ـ (١٤) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يدخلُ الجنَّةَ أقوامٌ أفئدتُهم مثلُ أفئدةِ الطيرِ». رواه مسلم.

٥٦٢٦ ـ (١٥) وعن أبي سعيدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ تعالى يقولُ لأهلِ الجنةِ: يا أهلَ الجنةِ! فيقولونَ: لبَّيكَ ربَّنا وسعدَيْكَ، والخيرُ كلُّه في يديكَ. فيقولُ: هل رضيتم؟ فيقولونَ: وما لَنا لا نرضى يا ربِّ وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحداً من خلقكَ؟ فيقول: ألا أُعطيكم أفضلَ من ذلكَ؟ فيقولون: يا ربِّ وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلكَ؟ فيقول: أُحِلُّ

حبان والبيهقي عن مالك الأشعري، والترمذي عن علي [رضي الله عنه] مرفوعاً: إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام[1].

٥٦٢٥ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يدخل الجنة أقوام أفئدتهم) أي قلوبهم (مثل أفئدة الطير) أي في الرقة واللينة والرحمة والصفاء والخلو عن الحسد والحقد والغل والبغضاء، ومجمله لكونها خالية من كل ذنب سليمة من كل عيب. قال النووي [رحمه الله]: قيل: مثلها في رقتها كما ورد: «أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوباً»[2]. وقيل في الخوف والهيبة، والطير أكثر الحيوان خوفاً وفزعاً، قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر ـ ٢٨]. وقيل في التوكل كما ورد: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»[3]. وقد قال تعالى: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾ [العنكبوت ـ ٦٠]. (رواه مسلم) وكذا أحمد في مسنده.

٥٦٢٦ ـ (وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة. يقولون: لبيك ربنا) أي يا ربنا (وسعديك والخير) أي جنسه أو جميع أفراده (في يديك) أي منحصر في قبضة قدرتك وإرادتك (فيقول: هل رضيتم) أي عن ربكم (فيقولون: وما لنا لا نرضى) الاستفهام للتقرير، والمعنى أي شيء مانع لنا من أن لا نرضى عنك. (يا رب) أي يا ربي، والقياس يا ربنا فكأنه أفرد باعتبار كل قائل. (وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك) الجملة حالية (فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك) أي من عطائكم هذا (فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك) أي من عطائك هذا (فيقول: أحل) بضم

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٣٤٣. والترمذي في السنن حديث رقم ٢٥٢٣.

الحديث رقم ٥٦٢٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٨٣. حديث رقم (٢٧ ـ ٢٨٤٠) وأحمد في المسند ٢/ ٣٣١.

(٢) راجع الحديث رقم (٦٢٦٧). (٣) راجع الحديث رقم (٥٢٩٩).

الحديث رقم ٥٦٢٦: أخرجه البخاري في صحيحه ١١/ ٤١٥. حديث رقم ٦٥٤٩. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٧٦ حديث رقم ٩/ ٢٨٢٩. والترمذي في السنن ٤/ ٥٩٥ حديث رقم ٢٥٥٥.

عليكم رِضواني فلا أَسْخطُ عليكم بعدَه أبداً». متفق عليه.

٥٦٢٧ ـ (١٦) وعن أبي هريرةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ أدنى مقعدِ أحدِكم من الجنةِ أن يقولَ له: تمَنَّ؛ فيتمنَّى، ويتمنَّى. فيقولُ له: هل تمنَّيتَ؟ فيقول: نعمْ. فيقول له: فإنَّ لكَ ما تمنَّيتَ ومثلَه معَه». رواه مسلم.

الهمزة وكسر الخاء، أي أنزل (**عليكم رضواني**) بكسر الراء ويضم، أي دوام رضواني فإنه لا يلزم من كثرة العطاء، دوام الرضا ولذا قال: (**فلا أسخط**) بفتح الخاء المعجمة، أي لا أغضب. (**عليكم بعده أبداً**) ثم اللقاء يترتب على الرضا من الرب المتفرع على الرضا من العبد للقضاء ترتيب البقاء بعد تحقق الفناء. قال ابن الملك: في الحديث دلالة على أن رضوان الله تعالى على العبد فوق إدخاله إياه الجنة. وقال الطيبي [رحمه الله]: الحديث مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر**﴾ [التوبة ـ ٧٢]. الكشاف إنما كبر من ذلك كله لأن رضاه سبب كل فوز وسعادة لأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة أكبر أصناف الثواب[1]، لأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعم، وإنما يتهنأ له برضاه كما ينتقص عليه بسخطه ولم يجد لها لذة وإن عظمت. قال الطيبي [رحمه الله]: وأكبر أصناف الكرامة رؤية الله تعالى. قلت: ولعل الرضوان أكبر لاشتماله على تحصيل اللقاء وسائر أنواع النعماء. (**متفق عليه**) وكذا رواه أحمد والترمذي.

٥٦٢٧ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ قال: إن أدنى مقعد أحدكم**) أي أقل مرتبة ملكه ومسيرة جنانه ومسافة قصوره (**من الجنة**) أي فيها (**أن يقول**) أي الله أو الملك (**له: تمن فيتمنى ويتمنى**) والظاهر أن المراد بالتكرير هو التكثير. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: أن يقول له، خبر إن والمعنى: إن أدنى منزلة أحدكم في الجنة أن ينال أمانيه كلها بحيث لا تبقى له أمنية، ونحوه قول الشاعر:

لم يبق جودك لي شيئاً أؤمله ❊ تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

(**فيقول**) أي الرب (**له: هل تمنيت**) أي جميع أمانيك (**فيقول: نعم. فيقول له: فإن لك ما تمنيت**) أي وعداً وعدلاً (**ومثله معه**) أي زيادة وفضلاً، وفيه إيماء إلى أن من يكون منتهى ما تمناه رضا مولاه وما يترتب عليه من لقاه فلا يتصور له مزيد أن يعطاه. (**رواه مسلم**).

---

(١) في المخطوطة «وإكرامه أكبر أصناف الثواب».

الحديث رقم ٥٦٢٧: أخرجه مسلم في صحيحه ١/١٦٧ حديث رقم (٣٠١/١٨٢) وأحمد في المسند ٢/٣١٥.

٥٦٢٨ ـ (١٧) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ «سيحانُ وجيحانُ والفراتُ والنيلُ، كلٌّ من أنهارِ الجنةِ».

٥٦٢٨ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: سيحان وجيحان)** بفتح أولهما، نهران بالشام أولهما من السيح بالسين والحاء المهملتين وهو جري الماء على وجه الأرض، والنون فيه زائدة، وثانيهما من جحن الصبي بالجيم فالحاء إذا ساء غذاؤه، والنون فيه أصلية. **(والفرات)** نهر بالكوفة **(والنيل)** نهر مصر، وأما سيحون فنهر بالهند وجيحون نهر بلخ وينتهي إلى خوارزم كذا قاله شارح: وقيل: سيحان نهر بالشام، وقيل. بالهند. وجيحان نهر بلخ. وقال النووي [رحمه الله]: سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون، والمذكور في الحديث في بلاد الأرمن فسيحان نهر المصيصة وجيحان نهر اردنه وهما نهران عظيمان جداً هذا هو الصواب. وأما قول الجوهري: جيحان نهر بالشام فغلط. وقال صاحب نهاية الغريب: سيحان وجيحان نهران بالعواصم عند المصيصة وطرسوس، واتفقوا على أن جيحون بالواو نهر خراسان، وقيل: سيحون نهر بالهند. **(كل)** أي كل واحد منها **(من أنهار الجنة)** إنما جعل الأنهار الأربعة من أنهار الجنة لما فيها من العذوبة والهضم ولتضمنها البركة الإلهية وتشرفها بورود الأنبياء إليها وشربهم منها، وذلك مثل قوله ﷺ في عجوة المدينة: إنها من ثمار الجنة. ويحتمل أنه سمى الأنهار التي هي أصول أنهار الجنة بتلك الأسامي ليعلم أنها في الجنة بمثابة الأنهار الأربعة في الدنيا، أو لأنها مسميات بتلك الأسماء فوقع الاشتراك فيها كذا ذكر شارح من علمائنا. وقال القاضي [رحمه الله]: جعل الأنهار الأربعة لعذوبة مائها وكثرة منافعها كأنها من أنهار الجنة، ويحتمل أن يكون المراد بها الأنهار الأربعة التي هي أصول أنهار الجنة وسماها بأسامي الأنهار الأربعة التي هي أعظم أنهار الدنيا وأشهرها وأعذبها وأفيدها عند العرب على سبيل التشبيه والتمثيل، ليعلم أنها في الجنة بمثابتها وأن ما في الدنيا من أنواع المنافع والنعائم أنموذجات لما يكون في الآخرة. وكذا ما فيها من المضار المردية والمستكرهات المؤذية. وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض [رحمه الله]: كون هذه الأنها من الجنة أن الإيمان لهم ببلادها وأن الأجسام المتغذية بمائها صائرة إلى الجنة. والأصح أنها على ظاهرها وأن لها مادة من الجنة مخلوقة لأنها موجودة اليوم عند أهل السنة. وقد ذكر مسلم في كتاب الإيمان في حديث الإسراء: أن الفرات والنيل يجريان من الجنة، وفي البخاري: من أصل سدرة المنتهى. وفي معالم التنزيل روى ابن عباس أن الله تعالى أنزل هذه الأنهار من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس وذلك قوله تعالى: ﴿**وأنزلنا من السماء ماء بقدر**﴾ [المؤمنون ـ ١٨] . فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل برفع من الأرض القرآن والعلم والحجر الأسود ومقام إبراهيم

الحديث رقم ٥٦٢٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٨٣ حديث رقم (٢٦ ـ ٢٨٣٩) وأحمد في المسند ٢/ ٤٤٠.

رواه مسلم.

٥٦٢٩ ـ (١٨) وعن عُتبةَ بنِ غزوانَ، قال: ذُكرَ لنا أنَّ الحجرَ يُلقى من شفةِ جهنمَ فيهْوي فيها سبعينَ خريفاً لا يُدرِكُ لها قَعراً، واللهِ لتُملأنَّ، ولقدْ ذُكرَ لنا أنَّ ما بينَ مصراعَينِ من مصاريعِ الجنةِ مسيرةُ أربعينَ سنةً، وليأتيَنَّ عليها يومٌ وهو كظيظٌ منَ الزِّحامِ». رواه مسلم.

الفصل الثاني

٥٦٣٠ ـ (١٩) عن أبي هريرةَ، قال: قلتُ: يا رسولَ الله! مِمَّ خُلقَ الخلقُ؟ قال: «منَ الماءِ».

وتابوت موسى وهذه الأنهار فذلك قوله تعالى: ﴿وأنا على ذهاب به لقادرون﴾ [المؤمنون ـ ١٨] . (رواه مسلم).

٥٦٢٩ ـ (وعن عتبة) بضم عين مهملة فمثناة فوقية ساكنة فموحدة على ما في أسماء الرجال للمؤلف. (ابن غزوان) بفتح معجمة وسكون زاي، قيل هو سابع سبعة في الإسلام. (قال: ذكر لنا) هو في حكم المرفوع لأن الغالب في الصحابي الكبير أن لا يأخذ من غير النبي ﷺ أو من الصحابة، ومراسيل الصحابي حجة بالاتفاق. المعنى: بلغنا. (أن الحجر يلقى) أي يرمي (من شفة جهنم) بفتح أوله ويكسر، واحدة الشفاه، أي من طرفها. (فيهوي) أي فيسقط الحجر وينزل (فيها) أي في جهنم (سبعين خريفاً) أي سنة (لا يدرك) أي الحجر (لها) أي جهنم (قعراً) وهو أبلغ من أن يقال: لا يصل إلى قعرها. والمعنى أنها مع طولها وعرضها وعمقها (والله لتملأن) بصيغة المجهول، أي جهنم من الكفار. ثم قال عتبة بعد وصف جهنم انتقالاً إلى نعت الجنة: (ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة) أي ما بين طرفي باب من أبوابها (مسيرة أربعين سنة وليأتين عليها يوم وهو) لعل كلاً من ضميري عليها وهو يرجع إلى ما، فالأول باعتبار المعنى لأن ما عبارة عن أماكن، والثاني باعتبار لفظه. فالمعنى: والحال أن ما بينهما (كظيظ) بالمعجمتين أي مملوء فعيل بمعنى مفعول، وقيل: أي ممتلىء (من الزحام) بكسر الزاي أي الكثرة (رواه مسلم).

(الفصل الثاني)

٥٦٣٠ ـ (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله مم خلق الخلق. قال: من الماء) قيل: أي من النطفة. والظاهر أن يكون اقتباساً من قوله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء

الحديث رقم ٥٦٢٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٧٨ حديث رقم (١٤ ـ ٢٩٦٧) وأحمد في المسند ٢/ ٣٧١.

الحديث رقم ٥٦٣٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٠ حديث رقم ٢٥٢٦. والدارمي ٢/ ٤٢٩ حديث رقم ٢٨٢١ وأحمد في المسند ٢/ ٣٠٥.

قُلنا: الجنةُ ما بناؤها؟ قال: «لَبِنةٌ من ذهبٍ ولَبِنةٌ من فضةٍ، ومِلاطُها المسكُ الأذفرُ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوتُ، وتربتُها الزّعفرانُ، مَنْ يدخلُها ينعمُ ولا يبأسُ، ويخلدُ ولا يموتُ، ولا تَبلى ثيابُهم، ولا يفْنى شبابُهم». رواه أحمد، والترمذي، والدارمي.

٥٦٣١ ـ (٢٠) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما في الجنةِ شجرةٌ إلا وساقُها من ذهبٍ». رواه الترمذي.

كل شيء حي ﴾ [الأنبياء ـ ٣٠] . أي وخلقنا من الماء كل حيوان لقوله سبحانه: ﴿والله خلق كل دابة من ماء ﴾ [النور ـ ٤٥] . وذلك لأن الماء أعظم مواده، أو لفرط احتياجه إليه وانتفاعه بعينه. وقرىء حياً على أنه صفة كل، أو مفعول ثان والظرف لغو، والشيء مخصوص بالحيوان. **(قلنا)** وفي نسخة ضعيفة: قلت. **(الجنة ما بناؤها)** أي هل من حجر أو مدر أو خشب أو شعر **(قال: لبنة من ذهب ولبنة من فضة)** أي بناؤها ملمع ومرصع منهما أو ذكر النوعين باعتبار الجنتين كما تقدم والله [تعالى] أعلم. **(وملاطها)** بكسر الميم أي ما بين اللبنتين موضع النورة **(المسك الأذفر)** أي الشديد الريح. في النهاية: الملاط الطين الذي يجعل بين سافتي البناء يملط به الحائط أي يخلط **(وحصباؤها)** أي حصباؤها الصغار التي في الأنهار **(اللؤلؤ والياقوت)** أي مثلهما في اللون والصفاء **(وتربتها)** أي مكان ترابها **(الزعفران)** أي الناعم الأصفر الطيب الريح، فجمع بين ألوان الزينة وهي البياض والحمرة والصفرة ويتكمل بالأشجار الملونة بالخضرة، ولما كان السواد مما يغم الفؤاد خص بأهل العناد من العباد. **(من يدخلها ينعم ولا يبأس)** بفتح وسطهما. قال التوربشتي [رحمه الله]: قد وجدناه في المصابيح وفي بعض كتب الحديث يبؤس بالهمزة المضمومة لدلالة الواو على الضم، وبأس الأمر يبؤس إذا اشتد وباس يباس إذا افتقر، والغلط إنما وقع في رسم الخط، والصواب لا يبأس انتهى. وفي القاموس: البأس العذاب والشدة في الحرب، ومنه البأس وبؤس ككرم وبئس كسمع اشتدت حاجته، ومنه البأساء. **(ويخلد)** أي يدوم فيها فلا يتحول عنها. **(ولا يموت)** أي لا يفنى، بل دائماً يبقى. **(ولا تبلى)** بفتح أوله، أي لا تخلق ولا تتقطع. **(ثيابهم)** وكذا أثاثهم **(ولا يفنى شبابهم)** أي لا يهرمون ولا يخرفون ولا يغيرهم مضي الزمان فإنهم خلقوا لنعيم الأبد في ذلك المكان. **(رواه أحمد والترمذي والدارمي)**.

٥٦٣١ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب)** وأما أغصانها فمختلفة فتارة من ذهب وأخرى من فضة أو ياقوتة أو زمردة أو لؤلؤة أو مرصعة ملمعة مزينة بأنواع الأزهار وأصناف الأنوار ومن فوقها أجناس الأثمار ومن تحتها تجري الأنهار **(رواه الترمذي)** [رحمه الله] .

الحديث رقم ٥٦٣١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/٥٧٦ حديث رقم ٢٥٢٥.

٥٦٣٢ ـ (٢١) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ، ما بينَ كلِّ درجتَينِ مائةُ عامٍ». رواه الترمذيُّ، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريب.

٥٦٣٣ ـ (٢٢) وعن أبي سعيد، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ، لو أنَّ العالمِينَ اجتمعوا في إحداهُنَّ لوَسِعَتهم». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥٦٣٤ ـ (٢٣) وعنه، عن النبيِّ ﷺ في قوله تعالى ﴿وفُرُشٍ مرفوعةٍ﴾ قال: «ارتفاعُها لكما بينَ السماءِ والأرضِ، مسيرة خمسمائةِ سنة».

٥٦٣٢ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة مائة درجة)** قال ابن الملك: المراد بالمائة ههنا الكثرة وبالدرجة المرقاة. أقول: الأظهر أن المراد بالدرجات المراتب العالية، قال تعالى: **﴿هم درجات عند الله﴾** [آل عمران ـ ١٦٣]. أي ذوو درجات بحسب أعمالهم من الطاعات كما أن أهل النار أصحاب دركات متسافلة بقدر مراتبهم في شدة الكفر كما يشير إليه قوله سبحانه: **﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾** [النساء ـ ١٤٥]. ويؤيده الحديث الذي يليه، وظاهر قوله: **(ما بين كل درجتين مائة)** أي مقدار مسافة مائة سنة **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب)**.

٥٦٣٣ ـ **(وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين)** أي خلق الأولين والآخرين **(اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم)** أي لكفتهم **(رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب)** وكذا رواه ابن حبان من وجه آخر وصححه.

٥٦٣٤ ـ **(وعنه)** أي عن أبي سعيد رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ في قوله: وفرش مرفوعة. قال: ارتفاعها)** أي اعتلاء فرش الجنة أو ارتفاع الدرجة التي فرشت الفرش المرفوعة فيها **(لكما بين السماء والأرض)** خبر لارتفاعها كقوله: **(مسيرة خمسمائة سنة)** أو الثاني بدل أو بيان، ثم دخول اللام في خبر المبتدأ كما في قول الشاعر:

أم الحليس لعجوز شهربة * ترضى من اللحم بعظم الرقبة

والشهربة العجوز الكبيرة ومثله الشهبرة على ما في الصحاح والكاف في لكما اسم. قال الزجاج في قوله تعالى: **﴿إن هذان لساحران﴾** [طه ـ ٦٣]. قالت النحاة القدماء إن الضمير فيه مضمر، أي إنه هذان لساحران. قالوا: وأصل هذه اللام أن تقع[1] في المبتدأ ووقوعها[2] في الخبر جائز، هذا وفي الكشاف في قوله: فرش مرفوعة، أي نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الأسرة. قيل [هي] النساء لأن المرأة يكنى عنها بالفراش ويدل عليه قوله: **﴿إنا أنشأناهن**

الحديث رقم ٥٦٣٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٢ حديث رقم ٢٥٢٩.

الحديث رقم ٥٦٣٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٣ حديث رقم ٢٥٣٢. وأحمد في المسند ٣/ ٢٩.

الحديث رقم ٥٦٣٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٦ حديث رقم ٢٥٤٠. وأحمد في المسند ٣/ ٧٥.

(١) في المخطوطة «يقع». (٢) في المخطوطة «وقوعه».

رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥٦٣٥ ـ (٢٤) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أولَ زُمرةٍ يدخلونَ الجنةَ يومَ القيامةِ ضوءُ وجوهِهم على مثلِ ضوءِ القمرِ ليلةَ البدْرِ، والزُّمرةُ الثانيةُ على مثلِ أحسنِ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماء، لكلِّ رجلٍ منهم زوجتانِ، على كلِّ زوجةٍ سبعونَ حُلةً، يُرى مُخُّ ساقِها منْ ورائِها». رواه الترمذي.

٥٦٣٦ ـ (٢٥) وعن أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «يُعطى المؤمنُ في الجنةِ قوةَ كذا

إنشاء ﴾ [الواقعة ـ ٣٥]. وعلى التفسير الأول أضمر لهن لأن ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن انتهى. فهن مرفوعة على الفرش أو السرر، أو بالجمال على نساء أهل الدنيا على ما قيل فإن كل فاضل رفيع، لكن ثبت في الحديث أن المؤمنات أحسن من الحور لصلاتهن وصيامهن. قال التوربشتي [رحمه الله]: قول من قال المراد منه ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات وما بين كل درجتين من الدرجات كما بين السماء والأرض، هذا القول أوثق وأعرف الوجوه المذكورة [و] ذلك لما في الحديث: إن للجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض[1]. انتهى. وعارضه الطيبي [رحمه الله] بما لا طائل تحته فأعرضت عن ذكره وتركت بحثه. (رواه الترمذي) أي مرفوعاً (وقال: هذا حديث غريب).

٥٦٣٥ ـ (وعنه) أي عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: إن أول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة) وهم الأنبياء عليهم [الصلاة] والسلام (ضوء وجوههم) أي نورها (على مثل ضوء القمر ليلة البدر) وهو وقت كمال إنارته (والزمرة الثانية على مثل أحسن كوكب دري في السماء) وهم الأولياء والصلحاء على اختلاف مراتبهم في الضياء. (لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة) بضم حاء وتشديد لام ولا تطلق غالباً إلا على ثوبين (يرى) أي يبصر (مخ ساقها) أي مخ عظام ساق كل زوجة (من ورائها) أي من فوق حللها السبعين لكمال لطافة أعضائها وثيابها، والتوفيق بينه وبين خبر: أدنى أهل الجنة من له ثنتان وسبعون زوجة وثمانون ألف خادم. بأن يقال: يكون لكل منهم زوجتان موصوفتان بأن يرى مخ ساقها من ورائها، وهذا لا ينافي أن يحصل لكل منهم كثير من الحور العين غير البالغة إلى هذه الغاية كذا قيل. والأظهر أن لكل زوجتان من نساء الدنيا وأن أدنى أهل الجنة من له ثنتان وسبعون زوجة في الجملة، يعني ثنتين من نساء الدنيا وسبعين من الحور العين والله سبحانه [وتعالى] أعلم. (رواه الترمذي) وكذا أحمد في مسنده.

٥٦٣٦ ـ (وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يعطي المؤمن في الجنة قوة كذا

---

(١) راجع الحديث رقم (٥٦١٧).

الحديث رقم ٥٦٣٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٤ حديث رقم ٢٥٣٥. وابن ماجه ٢/ ١٤٤٩ حديث رقم ٤٣٣٣ والدارمي ٢/ ٤٣٣ حديث رقم ٢٨٣٢. وأحمد في المسند ٣/ ١٦.

الحديث رقم ٥٦٣٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٤ حديث رقم ٢٥٣٦.

وكذا من الجماع». قيل: يا رسول الله! أو يطيق ذلك؟ قال: «يُعطى قوةَ مائة». رواه الترمذي.

٥٦٣٧ ـ (٢٦) وعن سعد بنِ أبي وقّاص، عن النبي ﷺ قال: «لو أنَّ ما يُقِلُّ ظُفُرٌ مما في الجنّة بدا لتزخرفتْ له ما بينَ خوافقِ السماوات والأرض، ولو أنَّ رجلاً من أهل الجنّة اطّلعَ فبدا أساوره لطَمَس ضوؤه ضوءَ الشّمس كما تطمسُ الشّمس ضوءَ النجوم» رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

وكذا من الجماع) وهو كناية عن جماع عدة من النساء كالعشرة مثلاً. (قيل: يا رسول الله أو يطيق [ذلك]) بفتح الواو، أي أيعطي تلك القوّة ويستطيع ذلك المقدار، والإشارة إلى مضمون قوله: كذا وكذا من الجماع. (قال: يعطي قوّة مائة) أي مائة رجل كذا قيل أو مائة مرة من الجماع، والمعنى: فإذا كان كذلك فهو يطيق ذلك. (رواه الترمذي) وفي الجامع: يعطي المؤمن في الجنة قوّة مائة في النساء. رواه الترمذي وابن حبان عن أنس[1]، وفي الجامع: أن الرجل من أهل الجنة ليعطي قوّة مائة رجل في الأكل والشرب والشهوة والجماع، حاجة أحدهم عرق يفيض من جلده فإذا بطنه قد ضمر. رواه الطبراني عن زيد بن أرقم[2] [رضي الله تعالى عنه] .

٥٦٣٧ ـ (وعن سعد بن أبي وقاص) [رضي الله عنه] (عن النبي ﷺ أنه قال: لو أن ما يقل) بضم الياء وكسر القاف وتشديد اللام، أي يحمله. (ظفر) بضمتين ويسكن الثاني. قال الطيبي [رحمه الله]: ما موصولة والعائد محذوف أي ما يقله. وقال القاضي [رحمه الله]: أي قدر ما يستقل بحمله ظفر ويحمل عليها. (مما في الجنة) أي من نعيمها (بدا) أي ظهر في الدنيا للناظرين (لتزخرفت) أي تزينت (له) أي لذلك المقدار وسببه من الاعتبار وظهور الأنوار. (ما بين خوافق السموات والأرض) أي أطرافها وقيل منتهاها، وقيل: الخافقان المشرق والمغرب كذا ذكره شارح. وقال القاضي [رحمه الله]: الخوافق جمع خافقة وهي الجانب وهي في الأصل الجانب التي تخرج منها الرياح من الخفقان، ويقال: الخافقان للمشرق والمغرب. قال الطيبي [رحمه الله]: وتأنيث الفعل لأن ما بين بمعنى الأماكن كما في قوله تعالى: ﴿أضاءت ما حوله﴾ [البقرة ـ ١٧] . وفي وجه (ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع) بتشديد الطاء، أي أشرف. (على أهل الدنيا فبدا) أي ظهر (أساوره) جمع أسورة جمع سوار، والمراد بعض أساوره: ففي تيسير الوصول فبدا سواره (لطمس ضوؤه) أي محا نوره (ضوء الشمس كما تطمس الشمس) وفي نسخة: كما يطمس ضوء الشمس. (ضوء النجوم. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب). وقد سبق هذا المعنى في أحاديث بعضها في صحيح البخاري وبعضها في

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٩٠ حديث رقم ١٠٠١٥.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٢٢ حديث رقم ١٩٨٨.

الحديث رقم ٥٦٣٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٥ حديث رقم ٢٥٣٨. وأحمد في المسند ١/ ١٦٩.

٥٦٣٨ ـ (٢٧) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أهلُ الجنةِ جُرْدٌ مُرْدٌ كحلي، لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم». رواه الترمذي، والدارمي.

٥٦٣٩ ـ (٢٨) وعن معاذ بن جبل، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يَدْخلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ جُرْداً مُرْداً مكحَّلين أبناءَ ثلاثين ـ أو ثلاثٍ وثلاثين ـ سنة» رواه الترمذي.

٥٦٤٠ ـ (٢٩) وعن أسماء بنت أبي بكر، قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ وذُكر له سدرة المنتهى قال: «يسيرُ الراكبُ في ظلِّ الفَنَنِ منها مائةَ سنةٍ، أو يستظل بظلها مائةُ راكبٍ ـ

الصحيحين. في الجامع: أن الرجل من أهل عليين ليشرف على أهل الجنة فتضيء الجنة لوجهه كأنها كوكب دري. رواه أبو داود عن أبي سعيد [رحمهم الله] (١).

٥٦٣٨ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أهل الجنة جرد) بضم جيم وسكون راء جمع أجرد وهو الذي لا شعر على جسده، وضده الأشعر. (مرد) جمع أمرد وهو غلام لا شعر على ذقنه وقد يراد به الحسن بناء على الغالب. (كحلي) بفتح الكاف فعلى بمعنى فعيل، أي مكحول وهو عين في أجفانها سواد خلقة، كذا قاله شارح. وفي النهاية: الكحل بفتحتين سواد في أجفان العين خلقة، والرجل أكحل وكحيل وكحلي جمع كحيل. (لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم. رواه الترمذي والدارمي).

٥٦٣٩ ـ (وعن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين) أي خلقة أو كمكحلين (أبناء ثلاثين) أي أتراباً (أو ثلاث) أي أو أبناء ثلاث (وثلاثين سنة) وأو لشك الراوي (رواه الترمذي) قيل: وحسنه.

٥٦٤٠ ـ (وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: سمعت رسول الله ﷺ وذكر له) أي والحال أنه ذكر لرسول الله ﷺ. (سدرة المنتهى) قيل: هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر، والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها في منتهى الجنة وآخرها. وقيل: لم يجاوزها أحد وإليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها. (قال:) أي النبي ﷺ (يسير الراكب) أي المجد (في ظل الفنن) محركة، أي الغصن وجمعه الأفنان ومنه قوله تعالى: ﴿ذواتا أفنان﴾ [الرحمٰن ـ ٤٨]. ويقال ذلك للنوع، وجمعه فنون كذا حققه الراغب. (منها) أي من السدرة (مائة سنة أو يستظل بظلها مائة راكب)

---

(١) أخرجه أبو داود ٤/ ٢٨٧ حديث رقم ٣٩٨٧.

الحديث رقم ٥٦٣٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٨٦ حديث رقم ٢٥٣٩. والدارمي ٢/ ٤٣١ حديث رقم ٢٨٢٥ وأحمد في المسند ٥/ ٢٤٣.

الحديث رقم ٥٦٣٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٩ حديث رقم ٢٥٤٥. والدارمي في السنن ٢/ ٤٣١ حديث رقم ٢٨٢٦. وأحمد في المسند ٥/ ٢٤٣.

الحديث رقم ٥٦٤٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٧ حديث رقم ٢٥٤١.

شكُّ الرّاوي ـ فيها فَراشُ الذهبِ، كأنّ ثَمرَها القِلالُ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

٥٦٤١ ـ (٣٠) وعن أنس، قال: سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ قال: «ذاكَ نهرٌ أعطانيه الله ـ يعني في الجنة ـ أشدُّ بياضاً مِنَ اللّبنِ، وأحلى من العسلِ، فيه طيرٌ أعناقها كأعناق الجُزُرِ» قال عُمر: إنّ هذه لناعِمَةٌ. قال رسول الله ﷺ: «أكَلَتُها أنعَمُ منها». رواه الترمذي.

والأول أبلغ، ويمكن أن يراد بها المبالغة في طولها وعرضها فأو للتخيير أو للتنويع باختلاف بعض الأماكن أو بالنسبة إلى نظر بعض الأشخاص، لكن قوله: (شك الراوي) يأبى عن ذلك إلا أنه لم يعرف من كلام من، والشك وقع ممن والله [تعالى] أعلم. (فيها) أي [في] سدرة المنتهى. والمعنى فيما بين أغصانها، أو عليها بمعنى فوقها مما يغشاها. (فراش الذهب) بفتح الفاء جمع فراشة وهي التي تطير وتتهافت في السراج. قيل: هذا تفسير قوله تعالى: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ [النجم ـ ١٦] . ومنه أخذ ابن مسعود حيث فسر ما يغشى بقوله: يغشاها فراش من ذهب. قال الإمام أبو الفتح العجلي في تفسيره: ولعله أراد الملائكة تتلألأ أجنحتها تلألؤ أجنحة الفراش كأنها مذهبة. (كأن ثمرها القلال) بكسر القاف جمع القلة، أي قلال هجر في الكبر. (رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب).

٥٦٤١ ـ (وعن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر قال: ذاك نهر) بفتح الهاء وتسكن، أي جدول ماء وفي طرفيه حوضان أحدهما في الجنة والآخر في الموقف. (أعطانيه الله) وإنما قال القائل (يعني في الجنة) لكون أكثره في الجنة أو مآل تمامه إليها (أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل) وفيه إيماء إلى أن ماءه جامع بين سوغ[1] اللبن ولذة العسل وإشارة إلى قوله تعالى: ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾ [الزخرف ـ ٧١] . (فيه) أي في ذلك النهر، أو في أطرافه. (طير) أي جنس من الطيور طويل العنق وكبيره (أعناقها كأعناق الجزر) بضم الجيم والزاي جمع جزور. والمعنى: أنه أعد للنحر[2] ليأكل منه أصحاب شرب ذلك النهر فإنه بها يتم عيش الدهر. (قال عمر [رضي الله عنه]: إن هذه) أي الطير فإنه يذكر ويؤنث (لناعمة) أي لمتنعمة أو لنعمة طيبة. (قال رسول الله ﷺ: أكلتها) بفتحات جمع آكل اسم فاعل كطلبة جمع طالب، وهذا هو الذي في أصل الجزري وسائر النسخ المصححة. والمعنى: من يأكلها. (أنعم منها) وفي نسخة صحيحة وهي أصل السيد: آكلتها بالمد، وبكسر الكاف على أن صيغة الواحد قد تستعمل للجماعة. وفي نسخة: آكلها بصيغة الفاعل المذكر[3]، وفي أخرى: آكلوها، بصيغة جمع المذكر[4]. (رواه الترمذي) ورواه الحاكم[5] عنه مرفوعاً: الكوثر

الحديث رقم ٥٦٤١: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٧ حديث رقم ٢٥٤٢. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٥٠ حديث رقم ٤٣٣٤. وأحمد في المسند ٣/ ٢٢١.

(١) في المخطوطة «تدحي». (٢) في المخطوطة «للخبر».

(٣)و(٤) في المخطوطة «المذكور». (٥) الحاكم في المستدرك ٣/ ١٧١.

٥٦٤٢ - (٣١) وعن بُريدةَ، أن رجلاً قال: يا رسول الله! هلْ في الجنةِ من خيلٍ؟ قال: إن اللهَ أدخَلكَ الجنةَ فلا تشاء أن تُحمَلَ فيها على فرسٍ من ياقوتة حمراء يطيرُ بكَ في الجنة حيثُ شئتَ، إلاّ فعلتَ» وسألهُ رَجُلٌ فقال: يا رسولَ الله! هل في الجنةِ من إبلٍ؟ قال:

نهر أعطانيه الله في الجنة ترابه مسك أبيض من اللبن وأحلى من العسل ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر أكلتها أنعم منها.

٥٦٤٢ - (وعن بريدة) بالتصغير (أن رجلاً قال: يا رسول الله هل في الجنة من خيل. قال: إن الله) بكسر الهمزة وسكون النون، على أن إن شرطية ثم كسر للالتقاء. قال الطيبي [رحمه الله]: مرفوع بفعل يفسره ما بعده وهو. (أدخلك الجنة) ولا يجوز رفعه على الابتداء لوقوعه بعد حرف الشرط. وقوله: (فلا تشاء أن تحمل فيها) جواب للشرط أي فلا تشاء الحمل في الجنة. (على فرس من ياقوتة حمراء يطير) بالتذكير ويؤنث. ففي القاموس: الفرس للذكر والأنثى، أي يسرع (بك في الجنة حيث شئت إلا فعلت) بصيغة المخاطب المذكر المعلوم. والمعنى: أن تشاء تفعله. وفي نسخة على بناء المجهول، أي حملت عليها وركبت، وفي أخرى بتاء التأنيث الساكنة فالضمير للفرس أي حملتك. قال القاضي [رحمه الله]: تقدير الكلام إن أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل على فرس كذلك إلا حملت عليه. والمعنى: أنه ما من شيء تشتهيه الأنفس إلا وتجده في الجنة كيف شاءت حتى لو اشتهت أن تركب فرساً على هذه الصفة لوجدته وتمكنت منه. ويحتمل أن يكون المراد إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن يكون لك مركب من ياقوتة حمراء يطير بك حيث شئت ولا ترضى به فتطلب فرساً من جنس ما تجده في الدنيا حقيقة وصفة. والمعنى: فيكون لك من المراكب ما يغنيك عن الفرس المعهود، ويدل على هذا المعنى ما جاء في الرواية الأخرى، وهو: إن أدخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه. ولعله ﷺ لما أراد أن يبين الفرق بين مراكب الجنة ومراكب الدنيا وما بينهما من التفاوت على التصوير والتمثيل، مثل فرس الجنة في جوهره بما هو عندنا أثبت الجواهر وأدومها وجوداً وأنصعها لوناً وأصفاها جوهراً، وفي شدة حركته وسرعة انتقاله بالطير وأكد ذلك في الرواية الأخرى بقوله: جناحان. وعلى هذا قياس ما ورد في صفة أبنية الجنة ورياضها وأنهارها إلى غير ذلك والعلم بحقائقها عند الله تعالى. قال الطيبي [رحمه الله]: الوجه الأول ذهب إليه الشيخ التوربشتي وتقدير قوله: إلا حملت، يقتضي أن يروى قوله: إلا فعلت، على بناء المفعول فإنه استثناء مفرغ، أي لا تكون بمطلوبك إلا مسعفاً، وإذا ترك على بناء الفاعل كان التقدير: فلا تكون بمطلوبك إلا فائزاً. والوجه الثاني من الوجهين السابقين قريب من أسلوب الحكيم، فإن الرجل سأل عن الفرس المتعارف في الدنيا فأجابه ﷺ بما في الجنة، أي أترك ما طلبته فإنك مستغن عنه بهذا المركب الموصوف. (وسأله رجل فقال: يا رسول الله هل في الجنة من إبل [فإني أحب الإبل]. قال:)

الحديث رقم ٥٦٤٢: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٨ حديث رقم ٢٥٤٤. وأحمد في المسند ٥/ ٣٥٢.

فلم يقلْ له ما قال لصاحبِه. فقال: «إنْ يدخلك اللهُ الجنة يكنْ لَكَ فيها ما اشتهتْ نفسُك ولذَّت عينك» رواه الترمذي.

٥٦٤٣ ـ (٣٢) وعن أبي أيوب، قال: أتى النبيَّ ﷺ أعرابيٌّ فقال: يا رسول الله! إني أحبُّ الخيلَ، أفي الجنّة خيلٌ؟ قال رسول الله ﷺ: «إن أُدخلتَ الجنّة أُتيتَ بفرسٍ من ياقوتةٍ له جناحانِ فَحُمِلتَ عليه ثم طارَ بِكَ حيث شئت». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ ليس إسناده بالقويّ، وأبو سَوْرة الراوي يضعَّف في الحديث، وسمعتُ محمّد بن إسماعيل يقول: أبو سوْرةَ هذا منكرُ الحديثِ يروي مناكير.

٥٦٤٤ ـ (٣٣) وعن بُريدة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أهلُ الجنّةِ عشرونَ ومائةُ صفٍّ، ثمانونَ منها من هذه الأمةِ، وأربعون من سائر الأمم».

أي بريدة (فلم يقل له ما قال لصاحبه) أي مثل مقوله لصاحبه كما سبق، بل أجابه مختصراً. (فقال: إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك) أي وجدت عينك لذيذاً من لذذت بالكسر لذاذاً ولذاذة، أي وجدته لذيذاً قاله شارح: وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾ [الزخرف ـ ٧١]. (رواه الترمذي).

٥٦٤٣ ـ (وعن أبي أيوب قال: أتى النبي ﷺ) أي جاءه (أعرابي) أي بدوي (فقال: يا رسول الله إني أحب الخيل) أي في الدنيا (أفي الجنة خيل) يعني أو ليس فيها أو لا تشتهي للاستغناء عنها. (قال رسول الله ﷺ: إن أدخلت الجنة أتيت) أي جئت (بفرس من ياقوتة) قيل: أراد الجنس المعهود مخلوقاً من أنفس الجواهر. وقيل: إن هناك مركباً من جنس آخر يغنيك من المعهود كما مر، والأخير هو الأظهر لما سيأتي. ولقوله: (له جناحان فحملت عليه) بصيغة المجهول، أي ركبت. (ثم طار بك حيث شئت. رواه الترمذي وقال: هذا حديث ليس إسناده بالقوي، وأبو سورة) بفتح السين المهملة (الراوي) أي راوي هذا الحديث (يضعف) أي ينسب إلى الضعف بأحد أسبابه (في الحديث) أي في علمه أو في إسناده (وسمعت محمد بن إسماعيل) أي البخاري (يقول: أبو سورة هذا منكر الحديث يروي مناكير) وروى الطبراني عن أبي أيوب مرفوعاً. إن أهل الجنة يتزاورون على النجائب بيض كأنهن الياقوت، وليس في الجنة شيء من البهائم إلا الإبل والطير.

٥٦٤٤ ـ (وعن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: أهل الجنة عشرون ومائة صف) أي قدرها أو صوروا صفوفاً (ثمانون) أي صفاً (منها) أي من جملة العدد كائنون (من هذه الأمة وأربعون) أي صفاً (من سائر الأمم) والمقصود بيان تكثير هذه الأمة وأنهم ثلثان في القسمة. قال الطيبي

الحديث رقم ٥٦٤٣: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٨ حديث رقم ٢٥٤٤. وأحمد في المسند ٥/ ٣٤٧.

الحديث رقم ٥٦٤٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٨٩ حديث رقم ٢٥٤٦. وابن ماجه ٢/ ١٤٣٤ حديث رقم ٤٢٨٩. والدارمي ٢/ ٤٣٤ حديث رقم ٢٨٣٥. وأحمد في المسند ٥/ ٣٥٥.

رواه الترمذي، والدارمي، والبيهقي في «كتاب البعث والنشور».

٥٦٤٥ - (٣٤) وعن سالم، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بابُ أمتي الذين يَدخلونَ منه الجنةَ عرضُه مسيرة الراكبِ المجوِّدِ ثلاثاً، ثم إنهم ليُضْغَطُونَ عليه، حتى تكادُ مناكبُهم تزول». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ ضعيفٌ، وسألتُ محمد بن إسماعيل

[رحمه الله]: فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا وما ورد من قوله ﷺ: والذي نفسي بيده أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة. فكبرنا فقال ﷺ: أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة. فكبرنا، فقال ﷺ: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. قلت: يحتمل أن يكون الثمانون صفاً مساوياً في العدد للأربعين صفاً وأن يكونوا كما زاد على الربع والثلث يزيد على النصف كرامة له ﷺ. قلت: وهذا هو الأظهر، على أن النصف قد يطلق ولم يرد به التساوي في العدد والصف ولذا يوصف بالأقل والأكثر. (رواه الترمذي والدارمي والبيهقي في كتاب البعث والنشور) وكذا رواه أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم[1] عنه، والطبراني عن ابن عباس، وعن ابن مسعود عن أبي موسى.

٥٦٤٥ - (وعن سالم) تابعي جليل (عن أبيه) أي عبد الله بن عمر (رضي الله [تعالى] عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: باب أمتي الذين) كذا في الأصول المعتمدة والنسخ المصححة بصيغة الجمع[2] فيكون صفة للأمة، وفي نسخة بصيغة الإفراد على أنه صفة الباب وهو الظاهر إذ المعنى باب أمتي الذي (يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجود) اسم فاعل من التجويد وهو التحسين. قال شارح: أي الراكب الذي يجود ركض الفرس من جودته، أي جعلته جيداً. وفي أساس البلاغة: يجود في صنعته يفوق فيها وأجاد الشيء وجوده أحسن فيما فعل وجود في عدوه عدا عدواً جواداً وفرس جواد من خيل جياد. قال الطيبي [رحمه الله]: والمجود يحتمل أن يكون صفة الراكب، والمعنى: الراكب الذي يجود ركض الفرس وأن يكون مضافاً إليه والإضافة لفظية، أي الفرس الذي يجود في عدوه. (ثلاثاً) ظرف مسيرة. والمعنى: ثلاث ليال أو سنين وهو الأظهر لأنه يفيد المبالغة أكثر، ثم المراد به الكثرة لئلا يخالف ما سبق من أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، على أنه يمكن أوحي إليه أولاً بالقليل ثم أعلم بالكثير، أو يحمل على اختلاف الأبواب باختلاف أصحابها والله [تعالى] أعلم. (ثم إنهم) أي أهل الجنة من أمتي عند دخولهم من أبوابها، فالمراد بالباب جنسه. (ليضغطون) بصيغة المجهول، أي ليعصرون ويضيقون. (عليه) أي على الباب (حتى تكاد) أي تقرب (مناكبهم تزول) أي تنقطع من شدة الزحام (رواه الترمذي وقال: هذا حديث ضعيف) وفي المصابيح: ضعيف منكر. قال شارح له: أي هذا الحديث منكر لمخالفته للأحاديث الصحيحة التي وردت في هذا المعنى مما مر. (وسألت محمد بن إسماعيل) أي البخاري [رحمه الله]

---

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٨٢.

الحديث رقم ٥٦٤٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٩٠ حديث رقم ٢٥٤٨.

(٢) في المخطوطة «المجهول».

عن هذا الحديث فلم يعرفه، وقال: خالد بن أبي بكر يروي المناكير.

٥٦٤٦ ـ (٣٥) وعن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ في الجنَّةِ لسوقاً ما فيها شرىً ولا بيعٌ إلا الصُّور من الرجالِ والنساءِ، فإذا اشتهى الرجلُ صورةً دخلَ فيها». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

(عن هذا الحديث فلم يعرفه) أي أصل الحديث والعالم بالحديث المحيط بطرق الأحاديث، إذا قال: أعرفه. دل على ضعفه. (وقال:) أي البخاري (يخلد) بضم اللام (ابن أبي بكر) وهو أحد رواة هذا الحديث (يروي المناكير) يعني فيكون حديثاً ضعيفاً وليس فيه أن حديثه هذا منكر. قال السيد جمال الدين: قوله: يخلد سهو من صاحب المشكاة، وصوابه خالد، إذ في الترمذي خالد بن أبي بكر [رحمه الله] وكذا في كتب أسماء الرجال.

٥٦٤٦ ـ (وعن علي رضي الله [تعالى] عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة لسوقاً) أي مجتمعاً والسوق مؤنث سماعي، ولذا قال: (ما فيها) أي ليس في تلك السوق (شرى) بالكسر والقصر، أي اشتراء (ولا بيع) والمعنى ليس فيها تجارة (إلا الصور) بالنصب وفي نسخة بالرفع، أي التماثيل المختلفة. (من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها) وكذا إذا اشتهت النساء صورة دخلن فيها. قال الطيبي [رحمه الله]: قد سبق في الفصل الأول في حديث أنس أن المراد بالسوق الجمع وهذا يؤيده يعني حيث قال: ما فيها شرى ولا بيع. قال: فالاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلاً بأن يجعل تبديل الهيئات من جنس البيع والشرى كقوله تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ [الشعراء ـ ٨٩] . يعني على وجه، وإلا فالمعتمد أن استثناءه منقطع ثم قيل: يحتمل الحديث معنيين أحدهما أن يكون معناه عرض الصور المستحسنة عليه، فإذا اشتهى وتمنى تلك الصورة المعروضة عليه صوره الله سبحانه وتعالى بشكل تلك الصورة بقدرته. وثانيهما أن المراد من الصورة الزينة التي يتزين الشخص بها في تلك السوق ويتلبس بها ويختار لنفسه من الحلي والحلل والتاج. يقال: لفلان صورة حسنة، أي هيئة مليحة. يعني: فإذا رغب في شيء منها أعطيه ويكون المراد من الدخول فيها التزين بها، وعلى كلا المعنيين التغير في الصفة لا في الذات. قال الطيبي [رحمه الله]: ويمكن أن يجمع بينهما ليوافق حديث أنس: فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً. الحديث. قلت: وهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾ [الزخرف ـ ٧١] . ولعل التقييد بالمكان وهو السوق والزمان وهو يوم الجمعة، وبخصوص الصور لكونه يوم المزيد ويوم اللقاء ويوم الجمع ومشاهدة أهل البقاء وزيادة أهل الصفاء والله سبحانه [وتعالى] أعلم. وسيأتي في الحديث الذي يليه مزيد بيان لذلك. (رواه الترمذي) وقال: هذا حديث غريب.

الحديث رقم ٥٦٤٦: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٩٢ حديث رقم ٢٥٥٠ وأحمد في المسند ١/ ١٥٦.

٥٦٤٧ ـ (٣٦) وعن سعيد بن المسيب، أنه لقيَ أبا هريرةَ، فقال أبو هريرةَ: أسألُ اللَّهَ أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة. فقال سعيد: أفيها سوقٌ؟ قال: نعم أخبرني رسول الله ﷺ: «إن أهلَ الجنةِ إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذَنُ لهم في مقدارِ يوم الجمعةِ من أيام الدنيا، فيزورونَ ربهم، ويبرز لهم عرشه، ويتبدَّى لهم في روضةٍ من رياضِ الجنّة، فيوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زَبَرْجَد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم ـ وما فيهم دنيٌّ ـ على كثبان المسك والكافور، ما يرون

٥٦٤٧ ـ (وعن سعيد بن المسيب) تابعي جليل (أنه لقي أبا هريرة) أي في السوق على ما يدل عليه السياق (فقال له أبو هريرة: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة) أي كما جمع بيننا في سوق المدينة (فقال سعيد: أفيها) أي أفي الجنة (سوق) يعني وهي موضوعة للحاجة إلى التجارة. (قال: نعم، أخبرني رسول الله ﷺ أن) بالفتح في أصل السيد وغيره، وفي نسخة بالكسر على الحكاية، أي الخبر هو قوله: إن، أو التقدير قائلاً إن (أهل الجنة إذا دخلوها) أي الجنة (نزلوا فيها) أي في منازلها ودرجاتها (بفضل أعمالهم) أي بقدر زيادة طاعاتهم كمية وكيفية (ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة) أي قدر إتيانه، والمراد في مقدار الأسبوع (من أيام الدنيا فيزورون ربهم) أي فيه (ويبرز) من الإبراز، أي ويظهر ربهم. (لهم عرشه) أي نهاية لطفه وغاية رحمته كما أشير إليه بقوله: ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾ [طه ـ ٥]. وإلا فقد سبق أن العرش سقف الجنة وليلائم أيضاً على وجه التنزيه من الجهة قوله: (ويتبدى) بتشديد الدال أي يظهر ويتجلى ربهم. (لهم في روضة) أي عظيمة (من رياض الجنة فتوضع لهم منابر) أي كراسي مرتفعة (من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد) بفتح زاي وموحدة فراء ساكنة فجيم مفتوحة جوهر معروف. (ومنابر من ذهب ومنابر من فضة) أي بحسب مقادير أعمالهم ومراتب أحوالهم. (ويجلس أدناهم) أي أدونهم منزلة (وما فيهم دنيء) أي والحال أنه ليس في أهل الجنة دون وخسيس. قال الطيبي [رحمه الله]: هو تتميم صوناً لما يتوهم من قوله: أدناهم الدناءة، والمراد به الأدنى في المرتبة. والحاصل أنه يجلس أقل أهل الجنة اعتباراً. (على كثبان المسك) بضم الكاف وسكون المثلثة جمع كثيب أي تل من الرمل المستطيل من كثبت الشيء إذا جمعته. (والكافور) بالجر عطف على المسك، ففي القاموس: هو نبت طيب نوره كنور الأقحوان أو الطلع أو وعائه وطيب معروف يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين يظل خلقاً كثيراً وتألفه النمورة وخشبة أبيض هش ويوجد في أجوافه الكافور وهو أنواع ولونها أحمر، وإنما يبض بالتصعيد مع الكرم، وعين في الجنة. (ما يرون) بصيغة المجهول من الاراءة والضمير إلى الجالسين على الكثبان، أي لا يظنون ولا يتوهمون.

الحديث رقم ٥٦٤٧: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٩٦ حديث رقم ٢٥٤٩. وابن ماجه ٢/ ١٤٥٠ حديث رقم ٤٣٣٦.

أن أصحاب الكراسي بأفضلَ منهم مجلساً». قال أبو هريرةَ: قلتُ: يا رسول الله! وهل نرى ربَّنا؟ قال: «نعم! هل تتمارون في رؤية الشمسِ والقمرِ ليلةَ البدر؟» قلنا: لا. قال: «كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضَرَه الله محاضرةً حتى يقول للرجل منهم يا فلان بن فلان! أتذكر يوم قلت كذا وكذا؟ فيذكّره ببعض غَدراته في الدنيا. فيقول: يا ربِّ! أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى، فبسعة مغفرتي بلغتَ منزلتك هذه.

(أن أصحاب الكراسي) أي أرباب المنابر (بأفضل منهم مجلساً) حتى يحزنوا بذلك لقولهم على ما في التنزيل: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ [فاطر - ٣٤] . بل إنهم واقفون في مقام الرضا ومتلذذون بحال التسليم بما جرى القضاء (قال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله وهل نرى ربنا) أي بتجلي الذات (قال: نعم هل تتمارون) بفتح الراء وفي نسخة بحذف إحدى التائين، أي هل تشكون. (في رؤية الشمس) أي في رؤيتكم الشمس (والقمر) أي وفي رؤية القمر (ليلة البدر) واحترز عن الهلال وعن القمر في غير ليالي البدر فإنه لم يكن حينئذ في نهاية النور (قلنا: لا) أي لا نشك في رؤية الشمس والقمر (قال: كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم) والتشبيه إنما هو في كمال الظهور لا في غيره من خطرات تختلج في الصدور (ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة) بالضاد المعجمة من الحضور وقد صحف بالمهملة. قال التوربشتي [رحمه الله]: الكلمتان بالحاء المهملة والضاد المعجمة، والمراد من ذلك كشف الحجاب والمقاولة مع العبد من غير حجاب ولا ترجمان وبينه الحديث: «ما منكم من أحد إلا ويكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان»[1]. الحديث. والمعنى: خاطبه الله مخاطبة وحاوره محاورة (حتى يقول للرجل منهم: يا فلان) بالفتح وفي نسخة بالضم (ابن فلان) بنصب ابن وصرف فلان وهما كنايتان عن اسمه واسم أبيه. وروى أحمد وأبو داود عن أبي الدرداء مرفوعاً: إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم[2]. (أتذكر يوم قلت كذا وكذا) أي مما لا يجوز في الشرع فكأنه يتوقف الرجل فيه ويتأمل فيما ارتكبه من معاصيه (فيذكره) بتشديد الكاف أي فيعلمه الله (ببعض غدراته) بفتح الغين المعجمة والدال المهملة جمع غدرة بالسكون بمعنى الغدر وهو ترك الوفاء، والمراد معاصيه لأنه لم يف بتركها الذي عهد الله إليه في الدنيا. (فيقول: يا رب أفلم تغفر لي) أي أدخلتني الجنة فلم تغفر لي ما صدر لي من المعصية (فيقول: بلى) أي غفرت لك (فبسعة مغفرتي) بفتح السين ويكسر (بلغت) أي وصلت (منزلتك هذه) قال الطيبي [رحمه الله]: عطف على مقدر، أي غفرت لك فبلغت بسعة رحمتي هذه المنزلة الرفيعة. والتقديم دل على التخصيص، أي بلوغك تلك

---

(١) البخاري في صحيحه ١١/ ٤٠٠ حديث رقم ٦٥٣٩. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٠٣ حديث رقم (٦٧ - ١٠١٦).

(٢) أبو داود في السنن ٥/ ٢٣٦. حديث رقم ٤٩٤٨.

فبينا هم على ذلك غشيتهم سحابةٌ من فوقهم، فأمطرتْ عليهم طِيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط، ويقول ربُنا: قوموا إلى ما أعددتُ لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتهم، فنأتي سوقاً قد حَفَّتْ به الملائكةُ، فيها ما لم تنظرِ العيونُ إلى مثلِه، ولم تسمعِ الآذانُ، ولم يخطرْ على القلوبِ، فيحملُ لنا ما اشتهينا، ليس يُباعُ فيها ولا يُشترى، وفي ذلكَ السوقِ يَلقى أهلُ الجنةِ بعضُهم بعضاً». قال: «فيُقبلُ الرجلُ ذو المنزلةِ المرتفعةِ، فيلقى مَن هو دونَه ـ وما فيهم دنيٌ ـ فيروعُه ما يرى عليه من اللباسِ،

المنزلة كائن بسعة رحمتي لا بعملك. (فبينا) وفي نسخة: فبينما. (هم) أي أهل الجنة (على ذلك) أي على ما ذكر من المحاضرة والمجاورة (غشيتهم) أي غطتهم (سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً) أي عظيماً (لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط، ويقول ربنا: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فنأتي سوقاً قد حفت) بتشديد الفاء، أي أحاطت (به الملائكة فيها كذا) في بعض الأصول المعتمدة موجود والمعنى عليه، أي في تلك السوق. (ما لم تنظر العيون) بضم العين وبكسر جمع العين إلى مثله، وهو في نسخ أكثر الشراح مفقود. فقال المظهر: ما موصولة والموصول مع صلته يحتمل أن يكون منصوباً بدلاً من الضمير المنصوب المقدر العائد إلى ما في قوله: ما أعددت. ويحتمل أن يكون في محل الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف، أي المعد لكم. وقال شارح: أو هو مبتدأ خبره محذوف أي فيها أقول وهو أحق وأوفق. وقال الطيبي [رحمه الله]: الوجه أن يكون ما موصوفة بدلاً من سوقاً (ولم تسمع لآذان) بمد الهمزة جمع الأذن، أي وما لم تسمع بمثله. (ولم يخطر) بضم الطاء، أي وما لم يمر مثله. (على القلوب) وهذا هو معنى الحديث القدسي المشهور: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. على ما رواه أبو هريرة أيضاً كما سبق. (فيحمل لنا) أي إلى قصورنا (ما اشتهينا) أي في تلك السوق من أنواع المرزوق (ليس يباع فيها ولا يشترى) الجملة حال من ما في ما اشتهينا وهو المحمول[1]، والضمير في يباع عائد إليه. (وفي ذلك السوق) هو يذكر ويؤنث فأنثه تارة وذكره أخرى والتأنيث أكثر وأشهر، أي وفي تلك السوق. (يلقى) أي يرى (أهل الجنة بعضهم بعضاً. قال:) أي النبي ﷺ أو أبو هريرة مرفوعاً حقيقة أو موقوفاً في حكم المرفوع (فيقبل) من الإقبال، أي فيجيء ويتوجه (الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه) أي في الرتبة والمنزلة (وما فيهم من دنيء) زيد من للمبالغة في نفي الاستغراق وهو في نسخة صحيحة بدون من كما في صدر الحديث (فيروعه) بضم الراء، أي يعجب الرجل (ما يرى) أي يبصره (عليه) أي على من دونه (من اللباس) بيان ما كذا ذكره شارح. والظاهر عكس مرجع الضميرين. قال الطيبي [رحمه الله]: الضمير المجرور يحتمل أن يرجع إلى من فيكون الروع مجازاً عن الكراهة مما هو عليه من اللباس، وأن يرجع إلى الرجل ذي المنزلة. فالروع بمعنى الإعجاب، أي يعجبه حسنه

---

(١) في المخطوطة «المجهول».

فما ينقضي آخرُ حديثِه حتى يتخيَّل عليه ما هو أحسن منه، وذلك أنّه لا ينبغي لأحدٍ أن يحزنَ فيها، ثمَّ ننصرفُ إلى منازلِنا، فيتلقانا أزواجُنا، فيقُلنَ: مرحباً وأهلاً لقد جئتَ وإنَّ بكَ من الجمالِ أفضلَ ممَّا فارقتَنا عليه، فيقول: إنَّا جالسْنا اليومَ ربَّنا الجبَّارَ، ويحِقُّنا أن ننقلبَ بمثلِ ما انقلبْنا». رواه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذيُّ: هذا حديث غريب.

٥٦٤٨ ـ (٣٧) وعن أبي سعيدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أدنى أهل الجنَّةِ الذي له ثمانونَ ألفَ خادمٍ، واثنتانِ وسبعونَ زوجةً، وتُنصَبُ له قُبَّةٌ من لؤلؤٍ وزبرجد وياقوتٍ كما بينِ الجابيةِ إلى صنعاءَ».

فيدخل في روعه ما يتمنى مثل ذلك لنفسه. ويدل عليه قوله: **(فما ينقضي آخر حديثه)** أي ما ألقي في روعه من الحديث وضمير المفعول فيه عائد إلى من. قال شارح: أي حديث من هو دونه مع الرجل الرفيع المنزلة. قلت: ويجوز قلب الكلام أيضاً **(حتى يتخيل عليه)** بصيغة الفاعل وفي نسخة بالبناء للمفعول، أي حتى يتصوّر له. **(أن عليه ما هو أحسن منه)** والمعنى يظهر عليه أن لباسه أحسن من لباس صاحبه **(وذلك)** أي سبب ما ذكر من التخيل **(لأنه)** أي الشأن **(لا ينبغي لأحد أن يحزن)** بفتح الزاي أي يغتم **(فيها)** أي في الجنة، فحزن هنا لازم من حزن بالكسر لا من باب تصرفاته متعد غير ملائم للمقام. **(ثم ننصرف)** أي نرجع ونعود **(إلى منازلنا فيتلقانا)** من التلقي، أي يستقبلنا. وفي نسخة: فيلقانا، من اللقي أي فيرانا. **(أزواجنا)** أي من نساء الدنيا ومن الحور العين **(فيقلن: مرحباً وأهلاً لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه. فنقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار. ويحقنا)** بكسر الحاء وتشديد القاف وفي نسخة بضم الحاء. ففي المصابيح: حق الشيء كضرب ونصر إذا ثبت. وفي القاموس: حق الشيء وجب ووقع بلا شك وحقه أوجبه لازم ومتعدياً. فالمعنى: يوجبنا ويلزمنا. ويمكن أن يكون من باب الحذف والإيصال، أي يحق لنا ويليق بنا. **(أن ننقلب بمثل ما انقلبنا)** أي من الانقلاب وهو الانصراف على وجه الكمال لأثر مجالسة ذي الجلال والجمال ومشاهدته المنزهة عن الحلول والاتحاد والاتصال والانفصال. **(رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: هذا حديث غريب)**.

٥٦٤٨ ـ **(وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أدنى أهل الجنة)** أي أقلهم خدماً ونساء **(الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان)** أي من نساء الدنيا **(وسبعون زوجة)** أي من الحور العين. وفي نسخة اثنان بالتذكير ولعل وجهه أنه ذكر باعتبار معنى الزوجة من لفظ الحور أو الزوج. **(وتنصب)** بصيغة المجهول، أي ويضرب ويرفع له. **(قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت)** قال القاضي [رحمه الله]: يريد أن القبة معمولة منها أو مكللة بها **(كما بين الجابية)** وهي مدينة بالشام **(إلى صنعاء)** وهي بلدة باليمن. قال شارح: هي قصبة باليمين. وقيل هي

الحديث رقم ٥٦٤٨: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٩٩ حديث رقم ٢٥٦٢. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٥٢ حديث رقم ٤٣٣٨. والدارمي ٢/ ٤٣٤ حديث رقم ٢٨٣٤. وأحمد في المسند ٣/ ٧٦.

وبهذا الإسنادِ، قال: «ومَن ماتَ من أهلِ الجنةِ من صغيرٍ أو كبيرٍ يُردونَ بَني ثلاثين في الجنةِ، لا يزيدون عليها أبداً، وكذلكَ أهلُ النارِ».

وبهذا الإسناد، قال: «إنَّ عليهمُ التيجانَ، أدنى لؤلؤةٍ منها لَتُضيءُ ما بينَ المشرقِ والمغربِ».

وبهذا الإسناد، قال: «المؤمنُ إذا اشتهى الولدَ في الجنةِ كانَ حملُه ووضعُه وسنُّه في ساعة كما يشتهي». وقال إسحاقُ بن إبراهيم في هذا الحديث: إذا اشتهى المؤمنُ في الجنةِ الولدَ

أوّل بلدة بنيت بعد الطوفان. والمعنى: أن فسحة القبة وسعتها طولاً وعرضاً وبعد ما بين طرفيه كما بين الموضعين. قال السيوطي [رحمه الله] في الجامع الصغير: رواه أحمد والترمذي وابن حبان والضياء عنه[1]. (وبهذا الإسناد) أي بالإسناد الواصل إلى أبي سعيد أيضاً قال: أي النبي ﷺ أو أبو سعيد مرفوعاً. وفي المصابيح وبه قال، أي بالإسناد المذكور. (قال: ومن مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون) أي يعودون وفيه تغليب لأنه لا رد في الصغير، أو المعنى يصيرون. (بني ثلاثين في الجنة) متعلق بقوله: يردون. (لا يزيدون عليها أبداً) أي زيادة مؤثرة في تغيير أبدانهم وأعضائهم وشعورهم وأشعارهم، وإلا فزمانهم في الجنة يتزايد أبد الآبدين. (وكذلك أهل النار) أي في العمر وعدم الزيادة ولعل اختيار هذا المقدار من أزمنة الأعمار للأبرار والكفار ليكون التنعم والعذاب على وجه الكمال في كل من دار البوار ودار القرار. قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: ما التوفيق بين هذا الحديث وبين ما رواه مسلم عن أبي هريرة في باب البكاء: «صغارهم دعاميص الجنة». أي داخلون على منازلهم لا يمنعون من موضع كما في الدنيا. قلت: في الجنة ظرف ليردون وهو لا يشعر [أنهم لم] يكونوا دعاميص قبل الرد. (وبهذا الإسناد قال: إن عليهم) أي على رؤوس أهل الجنة (التيجان) بكسر المثناة الفوقية جمع تاج (أدنى لؤلؤة منها لتضيء) بالتأنيث في النسخ ولعل وجهه أن المضاف اكتسب التأنيث من المضاف إليه. والمعنى: لتنور (ما بين المشرق والمغرب) فأضاء متعد، ويمكن أن يكون لازماً والتقدير: ليضيء به ما بينهما من الأماكن لو ظهرت على أهل الدنيا (وبهذا الإسناد قال: المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة) أي فرضاً وتقديراً (كان حمله) أي [حمل] الولد (ووضعه وسنه) أي كمال سنه وهو الثلاثون سنة (في ساعة) لأن الانتظار أشد من الموت ولا موت في الجنة ولا حزن. (كما يشتهي) من أن يكون ذكراً أو أنثى ونحو ذلك (وقال إسحاق بن إبراهيم:) رحمه الله، أي ابن حبيب البصري روى عن معمر بن سليمان وروى عنه أبو عبد الرحمٰن النسائي وغيره، مات سنة سبع وخمسين ومائتين. (في هذا الحديث) أي ذكر في بيان هذا الحديث (إذا اشتهى) أو في هذا الحديث دلالة على أنه إذا اشتهى (المؤمن في الجنة الولد

---

(١) الجامع الصغير ١/٢٦ حديث رقم ٣٢٤.

كان في ساعة ولكن لا يشتهي. رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

روى ابنُ ماجه الرابعةَ، والدارميُّ الأخيرةَ.

٥٦٤٩ ـ (٣٨) وعن عليّ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ في الجنةِ لمجتمعاً للحورِ العينِ يرفعنَ بأصواتٍ لم تسمعِ الخلائقُ مثلَها، يقلنَ: نحنُ الخالداتُ فلا نبيدُ، ونحنُ الناعماتُ فلا نبأسُ، ونحنُ الراضياتُ فلا نسخطُ، طوبى لمن كانَ لنا وكنّا له». رواه الترمذي.

كان [في ساعة]) أي حصل الولد في ساعة (ولكن لا يشتهي) فقوله: ولكن، هو المقول حقيقة. (رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب. وروى ابن ماجه الرابعة) أي الفقرة الرابعة من فقرات الحديث (والدارمي الأخيرة) وهي ما أورده إسحاق بن إبراهيم. وفي تيسير الوصول إلى جامع الأصول عن أبي رزين قال: قال رسول الله ﷺ: لا يكون لأهل الجنة ولد. أخرجه الترمذي، وزاد في رواية عن الخدري: إن اشتهى الولد كان حمله و[وضعه] وسنه في ساعة واحدة. قال بعضهم: لكن لا يشتهي.

٥٦٤٩ ـ (وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة لمجتمعاً) بفتح الميم الثانية أي موضعاً للاجتماع أو اجتماعاً (للحور العين) قال الراغب: الحور جمع أحور، وحوراء والحور. قيل: ظهور قليل من البياض في العين من بين السواد وذلك نهاية الحسن من العين، ويقال للبقر الوحشي أعين وعيناء لحسن عينها وجمعها عين، وبها شبه النساء قال تعالى: ﴿وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ [الواقعة ـ ٢٢ و٢٣]. وروى ابن ماجه [وابن] مردويه عن عائشة عنه ﷺ: الحور العين خلقهن من تسبيح الملائكة[1]. وروى ابن مردويه والخطيب عن أنس مرفوعاً: الحور العين خلقن من الزعفران[2]. إن قلت: ولا تنافي بين الحديثين لأن من تعليلية في الحديث الأول فتأمل. (يرفعن بأصوات) الباء الزائدة تأكيد للتعدية، أو أراد بالأصوات النغمات والمفعول محذوف، أي يرفعن أصواتهن بأنغام. (لم تسمع الخلائق مثلها يقلن: نحن الخالدات) أي الدائمات في الغنى والمغنى (فلا نبيد) من باد هلك وفني، أي فلا نفنى. (ونحن الناعمات) أي المتنعمات (فلا نبأس) أي فلا نصير فقيرات ومحتاجات إلى غير المولى (ونحن الراضيات) أي عن ربنا، أو عن أصحابنا. (فلا نسخط) في حال من الحالات (طوبى) أي الحالة الطيبة (لمن كان لنا وكنا له) أي في الجنات العاليات (رواه الترمذي).

الحديث رقم ٥٦٤٩: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٦٠٠ حديث رقم ٢٥٦٤. وأحمد في المسند ١/ ١٥٦.

(١) الجامع الصغير ١/ ٢١٤ حديث رقم ٣٨٥٥. ولم يروه ابن ماجه.

(٢) ذكره في الجامع الصغير ١/ ٢٣٤ حديث رقم ٣٨٥٤.

٥٦٥٠ ـ (٣٩) وعن حكيمِ بن معاويةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في الجنةِ بحرَ الماءِ، وبحرَ العسلِ، وبحرَ اللَّبنِ، وبحرَ الخمرِ، ثمَّ تشقَّقُ الأنهارُ بعدُ». رواه الترمذي.

٥٦٥١ ـ (٤٠) ورواه الدارميُّ عن معاوية.

الفصل الثالث

٥٦٥٢ ـ (٤١) عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ، قال: «إنَّ الرجلَ في الجنَّةِ ليتكيءُ في الجنةِ سبعينَ مَسْنداً

٥٦٥٠ ـ (وعن حكيم بن معاوية) أي النميري قال البخاري: في صحبته نظر. وروى عنه ابن أخيه معاوية بن حكيم وقتادة [رضي الله عنهم] كذا ذكره المؤلف. (قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد) قال الطيبي [رحمه الله]: يريد بالبحر مثل دجلة والفرات ونحوهما، وبالنهر مثل نهر معقل حيث تشقق من أحدهما ثم منه تشقق جداول انتهى. والظاهر أن المراد بالبحار المذكورة هي أصول الأنهار المسطورة في القرآن كما قال تعالى: ﴿فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى﴾ [محمد ـ ١٥]. وقوله: ثم تشقق بحذف إحدى التاءين أي تفترق الأنهار إلى الجداول بعد تحقق الأنهار إلى بساتين الأبرار وتحت قصور الأخيار، على أنه قد يقال: المراد بالبحار هي الأنهار وإنما سميت أنهاراً لجريانها بخلاف بحار الدنيا، فإن الغالب منها أنها في محل القرار. (رواه الترمذي) أي عن حكيم بن معاوية.

٥٦٥١ ـ (ورواه الدارمي عن معاوية) الظاهر أنه معاوية بن أبي سفيان لأن معاوية أبا حكيم لم يعرف كونه من الصحابة، ثم رأيت السيوطي [رحمه الله] قال في الجامع الصغير: رواه أحمد والترمذي عن معاوية بن حميدة لكنه لم يذكره المؤلف في أسمائه[1].

(الفصل الثالث)

٥٦٥٢ ـ (عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: إن الرجل في الجنة) أي في دار الجزاء (ليتكيء) أي ليعتمد ويستند (في الجنة) أي في جنته الخاصة به (سبعين مسنداً) بفتح الميم ويضم والنون مفتوحة لا غير وهو تمييز لسبعين وهو منصوب بنزع الخافض، أي

الحديث رقم ٥٦٥٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٦٠٣ حديث رقم ٢٥٧١. وأحمد في المسند ٥/ ٥.

الحديث رقم ٥٦٥١: أخرجه الدارمي في السنن ٢/ ٤٣٥ حديث رقم ٢٨٣٦.

(١) الجامع الصغير ١/ ٤٠ حديث رقم ٢٣١٦.

الحديث رقم ٥٦٥٢: أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٧٥.

قبلَ أن يتحوَّلَ، ثمَّ تأتيهِ امرأةٌ فتضربُ على منكبِه، فينظرُ وجهَه في خدِّها أصفى منَ المرآةِ، وإنَّ أدنى لؤلؤة عليها تضيءُ ما بينَ المشرقِ والمغربِ، فتسلِّمُ عليه، فيردُّ السلامَ، ويسألُها: مَن أنتِ؟ فتقول: أنا من المزيد، وإنَّه ليكونُ عليها سبعونَ ثوباً، فينفذُها بصرهُ، حتى يُرى مخُّ ساقِها من وراءِ ذلكَ، وإنَّ عليها من التيجانِ إنَّ أدنى لؤلؤة منها لتُضيءُ ما بينَ المشرقِ والمغربِ». رواه أحمد.

٥٦٥٣ ـ (٤٢) وعن أبي هريرة، أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يتحدَّثُ ـ وعنده رجلٌ من أهل البادية ـ: «إنَّ رجلاً

على سبعين مسنداً أو متكأ واحداً بعد واحد كل بلون وصنف من أنواع الزينة. (قبل أن يتحول) أي من شق إلى آخر وهو ظرف ليتكيء كما هو ظاهر. وأغرب الطيبي [رحمه الله] حيث قال: قوله: سبعين مسنداً. هذا يؤيد قول من فسر قوله تعالى: ﴿وفرش مرفوعة﴾ [الواقعة ـ ٣٤]. بأنها منضودة بعضها فوق بعض. وقوله: قبل أن يتحول. ظرف لقوله: يأتيه. ولا يخفى غرابة الأول في المعنى وغرابة الثاني في المبنى. (ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبه) وفي نسخة: منكبيه. أي ضرب الغنج والدلال وتنبيه على مطالعة الجمال. (فينظر) أي فيطالع الرجل فيرى (وجهه) أي عكسه (في خدها) أي من كمال صفائها وضيائها حال كون خدها. (أصفى من المرآة) أي أنور من جنس المرآة المعهودة في الدنيا (وإن أدنى لؤلؤة عليها) أي على تلك المرأة (تضيء ما بين المشرق والمغرب) أي لو كان في الدنيا (فتسلم) أي المرأة (عليه فيرد السلام) أي عليها (ويسألها من أنت فتقول: أنا من المزيد) يراد به ما في قوله تعالى: ﴿لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد﴾ [ق ـ ٣٥]. ومن المزيد أفضلها ما قاله سبحانه: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس ـ ٢٦]. أي الجنة ورؤية الله تعالى، وإنما سميت زيادة لأن الحسنى هي الجنة [وهي] ما وعد الله تعالى بفضله جزاء لأعمال المكلفين والزيادة فضل على فضل. (وإنه) أي الشأن (ليكون عليها) أي على المرأة (سبعون ثوباً) أي بألوان مختلفة وأصناف مؤتلفة (فينفذها) بضم الفاء، أي يدرك لطافة بدن المرأة. (بصره) أي نظر الرجل (حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك) أي ما ذكره من أنواع الثياب ولم يمنع بصره شيء من الحجاب. (وإن عليها من التيجان) أي المرصعة ما يقال في حقها (أن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب) وقيل إن بالكسر مزيدة واللام داخل في خبر إن الأولى نحو قوله تعالى: ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم﴾ [التوبة ـ ٦٣]. انتهى. والظاهر أنها إذا كانت مزيدة تكون اللام داخلة في خبر المبتدأ والجملة خبر إن الأولى، ثم لا شك أن الثانية في الآية غير مزيدة بل لزيادة تأكيد ومبالغة في النسبة. (رواه أحمد).

٥٦٥٣ ـ (وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يتحدث وعنده رجل من أهل البادية: إن رجلاً) بكسر الهمزة على الحكاية فهي من جملة ما يتحدث به، وفي بعض النسخ بفتحها على

الحديث رقم ٥٦٥٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٧. حديث رقم ٢٣٤٨. وأحمد في المسند ٢/ ٥١١.

من أهلِ الجنةِ استأذنَ ربَّه في الزرعِ. فقال له: ألستَ فيما شئتَ؟ قال: بلى، ولكني أحبُّ أن أزرعَ، فبذرَ، فبادرَ الطرفَ نباتُه واستواؤه، واستحصادُه، فكانَ أمثالَ الجبالِ. فيقولُ اللّهُ تعالى: دونكَ يا ابن آدمَ! فإنّه لا يشبِعُكَ شيءٌ». فقال الأعرابيُّ: واللّهِ لا تجدُه إلاّ قُرشيّاً أو أنصاريّاً، فإنهم أصحابُ زرعٍ؛ وأمّا نحنُ فلسْنا بأصحابِ زرعٍ! فضحكَ رسولُ الله ﷺ. رواه البخاريُّ.

٥٦٥٤ ـ (٤٣) وعن جابرٍ، قال: سألَ رجلٌ رسولَ الله ﷺ: أينامُ أهلُ الجنةِ؟ قال: «النومُ أخو الموتِ، ولا يموتُ أهلُ الجنةِ». رواهُ البيهقيُّ في «شعب الإيمان».

أنه مفعول يتحدث والجملة بينهما حالية معترضة. وقال الطيبي [رحمه الله]: هو بكسر الهمزة مفعول يتحدث على حكاية ما يلفظ به رسول الله ﷺ. وحاصله أن رجلاً (من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع) أي بناء على ما تعوده به في الدنيا أو لتنزهه به في العقبى (فقال:) أي ربه. وفي نسخة: فيقال له (ألست فيما شئت) أي من الأكل والشرب وسائر أنواع التنعم (قال: بلى، ولكني أحب أن أزرع فبذر) الفاء فصيح، أي فأذن له فيه فبذر، أي رمى البذر في أرض الجنة. (فبادر الطرف) بسكون الراء تحريك الجفون في النظر، أي فسابقه. (نباته) والمعنى فحصل نباته في الحال وكذا قوله: (واستواؤه واستحصاده) أي من غير مؤونة للحصاد من جانب العباد فكان أمثال الجبال (فيقول الله تعالى:) أي حينئذ (دونك يا ابن آدم) أي خذ ما تمنيته، قاله على سبيل التوبيخ تهجيناً لما التمسه ومن ثم رتب عليه قوله: (فإنه لا يشبعك شيء) أي كثير حتى في الجنة، وقد يوجد في تعارف الناس مثل هذا التوبيخ من القواعد المقررة أن كل إناء يرشح بما فيه وأن الناس يموتون كما يعيشون ويحشرون كما يموتون، أظهر النبي ﷺ هذا المعنى في لباس هذا المبنى. (فقال الأعرابي: والله لا تجده) أي هذا الرجل (إلا قرشياً) أي من أهل مكة (أو أنصارياً) أي من أهل المدينة فأو للتنويع (فإنهم) أي مجموع القبيلتين (أصحاب زرع) أي في الجملة وإن كان الأنصار أكثر زرعاً (فأما) بالفاء، وفي نسخة صحيحة: وأما. (نحن) أي معاشر أهل البادية (فلسنا بأصحاب زرع) أي فلا نشتهي مثل ذلك (فضحك رسول الله ﷺ) أي من فطانة البدوي أو من مسألة الخبتي وجوابه البديعي (رواه البخاري).

٥٦٥٤ ـ (وعن جابر رضي الله عنه قال: سأل رجل رسول الله ﷺ أينام أهل الجنة قال النوم أخو الموت ولا يموت أهل الجنة) أي فلا ينامون وهذا جواب بالدليل البرهاني وهو أوقع في النفس وأظهر في اطمئنان الإيمان من الجواب الإجمالي بأن قال لا (رواه البيهقي في شعب الإيمان).

الحديث رقم ٥٦٥٤: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٤/ ١٨٣ حديث رقم ٤٧٤٥.

(٦) باب رؤية الله تعالى

الفصل الأول

٥٦٥٥ - (١) عن جرير بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم سترون ربكم عياناً».

(باب رؤية الله تعالى)

من باب إضافة المصدر إلى مفعوله.

(الفصل الأول)

٥٦٥٥ - (عن جرير بن عبد الله) أي البجلي (قال: قال رسول الله ﷺ: إنكم) أي أيها المؤمنون (سترون ربكم) أي ستبصرونه. فقوله: (عياناً) بالكسر مصدر مؤكد، أو حال مؤكدة، إما من الفاعل أو المفعول، أي معاينين بكسر الياء أو معاياً بفتح الياء. والمعاينة رفع الحجاب بين الرائي والمرئي. ففي القاموس: لقيه عياناً، أي معاينة لم يشك في رؤيته إياه. وقال الطيبي [رحمه الله]: عياناً، أي جهاراً. ويجوز أن يكون من العين المحسوسة بالعين الظاهرة. وقال النووي [رحمه الله]: اعلم أن مذهب أهل السنة قاطبة أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلاً، وأجمعوا أيضاً على وقوعها في الآخرة أي نقلاً، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين. وزعمت طوائف من أهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلاً؛ وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح. وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة، على اثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين، ورواها نحو من عشرين صحابياً [رضي الله تعالى عنهم]، عن رسول الله ﷺ. وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مسطورة في كتب المتكلمين وغيرهم على السنة. وأما رؤية الله تعالى في الدنيا فممكنة. ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم على أنها لا تقع في الدنيا. وحكى الإمام أبو القاسم القشيري [رحمه الله تعالى] في رسالته المعروفة عن الإمام أبي بكر بن فورك، أنه حكى فيها قولين للإمام أبي الحسن الأشعري [رحمه الله]. أحدهما وقوعها، والثاني لا تقع. ثم مذهب أهل الحق، أن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه ولا يشترط فيها الأشعة ولا مقابلة

الحديث رقم ٥٦٥٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٤١٩/١٣١ حديث رقم ٧٤٣٥ ومسلم ٤٣٩/١ حديث رقم (٢١١ - ٦٣٣) وأخرجه أبو داود ٩٧/٥ حديث رقم ٤٧٢٩. وأخرجه الترمذي ٥٩٢/٤ حديث ٢٥٥١. وابن ماجه ٦٣/١ حديث رقم ١٧٧. والدارمي ٤١٩/٢ حديث رقم ٢٨٠١. وأحمد في المسند ١٦/٣.

وفي رواية: قال: كنّا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظرَ إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلَبُوا على صلاةٍ قبلَ طلوعِ الشمسِ وقبلَ غروبِها فافعلوا». ثمّ قرأ: ﴿وسبّح بحمد ربك قبل طلوع

المرئي[1] ولا غير ذلك، ولكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضاً بوجود ذلك على وجه الاتفاق، لا على سبيل الاشتراط. وقد قرر أئمتنا المتكلمون ذلك بالدلائل الجلية. ولا يلزم من رؤية الله تعالى إثبات جهة له تعالى عن ذلك، بل يراه المؤمنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة. قلت: وكما يرانا هو لا في جهة ولا مقابلة ولا غير ذلك. والحاصل أنه لا يقاس الغائب بالشاهد، لا سيما الخالق بالمخلوق. ولذا قيل: لا يقاس الملوك بالحدادين. **(وفي رواية)** أي عن جرير **(قال: كنا جلوساً)** أي جالسين **(عند رسول الله ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر)** قال: الأكمل. أي البدر الكامل، وسمي ليلة أربعة عشر بدراً لمبادرته الشمس بالطلوع. **(فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر)** أي المحسوس المشاهد المرئي. ثم استأنف وقال، أو ذكر على سبيل بيان الحال. **(لا تضامون)** بضم التاء وتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم. قال الحافظ ابن حجر، وهو الأكثر: أي لا يظلم بعضكم بعضاً بالتكذيب والإنكار. وفي نسخة بفتح التاء وتشديد الميم من التضام بمعنى التزاحم، وفي أخرى بالضم والتشديد من المضامة وهي المزاحمة، وهو حينئذ يحتمل كونه للفاعل والمفعول. وحاصل معنى الكل، لا تشكون. **(في رؤيته)** أي في رؤية القمر ليلة البدر. قال في جامع الأصول: قد يخيل إلى بعض السامعين أن الكاف في قوله: كما ترون. كاف التشبيه للمرئي، وإنما هو كاف التشبيه للرؤية وهو فعل الرائي. ومعناه: ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك. كرؤيتكم القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تمترون. قال: ولا تضامون. روي بتخفيف الميم من الضيم الظلم. المعنى أنكم ترونه جميعكم، لا يظلم بعضكم بعضاً في رؤيته. فيراه البعض دون البعض. وبتشديد الميم من الانضمام بمعنى الازدحام، أي لا يزدحم بعضكم بعضاً في رؤيته، ولا يضم بعضكم إلى بعض من ضيق. كما يجري عند رؤية الهلال مثلاً دون رؤية القمر، فإنه يراه كل منكم موسعاً عليه منفرداً به. **(فإن استطعتم أن لا تغلبوا)** بصيغة المجهول، أي لا تصيروا مغلوبين **(على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا)** أي ما ذكر من الاستطاعة أو عدم المغلوبية. قال القاضي [رحمه الله]: ترتيب قوله إن استطعتم، على قوله سترون بالفاء، يدل على أن المواظب على إقامة الصلوات والمحافظ عليها، خليق بأن يرى ربه. وقوله: لا تغلبوا، معناه لا تصيروا مغلوبين بالاشتغال عن صلاتي الصبح والعصر. وإنما خصهما بالحث لما في الصبح من ميل النفس إلى الاستراحة والنوم، وفي العصر من قيام الأسواق واشتغال الناس بالمعاملات. فمن لم يلحقه فترة في الصلاتين مع مالهما من قوة المانع، فبالحري أن لا تلحقه في غيرهما والله [تعالى] أعلم. **(ثم قرأ)** أي النبي ﷺ، استشهاداً أو جرير[2] اعتقاداً **(﴿وسبح﴾)** بالعطف على ما قبله وهو قوله سبحانه: ﴿فاصبر على ما يقولون وسبح﴾. **(﴿بحمد ربك قبل طلوع**

---

(١) في المخطوطة «الرائي». (٢) في المخطوطة «جريراً».

الشمسِ وقبل غروبها ﴾. متفق عليه.

٥٦٥٦ ـ (٢) وعن صهيب، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخلَ أهلُ الجنة الجنّةَ يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدُكم؟ فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلْنا الجنةَ وتُنجِنا من النّار؟» قال: «فيُرفعَ الحجاب، فينظرون إلى وجه الله، فما أُعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم» ثم تلا: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾. رواه مسلم.

الشمس وقبل غروبها)﴾[1]. أي وصل في هذين الوقتين. وعبر عن الكل بالجزء، وهو التسبيح المراد به الثناء في الافتتاح المقرون بحمد الرب المشتمل عليه سورة الفاتحة. ويدل على هذا المعنى ما بعده، وهو قوله: ﴿ومن آناء الليل ﴾. أي ساعاته، وهو العشاءان ﴿فسبح وأطراف النهار ﴾، أي طرفيه وهو وسطه يعني الظهر ﴿لعلك ترضى ﴾ [طه ـ ١٣٠] . بالفتح والضم. أي على رجاء أن تكون راضياً أو مرضياً، أو جمعاً مثبتاً، أو المراد بالتسبيح، تنزيه الرب عن الشريك ونحوه من صفات النقصان والزوال والحدوث والانتقال. والمراد بحمده، ثناء الكمال بنعت الجمال ووصف الجلال. (متفق عليه). وفي الجامع[2] رواه أحمد والشيخان والأربعة عنه، لكن بغير قراءة الآية.

٥٦٥٦ ـ (وعن صهيب) مصغراً (عن النبي ﷺ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى: تريدون) أي أتريدون، (شيئاً أزيدكم) أي على عطاياكم (فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا) بتشديد الجيم ويخفف، أي [و] ألم تخلصنا. (من النار) أي من دخولها [وخلودها] . قال الطيبي [رحمه الله]: تقرير وتعجيب من أنه كيف يمكن الزيادة على ما أعطاهم الله تعالى من سعة فضله وكرمه. وقوله: (فيرفع الحجاب) بصيغة المجهول. ورفع الحجاب رفع للتعجب. كأنه قيل لهم هذا هو المزيد. والله سبحانه [وتعالى] منزه عن الحجاب، فإنه محبوب غير محجوب، إذ المحجوب مغلوب. فالمعنى: فيرفع الحجاب عن أعين[3] الناظرين كما يدل عليه قوله: (فينظرون إلى وجه الله) أي ذاته المنزهة عن الصورة والجهة ونحو ذلك. (فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم. ثم تلا: ﴿للذين أحسنوا﴾) أي العمل في الدنيا بأن أجادوه مقروناً بالإخلاص. (﴿الحسنى﴾) أي المثوبة الحسنى، وهي الجنة. (﴿وزيادة﴾)[4] أي النظر لوجهه الكريم، وتنكيرها للتعظيم. أي زيادة عظيمة لا يعرف قدرها ولا يكتنه كنهها. قال الطيبي [رحمه الله]: وإذا كان مفسر التنزيل من نزل عليه فمن تعداه فقد تعدى طوره، أقول: أراد به الزمخشري في عدوله عنه إلى التأويل، وكذا من تبعه كالبيضاوي حيث عبر بالقيل عن هذا القول الجميل الثابت ممن نزل عليه التنزيل. (رواه مسلم).

---

(١) سورة طه . آية ١٣٠.
(٢) الجامع الصغير ١/ ١٥٢ حديث ٢٥٣٧.

الحديث رقم ٥٦٥٦: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٦٣ حديث رقم (٢٩٧ . ١٨١). والترمذي ٤/ ٥٩٣ حديث رقم ٢٥٥٢. وأحمد في المسند ٦/ ١٥.

(٣) في المخطوطة «عين».
(٤) سورة يونس . آية ٢٦.

الفصل الثاني

٥٦٥٧ ـ (٣) عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أدنى أهل الجنّة منزلة لمَن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسُرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيّة» ثم قرأ: ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة

(الفصل الثاني)

٥٦٥٧ ـ (عن ابن عمر رضي الله [تعالى] عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: إن أدنى أهل الجنة منزلة) أي أقلهم مرتبة (لمن ينظر إلى جنانه) بكسر الجيم أي بساتينه (وأزواجه) أي نسائه وحوره (ونعيمه) أي ما يتنعم به (وخدمه) أي من الولدان (وسرره مسيرة ألف سنة) أي حال كون جنانه، وما عطف عليه كائنة في مسافة ألف سنة. والمعنى، أن ملكه مقدار تلك المسافة. قيل هو كناية عن كون الناظر يملك في الجنة ما يكون مقداره مسيرة ألف سنة، لأن الملكية في الجنة خلاف ما في الدنيا. وفي التركيب تقديم وتأخير، إذ جعل الاسم وهو قوله: لمن ينظر. خبراً، والخبر وهو أدنى منزلة اسماً، اعتناء بشأن المقدم لأن المطلوب بيان ثواب أهل الجنة وسعتها، وأن أدناهم منزلة من يكون ملكه كذا. ونحوه قوله تعالى: ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ [القصص ـ ٢٦] . خبراً (وأكرمهم) بالنصب عطفاً على أدنى، وفي نسخة بالرفع عطفاً على مجموع اسم إن وخبرها. أي وأكثرهم كرامة على الله وأعلاهم منزلة وأقربهم رتبة عنده سبحانه. (من ينظر إلى وجهه) أي ذاته (غدوة) بضم الغين (وعشية) أي صباحاً ومساءً. ولهذا وصى بالمحافظة على صلاتي طرفي النهار كما مر. أو المراد بهما أن يكون النظر دواماً، على أن الغدوة عبارة عن النهار والعشية عبارة عن الليل مجازاً بذكر الجزء وإرادة الكل، أو بذكر أول الشيء وإرادة تمامه. لكن الأول أظهر، لأنه لو كان النظر على وجه الدوام لما انتفعوا بسائر النعيم وقد خلقت لهم، ومما يؤيده أيضاً ما رواه الحاكم عن بريدة مرفوعاً: إن أهل الجنة يدخلون على الجبار كل يوم مرتين فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرىء منهم مجلسه[1] الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزمرد والذهب والفضة بالأعمال، فلا تقر أعينهم قط كما تقر بذلك ولم يسمعوا شيئاً أعظم منه ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلى رحالهم وقرة أعينهم ناعمين إلى مثلها من الغد[2]. (ثم قرأ: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾) أي ناعمة

الحديث رقم ٥٦٥٧: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٦٤ والترمذي ٤/ ٥٩٣ حديث ٢٥٥٣.

(١) في المخطوطة «مجلس».

(٢) هذا الحديث غير موجود عند الحاكم بل هو للحكيم كما نسبه الإمام السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٣٥ حديث ٢٢٣٤.

إلى ربّها ناظرة ﴾. رواه أحمد، والترمذي.

٥٦٥٨ - (٤) وعن أبي رزين العقيلي، قال: قلت: يا رسول الله! كلُّنا يرى ربّه مُخلياً به يوم القيامة؟ قال: «بلى». قال: وما آيةُ ذلك في خلقه؟ قال: «يا أبا رزين! أليس كلُّكم يَرى القمرَ ليلةَ البدرِ مُخْلياً به؟» قال: بلى. قال: «فإنما هو خَلْقٌ من خَلْقِ الله، والله أجلُّ وأعظم».

غضة حسنة. والمراد بالوجوه، الذوات أو خصت لشرفها ولظهور أثر النعمة عليها. ﴿إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة - ٢٢ - ٢٣] قال الطيبي [رحمه الله]: قدم صلة ناظرة إما لرعاية الفاصلة وهي ناضرة باسرة فاقرة، وإما لأن الناظر يستغرق عند رفع الحجاب بحيث لا يلتفت إلى ما سواه. وكيف يستبعد هذا والعارفون في الدنيا بما استغرقوا في بحار الحب بحيث لم يلتفتوا إلى الكون. ويعضده حديث جابر في آخر الفصل الثالث: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه. (رواه أحمد والترمذي) وكذا الطبراني. وروى هناد في الزهد عن عبيد بن عمير مرسلاً: إن أدنى أهل الجنة منزلاً لرجل له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها[١].

٥٦٥٨ - (وعن أبي رزين العقيلي) مصغراً (قال: قلت: يا رسول الله أكلنا) أي أجميعنا معاشر المؤمنين. (يرى ربه) أي يبصرونه، والإفراد في يرى باعتبار لفظ كل. (مخلياً به) بميم مضمومة فخاء معجمة ساكنة فلام مكسورة فتحتية مخففة، أي خالياً بربه بحيث لا يزاحمه شيء في الرؤية. (يوم القيامة) وقيل بفتح ميم وتشديد تحتية، وأصله مخلوي كذا ذكره الجزري [رحمه الله]. واقتصر ابن الملك على الثاني. والمعنى منفرداً به. ففي النهاية يقال: خلوت به ومعه وإليه، اختليت به إذا انفردت به، أي كلكم يراه منفرداً بنفسه. كقوله: لا تضارون في رؤيته. (قال: بلى) أي نعم، كلنا يرى ربه. (قال:) أي أبو رزين (قلت:) وهو موجود في أكثر النسخ المصححة، والمعنى عليه. (وما آية ذلك) أي [ما] علامة رؤية كلنا ربه بحيث لا يزاحمه شيء، والمعنى مثل لنا ذلك[٢]. (في خلقه) أي مخلوقاته نظيراً لذلك، فإن الله تعالى جعل في الدنيا أنموذجاً لجميع ما في العقبى. (قال: يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخلياً به. قال: بلى). أي قلت: بلى، (قال: فإنما هو) أي القمر (خلق من خلق الله) أي ويراه كلنا (والله أجل) أي أكمل مرتبة (وأعظم) أي أفضل منقبة [وأعلى قدرة]، لأنه واجب الوجود فهو أولى في نظر العقل بالشهود. قال الطيبي [رحمه الله]: قاس القائل رؤية الله تعالى على ما في المتعارف، فإن الجم الغفير إذا رأوا شيئاً يتفاوتون في الرؤية، لا سيما شيئاً له نوع خفاء،

---

(١) ذكره في الجامع الصغير ١/ ١٣٣ حديث ٢١٩٥.

الحديث رقم ٥٦٥٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٩٩ حديث رقم ٤٧٣١ وابن ماجه ١/ ٦٤ حديث رقم ١٨٠ وأحمد في المسند ٤/ ١١.

(٢) في المخطوطة بين «لنا ذلك» و «مثل».

رواه أبو داود.

الفصل الثالث

٥٦٥٩ ـ (٥) عن أبي ذر، قال: سألت رسولَ الله ﷺ: هل رأيت ربَّك؟ قال: «نورٌ أنّى أراه».

فيضيم بعضهم بعضاً بالازدحام. فمن راه يرى رؤية كاملة وراه دونها. فالمراد بقوله: مخلياً، إثبات كمالها. ولذا طابق الجواب بالتشبيه بالقمر ليلة البدر لا بالهلال. **(رواه أبو داود)**.

(الفصل الثالث)

٥٦٥٩ ـ **(عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ، هل رأيت ربك)** أي في ليلة المعراج **(قال: نور)** أي هو نور عظيم. والمراد، أنه نور الأنوار، ومنه قوله تعالى: ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ [النور ـ ٣٥] . أي منورهما ومظهر أنوار ما فيهما من الشمس والقمر والكواكب وأمثال ذلك. ومن أسمائه النور، وهو الذي ظاهر بنفسه ومظهر لغيره على ما ذكره المحققون. **(أنّي)** بفتح الهمزة وتشديد النون على ما في أكثر النسخ، أي كيف. **(أراه)** أي أبصره، فإن كمال النور يمنع الإدراك. وفي بعض النسخ: نوراني بتشديد الياء للنسبة لزيادة الألف والنون للمبالغة كالرباني. وحينئذ قوله أراه، بمعنى أظنه من الرؤية بمعنى الرأي. فلو قرىء بضم الهمزة لكان أظهر في هذا المعنى، ويمكن أن يكون بمعنى أبصره، إيماء إلى أنه ما رآه في الدنيا وسيراه في الأخرى. أو مراده، أبصرته، والعدول إلى الاستقبال لحكاية الحال الماضية. فكأنه يستحضره ويتلذذ به. قال ابن الملك: اختلف في رؤيته في تلك الليلة، وفي الحديث دليل للفريقين على اختلاف الروايتين، لأنه روي بفتح الهمزة وتشديد النون المفتوحة، فيكون استفهاماً على [سبيل] الإنكار. وروي بكسر النون، فيكون دليلاً للمثبتين ويكون حكاية عن الماضي بالحال انتهى. وقال الإمام أحمد في قوله نوراني: أراه بتشديد النون، يعني على طريق الايجاب. قال الطيبي [رحمه الله]: أراد ليس الاستفهام على معنى الإنكار المستفيد للنفي، بل للتقرير المستلزم للإيجاب، أي نور حيث أراه. قال النووي [رحمه الله]: وفي الرواية الأخرى رأيت نور،أنّي بفتح الهمزة وتشديد النون المفتوحة، هكذا رواه جميع الرواة في جميع الأصول. ومعناه حجابه نور فكيف أراه. قال الإمام المازري رحمه الله: معناه أن النور منعني من الرؤية كما جرت العادة، فإن كمال النور يمنع الإدراك. وروي نوراني منسوب إلى النور. وما جاء من تسمية الله تعالى بالنور في مثل قوله سبحانه: ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ [النور ـ ٣٥] . وفي الأحاديث معناه ذو نور أو منورهما. وقيل هادي أهلهما، وقيل منور

الحديث رقم ٥٦٥٩: أخرجه مسلم ١٥٨/١ حديث (٢٨٥ . ١٧٥) والترمذي ٣٦٩/٥ حديث ٣٢٨٢.

رواه مسلم.

٥٦٦٠ ـ (٦) وعن ابن عبَّاس: ﴿ما كذب الفؤادُ ما رأى﴾... ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين.

قلوب عباده المؤمنين. قلت: ويؤيده قوله: ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ [النور ـ ٣٥]. (رواه مسلم).

٥٦٦٠ ـ (وعن ابن عباس رضي الله عنهما) أي في قوله تعالى: (﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾[١] ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾[٢]. قال:) أي ابن عباس (رآه بفؤاده مرتين) قال صاحب المدارك[٣]: أي ما كذب فؤاد محمد ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه [الصلاة] والسلام، أي ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك، ولو قال ذلك لكان كاذباً لأنه عرفه، يعني أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه، ولم يشك في أن ما رآه حق. وقيل: المرئي هو الله سبحانه، رآه بعين رأسه. وقيل: بقلبه. وفي شرح مسلم للنووي، قال ابن مسعود: رأى رسول الله ﷺ جبريل. وهذا الذي قال هو مذهبه في هذه الآية. وذهب الجمهور من المفسرين إلى أن المراد أنه رأى ربه سبحانه، ثم اختلفوا. فذهب جماعة إلى أنه ﷺ رأى ربه بفؤاده دون عينه، وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه. قال الإمام أبو الحسن الواحدي: قال المفسرون [رحمهم الله]: هذا إخبار عن رؤية النبي ﷺ ربه عزَّ وجلَّ ليلة المعراج. قال ابن عباس وأبو ذر وإبراهيم التيمي: رآه بقلبه. وعلى هذا، رأى بقلبه ربه رؤية صحيحة، وهو أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده، أو خلق لفؤاده بصراً حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين. قلت: وهذا قول حسن ووجه مستحسن يمكن به الجمع بين متفرقات الأقوال والله [تعالى] أعلم بالحال. ثم قال الواحدي: ومذهب جماعة من المفسرين أنه رأى بعينه، وهو قول أنس وعكرمة والربيع. قال المبرد: إن الفؤاد رأى شيئاً فصدق فيه. وما رأى في موضع النصب، أي ما كذب الفؤاد مرئيه. وقال القاضي عياض [رحمه الله]: اختلف السلف والخلف، هل رأى نبينا ﷺ ربه ليلة الإسراء، فأنكرته عائشة، وهو المشهور عن ابن مسعود. وإليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين. وروي ابن عباس أنه رأى بعينه، ومثله عن أبي ذر وكعب والحسن كان يحلف على ذلك، وحكي مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل. وحكى أصحاب المقالات عن أبي الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه [رضي الله تعالى عنهم] أنه رآه. ووقف بعض مشايخنا وقال [ليس] عليه دليل واضح، ولكنه جائز، ورؤية الله تعالى في الدنيا جائزة. واختلفوا أن نبينا ﷺ، هل كلم ربه سبحانه وتعالى ليلة الإسراء بغير واسطة أم لا. فحكي عن الأشعري

الحديث رقم ٥٦٦٠: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٦١ حديث رقم (٢٩١ ـ ١٧٨) والترمذي ٥/ ٣٦٨ حديث رقم ٣٢٧٩.

(١) سورة النجم. آية رقم ١١. (٢) سورة النجم. آية رقم ١٣.

(٣) «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» للإمام حافظ الدين عبد الله بن عمر النسفي ت ٧٠١.

رواه مسلم.

وفي رواية الترمذي قال: رأى محمد ربه. قال عكرمة: قلتُ: أليس الله يقول: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾؟ قال: ويحك! ذاك إذا تجلّى بنوره الذي هو نوره،

وقوم من المتكلمين أنه كلمه، وعزاه بعضهم إلى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس. وكذلك اختلفوا في قوله تعالى: ﴿ثم دنا فتدلى﴾ [النجم - ٨] . فالأكثرون على أن هذا الدنو والتدلي منقسم ما بين جبريل والنبي عليهما الصلاة والسلام. وعن ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم [رضي الله تعالى عنهم] ، أنه دنو من النبي ﷺ إلى ربه [تعالى] ، أو من الله [تعالى] له عليه الصلاة والسلام، والدنو والتدلي على هذا متأول ليس على وجه. قال جعفر بن محمد وغيره: الدنو من الله لا حد له، ومن العباد بالحدود. فدنوه عليه الصلاة والسلام من ربه عز وجلّ قربه منه وظهور عظيم منزلته لديه وإشراق أنوار معرفته عليه، واطلاعه على أسرار ملكوته وغيبه بما لم يطلع عليه سواه. والدنو من الله إظهار ذلك له وإيصال عظيم بره وفضله إليه؛ وقاب قوسين أو أدنى على هذا عبارة عن لطف المحل وإيضاح المعرفة والإشراف على الحقيقة من نبينا ﷺ. ومن الله إجابة الرغبة وإنابة الرتبة. ونحوه ﷺ حكاية عن ربه: «من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً»[1]. هذا آخر كلام القاضي عياض [رحمه الله] . وقد أوردت بعض الفوائد من هذه الرياض في رسالتي المدراج للمعراج. (رواه مسلم).

(وفي رواية الترمذي قال:) أي ابن عباس (رأى محمد ربه) أي بفؤاده لئلا يخالف رواية مسلم. وقيل: أي بعينه. وهو الظاهر من الإطلاق الملائم لما بعده من السؤال. وإلا فرؤية الفؤاد غير منكرة بالإجماع أهل الكمال، ولا يعتري عليها اعتراض نقلاً ولا عقلاً في كل حال. (قال عكرمة: قلت: أليس الله يقول: ﴿لا تدركه الأبصار [وهو يدرك الأبصار]﴾[2] قال:) أي ابن عباس (ويحك) كلمة تقال عند الشفقة وحال خوف المزلقة. (ذاك) أي الإدراك الكلي (إذا تجلى بنوره) أي الخالص (الذي هو نوره) أي الذاتي. وهذا الجواب بظاهره أنه أراد الرؤية بالفؤاد. وفهم عكرمة خلاف ذلك فرد عليه بأن رؤيته بالعين إنما هي في الآخرة بالتجلي الخاص الكامل العام لكل مؤمن، لكن على قدر مراتبهم في المعرفة. وعدلاً كلاهما عن المعنى المشهور في الإدراك، وهو الإحاطة المنفية بالإجماع لقوله تعالى: ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ [طه - ١١٠] . وقال الطيبي: قوله ذاك إذا تجلى بنوره. يعني دلت الآية على أنه تعالى لا يحيط به وبحقيقة ذاته حاسة الأبصار، وهذا إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وظهر بصفة الجلال. وأما إذا تجلى بما يسعه نطاق البشرية من صفات الجمال فلا استبعاد اذن انتهى. وقال صاحب الخلاصة: فهم عكرمة من قول ابن عباس: رآه بفؤاده أنه رآه بعينه لكن بمساعدة

---

(١) البخاري ١٣/٥١١ حديث رقم ٧٥٣٦. ومسلم ٤/٢٠٦١ حديث ٢٦٧٥.

(٢) سورة الأنعام. آية رقم ١٠٣.

فؤاده، فلذلك تمسك بالآية. ولو كان المراد أنه كانت الرؤية بالفؤاد جلية كالرؤية البصرية، لم يتجه السؤال بالآية، إلا أن تحمل الآية على أن المراد نفي الإدراك الذي يكون كالإدراك البصري في الجلاء. وإنما خص ذكر البصر لأنه محل الإدراك بحسب العادة. والظاهر أن سؤال عكرمة كان على قول ابن عباس: رأى محمد ربه كما هو. رواية الترمذي لا على قوله: رآه بفؤاده. كما هو رواية مسلم. وحينئذ لا اشكال في الاستدلال بالآية الكريمة. ومعنى جواب ابن عباس، أنه إذا تجلى بنوره على ما هو عليه اضمحل الإدراك، وأما إذا كان تجلى على قدر ما يفي بإدراكه القوة البشرية فإنه يدرك على ذلك الوجه. ثم قوله: (وقد رأى ربه مرتين) يحتمل أنه رآه بفؤاده مرتين، وهو الظاهر الموافق لما في صحيح مسلم. أو مرة بفؤاده ومرة بعينه. إذ لم يقل أحد أنه رآه بعينه مرتين. والحاصل أنه ليس في كلام ابن عباس صريح دلالة على أن مراده رؤية ربه بعين البصر. وأما صاحب التحرير فإنه اختار إثبات الرؤية. فقال الحجج في هذه المسألة وإن كانت كثيرة، لكنا لا نتمسك إلا بالأقوى. منها حديث ابن عباس: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم [عليه الصلاة والسلام] والكلام لموسى [عليه الصلاة والسلام] والرؤية لمحمد عليه الصلاة والسلام[1]. قلت: ليس في كلامه نص، على أن المراد به الرؤية البصرية لاحتمال أن يكون رؤية البصيرة من خصائصه أيضاً. مع أن ظاهر هذا الكلام أن لا يكون لنبينا ﷺ وصف الخلة ونعت الكلام، مع أنهما ثابتان له عليه الصلاة والسلام على ما ذكره العلماء الأعلام. ثم قال: والأصل في الباب حديث ابن عباس حبر الأمة والمرجوع إليه في المعضلات، وقد راجعه ابن عمر في هذه المسألة. هل رأى محمد صلوات الله عليه وسلامه ربه فأخبره أنه رآه. قلت: يحتمل أن يكون سؤال ابن عمر [رضي الله تعالى عنهما]. وكذا سؤال عكرمة ناشئاً عن تفسير قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ [النجم ـ ١٣]. هل الضمير راجع إلى جبريل أو إلى الله سبحانه. فأخبره أنه رآه أي بفؤاده كما يدل عليه ما رواه مسلم في صحيحه. قال: ولا يقدح في هذا حديث عائشة [رضي الله عنها] لأنها لم تخبر أنها سمعت من النبي ﷺ يقول: لم أر ربي[2]. قلت: وكذا ابن عباس، لم يخبر أنه سمع النبي ﷺ يقول: ما رأيت ربي مطلقاً. فضلاً عن أن يكون مقيداً بعين البصر قال: وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله﴾ [الشورى ـ ٥١] الآية. ولقوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ [الأنعام ـ ١٠٣]. قلت: هاتان الآيتان سندان لمنعها، على أن ابن عباس أيضاً متأول كما لا يخفى على متأمل. قال: وإذا صحت الروايات عن ابن عباس [رضي الله عنهما] في إثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها، فإنها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن، وإنما يتلقى بالسماع. ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد. قلت: الرؤية ببصر العين غير مصرحة عنه، وعلى تقدير [الآية] التسليم، فلا شك

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٦٩.

(٢) وهو الحديث رقم ٥٦٦١.

. . . .

أنه نشأ من باب اجتهاده وأخذه من إطلاق الآية. قال: وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس، عائشة ما عندنا بأعلم من ابن عباس. قلت: هذا مع ما فيه من المناقشة لا يفيد فائدة تامة، مع أنها ليست منفردة في هذا الباب، بل يوافقها ابن مسعود وغيره من الأصحاب. ثم على تقدير التعارض وتساقط التناقض، يثبت كلامها ويتحقق مرامها. قال: ثم إن ابن عباس أثبت شيئاً نفاه غيره، والمثبت مقدم على النافي. قلت: هذا إذا كان الإثبات مستنداً إلى حسن، وإلا فمن آداب البحث أن كلام المانع معتبر، لا سيما مع سند المنع، حتى يأتي الخصم ببرهان جلي. إذ الأصل هو العدم. فالوجود يحتاج إلى تحقق بدليل قطعي من النقل أو العقل، هذا آخر كلام صاحب التحرير وما يترتب عليه من التقرير. فقال الإمام النووي: الحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء وإثبات هذا ليس إلا بالسماع من رسول الله ﷺ، وهذا مما لا[1] ينبغي أن يشك فيه. قلت: ولا ينبغي أن يجزم به أيضاً [العدم] ثبوت السماع أصلاً، فضلاً عن أن لا يكون طريقه قطعاً وفصلاً، وإلا لما وقع فيه خلاف للأقل أو الأكثر فتأمل وتدبر. قال: ثم إن عائشة لم تنف الرؤية بحديث، ولو كان معها حديث لذكرته. قلت: وكذا ابن عباس لم يثبت الرؤية بحديث ولو كان معه حديث لذكره، وإنما أخذه من إطلاق الآية المتقدمة لو ثبت النقل صريحاً عنه من إثبات الرؤية بعين البصر. وقد علم أيضاً مما سبق أن عائشة مانعة للرؤية المذكورة وما ذكرته من الأدلة فإنما هي سند منعها للتقوية وليست مستدلة، حتى يقال في حقها ما قال، وإنما اعتمدت على الاستنباط من الآيات. أما احتجاجها بقوله تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ [الأنعام - ١٠٣]. فجوابه أن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لا يحاط [به]، فإذا ورد النص بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة. قلت: سبق سؤال عكرمة مطابقاً لما فهمت عائشة من الآية، وكذا تقرير ابن عباس هذا المعنى. وجوابه على غير هذا المبنى وإن كان هذا جواباً حسناً في نفس الأمر كما لا يخفى. قال: ولقوله تعالى: ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله**﴾ [الشورى - ٥١] الآية. فجوابه أنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية، فيجوز وجود الرؤية من غير كلام. قلت: الظاهر أن هذا المعنى أخذ من سياق قوله تعالى: ﴿**فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾ [النجم - ٩ و١٠]. حيث استدل الخصم به على الجمع بين كمال القرب، والوحي الخاص المراد به الكلام من غير واسطة، فدفعته بقوله تعالى: ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً**﴾ أي [بالإلقاء بالقلب] ﴿**أو من وراء حجاب**﴾ [الشورى - ٥١]. أي أو تكليماً ظاهراً أيدركه سمع القلب، لكن من وراء الحجاب والله [تعالى] أعلم بالصواب. وفي التفسير الكبير[2] اعلم أن النصوص وردت أن محمداً ﷺ رأى ربه بفؤاده وجعل بصره في فؤاده، أو رآه ببصره وجعل فؤاده في بصره، وكيف لا ومذهب أهل

---

(١) في المخطوطة «كان».

(٢) «التفسير الكبير» ويعرف أيضاً بـ «مفاتيح الغيب» للإمام فخر الدين الرازي ت (٦٠٦).

وقد رأى ربَّه مرتَّين.

٥٦٦١ ـ (٧) وعن الشعبي، قال: لقيَ ابنُ عبَّاسٍ كعباً بعرفة، فسأله عن شيءٍ، فكبَّر حتى جاوبته الجبال.

السنة الرؤية بالإراءة لا بقدرة العبد، فإذا حصل العلم بالشيء من طريق البصر كان رؤية بالإراءة، وإن حصل من طريق القلب كان معرفة والله تعالى قادر على أن يحصل العلم بخلق مدرك للعلوم في البصر، كما قدر أن يحصله بخلق مدرك للعلوم في القلب. والمسألة مختلف فيها بين الصحابة، واختلاف الوقوع مما ينبيء عن الاتفاق على الجواز انتهى. وهو غاية التحقيق ونهاية التدقيق والله ولي التوفيق. وقال صاحب التعرف[١] وأجمعوا على أنه لا يرى في الدنيا بالأبصار ولا بالقلب إلا من جهة الإيقان لأنه غاية الإكرام[٢] وأفضل النعم، ولا يجوز أن يكون ذلك إلا في أفضل المكان. وأحرى أن الدنيا دار فناء ولا يجوز أن يرى الباقي في الدار الفانية، ولو رأوه في الدنيا لكان الإيمان به ضرورة. وبالجملة إن الله تعالى أخبر أنها تكون في الآخرة ولم يخبر أنها تكون في الدنيا فوجب الانتهاء إلى ما أخبر الله تعالى به. واختلفوا في النبي ﷺ هل رأى ربه ليلة الإسراء[٣]، فقال الجمهور منهم أنه لم يره محمد ﷺ ببصره، واحتجوا بخبر عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت: من زعم أن محمداً عليه الصلاة والسلام رأى ربه فقد كذب[٤]. منهم الجنيد والثوري وأبو سعيد الخراز. وقال بعضهم: رآه وأنه[٥] خص بين الخلائق[٦] بالرؤية، واحتجوا بخبر ابن عباس وأسماء وأنس. منهم أبو عبيد الله القرشي وبعض المتأخرين. وقال بعضهم: رآه بقلبه ولم يره ببصره، واستدل بقوله تعالى: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ [النجم ـ ١١] . هذا وزعم بعض الناس أن قوماً من الصوفية ادعوا الرؤية لأنفسهم، فقد أطبق المشايخ على تضليل من قال ذلك وصنفوا في ذلك كتباً، منهم أبو سعيد الخراز له في إنكار ذلك كتاب ورسائل، وكذا للجنيد في تكذيب من ادعاه رسائل وكلام كثير. وأجمعوا على أن من ادعى ذلك لم يعرف الله سبحانه.

٥٦٦١ ـ (**وعن الشعبي**) بفتح فسكون تابعي جليل (**قال: لقي ابن عباس كعباً بعرفة فسأله**) أي كعباً (**عن شيء، فكبر**) أي كعب (**حتى جاوبته الجبال**) قال الطيبي [رحمه الله]: أي كبر تكبيرة مرتفعاً بها صوته حتى جاوبته الجبال صداً، كأنه استعظم ما سأل عنه فكبر لذلك. ولعل ذلك السؤال رؤية الله تعالى، كما سئلت عائشة رضي الله تعالى عنها. فقف لذلك

---

(١) «التعرف لمذهب التصوف» للشيخ أبي بكر محمد بن إبراهيم البخاري الكلاباذي ت (٣٨٠).

(٢) في المخطوطة «الكرامة». (٣) في المخطوطة «المسري».

(٤) وفي الحديث الصحيح «من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية» مسلم ١/١٥٩ حديث ١٧٧.

(٥) في المخطوطة «وإنها». (٦) في المخطوطة «الخلاف».

الحديث رقم ٥٦٦١: أخرجه البخاري ٨/٤٧٢ حديث رقم ٤٨٥٥ والترمذي ٥/٣١٧ حديث رقم ٣٢٧٨.

فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم. فقال كعب: إنّ الله قسم رؤيته وكلامه بين محمّدٍ وموسى، فكلّم موسى مرّتين، ورآه محمّد مرّتين، قال مسروقٌ: فدخلت على عائشة، فقلت: هل رأى محمّدٌ ربَّه؟ فقالت: لقد تكلمت بشيءٍ قفَّ له شعري، قلت: رويداً، ثمّ قرأتُ ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ فقالت: أين تذهب بك؟

شعرها. قلت: الظاهر كلام كعب الآتي من إثباته الرؤية في الجملة، يأبى عن هذا المعنى وأن يكون نحو ما صدر من عائشة [رضي الله تعالى عنها] في المبنى. فالوجه أن يحمل التكبير على تعظيم ذلك المقام والتشوق إلى ذلك المرام، لكنه لم يرد عليه جواب الكلام. (فقال [ابن عباس] : أنا بنو هاشم) أي فيجب تعظيمنا وتكليمنا وتفهيمنا (فقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى) عليهما الصلاة والسلام. وقال الطيبي [رحمه الله] : وأما قوله: [إنا] بنو هاشم: فبعث له على التسكين من ذلك الغيظ والتفكر في الجواب. يعني نحن أهل علم ومعرفة فلا نسأل عما يستبعد هذا الاستبعاد، ولذلك فكر فأجاب بقوله: إن الله إلى آخره. أقول هذا لا يخلو عن بعد، إذ لا دلالة في الحديث على ثبوت غيظ له ولا على تحقق فكر فيه، مع أن تيقن هذه المسألة لا يتحقق بفكر ساعة، مع اعتقاده مدة مديدة على خلافها. (فكلم) أي الله [تعالى] (موسى مرتين) أي في [الميقاتين] (ورآه محمد) ﷺ، أي في المعراج (مرتين) كما يدل عليه قوله سبحانه: ولقد ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ [النجم - ١٣] . فهذا يدل على أن مذهب كعب على أن الضمير في رآه إلى الله تعالى لا إلى جبريل، بخلاف قول عائشة، لكن لا دلالة فيه على أنه برؤية البصيرة أو البصر. على أن قوله تعالى: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ [النجم - ١١] . يؤيد المعنى الأول، ولذا صح عن ابن عباس أنه رآه بفؤاده مرتين على ما تقدم والله [تعالى] أعلم. (قال مسروق: فدخلت على عائشة) [رضي الله تعالى عنها] ، ظاهره أنه كان حاضراً في مجلس كعب وابن عباس [رضي الله تعالى عنهما] ، وسمع ما [جرى] بينهما. (فقلت: هل رأى محمد ربه) أي بالعين أو بالفؤاد (فقالت:) استعظاماً لهذا السؤال (لقد تكلمت بشيء) وفي نسخة: كلمت. لكنه ليس بشيء لأنه يحتاج إلى القول بزيادة الباء في بشيء. (قف) بفتح القاف وتشديد الفاء، أي قام من الفزع (له) أي لذلك الشيء [من الكلام] . (شعري) أي شعر بدني جميعاً، وهذا لما حصل عندها من عظمة الله وهيبته واعتقدته من تنزيهه واستحالة وقوع ذلك. (قلت: رويداً) أي ارفقي وامهلي، والمقصود تسكينها والملاءمة في تليينها حتى يقدر على السؤال والجواب معها. (ثم قرأت: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾[1]) ظاهر هذه الآية لا يناسب مدعي مسروق، بل قال بعض المفسر[ين] أنها المعينة لما رأى فيما سبق من قوله: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾. فهو نقيض مطلوبه، ولذا قال الطيبي [رحمه الله]: أي قرأت الآيات التي خاتمتها هذه الآية كما تشهد له الرواية الأخرى، أعني قوله: قلت لعائشة: فأين قوله: ثم دنا. أقول مع بعده ليس في الرواية الأخرى لفظ رأى، فالأظهر أنه أراد بالكبرى الآية العظمى على عظمة شأنه تعالى، أو على تعظيم

---

(١) سورة النجم - آية رقم ١٨.

إنما هو جبريل. من أخبرك أن محمّداً رأى ربّه أو كتم شيئاً ممّا أمر به، أو يعلم الخمْس التي قال الله تعالى: ﴿إن الله عنده علم السّاعة وينزل الغيث﴾ فقد أعظم الفرية، ولكنه رأى جبريل، لم يره في صورته إلا مرّتين: مرّة عند سدرة المنتهى، ومرّة في أجياد، له ستُّمائةِ جناحٍ، قد سدَّ الأفقَ». رواه الترمذي.

ورواه الشيخان مع زيادةٍ واختلافٍ، وفي روايتهما: قال: قلت لعائشة: فأين قولُه ﴿ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾؟ قالت: ذاك جبريل عليه السلام،

جنابه ﷺ، وقصد بها الرؤية البصرية أو الفؤادية (فقالت: أين تذهب بك) أي الآية يعني فهمها. قال الطيبي [رحمه الله]: أي أخطأت فيما فهمت من معنى الآية وذهبت إليه، فإسناد الإذهاب إلى الآية مجازاً انتهى، أي أين تذهب بك الآية الكبرى. (إنما هو) أي الآية الكبرى (جبريل) فذكر الضمير باعتبار الخبر، ومما يدل على أنه الآية الكبرى ما سيأتي عنها، أن له ستمائة جناح قد سد الأفق، ويؤيده أيضاً قولها: (من أخبرك أن محمداً رأى ربه) وظاهره أنها تنفي رؤيته تعالى مطلقاً غير مقيد بالفؤاد أو بالبصر (أو كتم شيئاً مما أمر به) أي بإظهاره كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ [المائدة ـ ٦٧] . وهو يعم الكتمان عن الجميع أو عن البعض، فيرد الاعتقاد الفاسد للشيعة في اختصاص أهل البيت ببعض الأحكام الشنيعة، وفيه إيماء إلى أنه لو تحقق له رؤية الله تعالى بنوع من الأنواع لبينه وأظهره للحاجة في تفسير الآية إليه. وقد قال تعالى: ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل ـ ٤٤] . (أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى: «إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث)[1] أي إلى آخر مفاتيح الغيب. ولعلها أرادت بإيراد هذه الآية المبالغة في نفي الرؤية، وأنها بمنزلتها في الفرية. ولهذا قالت في جزاء الكل من الشرطيات. (فقد أعظم الفرية) بكسر الفاء أي الكذب الذي هو بلا مرية (ولكنه رأى جبريل) أي في صورته الأصلية. (لم يره في صورته إلا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة في أجياد) بفتح همزة وسكون جيم، موضع معروف بأسفل مكة من شعابها. (له ستمائة جناح قد سد الأفق. رواه الترمذي ورواه الشيخان مع زيادة واختلاف) أقول فكان الأولى إيراد روايتهما، فهو تعريض من صاحب المشكاة للاعتراض على صاحب المصابيح. (وفي روايتهما. قال:) أي مسروق (قلت لعائشة: فأين قوله: ﴿ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾)[2] يعني فإن الظاهر المتبادر أن ضمير دنا إلى الله، وضمير فتدلى إلى النبي ﷺ أو بالعكس كما سبق، وكذا ضمير فكان إلى أحدهما. وقد قال بعده: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ [النجم ـ ١٠ و١١] . وبما قررنا يتم استشكال مسروق. (قالت: ذاك) أي مرجع الضمير في الكل (جبريل عليه [الصلاة] والسلام) أي لا الرب سبحانه في هذا المقام، ثم استأنف لبيان دفع ما عسى أن يقال إنه ﷺ كان يرى جبريل عليه [الصلاة] والسلام دائماً،

---

(١) سورة لقمان ـ آية رقم ٣٤. (٢) سورة النجم ـ آيات رقم ٨ و٩.

كان يأتيه في صُورةِ الرجل، وإنه أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته، فسدَّ الأفق.

٥٦٦٢ ـ (٨) وعن ابن مسعود في قوله: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ وفي قوله: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ وفي قوله: ﴿رأى من آيات ربّه الكبرى﴾ قال فيها كلها: رأى جبريل عليه السلام، له ستُّمائة جناحٍ. متفق عليه.

وفي رواية الترمذي قال: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾

فما وجه تخصيص ذكر رؤيته في هذا المقام فقالت: (كان) أي جبريل (يأتيه في صورة الرجل) أي متشكلاً بشكله وغالباً بصورة دحية (وإنه أتاه هذه المرة) أي في أجياد (في صورته التي هي صورته) أي الأصلية (فسد الأفق) أي على نحو ما رآه ليلة المعراج في صورته الأصلية على وجه التحقيق، هذا وكأن ابن عباس أخذ بقول كعب واختاره أنه رآه مرتين، على احتمال أن الرؤية بعين البصر أو البصيرة أو إحداهما [بهذه] والأخرى بأخرى. مع الاتفاق على أنه لم يره بعينه مرتين والله [تعالى] أعلم. وأما نفي عائشة فيحتمل أن يحمل على الإطلاق، أو يقيد بنفي البصر وجواز رؤيته بالفؤاد. والظاهر هو الأول فتدبر وتأمل. قال الحافظ ابن حجر [رحمه الله]: الجمع بين اثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر وإثباته على رؤية القلب لا مجرد العلم، لأنه ﷺ كان عالماً به تعالى على الدوام، وأن الرؤية التي حصلت له خلقت له في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره، والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلاً ولو جرت العادة بخلقها في العين.

٥٦٦٢ ـ (وعن ابن مسعود[1] في قوله تعالى: ﴿فكان﴾) أي القرب المعنوي [من العبد والرب، أو الصوري، أو بين جبريل والنبي عليهما الصلاة والسلام. (﴿قاب قوسين﴾) أي قدرهما] وهو كناية عن كمال قربهما. (﴿أو أدنى﴾) أي بل أقرب وهو ما بين العينين. وقد قال [تعالى] في مقام المزيد لحال المريد: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق ـ ١٦] . (وفي قوله: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾) أي ولم يذكر ما بينهما من قوله تعالى: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ لعدم تعلقه بالمبنى، وإن اختلف في مرجع ضمير أوحى في المعنى. (وفي قوله: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾. قال:) أي ابن مسعود (فيها) أي في هذه الآيات (كلها رأى) أي النبي ﷺ (جبريل عليه [الصلاة] والسلام له ستمائة جناح) يعني الضمائر كلها راجعة إلى جبريل. وهذا التأويل مطابق وموافق لما فهمت عائشة من الآيات كما سبق التنبيه عليه. وقد قال بعض علمائنا: إن ابن مسعود أعلم الصحابة بعد الخلفاء الأربعة (متفق عليه).

(وفي رواية الترمذي قال:) [أي] ابن مسعود في قوله تعالى: (﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾

الحديث رقم ٥٦٦٢: أخرجه البخاري ٨/ ٤٧٦ حديث رقم ٤٨٥٦. وأخرجه مسلم ١/ ١٥٨ حديث رقم ٢٨١/ ١٧٤. والترمذي ٥/ ٣١٩ حديث ٣٢٨٣.

(١) في المخطوطة قال عن ابن عباس والصواب عن ابن مسعود كما في المشكاة.

قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلّة من رفرف، قد ملأ ما بين السماءِ والأرض.

وله، وللبخاري في قوله: ﴿لقد رأى من آيات ربّه الكبرى﴾ قال: رأى رفرفاً أخضر، سدَّ أفق السَّماء.

٥٦٦٣ ـ (٩) وسُئل مالك بن أنسٍ عن قوله تعالى ﴿إلى ربّها ناظرة﴾ فقيل: قومٌ يقولون: إلى ثوابه. فقال مالك: كذَّبوا، فأين هم عن قوله تعالى: ﴿كلاَّ إنهم عن ربِّهم يومئذٍ لمحجوبون﴾؟

قال) أعاده تأكيداً (رأى النبي) وفي نسخة صحيحة: رسول الله ﷺ (جبريل في حلة من رفرف) ففي النهاية أي بساط، وقيل فراش، ومنهم من يجعل الرفرف جمعاً واحده رفرفة، وجمع الرفرف رفارف. قلت: الأقرب أن يكون المراد منه ثياب خضر، ويؤيده ما سيأتي ويقويه قوله تعالى: ﴿متكئين على رفرف خضر﴾ [الرحمٰن ـ ٧٦] . وقيل: يحتمل أن يكون المراد منه بسط أجنحته فصارت شبه الرفرف. قال السيوطي في مختصر النهاية: رفرف الطائر بجناحيه بسطهما ما عند السقوط على شيء تحوم عليه لتقع فوقه. وفي القاموس: رف الطائر بسط جناحيه كرفرف، والثلاثي مستعمل. والرف شبه الطاق، كالرفرف جمعه رفوف والثوب الناعم، والرفوف ثياب يتخذ منها المجالس وتبسط. والرقيق من ثياب الديباج [(قد ملأ ما بين السماء والأرض] وله) أي للترمذي (وللبخاري) أي أيضاً، وقدم الترمذي لتقدم مرجعه. (في قوله:) متعلق بقال الآتي، (﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾. قال:) أي ابن مسعود (رأى رفرفاً) أي إذا رفرف. (أخضر سد أفق السماء) وهو جبريل كما سبق عنه أيضاً، وهو المطابق لما قررنا. وفي تحرير الكلام لما قدرناه والله سبحانه [وتعالى] أعلم.

٥٦٦٣ـ (وسئل مالك بن أنس) وهو صاحب المذهب (عن قوله تعالى: ﴿إلى ربها ناظرة﴾[١]. فقيل: قوم) أي المعتزلة وأشباههم من أهل البدع[٢] (يقولون) أي في معنى الآية (إلى ثوابه) أي ناظرة إلى ثواب ربها، كما قال بعضهم إلى مفرد الآلاء بمعنى النعماء، وأريد هنا الجنس أي منتظرة نعمة ربها. (فقال مالك: كذبوا) أي على الله تعالى في معنى قوله (فأين هم عن قوله تعالى: ﴿كلا﴾) أي حقاً (﴿إنهم﴾) أي الكفار (﴿عن ربهم﴾) قدم عن متعلقه للاهتمام أو للتعظيم أو للاختصاص، أو لمراعاة الفاصلة. (﴿يومئذ﴾) أي يوم القيامة، أو وقت الجزاء. (﴿لمحجوبون﴾)[٣] أي لا يرون الله سبحانه. والحجاب أشد العذاب، كما أن الرؤية زيادة على كل مثوبة حيث قال [تعالى]: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس ـ ٢٦] . والمعنى فأين ذلك القوم حيث وقعوا في بعد وغفلة عن مفهوم هذا القول، وهو أن المؤمنين غير محجوبين، بل يكونون إلى مقام النظر مطلوبين، ويصيرون من كمالهم من مرتبة الحب

الحديث رقم ٥٦٦٣: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٥/ ٢٣٩.

(١) سورة القيامة ـ آية رقم ٢٣. (٢) في المخطوطة «البدعة».

(٣) سورة المطففين ـ آية ١٥.

قال مالك: الناسُ ينظرونَ إلى اللّهِ يومَ القيامةِ بأعيُنِهم، وقال: لو لم يرَ المؤمنونَ ربَّهم يومَ القيامةِ لم يعيِّرِ اللّهُ الكفَّارَ بالحِجابِ فقال: ﴿كلاَّ إنهم عن ربِّهم يومئذٍ لمحجوبونَ﴾. رواه في «شرح السنة».

٥٦٦٤ ـ (١٠) وعن جابرٍ، عن النبيِّ ﷺ: «بينا أهلُ الجنَّةِ في نعيمِهم، إذ سطَعَ نورٌ، فرفعوا رؤوسَهم، فإذا الربُّ قد أشرفَ عليهم من فوقِهم، فقال: السَّلامُ عليكم يا أهلَ الجنَّةِ! قال: وذلكَ قولُه تعالى: ﴿سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيمٍ﴾. قال: فينظرُ إليهم وينظرونَ إليه، فلا يلتفتونَ إلى شيءٍ منَ النعيمِ ما داموا ينظرونَ إليهِ، حتى يحتجبَ عنهم

محجوبين. (قال مالك: الناس) أي المؤمنون، فإن في الحقيقة هم الناس وسائر الناس كالنسناس. (ينظرون إلى الله يوم القيامة بأعينهم) وقد سبق بيان ما يدل على ذلك. وقيل: الناس كلهم يرون الله ثم الكفار يصيرون محجوبين لزيادة الحسرة عليهم، وقد مر الكلام عليه. وعلى كل فالرؤية للمؤمنين حاصلة بلا شبهة. (وقال مالك: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة، لم يعير الله الكفار بالحجاب فقال: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾. رواه) أي البغوي (في شرح السنة) أي بإسناده.

٥٦٦٤ ـ (ومن جابر عن النبي ﷺ: بينا) وفي نسخة بينما. (أهل الجنة في نعيمهم) أي واقعين في لذاتهم مشتغلين بشهواتهم (إذ سطع) أي سنح ولمع (لهم نور) أي عظيم (فرفعوا رؤوسهم. فإذا الرب قد أشرف) أي تجلى تجلي المعظمة والكبرياء والبهاء والعلاء. (عليهم من فوقهم) أي مبتدئاً منه آخذاً من جميع جهاتهم (فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة) ولعل المراد بهم جماعة، قيل في حقهم إن أكثر أهل الجنة البله حيث قنعوا باللذات عن رؤية الذات، وعليون لأولي الألباب لاعتلاء همتهم [وارتفاع نهمتهم] عن النظر إلى غير رب الأرباب. ويؤيده ما رواه الدارقطني في الأفراد والديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة مرفوعاً: أهل شغل الله في الدنيا هم أهل شغل الله في الآخرة، وأهل شغل أنفسهم في الدنيا هم أهل شغل أنفسهم في الآخرة[1]، وفي التنزيل إشارة إلى ذلك في قوله: ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولاً من رب رحيم﴾ [يس ـ ٥٥ ـ ٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨]. (قال:) أي النبي ﷺ (وذلك) أي سلام الرب يعني شاهده (قوله تعالى:) أو معنى قوله تعالى: (﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾)[2] أي لهم سلام عظيم، يقال لهم قولاً كائناً من جهة رب رحيم. (قال: فنظر) أي الرب إليهم (وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم) أي

الحديث رقم ٥٦٦٤: أخرجه ابن ماجه ١/ ٦٥ حديث رقم ١٨٤.

(١) الديلمي في مسند الفردوس ١/ ٤١٠ حديث رقم ١٦٦٠.

(٢) سورة يس. آية رقم ٥٨.

ويبقى نورُه [وبركته عليهم في ديارهم]». رواه ابن ماجه.

(٧) باب صفة النار وأهلها

الفصل الأول

٥٦٦٥ - (١) عن أبي هريرةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ناركم جزءٌ من سبعين جُزءاً مِنْ نارِ جَهَنم» قيل: يا رسولَ اللّهِ! إنْ كانتْ لكافية قال: «فُضِّلَتْ عليهنَّ بتسعة وستينَ جُزءاً كلهنَّ مثلُ حرِّها».

بإيقاع الحجاب عليهم بعد رفعه عنهم (ويبقى نوره) أي أثر نوره وثمرة ظهوره على ظاهرهم وباطنهم كما يشاهده أهل المشاهدة في حال البقاء بعد تحقق الفناء والله تعالى أعلم (رواه ابن ماجه).

(باب صفة النار وأهلها)

(الفصل الأول)

٥٦٦٥ - (عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ناركم) وفي رواية الترمذي ناركم هذه (جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم) زاد الترمذي: لكل جزء منها حرها. (قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية) إن هي المخففة من المثقلة، واللام هي الفارقة، أي أن هذه النار التي نراها في الدنيا كانت كافية في العقبى لاحتراق الكفار وعقوبة الفجار، فهلا اكتفى بها ولأي شيء زيدت في حرها. (قال: فضلت) أي نار جهنم (عليهن) أي على أنيار الدنيا (بتسعة وستين جزءاً. كلهن) أي حرارة كل جزء من تسعة وستين جزءاً من نار جهنم (مثل حرها) أي مثل حرارة ناركم في الدنيا. وحاصل الجواب منع الكفاية، أي لا بد من التفضيل لحكمة كون عذاب الله أشد من عذاب الناس. ولذلك أوثر ذكر النار على سائر أصناف العذاب في كثير من الكتاب والسنة منها قوله تعالى: ﴿فما أصبرهم على النار﴾ [البقرة - ١٧٥]. وقوله: ﴿فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾ [البقرة - ٢٤]. وإنما [أظهر] الله هذا الجزء من النار في الدنيا أنموذجاً لما في تلك الدار. قال الإمام الغزالي [عليه رحمة الباري] في الإحياء: اعلم

الحديث رقم ٥٦٦٥: أخرجه البخاري ٦/ ٣٨٠ حديث رقم ٣٢٦٥. ومسلم ٤/ ٢١٨٤ حديث رقم (٣٠. ٢٨٤٣) والترمذي ٤/ ٦١١ حديث ٢٥٨٩. وابن ماجه ٢/ ١٤٤٤ حديث ٤٣١٨. وأحمد في المسند ٢/ ٣١٣. ومالك في الموطأ ٢/ ٩٩٤ حديث رقم ١ من كتاب جهنم. والدارمي ٢/ ٤٣٨ حديث رقم ٢٨٤٧.

متفق عليه. واللفظ للبخاري. وفي رواية مسلم: «ناركم التي يوقد ابن آدم». وفيها: «عليها» و «كلها» بدل: «عليهن». و «كلهنّ».

٥٦٦٦ ـ (٢) وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعونَ ألفَ زمامٍ، مَعَ كلِ زمامٍ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ يجرُّونها». رواه مسلم.

٥٦٦٧ ـ (٣) وعن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلانِ وشراكانِ من نارٍ، يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل،

أنك أخطأت في القياس، فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه [النار] ، عرف عذاب جهنم بها، وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها هرباً مما هم فيه. (متفق عليه، واللفظ للبخاري) أي ووافقه مسلم في المعنى. (وفي رواية مسلم: ناركم التي يوقد ابن آدم) من الإيقاد، ويجوز التشديد من التوقيد. (وفيها) أي في رواية مسلم (عليها. وكلها بدل عليهن وكلهن) بالنصب، أي عوضهما لفاً ونشراً مرتباً.

٥٦٦٦ ـ (وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى بجهنم) الباء للتعدية، أي يؤتى بها من المكان الذي خلقها الله تعالى فيه. ويدل عليه قوله تعالى فيه: ﴿وجيء يومئذٍ بجهنم﴾ [الفجر ـ ٢٣] (يومئذٍ) أي يوم القيامة وقت الندامة والحسرة والملامة. (لها سبعون ألف زمام) بكسر الزاي وهو ما يشد به. (مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها) بتشديد الراء، أي يسحبونها، أي إلى أن تدار بأرض لا تبقى للجنة طريق إلا الصراط على ظهرها. وفائدة هذه الأزمة التي يجر بها بعد الإشارة إلى عظمتها، منعها من الخروج على المحشر إلا من شاء الله منهم. (رواه مسلم).

٥٦٦٧ ـ (وعن النعمان) بضم النون (ابن بشير) صحابي أيضاً رضي الله عنهما (قال: قال رسول الله ﷺ: إن أهون أهل النار) أي أيسرهم (عذاباً من له نعلان) أي من تحت قدمه (وشراكان) أي من فوقها (من نار) أي كائنة منها (يغلي) أي يفور (منهما) أي من النوعين وهما النعلان والشراكان (دماغه كما يغلي المرجل) بكسر الميم وفتح الجيم، أي قدر النحاس كذا قاله شارح. وقال العسقلاني: ويقال أيضاً لكل إناء يغلى فيه الماء من أي صنف كان. والحاصل أنه كما قال تعالى: ﴿[يغلي] في البطون كغلي الحميم﴾

الحديث رقم ٥٦٦٦: أخرجه مسلم ٤/ ٢١٨٤ حديث رقم (٢٩ ـ ٢٨٤٢). والترمذي ٤/ ٦٠٤ حديث رقم ٢٥٧٣.

الحديث رقم ٥٦٦٧: أخرجه البخاري ١١/ ٤٢٤ حديث رقم ٦٥٦١ و٦٥٦٢. وأخرجه مسلم ١/ ١٩٦ وأخرجه الترمذي ٤/ ٦١٨ حديث رقم ٢٦٠٤. والدارمي ٢/ ٤٣٩ حديث رقم ٢٨٤٨. وأحمد في المسند ٣/ ٧٨.

ما يُرى أنَّ أحداً أشدُّ منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً». متفق عليه.

٥٦٦٨ ـ (٤) وعن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أهونُ أهلِ النارِ عذاباً أبو طالب، وهو متنعلٌ بنعلين يغلي منهما دماغه». رواه البخاري.

٥٦٦٩ ـ (٥) وعن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهلِ النّارِ يومَ القيامةِ، فيُصْبَغُ في النارِ صَبْغَةً، ثم يقال: يا ابنَ آدمَ! هل رأيتَ خيراً

[الدخان ـ ٤٥ ـ ٤٦]. وهذا بالنسبة إلى من لم يغمس في الجحيم. ولذا قال: (ما يرى) بصيغة المجهول، أي ما يظن من له نعلان وشراكان من نار. (أن أحداً) أي من أهل النار (أشد منه عذاباً) أي لانفراده وعدم اطلاعه على حال غيره (وأنه) بالكسر أي والحال أنه (لأهونهم عذاباً) ففيه تصريح بتفاوت عذاب أهل النار (متفق عليه.) وفي الجامع: أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل يوضع في قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه رواه مسلم عن النعمان بن بشير[1]. أقول ولعل هذا الحديث بالنسبة إلى أدنى العصاة من المؤمنين، وما في المتن بالنسبة إلى أدناهم من الكفار كما يدل عليه الحديث الذي يليه.

٥٦٦٨ ـ (وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أهون أهل النار عذاباً) أي من الكفار (أبو طالب) لقوله تعالى في حقه باتفاق المفسرين: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ [القصص ـ ٥٦]. (وهو متنعل) من باب التفعل، وفي نسخة صحيحة من باب الانفعال، أي متلبس (بنعلين) أي من نار (يغلي منهما) وفي نسخة منها، أي من نعلهما أو من جهة نعله، وأريد بها الجنس. (دماغه) وإنما خفف عذابه لكونه حامياً له ﷺ عن تشديد عداوة الكفار، فلما خفف خفف جزاء وفاقاً. (رواه البخاري) وأسنده السيوطي في الجامع الصغير إلى أحمد ومسلم عنه والله [تعالى] أعلم[2].

٥٦٦٩ ـ (وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى بأنعم أهل الدنيا) الباء للتعدية، أي يحضر أشدهم تنعماً وأكثرهما ظلماً لقوله: (من أهل النار) من بيانية في محل حال (يوم القيامة) ظرف يؤتى (فيصبغ) بصيغة المجهول أي يغمس (في النار صبغة) بفتح الصاد، أي غمسة إطلاقاً للملزوم على اللازم. فإن الصبغ إنما يكون بالغمس غالباً، وفي النهاية أي يغمس في النار غمسة كما يغمس الثوب في الصبغ. (ثم يقال:) أي له (يا ابن آدم هل رأيت خيراً) أي نعمة

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٦٥ حديث رقم ٢٧٧٢. والحديث أخرجه مسلم ١/ ١٩٦ حديث رقم (٣٦٣ ـ ٢١٣) وفيه «أن أهون...».

الحديث رقم ٥٦٦٨: أخرجه مسلم ١/ ١٩٦ حديث رقم (٣٦٢ ـ ٢١٢). وأحمد في المسند ١/ ٢٩٠.

(٢) الجامع الصغير ١/ ١٦٥ حديث ٢٧٧٣.

الحديث رقم ٥٦٦٩: أخرجه مسلم ٤/ ٢١٦٢ حديث رقم (٥٥ ـ ٢٨٠٧). وأحمد في المسند ٣/ ٢٠٣.

قطُّ؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قطُّ؟ فيقول: لا والله يا ربِّ! ويؤتى بأشدِّ النَّاسِ بؤساً في الدُّنيا من أهلِ الجنَّة، فيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيتَ بؤساً قطُّ؟ وهل مرَّ بك شدَّةٌ قطُّ؟ فيقول: لا والله، يا ربِّ! ما مرَّ بي بؤسٌ قطُّ، ولا رأيت شدَّةً قطُّ». رواه مسلم.

٥٦٧٠ ـ (٦) وعنه، عن النبي ﷺ قال: «يقول الله لأهون أهلِ النارِ عذاباً يومَ القيامةِ: لو أنَّ لكَ ما في الأرض من شيءٍ أكنتَ تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقول: أردت منك أهون من هذا، وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تُشرِكَ بي».

(قط هل مر بك نعيم قط) أي في زمانٍ من الأزمنة. وفي الكلام مبالغة لا تخفى حيث أوقع الاستفهام على مجرد الرؤية والمرور دون الذوق والتمتع والسرور. (فيقول: لا) أي ما رأيت قط (والله يا رب) نفي مؤكد بالقسم والنداء في الجواب لما أنسته شدة العذاب ما مضى عليه من نعيم الدنيا، أو ما بعده من النعيم نظراً إلى مآله وسوء حاله، فأي نعيم آخره الجحيم وأي شدة مآلها الجنة. كما قال: (ويؤتى بأشد الناس بؤساً) بضم الموحدة أي شدة ومشقة ومحنة لما كان فيه من فاقة وحاجة وبلية. (في الدنيا) أي أولاً (من أهل الجنة) مآلاً (فيصبغ صبغة في الجنة) أي في أنهارها أو الكوثر منها (فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط وهل مر بك شدة قط. فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط) وكأنه أطنب في الجواب تلذذاً بالخطاب وقلب الكلام للفرح التام. (رواه مسلم).

٥٦٧٠ ـ (وعنه) أي عن أنس رضي الله عنه (عن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لو أن لك) أي لو فرض الآن أن تملك (ما في الأرض من شيء) من زائدة للاستغراق، أي جميع ما فيها، وطلب منك أن تفتدي به وتخلص نفسك من النار (أكنت تفتدي به) وهو من الافتداء بمعنى إعطاء الفدية للإنجاء. (فيقول: نعم. فيقول:) أي الله سبحانه (أردت منك أهون من هذا) أي طلبته، فوضع السبب موضع المسبب، ولأن مراد الله تعالى لا يتخلف كما اتفق عليه السلف والخلف بقولهم: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وحاصله أني امرتك بأسهل من هذا. (وأنت في صلب آدم) أي تعلق بك الأمر والحال وأنت في صلب آدم، وفيه إيماء إلى قضية الميثاق المشتمل على قوله: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ [الأعراف ـ ١٧٢]. والمراد منه التوحيد والعبادة على وجه التفريد، وإليه أشار بقوله: (أن لا تشرك بي شيئاً) وهو بدل أو بيان لقوله: أهون. (فأبيت) أي كل شيء (إلا أن تشرك بي) أي فلا جرم، لا أقبل منك ولو افتديت بجميع ما في الأرض كما قال: ﴿إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم﴾ [المائدة ـ ٣٦]. وقال في موضع آخر: ﴿ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة﴾ [الزمر ـ ٤٧]. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: لو أن لك ما في

الحديث رقم ٥٦٧٠: أخرجه البخاري ٦/ ٣٦٣ حديث رقم ٣٣٣٤. وأخرجه مسلم ٤/ ٢١٦٠ حديث (٥١ ـ ٢٨٠٥).

متفق عليه.

٥٦٧١ ـ (٧) وعن سمرة بن جندبٍ، أنَّ النبي ﷺ قال: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حُجْزَتِهِ، ومنهم من تأخذهُ النارُ إلى تَرْقُوَتِهِ». رواه مسلم.

الأرض جميعاً. أي لو ثبت لأن لو يقتضي الفعل الماضي، وإذا وقعت أن المفتوحة بعد لو كان حذف الفعل واجباً، لأن ما في أن من معنى التحقيق والثبات منزل منزلة ذلك الفعل المحذوف. وقوله: أردت منك، ظاهر هذا الحديث موافق لمذهب المعتزلة. فإن المعنى أردت فيك التوحيد فخالفت مرادي وأتيت بالشرك. وقال المظهر: الإرادة هنا بمعنى الأمر، والفرق بين الأمر والإرادة أن ما يجري في العالم لا محالة كائن بإرادته ومشيئته، وأما الأمر فقد يكون مخالفاً لإرادته ومشيئته. قلت: توضيحه أن [الأمر] بالإيمان توجه على عامة المكلفين وتعلقت مشيئة الإيمان ببعضهم وإرادة الكفر ببعضهم. ولذا قال تعالى: ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾ [الأنعام ـ ٣٥] . وقال سبحانه: ﴿ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾ [البقرة ـ ٢٥٣] . وقال: ﴿ولو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ [الرعد ـ ٣١] . وقال: ﴿فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة﴾ [الأعراف ـ ٣٠] . قال الطيبي [رحمه الله]: الأظهر أن تحمل الإرادة هنا على أخذ الميثاق في قوله تعالى: ﴿وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ [الأعراف ـ ١٧٢] الآية. بقرينة قوله: وأنت في صلب آدم. فقوله: أبيت إلا أن تشرك بي. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل﴾ [الأعراف ـ ١٧٣] . ويحمل الآباء هنا على نقض العهد. وقوله: لا تشرك استثناء مفرغ، وإنما حذف المستثنى منه مع أنه كلام موجب، لأن في الإباء معنى الامتناع. فيكون نفياً، أي ما اخترت إلا الشرك انتهى. وهو كلام حسن، إلا أن اطلاق الإرادة وإرادة أخذ الميثاق يحتاج إلى بيان يدفع به ما تقدم من الإيراد والله سبحانه [وتعالى] أعلم. (متفق عليه).

٥٦٧١ ـ (وعن سمرة بن جندب) مر ذكره مراراً (أن النبي ﷺ قال: منهم) أي من أهل النار (من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته) بضم حاء وسكون جيم فزاي، أي معقد إزاره ووسطه. (ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته) بفتح أوله وضم قافه أي إلى حلقه، ففي الصحاح لا يضم أوله. وفي النهاية هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق، وهما ترقوتان من الجانبين ووزنها فعلوه بالفتح. وفي الحديث بيان تفاوت العقوبات في الضعف والشدة، لا أن بعضاً من الشخص يعذب دون بعض. ويؤيده قوله في الحديث السابق: وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه. (رواه مسلم.) قال الطيبي [رحمه الله]: وأول الحديث في شرح السنة برواية أبي سعيد: إذا خلص المؤمنون من النار،

الحديث رقم ٥٦٧١: أخرجه مسلم ٤/ ٢١٨٥ حديث رقم (٣٣. ٢٨٤٥). والنسائي ٨/ ١١٢ حديث رقم ٥٠١٠. وابن ماجه ١/ ٢٣ حديث رقم ٦٠ وأحمد في المسند ٥/ ١٠.

٥٦٧٢ ـ (٨) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما بينَ منكبي الكافرِ في النارِ مسيرةُ ثلاثة أيام للراكب المسرع». وفي روايةٍ: «ضِرْسُ الكافر مثل أحدٍ، وغِلَظُ جلده مسيرة ثلاث». رواه مسلم.

وذكر حديث أبي هريرة:

إلى قوله: فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم لا تأكل النار صورهم.

٥٦٧٢ ـ **(وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع)** قال القاضي [رحمه الله]: يزاد في مقدار أعضاء الكافر زيادة في تعذيبه بسبب زيادة المماسة للنار. قال القرطبي [رحمه الله]: هذا يكون للكفار، فإنه قد جاءت أحاديث تدل على أن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال فيساقون إلى سجن في جهنم. قال ابن الملك [رحمه الله] في شرح المشارق، ونظر فيه الشيخ الشارح: يعني الأكمل بأن هذا الحديث يدل على عظم أجسامهم في النار، والذي ذكره في المحشر. أقول: الظاهر أن يراد بالمتكبرين عصاة المؤمنين، وكلام القرطبي محمول عليه ليلائم الحديث الآتي: «ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد». على أن الأظهر في الجمع أن يكونوا[1] أمثال الذر في موقف يداسون فيه، ثم تعظم أجسادهم ويدخلون النار ويكونون فيها. كذلك وقال ابن الملك [رحمه الله] قوله: في النار، غير مذكور في مسلم كذا قاله النووي [رحمه الله]. فالأوجه في منع قول القرطبي أن يقال ما ذكره، لا يدل على انعدام عظمتهم في المحشر لأن تشبيه المتكبرين بالذر إنما هو في الحقارة لا في الصورة، وإلا فلا يستقيم قوله في صورة الرجال انتهى. [وفيه] مباحث لا تخفى. **(وفي رواية: ضرس الكافر مثل أحد وغلظ جلده)** بكسر الغين وفتح اللام أي عظمه **(مسيرة ثلاث)** أي ليال، قال الطيبي [رحمه الله]: هكذا هو في جامع الأصول وشرح السنة، أنثه باعتبار الليالي. قال النووي [رحمه الله]: هذا كله لكونه أبلغ في إيلامه، وهو مقدور لله تعالى يجب الإيمان لإخبار الصادق به. **(رواه مسلم.)** وفي الجامع الصغير[2] أسند الرواية الأولى إلى الشيخين والثانية إلى مسلم والترمذي والله [تعالى] أعلم. وروى البزار عن ثوبان مرفوعاً: ضرس الكافر مثل أحد وغلظ جلده أربعون ذراعاً بذراع الجبار[3]. وروى ابن ماجه عن أبي سعيد مرفوعاً: إن الكافر ليعظم حتى أن ضرسه لأعظم من أحد وفضيلة جسده على ضرسه كفضيلة جسد أحدكم على ضرسه[4]، **(وذكر حديث أبي هريرة**

الحديث رقم ٥٦٧٢: أخرجه البخاري ١١/ ٤١٥ حديث رقم ٦٥٥١. ومسلم ٤/ ٢١٨٩ حديث رقم (٤٥. ٢٨٥٢) وأحمد في المسند ٢/ ٣٢٨.

(١) في المخطوطة «يكون».

(٢) الرواية الأولى: الجامع الصغير ٢/ ٤٨١ حديث ٧٨٦٤ والرواية الثانية ٢/ ٣٢١ حديث ٥٢١٢.

(٣) ٤/ ١٨٣ حديث رقم ٣٤٩٦ (كشف الأستار عن زوائد البزار).

(٤) ابن ماجه ٢/ ١٤٤٥ حديث رقم ٤٣٢٢.

«اشتكت النار إلى ربِّها». في باب «تعجيل الصَّلوات».

الفصل الثاني

٥٦٧٣ ـ (٩) عن أبي هريرةَ، عن النبي ﷺ قال: أُوقِدَ على النار ألفَ سنةٍ حتّى احمرَّت، ثم أُوقِدَ عليها ألفَ سنةٍ حتى ابيضَّت، ثم أُوقِدَ عليها ألفَ سنة حتى اسودَّت، فهي سوداء مظلمة». رواه الترمذي.

٥٦٧٤ ـ (١٠) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ضِرْسُ الكافرِ يومَ القيامةِ مثل أُحدٍ، وفخذه مثل البيضاءِ، ومقعده من النَّار مسيرة ثلاث مثل الرَّبذة».

[رضي الله تعالى عنه:] **اشتكت النار إلى ربها في** [باب] **تعجيل الصلوات)** يعني فهو إما مكرر أسقطه من ههنا ونبه عليه، وإما اعتراض فعلى تنبيهاً على أن محله اللائق هو ذلك الباب والله [تعالى] أعلم بالصواب.

(الفصل الثاني)

٥٦٧٣ ـ **(عن أبي هريرة)** رضي تعالى عنه **(عن النبي ﷺ قال: أوقد)** بصيغة المفعول وقوله **(على النار)** نائب الفاعل. قال الطيبي [رحمه الله]: هذا قريب من قوله تعالى: ﴿**يوم يحمى عليها في نار جهنم**﴾ [التوبة ـ ٣٥]. أي يوقد الوقود فوق النار، أي النار ذات طبقات توقد طبقة فوق أخرى ومستعلية عليها. **(ألف سنة حتى احمرت)** بتشديد الراء للمبالغة في الاحمرار. **(ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت. فهي سوداء مظلمة)** زاد في الجامع كما في الليل المظلم. والحديث دليل على أن النار مخلوقة كما ذهب إليه أهل السنة، خلافاً للمعتزلة وجماعة من أهل البدع. ويؤيدنا قوله تعالى: ﴿**أعدت للكافرين**﴾ [البقرة ـ ٢٤]. بصيغة الماضي. **(رواه الترمذي)** وكذا ابن ماجه.

٥٦٧٤ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ**: ضرس **الكافر يوم القيامة مثل أحد، وفخذه)** بفتح فكسر، ففي القاموس الفخذ ككتف ما بين الساق والورك مؤنث كالفخذ، ويكسر أي فخذ الكافر. **(مثل البيضاء)** في النهاية هو اسم جبل. وقال شارح: هو موضع في بلاد العرب، وقيل هو جبل. **(ومقعده)** أي موضع قعوده. **(من النار)** أي فيها كما في رواية **(مسيرة ثلاث مثل الربذة)** بفتح الراء والموحدة والذال المعجمة، قرية معروفة قرب المدينة كذا في النهاية. وقيل بقرب مكة، وقيل قرية من قرى المدينة على ثلاث ليال.

الحديث رقم ٥٦٧٣: أخرجه الترمذي ٤/ ٦١٢ حديث رقم ٢٥٩٠. وابن ماجه ٢/ ١٤٤٥ حديث رقم ٤٣٢٠.

الحديث رقم ٥٦٧٤: أخرجه الترمذي في ٤/ ٦٠٦ حديث رقم ٢٥٧٨.

رواه الترمذي.

٥٦٧٥ ـ (١١) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن غلظ جلد الكافرِ اثنان وأربعون ذراعاً، وإن ضِرْسَه مثل أحد، وإن مَجْلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة». رواه الترمذي.

٥٦٧٦ ـ (١٢) وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الكافرِ ليُسْحَبُ لسانُه الفرسَخ والفرسخين يتوطّؤه الناس». رواه أحمد، والترمذي، وقال هذا حديث غريب.

٥٦٧٧ ـ (١٣) وعن أبي سعيد [الخدري]، عن رسول الله ﷺ قال: «الصَّعُودُ

وقال شارح: قريب من ذات عرق، يريد ما بين الربذة والمدينة انتهى. فقوله: مثل الربذة أي مثل بعد الربذة من المدينة، أو مثل مسافتها إليها. فإنه ﷺ، قال هذا الحديث وهو في المدينة. ويؤيده ما روي من أن مقعده في النار ما بيني وبين الربذة[١]. وقال ابن الملك [رحمه الله]: قرية من قرى المدينة بها قبر أبي ذر الغفاري. وقيل جبل بالشام (رواه الترمذي.) ورواه أحمد والحاكم عنه بلفظ: ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وعرض جلده سبعون ذراعاً، وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان، ومقعده في النار ما بيني وبين الربذة.

٥٦٧٥ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً)** لفظ الجامع: اثنتان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار. وفي القاموس الذراع بالكسر من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى والساعد، وقد تذكر فيهما وذرع الثوب قاسه بها. **(وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه)** أي موضع جلوسه **(من جهنم ما بين مكة والمدينة. رواه الترمذي)** وكذا الحاكم[٢].

٥٦٧٦ ـ **(وعن ابن عمر رضي الله [تعالى] عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: إن الكافر ليسحب)** بفتح الحاء أي يجر **(لسانه)** ويجوز أن يكون على بناء المفعول، بل هو الأظهر في المعنى المراد، وكذا ضبط في الجامع ولفظه: ليسحب لسانه وراءه. **(الفرسخ والفرسخين يتوطؤه الناس)** أي يطؤونه بأقدامهم ويمشون عليه. **(رواه أحمد والترمذي. وقال: هذا حديث غريب)**.

٥٦٧٧ ـ **(وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: الصعود)** بفتح الصاد

---

(١) أحمد في المسند ٢/ ٣٢٨. والحاكم في المستدرك ٤/ ٥٩٥. والبيضاء: تربات بالرملة في القطيف. والقطيف في شرق السعودية على الخليج. وورقان جبل جنوب المدينة. والربذة: تقع في الشرق إلى الجنوب من بلدة أعناكية. (المعالم الأثيرة).

الحديث رقم ٥٦٧٥: أخرجه الترمذي ٤/ ٦٠٦ حديث رقم ٢٥٧٧.

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٩٥ ولم يذكره بالكامل.

الحديث رقم ٥٦٧٦: أخرجه الترمذي ٤/ ٦٠٦ حديث رقم ٢٥٨٠. وأحمد في المسند ٢/ ٩٢.

الحديث رقم ٥٦٧٧: أخرجه الترمذي ٤/ ٦٠٥ حديث رقم ٢٥٧٦. وأحمد في المسند ٣/ ٧٥.

جبل من نارٍ يُتصعَّدُ فيه سبعين خريفاً، ويُهْوَى به كذلك فيه أبداً». رواه الترمذي.

٥٦٧٨ ـ (١٤) وعنه، عن النبي ﷺ قال في قوله: ﴿كالمهل ﴾«أي كعَكَر الزيت، فإذا قُرِّب إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه». رواه الترمذي.

٥٦٧٩ ـ (١٥) وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إنّ الحميم

واللام للعهد، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سأرهقه صعوداً ﴾ [المدثر ـ ١٧] . أي سأغشيه عقبة صعبة المسلك. (جبل) ففي القاموس الصعود بالفتح، ضد الهبوط، وجبل في جهنم: والعقبة الشاقة. والمعنى أنه جبل عظيم. (من نار يتصعد فيه) بصيغة المجهول، أي يكلف الكافر ارتقاه. وفي نسخة بفتح أوله، أي يطلع في ذلك الجبل. (سبعين خريفاً) أي مدة سبعين عاماً (ويهوي به) بصيغة المفعول، أي يكاب ذلك الكافر بسقوطه فيه. وفي نسخة بفتح الياء وكسر الواو، أي ينزل بذلك الكافر، من هوى كرمي سقط، فالباء للتعدية. (كذلك) أي سبعين خريفاً. (فيه) أي في ذلك الجبل (أبداً) قيد للفعلين أي يكون دائماً في الصعود والسقوط؛ ومنه يتبين معنى لطيف فيما اشتهر عنه ﷺ أن السفر قطعة من سقر، مع ما فيه من الإيماء إلى اللطافة النقطية والمحاسبة الأبجدية. وبهذا يندفع ما نقل عن علي كرم الله وجهه، أنه لو لم يقل النبي ﷺ هكذا لعكست. وقلت: إن سقر قطعة من السفر، لكن لا يخفى أحسنية ما في كلامه ﷺ من عدم المغالبة الزائدة، ولما فيه من المطابقة للواقعة الجادة، مع الإشارة إلى تفسير الآية وما تضمنه مما ذكرناه من إفادة اللطافة والظرافة. هذا وقد ذكر صاحب خلاصة الطيبي [رحمه الله]، ظناً أن ضمير به راجع إلى الجبل وأن الباء بمعنى في أن تكريره على طريقة قولك: فيك زيد راغب فيك، يعني أن الإعادة للتأكيد والمبالغة. ولا شك أن ما قررناه أحسن في مقام الإفادة. (رواه الترمذي) ولفظ الجامع: ثم يهوي فيه، كذلك أبداً. رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم عنه.

٥٦٧٨ ـ (وعنه) أي عن أبي سعيد رضي الله عنه (عن النبي ﷺ قال في قوله: كالمهل) أي في تفسير قوله تعالى: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه ﴾ [الكهف ـ ٢٩]. (أي كعكر الزيت) بفتح العين والكاف، أي درديه. وقال الطيبي [رحمه الله]: أي الدرن منه والدنس. وأغرب شارح، وفسر المهل بالصديد مع ظهور النص السديد. (فإذا قرب) بضم فتشديد راء أي المهل. (إلى وجهه) أي وجه العاصي (سقطت فروة وجهه) أي جلدته وبشرته. (فيه) أي في المهل. وفي النهاية: فروة وجهه، أي جلدته. والأصل فيه فروة الرأس وهي جلدته بما[1] عليها من الشعر، فاستعارها من الرأس للوجه. (رواه الترمذي).

٥٦٧٩ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: إن الحميم) أي في قوله

الحديث رقم ٥٦٧٨: أخرجه الترمذي ٤/ ٦٠٨ حديث رقم ٢٥٨٤. وأخرجه أحمد في المسند ٣/ ٧٠، ٧١.

(١) في المخطوطة الماء.

الحديث رقم ٥٦٧٩: أخرجه الترمذي ٤/ ٦٠٧ حديث رقم ٢٥٨٢. وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٤.

لَيُصَبُّ على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه، وهو الصَّهر ثم يُعاد كما كان». رواه الترمذي.

٥٦٨٠ ـ (١٦) وعن أبي أمامة، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿يُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيد يتجرَّعُه﴾ قال: «يقرَّب إلى فيه فيكرهه، فإذا أدني منه شوى وجهه، ووقعت فروَةُ رأسه، فإذا شربه قطَّع أمعاءه، حتى يَخرج من دبره. يقول الله تعالى: ﴿وسُقُوا ماءً حميماً فقطَّع أمعاءهم﴾ ويقول: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماءٍ كالمهل

تعالى: ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ [الحج ـ ١٩]. المفسر بالماء البالغ نهاية الحر. (ليصب على رؤوسهم) أي يكب فوقها (فينفذ الحميم) بضم الفاء من النفوذ، وهو التأثير والدخول في الشيء. أي يدخل أثر حرارته من رأسه إلى باطنه. (حتى يخلص) بضم اللام أي يصل (إلى جوفه) أي إلى جوف رأسه، أو إلى بطنه وهو الظاهر المتبادر، [بل هو الصواب] لقوله: (فيسلت) بضم اللام من سلت القصعة، إذا مسحها من الطعام فيذهب. وأصل السلت القطع، فالمعنى فيمسح ويقطع الحميم. (ما في جوفه) أي من الأمعاء. وقال القاضي [رحمه الله]: أي يذهب ويمر (حتى يمرق) بضم الراء، أي يخرج. (من قدميه وهو الصهر) بفتح الصاد [بمعنى] الإذابة. والمعنى ما ذكر من النفوذ وغيره، وهو معنى الصهر المذكور في قوله تعالى: ﴿يصهر به ما في بطونهم والجلود﴾ [الحج ـ ٢٠]. ومع هذا الهم الوعيد الشديد بقوله سبحانه: ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ [الحج ـ ٢١]. (ثم يعاد) أي ما في جوفه (كما كان) لقوله تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾ [النساء ـ ٥٦]. أي شدة العقاب. (رواه الترمذي).

٥٦٨٠ ـ (وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله) أي تعالى، كما في نسخة (﴿يسقى من ماء صديد﴾) قيل صديد الجرح، ماؤه الرقيق المختلط بالدم السائل منه. (﴿يتجرعه﴾) أي يشربه لا بمرة بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته. ولذا قال تعالى: ﴿ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ﴾ [إبراهيم ـ ١٧]. (قال) أي النبي ﷺ (يقرب) بفتح الراء المشددة، أي يؤتى بالصديد قريباً. (إلى فيه) أي إلى فم العاصي (فيكرهه) أي لعفونته وسخونته (فإذا أدني) بصيغة المجهول، أي زيد في قربه. (منه) أي من العاصي، أو من فمه. (شوى) أي أحرق (وجهه ووقعت) أي سقطت (فروة رأسه) أي جلدته. (فإذا شربه) أي ماء الصديد الحار الشديد (قطع أمعاءه) بتشديد الطاء للمبالغة والتكثير. (حتى تخرج) أي الأمعاء، وفي نسخة بالياء، أي الصديد (من دبره) بضمتين، وهو ضد القبل. (يقول الله تعالى: ﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾، ويقول:) أي الله تعالى في موضع آخر. (و﴿إن يستغيثوا﴾) أي يطلبوا الغياث بالماء على عادتهم الاستغاثة في طلب الغيث، وهو المطر. (﴿يغاثوا﴾) أي يجابوا ويؤتوا (﴿بماء كالمهل﴾) أي كالصديد أو كعكر

الحديث رقم ٥٦٨٠: أخرجه الترمذي ٤/ ٦٠٨. حديث رقم ٢٥٨٤. وأحمد في المسند ٥/ ٢٦٥.

يشوي الوجوه بئس الشراب ﴾ رواه الترمذي.

٥٦٨١ ـ (١٧) وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «لسُرادق النار أربعةُ جُدُرٍ، كِثَفُ كل جدار مسيرةُ أربعين سنة». رواه الترمذي.

٥٦٨٢ ـ (١٨) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن دلواً من غسّاق

الزيت على ما صح عنه ﷺ. (**﴿يشوي الوجوه﴾**) أي ابتداء، ثم يسري إلى البطون وسائر الأعضاء انتهاء. (**﴿بئس الشراب﴾**) أي المهل أو الماء كالمهل فإنه مكروه ومكره. (**رواه الترمذي**).

٥٦٨١ ـ (**وعن أبي سعيد الخدري**) [رضي الله تعالى عنه] (**عن النبي ﷺ: لسرادق النار**) بكسر اللام وضم السين وجر القاف، وفي نسخة بالفتح والرفع. قال الطيبي [رحمه الله]: روي بفتح اللام على أنه مبتدأ وكسرها على أنه خبر، وهذا أظهر. وفي النهاية: السرادق كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء. أقول: وهو إشارة إلى قوله تعالى: **﴿إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها ﴾** [الكهف ـ ٢٩] . وفي القاموس: السرادق الذي يمد فوق البيت، وجمعه سرادقات. وقال شارح: هو الذي [يمد] فوق صحن الدار. أقول الظاهر أن المراد به في الآية هو المعنى الأعم الشامل للمحيط بجميع جهاتهم. ولعل سرادقها من نار غليظة مركبة من دخان وغيره، ولذا قال لسرادقها. (**أربعة جدر**) بضمتين جمع جدار، وهو لا ينافي أن يمد من فوقهم. فإنه صح في الأخبار أنه يطبق عليهم بل على كل واحد منهم حتى يظن كل أنه لا يعذب في النار غيره، وهو أصعب. فإن البلية إذا عمت طابت، لا سيما إذا رأى أن عذابه أخف من بعض. (**كثف كل جدار**) بضم الكاف والمثلثة مرفوعاً في أصل السيد وكثير من النسخ. وفي بعضها بالكسر والفتح وعليه أكثر الشراح وهو الأظهر. فقال صاحب المفاتيح والخلخالي، بكسر الكاف وفتح المثلثة، أي الغلظ فالمعنى كثافة كل جدار وغلظه. (**مسيرة أربعين سنة**) وقال شارح: بالفتح والكسر الغلظ، وفي النهاية: الكثف جمع كثيف وهو الثخين الغليظ. لكن لا يخفى أن معنى الجمع غير ملائم لإضافته إلى كل جدار. نعم في نسخة ضبط بضمتين مجروراً على أنه صفة جدر وكل جدار بالرفع على الابتداء، وهو ظاهر لفظاً ومعنى، والله [تعالى] أعلم. (**رواه الترمذي**).

٥٦٨٢ ـ (**وعنه**) أي عن أبي سعيد رضي الله عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: لو أن دلواً من غساق**) بالتخفيف والتشديد، ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم، وقيل ما يسيل من دموعهم، وقيل هو الزمهرير، كذا في النهاية. وقيل هو الصديد البارد المنتن، لا يقدر على شربه من برودته كما لا يقدر على شرب الحميم لحرارته. قلت: وهو الملائم للجمع بينهما في

الحديث رقم ٥٦٨١: أخرجه الترمذي ٤/ ٦٠٨ حديث رقم ٢٥٨٤. وأخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٩.

الحديث رقم ٥٦٨٢: أخرجه الترمذي ٤/ ٦٠٨ حديث رقم ٢٥٨٤. وأحمد في المسند ٣/ ٢٨.

يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا». رواه الترمذي.

٥٦٨٣ - (١٩) وعن ابن عباس، أنّ رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ قال رسول الله ﷺ: «لو أنّ قطرة من الزَّقُّوم قَطرت في دارِ

قوله تعالى: ﴿فليذوقوه حميم وغساق﴾ [ص - ٥٧] . وكذا في قوله سبحانه: ﴿لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً﴾ [النبأ - ٢٥] . على النشر المشوش اعتماداً على فهم السامع: والحاصل أنه لو أن شيئاً قليلاً منه. (يهراق) بفتح الهاء ويسكن أن يصب. (في الدنيا) أي في أرضها (لأنتن أهل الدنيا)[1] أي لصاروا ذوي نتن منه، فأهل مرفوع على الفاعلية، وعليه الأصول المعتمدة. وكأنه وجد في بعض النسخ بالنصب على توهم أن أنتن متعد بزيادة الهمزة. فقال شارح: أنتن الشيء، أي تغير وصار ذا نتن. فنصب أهل ليس بصواب، إنما الصواب رفعه كذا قاله الإمام التوربشتي رحمه الله. وفي القاموس: النتن ضد الفوح. نتن ككرم وضرب نتانة، وأنتن فهو منتن بكسرتين وبضمتين، وكقنديل. أقول: ولعل وجه الكسرتين أنه كسر الميم تبعاً، كما في قوله: الحمد لله. قرىء في الشواذ بكسر الدال، وضمها تباعاً لما بعدها، وعد الكلمتين كلمة لامتزاجهما وعدم انفكاكهما غالباً. (رواه الترمذي) وكذا ابن حيان في صحيحه والحاكم في مستدركه[2].

٥٦٨٣ - (وعن ابن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿اتقوا الله﴾) أولها: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾. (﴿حق تقاته﴾) أي حق تقواه من القيام بالواجبات واجتناب السيئات وقد فسره ابن مسعود بقوله: هو أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، ورواه الحاكم عن رسول الله ﷺ، وكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه، وصححه المحدثون. فهو أما تفسير لكمال التقوى فلا إشكال، أو لأصلها فيكون منسوخاً بقوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ [التغابن - ١٦] . كما ذكره بعضهم. وقال بعض العارفين: هو أن ينزه الطاعة عن الالتفات إليها وعن توقع المجازات عليها. (﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾)[3] أي موحدون منقادون تائبون جامعون بين الخوف والرجاء غالبون حسن الظن بالمولى [جلّ وعلا] في الآخرة والأولى. وهو في الحقيقة أمر بدوام الإسلام، فإن النهي في هذا المقام توجه إلى القيد في الكلام. (فقال رسول الله ﷺ: لو أن قطرة من الزقوم) أي من ماء شجر يخرج في أصل الجحيم. قال شارح: الزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم والرائحة، يكره أهل النار على تناوله، فلو أن قطرة منه (قطرت) بالفتحات، أي نقطت ونزلت. (في دار

---

(١) في المخطوطة «أهلها».

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٦٠٢.

الحديث رقم ٥٦٨٣: أخرجه الترمذي ٤/ ٦٠٩ حديث رقم ٢٥٨٥ وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١٤٤٦ حديث رقم ٤٤٠٨ وأحمد في المسند ١/ ٣٠١.

(٣) سورة آل عمران. آية ١٠٢.

الدنيا لأفسدت على أهلِ الأرض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه؟!» رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

٥٦٨٤ ـ (٢٠) وعن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: ﴿وهم فيها كالحون﴾ قال: «تشويه النارُ فتقلّصُ شفته العُليا حتى تبلُغَ وسْط رأسه، وتسترخي شفته السُّفلى حتى

الدنيا لأفسدت) أي لمرارتها وعفونتها وحرارتها (على أهل الأرض معايشهم) بالياء وقد يهمز، جمع معيشة. (فكيف بمن يكون) أي الزقوم (طعامه) ففي الصحاح: إن الزقوم اسم طعام لهم فيه تمر وزبد والزقم أكله، فالمعنى[(١)] [أن هذا الزقوم] في العقبى بدل زقومهم في الدنيا. كما قال تعالى: ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾ [الدخان ـ ٤٣ ـ ٤٤]. قال [ابن عباس رضي الله تعالى عنه: لما نزل ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾. قال أبو جهل: التمر بالزبد نتزقمه. فأنزل الله تعالى: ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾[الصافات ـ ٦٤] الآيات. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: حق تقاته. أي واجب تقواه وما يحق[(٢)] منها، وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم، أي بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئاً. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ [التغابن ـ ١٦]. وقوله: ﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران ـ ١٠٢]. تأكيد لهذا المعنى، أي لا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت، فمن واظب على هذه الحالة وداوم عليها مات مسلماً وسلم في الدنيا من الآفات وفي الآخرة من العقوبات، ومن تقاعد عنها وتقاعس وقع في العذاب في الآخرة. ومن ثم اتبعه ﷺ بقوله: لو أن قطرة من الزقوم. الحديث وهو فعول من الزقم، اللقم الشديد والشرب المفرط. (رواه الترمذي. وقال: هذا حديث حسن صحيح) وكذا رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم وابن حبان[(٣)].

٥٦٨٤ ـ (وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:) أي في قوله تعالى: (﴿وهم فيها﴾) أي الكفار في النار. (﴿كالحون﴾)[(٤)] أي عابسون حين تحترق وجوههم من النار، كذا ذكره الطيبي [رحمه الله]. وقال شارح: أي بادية أسنانهم، وهو المناسب لتفسيره ﷺ، كما بينه الراوي بقوله: (قال:) وأعاده للتأكيد (تشويه) بفتح أوله، أي تحرق الكافر. (النار) أي نار أهل البوار. (فتقلص) على صيغة المضارع بحذف إحدى التائين، أي تنقبض. (شفته العليا) بفتح الشين وتكسر. (حتى تبلغ) أي تصل شفته (وسط رأسه) بسكون السين وتفتح. (وتسترخي) بالتذكير والتأنيث أي تسترسل. (شفته السفلى) تأنيث الأسفل كالعليا تأنيث

---

(١) في المخطوطة «بمعنى».

(٢) في المخطوطة «الجس».

(٣) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩/ ٢٧٨ حديث رقم ٧٤٢٧.

الحديث رقم ٥٦٨٤: أخرجه الترمذي ٤/ ٦١٠ حديث رقم ٢٥٨٧. وأحمد في المسند ٣/ ٨٨.

(٤) المؤمنون ـ آية ١٠٤.

تضرب سُرَّتَهُ». رواه الترمذي.

٥٦٨٥ ـ (٢١) وعن أنسٍ، عن النبي ﷺ قال: «يا أيها الناس! ابكوا فإن لم تستطيعوا فتباكوا، فإنَّ أهلَ النارِ يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم، كأنها جداولُ، حتى تنقطع الدموع، فتسيل الدماء، فتقرُح العيون، فلو أنَّ سُفُناً أُزجِيَتْ فيها لجَرَتْ». رواه في «شرح السنة».

٥٦٨٦ ـ (٢٢) وعن أبي الدَّرداءِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُلقى على أهلِ النَّارِ الجوعُ، فيعدِلُ ما هُم فيه منَ العذابِ، فيستَغيثونَ، فيُغاثونَ بطعامٍ من ضَريعٍ،

الأعلى. (حتى تضرب) أي تقرب شفته. (سرته. رواه الترمذي).

٥٦٨٥ ـ (وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يا أيها الناس ابكوا) بكسر همزة الوصل وضم الكاف، أمر من بكى يبكي. أي ابكوا خوفاً على ذنوبكم أو شوقاً إلى ربكم، كما أخبر الله سبحانه عن حالة أنبيائه وأصفيائه: ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمٰن خروا سجداً وبكياً﴾ [مريم ـ ٥٨]. وقد سجد بعض السلف في هذه الآية، فقال: هذه السجدة فأين البكاء. (فإن لم تستطيعوا) أي لم تقدروا على البكاء الحقيقي فإنه ليس بالأمر الاختياري. (فتباكوا) بفتح الكاف. أمر من باب التفاعل، والمعنى تحملوا أنفسكم [بالتكلف] على البكاء، وفيه إيماء إلى قوله تعالى: ﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً﴾ [التوبة ـ ٨٢]. (فإن أهل النار) أي من الكفار، ويحتمل أن يعم الفجار. (يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم.) أي عليها، والتعبير بفي أبلغ، ويؤيده قوله: (كأنها) أي دموعهم (جداول) جمع جدول، وهو النهر الصغير. (حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء) بنصب الفعل، ويرفع وكذا الوجهان في قوله: (فتقرح)، بتشديد الراء المفتوحة على أنه مضارع من باب التفعل. حذف إحدى التاءين منه، أي فتخرج (منه) أي من سيلان الدماء. (العيون) بضم العين وتكسر جمع العين. وفي نسخة فتقرح بسكون القاف وفتح الراء. فالعيون منصوب لأن قرح كمنع جرح على ما في القاموس، فالمعنى: فتخرج دموعهم أو دماؤهم عيونهم، فتزيد في سيلانها. (فلو أن سفناً) بضم السين والفاء جمع سفينة. (أزجيت) بصيغة المجهول من الإزجاء بالزاي والجيم أي أرسلت. (فيها) أي في الدموع أو الدماء. (لجرت) أي السفن (بها. رواه) أي البغوي (في شرح السنة) أي بإسناده.

٥٦٨٦ ـ (وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: يلقى) أي يسلط (على أهل النار الجوع) أي الشديد (فيعدل) بفتح الياء وكسر الدال، أي فيساوي الجوع. (ما هم فيه من العذاب) المعنى أن ألم جوعهم مثل ألم سائر عذابهم. (فيستغيثون) أي بالطعام (فيغاثون بطعام من ضريع) وهو نبت بالحجاز له شوك لا تقربه دابة لخبثه، ولو أكلت ماتت. والمراد هنا شوك

الحديث رقم ٥٦٨٥: أخرجه ابن ماجه ٢/١٤٤٦ حديث رقم ٤٣٢٤.

الحديث رقم ٥٦٨٦: أخرجه الترمذي ٤/٦٠٥ حديث رقم ٢٦٨.

لا يُسمِنُ ولا يُغني مِنْ جوعٍ، فيستغيثون بالطعام، فيُغاثونَ بطعامٍ ذي غُصَّةٍ، فيذكرونَ أنهم كانوا يُجيزونَ الغُصصَ في الدنيا بالشَّرابِ، فيستغيثونَ بالشراب فيرفع إليهمُ الحميمُ بكلاليبِ الحديدِ، فإذا دنَت من وُجوهِهِم شوت وُجوهَهم، فإذا دخلتْ بُطونَهم قطعتْ ما في بطونِهِم، فيقولونَ: ادْعوا خَزَنَةَ جهنَّم، فيقولونَ: ألَمْ تَكُ تأتيكم رسُلُكم بالبيِّناتِ؟ قالوا: بَلى. قالوا: فادْعوا، وما دُعاءُ الكافرينَ إلاَّ في ضَلالٍ» قال: «فيقولونَ: ادْعوا مالكاً،

من نار أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأحر من النار. (**لا يسمن**) أي لا يشبع الجائع ولا ينفعه، ولو أكل منه كثيراً. (**ولا يغني من جوع**) أي ولا يدفع ولو بالتسكين شيئاً من ألم الجوع. وفيه إيماء إلى قوله تعالى: ﴿**ليس لهم طعام إلا من ضريع**﴾ [الغاشية - ٦] . [إلى آخره] . (**فيستغيثون بالطعام**) أي ثانياً لعدم نفع ما أغيثوا أولاً. (**فيغاثون بطعام ذي غصة**) أي مما ينشب في الحلق ولا يسوغ فيه من عظم وغيره لا يرتقي ولا ينزل. وفيه إشعار إلى قوله تعالى: ﴿**إن لدينا أنكالاً وجحيماً وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً**﴾ [المزمل - ١٢ - ١٣] . والمعنى أنهم يؤتون بطعام ذي غصة فيتناولونه فيغصون به. (**فيذكرون أنهم كانوا يجيزون**) من الإجازة بالزاي، أي يسيغون (**الغصص**) جمع الغصة بالضم، وهي ما اعترض في الحلق فأشرق على ما في القاموس. والمعنى أنهم كانوا يعالجونها. (**في الدنيا بالشراب فيستغيثون**) أي على مقتضى طباعهم. (**بالشراب**) أي لدفع ما حصل لهم من العذاب. (**فيرفع إليهم الحميم**) بالرفع أي يرفع أطراف إناء فيه الحميم، وهو الماء الحار الشديد. (**بكلاليب الحديد**) أي على أيدي الملائكة أو بيد القدرة من غير الواسطة. (**فإذا دنت**) أي قربت أواني الحميم (**من وجوههم شوت وجوههم**) أي أحرقتها (**فإذا دخلت**) أي أنواع ما فيها من الصديد والغساق وغيرهما (**بطونهم قطعت ما في بطونهم**) أي من الأمعاء قطعة قطعة (**فيقولون: ادعوا خزنة جهنم**) نصب على أنه مفعول ادعوا، وفي الكلام حذف أي يقول الكفار بعضهم لبعض: ادعوا خزنة جهنم فيدعونهم. ويقولون لهم: ﴿**ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب**﴾. (**فيقولون:**) أي الخزنة (**ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات. قالوا: بلى. قالوا:**) أي الخزنة تهكماً بهم (**فادعوا**) أي أنتم ما شئتم فأنا لا نشفع للكافر (**وما دعاء الكافرين إلاّ في ضلال**) أي في ضياع، لأنه لا ينفعهم حينئذ دعاء لا منهم ولا من غيرهم. وهذا لا يدل على أنه لا يستجاب لهم دعوة في الدنيا كما فهمه بعض العلماء، وقد استجيب دعاء الشيطان في الامهال والله [تعالى] أعلم بالحال. وقال الطيبي [رحمه الله]: الظاهر أن خزنة جهنم ليس بمفعول ادعوا، بل هو منادى ليطابق قوله تعالى: ﴿**وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب**﴾ [غافر - ٤٩] . وقوله: ألم تك تأتيكم. إلزام للحجة وتوبيخ وأنهم خلفوا وراءهم أوقات الدعاء والتضرع، وعطلوا الأسباب التي يستجيب لها الدعوات. قالوا: فادعوا أنتم فإنا لا نجترئ على الله ذلك. وليس قولهم: فادعوا، لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة، فإن الملك المقرب إذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافرين. (**قال**) أي النبي ﷺ (**فيقولون:**) أي الكفار (**ادعوا مالكاً**) والمعنى أنهم لما أيسوا من دعاء خزنة جهنم لأجلهم وشفاعتهم لهم،

فيقولونَ: يا مالكُ! ليَقْضِ علَينا ربُّكَ» قال: «فيُجيبُهم إنَّكم ماكِثونَ». قال الأعمشُ: نُبِّئتُ أنَّ بينَ دُعائِهم وإجابَةِ مالك إياهُم ألفَ عامٍ قال: «فيقولونَ: ادْعوا ربَّكم، فلا أحدٌ خيرٌ من ربِّكم، فيقولونَ: ربَّنا غلَبتْ شِقْوَتُنا وكنَّا قوماً ضالِّينَ، ربَّنا أخرِجْنا منها فإنْ عُدْنا فإنا ظالمونَ» قال: «فيُجيبُهم: اخْسَؤوا فيها ولا تُكلِّمونِ» قال: «فعندَ ذلكَ يئِسوا منْ كلِّ خيرٍ، وعندَ ذلكَ يأخُذونَ في الزَّفيرِ والحسرةِ والوَيْلِ». قال عبدُ الله بنُ عبد الرَّحمٰنِ: والنَّاسُ لا يرفعونَ هذا الحديثَ. رواه الترمذيُّ.

٥٦٨٧ - (٢٣) وعن النُّعمانِ بنِ بشيرٍ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ:

أيقنوا أن لا خلاص لهم ولا مناص من عذاب الله. (**فيقولون: يا مالك ليقض**) أي سل ربك داعياً ليحكم بالموت (**علينا ربك**) لنستريح، أو من قضى عليه إذا أماته. فالمعنى ليمتنا ربك فنستريح. (**قال:**) أي النبي ﷺ (**فيجيبهم**) أي مالك جواباً من عند نفسه، أو من عند ربه تعالى بقوله: (**أنكم ماكثون**) أي مكثاً مخلداً (**قال الأعمش:**) وهو أحد الرواة من أجلاء التابعين. (**نبئت**) بتشديد الموحدة المكسورة، أي أخبرت من بعض الصحابة موقوفاً أو مرفوعاً. (**أن بين دعائهم وإجابة مالك إياهم**) أي بهذا الجواب (**ألف عام: قال: فيقولون:**) أي بعضهم لبعض (**ادعوا ربكم فلا أحد**) أي فليس أحد (**خير من ربكم**) أي في المرحمة والقدرة على المغفرة (**فيقولون: ربنا غلبت علينا شقوتنا**) بكسر فسكون وفي قراءة بفتحتين وألف بعدهما، وهما لغتان بمعنى ضد السعادة. والمعنى سبقت علينا هلكتنا المقدرة بسوء خاتمتنا. (**وكنا قوماً ضالين**) أي عن طريق التوحيد (**ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون**) وهذا كذب منهم، فإنه تعالى قال: ﴿**ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون**﴾ [الأنعام - ٢٨]. (**قال: فيجيبهم**) أي الله بواسطة أو بغيرها، [إجابة إعراض]. (**اخسؤوا فيها**) أي ذلوا وانزجروا كما ينزجر الكلاب إذا زجرت. والمعنى، ابعدوا أذلاء في النار. (**ولا تكلمون**) أي لا تكلموني في رفع العذاب فإنه لا يرفع ولا يخفف عنكم (**قال: فعند ذلك يئسوا**) أي قنطوا (**من كل خير**) أي مما ينجيهم من العذاب، أو يخففه عنهم. (**وعند ذلك**) أي أيضاً (**يأخذون في الزفير**) أي في احتراق النفس للشدة. وقيل: الزفير أول صوت الحمار، كما أن الشهيق آخر صوته. قال تعالى: ﴿**لهم فيها زفير وشهيق**﴾ [هود - ١٠٦] (**والحسرة**) أي وفي الندامة. (**والويل**) أي وفي شدة الهلاك والعقوبة. وقيل: هو واد في جهنم. (**قال عبد الله بن عبد الرحمٰن:**) أحد المحدثين من أصحاب التخريج (**والناس لا يرفعون هذا الحديث.**) أي بل يجعلونه موقوفاً على أبي الدرداء، لكنه في حكم المرفوع. فإن أمثال ذلك ليس مما يمكن أن يقال من قبل الراوي. (**رواه الترمذي**) أي مرفوعاً كما يفهم من صدر الحديث.

٥٦٨٧ - (وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

الحديث رقم ٥٦٨٧: أخرجه الدارمي في المسند ٢/ ٤٢٥ الحديث رقم ٢٨١٢. وأحمد في المسند ٢٦٨.

«أنذرتُكمُ النارَ، أنذرتكمُ النّارَ» فما زالَ يقولُها، حتى لو كانَ في مقامي هذا سمِعَه أهلُ السوقِ، وحتى سقطتْ خميصةٌ كانتْ عليهِ عندَ رِجلَيهِ. رواه الدارميُّ.

٥٦٨٨ ـ (٢٤) وعن عبدِالله بن عمرِو بنِ العاصِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لو أنَّ رَصاصةً

أنذرتكم النار) أي أخبرتكم بوجودها وأخبرتكم بشدتها وخوفتكم بأنواع عقوبتها. (أنذرتكم النار) أي أعلمتكم بما يتقي به عنها حتى قلت لكم: اتقوا النار ولو بشق تمرة. ثم يمكن أن يراد بهما الإنذار في زمان الحال، وعبر بالماضي لتحققه في السابق اللاحق للاستقبال، أو الأول إخبار والثاني إنشاء، أو جمع بينهما للتأكيد في أحد المعاني. وفي نسخة كرر ثلاثاً (فما زال يقولها) أي يكرر الكلمة المذكورة ويرفع بها صوته. (حتى لو كان) أي النبي ﷺ (في مقامي هذا) أي المقام الذي كان الراوي فيه عند روايته هذا الحديث. (سمعه) أي سمع صوته (أهل السوق) لأنه بالغ في رفع الصوت عملاً بقول نوح عليه [الصلاة] والسلام. ﴿ثم إني دعوتهم جهاراً ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً﴾ [نوح ـ ٨ ـ ٩]. (وحتى سقطت خميصه) وهي نوع ثوب. (كانت عليه) أي فوق كتفه بمنزلة ردائه (عند رجليه) أي من جذبته الإلهية وعدم شعوره من الهيئة الحسية. (رواه الدارمي).

٥٦٨٨ ـ (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص) بحذف الياء في أكثر النسخ المصححة، وفي نسخة بالياء. قال النووي [رحمه الله]: في مقدمة شرح مسلم: أما ابن العاص فأكثر ما يجيء في كتب الحديث والفقه ونحوهما بحذف الياء، وهي لغة. والفصيح الصحيح العاصي بإثبات الياء. وكذلك شداد بن الهادي وابن أبي الموالي. فالصحيح الفصيح في كل ذلك وما أشبهه إثبات الياء، ولا اعتداد بوجوده في كتب الحديث إذ أكثرها بحذفها أقول: تعبيره بالصحيح الفصيح غير صحيح، إذ جاء إثبات الياء وحذفها في الكلام الأفصح كتابة وقراءة. نعم حذفها رسماً أكثر من إثباتها قراءة، وإثباتها قراءة أشهر من حذفها في [نحو] قوله تعالى: ﴿المهتد والمتعال﴾، و﴿باق﴾ و﴿واق﴾[1]. ثم عدم الاعتداد بكتب الحديث المطابق لرسم المصحف الشريف المنسوب إلى كتابة الصحابة رضوان الله [تعالى] عليهم أجمعين، مستبعد جداً خصوصاً من الإمام النووي [رحمه الله]، الذي هو من أتباع المحدثين ومن الفقهاء المتورعين. هذا والصحيح في العاص أنه معتل العين لا معتل اللام، على ما حققه صاحب القاموس بقوله: الأعياص من قريش أولاد أمية بن عبد شمس [الأكبر]، وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص فالعاص على هذا يخرج عما نحن فيه بالكلية، ولا يجوز إثبات الياء فيه بالمرة والله [تعالى] أعلم. (قال: قال رسول الله ﷺ: لو أن رصاصة) بفتح الراء

الحديث رقم ٥٦٨٨: أخرجه الترمذي ٤/ ٦١١ حديث رقم ٢٥٨٨ وأحمد في المسند ٢/ ١٩٧.

(١) وهذه الكلمات من قوله تعالى: المهتد: ﴿ومن يهد الله فهو المهتد﴾ الإسراء ـ آية ٩٧. المتعال: ﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ الرعد ـ آية ٩. ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ النحل ـ آية ٩٦. ﴿ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق﴾ الرعد ـ آية ٣٤.

مثلَ هذِه ـ وأشارَ إلى مثلِ الجُمجُمةِ ـ أُرسِلتْ منَ السَّماءِ إلى الأرضِ، وهيَ مسيرةُ خمسمائةِ سنةٍ، لبلغتِ الأرضَ قبلَ الليلِ، ولوْ أنَّها أُرسلتْ منْ رأسِ السِّلسلةِ، لسارتْ أربعينَ خريفاً الليلَ والنهارَ قبلَ أنْ تبلغَ أصلَها أوْ قعرَها». رواه الترمذيُّ.

والصادين المهملتين أي قطعة من الرصاص. ففي القاموس الرصاص: كسحاب معروف. وفي نسخة السيد رضاضة براء واحدة ومعجمتين، وهي الحصا الصغار على ما في النهاية. وفي نسخ المصابيح رضراضة براءين ومعجمتين، وهي الحجارة المدقوقة على ما قاله شارح: وهو سهو من الكتاب، أو من صاحب الكتاب والله [تعالى] أعلم بالصواب. قال التوربشتي [رحمه الله]: في سائر نسخ المصابيح رضراضة مكان رصاصة، وهو غلط لم يوجد في جامع الترمذي، ولعل الغلط وقع من غيره. (**مثل هذه**) إشارة إلى محسوسة معينة هناك، كما أشار إليه الراوي بقوله: (**وأشار إلى مثل الجمجمة**) بضم الجيمين في النسخ المصححة للمشكاة، وهي قدح صغير. وقال المظهر بالخاءين المعجمتين: وهي حبة صغيرة صفراء. وقيل [هي] بالجيمين وهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ. وقيل: الأول أصح انتهى. والجملة حالية لبيان الحجم والتدوير المعين على سرعة الحركة. قال التوربشتي [رحمه الله]: بين مدى قعر جهنم بأبلغ [ما يمكن] من البيان، فإن الرصاص من الجواهر الرزينة، والجوهر كلما كان أتم رزانة كان أسرع هبوطاً إلى مستقره، لا سيما إذا انضم إلى رزانته كبر جرمه، ثم قدره على الشكل الدوري. فإنه أقوى انحداراً وأبلغ مروراً في الجواهر. فالمختار عنده أن المراد بالجمجمة جمجمة الرأس، على أن اللام للعهد أو بدل عن المضاف إليه، وهو المعنى الظاهر المتبادر من الجمجمة. ثم قوله: (**أرسلت**) صفة لاسم أن، وما بينهما معترضة، أي أدليت. (**من السماء إلى الأرض وهي**) أي مسافة ما بينهما (**مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل. ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة**) أي المذكورة في قوله تعالى: ﴿**ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه**﴾ [الحاقة ـ ٣٢] . فالمراد من السبعين الكثرة، أو المراد بذرعها ذراع الجبار. وقال شارح: أي رأس سلسلة الصراط، وهو في غاية من البعد. (**لسارت**) أي لنزلت وصارت مدة ما سارت (**أربعين خريفاً**) أي سنة (**الليل والنهار**) أي منهما جميعاً، لا يختص سيرها بأحدهما. (**قبل أن تبلغ أصلها**) أي أصل السلسلة (**أو قعرها**) شك من الراوي. والمراد بقعرها نهايتها وهو معنى أصلها حقيقة أو مجازاً. فالترديد إنما هو في اللفظ المسموع. وأبعد الطيبي [رحمه الله] حيث قال: يراد به قعر جهنم، لأن السلسلة لا قعر لها. قلت: وجهنم في هذا المقام لا ذكر لها مع لزوم تفكيك الضمير فيها وإن كان قعرها عميقاً على ما رواه هنا. وعن أنس مرفوعاً: «لو أن حجراً مثل سبع خلفات ألقي من شفير جهنم هوى فيها سبعين خريفاً لا يبلغ قعرها»[1] . والمراد بالخلفات، النوق الحوامل. فاختيار كبر جرم المرسل هنا مناسب لما قدمه التوربشتي [رحمه الله] . (**رواه الترمذي**).

---

(١) نسبه السيوطي إلى هناد في الجامع الصغير ٢/ ٤٥٤ حديث رقم ٧٤٠٩.

٥٦٨٩ - (٢٥) وعن أبي بُردةَ، عن أبيه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ في جهنمَ لوادياً يُقالُ له: هَبْهَبُ، يسكنُه كلُّ جبّارٍ». رواه الدارمي.

الفصل الثالث

٥٦٩٠ - (٢٦) عن ابنِ عمَرَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «يَعظُمُ أهلُ النّارِ في النارِ حتى إنَّ بينَ شحمةِ أُذنِ أحدِهم إلى عاتقِه مسيرةَ سبعمائةِ عامٍ، وإنَّ غِلَظَ جلدِه سبعون ذِراعاً، وإنَّ ضِرْسَهُ مثلُ أُحُدٍ».

٥٦٨٩ - **(وعن أبي بردة)** بضم موحدة **(عن أبيه)** قال المؤلف هو أبو بردة بن عامر ابن عبد الله بن قيس أحد التابعين المشهورين المكثرين، سمع أباه وعلياً وغيرهما. وكان على قضاء الكوفة بعد شريح فعزله الحجاج. **(أن النبي ﷺ قال: إن في جهنم لوادياً)** في القاموس هو مفرج بين جبال أو تلال أو آكام. **(يقال له هبهب)** بضم الباء الثانية من غير تنوين، وفي نسخة الجزري وكثير من النسخ. ولعل عدم انصرافه باعتبار البقعة مع العلمية، وفي نسخة السيد بسكون الباءين. ولا يظهر له وجه، اللهم إلاّ أن يقال إنه تكرار. هب أمر من الهبة، فكأن الوادي أو من حضره يقول بلسان الحال أو المقال: هب هب، مخاطباً خطاب العام والله [تعالى] أعلم بالمرام. وفي النهاية الهبهب السريع، وهبهب السراب إذا برق. قال التوربشتي [رحمه الله]: سمي بذلك إما لسرعة وقوعه في المجرمين أو لشدة أجيج النار فيه، أو للمعانه عند الاضطرام والالتهاب والله [تعالى] أعلم بالصواب. **(يسكنه)** فيه حذف وإيصال، أي يسكن فيه. **(كل جبار)** أي متكبر عنيد عن الحق بعيد، وعلى الخلق شديد. **(رواه الدارمي)** وروى ابن مردويه عن ابن عمر: والفلق سجن في جهنم يحبس فيه الجبارون والمتكبرون، وإن جهنم لتعوذ بالله منه. ورواه ابن جرير عن أبي هريرة: الفلق جب في جهنم مغطى.

(الفصل الثالث)

٥٦٩٠ - **(عن ابن عمر رضي الله [تعالى] عنهما، عن النبي ﷺ قال: يعظم أهل النار في النار)** أي تكبر جثثهم **(حتى إن)** بكسر الهمز ويفتح **(بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام)** أي ليزيد عذابهم كمية وكيفية **(وإن غلظ جلده سبعون ذراعاً)** عطف على مدخول حتى، أو على الجملة السابقة. وكذا قوله: **(وإن ضرسه مثل أحد)**.

الحديث رقم ٥٦٨٩: أخرجه الدارمي ٢/ ٤٢٧ حديث رقم ٢٨١٦.

الحديث رقم ٥٦٩٠: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٦.

٥٦٩١ ـ (٢٧) وعن عبدِ الله بنِ الحارثِ بن جَزْءٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ في النارِ حيَّاتٍ كأمْثالِ البُخْتِ تلسَعُ إحداهنَّ اللسعةَ فيجدُ حموتَها أربعينَ خريفاً، وإن في النار عقارب كأمثال البغال المؤكفة، تلسعُ إحداهنَّ اللسعةَ فيجد حموتَها أربعين خريفاً». رواهما أحمد.

٥٦٩٢ ـ (٢٨) وعن الحسنِ، قال: حدَّثنا أبو هريرةَ، عن رسول اللهِ ﷺ، قال: «الشمسُ والقمرُ ثورانِ مكوَّرانِ في النارِ يومَ القيامةِ». فقال الحسنُ: وما ذنبُهما؟ فقال: أُحدِّثك عن رسولِ الله ﷺ!

٥٦٩١ ـ **(وعن عبد الله بن الحارث بن جزء)** بفتح الجيم وسكون الزاي فهمز. قال المؤلف رحمه الله: هو عبد الله بن جزء أبو الحرث السهمي سكن مصر وشهد بدراً. مات سنة خمس وثمانين بمصر انتهى. وفيه إشكال لا يخفى. **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن في النار حيات كأمثال البخت)** بضم موحدة فسكون معجمة ومفردة. بختي في القاموس بالضم، الإبل الخراسانية. **(تلسع إحداهن اللسعة)** أي اللدغة **(فيجد)** أي ملسوعها **(حموتها)** بفتح فسكون، أي أثر سمها وسورة ألمها. **(أربعين خريفاً. وإن في النار عقارب كأمثال البغال المؤكفة)** بالهمز أو الواو والكاف مفتوحة، من أكفت الحمار وأوكفة شددت عليه الأكاف. **(تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً. رواهما)** أي الحديثين **(أحمد)**.

٥٦٩٢ ـ **(وعن الحسن)** أي البصري **(قال: حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: الشمس والقمر ثوران)** بفتح المثلثة، أي كثورين. فهو تشبيه بليغ، كقولهم زيد أسد، **(مكوران)** بتشديد الواو المفتوحة، أي ملفيان من طعنه فكورة، أي ألقاه على ما ذكره الطيبي [رحمه الله]. والمعنى أنه يلقي ويطرح كل منهما عن فلكهما. **(في النار يوم القيامة)** لزيادة عذاب أهلها بحرهما، لما ورد عن ابن عمر على ما رواه الديلمي في مسند الفردوس مرفوعاً: «الشمس والقمر وجوههما إلى العرش، وأقفاؤهما إلى الدنيا». ففيه تنبيه نبيه على أن وجوههما لو كانت إلى الدنيا لما أطاق حرهما أحد من أهل الدنيا. وقال ابن الملك: أي يلفان ويجمعان ويلقيان فيها. وكأنه أخذه من تكوير العمامة. ومنه قوله تعالى: **﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾** [الزمر ـ ٥]. قال في النهاية: ومنه حديث أبي هريرة [رضي الله تعالى عنه]: «يجاء بالشمس والقمر ثورين مكورين في النار». والرواية ثوران بالثاء المثلثة، كأنهما يمسخان. وقد روي بالنون وهو تصحيف انتهى. ومن الغريب أنه وقع في نسختي الشيخ الجزري والسيد بالنون، أصلاً وبالمثلثة في الهامش نسخة. ومما يؤيد الرواية بالثاء ما ذكره السيوطي [رحمه الله] في البدور عن أنس وعن كعب الأحبار أيضاً: ثوران عقيران. **(فقال الحسن: وما ذنبهما فقال:)** أي أبو هريرة **(أحدثك عن رسول الله ﷺ)** قال الطيبي [رحمه الله]:

الحديث رقم ٥٦٩١: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٩١.

فسكتَ الحسنُ. رواه البيهقيُّ في «كتاب البعث والنشور».

٥٦٩٣ ـ (٢٩) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يدخلُ النّارَ إلاَّ شقيٌّ». قيلَ: يا رسولَ الله! ومَنِ الشقيُّ؟ قال: «مَن لم يعملْ للَّهِ بطاعةٍ، ولم يتركْ له معصيةً».

أي تقابل النص الجلي بالقياس، وبجعل موجب دخول النار العمل، فإن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. أقول: الظاهر من سؤاله بيان الحكمة في إدخالهما النار مع انقيادهما وطاعتهما للملك الجبار، والنار إنما هي دار البوار للكفار والفجار. فمعنى قول أبي هريرة: أحدثكم عن رسول الله ﷺ ما سمعته، وليس لي مزيد علم على ذلك. (فسكت الحسن) فثبت أن سؤاله حسن، وكذا جوابه مستحسن، مع أنه لا يلزم من إدخالهما في النار تعذيبهما كخزنة جهنم. فقال بعض العلماء: إنما جعلا في النار لأنهما قد عبدا من دون الله تبكيتاً للكافرين. قال القرطبي [رحمه الله]: قد ورد عن ابن عباس تكذيب كعب الأحبار في قوله هذا حيث قال له: «هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام والله [تعالى] أكرم من أن يعذبهما وهما دائبان في طاعته. ثم حدث عن النبي ﷺ أنهما يعودان إلى ما خلقا منه، وهو نور العرش فيختلطان». وحاصله أنهما يصيران نورين، والنور لا يعذب بالنار. ولذا تقول النار للمؤمن: جز يا مؤمن، فإن نورك أطفأ لهبي. فيرجع الكلام إلى أن فائدة إدخالهما تعيير عبدتهما، فلا منافاة بين قول كعب وبين قول ابن عباس عند التأمل الشافي والله [تعالى] الكافي، مع أن الحديث المروي غير ثابت. قال السيوطي [رحمه الله] في البدور: هذا الحديث أخرجه أبو الشيخ في العظمة من طريق أبي عصمة نوح بن أبي مريم عن مقاتل، وابن حبان عن عكرمة عن ابن عباس، وأبو عصمة كذاب وضاع. (رواه البيهقي في كتاب البعث والنشور.) وفي الجامع الصغير: الشمس والقمر مكوّران يوم القيامة. رواه البخاري عن أبي هريرة[1]. وروى ابن مردويه عن أنس مرفوعاً: الشمس والقمر ثوران عقيران في النار، إن شاء أخرجهما وإن شاء تركهما[2]. قيل: قوله عقيران، أي زمان يعني لا يجريان.

٥٦٩٣ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا يدخل النار إلا شقي. قيل: يا رسول الله ومن الشقي. قال: من لم يعمل لله) أي لأجل رضاه، أو لأمره. (بطاعة) أي بواجبة (ولم يترك له) أي لله (معصية) وهو شامل للكافر والفاجر. فقوله تعالى: ﴿لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى﴾ [الليل ـ ١٥ ـ ١٦]. محمول على الصلي على وجه الخلود. وقال الطيبي [رحمه الله]: الباء زائدة فيهما وبناء المرة فيهما مع التنكير للتقليل، وزيادة الباء للتأكيد يدل على ترجيح جانب الرحمة، وأن الله لا يضيع أجر من عمل له طاعة ما، أو ترك

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٠٤ حديث رقم ٤٩٤٨ والحديث أخرجه البخاري ٦/ ٢٩٧ حديث رقم ٣٢٠٠.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٣٠٤ حديث رقم ٤٩٤٩.

الحديث رقم ٥٦٩٣: أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٤٣٦ حديث رقم ٤٢٩٨. وأحمد في المسند ٢/ ٣٤٩.

رواه ابنُ ماجه.

(٨) باب خلق الجنة والنار

الفصل الأول

٥٦٩٤ ـ (١) عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تحاجَّتِ الجنةُ والنارُ، فقالت النارُ: أُوثِرْتُ بالمتكبِّرينَ والمتجبِّرينَ، وقالت الجنةُ: فما لي لا يدخلُني إلاَّ ضُعفاءُ الناسِ وسَقَطُهم

لأجله ولخوفه معصية ما نحو قوله [تعالى]: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات ـ ٤٠ ـ ٤١] . (رواه ابن ماجه).

(باب خلق الجنة والنار)

أي في كونهما مخلوقتين على ما هو مذهب أهل السنة والجماعة، وفي بيان أنهما لمن خلقتا وذكر بعض أوصافهما من خلقتهما.

(الفصل الأول)

٥٦٩٤ ـ **(عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: تحاجت)** بتشديد الجيم، أي تخاصمت وتجادلت وتعارضت. **(الجنة والنار)** أي بلسان القال أو ببيان الحال. قال الطيبي [رحمه الله]: هذه المحاجة جارية على التحقيق، فإنه تعالى قادر على أن يجعل كل واحدة مميزة مخاطبة، أو على التمثيل. قلت: الأول هو المعول، لأن مذهب أهل السنة على ما في المعالم. إن لله علماً في الجمادات وسائر الحيوانات، سوى العقلاء لا يقف عليها غيره، فلها صلاة وتسبيح وخشية. فيجب على المرء الايمان به ويكل علمه إلى الله سبحانه انتهى. وأدلته كثيرة ليس هذا محل ذكرها والله [تعالى] أعلم. **(فقالت النار: أوثرت)** بصيغة المجهول من الإيثار، أي اخترت. **(بالمتكبرين)** أي عن الحق **(والمتجبرين)** أي على الخلق بالتسلط والقهر. فقيل: هما بمعنى جمع بينهما للتأكيد. وقيل: المتكبر المتعظم بما ليس فيه، والمتجبر الذي لا يوصل إليه. وقيل: الذي لا يكترث ولا يبالي بأمر الضعفاء والمساكين. **(وقالت الجنة: فما لي)** أي فأي شيء وقع لي. **(لا يدخلني إلا ضعفاء الناس)** أي في البدن والمال **(وسقطهم)** بفتحتين، أي أرذلهم وأكثرهم خمولاً، وأقلهم اعتباراً المحقرون فيما بينهم الساقطون عن

الحديث رقم ٥٦٩٤: أخرجه البخاري ٨/ ٥٩٥. حديث رقم ٤٨٥٠. ومسلم ٤/ ٢١٨٦ حديث رقم (٣٦ ـ ٢٨٤٦). وأخرجه الترمذي ٤/ ٥٩٨ حديث رقم ٢٥٦١. وأحمد في المسند ٢/ ٣١٤.

وغِرَّتُهم. قال اللَّهُ تعالى للجنةِ: إنما أنتِ رحمَتي أرحمُ بكِ مَن أشاءُ من عِبادي، وقال للنَّارِ: إنما أنتِ عذابي أعذِّبُ بكِ من أشاءُ مِنْ عبادي، ولكلِّ واحدةٍ منكُما ملؤُها، فأمّا النَّارُ فلا تمتلىءُ حتى يضعَ اللَّهُ رجلَه.

أعينهم. وهذا بالنسبة إلى ما عند أكثر الناس لأنهم كما قال تعالى: ﴿**ولكن أكثرهم لا يعلمون**﴾ [الأنعام ـ ٣٧] . وفي موضع: ولكن أكثرهم يجهلون. وأما بالنسبة إلى ما عند الله عظماء، وكذا عند من عرفهم من العلماء والصلحاء. فوصفهم بالسقط والضعف لهذا المعنى. أو المراد بالحصر الأغلب. (**وغرتهم**) بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء. وهي عدم التجربة أو وجود الغفلة بمعنى الذين لا تجربة لهم في الدنيا ولا اهتمام لهم بها، أو الذين هم غافلون عن أمور الدنيا شاغلون بمهم العقبى، على ما ورد في الخبر: «أكثر أهل الجنة البله»[1]. أي في أمور الدنيا، بخلاف الكفار فإنهم كما قال تعالى: ﴿**يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم من الآخرة هم غافلون**﴾ [الروم ـ ٧] . هذا وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: رواه الأكثر بغين معجمة مفتوحة فراء فثاء مثلثة، أي أهل الحاجة من الغوث وهو الجوع. وروي بكسر الغين المعجمة وتشديد [الراء] وبتاء مثناة فوقية، أي البله الغافلون. وهي ثابتة في أكثر نسخ مسلم. ورواه آخرون بعين مهملة فجيم فزاي مفتوحات وتاء مثناة، جمع عاجز. وروي بضم العين والجيم جمع عاجز أيضاً. (**قال الله للجنة:**) ابتدأ بها للحديث القدسي: «سبقت رحمتي غضبي»[2]. وجبراً لها حيث انكسر بالهاء بما لها من الضعفاء، وغلبت في السؤال وضعفت في الجواب (**إنما أنت رحمتي**) أي مظهرها. في شرح السنة سمى الجنة رحمته لأن بها يظهر رحمة الله تعالى. كما قال: (**أرحم بك من أشاء من عبادي**) وإلا فرحمة الله من صفاته التي لم يزل بها موصوفاً. ليست لله صفة حادثة ولا اسم حادث، فهو قديم بجميع أسمائه وصفاته جلّ جلاله وتقدست أسماؤه. وفي المعالم الرحمة. ارادة [الله] الخير لأهله. وقيل: ترك عقوبة من يستحقها واسداء الخير إلى من لا يستحق. فهو على الأول صفة ذات، وعلى الثاني صفة فعل. (**وقال**) أي الله (**للنار: إنما أنت عذابي**) أي سبب عقوبتي ومنشأ سخطي وغضبي. (**أعذب بك من أشاء من عبادي**) والحاصل أن الجنة والنار، والمؤمنون والكفار مظاهر للجمال والجلال على وصف الكمال، ولا يظهر لأحد وجه تخصيص. كل بكل في مقام الفصل، مع العلم بأن أحدهما من باب العدل والآخر من طريق الفضل، [و] لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. (**ولكل واحدة منكما ملؤها**) لأن كمالهما في ملء مآلهما. (**فأما النار فلا تمتلىء**) قال تعالى: ﴿**يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد**﴾ [ق ـ ٣٠] . أي فتطلب الزيادة ولا تمتلىء من أهلها المعد لها (**حتى يضع الله**) أي فيها أو عليها (**رجله**) وفي الرواية الآتية قدمه. فمذهب السلف التسليم والتفويض مع التنزيه. وأرباب التأويل من الخلف يقولون المراد بالقدم قدم بعض مخلوقاته، أو قوم قدمهم الله للنار من أهلها. وتقدم في سابق حكمه أنهم لاحقوها،

---

(١) وأخرجه ابن عدي ٣/ ١١٦٠.

(٢) متفق عليه: البخاري ١٣/ ٤٠٤ حديث ٧٤٢٢ ومسلم ٤/ ٢١٠٨ حديث رقم (١٥ . ٢٧٥١).

تقول: قَطْ قَطْ قَطْ، فهُنالكَ تمتلىءُ ويُزوى بعضُها إلى بعضٍ، فلا يظلمُ اللّهُ من خلقِه أحداً، وأما الجنةُ فإنَّ اللّهَ يُنشِىءُ لها خَلقاً.

فتمتلىء منهم جهنم. والعرب تقول: كل شيء قدمته من خير أو شر فهو قدم، ومنه قوله تعالى: ﴿أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ [يونس - ٢]. أي ما قدموه من الأعمال الصالحة الدالة على صدقهم في تصديقهم. والمراد بالرجل الجماعة [من الجراد]. وهو وإن كان موضوعاً لجماعة كثيرة من الجراد، لكن استعارته لجماعة الناس غير بعيد، أو أخطأ الراوي في نقله الحديث بالمعنى وظن أن الرجل سد مسد القدم. هذا وقد قيل: وضع القدم على الشيء مثل للروع والقمع، فكأنه قال: يأتيها أمر الله فيكفيها من طلب المزيد. ويدل على هذا المعنى قوله: فيضع الرب قدمه عليها، ولم يقل فيها. كذا قاله شارح المصابيح. لكن الرواية الآتية بلفظ فيها في المشكاة، نعم قد تأتي بمعنى على، على ما في التنزيل: ﴿لأصلبنكم في جذوع النخل﴾ [طه - ٧١]. وقيل: أريد به تسكين فورتها، كما يقال للأمر يراد إبطاله، وضعته تحت قدمي. ذكره في النهاية. وفي شرح السنة: القدم والرجل المذكوران في هذا الحديث من صفات الله المنزهة عن التكييف والتشبيه، وكذلك كل ما جاء من هذا القبيل في الكتاب أو السنة كاليد والإصبع والعين والمجيء والإتيان والنزول؛ فالإيمان بها فرض، والامتناع عن الخوض فيها واجب. فالمهتدي من سلك فيها طريق التسليم، والخائض فيها زائغ، والمنكر معطل، والمكيف مشبه. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾. انتهى. وهو الموافق لمذهب الإمام مالك [رحمه الله]. ولطريق إمامنا الأعظم على ما أشار إليه في الفقه الأكبر[1]، فالتسليم أسلم والله تعالى أعلم. **(تقول)** أي النار، والجملة استئناف بيان أو حال. وإلا فكان الظاهر أن يقال: فتقول: **(قط)** بفتح القاف وسكون الطاء، وفي نسخة بكسرها منونة، وفي أخرى من غير تنوين. **(قط قط)** ذكر ثلاث مرات على ما في النسخ المصححة. والمفهوم من قول شارح أنه مرتين حيث قال: بسكون الطاء أي كفى كفى. ويحتمل كسر الطاء، أي حسبي حسبي. قال النووي: فيه ثلاث لغات، بإسكان الطاء فيهما وبكسرها منونة وغير منونة. وفي القاموس إذا كان قط بمعنى حسب فقط كمن، وقط منوناً مجروراً. فاقتصاره عليهما مشعر بأن الكسر مع غير التنوين ضعيف. **(فهنالك)** أي في ذلك الزمان **(تمتلىء)** أي النار بقدرة الله تعالى. **(ويزوي)** بصيغة المجهول، أي يضم ويجمع. **(بعضها إلى بعض)** أي من غاية الامتلاء **(فلا يظلم الله)** أي أبداً **(من خلقه أحداً)** أي لا ينشىء الله خلقاً للنار، فإنه ظلم بحسب الصورة، وإن لم يكن ظلماً حقيقة، فإنه تصرف في ملكه والله تعالى لا يفعل ما في صورة الظلم. **(وأما الجنة فإن الله [تعالى] ينشىء لها)** أي من عنده **(خلقاً)** أي جمعاً لم يعملوا عملاً، وهذا فضل من الله تعالى، كما أنه سبحانه لو أنشأ للنار خلقاً على ما

---

(١) راجع ص ٥٨ من كتاب شرح الفقه الأكبر.

متفق عليه.

٥٦٩٥ - (٢) وعن أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لا تزالُ جهنمُ يُلقى فيها وتقولُ: هل مِنْ مَزيدٍ؟ حتى يضعَ ربُّ العزَّةِ فيها قدَمَه فينزَوي بعضُها إلى بعضٍ، فتقول: قطٍ قطٍ، بعزَّتكَ وكرمكَ، ولا يزالُ في الجنَّةِ فضلٌ حتى يُنشىءَ اللّهُ لها خَلقاً فيُسكنَهم فضلَ الجنةِ». متفق عليه.

وذكرَ حديث أنسٍ: «حُفَّتِ الجنَّةُ بالمكارِهِ» في «كتاب الرِّقاق».

الفصل الثاني

٥٦٩٦ - (٣) عن النبيِّ ﷺ، قال: «لما خلقَ اللّهُ الجنَّةَ قال

قبل، لكان عدلاً والله [تعالى] أعلم. (متفق عليه).

٥٦٩٥ - (ومن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا تزال جهنم يلقى) أي يطرح (فيها) أي من الكفار والفجار (وتقول: هل من مزيد.) أي من زيادة (حتى يضع رب العزة) أي صاحب الغلبة والقوة والقدرة (فيها قدمه) وقد قدمنا ما يتعلق به. (فينزوي) أي ينضم ويجتمع. (بعضها إلى بعض فتقول: قط قط) أي مرتين، والمراد بهما الكثرة أو انحصار العدد، (بعزتك وكرمك) أي زيادة عطائك (ولا يزال في الجنة فضل) أي زيادة مساكن خالية عن السكان. (حتى ينشىء الله لها خلقاً فيسكنهم) من الإسكان (فضل الجنة) أي في تلك الزيادة منها. قال النووي في قوله: وأما الجنة فإن الله ينشىء لها خلقاً. هذا دليل لأهل السنة على أن الثواب ليس متوقفاً على الأعمال، فإن هؤلاء يخلقون حينئذ ويعطون الجنة بغير عمل. قال الطيبي [رحمه الله]: وللمعتزلة أن يقولوا إن نفي الظلم عمن لم يذنب دليل على أنه إن عذبهم كان ظلماً، وهو عين مذهبنا. والجواب أنا وإن قلنا وإن عذبهم لم يكن ظلماً، فإنه لم يتصرف في ملك غيره، لكنه تعالى لا يفعل ذلك لكرمه ولطفه مبالغة. فنفي الظلم إثبات للكرم (متفق عليه وذكر حديث أنس: حفت الجنة بالمكاره) تمامه: وحفت النار بالشهوات. (في كتاب الرقاق) أي لأن الحديث أنسب به من هذا الباب، والله [تعالى] أعلم بالصواب.

(الفصل الثاني)

٥٦٩٦ - (عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لما خلق الله الجنة قال

الحديث رقم ٥٦٩٥: أخرجه البخاري ٨/ ٥٩٤. حديث رقم ٤٨٤٨. ومسلم ٤/ ٢١٨٧ حديث رقم (٣٧. ٢٨٤٨) وأخرجه الدارمي في السنن ٢/ ٤٣٧ حديث رقم ٢٨٤٣. وأحمد في المسند ٣/ ١٣.

الحديث رقم ٥٦٩٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٠٨ حديث رقم ٤٧٤٤. وأخرجه الترمذي ٤/ ٥٩٨ حديث رقم ٢٥٦٠. وأخرجه النسائي حديث رقم ٦٧٦٣. وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٣٢.

لجبريلَ: اذهبْ فانظرْ إليها، فذهبَ فنظرَ إليها وإلى ما أعدَّ اللَّهُ لأهلِها فيها، ثمّ جاءَ فقال: «أي ربِّ! وعزّتكَ لا يسمعُ بها أحدٌ إلاّ دخلَها، ثمّ حفّها بالمكارِه، ثمّ قال: يا جبريلُ! اذهبْ فانظرْ إليها، فذهبَ فنظرَ إليها، ثمّ جاءَ فقال: أيْ ربِّ! وعزّتكَ لقدْ خشيتُ أن لا يدخُلها أحدٌ» قال: «فلمّا خلقَ اللَّهُ النارَ قال: يا جبريلُ! اذهبْ فانظرْ إليها» قال: «فذهبَ فنظرَ إليها، ثمّ جاءَ فقال: أيْ ربِّ! وعزّتكَ لا يسمعُ بها أحدٌ فيدخلُها، فحفّها بالشهواتِ، ثمّ قال: يا جبريلُ! اذهبْ فانظرْ إليها، فذهبَ فنظرَ إليها، فقال: أيْ ربِّ! وعزّتكَ لقد خشيتُ أنْ لا يبقى أحدٌ إلاّ دخلَها».

لجبريل: اذهب فانظر إليها.) أي نظر اعتبار **(فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها)** أي ما أعد الله [لعباده] الصالحين، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **(ثم جاء)** أي رجع إلى موضعه، أو إلى حيث ما أمر به، أو إلى تحت العرش. **(فقال: أي رب)** أي يا رب **(وعزتك لا يسمع بها أحد)** أي ويحب دخولها

* فالأذن تعشق قبل العين أحياناً *

(إلا دخلها) أي طمع في دخولها وجاهد في حصولها ولا يهتم إلا بشأنها لحضورها ولحسنها وبهجتها. **(ثم حفها)** أي أحاطها الله **(بالمكاره)** جمع مكره، وهي المشقة والشدة على غير قياس. والمراد بها التكاليف الشرعية التي هي مكروهة على النفوس الإنسانية. وهذا يدل على أن المعاني لها صور حسية في تلك المباني. **(ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها)** أي ثانياً لما تجدد من الزيادة عليها باعتبار حواليها **(قال:)** أي النبي ﷺ، وفي أكثر الأصول بدون قال. **(فذهب فنظر [إليها])**[1] أي ورأى ما عليها **(ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد)** أي لما رأى حولها من الموانع التي هي العلائق والعوائق للخلائق. قال الطيبي [رحمه الله]: أي لوجود المكاره من التكاليف الشاقة ومخالفة النفس وكسر الشهوات. **(قال: فلما خلق الله النار قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها. قال: فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها)** أي لا يسمع بها أحد إلا فزع منها واحترز فلا يدخلها **(فحفها بالشهوات. ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها. قال: فذهب)** وهو موجود هنا في أكثر النسخ المصححة. **(فنظر إليها فقال: أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلاّ دخلها)** أي لميلان النفس إلى الشهوات وحب اللذات وكسلها عن الطاعات والعبادات. فهذا الحديث تفسير للحديث الصحيح السابق: حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات. وفي معناه ما في الجامع الكبير للسيوطي: إن الله بنى مكة على المكروهات والدرجات. ونعم ما قال بعض أرباب الحال:

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقد والإقدام قتال

---

(١) في المخطوطة «حواليها».

رواه الترمذيُّ، وأبو داود، والنسائي.

الفصل الثالث

٥٦٩٧ ـ (٤) عن أنسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ صلَّى لنا يوماً الصلاةَ، ثمَّ رَقِيَ المنبرَ، فأشارَ بيدِه قِبَلَ قبلةِ المسجدِ، فقال: «قدْ أُريتُ الآنَ مذْ صلَّيتُ لكم الصلاةَ الجنةَ والنارَ ممثَّلتينِ في قِبَلِ هذا الجدارِ، فلم أرَ كاليومِ في الخيرِ والشرِّ». رواه البخاريُّ.

(رواه الترمذي وأبو داود والنسائي).

(الفصل الثالث)

٥٦٩٧ ـ (عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى) أي إماماً أو جماعة (لنا يوماً الصلاة) اللام للعهد الذهني الذي هو في المعنى كالنكرة. (ثم رقي) بكسر القاف أي صعد (المنبر فأشار بيده قبل قبلة المسجد) بكسر القاف وفتح الموحدة أي إلى جانبها وجهتها (فقال: قد أريت) بصيغة المجهول من الإراءة أي أبصرت (الآن) أي في هذا الزمن القريب من الماضي، والاستقبال المعبر عنه بالحال مع مراعاة التوسعة باعتبار المآل. ولذا قال: (مذ صليت لكم الصلاة) أي حين صليت، أو من ابتداء زمان ما صليت لكم الصلاة إلى أن رقيت المنبر. (الجنة والنار ممثلتين) بتشديد المثلثة، أي مصورتين صورة إجمالية أو تفصيلية. (في قبل هذا الجدار) بكسر القاف وفتح الباء، وفي نسخة بضمهما. أي في مقابلته. ففي القاموس: القبل بالضم بضمتين نقيض الدبر. ورأيته قبلاً محركة وبضمتين وكصرد وكعنب أي عياناً ومقابلة. قال الكرماني: فإن قلت الآن للحال وأريت للماضي فكيف يجتمعان. قلت: قد تقربه للحال، فإن قلت: فما قولك في صليت فإنه للمضي البتة. قلت: كل مخبر أو منشىء يقصد الزمان الحاضر لا اللحظة الحاضرة الغير المنقسمة المسماة بالحال انتهى. والمعنى أن الحال في كل مقام بحسب ما يناسبه المقام في تحصيل المرام. (فلم أر كاليوم في الخير والشر) أي لم أر مرئياً كمرئي اليوم في الخير، ولا مرئياً كمرئي اليوم في الشر. فإن الجنة جامعة للخيرات من الحور والقصور، والنار حائزة لأنواع الشرور من الويل والثبور، فلا نظير لهما في جمع الخير والشر. قال الطيبي [رحمه الله]: الكاف في موضع الحال، وذو الحال هو المفعول وهو الجنة والنار لشهادة السابق. والمعنى: لم أر الجنة والنار في الخير والشر يوماً من الايام مثل ما رأيت اليوم، أي رأيتهما رؤية جلية ظاهرة مثلتا في قبل هذا الجدار ظاهراً خيرها وشرها. (رواه البخاري). ورواه مسلم عن أنس أيضاً: عرض علي الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط. فلم أر كاليوم في الخير والشر. ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً[1].

الحديث رقم ٥٦٩٧: أخرجه البخاري ١/ ٥١٥ حديث رقم ٤١٩.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٣٢ حديث رقم ٢٣٥٩.

(٩) باب بدء الخلق وذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

الفصل الأول

٥٦٩٨ ـ (١) عن عِمرانَ بنِ حُصَينٍ، قال: إني كنتُ عندَ رسولِ الله ﷺ إذ جاءَهُ قومٌ من بَني تميمٍ، فقال: «اقبَلوا البُشرى يا بَني تميمٍ!» قالوا: بشَّرْتَنا فأعطِنا،

(باب بدء الخلق وذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)

البدء بفتح الموحدة فتسكين الدال فالهمزة بمعنى الابتداء، وينبغي أن لا يكتب بالواو حتى لا يشتبه ضبطه بضمتين فواو ساكنة فهمز، أو بواو مشددة بلا همز. فإن معناهما الظهور على ما حققته في رسالتي التي علقتها على أول كتاب البخاري مما يتعلق بباب، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ منتهياً إليّ، وقول الله تبارك وتعظم من إتيان الإعراب على وجه الخلو عن الإغراب. نعم لو رسم بالياء له وجه وجيه.

(الفصل الأول)

٥٦٩٨ ـ (**عن عمران بن حصين قال: إني كنت عند رسول الله ﷺ إذ جاءه قوم**) أي وقت مجيئهم (**من بني تميم**) قبيلة عظيمة مشهورة (**فقال: اقبلوا**) بفتح الموحدة أي تقبلوا مني (**البشرى**) بضم الموحدة، أي البشارة المطلقة أو المعهودة. (**يا بني تميم**) وهو لما لم يفهموا الإشارة بالبشارة [ولم] يعرفوا طريق استقبالها بالقبول المرتب عليه حصول كل وصول. (**قالوا: بشرتنا فأعطنا**) فحملوا البشارة على الإحسان العرفي، فطلبوا ما يترتب عليه من العطاء الحسي. وهذا بمقتضى ما غلب عليهم من [حب] الدنيا العاجلة وغفلتهم عن المراتب الآجلة. فكل إناء يترشح بما فيه وينبي عن ذلك البناء معانيه. وقد علم كل أناس مشربهم وكل حزب بما لديهم فرحون منهجهم ومذهبهم. وقال الطيبي [رحمه الله]: أي اقبلوا مني ما يقتضي أن تبشروا بالجنة من التفقه في الدين والعمل به، ولما لم يكن جل اهتمامهم إلا بشأن الدنيا والاستعطاء دون دينهم قالوا: بشرتنا للتفقه وإنما جئنا للاستعطاء فأعطنا. ومن ثم قال رسول الله ﷺ: إذ لم يقبلها بنو تميم. وقال العسقلاني: بشرتنا، هو دال على إسلامهم، وإنما راموا العاجل وغفلوا عن الآجل. وسبب غضبه ﷺ ونفيه قبولهم البشرى، إشعاره بقلة علمهم وضعف قابليتهم لكونهم علقوا آمالهم بعاجل الدنيا الفانية، وقدموا ذلك على التفقه في الدين الموصل

الحديث رقم ٥٦٩٨: أخرجه البخاري ٦/٢٨٦. حديث رقم ٣١٩٠. وأخرجه الترمذي ٥/٦٨٨ حديث رقم ٣٩٥١ وأخرجه أحمد في المسند ٤/٤٢٦.

فدخلَ ناسٌ منْ أهلِ اليمنِ، فقال: «اقبلوا البُشرى يا أهلَ اليمنِ! إذ لم يقبلْها بنو تميمٍ» قالوا: قبلنا، جئناكَ لنتفقَّهَ في الدينِ، ولنسألَكَ عن أولِ هذا الأمرِ ما كانَ؟ قال: «كانَ اللَّهُ ولم يكنْ شيءٌ قبلَه،

إلى ثواب الآخرة الباقية. وكان الواجب عليهم اهتمامهم بالسؤال عن حقائق كلمة التوحيد والمبدأ والمعاد والاعتناء بضبطها والسؤال عن واجباتها والموصلات إليها. (**فدخل ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم. قالوا: قبلنا جئناك لنتفقه في الدين**) أي عملاً بقوله تعالى: ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾ [التوبة ـ ١٢٢]. ولما كان نيتهم الصالحة خالصة للتفقه في الدين لا للطمع في الدنيا، حصل لهم البشارة والقبول والعلم والعمل والوصول، وحرم الأولون عن البشارة بل وعن العطاء في الحقارة، ووقعوا في حضيض النذارة. فالهمة العالية هي الموصلة إلى المرتبة الغالية، كما قدمناه في الحكاية المروية عن الشيخ أبي العباس المرسي: أنه خرج من المدينة المطهرة على قصد زيارة تربة الأمين حمزة المنورة، وتبعه رجل ففتح لهما باب المقبرة على خرق العادة. ودخل الشيخ في محل الزيارة فرأى جماعة من رجال الغيب بريئة من النقصان والعيب. فعرف أنه ساعة الإجابة فطلب من الله العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة. ثم قال للرجل الذي تبعه ملتفتاً إليه، رحمة وشفقة عليه: يا أخي اطلب من الله تعالى ما تريد فإن الآن وقت الإجابة والمزيد. فسأل الله تعالى ديناراً ولم يذكر جنةً ولا ناراً فرجعا. ولما وصلا باب المدينة أعطى الرجل ديناراً أحد من أهل السكينة فدخلا كلاهما على القطب الولي السيد أبي الحسن الشاذلي، وقد كشف له القضية. فقال للرجل: أيا دني الهمة تدرك وقت الإجابة وتطلب قطعة دينار دنية فهلا طلبت كأبي العباس العفو والعافية ليكونا لأمر دينك ودنياك كافية ووافية. ثم ما أحسن طريق سؤالهم من الابتداء في أول حالهم الدال على كمال مآلهم حيث قالوا: (**ولنسألك**) أي وجئناك لنسألك (**عن أول هذا الأمر**) أي أمر الخلق ومبدأ العالم. (**ما كان**) أي أي شيء كان أول هذا. قال الطيبي [رحمه الله]: ما في ما كان استفهامية، أي أي شيء كان أول الأمر، وكرر السؤال لمزيد الاهتمام بالأمر. (**قال: كان الله**) أي في أزل الآزال كما هو كائن إلى أبد الآباد بلا وصف التغير والحدوث على ما هو نعت العباد، فإن ما ثبت قدمه استحال عدمه. (**ولم يكن شيء قبله**) أي لأنه خالق كل شيء وموجده فلا يتصور وجود موجود ممكن قبل الموجد الواجب الوجود. وحاصله أنه تعالى الأول الذي هو قبل كل شيء ولا شيء قبله، فكرر الجواب على طريق السؤال مطابقة في الاهتمام بالحال. وخلاصته أنه أول قديم بلا ابتداء، كما أنه آخر كريم بلا انتهاء. قال الطيبي [رحمه الله] قوله: ولم يكن شيء قبله، حال. وعلى مذهب الكوفي خبر. والمعنى يساعده، إذ التقدير كان الله في الأزل منفرداً موحداً، وهو مذهب الأخفش فإنه جوز دخول الواو في خبر كان وأخواتها نحو، كان زيد وأبوه قائم على جعل الجملة خبراً مع الواو وتشبيهاً للخبر بالحال. أقول ولما كان السؤال عن الأول فبين لهم الأولية الأزلية، ونفى لغيره القبلية، ولم يتعرض لمعنى المعية. ولهذا وقع في عبارة السادة الصوفية: كان الله ولم يكن معه شيء. ثم قالوا: والآن على ما عليه كان. لأن وجود الشيء الممكن في جنب وجود الواجب

وكانَ عرشُه على الماءِ، ثمّ خلقَ السّماواتِ والأرضَ، وكتَبَ في الذكرِ كلَّ شيءٍ» ثمّ أتاني رجلٌ فقال: يا عمرانُ! أدرِكْ ناقتَكَ فقدْ ذهبتْ، فانطلقتُ أطلبُها، وأيمُ اللّهِ لوَدِدْتُ أنّها قدْ ذهبتْ ولم أقُم. رواه البخاري.

كلا شيء. ولذا قال بعضهم: ليس في الدار غيره ديار. وقال آخر: سوى الله والله ما في الوجود، أو لأن الأشياء إنما هي مظاهر صفاته ومرامي ذاته. فقد روي: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف. وفي قوله تعالى: ﴿ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات - ٥٦]. إشارة إلى ذلك على تفسير حبر الأمة، أي ليعرفون. قال التوربشتي [رحمه الله]: هذا فصل مستقل بنفسه لا امتزاج له بالفصل الثاني، وهو قوله: (**وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض**) لما بين الفصلين من المنافاة، فإنك إذا جعلت: وكان عرشه على الماء من تمام القول الأول فقد ناقضت الأول بالثاني، لأن القديم من لم يسبقه شيء ولم يعارضه في الأولية. وقد أشار بقوله: وكان عرشه على الماء إلى أنهما كانا مبدأ التكوين وأنهما كنا مخلوقين قبل السموات والأرض، ولم يكن تحت العرش قبل السموات والأرض إلا الماء. وكيفما كان فالله سبحانه خالق ذلك كله وممسكه بقوته وقدرته انتهى كلامه. قال الطيبي [رحمه الله]: أراد الشيخ بما قاله إن المعطوف عليه مقيد بقوله: ولم يكن قبله شيء. ولو جعل المعطوف عليه غير مستقل لزم المحذور، فإذا جعل مستقلاً وعطف الثانية على الأولى فلا، فإذن لفظة كان في الموضعين بحسب حال مدخولهما. فالمراد بالأول الأزلية والقدم، وبالثاني الحدوث بعد العدم. والحاصل أن قوله: وكان عرشه على الماء، عطف على مجموع قوله: «كان الله ولم يكن قبله شيء». وأنه من باب الإخبار عن حصول الجملتين في الوجود وتفويض الترتيب إلى الذهن، فالواو بمنزلة ثم. قال العسقلاني: وليس المراد بالماء ماء البحر بل هو ما تحت العرش كما شاء الله. وقال ابن الملك: وكان عرشه على الماء، والماء على متن الريح، والريح قائمة بقدرة الله تعالى. وقيل: خلق العرش والماء قبل السموات والأرض ثم خلقهما من الماء بأن تجلى على الماء فتموج واضطرب وحصل له زبد فاجتمع في محل الكعبة الشريفة، ولذا سميت مكة أم القرى، ثم دحيت الأرض من تحتها، ثم ألقى الجبال عليها لئلا تميد، وأول الجبال أبو قبيس على بعض الأقوال، وطلع دخان من تموج الماء إلى جانب السماء، فخلقت السموات منها. ومجملة في سورة حم فصلت وتفصيله في كتب المفسرين وسير المؤرخين والله سبحانه [وتعالى] أعلم بالأولين والآخرين. (**وكتب**) أي أثبت جميع ما هو كائن (**في الذكر كل شيء**) أي في اللوح المحفوظ. قال الراوي: (**ثم أتاني رجل فقال: يا عمران أدرك ناقتك**) أي الحقها (**فقد ذهبت**) أي منفلتة (**فانطلقت أطلبها**) حال أو استئناف تعليل. (**وأيم الله**) بفتح همز وصل أو قطع وتحتية ساكنة وميم مضمومة مضافة إلى الجلالة، وهي كلمة بنفسها وليست جمعاً. قال شارح: أيم الله اسم موضوع للقسم عند سيبويه وهمزته للوصل، ولم يجيء في الأسماء ألف الوصل مفتوحة غيرها. وتقديره أيم الله قسمي، وعند الكوفيين هو محذوف أيمن جمع يمين وهمزته للقطع. (**لوددت**) أي لتمنيت (**أنها**) أي الناقة. (**قد ذهبت**) أي فقدت (**ولم أقم**) أي في طلبها المانع من سماع بقية كلام رسول الله ﷺ مع أهل اليمن. (**رواه البخاري**).

٥٦٩٩ ـ (٢) وعن عمرَ رضي الله عنه، قال: قامَ فينا رسولُ الله ﷺ مقاماً، فأخبرَنا عن بدءِ الخَلقِ حتى دخلَ أهلُ الجنّةِ منازلَهم، وأهلُ النارِ منازلَهم، حفظَ ذلكَ مَن حفظَه، ونسيَه مَنْ نسيَه. رواه البخاري.

٥٧٠٠ ـ (٣) وعن أبي هريرةَ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنّ اللّهَ تعالى كتبَ كتاباً قبلَ أن يخلقَ الخلقَ: إنَّ رحمتي سبقَتْ غضبي؛ فهوَ مكتوبٌ عنده فوقَ العرشِ».

٥٦٩٩ ـ (وعن عمر) رضي الله عنه (قال: قام فينا) أي خطيباً (رسول الله ﷺ مقاماً) أي قياماً عظيماً. (فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم) أي فبين المبدأ والمعاد. وتوضيحه أنه ﷺ بين أحوال الأمم كلهم إلى وقت دخول الجنة، وعين أحوال أمته مما يجري عليهم من الخير والشر إلى أن يدخل أهل الجنة منهم الجنة، وأهل النار النار. (حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه) قال الطيبي [رحمه الله]: حتى غاية أخبرنا، أي أخبرنا مبتدئاً من بدء الخلق حتى انتهى إلى دخول أهل الجنة الجنة، ووضع الماضي موضع المضارع مبالغة للتحقيق المستفاد من قول الصادق الأمين. وقال العسقلاني: أي أخبرنا عن المبدأ شيئاً بعد شيء إلى أن انتهى الإخبار عن حال الاستقرار في الجنة والنار. ودل ذلك على أنه أخبر في المجلس الواحد بجميع أحوال المخلوقات من المبدأ والمعاد والمعاش. وتيسير إيراد ذلك كله في مجلس واحد من خوارق العادة أمر عظيم. (رواه البخاري).

٥٧٠٠ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله كتب) أي أثبت أو أمر أن يكتب الملائكة (كتاباً) أي مكتوباً وهو اللوح، أو كتب كتابة مستقلة. (قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي) بكسر الهمزة وفتحها (سبقت غضبي) أي غلبت، كما في رواية: والمعنى غلبت الرحمة بالكثرة في متعلقها على الغضب. والحاصل أن إرادة الخير والنعمة والمثوبة منه سبحانه لعباده، أكثر من إرادة الشر والنقمة والعقوبة، لأن الرحمة عامة والغضب خاص، كما حقق في قوله: الرحمٰن الرحيم. حيث قيل: رحمة الرحمٰن عامة للمؤمن والكافر، بل لجميع الموجودات. ولذا لا يطلق الرحمٰن على غيره سبحانه. فإذا عرفت هذا فالكسر على الحكاية، ويكون لفظة إن من جملة المكتوب، والفتح على أنها بدل من كتاباً، وعلى كل فالمكتوب إنما هو هذه الجملة. ويؤيده قوله: (فهو مكتوب عنده فوق العرش) والمعنى أنه مكتوم عن سائر الخلائق مرفوع عن حيز الإدراك. وقيل: معناه أنه مثبت في علمه

الحديث رقم ٥٦٩٩: أخرجه البخاري ٦/ ٢٨٦. حديث رقم ٣١٩٢. وأخرجه أبو داود ٤/ ٤٤١ حديث ٤٢٤٠ وأخرجه الترمذي ٤/ ٤١٩ حديث رقم ٢١٩١. وأخرجه أحمد في المسند ٥/ ٣٨٥.

الحديث رقم ٥٧٠٠: أخرجه البخاري ٦/ ٢٨٧. حديث رقم ٣١٩٤. ومسلم ٤/ ٢١٠٧ حديث رقم (١٤ ـ ٢٧٥١) وأخرجه الترمذي ٥/ ٥١٣ حديث رقم ٣٥٤٣. وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١٤٣٥ حديث ٤٢٩٥ وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٤٦٦.

سبحانه. وأما اللوح المحفوظ فقد يطلع على بعض معلوماته من أراد الله من ملائكته وأنبيائه وخلص أوليائه من أرباب الكشوف، لا سيما إسرافيل [عليه السلام]، فإنه موكل عليه ويأخذ الأمور منه فيأمر جبريل وميكائيل وعزرائيل [عليهم الصلاة والسلام]. كلا بما هو من جنس عمله على ما ورد في بعض الأخبار والآثار. وأما على قول من فسر الكتاب هنا باللوح المحفوظ أو القضاء الإجمالي والتفصيلي فيتعين الكسر على الاستئناف، اللهم إلا أن تجعل هذه الجملة المستفادة من الحكمة الإجمالية زبدة ما في اللوح المحفوظ وعمدة ما فيه من أنواع الحظوظ. قال التوربشتي [رحمه الله]: يحتمل أن يكون المراد بالكتاب اللوح المحفوظ، ويكون معنى قوله: فهو مكتوب عنده. فعلم ذلك عنده. ويحتمل أن يراد منه القضاء الذي قضاه. وعلى الوجهين فإن قوله: فهو عنده فوق العرش. تنبيه على كينونته مكنوناً عن سائر الخلائق مرفوعاً عن حيز الإدراك، ولا تعلق لهذا القول بما يقع في النفوس من التصورات، تعالى عن صفات المحدثات. فإنه هو المباين عن جميع خلقه المتسلط على كل شيء بقهره وقدرته. وفي سبق الرحمة بيان أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب، وأنها تنالهم من غير استحقاق. وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق. الا يرى أنها تشمل الإنسان جنيناً ورضيعاً وفطيماً وناشئاً من غير أن يصدر منه طاعة استوجب بها ذلك، ولا يلحقه الغضب إلا بما يصدر عنه من المخالفات، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك. ولذلك خلقهم. فلله الحمد على ما ساق إلينا من النعم قبل استحقاقها. وقال النووي: غضب الله تعالى ورضاه يرجعان إلى اثابة المطيع وعقاب العاصي. والمراد بالسبق هنا والغلبة في أخرى كثرة الرحمة وشمولها. كما يقال: غلب على فلان الكرم والشجاعة، إذا كثرا منه. أقول: ولو أبقيا على حقيقتهما من غير ارادة المجاز جاز أيضاً، لأن رحمته تعالى سابقة على غضبه باعتبار التعلق[1] بالنسبة إلى كل أحد من مخلوقاته. فإن أول الرحمة نعمة الإيجاد ثم نعمة الإمداد، فلا يخلو عن النعمتين أحد من العباد. وكذا منحه سبحانه بالنسبة إلى محنة غالبة كثيرة شاملة لعموم الخلائق سواء من أطاعه أو عصاه في البلاد. قال الطيبي [رحمه الله]: يحتمل أن تكون مفتوحة بدلاً من كتاباً، ومكسورة حكاية لمضمون الكتاب، وهو على وزان قوله تعالى: ﴿**كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾ [الأنعام ـ ٥٤]. أي أوجب وعداً أن يرحمهم قطعاً بخلاف ما يترتب عليه مقتضى الغضب. فإن الله تعالى غفور كريم يتجاوز عنه بفضله وأنشد:

وإنـي إذا أوعدتـه أو وعـدتـه ✽ لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

فالمراد بالسبق هنا القطع لوقوعها. قلت: لا بد وأن يخص بالمؤمنين ممن تعلق المشيئة بمغفرتهم وسبق الإرادة برحمتهم، وإلا فعذاب الكافر مقطوع الوقوع بل واجب الحصول لقوله تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به**﴾ [النساء ـ ٤٨]. والتخلف في خبره غير جائز قطعاً. وقد

(١) وقع تبديل في الكلام في المخطوطة.

متفق عليه.

٥٧٠١ ـ (٤) وعن عائشةَ، عن رسول الله ﷺ، قال: «خُلقتِ الملائكة من نورٍ، وخُلِقَ الجانُّ من مارجٍ من نارٍ، وخُلق آدمُ ممَّا وُصفَ لكم». رواه مسلم.

٥٧٠٢ ـ (٥) وعن أنسٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لما صوَّرَ اللَّهُ آدمَ في الجنة تركه

حررت هذه المسألة في خصوص رسالة سميتها: بالقول السديد في خلف الوعيد. **(متفق عليه)**.

٥٧٠١ ـ **(وعن عائشة)** رضي الله [تعالى] عنها **(عن رسول الله ﷺ قال: خلقت الملائكة من نور وخلق الجان)** أي جنسهم. قال النووي [رحمه الله]: الجان الجن، وقال شارح: يعني أبا الجن وهو المناسب لمقابلته بآدم، ثم قيل: المراد به إبليس. **(من مارج)** أي لهب مختلط بسواد دخان النار. قال تعالى: ﴿**وخلق الجان من مارج من نار**﴾ [الرحمٰن ـ ١٥]. وقال: ﴿**والجان خلقناه من قبل من نار السموم**﴾ [الحجر ـ ٢٧]. **(وخلق آدم)** بصيغة المجهول كما قبله **(مما وصف لكم)** على بناء المفعول، [أي] مما بينه الله لكم في قوله: ﴿**خلقه من تراب**﴾ [آل عمران ـ ٥٩]. وقوله: ﴿**خلق الإنسان من صلصال كالفخار**﴾ [الرحمن ـ ١٤]. وقوله: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون**﴾ [الحجر ـ ٢٦]، وقوله: ﴿**إني خالق بشراً من طين**﴾ [ص ـ ٧١]، ولعل كثرة ما ورد في حقه مع اشتهارها أوجبت الإبهام في قوله: مما وصف لكم. **(رواه مسلم.)** وكذا أحمد. وروى الحكيم الترمذي وابن عدي في الكامل بسند حسن عن أبي هريرة مرفوعاً: «خلق الله آدم من تراب الجابية وعجنه بماء الجنة»[1]. والجابية على ما في القاموس. قرية بدمشق، وباب الجابية من أبوابها. وروى ابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً: «خلقت النخلة والرمان والعنب من فضل طينة آدم»[2]. وروى الطبراني عن أبي أمامة مرفوعاً: «خلق الحور العين من الزعفران». وروى الحكيم [الترمذي] وابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان، وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه عن أبي الدرداء رفعه: «خلق الله عزَّ وجلَّ الجن ثلاثة أصناف: صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنف كالريح في الهواء، وصنف عليهم الحساب والعقاب. وخلق الله الإنس ثلاثة أصناف، صنف كالبهائم، وصنف أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين، وصنف في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله». وفي قوله: وصنف عليهم الحساب والعقاب. إيماء إلى قول أبي حنيفة وتوقفه في حق الجن بالثواب والله [تعالى] أعلم بالصواب.

٥٧٠٢ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لما صور الله آدم في الجنة تركه**

الحديث رقم ٥٧٠١: أخرجه ٤/ ٢٢٩٤ حديث رقم (٦٠ ـ ٢٩٩٦) وأحمد في المسند ٦/ ١٦٨.

(١) ابن عدي ١/ ٢٧٨.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٢٤٠ حديث رقم ٣٩٣٧.

الحديث رقم ٥٧٠٢: أخرجه مسلم ٤/ ٢٠١٦ حديث رقم (١١١/ ٢٦١١). وأحمد في المسند ٣/ ٢٢٩.

ما شاء أن يتركه، فجعلَ إبليسُ يطيفُ بهِ ينظرُ ما هوَ، فلمّا رآهُ أجوفَ عرفَ أنه خلقَ خلقاً لا يتمالَكُ». رواه مسلم.

ما شاء الله أن يتركه) أي في الجنة. قال التوربشتي [رحمه الله]: أرى هذا الحديث مشكلاً جداً. فقد ثبت بالكتاب والسنة أن آدم خلق من أجزاء الأرض، وقد دل على أنه أدخل الجنة وهو بشر حي. ويؤيده المفهوم من نص الكتاب: ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ [البقرة - ٣٥]. وقال شارح: قيل: يحتمل أن تكون الكلمتان، أعني في الجنة سهواً من بعض الرواة أخطأ سمعه فيهما. قال القاضي [رحمه الله]: الأخبار متظاهرة على أنه تعالى خلق آدم من تراب قبض من وجه الأرض وخمره حتى صار طيناً، ثم تركه حتى صار صلصالاً، وكان ملقى بين مكة والطائف ببطن نعمان وهو من أودية عرفات. ولكن ذلك لا ينافي تصويره في الجنة، لجواز أن تكون طينته لما خمرت في الأرض وتركت فيها حتى مضت عليها الأطوار واستعدت لقبول الصورة الإنسانية، حملت إلى الجنة وصورت ونفخ فيها الروح. وقوله تعالى: ﴿يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾. لا دلالة له أصلاً على أنه أدخل الجنة بعد ما نفخ [فيه] الروح، إذ المراد بالسكون الاستقرار والتمكن. والأمر به لا يجب أن يكون قبل الحصول في الجنة، كيف وقد تظاهرت الروايات على أن حوّاء خلقت من آدم في الجنة وهي أحد المأمورين، ولعل آدم عليه الصلاة والسلام لما كانت مادته التي هي البدن من العالم السفلي وصورته التي بها يتميز عن سائر الحيوانات ويضاهي بها الملائكة من العالم العلوي، أضاف الرسول ﷺ تكوّن مادته إلى الأرض لأنها نشأت منها. وأضاف حصول صورته إلى الجنة لأنها وقعت فيها. (فجعل إبليس) أي فشرع من كمال تلبيسه. (يطيف به) بضم حرف المضارعة. قال النووي [رحمه الله] تعالى: طاف بالشيء يطوف طوفاً وطوافاً وأطاف به يطيف إذا استدار حوله. (ينظر ما هو) استئناف بيان أو حال، أي يتفكر في عاقبة أمره ويتأمل ماذا يظهر منه. (فلما رآه أجوف) وهو من له جوف. (عرف أنه خلق خلقاً لا يتمالك) أي لا يتقوى بعضه ببعض، ولا قوة له ولا ثبات، بل يكون متزلزل الأمر متغير الحال متعرضاً للآفات والتمالك التماسك. وقيل: المعنى لا يقدر على ضبط نفسه من المنع عن الشهوات. وقيل: لا يملك دفع الوسواس عنه. وقيل: لا يملك نفسه عند الغضب. وقال النووي [رحمه الله]: الأجوف في صفة الإنسان، مقابل للصمد في صفة الباري. قيل: السيد سمي بالصمد لأنه يصمد إليه في الحوائج ويقصد إليه في الرغائب، من صمدت الأمر إذا قصدته. وقيل: إنه المنزه عن أن يكون بصدد الحاجة، أو في معرض الآفة، مأخوذ من الصمد بمعنى المصمد وهو الذي لا جوف له. فالإنسان مفتقر إلى الغير بقضاء حوائجه وإلى الطعام والشراب ليملأ جوفه، فإذن لا تماسك له في شيء ظاهراً وباطناً. أقول: ولعل جنس الجن ليسوا على صفة الأجوفية ليتم الاستدلال بالهيئة المخصوصة الإنسانية. (رواه مسلم).

٥٧٠٣ ـ (٦) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «اختتن إبراهيمُ النبيُّ وهو ابنُ ثمانين سنةً بالقَدُوم». متفق عليه.

٥٧٠٤ ـ (٧) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَمْ يكذِبْ إبراهيمُ إلاَّ ثلاثَ كَذَباتٍ:

٥٧٠٣ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اختتن إبراهيم النبي) أي نفسه عليه الصلاة والسلام بأمر الملك العلام حيث قال تعالى: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾ [البقرة ـ ١٢٤]. (وهو) أي والحال أنه. (ابن ثمانين سنة) وفي الموطأ: ابن مائة وعشرين سنة. قيل: والأول هو الصحيح، كذا ذكره الأكمل في شرح المشارق. (بالقدوم) بفتح القاف وضم الدال المخففة، وفي نسخة تشديدها. قال صاحب القاموس: القدوم آلة للنجر وموضع اختتن به إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد تشدد داله. وقال الطيبي [رحمه الله]: القدوم بالتخفيف آلة النجار معروفة وبالتشديد اسم موضع. وقيل: هو بالتخفيف أيضاً، هكذا في جامع الأصول، وفي كتاب الحميدي. قال البخاري [رحمه الله]: قال أبو الزناد وهو راوي الحديث: اختتن إبراهيم بالقدوم، مخففة. قال التوربشتي [رحمه الله]: ومن المحدثين من يشدد وهو خطأ. قال النووي [رحمه الله]: القدوم وقع في رواية البخاري الخلاف في التشديد والتخفيف، ويقال لآلة النجار قدوم بالتخفيف لا غير. وأما القدوم مكان بالشام ففيه التخفيف والتشديد، فمن رواه بالتشديد أراد القرية. ورواية التخفيف يحتمل القرية والآلة، والأكثرون على التخفيف. (متفق عليه.) ورواه أحمد.

٥٧٠٤ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات) بفتح الذال وفي نسخة بكسرها قال ميرك نقلاً عن الشيخ: هو اسم لا صفة، لأنك تقول كذب كذبة، كما تقول ركع ركعة، ولو كان صفة لسكن في الجمع. وقال أبو البقاء: الجيد أن يقال بفتح الذال في الجمع. أقول: ولعل وجهه أن المصدر جاء بالفتح والكسر على ما يفهم من القاموس. لكن لما كان الفتح مخصوصاً بالمعنى الاسمي بخلاف الكسر، فإنه مشترك بين الاسم والمصدر كان الفتح أجود. هذا وقد أورد على الحصر ما رواه مسلم من ذكر قول إبراهيم في الكوكب هذا ربي، وأجيب بأنه في حالة الطفولية وهي ليست زمان التكليف. أو المقصود منه الاستفهام للتوبيخ والاحتجاج. قال المازري: أما الكذب على الأنبياء فيما هو طريق البلاغ عن الله عزّ وجلّ، فالأنبياء معصومون منه سواء قل أو كثر. فإن تجويزه منهم يرفع الوثوق بأقوالهم، لأن منصب النبوة يرتفع عنه. وأما ما لا يتعلق بالبلاغ ويعد من الصغائر كالكذبة الواحدة في حقير من أمور الدنيا، ففي إمكان وقوعه منهم وعصمتهم منه

الحديث رقم ٥٧٠٣: أخرجه البخاري ٦/ ٣٣٨. حديث رقم ٣٣٥٦. ومسلم ٤/ ١٨٣٩ حديث رقم ١٥١/ ٢٣٧٠. وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٢٢.

الحديث رقم ٥٧٠٤: أخرجه البخاري ٦/ ٣٨٨. حديث رقم ٣٣٥٨. وأخرجه مسلم ٤/ ١٨٤٠ حديث رقم ١٥٤/ ٢٣٧١. وأخرجه الترمذي ٤/ ٥٣٧ حديث رقم ٢٤٣٤. وأحمد في المسند ١/ ٢٨١.

ثنتَينِ منهنَّ في ذاتِ اللّهِ قولُه ﴿إنّي سَقِيمٌ﴾،

القولان المشهوران للسلف والخلف. قال عياض: الصحيح أن الكذب لا يقع منهم مطلقاً. وأما الكذبات المذكورات فإنما هي بالنسبة إلى فهم السامع لكونها في صورة الكذب، وأما في نفس الأمر فليست كذبات. قلت: ووافقه شارح من علمائنا حيث قال: إنما سماها كذبات، وإن كانت من جملة المعاريض لعلو شأنهم عن الكناية بالحق. فيقع ذلك موقع الكذب عن غيرهم، أو لأنها لما كانت صورتها صورة الكذب سميت كذبات. وقال الأكمل في شرح المشارق: يحتمل أن يراد بها حقيقة الكذب لأن الاستثناء من النفي إثبات، فيحتاج إلى العذر بأن الكذب للإصلاح جائز، فما ظنك في دفع ظلم الظالمين. قال ابن الملك: كيف يحتمل ذلك ومع كلام إبراهيم عليه [الصلاة] والسلام قرينة حالية ومقالية دالة، على أنه تجوز فيه. ولم يرد ظاهره ألا أن يرى أن من جملة كذباته قوله لسارة: إنك أختي في الإسلام. فقوله: في الإسلام، قرينة على أنه لم يرد به الأخت في النسب. وقوله: بل فعله كبيرهم. فإن استحالة صدور الفعل من الجماد قرينة على أنه مؤول أو مجوز فيه، فلا يكون كذباً. قلت: ولا سيما فيه قول بالوقف على: بل فعله. والابتداء بقوله: كبيرهم هذا. (ثنتين منهن) بدل من ثلاث كذبات. (في ذات الله) أي لأجل الله تعالى، أو في أمر الله، أو فيما يتعلق بتنزيه ذاته عن الشريك. أو يراد به القرآن، أي في كلامه. وعبر به عنه لما لم ينفك عن المتكلم كما هو رأي الأشعري، كذا ذكره ابن الملك. وتوضيحه ما قال شارح: أي في أمر الله وما يختص به، إذ لم يكن لإبراهيم نفسه فيه أرب لأنه قصد بالأولى أن يتخلف عن القوم بهذا العذر، فيفعل بالأصنام ما فعل وبالثانية الزام الحجة عليهم بأنهم ضلال سفهاء في عبادة ما لا يضر ولا ينفع. وقيل: يحتمل حذف المضاف أي في كلام ذات الله، يعني أن ثنتين مذكورتان في كلام الله تعالى دون الثالثة، وهي قوله لسارة: هي أختي. قال النووي: وهذه أيضاً في ذات الله تعالى لأنها سبب دفع كافر ظالم عن مواقعة فاحشة عظيمة لا يرضى بها الله تعالى. وإنما خص الثنتين بأنهما في ذات الله تعالى لكون الثالثة تضمنت نفعاً له ودفعاً لحرمه هذا. وفي المغرب ذو بمعنى الصاحب، يقتضي شيئين موصوفاً ومضافاً إليه. وتقول للمؤنث: امرأة ذات مال. ثم اقتطعوها عن مقتضاها وأجروها مجرى الأسماء التامة المستقلة بأنفسها غير المقتضية لما سواها. فقالوا: ذات قديمة أو محدثة، ونسبوا إليها من غير تغيير علامة التأنيث. فقالوا: الصفات الذاتية، واستعملوها استعمال النفس، والشيء، عن أبي سعيد كل شيء ذات وكل ذات شيء. قال الطيبي رحمه الله: قوله: في ذات الله، أي في الدفع عن ذات الله ما لا يليق بجلاله. ويدل عليه ما جاء في حديث آخر «ما فيها كذبة، إلا ما حل عن دين الله»، أي خاصم وجادل وذب عن دين الله. وهو بمعنى التعريض لأنه نوع من الكناية. ونوع من التعريض يسمى الاستدراج وهو ارخاء العنان مع الخصم في المجارات ليعثر، حيث يريد تبكيته، فسلك إبراهيم عليه [الصلاة] والسلام مع القوم [هذا] المنهج فحينئذ. (قوله:) بالرفع وفي نسخة بالجر (إني سقيم) وذلك عندما طلبوا منه عليه الصلاة والسلام أن يخرج معهم إلى عيدهم، فأراد أن يتخلف عنهم للأمر الذي هم به. فنظر نظرة في النجوم. فقال إني سقيم. وفيه إيهام منه أنه

وقوله ﴿بل فعلَه كبيرُهم هذا﴾، وقال: بَينا هُوَ ذاتَ يومٍ وسارَةُ، إذ أتى على جبّارٍ من الجبابرةِ، فقيلَ له: إنَّ هٰهُنا رجلاً معَه امرأةٌ من أحسنِ الناسِ، فأرسلَ إليه، فسألَه عنها: مَن هذه؟ قال: أُختي. فأتى سارَةَ، فقال لها: إنَّ هذا الجبّارَ إن يعلمْ أنَّكِ امرأتي يغلِبْني عليكِ، فإن سألكِ فأخبِريهِ أنَّكِ أُختي، [فإنكِ أُختي] في الإسلامِ، ليسَ على وَجهِ الأرضِ مؤمنٌ غيري وغيرُكِ،

استدل بإمارة علم النجوم على أنه سيسقم ليتركوه فيفعل بالأصنام ما أراد أن يفعل. أو سقيم القلب لما فيه من الغيظ باتخاذكم النجوم آلهة أو بعبادتكم الأصنام. (وقوله:) بالوجهين، وهو حين كسر عليه الصلاة والسلام أصنامهم إلا كبيرها وعلق الفاس في عنقه. (بل فعله كبيرهم هذا) أي فاسألوهم إن كانوا ينطقون. يعني إن كان لهم نطق. ففيه تنبيه نبيه على أن الإله الذي لم يقدر على دفع المضرة عن نفسه كيف يرجى منه دفع الضرر عن غيره، وإيماء إلى أن العاجز عن النطق لا يصلح للألوهية. فإن الإله من هو منعوت بصفات الكمال من أسماء الجلال والجمال. (وقال:) أي النبي ﷺ في بيان الثالثة (بينا هو) أي إبراهيم عليه [الصلاة] والسلام متوجه إلى الشام (ذات يوم) أي بعد هلاك نمروذ. (وسارة) عطف على هو وهي بنت عمه. (إذ أتى) أي مر إبراهيم (على جبار من الجبابرة) أي ظالم مسلط. قال الطيبي [رحمه الله]: أتى جواب بينا، أي بينا هما يسيران ذات يوم إذ أتيا على بلد جبار من الجبابرة فوشي بهما. (فقيل له:) أي للجبار (إن ههنا) أي في بلدنا هذا (رجلاً معه امرأة من أحسن الناس) أي صورة (فأرسل) أي رسولاً (إليه) أي إلى إبراهيم يطلبه فذهب إليه (فسأله عنها) أي عن جهتها (من هذه) أي من تكون لك هذه المرأة التي معك. [قال الطيبي [رحمه الله]: من هذه بيان للسؤال، أي سأل الجبار بهذا اللفظ. (قال: أختي) أي في الإسلام. وقيل كان كاذباً وكان جائزاً، بل واجباً في دفع الظالم على ما في شرح مسلم، لكن حمله على التعريض أولى. فإنه ﷺ قال، على ما رواه ابن عدي والبيهقي عن عمران بن حصين: «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب»[1]. مع أن نفس قوله: أختي، لا يخلو عن تعريض ما حيث لم يقل هذه أختي، أو هي أختي (فأتى) أي إبراهيم (سارة فقال لها: إن هذا الجبار أن يعلم) أن شرطية أي إن علم (أنك امرأتي يغلبني عليك) أي في أخذك بالظلم عني. (فإن سألك) أي عن نسبك ونسبتك على تقدير ارساله إليك ووصولك عنده. (فأخبريه أنك أختي) أي على طريق التعريض كما فعلته. (فإنك أختي في الإسلام) أي حقيقة بلا مشاركة لأحد، غيرنا في هذا المقام كما بينه بقوله: (ليس) أي موجود (على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك) قال الطيبي [رحمه الله]: يريد به قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات ـ ١٠]. بمعنى أن الإيمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاحق ما يفضل الأخوة في النسب السابق، وليس أحد أحق بهذا العقد مني ومنك الآن، لأنه ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك انتهى. واستشكل

---

(۱) ابن عدي ۳/ ۹٦۳.

فأرسلَ إليها، فأُتِيَ بها، قامَ إبراهيمُ يُصلي، فلمَّا دخلتْ عليه، ذهبَ يتناولها بيدِه. فأُخِذَ - ويُروى فغُطَّ - حتى ركَضَ برجلِه، فقال: ادْعي اللّهَ لي ولا أضرُّكِ، فدعتِ اللّهَ فأُطلِقَ، ثمَّ تناولَها الثانيةَ، فأُخذَ مثلَها أو أشدَّ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرُّكِ، فدعت الله فأُطلقَ، فدَعا بعضَ حجَبتِه، فقال: إنَّكَ لم تأتِني بإنسانٍ، إنما أتيتني بشيطانٍ،

يكون لوط عليه [الصلاة] والسلام يشاركهما في الإيمان كما قال تعالى: ﴿فآمن له لوط﴾ [العنكبوت - ٢٦]. ويمكن أن يجاب بأن مراده بالأرض هي التي وقع فيها ما وقع له ولم يكن معه لوط إذ ذاك، ذكره العسقلاني [رحمه الله]. ثم قيل: كان من أمر ذلك الجبار الذي يتدين به في الأحكام السياسية أن لا يتعرض إلا لذوات الأزواج، ويرى أنها إذا اختارت الزوج فليس لها أن تمتنع من السلطان، بل يكون هو أحق بها من زوجها. فإن اللاتي لا أزواج لهن فلا سبيل عليهن إلا إذا رضين. ويحتمل أن يكون المراد أنه إن علم ذلك الزمني بالطلاق أو قصد قتلي حرصاً عليك. لأن دين الملك أن لا يحل له التزوج والتمتع بقرابات الأنبياء. **(فأرسل)** أي الجبار **(إليها)** أي إلى سارة بطلبها **(فأتي بها)** أي جيء بها إلى الجبار **(قام إبراهيم)** استئناف بيان كان قائلاً قال: فماذا فعل بعد. فأجيب: قام إبراهيم. **(يصلي)** حال أو استئناف تعليل أي ليصلي عملاً بقوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ [البقرة - ٤٥]. كما «كان ﷺ إذا حزبه أمر صلى»، على ما رواه أحمد وأبو داود عن حذيفة[1]. **(فلما دخلت)** بصيغة الفاعل، وفي نسخة: أدخلت. **(عليه)** أي على الجبار **(ذهب)** أي طفق **(يتناولها)** أي يأخذها أو يمسها **(بيده)** أي من غير سؤال وجواب، أو بعد سؤالها وسماع جوابها، لكن غلب عليه الميل إليها لكمال حسنها وجمالها. **(فأخذ)** بصيغة المجهول مخففاً، أي حبس نفسه وضغط. والمراد به الخنق ههنا، أي أخذ بمجاري نفسه حتى سمع له غطيط. وقال ابن الملك: فأخذ ببناء المجهول أي حبس عن امساكها، أو عوقب بذنبه أو أغمي عليه. وفي نسخة بتشديد الخاء. قال شارح: ويروى أخذ على بناء المجهول من التأخيذ، وهو استجلاب قلب شخص برقية أو غيرها كالسحر، بحيث يحصل له خوف أو هيمان أو جنون على ما قاله العسقلاني. ويؤيد رواية التخفيف قول المؤلف. **(ويروى)** أي بدل فأخذ، أو زيادة عليه. **(فغط)** بضم غين معجمة وتشديد طاء مهملة أي خنق **(حتى ركض برجله)** أيضرب برجليه الأرض من شدة الغط. وقال ابن الملك: أي حصر حصراً شديداً. وقيل: الغط هنا بمعنى الخنق، أي أخذ بمجامع مجاري نفسه حتى يسمع له غطط نخير، وهو صوت بالأنف، وقال العسقلاني: أي اختنق حتى صار كالمصروع. **(فقال: ادعي)** أي سلي **(الله لي)** أي لأجلي الخلاص **(ولا أضرك)** أي بالتعرض لك **(فدعت الله فأطلق)** أي من الأخذ **(ثم تناولها)** أي أراد تناولها **(الثانية)** أي المرة الثانية **(فأخذ مثلها)** أي مثل الأخذة الأولى **(أو أشد)** أي بل أشد منها **(فقال: ادعي الله لي ولا أضرك. فدعت الله فأطلق فدعا بعض حجبته)** بفتحتين جمع حاجب كطلبة جمع طالب **(فقال: إنك لم تأتني بإنسان)** أي حتى أقدر عليها **(إنما أتيتني بشيطان)** أي حيث لم أقدر عليها بل

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن ٢/ ٧٨ حديث رقم ١٣١٩.

فأَخْدَمَها هاجرَ، فأَتَتْه وهو قائمٌ يُصلي، فأَوْمأَ بيدِه مَهْيَمْ؟ قالت: ردَّ اللَّهُ كيدَ الكافرِ في نحرِه، وأخدَمَ هاجرَ». قال أبو هريرة: تلكَ أُمُّكم يا بَني ماءِ السَّماءِ!

تصرعني وتريد أن تهلكني. قال الطيبي [رحمه الله]: أراد به المتمرد من الجن وكانوا يهابون الجن ويعظمون أمرهم. (فأخدمها هاجر) أي جعل الجبار هاجر خادمة لسارة لما رأى كرامتها وقربها عند الله، أو جبراً لما وقع من كسر خاطرها حيث تعرض لها. (فأتته) أي إبراهيم (وهو قائم يصلي) وهو إما لعدم اطلاعه على خلاصها استمر على حاله، أو انكشف له الأمر وزاد في العبادة ليكون عبداً شكوراً بعد ما كان عبداً صبوراً. ويؤيد الأول قوله: (فأومأ) بهمزتين أي أشار إبراهيم (بيده) أي إلى سارة وهو في الصلاة (مهيم) بفتح فسكون مرتين. أي ما شأنك وما حالك. وهي كلمة يمانية يستفهم بها، وههنا مفسرة للإيماء. أي أومأ بيده بما يفهم منه معناه وليست بترجمة لقوله، وإلا لكان من حقه أن يقول: فأومأ بيده، وقال: مهيم. (قالت: رد الله كيد الكافر في نحره) أي على صدره وهو من قوله تعالى: ﴿ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله﴾ [فاطر - ٤٣]. ومن قبيل الدعاء المأثور: اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم[١]. (وأخدم هاجر) أي أم إسماعيل [عليه الصلاة والسلام]. قيل: سميت هاجر لأنها هاجرت من الشام إلى مكة. وقيل: كان لا يولد له من سارة فوهبت هاجر له، وقالت: عسى الله أن يرزقك منها ولداً. وكان إبراهيم عليه السلام يومئذ ابن مائة سنة نقله ابن الملك. (قال أبو هريرة: تلك) أي هاجر (أمكم) أي جدتكم (يا بني ماء السماء) قال القاضي [رحمه الله]: قيل. أراد بهم العرب، سموا بذلك لأنهم يتبعون المطر ويتعيشون به، والعرب وإن لم يكونوا بأجمعهم من بطن هاجر، لكن غلب أولاد إسماعيل على غيرهم. وقيل: أراد بهم الأنصار لأنهم أولاد عامر بن حارثة الأزدي، جد نعمان بن المنذر، وهو كان ملقباً بماء السماء لأنه كان يستمطر به. ويحتمل أنه أراد بهم بني إسماعيل وسماهم بذلك لطهارة نسبهم وشرف أصولهم. قال ابن الملك: وقيل: أشار بهم لكونهم من ولدها جر لأن إسماعيل أنبع الله تبارك وتعالى له زمزم. وهي من ماء السماء والله سبحانه وتعالى أعلم. قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: فإذا شهد له الصادق المصدوق بالبراءة عن ساحة، فما باله يشهد على نفسه بها في حديث الشفاعة في قوله: «وإني كنت كذبت ثلاث كذبات». فذكرها ثم قال: «نفسي نفسي». على أن تسميتها وإنها معاريض بالكذبات أخبار الشيء على خلاف ما هو به. قلت: نحن وإن أخرجناها عن مفهوم الكذبات باعتبار التورية وسميناها معاريض، فلا شك أن صورتها صورة التعويج عن المستقيم. فالحبيب قصد إلى براءة ساحة الخليل عما لا يليق به فسماها معاريض، والخليل لمح إلى مرتبة الشفاعة هنالك وأنها مختصة بالحبيب

(١) أخرجه أبو داود في السنن ٢/ ١٨٧ حديث رقم ١٥٣٧.

متفق عليه.

٥٧٠٥ ـ (٨) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «نحنُ أحقُّ بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿ربِّ أرني كيف تحيي الموتى﴾

فتجوز بالكذبات. (متفق عليه).

٥٧٠٥ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾)[١] تمامه: قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي. قال ابن الملك: أراد ﷺ أن ما صدر من إبراهيم عليه [الصلاة] والسلام لم يكن شكاً، بل كان طلباً لمزيد العلم، وأنا أحق به لأني مأمور بذلك لقوله تعالى: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ [طه ـ ١١٤]. وأطلق الشك بطريق المشاكلة. وقال الإمام المزي: معناه لو كان الشك متطرقاً إليه لكنت أحق به، وقد علمتم أني لم أشك، فاعلموا أنه كذلك. وإنما رجح إبراهيم على نفسه تواضعاً أو لصدوره قبل أن يعلم أنه خير ولد آدم. وأما سؤال إبراهيم [عليه السلام] فللترقي من علم اليقين إلى عين اليقين، أو لأنه لما احتج على المشركين بأن ربه يحيي ويميت طلب ذلك ليظهر دليله عياناً وتوضيحه ما قال الخطابي: مذهب هذا الحديث التواضع والهضم من النفس، وليس في قوله هذا اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم، لكن فيه نفي الشك عن كل واحد منهما. يقول: إذا لم أشك أنا ولم أرتب في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، فإبراهيم أولى بأن لا يشك فيه ولا يرتاب به. وفيه الإعلام بأن المسألة من قبل إبراهيم لم تعرض من جهة الشك، لكن من قبل طلب زيادة العلم واستفادة معرفة كيفية الإحياء. والنفس تجد من الطمأنينة بعلم الكيفية ما لم تجده بعلم الأمنية. والعلم في الوجهين حاصل، والشك مرفوع. وقد قيل: إنه إنما طلب الإيمان حساً وعياناً لأنه فوق ما كان عليه من الاستدلال، والمستدل لا تزول عنه الوساوس والخواطر. فقد قال عليه الصلاة والسلام: «ليس الخبر كالمعاينة»[٢] انتهى. وفيه أن عدم علم الأنبياء من باب الاستدلال غير ظاهر، بل علمهم من باب الكشف والمعرفة التامة والعلم اليقيني الذي لهم في السرائر، بحيث لا يتصور فيه تردد الخواطر وتوسوس الضمائر. نعم مرتبة عين اليقين فوق مرتبة علم اليقين، وإن هذا لهو حق اليقين والله الموفق والمعين. وفي بعض نسخ المصابيح: نحن أحق من إبراهيم. بدون قوله بالشك، فقال شارح له: أي نحن أحق منه بالسؤال الذي سأله يريد به تعظيم أمره وأن سؤاله هذا لم يكن لنقصان في عقيدته، بل لكمال فكرته وعلو همته الطالبة لحصول الاطمئنان بالوصول إلى درجة العيان. قال: وفي بعض الروايات: نحن أحق بالشك من إبراهيم [عليه الصلاة والسلام]. ومعناه ما ذكرناه أي لم يكن صدور هذا السؤال منه شكاً

الحديث رقم ٥٧٠٥: أخرجه البخاري ٦/ ٤١٠. حديث رقم ٣٣٧٢. وأخرجه مسلم ٤/ ١٨٣٩ حديث رقم (١٥٢ . ١٥١) وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١٣٣٥ حديث رقم ٤٠٢٦. وأحمد في المسند ٢/ ٣٢٦.

(١) سورة البقرة. آية ٢٦٠. (٢) أحمد في المسند ١/ ٢١٥.

ويرحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثتُ في السجنِ طولَ ما لَبِثَ يوسفُ لأجبْتُ الداعيَ».

من إبراهيم، واختلج في صدره، إذ لو كان الشك يعتريه لنحن أحق بالشك منه، ولكنا لا نشك. فكيف يجوز أن يشك هو فيه. أقول: المراد بقوله: نحن. ليس صيغة التعظيم ليحتاج إلى الاعتذار بأنه قال ذلك تواضعاً لإبراهيم، بل المعنى: أني مع أمتي لا نشك في قدرة الله تعالى على احياء الموتى، بل نحن معاشر الخلق من سائر الأمم غالباً نعتقد قدرته على الإحياء. وإبراهيم عليه [الصلاة] والسلام من أكمل الأنبياء في مرتبة التوحيد ومقام التفريد حتى أمرنا بمتابعته على طريقة القويم وسبيله المستقيم. فكيف يتصور منه الشك، إذ لو جاز عليه الشك وهو من المعصومين المتبرعين لجاز لنا بالأولى ونحن من اللاحقين التابعين. والحاصل أنه أراد بالدليل البرهاني نفي الشك عن الخليل الرحماني وإيصاله إياه إلى المقام الاطمئناني والحال العياني. (ويرحم الله لوطاً) قيل: تصدير الكلام بهذا الدعاء لئلا يتوهم اعتراء نقص عليه فيما سيأتي من الأنباء على طريقة قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ [التوبة - ٤٣] حيث كان تمهيداً ومقدمة للخطاب المزعج. (لقد كان يأوي إلى ركن شديد) أي عشيرة قوية. قال ابن الملك: فيه إشارة إلى وقوع تقصير منه. وقال شارح تبعاً للقاضي: وكأنه استغرب منه وعده بادرة إذ لا ركن أشد من الركن الذي كان يأوي إليه، وهو عصمة الله وحفظه. وعندي أن أخذ هذا المعنى من هذا المبنى ليس من طريق الأدب في الإنباء عن الأنبياء، لأنه ﷺ إذا كان ينهى عن غيبة أفراد العامة حياً وميتاً، فكيف يتصوّر أن يذكر في حق نبي مرسل ما يكون موهماً لنقص مرتبته أو تنزل عن علو همته. فالمعنى والله تعالى أعلم، أنه كان بمقتضى الجبلة البشرية في بعض الأمور الضرورية يميل إلى الاستعانة بالعشيرة القوية، فيجوز لنا مثل ذلك المحال، فإنا مأمورون بمتابعة أرباب الكمال في التعلق بالأسباب مع الاعتماد على رب الأرباب والله تعالى أعلم بالصواب. ثم رأيت في الجامع الصغير ما يقوي المذكور من التقرير والتحرير، وهو ما رواه الحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً: رحم الله لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد وما بعث الله بعده نبياً إلا في ثروة من قومه[1]. قلت: ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم شعيب عليه [الصلاة] والسلام: ﴿ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز﴾ [هود - ٩١]. وكذلك نبينا ﷺ كان معظماً ومحمياً ومكرماً لقربه من أبي طالب وغيره، وإليه الإيماء في قوله تعالى: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾ [الضحى - ٦]. (ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف) أي مقدار طول زمن لبثه وجاني داع بالطلب أو ساع إلى الخروج. (لأجبت الداعي) أي ولبادرت الخروج عملاً بالجواز، لكن يوسف عليه [الصلاة] والسلام [صبر لحكم تقضيه ذلك]، كما أخبر الله سبحانه عنه: ﴿فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله﴾ [يوسف - ٥٠]. إلى آخره. وربما أوجبه عليه في مرام ذلك المقام من قصده البراءة مما اشتهر في حقه من الكلام على ألسنة العوام ليقابل صاحب الأمر على جهة التعظيم والإكرام، ألا ترى أن النبي ﷺ كان

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٧٠ حديث رقم ٤٤١٥ والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٦١.

متفق عليه.

٥٧٠٦ ـ (٩) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ موسى كان رجلاً حيياً سِتيراً،

يكلم [بعض أمهات المؤمنين] في طريق فمر عليه صحابي فقال له عليه [الصلاة] والسلام: إن هذه فلانة من الأزواج الطاهرات. فقال: يا رسول الله أيظن فيك ظن السوء. فقال: إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم[1]. قال التوربشتي [رحمه الله]: هو مبني على احماده صبر يوسف [عليه السلام] وتركه الاستعجال [بالخروج] عن السجن مع امتداد مدة الحبس عليه. قال: ثم إن في ضمن هذا الحديث تنبيهاً على أن الأنبياء عليهم [الصلاة] والسلام وإن كانوا من الله بمكان لا يناز لهم فيه أحد، فإنهم بشر يطرأ عليهم من الأحوال ما يطرأ على البشر، فلا تعدوا ذلك منقصة ولا تحسبوه سيئة. قلت: هذا يؤيد ما قررناه من قضية سيدنا لوط عليه [الصلاة] والسلام. وقال ابن الملك: اعلم أن هذا ليس اخباراً عن نبينا ﷺ بتضجره وقلة صبره، بل فيه دلالة على مدح يوسف [عليه السلام] وتركه الاستعجال بالخروج ليزول عن قلب الملك كان ما كان اتهم به من الفاحشة، ولا ينظر إليه بعين مشكوك انتهى. وهو بعينه كما ذكرناه على ما لا يخفى. وقيل: بل فيه إشارة إلى تقصير يوسف [عليه السلام] وذلك من جهة أنه لم يترك الوسائط ولم يفوض كل ما أتاه إليه تعالى. قلت: سبق أن مباشرة الأسباب لا تنافي تفويض الأمر إلى رب الأرباب، بل قال بعض العارفين: إن مرتبة جمع الجمع هي مباشرة السبب مع ملاحظة عمل الرب. وقيل: بل فيه إيماء إلى تقصيره من جهة أنه كان رسولاً، ولذا دعا أهل السجن بقوله: ﴿أرباب متفرقون خير﴾ [يوسف ـ ٣٩]. الخ. ولم يكن له طريق إلى دعوة الملك. فلما وجد إليه سبيلاً قدم براءة نفسه مما نسب إليه على حق الله، وهو دعوة الملك. قلت: وهذا ظاهر البطلان، إذ على تقدير تسليم كونه رسولاً عاماً أو خاصاً فتقديم ما يتوقف صحة الإرسال من البراءة عليه مما يجب المبادرة إليه لئلا يدور طعن طاعن حواليه. ومما يدل على صحة ما قررناه على حقيقة ما حررناه ما أخرجه ابن جرير وابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً: «رحم الله يوسف [عليه السلام] أن كان لذا أناة حليماً لو كنت أنا المحبوس، ثم أرسل إلي لخرجت سريعاً». وفي رواية أحمد في الزهد وابن المنذر عن الحسن مرسلاً: «رحم الله أخي يوسف لو أنا أتاني الرسول بعد طول الحبس» لأسرعت الاجابة حين قال: ﴿ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة﴾ [يوسف ـ ٥٠]. كذا في الجامع الصغير[2]. (متفق عليه).

٥٧٠٦ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: إن موسى كان رجلاً حيياً) بكسر التحتية الأولى وبتشديد الثانية على أنه فعيل أي مستحيياً. (ستيراً) بفتح

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٣٦ حديث رقم ٣٢٨١.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٢٧٢ حديث رقم ٤٤٣٧ وحديث رقم ٤٤٣٨.

الحديث رقم ٥٧٠٦: أخرجه البخاري ١/ ٣٨٥. حديث رقم ٢٧٨. وأخرجه مسلم ٤/ ١٨٤١ حديث رقم (١٥٦ . ٣٣٩). وأخرجه الترمذي ٥/ ٣٣٥ حديث رقم ٣٢٢١. وأحمد في المسند ٢/ ٥١٤.

لا يُرى من جلده شيء استحياءً، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما تستَّر هذا التستُّر إلا من عيب بجلده: إما برص أو أُدرة، وإن الله أراد أن يبرئه، فخلا يوماً وحده ليغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففرَّ الحجر بثوبه، فجمح موسى في إثره يقول: ثوبي يا حجرُ! ثوبي يا حجرُ! حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عُرياناً أحسن ما خلق الله وقالوا والله ما بموسى من بأس، وأخذ ثوبه، وطفق بالحجر ضرباً، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً».

السين وتخفيف الفوقية المكسورة. قال شارح: أي مستوراً، والظاهر أنه مبالغة ساتر. ويدل عليه ما في نسخة من كسر السين والفوقية المشددة، وكأن الشارح جعل قوله: **(لا يرى من جلده شيء)** صفة كاشفة وليس بظاهر، بل هو استئناف بيان لما يلزم من كونه كثير التستر. وحاصله أنه كان من شأنه أن يستر جميع بدنه عند اغتساله. **(استحياء)** أي من الناس **(فآذاه من آذاه)** بالمد فيهما أي من أراد إيذاءه **(من بني إسرائيل فقالوا:)** جمع باعتبار معنى من كما أفرد أولاً بناء على لفظه، ونحوه كثير في التنزيل، أي فقال بعض المؤذين **(ما تستر)** أي موسى **(هذا التستر)** أي البليغ **(إلا من عيب بجلده إما برص أو أدرة)** بضم همزة وسكون دال مهملة، نفخة بالخصية على ما في النهاية. **(وإن الله أراد أن يبرئه)** بتشديد الراء، أي ينزهه عن نسبة ذلك العيب، ويثبت له الحياء من عالم الغيب. وقد أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً**﴾ [الأحزاب - ٦٩]. ثم اعلم أن قوله: وإن الله، هو هكذا في النسخ المصححة بالواو. وقال الطيبي [رحمه الله]: الفاء في قوله فإن الله للتعقيب وأصل الكلام فقالوا كيت وكيت فأراد الله أن يبرئه وأتى بإن المؤكدة تأكيداً اعتناء بشأنه. **(فخلا يوماً وحده)** أي انفرد عن الناس وقتاً ما حال كونه منفرداً. **(ليغتسل فوضع ثوبه على حجر)** أي بجنب الماء **(ففر الحجر بثوبه)** الباء للتعدية، أي فأخذه فاراً عن موسى. **(فجمح موسى)** بجيم وميم وحاء مفتوحات أي ذهب وأسرع إسراعاً لا يرده شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿**وهم يجمحون**﴾ [التوبة - ٥٧]. **(في أثره)** بفتحتين وقد يكسر الهمز وتسكن المثلثة، أي في عقب الحجر. **(يقول:)** أي بلسان القال أو ببيان الحال **(ثوبي)** أي أعطني ثوبي. **(يا حجر ثوبي)** أي مطلوبي ثوبي **(يا حجر)** والتكرير للتكثير **(حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل)** والظاهر أن فيهم المؤذين **(فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله)** قال الطيبي [رحمه الله]: عرياناً حال، وكذا قوله أحسن لأن الرؤية بمعنى النظر. **(وقالوا: والله ما بموسى من بأس)** أي ليس به عيب ما. **(وأخذ ثوبه وطفق)** أي شرع **(بالحجر ضرباً)** أي يضربه ضرباً، فالجار متعلق بالفعل المقدر كما في قوله سبحانه: ﴿**فطفق مسحاً بالسوق والأعناق**﴾ [ص - ٣٣]. **(فوالله إن في الحجر لندباً من أثر ضربه)** الندب بفتح النون والدال أي أثراً وعلامة باقية من أثر ضربه، وأصل الندب أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد، فشبه به أثر الضرب بالحجر. وقوله: **(ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً)** متعلق بالضرب أو الندب، والشك من الراوي. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: ثلاثاً أي ندبات ثلاثاً بياناً، وتفسيراً لاسم إن وضربه هذا من أثر غضبه على الحجر لأجل فراره وقلة أدبه. ولعله ذهل عن كونه مأموراً. وكان ذلك في الكتاب مسطوراً.

متفق عليه.

٥٧٠٧ ـ (١٠) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أيوبُ يغتسلُ عُرياناً، فخرَّ عليه جرادٌ من ذهب، فجعل أيوبُ يحثي في ثوبه، فناداه ربُّه: يا أيوبُ! ألَم أكنْ أغنيتك عمّا ترى؟ قال: بلى وعزّتِك، ولكن لا غِنى بي عن بركتك».

وفيه مأخذ لعلماء الأنام على أن ضرر الخاص يتحمل لنفع العام والله [تعالى] أعلم بالمرام. ثم قيل: إن موسى أمر بحمل الحجر معه إلى أن كان في التيه، فضربه بعصاه مرة أو مرات فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً، قال النووي [رحمه الله]: فيه معجزتان ظاهرتان لموسى عليه [الصلاة] والسلام إحداهما مشي الحجر بثوبه، والثانية حصول الندب في الحجر بضربه. وفيه حصول التمييز في الجماد وفيه جواز الغسل عرياناً في الخلوة وإن كان ستر العورة أفضل. وبهذا قال الشافعي ومالك وأحمد [رحمهم الله] وخالفهم ابن أبي ليلى. وقال: إن للماء ساكناً. قلت: إمامنا الأعظم [رحمه الله] مع الجمهور وظاهر مخالفة ابن أبي ليلى في دخول الماء. قال: وفيه ابتلاء الأنبياء والصالحين من أذى السفهاء والجهال وصبرهم عليه، وفيه أن الأنبياء عليهم [الصلاة] والسلام منزهون عن النقائص في الخلق والخلق سالمون من العاهات والمعايب اللهم إلا على سبيل الابتلاء. (متفق عليه).

٥٧٠٧ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: بينا أيوب يغتسل عرياناً) يحتمل أن يكون لابساً للإزار كما يدل عليه قوله الآتي: يحثي في ثوبه. ويحتمل أن يكون متجرداً عن الثياب كلها على طبق ما سبق لموسى عليهما [الصلاة] والسلام، وكان جائزاً عندهما. لكنه ﷺ أشار إلى أن التستر أولى حياء من المولى، بناء على أنه ﷺ بعث ليتمم مكارم الأخلاق. (فخر) بالخاء المعجمة والراء المشددة، أي فسقط ونزل (عليه) أي فوقه على أطرافه (جراد) أي جنس جراد (من ذهب فجعل أيوب يحثي) أي يضعه (في ثوبه) كذا في النهاية. والأظهر أنه يأخذ بكفه أو كفيه ويضع في ثوبه المتصل به وهو الإزار اللابس له قبل الغسل أو بعده أو المنفصل الذي ما لبسه بعد. وفي المصابيح يحثي في ثوبه، قال شارح له: أي يجمعه في ذيله ويضم طرف الذيل إلى نفسه. (فناداه ربه:) أي نداء تلطف (يا أيوب ألم أكن أغنيتك) أي جعلتك ذا غنى (عما ترى. قال: بلى وعزتك) قال الطيبي [رحمه الله: هذا] ليس بعتاب منه تعالى في أن الإنسان وإن كان ثرياً لا يشبع بثراه، بل يريد المزيد عليه، بل من قبيل التلطف والامتحان بأنه هل يشكر على ما أنعم عليه فيزيد في الشكر، وإليه الإشارة بقوله: (ولكن لا غنى) بكسر ففتح مقصوراً، أي لا استغناء (بي عن بركتك) أي عن كثرة نعمتك وزيادة رحمتك. وفي رواية: من يشبع من رحمتك، أو من فضلك. وفيه جواز الحرص على الاستكثار من الحلال في حق من وثق من نفسه الشكر عليه، ويصرفه فيما يحب ربه ويرضاه

الحديث رقم ٥٧٠٧: أخرجه البخاري ١/ ٣٨٧. حديث رقم ٢٧٩. وابن ماجه ٢/ ١٤٢٨. حديث رقم ٤٢٧٤. وأحمد في المسند ٢/ ٣١٤.

رواه البخاريُّ.

٥٧٠٨ ـ (١١) وعنه، قال: استبَّ رجلٌ من المسلمين ورجلٌ من اليهود. فقال المسلم: والذي اصطفى محمَّداً على العالمين. فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين. فرفعَ المسلمُ يدَه عند ذلك فلطَم وجهَ اليهودي، فذَهَبَ اليهوديُّ إلى النبي ﷺ، فأخبره بما كان من أمره وأمرِ المسلم، فدعا النبيُّ ﷺ المسلمَ فسأله عن ذلك، فأخبره، فقال النبي ﷺ: «لا تخيِّروني على موسى، فإنَّ الناسَ يصعقون يومَ القيامةِ، فأصعق معهم فأكونُ أوّلَ من يفيق، فإذا موسى باطشٌ بجانبِ العرشِ، فلا أدري كان فيمن صعق فأفاق قَبْلي،

ويتوجه الأمر إليه، وفيه تسمية المال من جهة الحلال بركة في المآل وحسن الخلال. قال الطيبي [رحمه الله]: ونحوه قوله ﷺ لعمر [رضي الله تعالى عنه] جواباً عن قوله: أعطه، أفقر إليه مني ما جاءك من هذا المال، وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك، (رواه البخاري).

٥٧٠٨ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود) بتشديد الموحدة افتعال من السب وهو الشتم، والمعنى سب كل واحد منهما الآخر. (فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين) أي جميعهم من خلق الأولين والآخرين، والمحلوف عليه مقدر. (فقال: اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين) أي عالمي زمانه، لكن لما كان ظاهر كلامه المعارضة وحاصل مرامه المشاركة في الاصطفاء على الخلق من بين الأنبياء، وهو خلاف ما عليه العلماء، ولذا أنكر عليه. (فرفع المسلم يده عند ذلك) أي القول الموهم لخلاف الأدب. (فلطم وجه اليهودي) أي ضربه بكفه كفاً له وتأديباً (فذهب اليهودي إلى النبي ﷺ فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم. فدعا النبي ﷺ المسلم) أي المدعى عليه (فسأله عن ذلك) أي الأمر (فأخبره) أي بمطابقة الخبر (فقال النبي ﷺ: لا تخيروني) بضم التاء وتشديد الياء من التخيير بمعنى الاصطفاء، والمعنى لا تجعلوني خيراً بمعنى لا تفضلوني. (على موسى) أي ونحوه من أصحاب النبوّة تفضيلاً يؤدي إلى إبهام المنقصة، أو إلى تسبب الخصومة. فإن أمر التفضيل ليس بقطعي على وجه التفصيل. (فإن الناس) أي جميعهم (يصعقون) بفتح العين (يوم القيامة) أي عند النفخة الأولى (فأصعق معهم) من صعق الرجل إذا أصابه فزع فأغمي عليه، وربما مات منه، ثم يستعمل في الموت كثيراً. لكن هذه الصعقة صعقة فزع قبل البعث لذكر الإفاقة بعده [بقوله]: (فأكون أول من يفيق) فإن الإفاقة إنما تستعمل في الغشي والبعث في الموت. (فإذا موسى باطش) قال شارح: أي قوي، والظاهر أن معناه آخذ. (بجانب العرش فلا أدري كان) أي أكان (فيمن صعق فأفاق قبلي) أي لفضيلة اختص بها.

الحديث رقم ٥٧٠٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٤١. حديث رقم ٣٤٠٨. ومسلم ٤/ ١٨٤٤ حديث رقم (١٦٠. ٢٣٧٣) وأخرجه أبو داود ٥/ ٥٣ حديث رقم ٤٦٧١. وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٤.

أو كان فيمن استثنى الله؟». وفي رواية: «فلا أدري أحوسب بصعقةِ يومَ الطورِ، أو بُعِثَ قبلي؟ ولا أقول: إن أحداً أفضلُ من يُونُس بنِ مَتّى».

٥٧٠٩ ـ (١٢) وفي رواية أبي سعيدٍ قال: «لا تخيّروا بينَ الأنبياء».

(أو كان فيمن استثنى الله) أي في قوله تعالى: ﴿**ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله**﴾ [الزمر ـ ٦٨]. والمعنى أو كان فيمن لم يصعق فله منقبة أيضاً من هذه الجهة. قال العسقلاني: يعني فإن أفاق قبلي فهي فضيلة ظاهرة، وإن كان ممن استثناه الله تعالى فلم يصعق فهي أيضاً فضيلة، وإنما نهى النبي ﷺ عن التفضيل بين الأنبياء عليهم [الصلاة] والسلام من يقول ذلك من رأيه لا من يقوله بدليل، أو من يقوله بحيث يؤدي إلى تنقيص المفضول أو يجر إلى الخصومة. أو المراد لا تفضلوني بجميع أنواع الفضائل. بحيث لا يبقى للمفضول فضيلة. أو أراد النهي عن التفضيل في نفس النبوة، فإنهم متساوون فيها وإنما التفاضل بخصائص وفضائل أخرى. قال تعالى: ﴿**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض**﴾ [البقرة ـ ٢٥٣]. ﴿**ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض**﴾ [الإسراء ـ ٥٥]. **(وفي رواية: فلا أدري أحوسب)** أي أجوزي **(بصعقة يوم الطور)** بإضافة المصدر إلى الظرف. وفي نسخة بالضمير أي بصعقه نفسه في ذلك اليوم، حيث قال تعالى: ﴿**فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً**﴾ [الأعراف ـ ١٤٣]. ففي القاموس صعق كسمع صعقاً، ويحرك وصعقة وتصعاقاً فهو صعق، ككتف غشي عليه. **(أو بعث قبلي)** أي أفاق قبل إفاقتي بعد ما شاركني في صعقتي. فالبعث مجاز عن الإفاقة توفيقاً بين الروايتين. **(ولا أقول إن أحداً)** أي لا أنا ولا غيري من الأنبياء **(أفضل من يونس بن متى)** بفتح الميم وتشديد المثناة الفوقية المقصورة. قيل: هي اسم أم يونس على ما في جامع الأصول. ثم قيل: إن أحداً استعمل في الإثبات لأن المعنى: لا أفضل أحداً على يونس.

٥٧٠٩ ـ (وفي رواية أبي سعيد قال: لا تخيروا) أي لا تفضلوا **(بين الأنبياء)** قال التوربشتي [رحمه الله]: قوله: لا تخيروني على موسى أي لا تفضلوني عليه، قول قاله على سبيل التواضع أولاً ثم ليردع الأمة عن التخيير بين أنبياء الله من تلقاء أنفسهم ثانياً، فإن ذلك يفضي بهم إلى العصبية فينتهز الشيطان منهم عند ذلك فرصة يدعوهم إلى الإفراط والتفريط، فيطرون الفاضل فوق حقه ويبخسون المفضول حقه فيقعون في مهواة الغي. ولهذا قال: لا تخيروا بين الأنبياء، أي لا تقدموا على ذلك بأهوائكم وآرائكم، بل بما آتاكم الله من البيان. وعلى هذا النحو قوله ﷺ: «ولا أقول أن أحداً خير من يونس بن متى»[١]. أي لا أقول من تلقاء نفسي ولا أفضل أحداً عليه من حيث النبوّة والرسالة، فإن شأنهما لا يختلف باختلاف

الحديث رقم ٥٧٠٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٨٤٥ حديث رقم (١٦٣ ـ ٢٣٧٤). وأبو داود ٥/ ٥١ حديث رقم ٤٦٦٨.

(١) البخاري ٦/ ٤٥١ حديث ٣٤١٦ وكذلك مسلم والأحاديث في ذلك كثيرة.

متفق عليه.

وفي رواية أبي هريرة: «لا تُفضّلوا بين أنبياء الله».

٥٧١٠ ـ (١٣) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ينبغي لعبدٍ أن يقول: إني خيرٌ من يونس بن متّى». متفق عليه.

وفي رواية للبخاري قال: «من قال: أنا خيرٌ من يونس بن متّى فقد كذب».

الأشخاص. بل نقول كل من أكرم بالنبوة فإنهم سواء فيما جاؤوا به عن الله، وإن اختلفت مراتبهم، وكذلك من أكرم بالرسالة. وإليه الإشارة بقوله سبحانه: ﴿**لا نفرق أحد من رسله**﴾ [البقرة ـ ٢٨٥]. وإنما خص يونس [عليه السلام] بالذكر من بين الرسل لما قص الله عليه في كتابه من أمر يونس وتوليه عن قومه وضجرته عن تثبطهم في الإجابة وقلة الاحتمال عنهم والاحتفال بهم حين راموا التنصل. فقال عز من قائل: ﴿**ولا تكن كصاحب الحوت**﴾ [القلم ـ ٤٨]. وقال: ﴿**وهو مليم**﴾ [الصافات ـ ١٤٢]. فلم يأمن ﷺ أن يخامر بواطن الضعفاء من أمته ما يعود إلى نقيصة في حقه، فنبأهم أن ذلك ليس بقادح فيما آتاه الله من فضله، وأنه مع ما كان من شأنه كسائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين. وهذا قول جامع في بيان ما ورد في هذا الباب، فافهم ترشد إلى الأقوم. وأما ما ذكره في هذا الحديث من الصعقة فهي قبل البعث عن نفخة الفزع. فأما في البعث فلا تقدم لأحد فيه على نبينا ﷺ. واختصاص موسى عليه [الصلاة] والسلام بهذه الفضيلة لا توجب له تقدماً على من تقدمه بسوابق جمة وفضائل كثيرة، والله المأمول أن يعرفنا حقوقهم ويحيينا على محبتهم ويميتنا على سننهم ويحشرنا في زمرتهم. (**متفق عليه. وفي رواية**[1]: **لا تفضلوا**) بالضاد المعجمة المكسورة على ما في أكثر النسخ، أي لا توقعوا التفضيل. (**بين أنبياء الله**) أي وكذا بين رسله على وجه الازراء ببعض، فإن ذلك يكون سبباً لفساد الاعتقاد في بعض، وذلك كفر. وفي نسخة بالصاد، وهو ظاهر، أي لا تفرقوا بينهم لقوله تعالى: ﴿**لا نفرق بين أحد منهم**﴾ [البقرة ـ ١٣٦ ـ آل عمران ـ ٨٤].

٥٧١٠ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما ينبغي لعبد أن يقول: إني**) أي ويعني نفسه أو نفسي (**خير من يونس بن متى**) أي فضلاً عن غيري (**متفق عليه. وفي رواية للبخاري قال: من قال: أنا خير**) أي في النبوّة (**من يونس بن متى فقد كذب.**) لأن الأنبياء كلهم متساوون في مرتبة النبوّة، وإنما التفاضل باعتبار الدرجات. وخص يونس بالذكر لأن الله تعالى وصفه بأوصاف توهم انحطاط رتبته. حيث قال: ﴿**فظن أن لن نقدر**

---

(١) وهي رواية لأبي هريرة رضي الله عنه.

الحديث رقم ٥٧١٠: أخرجه البخاري ٣٩٨/٦. حديث رقم ٣٣٦٥. ومسلم ١٨٤٦/٤ حديث رقم (١٦٦ ـ ٢٣٧٦) وأخرجه أبو داود في ٥١/٥ حديث رقم ٤٦٦٩. والدارمي في سننه ٣٩٩/٢ حديث رقم ٢٧٤٦.

٥٧١١ ـ (١٤) وعن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الغلامَ الذي قتله الخضرُ

عليه ﴾ [الأنبياء ـ ٨٧]. ﴿إذ أبق إلى الفلك المشحون ﴾ [الصافات ـ ١٤٠]. فلفظ أنا، واقع موقع هو، ويكون راجعاً إلى النبي ﷺ. ويحتمل أن يكون المراد به نفس القائل، فحينئذ كذب بمعنى كفر، كني به عن الكفر لأن هذا الكذب مساو للكفر. قال النووي [رحمه الله]: قيل: ضمير المتكلم يعود إلى رسول الله ﷺ. وقيل: يعود إلى كل قائل، أي لا يقوله بعض الجاهلين من المجتهدين في العبادة أو العلم أو غير ذلك من الفضائل. فإنه لو بلغ ما بلغ إلا أنه لم يبلغ درجة النبوة، ويؤيده الرواية الأولى: «ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس ابن متى». أقول: في تأييدها نظر لتحقق الاحتمالين فيه أيضاً، بل المعنى الثاني أظهر منها حيث قال: ما ينبغي لعبد. بطريق العموم المشير إلى أنه حديث قدسي على ما ذكره السيوطي في الجامع من رواية مسلم عن أبي هريرة قال [الله] تعالى: لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى[(١)]. قال الخطابي: وإنما خص يونس بالذكر لأن الله تعالى لم يذكره في جملة أولي العزم من الرسل، وقال: ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم ﴾ [القلم ـ ٤٨]. فقصر به عن مراتب أولي العزم والصبر من الرسل. يقول ﷺ: إذا لم آذن لكم أن تفضلوني على يونس بن متى فلا يجوز لكم أن تفضلوني على غيره من ذوي العزم من أجلة الأنبياء. صلوات الله [وسلامه] عليهم وهذا منه عليه [الصلاة] والسلام على سبيل التواضع والهضم من النفس، وليس ذلك بمخالف لقوله: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[(٢)]. لأنه لم يقل ذلك مفتخراً ولا متطاولاً به على الخلق، وإنما قال ذلك ذاكراً للنعمة ومصرفاً بالمنة. وأراد بالسيادة ما يكرم به في القيامة من الشفاعة والله تعالى أعلم.

٥٧١١ ـ (**وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الغلام الذي قتله الخضر**) بفتح فكسر، وفي نسخة بكسر فسكون. قال النووي [رحمه الله]: جمهور العلماء على أنه حي موجود بين أظهرنا، لا سيما عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به، والأخذ عنه وسؤاله وجوابه، وحضوره في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصى. وصرح الشيخ أبو عمرو بن الصلاح بذلك وشذ من أنكره من المحققين. قال الحميري المفسر، وأبو عمرو: هو نبي. واختلفوا في كونه مرسلاً. وقال القشيري: وكثيرون هو ولي. واحتج من قال بنبوّته بقوله: ﴿ما فعلته عن أمري ﴾ [الكهف ـ ٨٢]. فدل على أنه أوحي إليه وبأنه أعلم من موسى عليه [الصلاة] والسلام. ويبعد أن يكون الولي أعلم من النبي. وأجاب الآخرون، بأنه يجوز أن يكون قد ألقي إليه بطريق الإلهام، كما ألقي إلى أم موسى في

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٧٥ حديث ٦٠٣٠. والحديث أخرجه مسلم ٤/ ١٨٤٦ حديث رقم ٥٧٦١.

(٢) يأتي في الحديث ٥٧٦١.

الحديث رقم ٥٧١١: أخرجه مسلم ٤/ ١٨٥٠ حديث رقم (١٧٢/ ٢٣٨٠). وأبو داود ٥/ ٨٠ حديث رقم ٤٧٠٥ والترمذي ٥/ ٢٩٢ حديث رقم ٣١٥٠.

طُبِعَ كافراً،

قوله تعالى: ﴿إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن اقذفيه﴾ [طه ـ ٣٨ ـ ٣٩]. قلت: فيه أن الوحي إلى أم موسى فيما يتعلق بتدبير خلاص الطفل حالة الاضطرار في أمره، وأما حمل أمر الغلام على الإلهام إلى الولي غير صحيح، إذ لا يصح لأحد من الأولياء أن يقتل نفساً زكية بغير نفس، اعتماداً على الوحي الإلهامي بأنه طبع كافراً. وقد قال الثعلبي المفسر: الخضر نبي معمر محجوب عن أكثر الأبصار. قال: وقيل: إنه لا يموت إلا في آخر الزمان حين يرفع القرآن. قلت: وقد تقدم أنه يقتله الدجال. ثم ذكر أقوالاً من زمن إبراهيم الخليل عليه [الصلاة] والسلام أم بعده بقليل أو كثير. قلت: ويروى أنه من أولاد آدم، والله [تعالى] أعلم. وفي الجامع الصغير، روى الحرث عن أنس: الخضر في البحر وإلياس في البر، يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين يأجوج ومأجوج، ويحجان ويعتمران كل عام ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى قابل[1]. وفي الفتاوى الحديثية رواه ابن عدي في الكامل: أن إلياس والخضر عليهما الصلاة والسلام يلتقيان في كل عام بالموسم، فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قوله[2]: (طبع كافراً) أي خلق الغلام على أنه يختار الكفر، فلا ينافي خبر:

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٥١ حديث رقم ٤١٣٣.

(٢) ذكر في اسم الخضر عليه السلام أسماء كثيرة منها: قال وهب بن منبه هو بليا من أبناء سام بن نوح عليه السلام. وقيل اسمه إلياس. وقيل اليسع. وقيل عامر وقيل خضرون. وروى الدارقطني في الافراد عن ابن عباس أنه ابن آدم لصلبه. وذكر أنه ابن قابيل بن آدم عليه السلام. وقيل اسمه أرميا بن طيقاء. وعن ابن لهيعة كان ابن فرعون نفسه وقيل ابن بنت فرعون. وذكر السهيلي عن قوم أنه من الملائكة وليس من بني آدم. وقيل كان يلقب بأبي العباس واختلفوا فيه أهو حي أم مات. فذهب جمهور العلماء والعامة إلى بقائه حكاه ابن الصلاح وقال إنما شذ بإنكاره بعض المحدثين. وقال النووي رحمه الله أن ذلك متفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به أكثر من أن تحصر اهـ. واستدل القائلون ببقائه بأحاديث عديدة وقال عنها ابن كثير لا يصح منها شيء ومنها حديث التعزية الذي أخرجه البيهقي في دلائل النبوة وهو في المشكاة حديث رقم ٥٧٩٢.

وروى ابن عساكر في ترجمة أبي زرعة الرازي بسند صحيح: أنه رأى وهو شاب رجلاً نهاه عن غشيان أبواب الأمراء ثم رآه بعد أن صار شيخاً كبيراً على حالته الأولى فنهاه عن ذلك أيضاً. قال: فالتفت لأكلمه فلم أره، فوقع في نفسي أنه الخضر. وروى يعقوب بن سفيان في تاريخه وأبو عروبة من طريق رياح بن عبيدة. قال: رأيت رجلاً يماشي عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ معتمداً على يديه فلما انصرف قلت له من الرجل؟ قال: رأيت؟ قلت: نعم. قال: أحسبك رجلاً صالحاً. ذاك أخي الخضر بشرني أني ساولي وأعدل. لا بأس برجاله. قال ابن حجر في فتح الباري ولم يقع لي إلى الآن خبر ولا أثر بسند جيد غيره وذهب آخرون إلى أنه ليس حياً واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ [الأنبياء ـ ٣٤]. وحديث ابن عباس: «ما بعث الله نبياً إلا =

ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً».

«كل مولود يولد على الفطرة»[١]. إذ المراد بالفطرة استعداد قبول الإسلام، وهو لا ينافي كونه شقياً في جبلته. وقد روى ابن عدي في الكامل والطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعاً: خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمناً، وخلق فرعون في بطن أمه كافراً[٢]. وفي الحديث المشهور: أن بعد نفخ الروح في كل مولود يكتب شقي أو سعيد[٣]. وعلى طبقه: **﴿يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد﴾** [هود ـ ١٠٥]. وقد قال تعالى: **﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم﴾** [محمد ـ ١٦]. قال القاضي عياض [رحمه الله]: في هذا حجة بينة لأهل السنة وصحة مذهبهم، في أن العبد لا قدرة له على الفعل إلا بإرادة الله وتيسيره له، خلافاً للمعتزلة القائلين بأن للعبد فعلاً من قبل نفسه وقدرة على الهدى والضلال، وفيه أن الذين قضى لهم بالنار طبع على قبولهم وختم عليها وجعل من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً أو حجاباً مستوراً، وجعل في آذانهم وقراراً في قلوبهم مرضاً لتتم سابقته وتمضي كلمته، لاراد لحكمه ولا معقب لأمره وقضائه. وقد يحتج بهذا الحديث من يقول: إن أطفال الكفار في النار. قلت: الأولى التفصيل بأن من طبع منهم كافراً يكون في النار، ومن ولد على الفطرة فهو في الجنة. وبه يحصل الجمع بين أقوال الأئمة. ويقارب القول بالتوقف الذي اختاره إمامنا الأعظم والله [تعالى] أعلم. ويدل عليه قوله: **(ولو عاش)** أي ذلك الغلام بأن أدرك الكبر **(لأرهق أبويه)** أي لكلفهما **(طغياناً وكفراً)** أي جعل سبباً لاضلالهما. فالحاصل أن علة قتله مركبة من كونه طبع كافراً، وأنه لو فرض أنه عاش لكان مضلاً فاجراً. قال النووي: لما كان أبواه مؤمنين يكون هو مؤمناً. قلت: فكيف يجوز قتل المؤمن. قال: فيجب تأويله بأن

= أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه» أخرجه البخاري ولم يأت بخبر صحيح أنه جاء إلى النبي ﷺ ولا قاتل معه. وقد قال يوم بدر: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض» فلو كان الخضر موجوداً لم يصح النفي وقال ﷺ: «رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما» فلو كان الخضر موجوداً لما حسن هذا التمني ولا حضره بين يديه وأراه العجائب.

وقد جزم البخاري وإبراهيم الحربي وأبو جعفر بن المنادي وأبو يعلى بن الفراء وأبو طاهر العبادي وأبو بكر العربي. أنه ليس موجود بعد انقضاء مائة سنة على وفاة الرسول ﷺ.

الحديث المشهور أن النبي ﷺ قال في آخر حياته لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد، وأجابوا عن لقائه مع عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ أن ذلك كان قبل انقضاء المائة وللمثبتين ردواً تراجع في أماكنها.

وقد اختلفوا فيه أيضاً أهو نبي أم رسول. فذهب قوم إلى أنه رسول وذهب آخرون إلى أنه نبي حكاه ابن عطية البغوي عن أكثر أهل العلم وقالت طائفة ومنهم القشيري أنه ولي. ونقل الماوردي في تفسيره أنه ملكاً. والله تعالى أعلم بالصواب. [فتح الباري ٦/ ٤٣٤ ـ تفسير ابن كثير ٣/ ١٠٠].

(١) متفق عليه وقد مر في المجلد الأول باب القدر.

(٢) ابن عدي ٦/ ٢٢٣١. (٣) متفق عليه وقد مر في باب القدر.

متفق عليه.

٥٧١٢ ـ (١٥) وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إنما سميَ الخضرُ لأنه جلس على فروةٍ بيضاء فإذا هي تهتزُّ من خلفه خضراء». رواه البخاري.

معناه والله [سبحانه] أعلم، أن ذلك الغلام لو بلغ لكان كافراً ولو عاش لأرهق أبويه. أي غشيهما طغياناً وكفراً. أي طغياناً عليهما وكفراً لنعمتهما بعقوقه. أو معناه حملهما أن يتبعاه فيطغيا. قال ابن الملك: فإن قلت خوف كفر أحد في المآل لا يبيح قتله في الحال، فكيف قتله الخضر من خوف كفره. قلت: يجوز أن يكون ذلك في شرعهم. قلت: تقرير الله تعالى وتقرير موسى صريح في ذلك، بل يدل على جواز مثل ذلك في شرعنا لو علم قطعاً أنه طبع كافراً كما قرره صاحب الشرع في هذا الحديث، فيبطل كون الغلام مؤمناً حينئذ إذ لا يجوز قتل المؤمن من غير جنح اجماعاً في جميع الأديان. قال: أو نقول هذا علم لدني وله مشرب آخر غير المعهود في الظاهر، فلا نشتغل بكيفيته. قلت: لا مخالفة بين الشريعة والحقيقة في أحكام الطريقة، ومن فرق بينهما ممن لم يصل إلى مرتبة الجمع نسب إلى الزندقة. ثم إن الأمر لا يخلو عن أحد شيئين، فإن الخضر أن كان من أهل النبوّة فلا بد أن يكون عمله على وفق الشريعة، وإن كان من أهل الولاية فليس له أن يعتمد على علمه اللدني والهامه الغيبي في مثل هذه القضية العظمى والبلية الكبرى. ثم في الحديث بيان الحكمة في قتل الخضر، وكأنه خرج موضع الاعتذار عنه تصريحاً، بخلاف ما في الآية من الإشارة إلى ذلك تلويحاً. **(متفق عليه)**.

٥٧١٢ ـ **(وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إنما سمي الخضر)** أي خضراً، وفي نسخة بنصبه. أي إنما سمي الرجل المشهور الخضر. **(لأنه جلس على فروة بيضاء)** في النهاية: الفروة الأرض اليابسة، وقيل: الهشيم اليابس من النبات. قلت: ومعناهما واحد ومؤداهما متحد. واختار شارح القول الثاني فقال: المراد بالفروة الهشيم اليابس شبهه بالفرو. وقيل: الأرض اليابسة، وقيل: جلدة وجه الأرض. وقيل: قطعة نبات مجتمعة يابسة. قلت: هذا هو الأظهر. وقال الطيبي [رحمه الله]: ولعل الثاني من قولي صاحب النهاية أنسب لأن قوله: **(فإذا هي تهتز من خلفه خضراً)** إما تمييز، أو حال. فكأنه نظر الخضر عليه [الصلاة] والسلام إلى مجلسه ذاك، فإذا هي تتحرك من جهة الخضرة والنضارة انتهى. ولعله قال من خلفه، مع أن النمو والاهتزاز إنما كان في موضع الجلوس من تحته، للإشعار بأن الخضرة زادت عن المجلس إلى انتهاء الفروة البيضاء. ثم قال شارح: قوله خضراً بفتح فكسر مع التنوين، أي نباتاً أخضر ناعماً. وروي على زنة صفراء. قلت: وهو كذلك في أكثر النسخ المضبوطة المعتمدة، لكن لا يخفى أن النسخة الأولى لمناسبة وجه التسمية أولى للجمع بين المبنى والمعنى. **(رواه البخاري)**

الحديث رقم ٥٧١٢: أخرجه البخاري ٦/ ٤٣٣. حديث رقم ٣٤٠٢. والترمذي ٥/ ٢٩٣ حديث رقم ٣١٥١.

٥٧١٣ ـ (١٦) وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «جاءَ مَلَكُ الموتِ إلى موسى بنِ عمران، فقال له: أجبْ ربّكَ». قال: «فلطم موسى عينَ مَلكِ الموتِ ففقأها». قال: «فرجَعَ الملكُ إلى الله، فقال: إنك أرسلتني إلى عبدٍ لك لا يريدُ الموت، وقد فقأ عيني» قال: فَردَّ الله إليهِ عينه، وقال: ارجع إلى عبدي فقل: الحياةَ تريد؟ فإن كنتَ تريد الحياة فَضَعْ يَدَكَ على متن ثورٍ، فما توارت يدك من شعرة

وأسنده السيوطي بهذا اللفظ بعينه في الجامع الصغير إلى أحمد والشيخين والترمذي عن أبي هريرة، والطبراني عن ابن عباس، والله [تعالى] أعلم[١].

٥٧١٣ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: جاء ملك الموت)** أي في صورة بشر. **(إلى موسى بن عمران فقال له:)** أي لموسى [عليه الصلاة والسلام] **(أجب ربك)** أي بقبول الموت. والمعنى إني جئتك لأقبض روحك. **(قال:)** أي [النبي ﷺ][٢] **(فلطم موسى عين ملك الموت)** أي ضربها بباطن كفه **(ففقأها)** بفاء فقاف فهمزة مفتوحات، أي فشقها وقلعها وأعماها. قيل: الملائكة يتصورون بصورة الإنسان، وتلك الصورة بالنسبة إليهم كالملابس بالنسبة إلى الإنسان. واللطمة إنما أثرت في العين الصورية لا في العين الملكية، فإنها غير متأثرة باللطمة وغيرها. قال شارح: وإنما لطمها موسى لإقدامه على قبض روحه قبل التخيير، والأنبياء كانوا مخيرين عند الله آخر الأمر بين الحياة والوفاة، وسيأتي زيادة تحقيق لذلك. **(قال: فرجع الملك إلى الله. فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت فقد فقأ عيني. قال: فرد الله إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدي)** قال الطيبي [رحمه الله]: فإن قلت: أي فرق بين قول الملك عبد لك على التنكير، وبين قول الله عبدي. قلت: دل قول الملك على نوع طعن فيه حيث نكره، وبينه بقوله: لا يريد الموت. وقوله سبحانه دل على تفخيم [شأنه] وتعظيم مكانه حيث أضافة إلى نفسه رداً عليه. **(فقل: الحياة)** بالنصب على أنه مفعول قوله. **(تريد)** على تقدير الاستفهام قبل الفعل أو المفعول. ويمكن أن يقرأ آلحياة بهمزة ممدودة كما في قوله تعالى: ﴿**قل آلذكرين حرم أم الانثيين**﴾ [الأنعام ـ ١٤٣]. فالتقدير آلحياة تريد أم الموت. ثم فصله بقوله: **(فإن كنت تريد الحياة)** أي الطويلة إذ المؤبدة غير متصورة في الدنيا لقوله تعالى: ﴿**كل نفس ذائقة الموت**﴾ [آل عمران ـ ١٨٥]. **(فضع يدك)** أي واحدة أو اثنين. **(على متن ثور)** أي على ظهر بقرة. **(فما توارت)** وفي نسخة: فما وارت. **(يدك)** بالرفع، وفي نسخة بالنصب. وقوله: **(من شعرة)** بيان لما، وفي نسخة من شعره

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٥٥ حديث رقم ٢٥٩٤.

الحديث رقم ٥٧١٣: أخرجه البخاري ٦/ ٤٤٠ حديث رقم ٣٤٠٧. ومسلم ٤/ ١٨٤٢ حديث رقم (١٥٧ ـ ١٥٨/ ٢٣٧٢) وأخرجه الترمذي ٥/ ٥٦٤ حديث رقم ٣٦٤٩. والنسائي ٤/ ١١٨ حديث رقم ٢٠٧٩. وأحمد في المسند ٢/ ٣١٥.

(٢) في المخطوطة بدل ما بين المعكوفتين لفظ «عليه السلام».

فإنك تعيش بها سنةً، قال: ثم مَهْ؟ قال: ثمَّ تموت. قال: فالآنَ من قريب، ربِّ أدْنني من الأرضِ المقدَّسةِ رميةً بحجر». قال رسول الله ﷺ: «والله لو أني عنده لأرَيْتُكم قبْرَهُ إلى جنب الطريق عندَ الكثيب الأحمر». متفق عليه.

بالضمير، أي من شعر متن الثور. (**فإنك تعيش بها**) أي بكل شعرة متوارية. (سنة) واعلم أنه يقال: واراه الشيء أي ستره، وتوارى أي استتر. ومنه قوله تعالى: ﴿**يتوارى من القوم**﴾ [النحل - ٥٩]. فقال شارح: قوله: فما توارت غلط وقع من بعض الرواة في كتاب مسلم. وفي كتاب البخاري: فله بما غطت يده بكل شعرة سنة. وقال القاضي: قوله: فما توارت يدك هكذا مذكور في صحيح مسلم. ولعل الظاهر فما وارت يدك بالرفع، وأخطأ بعض الرواة. ويدل عليه ما رواه البخاري في صحيحه: «فله بما غطت يده بكل شعرة سنة»[1]. ويحتمل أن يكون يدك منصوباً بنزع الخافض، وفي توارت ضمير [رفع] فأنثه لكونه مفسراً بالشعرة. قال الطيبي: قوله: من شعرة بيان ما، والضمير فيه راجع إلى متن ثور، وما وارت يده قطعة منه فأنثه باعتبار القطعة، أي القطعة التي توارت بيدك أو تحت يدك انتهى. وقيل: التاء الأولى زائدة لأن معناه وارت، أي غطت. ذكره الأكمل. (**قال:**) أي موسى (**ثم مه**) بفتح الميم وسكون الهاء، وأصله ما حذفت ألفه ووقف عليه بالهاء للتعذر بين الحركة والسكون. قال النووي: هي هاء السكت وما استفهامية، أي ثم ماذا يكون أحياة أم موت. (**قال: ثم تموت. قال: فالآن من قريب**)أي فأختار الموت في هذه الحالة. (**رب أدنني**) أمر من الإدناء أي قربني (**من الأرض المقدسة**) ولعله أراد أفضل مواضعها، وهو المسمى ببيت المقدس الذي كان فيه قبلة الأنبياء. وإلا فالأرض المقدسة تطلق على جميع أراضي الشام. (**رمية بحجر**) أي كرمية حجر، والمراد السرعة ذكره شارح. والظاهر أن المراد أن يكون التقريب مقدار رمية واحدة بحجر، ولذا قال ابن الملك: أي بمقدار ذلك. أقول: ولعله كان في التيه، فأراد التقرب إلى بيت الرب ولو بمقدار قليل من موضع دعائه، أو من محل مطلوبه. قال النووي [رحمه الله]: وأما سؤاله الإدناء من الأرض المقدسة فلشرفها، وفضيلة ما فيها من المدفونين من الأنبياء وغيرهم من الصالحين. قالوا: وإنما سأل الإدناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لأنه خاف أن يكون قبره مشهوراً عندهم فيفتتن به الناس. قلت: وهذا بعيد جداً إذ لم يقع التفتن بقبر غيره من الأنبياء مع إمكان الفتنة في كل مكان، بل فيه إشارة إلى أن المقبرة ينبغي أن تكون قرب القرية لا داخلها. ولعل عمارة بيوت بيت المقدس كانت حينئذ قريبة إلى محل تربته عليه [الصلاة] والسلام. وعلى كل ففيه استحباب الموت والدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن أرباب الديانة. (**قال رسول الله ﷺ: والله لو أني عنده**) أي عند بيت المقدس، وأبعد شارح حيث قال: لو أني عند موسى. (**لأريتكم قبره إلى جنب الطريق**) أي طريق الجادة من بيت المقدس إلى حواليه. (**عند الكثيب الأحمر**) أي التل المستطيل المجتمع من الرمل (**متفق عليه**). قال المازري وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث، قالوا: كيف

---

(١) البخاري في صحيحه ٣/ ٢٠٦ حديث رقم ١٣٣٩.

. . . .

يجوز على موسى فقء عين ملك الموت. وأجابوا عن هذا بأجوبة أحدها، أنه لا يمتنع أن يكون موسى عليه [الصلاة] والسلام قد أذن الله له في هذه اللطمة، وأن يكون ذلك امتحاناً للملطوم والله سبحانه يفعل في خلقه ما يشاء ويمتحنهم بما يريد. قلت: ولا يخفى أنه بعيد. والثاني أن هذا على المجاز، والمراد أن موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة. يقال: فقأ فلان [عين فلان] إذا غلبه بالحجة، قال: وفي هذا ضعف لقوله ﷺ: فرد الله عليه عينه. فإن قيل: أراد رد حجته كان بعيداً. والثالث: أن موسى لم يعلم أنه ملك من عند الله وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدفعه عنها، فأدت المدافعة إلى فقء عينه وما قصدها بالفقء. وهذا جواب الإمام أبي بكر بن حزم وغيره من المتقدمين، واختاره القاضي عياض: قالوا: وأتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت، فاستسلم له بخلاف المرة الأولى. قال ابن الملك في شرح المشارق: فإن قيل: كيف صدر من موسى هذا الفعل، أجيب بأنه متشابه يفوض علمه إلى الله تعالى، وبأن موسى لم يعرف أنه ملك الموت وظن أنه رجل قصد نفسه فدفعه عنها، فأدت مدافعته إلى فقء عينه. وهذا مختار المازري والقاضي عياض. وأنكر الشيخ الشارح يعني الأكمل بأن هذا غير صحيح، لأن الرجل الداخل لم يقصده بالمحاربة حتى يدفعه عنه، بل دعاه إلى الموت وبمجرد هذا القول لا يصدر عن مؤمن صالح مثل هذا الفعل، فما ظنك بموسى عليه [الصلاة] والسلام. وأقول: إن موسى عليه السلام كان في طبعه حدة حتى روي أنه عليه [الصلاة] والسلام «إذا غضب اشتعلت قلنسوته»، فإذا هجم عليه رجل فدعاه إلى الهلاك عرف أنه لا يكون إلا بالحرب فدفعه قبل قصده. وذا يحتمل أن يكون جائزاً في شرعه، أو لأن موسى عليه الصلاة [والسلام] زعم أنه كاذب حين ادعى قبض روحه لزعمه أن بشراً لا يقبض الروح، فغضب عليه فلطم وكان هذا الغضب لله. وفي الله فلم يكن مذموماً، ولهذا لم يعاتب الله موسى [عليه السلام] حين أخذ رأس هارون ولحيته وكان يجره، مع أن هارون أكبر منه سناً وأجل قدراً عند علماء الأمة. وقد قال ﷺ: «حق كبير الأخوة عليهم كحق الوالد على ولده»[1]. قلت: هذا وجه حسن، إلا أن قوله لزعمه غير مستحسن. قال: وما اختاره الشيخ الشارح في الجواب أن موسى عليه [الصلاة] والسلام يحتمل أن يكون مأذوناً في حق اللطمة ويكون ذلك امتحاناً للملطوم، فلا يخفى بعده. وفي شرح السنة يجب على المسلم الإيمان به على ما جاء به من غير أن يعتبره بما جرى عليه عرف البشر، فيقع في الارتياب لأنه أمر مصدره قدرة الله تعالى وحكمه، وهو مجادلة جرت بين ملك كريم ونبي كليم كل واحد منهما مخصوص بصفة يخرج بها عن حكم عوام البشر ومجاري عاداتهم، في المعنى الذي خص به، فلا يعتبر حالهما بحال غيرهما. وقد اصطفى الله تعالى موسى بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة، فلما دنت وفاته وهو بشر يكره الموت طبعاً لطف الله تعالى به بأن لم يفاجئه بغتة ولم يأمر الملك الموكل به بأن يأخذه قهراً بل أرسله على سبيل الامتحان في صورة بشر. فلما رآه

(١) البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢١٠ حديث رقم ٧٩٢٩.

٥٧١٤ ـ (١٧) وعن جابرٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «عُرِضَ عليَّ الأنبياءُ فإذا موسى ضَرْبٌ منَ الرجالِ، كأنَّه من رجالِ شَنوءَةَ، ورأيتُ عيسى ابنَ مريمَ فإذا أقربُ مَن رأيتُ به شَبَهاً عروةُ بنُ مسعودٍ، ورأيتُ إبراهيمَ فإذا أقربُ مَن رأيتُ به شَبَهاً صاحبُكم ـ يعني نفسَه ـ، ورأيتُ جبريلَ، فإذا أقربُ مَن رأيتُ به شَبَهاً دِحيَةُ بنُ خليفةَ». رواه مسلم.

٥٧١٥ ـ (١٨) وعن ابنِ عباسٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «رأيتُ ليلةَ أُسرِيَ بي

موسى [عليه الصلاة والسلام] استنكر شأنه [واستو] عر مكانه احتجر منه دفعاً عن نفسه بما كان من صكه إياه، فأتى ذلك على عينه التي ركبت في الصورة البشرية، وقد كان في طبع موسى عليه السلام حدة على ما قص الله علينا من أمره في كتابه من وكزه القبطي وإلقائه الألواح وأخذه برأس أخيه يجره إليه. هذا وقد جرت سنة الدين بدفع كل قاصد سوء. وقد ذكر الخطابي هذا المعنى في كتابه رداً على من طعن في هذا الحديث وأمثاله من أهل البدع الملحدين أبادهم الله تعالى.

٥٧١٤ ـ (وعن جابر: أن رسول الله ﷺ قال: عرض علي) بصيغة المجهول أي أظهر لدي (الأنبياء) وهم أعم من الرسل، وهو إما في المسجد الأقصى في ليلة الإسراء أو في السموات العلى كما يدل عليه الحديث الذي يليه. والمعنى عرض أرواحهم متشكلين بصور كانوا عليها في الدنيا. كذا ذكره ابن الملك تبعاً لشارح من علمائنا وهو الظاهر. وقال القاضي: لعل أرواحهم مثلت له بهذه الصور، ولعل صورهم كانت كذلك، أو صور أبدانهم كوشفت له في نوم أو يقظة. (فإذا موسى ضرب) أي نوع (من الرجال) وقيل أي خفيف اللحم (كأنه من رجال شنوءة) بفتح الشين المعجمة وضم النون فواو ساكنة وهمزة وهاء، ويجوز إبدال الهمزة واو أو إدغامها. وقد قال ابن السكيت: أزد شنوة بالتشديد غير مهموز وهي قبيلة معروفة. والمعنى أنه يشبه واحداً من هذه القبيلة. قال شارح: والشنوءة التباعد من الأدناس على ما ذكره الجوهري، ومنهم أزد شنوءة وهم حي من اليمن ولعلهم لقبوا بذلك لطهارة نسبهم ونظافة حسبهم وحسن سيرتهم وأدبهم. (ورأيت عيسى ابن مريم فإذا هو أقرب من رأيت به شبهاً) بفتحتين أي نظيراً (عروة بن مسعود) قيل: هو أخو عبد الله بن مسعود وليس بصحيح. (ورأيت إبراهيم فإذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبكم يعني نفسه) أي يريد ﷺ بقوله: صاحبكم. نفس ذاته لما ظهر له في مرآته ولما كان جبريل ملازماً للأنبياء لكونه من لوازم الإنباء ذكره في معرض الأنبياء. (فقال: ورأيت جبريل فإذا أقرب من رأيت به شبهاً دحية بن خليفة) بكسر الدال وقد يفتح وهو من الصحابة، وكان من أجمل الناس صورة (رواه مسلم).

٥٧١٥ ـ (وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: رأيت ليلة أسري بي) بالإضافة، وفي نسخة

الحديث رقم ٥٧١٤: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٥٣ حديث رقم (٢٧١/ ١٦٧).

الحديث رقم ٥٧١٥: أخرجه البخاري ٦/ ٣١٤. حديث رقم ٣٢٣٩. ومسلم ١/ ١٥١ حديث رقم ٢٦٧/ ١٦٥. وأخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٤٥.

موسى، رجلاً آدمَ طُوالاً، جعداً كأنّه من رجالِ شَنوءة، ورأيتُ عيسى رجلاً مربوعَ الخلقِ، إلى الحمرةِ والبياضِ، سبِطَ الرأسِ، ورأيتُ مالكاً خازنَ النارِ، والدَّجالَ في آياتٍ أراهنَّ اللّهُ إيّاهُ، فلا تكنْ في مِرْيَةٍ من لقائِه».

بالتنوين. أي أبصرت في ليلة أسري بي فيها. (**موسى رجلاً**) أي حال كونه على صورة رجل (**آدم**) أي أسمر شديد السمرة، على ما في النهاية. (**طوالا**) بضم الطاء وتخفيف الواو، أي طويلاً كعجاب مبالغة عجيب[1]. وأما بكسر الطاء فهو جمع طويل. (**جعدا**) هو ضد السبط، فمعناه غير مسترسل الشعر. ولعل انقباض شعره مما يشعر على حدة باطنة من غير شعوره. (**كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربوع الخلق**) أي متوسطاً لا طويلاً ولا قصيراً، ولا سميناً ولا هزيلاً. وفيه إيماء إلى اعتدال مزاجه أيضاً. وقوله: (**إلى الحمرة والبياض**) حال، أي مائلاً لونه إليهما، فلم يكن شديد الحمرة والبياض، بل كان بينهما من البياض المشوب بالحمرة كما كان نعت نبينا ﷺ على ما في الشمائل في الوصفين السابقين. (**سبط الرأس**) بكسر الباء وفتحها أيضاً وقد تسكن. ففي القاموس السبط ويحرك وككتف نقيض الجعد. والمعنى مسترسل شعر الرأس. فهذا يدل على أنه غلب عليه صفة الجمال، كما أنه غلب على موسى نعت الجلال. ونبينا ﷺ لما كان في مرتبة الكمال كان شعره أيضاً في السبوطة والجعودة في غاية من الاعتدال. (**ورأيت مالكاً خازن النار والدجال**) أي ورأيت الدجال (**في آيات**) أي مع علامات (**أراهن الله إياه**) أي النبي ﷺ. يعني رأى النبي ﷺ الدجال مع آيات أخر، أراهن الله النبي ﷺ وما حكاها. وقوله: في آيات أراهن الله إياه. من كلام الراوي أدرجه في الحديث دفعاً لاستبعاد السامعين وإماطة لما عسى أن يختلج في صدورهم. ولو كان من قول النبي ﷺ لقال: أراهن الله إياي. كذا ذكره شارح. والظاهر أن يكون الضمير راجعاً إلى الدجال؛ والمراد بالآيات خوارق العادات التي قدرها الله سبحانه استدراجاً للدجال وابتلاء للعباد على ما تقدم، والله تعالى أعلم. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: في آيات، أي رأيت المذكور في جملة آيات، ولعله أراد بها الآيات المذكورة في قوله تعالى: ﴿**لقد رأى من آيات ربه الكبرى**﴾ [النجم - ١٨]. فعلى هذا في الكلام التفات حيث وضع إياه موضع إياي، أو الراوي نقل معنى ما تلفظ به. والظاهر أن قوله: (**فلا تكن في مرية من لقائه**) متعلق بأول الكلام، وهو حديث موسى عليه السلام تلميحاً إلى ما في التنزيل من قوله تعالى: ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه**﴾ [السجدة - ٢٣]. الكشاف قيل. من لقائك موسى عليه [الصلاة] والسلام ليلة الإسراء، فيكون ذكر عيسى وما يتبعه من الآيات على سبيل التبعية والإدماج، أي لا تكن يا محمد في رؤية ما رأيت من الآيات في شك. فعلى هذا الخطاب في قوله [فلا تكن لرسول الله][2] ﷺ، والكلام كله متصل ليس فيه تغيير من الراوي إلا لفظ إياه. ويشهد له قول الشيخ محيي الدين [رحمه الله] في شرح هذا الحديث: كان قتادة

---

(١) في المخطوطة «طويل».

(٢) هذه العبارة مكانها في المخطوطة ليس هنا بل ما بين كلمتي التبعية والإدماج لكن الصواب ما ذكر والله تعالى أعلم.

متفق عليه.

٥٧١٦ - (١٩) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليلةَ أُسرِيَ بي لقيتُ موسى - فنعَتَه - فإذا رجلٌ مضطربٌ، رَجِلُ الشعرِ، كأنّه من رجالِ شَنوءَة. ولقيتُ عيسى رَبْعةً أحمرَ كأنّما خرجَ من ديماسٍ - يعني الحمامَ -

---

يفسرها أن النبي ﷺ قد لقي موسى عليه [الصلاة] والسلام. ووافقه عليه جماعة، منهم مجاهد والكلبي والسدي. ومعناه فلا تكن في شك من لقائك موسى. والشارحون ذهبوا إلى أن قوله: في آيات أراهن الله. من كلام الراوي ألحقه بالحديث دفعاً لاستبعاد السامعين وإماطة لما عسى يختلج في صدورهم. وقال المظهر: الخطاب في فلا تكن، خطاب عام لمن سمع هذا الحديث إلى يوم القيامة، والضمير في لقائه عائد إلى الدجال. أي إذا كان خروجه موعوداً فلا تكن في شك من لقائه. وقال غيره: الضمير راجع إلى ما ذكر أي فلا تكن في شك من رؤية ما ذكر من الآيات إلى يوم القيامة. (**متفق عليه**). وذكر السيوطي الحديث في الجامع الصغير إلى قوله الدجال، وقال: رواه أحمد والشيخان[١].

٥٧١٦ - (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ليلة أسري بي**) ظرف مقدم لقوله: (**لقيت موسى فنعته**) أي فوصف موسى فقال في حقه (**فإذا**) أي هو (**رجل مضطرب**) قال القاضي وغيره من الشراح: يريد به أنه كان مستقيم القد حاداً فإن الحاد يكون قلقاً متحركاً كأن فيه اضطراباً. ولذلك يقال: رمح مضطرب إذا كان طويلاً مستقيماً. وقيل: معناه أنه كان مضطرباً من خشية الله تعالى، وهذه صفة النبيين والصديقين كما روي أنه عليه [الصلاة] والسلام كان يصلي ولقلبه أزيز كأزيز المرجل[٢]. (**رجل الشعر**) بكسر الجيم ويسكن ويفتح. ففي القاموس شعر رجل وككتف، وجبل بين السبوطة والجعودة. وفي النهاية، أي لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما. قلت: الظاهر أن تكون جعودته غالبة على سبوطته لئلا ينافي ما سبق من كون موسى عليه [الصلاة] والسلام جعداً. (**كأنه من رجال شنوءة**) سبق بيانه (**ولقيت عيسى ربعة**) بتسكين الموحدة، ويجوز فتحه على ما ذكره العسقلاني، أي مربوع الخلق. وفي النهاية، أي لا طويل ولا قصير والتأنيث على تأويل النفس. (**أحمر**) أي شديد الحمرة (**كأنه خرج من ديماس**) بكسر الدال وتفتح على ما في القاموس الكن والسرب والحمام. قال الجوهري: فإن فتحت الدال جمعت على دياميس، مثل شيطان وشياطين. وإن كسرتها جمعت على دماميس كقيراط وقراريط. ثم لما كان الديماس له معان قال الراوي: (**يعني**) أي يريد النبي ﷺ به (**الحمام**) قال العسقلاني: هذا في تفسير عبد

---

(١) ٢/٣٦٨ حديث رقم ٤٣٨٠.

الحديث رقم ٥٧١٦: أخرجه البخاري ٦/٤٢٨. حديث رقم ٣٣٩٤. ومسلم ١/١٥٤ حديث رقم (٢٧٢/١٦٨) والترمذي ٥/٢٨٠ حديث رقم ٣١٣٠.

(٢) النسائي ٣/١٣ حديث رقم ١٢١٤.

ورأيتُ إبراهيمَ وأنا أشبه وَلده به» قال: «فأتيتُ بإناءين: أحدُهما لبنٌ والآخرُ فيه خمرٌ. فقيل لي: خُذْ أيهما شئتَ. فأخذتُ اللبنَ فشربتُه، فقيل لي: هُديتَ الفطرةَ، أما إنَّك لو أخذتَ الخمرَ غَوَتْ أُمتك». متفق عليه.

الرزاق، والمراد وصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه، كأنه خرج من حمام وهو عرق. (ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده) أي أولاده من نسل ولده إسماعيل، أو مطلقاً. (به) أي بإبراهيم صورة، ومعنى. فالمشابهة الصورية عنوان للمناسبة المعنوية، مع أن الولد سر أبيه في مبانيه ومعانيه. (قال:) أي النبي ﷺ (فأتيت بإناءين) أي أحضرت بهما (أحدهما لبن) قال التوربشتي رحمه الله: العالم القدسي يصاغ فيه الصور من العالم الحسي ليدرك بها المعاني، فلما كان اللبن في عالم الحس من أول ما يحصل به التربية ويرشح به المولود صيغ عنه مثال للفطرة التي تتم بها القوة الروحانية، وتنشأ عنها الخاصية الإنسانية. وقال بعضهم: ولم يقل فيه لبن، كأنه جعله لبناً كله تغليباً للبن على الإناء لكثرته، وتكثيراً لما اختاره، ولما كان الخمر منهياً عنه قلله فقال: (والآخر فيه خمر) أي خمر قليل (فقيل لي: خذ أيهما شئت) أي أي الإناءين، أو أي المشروبين أردته واشتهيته. (فأخذت اللبن فشربته) أي لما يدل الأمر بالأخذ على جواز الشرب لأنه المقصود منه، وإنما عرض عليه كلاهما إظهاراً على الملائكة فضله باختياره الصواب. (فقيل لي: هديت الفطرة) بصيغة الخطاب مجهولاً، أي فقالت الملائكة: هداك الله إلى الفطرة. وهو يحتمل الإخبار والدعاء، والأول أظهر لما سيأتي في آخر الحديث. والمعنى: إنك هديت الفطرة الكاملة الشاملة لاتباعك العالمة العاملة. قال القاضي [رحمه الله]: المراد بها الفطرة الأصلية التي فطر الناس عليها فإن منها الإعراض عما فيه غائلة وفساد كالخمر المخل بالعقل الداعي إلى الخير الوازع عن الشر المؤدي إلى صلاح الدارين وخير المنزلين، والميل إلى ما فيه نفع خال عن مضرة دنيوية ومعرة دينية كشرب اللبن، فإنه من أصلح الأغذية وأول ما حصل به التربية. وقال ابن الملك: وفي هذا القول له عند أخذ اللبن لطف ومناسبة، فإن اللبن لما كان في العالم الحسي ذا خلوص وبياض وأول ما يحصل به تربية المولود، صيغ منه في العالم القدسي مثال الهداية والفطرة التي يتم بها القوة الروحانية، بخلاف الخمر فإنها لكونها ذات مفسدة صيغ منها مثال الغواية وما يفسد القوة الروحانية. ولهذا قيل له: (أما) بالتخفيف للتنبيه (إنك لو أخذت الخمر) أي شربت أو ما شربت. والمعنى لو ملت إليها أدنى الميل (غوت) أي ضلت (أمتك) أي نوعاً من الغواية المترتبة على شربها، بناء على أنه لو شربها لأحل للأمة شربها فوقعوا في ضررها وشرها. ولما كان هو معصوماً ما لم يقل له: غويت، على ما تقتضيه المقابلة. وفيه إيماء إلى أن استقامة المقتدي من النبي والعالم والسلطان ونحوهم سبب لاستقامة أتباعهم لأنهم بمنزلة القلب للأعضاء (متفق عليه).

٥٧١٧ ـ (٢٠) وعن ابنِ عبّاسٍ، قال: سرْنا مع رسول الله ﷺ بينَ مكة والمدينة، فمررْنا بوادٍ، فقال: «أيُّ وادٍ هذا؟» فقالوا: وادي الأزرقِ. قال: «كأني أنظرُ إلى موسى» فذكر منْ لونِه وشعرِه شيئاً، «واضعاً إصبعَيه في أذنَيهِ، له جُؤارٌ إلى الله بالتلبيةِ، ماراً بهذا الوادي». قال: ثمّ سرنا حتى أتينا على ثنيّةٍ. فقال: «أيُّ ثنيّةٍ هذه؟» قالوا: هَرشي ـ أو لِفت ـ. فقال: «كأني أنظرُ إلى يونسَ على ناقةٍ حمراءَ، عليه جُبّةُ صوفٍ، خِطامُ ناقتِه خُلبةٌ، ماراً بهذا الوادي ملبيّاً».

٥٧١٧ ـ (وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: سرنا) من السير أي سافرنا (مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة) يحتمل من مكة إلى المدينة وبالعكس (فمررنا بواد فقال: أي واد هذا. فقالوا: وادي الأزرق) وهو موضع بين الحرمين سمي به لزرقته. وقيل: منسوب إلى رجل بعينه. (فقال: كأني أنظر إلى موسى فذكر من لونه وشعره شيئاً) أي بعضاً من أوصافهما، وهو أن لونه أسمر وشعره جعد على ما سبق (واضعاً) أي حال كون موسى واضعاً. (إصبعيه في أذنيه) بضم الذال ويسكن والتثنية فيهما على طريق اللف والنشر. (له) أي لموسى (جؤار) بضم جيم فهمز وقد يبدل، أي تضرع (إلى الله بالتلبية) ذكره شارح. وقال الطيبي [رحمه الله]: رفع صوت بها، ولا منع من الجمع. (ماراً بهذا الوادي) قال الطيبي [رحمه الله]: واضعاً وماراً حالان مترادفان أو متداخلان من موسى عليه [الصلاة] والسلام، وقد تخلل بينهما كلام الراوي. يعني الراوي عن حاله وهو النبي ﷺ. (قال:) أي ابن عباس (ثم سرنا) أي ذهبنا (حتى أتينا على ثنية) بفتح مثلثة وكسر نون وتشديد تحتية، أي عقبة وهي طريق عال في الجبل أو بين الجبلين. (فقال: أي ثنية هذه. قالوا: هرشي) بهاء فراء فشين معجمة فألف مقصورة، تكتب بالياء كسكرى، على طريق الشام والمدينة قرب الجحفة. (أو لفت) بكسر اللام وسكون الفاء على ما في أكثر النسخ. وقال الطيبي [رحمه الله]: يروى فيه كسر اللام وإسكان الفاء وفتحها معه وفتحهما. وقال شارح: هرشي ثنية بقرب الجحفة، يقال لها أيضاً: لفت. والشك للراوي. أقول: ويمكن أن يكون أو للتنويع، على أن بعضهم قال: هرشي، وبعضهم: لفت، ولا خلاف في الحقيقة. (فقال: كأني أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف) أي للتواضع واختيار الزهد، وهذا مأخذ للصوفية ومن تبعهم من العلماء كالكسائي، ولعله لبسها على غير هيئة المعتاد، أو كان جائز في شرعه [للمحرم] لبس الجبة ونحوها مطلقاً، والله [تعالى] أعلم. (خطام ناقته) أي زمامها وزناً ومعنى، وهو الحبل الذي يقاد به البعير يجعل على خطمه، أي مقدم أنفه وفمه. (خلبة) بضم الخاء المعجمة وسكون اللام وبضمهما فموحدة فهاء، ليفة نخل. (ماراً بهذا الوادي ملبياً) حالان من يونس كما تقدم، وفيه إشعار بأن الحج من شعائر الله ومن شعائر أنبيائه أحياء وأمواتاً. فيفيد الترغيب في قصد الحج وما يتعلق به من التلبية الدالة على التوحيد، والهيئة الإحرامية المشعرة إلى التجريد والتفريد والله سبحانه [وتعالى] أعلم. قال النووي [رحمه الله]: فإن قيل: كيف يحجون ويلبون وهم أموات، والدار الآخرة ليست

الحديث رقم ٥٧١٧: أخرجه مسلم ١/ ١٥٢ حديث رقم (٢٦٩. ١٦٦). وأخرجه أحمد في المسند ١/ ٢١٥.

رواه مسلم.

٥٧١٨ ـ (٢١) وعن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «خُفِّفَ على داودَ القرآنُ، فكانَ يأمرُ بدوابِّه فتسرجُ، فيقرأُ القرآنَ قبلَ أنْ تسرجَ دوابُّه»

بدار عمل. الجواب من وجوه أحدها، أنهم كالشهداء بل أفضل، والشهداء أحياء عند ربهم فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا ويتقربوا إلى الله تعالى بما استطاعوا[1]، لأنهم وإن كانوا قد توفوا [فهم] في هذه الدنيا التي هي دار العمل، حتى إذا فنيت مدتها وتعقبها الآخرة التي هي دار الجزاء انقطع العمل. وثانيهما أن التلبية دعاء من عمل الآخرة. قال تعالى: ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ [يونس ـ ١٠]. وثالثها: أن تكون هذه رؤية منام في غير ليلة الإسراء، كما قال في رواية ابن عمر رضي الله [تعالى] عنهما: بينما أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة. وذكر الحديث في قصة عيسى[2]. قلت: ورؤيا الأنبياء حق وصدق. قال: ورابعها، أنه ﷺ أري حالهم التي كانت في حياتهم ومثلوا له في حال حياتهم كيف كانوا وكيف حجهم وتلبيتهم، كما قال ﷺ: كأني أنظر إلى موسى. قلت: الظاهر أن المراد بقوله هذا، استحضار تلك الحالة الماضية عند الحالة الراهنة للإشارة إلى غاية تحققها ونهاية صدقها. قال: وخامسها، أن يكون أخبر عما أوحي إليه ﷺ من أمرهم وما كان منهم، وإن لم يرهم رؤية عين. قلت: يرده قوله: كأني أنظر إليهما. قال: وهذا آخر كلام القاضي عياض. وفي الحديث دليل على استحباب وضع الإصبع في الأذن عند رفع الصوت بالأذان ونحوه، وهذا الاستنباط والاستحباب يجيء على مذهب من يقول من أصحابنا أو غيرهم إن شرع من قبلنا شرع لنا. قلت: هذا الاستنباط إنما يتم لو قيل باستحباب وضع الإصبعين في الأذنين وقت التلبية، ولا أظن أن أحداً قال بهذا. وأما وضع الإصبع في الأذن حال الأذان فله دليل مستقل ذكر في بابه (رواه مسلم).

٥٧١٨ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: خفف) أي سهل ويسر (على داود القرآن) أي قراءة الزبور وحفظه. (فكان يأمر بدوابه) أي لركوبه وركوب أصحابه. (فتسرج) أي الدواب، أو فيشرع في سرجها (فيقرأ القرآن) أي المقروء وهو الزبور (قبل أن تسرج دوابه) وفي النهاية الأصل في هذه اللفظة يعني القرآن الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته. وسمي القرآن قرآناً لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها مع بعض. وهو مصدر كالغفران والكفران. وقد يطلق على القراءة نفسها. يقال: قرأ قراءة وقرآناً. قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ [القيامة ـ ١٨]. قال التوربشتي [رحمه الله]: يريد بالقرآن الزبور، وإنما قال له القرآن لأن قصد إعجازه من طريق القراءة. وقد دل الحديث

---

(١) في المخطوطة كلمة سياقها غير مناسب هنا وهي كلمة «فهم».

(٢) مسلم في صحيحه ١/ ١٥٦ حديث رقم ١٧١.

الحديث رقم ٥٧١٨: أخرجه البخاري ٦/ ٤٥٣. حديث رقم ٣٤١٧. وأحمد في المسند ٢/ ٣١٤.

ولا يأكلُ إلاَّ منْ عملِ يدَيهِ». رواه البخاري.

٥٧١٩ ـ (٢٢) وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قال: «كانتِ امرأتانِ معهُما ابناهُما، جاءَ الذئبُ فذهبَ بابنِ إحداهُما، فقالتْ صاحبتُها: إنما ذهبَ بابنِكِ. وقالتِ الأخرى: إنما ذهبَ بابنِكِ، فتحاكمَتا إلى داود، فقضى به للكُبرى، فخرجَتا على سليمانَ بنِ داودَ، فأخبرتاهُ،

على أن الله تعالى يطوي الزمان لمن يشاء من عباده، كما يطوي المكان لهم. وهذا باب لا سبيل إلى إدراكه إلا بالفيض الرباني. قلت: حاصله أنه من خرق العادة على اختلاف في أنه بسط للزمان أو طي للسان. والأول أظهر، وقد حصل لنبينا ﷺ في ليلة الإسراء هذا المعنى على الوجه الأكمل في المبنى من الجمع بين طي المكان وبسط الزمان بحسب السمع واللسان في قليل من الآن، ولأتباعه أيضاً وقع حظ من هذا الشأن على ما حكي أن علياً كرم الله [تعالى] وجهه كان يبتدىء القرآن من ابتداء قصد ركوبه مع تحقق المباني وتفهم المعاني، ويختمه حين وضع قدمه في ركابه الثاني. وقد نقل مولانا نور الدين عبد الرحمٰن الجامي قدس الله سره السامي في كتابه نفحات الأنس في حضرات القدس عن بعض المشايخ، أنه قرأ القرآن من حين استلم الحجر الأسود والركن الأسعد، إلى حين وصول محاذاة باب الكعبة الشريفة والقبلة المنيفة، وقد سمعه ابن الشيخ شهاب الدين السهروردي منه كلمة كلمة وحرفاً حرفاً من أوله إلى آخره قدس الله أسرارهم ونفعنا ببركة أنوارهم. **(ولا يأكل)** أي كان لا يتعيش داود عليه [الصلاة] والسلام. **(إلا من عمل يديه)** كما قال تعالى: ﴿**وألنا له الحديد أن اعمل سابغات**﴾ [سبأ ـ ١٠ ـ ١١]. أي دروعاً واسعات، وفي إيراد يديه بصيغة التثنية إيماء إلى أن عمله كان محتاجاً إلى مباشرة العضوين، فيكون أجره مرتين. فرواية الجامع بيده على صيغة الإفراد، يراد بها الجنس. وقد روى أبو سعيد مرفوعاً على ما رواه ابن لال: أفضل الأعمال الكسب من الحلال[1]. **(رواه البخاري.)** وكذا أحمد.

٥٧١٩ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ قال: كانت امرأتان معهما ابنان)** أي لكل واحدة منهما ابن **(جاء الذئب)** استئناف بيان **(فذهب بابن إحداهما فقالت صاحبتها:)** أي رفيقة إحداهما التي ذهب بابنها **(إنما ذهب بابنك. وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك)** ولعل الولدين كانا شبيهين، أو كانت إحداهما كاذبة لكنها تريد أن تستأنس بالموجود بدلاً عن المفقود، أو لأغراض أخر فاسدة وأمكار كاسدة. **(فتحاكمتا)** أي فرفعتا الحكومة **(إلى داود فقضى به)** أي حكم بالولد **(للكبرى)** إما لكونه في يدها على مقتضى القاعدة الشرعية أن صاحبة اليد أولى، أو لأنه أشبه بها على اعتبار علم القيافة كما قال به الشافعي. **(فخرجتا على سليمان [بن داود]** أي] مارتين عليه **(فأخبرتاه)** أي بما سبق من حالهما وتحقق من مآلهما

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ٧٩ حديث رقم ١٢٣٨.

الحديث رقم ٥٧١٩: أخرجه البخاري ٦/ ٤٥٨. حديث رقم ٣٤٢٧. ومسلم ٣/ ١٣٤٤ حديث رقم (٢٠/ ١٧٢٠). والنسائي ٨/ ٢٣٥ حديث رقم ٥٤٠٢. وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٢٢.

فقال: ائتوني بالسِّكين أشُقُّه بينكما. فقالت الصُّغرى: لا تفعلْ، يرحمُكَ اللّهُ، هوَ ابنُها، فقضى به للصُّغرى». متفق عليه.

٥٧٢٠ ـ (٢٣) وعنه، قال رسولُ الله ﷺ: «قال سليمانُ: لأطوفَنَّ الليلةَ على تسعينَ

(فقال:) أي لخدمه (ائتوني بالسكين أشقه) بفتح القاف المشددة على جواب الأمر، وفي نسخة بالرفع. أي أنا أقطع الولد نصفين (بينكما) أي مقسومين. والمعنى أنه على فرض أنكما لم تظهرا لي الصدق في أمره. ولعل الأخرى أيضاً كانت في أول الأمر متعلقة بالولد متمسكة باليد ومع هذا لم يرد حقيقة التنصيف، وإنما صور لهما هذا التصوير توصلاً إلى ما أراد به من ظهور أمارة التأليف. (فقالت الصغرى: لا تفعل) أي الشق (يرحمك الله) أي كما أوقعني في الرحمة على ولدي (هو ابنها) أي رضيت بأنه يكون ابنها وهو حي، ولا أرضى بالشق المفضي إلى موته. (فقضى به للصغرى) أي لوجود قرينة الشفقة والرحمة فيها وتحقق القساوة واليبوسة والغفلة، بل دلالة العداوة في الأخرى. قال شارح: واعلم أن قضاءهما حق لكونهما مجتهدين، ومستند قضائهما في هذه القضية هي القرينة. لكن القرينة التي قضى بها سليمان أقوى من حيث الظاهر. وقيل: يحتمل أن قرائن الأحوال كانت في شرعهم بمثابة البينة، يعني ولو كانت إحداهما ذات اليد والله [تعالى] أعلم. وفي شرح مسلم للنووي رحمه الله قالوا: يحتمل أن داود عليه [الصلاة] والسلام قضى به للكبرى لشبه رآه فيهما، أو لكونه كان في يدها. وأما سليمان فتوصل بطريق من الحيلة والملاطفة إلى معرفة باطن القضية، وإنما أراد اختبار شفقتهما ليتميز له الأمر لا القطع حقيقة. فلما تميز حكم للصغرى بإقرار الكبرى لا بمجرد الشفقة. قلت: الإقرار لا دلالة للعبارة عليه ولا طريق للإشارة إليه. قال: وقال العلماء: ومثله ما يفعله الحكام ليتوصلوا به إلى حقيقة الصواب. قلت: وقد حقق ابن القيم الجوزي هذا المبحث في كتاب الفراسة في السياسة. قال النووي [رحمه الله]: فإن قيل: كيف نقض سليمان حكم أبيه داود عليه [الصلاة] والسلام، فالجواب من وجوه، أحدها: أن داود لم يكن جزم بالحكم. وثانيها: أن يكون ذلك فتوى من داود لا حكماً. وثالثها: لعله كان في شرعهم فسخ الحكم إذا رفعه الخصم إلى حاكم آخر يرى خلافه. قلت: وفي كل منها نظر ظاهر. فالوجه أن القرينة الأقوى كانت عندهما بالاعتبار هو الأولى. وأما لو صح إقرار الكبرى بأنه للصغرى فلا إشكال بكل حال، لأن الاقرار بعد الحكم معتبر في شرعنا أيضاً، كما إذا اعترف المحكوم عليه بعد الحكم بأن الحق لخصمه والله [تعالى] أعلم. (متفق عليه).

٥٧٢٠ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله ﷺ: قال سليمان: لأطوفن) الطواف هنا كناية عن الجماع. والمعنى: [والله] لأدورن. (الليلة) أي الآتية (على تسعين

الحديث رقم ٥٧٢٠: أخرجه البخاري ٦/ ٤٥٤. حديث رقم ٢٨١٩. ومسلم ٣/ ١٢٧٦ حديث رقم (٢٥/ ١٦٥٤). والترمذي ٤/ ٩٢ حديث رقم ١٥٣٢. والنسائي ٧/ ٢٥ حديث رقم ٣٨٣١.

امرأةً - وفي رواية: بمائة امرأةٍ - كلهنّ تأتي بفارس يُجاهدُ في سبيل الله. فقال له الملكُ: قُلْ إن شاء اللّهُ. فلم يقلْ ونسي، فطافَ عليهنّ، فلم تحملْ منهنّ إلا امرأةٌ واحدةٌ جاءتْ بشقِّ رجلٍ، وأيم الذي نفسُ محمّدٍ بيده، لو قال: إنْ شاء الله، لجاهدوا في سبيلِ الله فرساناً أجمعونَ». متفق عليه.

٥٧٢١ - (٢٤) وعنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «كان زكريّا

امرأة. وفي رواية: بمائة امرأة) قال الحافظ العسقلاني: فيه روايات ستون وسبعون، وتسعون، وتسع وتسعون، والجمع أن الستين كن حرائر وما زاد كن سرائر أو بالعكس. وأما السبعون فللمبالغة، وأما التسعون والمائة وفوق التسعين فمن قال تسعون ألغى الكسر ومن قال مائة أتى بالجبر. (كلهن) أي كل واحدة. (تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله) وهذه نية حسنة إلا أنها غير مبنية على المشيئة. (فقال له الملك:) أي الموكل على يمينه أو جبريل أو غيرهما، أو المراد به إيهامه أو إلهامه. (قل: إن شاء الله. فلم يقل) أي اكتفاء بما في الجنان عن البيان باللسان (ونسي) كعلم، وروي بضم النون وتشديد السين وهو أحسن. أي حصل له النسيان بأن الجمع بين القلب واللسان أكمل عند أرباب الجمع وأصحاب العرفان، أو أراد أن يقول: ونسي. (فطاف عليهن فلم تحمل منهن) أي لم تحبل (إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل) أي بنصفه أو بعضه حيث عدل عن شق الصواب وصوب الكمال. (وأيم الذي نفس محمد بيده) تقدم الكلام على أيم لفظاً ومعنى. وقال التوربشتي [رحمه الله]: هذا الأصل في أيم الله أيمن الله، حذف منه النون وهو اسم وضع للقسم هكذا بضم الميم والنون وألفه ألف وصل عند أكثر النحويين. ولم تجيء في الأسماء ألف الوصل مفتوحة غيرها. وتقديره أيمن الله قسمي، وإذا حذف عنه النون. قيل: أيم الله وإيم الله بكسر الهمزة أيضاً. (لو قال: إن شاء الله لجاهدوا) أي لوجدوا وولدوا وكبروا وقاتلوا الكفار. (في سبيل الله) أي طريق رضاه (فرساناً) حال من ضمير جاهدوا (أجمعون) تأكيد للضمير. ومنهم من يرويه أجمعين على الحال. والرواية المعتد بها أجمعون بالرفع. قيل: والحديث يدل على أن من أراد أن يعمل عملاً يستحب أن يقول عقيب قوله: إني أعمل كذا إن شاء الله تعالى. تبركاً وتيمناً وتسهيلاً لذلك العمل. وقد قال تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ [الكهف - ٢٣ - ٢٤]. (متفق عليه.) ولفظ الجامع: قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله. فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله. فلم يقل إن شاء الله. فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق إنسان. والذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله. لم يحنث وكان دركاً لحاجته. رواه أحمد والشيخان والنسائي عن أبي هريرة[١].

٥٧٢١ - (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ قال: كان زكريا)

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٣٧٨. حديث رقم ٦٠٨٥.

الحديث رقم ٥٧٢١: أخرجه مسلم ٤/ ١٨٤٧ حديث (١٦٩/ ٢٣٧٩). وابن ماجه ٢/ ٧٢٧ حديث رقم ٢١٥٠. وأحمد في المسند ٢/ ٢٩٦.

نجّاراً». رواه مسلم.

٥٧٢٢ ـ (٢٥) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أَوْلى النّاسِ بعيسى ابنِ مريمَ في الأولى والآخرةِ، الأنبياءُ أُخوَةٌ من علاّتٍ، وأُمّهاتُهم شتّى،

بالقصر ويروى مده (نجاراً) أي ينجر الخشبة وينحتها ويأكل من كسب يده. وفيه وفيما قبله من حديث داود عليه [الصلاة] والسلام، دلالة على أن الكسب من سنة الأنبياء، وهو لا ينافي التوكل بترك مراعاة الأسباب في الأشياء، كما فعله بعض الأنبياء وجماعة من أصفياء الأولياء، على خلاف في كون أيهما أفضل عند العلماء. وتحقيقه في كتاب الإحياء. (رواه مسلم) وكذا أحمد وابن ماجه.

٥٧٢٢ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أولى الناس) أي أقربهم (بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة) أي في الدنيا والعقبى. قال الحافظ ابن حجر: أي أقربهم إليه لأنه بشر بأن يأتي من بعده. ولا منافاة بينه وبين قوله تعالى: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي﴾ [آل عمران ـ ٦٨]. لأنه هو أولى الناس بإبراهيم من جهة الاقتداء، وأولاهم بعيسى ابن مريم من جهة قرب العهد انتهى. لكن لا يخفى أن مجرد قرب العهد لا يلائمه قوله: ﴿الأنبياء أخوة﴾ فالأولى ما قال القاضي [رحمه الله]: من أن الموجب لكونه أولى الناس بعيسى عليه [الصلاة] والسلام أنه كان أقرب المرسلين إليه وأن دينه متصل بدينه، وأن عيسى كان مبشراً به ممهداً لقواعد دينه داعياً للخلق إلى تصديقه. ثم قال: وهذه الجملة استئناف، فيه دليل على الحكم السابق. كان سائلاً سأل عن المقتضي للأولوية فأجاب النبي ﷺ بذلك، وبين أن الأخوّة التي بين الأنبياء ليست بينهم وبين سائر الناس. جعل ذلك كالنسب الذي هو أقرب الأسباب، ثم بقرب زمانه من زمانه واتصال دعوته بدعوته، كما ستجيء الإشارة إليه والدلالة عليه بقوله: وليس بيننا نبي. فقوله: (من علات) بفتح فتشديد، أي هم أخوة من أب واحد. فإن العلة الضرة، وبنو العلات أولاد الرجل من نسوة شتى. فقوله: (وأمهاتهم شتى) أي متفرقة مختلفة، إما تأكيد أو تجريد. والمعنى: كما أن أولاد العلات أمهاتهم مختلفة، فكذلك الأنبياء دينهم واحد وشرائعهم مختلفة. قال القاضي [رحمه الله] وغيره من الشراح: العلة الضرة مأخوذة من العلل، وهو الشربة الثانية بعد الأولى، وكأن الزوج عل منها بعدما كان ناهلاً من الأخرى، من النهل وهو الشرب الأول. وأولاد العلات أولاد الضرات من رجل واحد. والمعنى: إن حاصل أمر النبوّة والغاية القصوى من البعثة التي بعثوا جميعاً لأجلها دعوة الخلق إلى معرفة الحق وإرشادهم إلى ما به. ينتظم معاشهم ويحسن معادهم، فهم متفقون في هذا الأصل وإن اختلفوا في تفاريع الشرع التي هي كالوصلة المؤدية والأوعية الحافظة له. فعبر النبي ﷺ عما هو الأصل المشترك بين جميع الأنبياء بالأب ونسبهم

الحديث رقم ٥٧٢٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٤٧٧. حديث رقم ٣٤٤٢، ٣٤٤٣. ومسلم ٤/ ١٨٣٧ حديث رقم (١٤٥، ٢٣٦٥).

ودينُهم واحدٌ، وليسَ بينَنا نبيٌّ». متفق عليه.

٥٧٢٣ ـ (٢٦) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كلُّ بني آدمَ يطعنُ الشيطانُ

إليه، وعبر عما يختلفون فيه من الأحكام والشرائع المتفاوتة بالصورة المتقاربة في الفرض. يعني بحسب الأزمنة والمصالح المتعلقة بالأشخاص المختلفة طبعاً بالأمهات. وهو معنى قوله: وأمهاتهم شتى. فإنهم وإن تباينت أعصارهم وتباعدت أيامهم، فالأصل الذي هو السبب في إخراجهم وإبرازهم كلا في عصره أمره واحد. ولذا قال: (ودينهم واحد) وهو الدين الحق الذي فطر الناس عليه مستعدين لقبوله متمكنين من الوقوف عليه والتمسك به. فعلى هذا المراد بالأمهات، الأزمنة التي اشتملت عليهم وانكشفت عنهم. ولذا قال: (وليس بيننا) أي بيني وبين عيسى. (نبي) إما مطلقاً أو محمول على نبي ذي شرع، أو على أولي العزم من الرسل. قال ابن الملك [رحمه الله]: أي ليس بيني وبينه نبي، بل جئت بعده. كما قال: ﴿**ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**﴾ [الصف ـ ٦]. قال: وبهذا بطل قول من قال: الحواريون كانوا أنبياء بعد عيسى عليه [الصلاة] والسلام انتهى. وكأنه حمل النفي على الاطلاق. قال الطيبي [رحمه الله]: قوله: الأنبياء إخوة من علات، كما مر استئناف على بيان الموجب لقوله ﷺ: أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة. فينبغي أن ينزل البيان على المبين، يعني الأنبياء كلهم متساوون فيما بعثوا لأجله من أصول التوحيد، وليس لأحد اختصاص منه. لكن أنا أخص الناس بعيسى لأنه كان مبشراً بي قبل بعثتي وممهداً لقواعد ملتي، ثم في آخر الزمان متابع شريعتي وناصر لديني فكانا واحد. والأولى والآخرة يحتمل أن يراد بهما الدنيا والآخرة، وأن يراد بهما الحالة الأولى وهي كونه مبشراً، والحالة الآخرة وهي كونه ناصراً مقوياً لدينه. فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا الحديث. وبين قوله تعالى: ﴿**إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي**﴾ [آل عمران ـ ٦٨]. أي إني أخصهم به وأقربهم فيه، قلت: الحديث وارد في كونه ﷺ متبوعاً والتنزيل في كونه تابعاً، له الفضل تابعاً ومتبوعاً. قال تعالى: ﴿**ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً**﴾ [النحل ـ ١٢٣]. وقد مر تفسيره والله [تعالى] أعلم. (**متفق عليه**.) ولفظ الجامع: أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة وليس بيني وبينه نبي. والأنبياء أولاد علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد. رواه أحمد والشيخان وأبو داود[1]. ولا يخفى حسن نظم هذه الرواية المطابق لمراعاة ترتيب الدراية.

٥٧٢٣ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: كل بني آدم**) فيه تغليب الذكور على الإناث أي كل أولاد آدم. (**يطعن الشيطان**) بفتح العين ويضم من طعنه بالرمح، كمنعه ونصره طعناً ضربه وزجره على ما في القاموس. والمراد هنا المس لما في

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٦٢ حديث رقم ٢٧٠٦.

الحديث رقم ٥٧٢٣: أخرجه البخاري ٦/ ٣٢٧. حديث رقم ٣٢٨٦ ومسلم ٤/ ١٨٣٨ حديث رقم (١٤٧ ـ ٢٣٦٦).

في جَنبَيهِ بأصبعَيهِ حينَ يولَدُ، غيرَ عيسى ابن مريمَ ذهبَ يطعنُ فطعنَ في الحجابِ». متفق عليه.

٥٧٢٤ ـ (٢٧) وعن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «كمُل من الرجال كثير، ولم يكمُل من النساءِ إلا مريمُ بنتُ عمران، وآسيةُ امرأة فرعون،

رواية، فالمعنى أنه يمسه ويصيبه. (في جنبيه بإصبعيه) أي السبابة والوسطى. وفي التثنية إشعار بكمال العداوة وإيماء إلى قصد إضلاله في أمر الدنيا والآخرة. (حين يولد) أي أول زمن ولادتهم، والإفراد باعتبار لفظ كل. (غير عيسى ابن مريم) أي لدعوة حنة جدته في حق أمه بقولها: ﴿وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ [آل عمران ـ ٣٦]. (ذهب) أي أراد الشيطان وشرع وطفق. (يطعن) أي في جنبي عيسى (فطعن في الحجاب) أي فأوقع الطعن في المشيمة، وهي ما فيه الولد، فلم يتأثر من مسه عيسى. قال الطيبي [رحمه الله]: وهذا يدل على أن المس في قوله: «ما من مولوداً لا يمسه الشيطان». على الحقيقة كما مر في الوسوسة. قلت: وتمام الحديث: حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها[1] [عليهما الصلاة والسلام]. فكان الراوي اقتصر في هذا الحديث على ذكر عيسى عليه [الصلاة] والسلام لأنه المقصود الأصلي في المرام، أو خص بعيسى نظراً إلى بعض القيود في الكلام. (متفق عليه.) وأسنده السيوطي في الجامع إلى البخاري، وقال: لفظ مسلم: كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه، إلا مريم وابنها[2].

٥٧٢٤ ـ (وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: كمل) بضم الميم، وفي نسخة بفتحها ويجوز كسرها. ففي القاموس كمل كنصر وكرم وعلم. وقال ابن الملك في شرح المشارق: في كمل ثلاث لغات، لكن كسر الميم ضعيف. أقول: الصحيح الضم لموافقته المعنى اللازمي، أي صار كاملاً، أو بلغ مبلغ الكمال. (من الرجال كثير) أي كثيرون من أفراد هذا الجنس حتى صاروا رسلاً وأنبياء وخلفاء وعلماء وأولياء. (ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون) والتقدير: إلا قليل منهن. ولما كان ذلك القليل محصوراً فيهما باعتبار الأمم السابقة، نص عليهما بخلاف الكمل من الرجال. فإنه يبعد تعدادهم واستقصاؤهم بطريق الانحصار سواء أريد بالكمل الأنبياء أو الأولياء. قال الحافظ ابن حجر: استدل بهذا الحصر على أنهما نبيتان لأن أكمل الإنسان الأنبياء ثم الأولياء والصديقون والشهداء. فلو كانتا غير نبيتين للزم أن لا يكون في النساء ولية ولا صديقة ولا شهيدة غيرهما. وقال الكرماني: لا يلزم من لفظ الكمال ثبوت نبوتهما، لأنه يطلق لتمام الشيء وتناهيه في بابه. فالمراد ببلوغهما

---

(١) متفق عليه وقد مر في باب الوسوسة.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٣٩٢ حديث رقم ٦٢٨٩ وحديث رقم ٦٢٩٠.

الحديث رقم ٥٧٢٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٤٦. حديث رقم ٣٤١١. ومسلم ٤/ ١٨٨٦ حديث رقم (٧٠/ ٢٤٣١) وأخرجه الترمذي ٤/ ٢٤٢ حديث رقم ١٨٣٤. وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١٠٩١ حديث رقم ٣٢٨٠. وأحمد في المسند ٤/ ٣٩٤.

وفَضْلُ عائشةَ على النساءِ كفضلِ الثريدِ على سائرِ الطعامِ».

إليه في جميع الفضائل التي للنساء. قلت: لا يخفى أن هذا المقال لا يندفع به الإشكال، إلا أن يقال: لا يلزم من كمال المرأة أكمليتها حتى تلزم النبوة، بل يكفي لحصول الكمال وصولها للولاية. ففائدة ذكرهما بطريق الحصر اختصاصهما بكمال لم يشركهما فيه أحد من نساء زمانهما، أو من نساء الأمم المتقدمة، أو مطلقاً غير مقيد. وذلك لما نقل العلماء من الاجماع على عدم نبوة النساء ولما يدل عليه قوله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً**﴾ [يوسف - ١٠٩]. لكن نقل عن الأشعري نبوة حواء وسارة وأم موسى وهاجر وآسية ومريم وهذا إنما يصح بناء على الفرق بين النبي والرسول والله [تعالى] أعلم. وقال ابن الملك في شرح المشارق في الجواب عن الإيراد السابق: قلنا: الكمال في شيء يكون حصوله للكامل أولى من غيره، والنبوة ليست أولى بالنساء لأن مبناها على الظهور والدعوة، وحالهن الاستتار. فلا تكون النبوة في حقهن، كمالاً بل الكمال في حقهن الصديقية وهي قريبة من النبوة انتهى. ولا يخفى أنه إنما يتم على القول بترادف النبوة والرسالة، وإلا فعلى الفرق بينهما كما عليه الجمهور من أن الرسول مأمور بالتبليغ بخلاف النبي، فلا يلزم من النبوة عدم التستر مع أن الرسالة أيضاً لا تنافي الستارة كما لا يخفى والله [تعالى] أعلم. (**وفضل عائشة على النساء**) أي على جنسهن من نساء الدنيا جميعهن، أو على النساء المذكورات، أو على نساء الجنة، أو على نساء زمانها، أو على نساء هذه الأمة، أو على الأزواج. الطاهرات (**كفضل الثريد على سائر الطعام**) قال الطيبي [رحمه الله]: يعطف عائشة على آسية، لكن أبرزه في صورة جملة مستقلة تنبيهاً على اختصاصها بما امتازت بها عن سائرهن. نحوه في الأسلوب قوله ﷺ: «حبب إلي من الدنيا ثلاث: الطيب والنساء وجعل قرة عيني في الصلاة»[(١)]. قلت: وسيأتي ما يدل على خلاف ذلك، مع أن لفظ ثلاث غير ثابت في الحديث. قال التوربشتي [رحمه الله]: قيل: إنما مثل بالثريد لأنه أفضل طعام العرب ولا يرون في الشبع أغنى غناء منه. وقيل: إنهم كانوا يحمدون الثريد فيما طبخ بلحم. وروي: «سيد الطعام اللحم»[(٢)]. فكأنها فضلت على النساء كفضل اللحم على سائر الأطعمة. والسر فيه، أن الثريد مع اللحم جامع بين الغذاء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤونة في المضغ وسرعة المرور في المريء. فضرب به مثلاً ليؤذن بأنها أعطيت مع [حسن] الخلق والخلق وحلاوة النطق فصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الرأي ورصانة العقل، والتحبب إلى البعل. فهي تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها والإصغاء إليها، وحسبك أنها عقلت عن النبي ﷺ ما لم تعقل غيرها من النساء، وروت ما لم يرو مثلها من الرجال. ومما يدل على أن الثريد أشهى الأطعمة عندهم وألذها قول الشاعر:

إذا ما الخبز تأدمه بلحم * فذاك أمانة الله الثريد

---

(١) أخرجه النسائي في السنن ٧/ ٦١ حديث رقم ٣٩٣٩.

(٢) أبو نعيم في الطب ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٢٩٢ حديث رقم ٤٧٥٧ ولفظه «سيد طعام الدنيا والآخرة اللحم».

....

وقد اختلفوا في التفضيل بين عائشة وخديجة وفاطمة. قال الأكمل، روي عن أبي حنيفة، إن عائشة بعد خديجة أفضل نساء العالمين. أقول: فهذا يحتمل تساوي خديجة وعائشة، لكون الأولى من العرفاء السوابق، والثانية من الفضلاء اللواحق. وقال الحافظ ابن حجر: فاطمة أفضل من خديجة وعائشة بالإجماع، ثم خديجة ثم عائشة. وقال السيوطي [رحمه الله]: في النقاية: وشرحها ونعتقد أن أفضل النساء مريم وفاطمة. روى الترمذي وصححه: «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد [عليه السلام] وآسية امرأة فرعون»(١). وفي الصحيحين من حديث علي: «خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد»(٢). وفي الصحيح: «فاطمة سيدة نساء هذه الأمة»(٣). وروى النسائي عن حذيفة: أن رسول الله ﷺ قال: هذا ملك من الملائكة استأذن ربه ليسلم علي ويبشرني أن حسناً وحسيناً سيدا شباب أهل الجنة، وأمهما سيدة نساء أهل الجنة»(٤). وروى الحارث بن أبي أسامة مسنده بسند صحيح لكنه مرسل. مريم خير نساء عالمها، وفاطمة خير نساء عالمها. ورواه الترمذي موصولاً من حديث علي بلفظ: «خير نسائها مريم وخير نسائها فاطمة»(٥). وفي الدر المنثور أخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون». وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى قال: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة سيدة نساء العالمين بعد مريم ابنة عمران»(٦). قال السيوطي: وأفضل أمهات المؤمنين خديجة وعائشة. قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم وآسية وخديجة، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». وفي لفظ: إلا ثلاث: مريم وآسية وخديجة. وفي التفضيل بينهما أقوال ثالثها الوقف. قلت: وصحح العماد بن كثير أن خديجة أفضل لما ثبت أنه ﷺ قال لعائشة حين قالت: «قد رزقك الله خيراً منها. فقال: لا والله ما رزقني الله خيراً منها، آمنت بي حين كذبني الناس وأعطتني مالها حين حرمني الناس». وسئل ابن داود فقال: عائشة أقرأها السلام النبي ﷺ من جبريل، وخديجة أقرأها السلام جبريل من ربها. فهي أفضل على لسان محمد. فقيل له: فأي أفضل فاطمة أم أمها. قال: فاطمة بضعة النبي ﷺ فلا نعدل بها أحداً. وسئل السبكي فقال: الذي نختاره وندين الله به، أن فاطمة بنت محمد [عليه السلام] أفضل ثم أمها خديجة ثم عائشة. ثم استدل لذلك. وعن ابن العماد،

(١) أخرجه الترمذي ٥/ ٦٦٠ حديث رقم ٣٨٧٨ وقال صحيح.

(٢) أخرجه البخاري ٧/ ١٣٣ حديث رقم ٣٨١٥. ومسلم ٤/ ١٨٨٦ حديث رقم ٢٤٣٠.

(٣) البخاري تعليقاً ٧/ ١٠٥. كتاب فضائل الصحابة.

(٤) أخرجه الترمذي ٥/ ٦١٩ حديث رقم ٣٧٨١ والنسائي في الكبرى.

(٥) لم أجده عند الترمذي والله تعالى أعلم.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة ٦/ ٣٨٨ حديث رقم ٣٢٢٧٣.

متفق عليه.

وذكر حديث أنس: «يا خير البرية». وحديث أبي هريرة: «أي الناس أكرم؟». وحديث ابن عمر: «الكريم ابن الكريم». في «باب المفاخرة والعصبيَّة».

الفصل الثاني

٥٧٢٥ ـ (٢٨) عن أبي رزين. قال: قلت: يا رسول الله! أين كان ربُّنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماءٍ،

أن خديجة أفضل من فاطمة باعتبار الأمومة لا السيادة والله تعالى أعلم. **(متفق عليه.)** وفي رواية الجامع، تقديم آسية على مريم وزيادة: وإن فضل عائشة الخ. رواه أحمد. والشيخان والترمذي وابن ماجه. **(وذكر حديث أنس: يا خير البرية)** أي قال أعرابي للنبي ﷺ: يا خير البرية. فقال: ذاك إبراهيم **(وحديث أبي هريرة: أي الناس أكرم)** تمامه: فقال النبي ﷺ: «أكرمهم عند الله أتقاهم. قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله»! الحديث. قال شارح: أي إذا لم تسألوني عن هذا، فأكرم الناس في زمانه يوسف. قلت: أو في النسب والحسب كما يدل عليه تعداد آبائه وأجداده. **(وحديث ابن عمر: الكريم ابن الكريم)** تمامه: ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. **(في باب المفاخرة والعصبية)**.

(الفصل الثاني)

٥٧٢٥ ـ **(عن أبي رزين)** قال المؤلف: هو لقيط بن عامر بن صبرة، بفتح اللام وسكون القاف، وصبرة بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة. عقيلي صحابي مشهور عداده في الطائف. روى عنه ابنه عاصم وابن عمر وغيرهما. **(قال: قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه)** لا شك أن المكان مع الزمان من جملة خلقه معدودان، فلولا التأويل بحسب الإمكان لأول السؤال، وآخره يتعارضان. وسيجيء بيان كشف المعنى من الشراح الأعيان. **(قال: كان في عماء)** بفتح العين ممدوداً، أي في غيب هوية الذات بلا ظهور مظاهر الصفات كما عبر عنه بقوله [تعالى]: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف». وفي قوله تعالى: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾** [الذاريات ـ ٥٦]. إشارة إليه ودلالة عليه على تفسير حبر الأمة، أي ليعرفون. قال الشيخ علاء الدولة في كتابه العروة: فأثبت تجلي الذات أولاً بقوله: كنت كنزاً مخفياً. ثم تجليه بالصفة الأحدية بقوله: أحببت أن أعرف. ثانياً، ثم تجليه

الحديث رقم ٥٧٢٥: أخرجه الترمذي ٥/ ٢٦٩ حديث رقم ٣١٠٩. وابن ماجه في السنن ١/ ٦٤ حديث رقم ١٨٢.

ما تحته هواء، وما فوقه هواء، وخلق عرشه على الماء».

بالصفة الواحدية بقوله: فخلقت الخلق لأعرف. ثالثاً. وفي اصطلاحات الصوفية للكاشي: العماء هي الحضرة الأحدية عندنا لأنه لا يعرفها أحد غيره، فهو في حجاب الجلال. أقول: ولعله أراد بالأحدية أحدية الجمع فإنها بين غيب الغيوب وبين أحدية الصرفة، فإنها بين أحدية الجمع وبين الواحدية، وهذه البينونة بالنسبة إلى العلو والسفل. وهذا القول هو الصحيح، لأن العماء في اللغة غيم رقيق يحول بين السماء والأرض، وكذلك الأحدية الصرفة حائلة بين سماء الذات وأرض الكثرة الأسمائية. ثم قال: هي الحضرة الواحدية التي هي منشأ الأسماء والصفات، لأن العماء هو الغيم الرقيق، والغيم هو الحائل بين السماء والأرض؛ وهذه الحضرة الواحدية هي الحائلة بين سماء الأحدية الصرفة وبين أرض الكثرة الخلقية. وقد جعل العارف الجامي شرحاً على هذا الحديث الشريف، فإن كنت تريد التحقيق فعليك بذلك التصنيف؛ فقد علم كل أناس مشربهم، وتبع كل فريق مذهبهم. هذا وفي الفائق العماء هو السحاب الرقيق. وقيل: السحاب الكثيف المطبق. وقيل: شبه الدخان يركب رأس الجبال. وعن الجرمي: الضباب. وفي النهاية: العماء بالفتح والمد السحاب. وفي القاموس: هو السحاب المرتفع أو الكثيف أو المطر الرقيق أو الأسود أو الأبيض، أو هو الذي هراق ماؤه. ولا شك أن واحداً من هذه المعاني لا يناسب المقام التبياني، إلا أن يقال: إن السحاب كناية عن حجاب الجلال. وهو عبارة عن حجاب الذات الباعث على سر الصفات المتعلقة بالعلويات والسفليات. ولذا قال أبو عبيد: لا يدري أحد من العلماء كيف كان ذلك العماء. وفي رواية: عمى، بالقصر. وهو ذهاب البصر. فقيل: هو كل أمر لا تدركه عقول بني آدم ولا يبلغ كنهه الوصف ولا يدركه الفطن. قال الأزهري: نحن نؤمن به ولا نكيفه بصفة، أي نجري اللفظ على ما جاء عليه من غير تأويل مع التنزيه عما لا يجوز عليه من الحدوث والتبديل. **(ما تحته هواء وما فوقه هواء)** ما، نافية فيهما. وفيه إشارة إلى ما سبق في الحديث: كان الله ولم يكن معه شيء. قال القاضي: المراد بالعماء ما لا تقبله الأوهام ولا تدركه العقول والأفهام. عبر عن عدم المكان بما لا يدرك ولا يتوهم، وعن عدم ما يحويه ويحيط به بالهواء. فإنه يطلق ويراد به الخلاء الذي هو عبارة عن عدم الجسم ليكون أقرب إلى فهم السامع. ويدل عليه، أن السؤال عما خلق قبل أن يخلق خلقه. فلو كان العماء أمراً موجوداً لكان مخلوقاً، إذ ما من شيء سواه إلا وهو مخلوق خلقه وأبدعه. فلم يكن الجواب طبق السؤال والله [تعالى] أعلم بالحال. وقيل: في الكلام حذف مضاف كما في قوله تعالى: **﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾** [البقرة - ٢١٠]. ونحوه، فيكون التقدير. أين كان عرش ربنا. ويدل عليه قوله: وخلق عرشه على الماء، المطابق لقوله سبحانه: **﴿وكان عرشه على الماء﴾** [هود - ٧]. لأنه لو لم يكن السؤال عن العرش لما كان حاجة للتعرض إليه. وقال الطيبي [رحمه الله]: لم يفتقر إلى التقدير ولا بد لقوله: في عماء، بالمد من التأويل حتى يوافق الرواية الأخرى، عمى مقصوراً، وما ورد في الصحاح عن عمران بن حصين: «كان الله ولم يكن

رواه الترمذي وقال: قال يزيد بن هارون: العماء: أي ليس معه شيء.

٥٧٢٦ ـ (٢٩) وعن العبّاس بن عبد المطلب، زعم أنه كان جالساً في البطحاء في عصابة ورسول الله ﷺ جالسٌ فيهم، فمرت سحابة، فنظروا إليها، فقال رسول الله ﷺ: «ما تسمُّون هذه؟».

شيء قبله وكان عرشه على الماء»[1]. وذلك أن قوله: ما تحته هواء وما فوقه هواء. جاء تتميماً صوناً لما يفهم من قوله: في عماء، من المكان. فإن الغمام المتعارف محال أن يوجد بغير هواء، فهو نظير قوله: كلتا يديه يمين. على ما سبق. فالجواب من الأسلوب الحكيم سئل عن الإمكان، فأجاب عن الإمكان، يعني إن كان هذا مكاناً فهو في مكان، وهو ارشاد له في غاية من اللطف. (**رواه الترمذي. وقال: قال يزيد بن هارون**). وهو أحد مشايخ شيوخ الترمذي من رواة هذا الحديث. (**العماء**) أي يعني معناه (**ليس معه شيء**) وفيه إيماء إلى كلام بعض العارفين في هذا الشأن: كان الله ولم يكن معه شيء والآن على ما هو عليه كان. وإشارة إلى قوله تعالى: ﴿**كل من عليها فان**﴾.

٥٧٢٦ ـ (**وعن العباس بن عبد المطلب زعم**) أي نقل (**أنه**) أي العباس (**كان جالساً بالبطحاء**) أي في المحصب وهو موضع معروف بمكة فوق مقبرة المعلا، وقد تطلق على مكة. وأصل البطحاء على ما في القاموس: مسيل واسع فيه دقاق الحصى. (**في عصابة**) بكسر أوله، أي مع جماعة من كفار مكة. قال الطيبي [رحمه الله]: استعمال زعم ونسبته إلى [العباس][2] رمز إلى أنه لم يكن حينئذ مسلماً، ولا تلك العصابة كانوا مسلمين، يدل عليه قوله: في البطحاء. قلت: وكان وجه دلالته عليه أنه كان غالباً مجتمع الكفار ومجمع رأيهم في تلك الدار. ومن جملة ما اتفق مشايخ العرب عليه في ذلك المكان أنهم يهجرون بني هاشم ولا يبايعونهم ولا يشاورونهم ولا يناكحونهم ولا يجالسونهم حتى يتركوا نصرة محمد ﷺ وحمايته، كما هو في السير معروف. ولذا لما حج النبي ﷺ حجة الوداع نزل به عند نزوله من منى، إشارة إلى ما من الله عليه بالغلبة على أعداء الدين، وإيماء إلى إعلاء كلمة اليقين. هذا وحديث أبي هريرة في الفصل الثالث[3] مما يدل صريحاً أن تلك العصابة كانوا مسلمين. وأما زعم فكثيراً يستعمل بمعنى القول المحقق والله [تعالى] أعلم. (**ورسول الله ﷺ جالس فيهم**) أي حينئذ وهذا يحتمل أن يكون قبل القضية المذكورة، أو بعد القصة المسطورة بعد ما وقع فيما بينهم من الهدنة. (**فمرت سحابة فنظروا إليها. فقال رسول الله ﷺ: ما تسمون هذه**) ما استفهامية بمعنى التقرير، وهو حمل المخاطب على الإقرار. والمقصود التثبيت ضد الانكار،

---

(١) راجع الحديث رقم ٥٦٩٨.

الحديث رقم ٥٧٢٦: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ٩٣ حديث رقم ٤٧٢٣. وأخرجه الترمذي في سننه ٥/ ٣٩٥ حديث رقم ٣٣٢٠. وابن ماجه في السنن ١/ ٦٩ حديث رقم ١٩٣. وأحمد في المسند ١/ ٢٠٦.

(٢) نسب في المخطوطة الحديث إلى «ابن عباس» والصواب نسبته إلى العباس.

(٣) يأتي في الحديث رقم ٥٧٣٥.

قالوا: السّحاب. قال: «والمزن؟» قالوا: والمزن. قال: «والعنان؟». قالوا: والعنان. قال: «هل تدرون ما بعد ما بين السّماء والأرض؟». قالوا: لا ندري. قال: «إن بعد ما بينهما إما واحدةً وإما اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، والسماء التي فوقها كذلك». حتى عدّ سبع سماوات. ثم «فوق السماءِ السابعة بحر، بين أعلاه وأسفله كما بين سماءٍ إلى سماءٍ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعالٍ بين أظلافهن ووركهن مثل ما بين سماءٍ إلى سماءٍ، ثم على ظهورهن العرشُ، بين أسفله وأعلاه ما بين سماءٍ إلى سماءٍ، ثم الله فوق ذلك».

أي أي شيء تسمون هذه، إشارة إلى السحابة. وهو مفعول ثان لتسمون والأول لفظة ما. (قالوا: السحاب) بالنصب أن نسميه السحاب، ويجوز رفعه على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي هي السحاب. والمعنى أن هذه واحدة من جملة جنس السحاب. (قال: والمزن) أي وتسمونها أيضاً المزن (قالوا: والمزن) أي تسميها أيضاً. ففي النهاية: هو الغيم والسحاب واحدته مزنة. وقيل: هي السحابة البيضاء. زاد البيضاوي وماؤه أبيض ومنه قوله تعالى: ﴿أأنتم أنزلتموه من المزن﴾ [الواقعة ـ ٦٩]. (قال: والعنان. قالوا: والعنان) كسحاب زنة، ومعنى من عنّ أي ظهر. وفي النهاية: الواحدة عنانة. وقيل: ما عن لك فيها، أي اعترض وبدا لك إذا رفعت رأسك. وحاصله أنه ﷺ لما لاطفهم في الكلام وبيّن لهم معرفته بلغاتهم المختلفة في مقام المرام تدريجاً بالانتقال من معلومهم إلى مجهولهم وترقياً من الخلق إلى الحق. (قال: هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض) أي ما مقدار بعد مسافة ما بينهما (قالوا: لا ندري. قال: إن بعد ما بينهما إما واحدة وإما اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة) الشك من الراوي كذا قيل، وللتنويع لاختلاف أماكن الصاعد والهاوي. وبهذا يظهر صحة ما قال الطيبي [رحمه الله]: والمراد بالسبعون في الحديث التكثير لا التحديد، لما ورد: من أن ما بين السماء والأرض وبين سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام، أي سنة. والتكثير هذا أبلغ والمقام له أدعى. (والسماء) بالرفع ويجوز النصب (التي فوقها) أي فوق سماء الدنيا. (كذلك) أي في البعد (حتى عد سبع سموات) أي على هذه الهيئات. (ثم فوق السماء السابعة بحر) أي عظيم (بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك) أي البحر (ثمانية أوعال) جمع وعل وهو العنز الوحشي. ويقال له: تيس شاة الجبل. (بين أظلافهن) جمع ظلف بكسر الظاء المعجمة للبقر والشاة، والظبي بمنزلة الحافر للدابة، والخف للبعير. (ووركهن) بفتح فكسر، أي ما فوق أفخاذهن. (مثل ما بين سماء إلى سماء) قيل: المراد بهن ملائكة على أشكال أوعال، ويلائمه قوله: (ثم على ظهورهن العرش) أي محمول. كما قال تعالى: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم﴾ [غافر ـ ٧]. (بين أسفله) أي العرش (وأعلاه ما بين سماء إلى سماء) أي من كثرة البعد، مع قطع النظر عن الحد وإلاّ فجميع المخلوقات بجنب العرش كحلقة في فلاة، على ما ورد به في حديث. (ثم الله) أي وسعة علمه أو اتساع قدرته في ملكه (فوق ذلك) قال الطيبي [رحمه الله]: أراد ﷺ أن يشغلهم عن السفليات إلى العلويات والتفكر في ملكوت السموات والعرش، ثم يترقوا إلى معرفة خالقهم ورازقهم ويستنكفوا عن عبادة الأصنام ولا يشركوا بالله الملك العلام. فأخذ في الترقي من السحاب ثم من السموات ثم من

رواه الترمذي، وأبو داود.

٥٧٢٧ ـ (٣٠) وعن جبير بن مطعم، قال: أتى رسولَ الله ﷺ أعرابيٌ، فقال: جُهِدَت الأنفس، وجاع العيال، ونُهِكَت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق اللّهَ لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. فقال النبي ﷺ: «سبحان الله، سبحان الله». فما زال يسبّح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: «ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد، شأن الله

البحر ثم من الأوعال، ثم من العرش إلى ذي العرش، والفوقية بحسب العظمة لا المكان. فالمعنى أنه على الشأن عظم البرهان. وقال شارح: أي فوق العرش حكماً وعظمة واستيلاء. (رواه الترمذي وأبو داود).

٥٧٢٧ ـ (وعن جبير بن مطعم قال: أتى رسول الله ﷺ) أي جاءه (أعرابي) أي بدوي (فقال: جهدت الأنفس) بصيغة المجهول من الجهد بفتح الجيم، المشقة. وبضمها الطاقة. والمعنى: حملت فوق طاقتها. (وجاع العيال) عيال الرجل بالكسر من يعوله ويمونه وينفق عليه من الزوجة والأولاد والعبيد وغير ذلك. (ونهكت) بضم النون وكسر الهاء، أي نقصت. (الأموال) أي التي تنمو من الأمطار (وهلكت الأنعام) وهو جمع نعم محركة الإبل والبقر والغنم، كما أخبر الله عنها بقوله: ﴿ثمانية أزواج﴾ [الأنعام ـ ١٤٣]. (فاستسق الله لنا) أي فاطلب الله للسقي بالمطر من أجل معاشنا الذي هو زاد معادنا. (فإنا نستشفع) أي نطلب الشفاعة. (بك) أي بوجودك وحرمتك وبعظمتك. (على الله ونستشفع بالله) أي نستجير ونستغيث به. (عليك) في أن تشفع لنا عنده بأن يوفقك على مساعدتنا. لكن لما كان ظاهر هذه العبارة موهماً للتساوي في القدر أو التشارك في الأمر والحال أن الله سبحانه منزه عن الشرك مطلقاً، وقال تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ [آل عمران ـ ١٢٨]. وقال: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ [البقرة ـ ٢٥٥]. وقال: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ [الأنبياء ـ ٢٨]. أنكر النبي [ﷺ] واستعظم الأمر لديه وتعجب من هذه النسبة إليه. (فقال النبي ﷺ: سبحان الله) أي تنزيهاً عن المشاركة. (سبحان الله) كرره تأكيداً، أو ذكر الثاني تعجباً وتعجيباً. (فما زال يسبح حتى عرف ذلك) بصيغة المجهول، أي حتى تبين أثر ذلك التغير. (في وجوه أصحابه) لأنهم فهموا من تكرير تسبيحه، أنه ﷺ غضب من ذلك فخافوا من غضبه، فتغيرت وجوههم خوفاً من الله تعالى. فلما أثر فيهم الخوف رق لهم وقطع التسبيح والتفت إليهم. (ثم قال: ويحك) بمعنى ويلك، إلا أن الأول فيه معنى الشفقة عن المزلة والمزلقة. والثاني دعا عليه بالهلكة والعقوبة. والمعنى: اعلم أيها المتكلم الجاهل في كلامه الغافل عن مرامه. (أنه) أي الشأن (لا يستشفع) بصيغة المجهول. (بالله على أحد شأن الله) استئناف تعليل، أي لأنه

الحديث رقم ٥٧٢٧: أخرجه أبو داود ٥/ ٩٤ حديث رقم ٤٧٢٦. والنسائي ٣/ ١٦ حديث رقم ١٥٢٨. وأحمد في المسند ٣/ ٢٥٦.

أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله؟ إنَّ عرشه على سماواته لهكذا» وقال بأصابعه مثل القبّة عليه «وإنه ليئطُّ أطيط الرحل بالراكب». رواها أبو داود.

٥٧٢٨ ـ (٣١) وعن جابر بن عبد الله، عن رسول الله ﷺ قال: «أُذن لي أن أحدّث عن ملكٍ من ملائكة الله من حمَلة العرش، أن ما بين شحمة أذنيه إلى عاتقيه

شأنه العلي وبرهانه الجلي. (أعظم من ذلك) أي من أن يستشفع به على أحد. قال الطيبي: يقال: استشفعت بفلان على فلان ليشفع لي إليه فشفعه أجاب شفاعته. ولما قيل: إن الشفاعة هي الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه إلى ذي سلطان عظيم منع ﷺ أن يستشفع بالله على أحد. وقوله ذلك إشارة إلى أثر هيبة أو خوف استشعر من قوله: سبحان الله، تنزيهاً عما نسب إلى الله تعالى من الاستشفاع به على أحد وتكراره مراراً. (ويحك) كرره تأكيداً لزجره وتبييناً لأمره. (أتدري ما الله) أي عظمته التي تدل على عظمة ملكه وملكوته وسطوة كبريائه وجبروته. (إن عرشه على سمواته) أي محيط بها من جميع جهاته (لهكذا) بفتح اللام الابتدائية، دخلت على خبر أن تأكيداً للحكم. (وقال بأصابعه) أي أشار بها وفعلاً بيان للمشار إليه قولاً: (مثل القبة عليه) حال من العرش، أي مماثلاً لها على ما في جوفها. قال الطيبي [رحمه الله]: هو حال من المشار به، وفي قال: معنى الإشارة، أي أشار بأصابعه إلى مشابهة الهيئة وهي الهيئة الحاصلة للأصابع الموضوع على الكف مثل حالة الإشارة. (وإنه) أي العرش مع ما وصف به من المجد والكرم والسعة والعظمة. (ليئط) بكسر الهمز وتشديد المهملة، أي ليتضايق ويعجز عن القيام. (به) أي بحق معرفته وعن سعة علمه وإحاطة عظمته حيث يئط لما يرتكبه، ويرتعد مما يركبه من أعباء جلاله وهيبته. (أطيط الرحل بالراكب) أي كعجز الرحل عن احتمال الراكب. في النهاية: أي أن العرش ليعجز عن حمله وعظمته، إذ كان معلوماً أن أطيط الرحل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله. قال الخطابي: هذا الكلام إذا أجري على ظاهره كان فيه نوع من الكيفية، والكيفية عن الله سبحانه وصفاته منفية، فعلم أنه ليس المراد منه تحقيق هذه الصفة ولا تحديده على هذه الهيئة، وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى في النفوس وإفهام السائل من حيث يدركه فهمه، إذ كان أعرابياً جافياً لا علم له بمعاني ما دق من الكلام، وقرر بهذا التمثيل والتشبيه معنى عظمة الله وجلاله في نفس السائل، وأن من يكون كذلك لا يجعل شفيعاً إلى من هو دونه. أقول: ويمكن أن معنى يئط يصوت بالتسبيح والتنزيه من عظمة الله وآياته حيث تحير حملة العرش من معرفة ذاته وصفاته. كصوت الرحل الجديد بالراكب الثقيل الشديد والله [تعالى] أعلم بالقول السديد. (رواه أبو داود).

٥٧٢٨ ـ (وعن جابر بن عبد الله عن رسول قال: أذن لي أن أحدث عن ملك) أي عن وصف ملك عظيم (من ملائكة الله) أي المعظمين لقوله: (من حملة العرش) فإنهم أقوى من غيرهم لأن المطايا على قدر العطايا. (أن) بفتح الهمزة ويكسر (ما بين شحمة أذنيه إلى عاتقيه)

الحديث رقم ٥٧٢٨: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٩٦ حديث رقم ٤٧٢٧.

مسيرةُ سبعمائة عام». رواه أبو داود.

٥٧٢٩ ـ (٣٢) وعن زرارة بن أوفى، أنَّ رسول الله ﷺ قال لجبريل: «هل رأيت ربَّك؟ فانتفض جبريل وقال: يا محمَّد! إن بيني وبينه سبعين حجاباً من نور، لو دنوت من بعضها لاحترقت». هكذا في «المصابيح».

٥٧٣٠ ـ (٣٣) ورواه أبو نعيم في «الحلية» عن أنس إلا أنه لم يذكر: «فانتفض جبريل».

٥٧٣١ ـ (٣٤) وعن ابن عبَّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق إسرافيل،

ورواية الجامع بصيغة الإفراد فيهما. (مسيرة سبعمائة عام) يعني فقس الباقي على هذا النظام. (رواه أبو داود.) وكذا الضياء.

٥٧٢٩ ـ (وعن زرارة بن أوفى) بضم الزاي، قال المؤلف: له صحبة مات في زمن عثمان ابن عفان. (أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: هل رأيت ربك. فانتفض جبريل) أي ارتعد ارتعاداً شديداً من عظمة ذلك السؤال ومن هيبة ما سمع من المقال. قيل: فيه دليل على حقية رؤية الله تعالى في دار البقاء، فإنه لو كانت مستحيلة ما سأل النبي ﷺ. لكن اختلف في أن الملائكة يرون الله تعالى أم لا. ثم لما كان الرؤية غالباً تنبيء عن القربة فارتعد جبريل من الهيبة. (وقال: يا محمد إن بيني وبينه سبعين حجاباً من نور) قال شارح: وهو عبارة عن كمال الله [تعالى] ونقصان جبريل، والحجاب من طرف جبريل. اهـ. والمعنى أن المحجوب مغلوب فهو صفة المخلوق والموصوف بنعت النقصان، وأما الخالق ذو الجلال المنعوت بوصف الكمال فلا يحجبه شيء ولو من أنوار الجمال. (لو دنوت) أي قربت قدر أنملة، كما في رواية. (من بعضها) أي من بعض جميع تلك الحجب النورانية على فرض المحال، وإلا فما منا إلا له مقام معلوم. (لاحترقت) أي من أثر ذلك النور الذي يغلب النار في الظهور، فإن النار تقول: جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي. فكيف بنور ربي وهو حسبي. (هكذا) أي لفظ الحديث (في المصابيح) أي عن زرارة.

٥٧٣٠ ـ (ورواه أبو نعيم في الحلية عن أنس، إلا أنه) أي أنساً (لم يذكر: فانتفض جبريل.) وفي الجامع برواية الطبراني في الأوسط عن أنس: سألت جبريل: هل ترى ربك. قال: إن بيني وبينه سبعين حجاباً من نور لو رأيت أدناها لاحترقت[1].

٥٧٣١ ـ (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله خلق إسرافيل

الحديث رقم ٥٧٢٩: مصابيح السنة ٤/ ٣٠ حديث رقم ٤٤٥٧.

الحديث رقم ٥٧٣٠: أبو نعيم في الحلية.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٢٨٣ حديث رقم ٤٦١٠.

الحديث رقم ٥٧٣١: أخرجه البيهقي ضمن حديث طويل في شعب الإيمان ١/ ١٧٦ حديث رقم ١٥٧.

منذ يوم خلقه صافاً قدميه لا يرفع بصره، بينه وبين الربِّ تبارك وتعالى سبعون نوراً، ما منها من نورٍ يدنو منه إلاّ احترق». رواه الترمذي وصححه.

٥٧٣٢ ـ (٣٥) وعن جابرٍ، أن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله آدم وذرِّيته، قالت الملائكة: يا ربِّ! خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون، فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة. قال الله تعالى: لا أجعلُ من خلقته بيديَّ ونفخت فيه من روحي كمن قُلْتُ له: كن

منذ يوم خلقه) بفتح الميم على الإضافة، وفي نسخة بالجر منوناً. (صافاً) بتشديد الفاء أي حال كون إسرافيل واقفاً (قدميه) مفعول صافاً واعلم أن منذ بضم الميم ويكسر وهو مبني على الضم ويليه اسم مجرور، وحينئذ حرف جر بمعنى من في الماضي، وبمعنى في في الحاضر. وقال المظهر: منذ ههنا حرف جر وهو بمعنى في. وقال الطيبي [رحمه الله]: صافاً حال من إسرافيل لا من ضميره المنصوب، ومنذ يوم ظرف لصافاً وليس بمعنى في. وقال الدار حديثي اتفقوا أن مذ ومنذ إنما يدخلان اسما الزمان. ثم قالوا: إن أريد ابتداء الزمان الماضي الذي انتهاؤه أنت فيه، يكونان للابتداء نحو: ما رأيته مذ يومين، أو مذ سنة. كذا أي انتفى الرؤية من ابتداء يومين أنا في آخرهما، وليسا بمعنى في، وإن قال به بعض. لأن المفهوم منهما نفي الرؤية في أزمنة معينة، أنت في آخرها مقصوداً به ابتداؤها وانتهاؤها. اهـ. والمعنى: إن الله خلق إسرافيل صافاً قدميه من أوّل مدة خلقه. (لا يرفع بصره) أي إلى السماء فوقه أدباً، أو لا يرفع نظره عن اللوح المحفوظ خوفاً. (بينه وبين الرب تبارك وتعالى سبعون نوراً) أي من أنوار الحجاب وأسرار الغياب وأستار النقاب حتى لا يعرفه غيره. قال تعالى: ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ [طه ـ ١١٠]. (ما منها) أي ليس من السبعين من نور (يدنو) أي يقرب (منه) إسرافيل فرضاً (إلا احترق) أي من ذلك النور الذي فوق طاقة نظر إسرافيل. (رواه الترمذي وصححه).

٥٧٣٢ ـ (وعن جابر أن النبي ﷺ قال: لما خلق الله آدم وذريته) أي يوم الميثاق أو بعده (قالت الملائكة: يا رب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون) بكسر الكاف أي يطؤون أو يتزوجون (ويركبون) أي على الدواب في البر وعلى السفن في البحر. (فاجعل لهم الدنيا) أي بطريق الدوام والبقاء، أو اجعل لهم الدنيا فقط. (ولنا الآخرة) أي نعيمها لحرماننا عن الحظوظ المذكورة في الدنيا تعادلاً بيننا. (قال الله تعالى: لا أجعل من خلقته بيدي) بصيغة التثنية، وروي بالإفراد. وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: لا أجعل، يحتمل أن يكون نفياً لأجعل وأن تكون كلمة لا رداً لقولهم، ثم يبتدىء بالجملة الاستفهامية إنكاراً عليهم وهو أبلغ. يعني أكثر مبالغة أو بلاغة، فإنه يدل على النفي مكرراً وإن كان الأوّل هو الأظهر فتدبر. والمعنى: لا أجعل عاقبة من خلقته بغير واسطة على سبيل التدريج مركباً من معجون الكمال المشتمل على قابلية الهداية والضلال واستعداد مظهرية الجمال والجلال. (ونفخت فيه من روحي) أي بعد تربية كمال جسده وتصويره شكلاً كريماً تشريفاً له وتعظيماً. (كمن قلت له: كن) أي بالخلق

الحديث رقم ٥٧٣٢: رواه البيهقي في شعب الإيمان ١/ ١٧٢ حديث رقم ١٧٢.

فكان». رواه البيهقي في «شعب الإيمان».

الفصل الثالث

٥٧٣٣ ـ (٣٦) عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «المؤمنُ أكرمُ على الله من بعض ملائكته». رواه ابن ماجه.

الآتي (فكان) أي من غير التواني. قال الطيبي [رحمه الله]: أي لا يستوي في الكرامة من خلقته بنفسي ولا وكلت خلقه إلى أحد ونفخت فيه من روحي وهو دم وأولاده، مع من يكون بمجرد الأمر يقول كن وهو الملك. وإضافة الروح إلى نفسه إضافة تشريف كقوله: بيت الله. وقال ابن الملك: أي لا يستوي البشر والملك في الكرامة والقربة، بل كرامة البشر أكثر ومنزلته أعلى. وهذا من جملة ما يستدل به أهل السنة في تفضيل البشر على الملك. أقول: ووجهه والله [تعالى] أعلم، إن الملك خلق معصوماً فصار عن الجحيم ممنوعاً وعن النعيم محروماً، والبشر خلق ممحوناً بالطاعة والمعصية ومبلواً بالعطية والبلية، فمن قام بحقهما استحق الثواب في الدارين، ومن أعرض عنهما استوجب العذاب في الكونين (رواه البيهقي في شعب الإيمان).

(الفصل الثالث)

٥٧٣٣ ـ (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: المؤمن) أي الكامل من الأنبياء أو الأولياء (أكرم على الله من بعض ملائكته) وهم خواصهم أو عوامهم من أهل الاصطفاء. وقال الطيبي [رحمه الله]: يراد بالمؤمن عوامهم وببعض الملائكة أيضاً عوامهم. قال محيي السنة [رحمه الله] في تفسير قوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ [الإسراء ـ ٧٠]. الأولى أن يقال: عوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة، وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة. قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ [البينة ـ ٧]. ويستدل به أهل السنة في تفضيل الأنبياء على الملائكة. اهـ. ولا يخفى أن المراد بخواص المؤمنين الرسل والأنبياء، وبخواص الملائكة نحو جبريل وميكائيل وإسرافيل، وبعوام المؤمنين الكمل من الأولياء كالخلفاء وسائر العلماء، وبعوام الملائكة سائرهم. وهذا التفصيل أولى من إجمال بعضهم. وفي قوله: إن البشر أفضل من الملك. بمعنى: إن هذا الجنس لما وجد فيهم الكمل من الرسل أو الأكمل، أفضل من هذا الجنس لعدم وجودهم فيهم فتأمل. (رواه ابن ماجه) قلت: وحديث: «المؤمن أعظم حرمة من الكعبة» في ابن ماجه بسند عن ابن عمر: إن النبي ﷺ قال: ونظر إلى الكعبة، لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك. وهو بعض حديث طويل[1].

الحديث رقم ٥٧٣٣: أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٣٠١ حديث رقم ٣٩٤٧.

(١) أخرجه ابن ماجه ١٢٩٧ حديث رقم ٣٩٣٢.

٥٧٣٤ ـ (٣٧) وعنه، قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبثَّ فيها الدَّواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق وآخرِ ساعةٍ من النهارِ فيما بين العصر إلى الليل». رواه مسلم.

٥٧٣٤ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي)** إشارة إلى كمال قربه ودلالة على تمام حفظه. ولعل في أخذ يده إيماء إلى تعداد أعداد الخمسة مع قطع النظر عن خلق آدم [عليه الصلاة والسلام] بعد الجمعة، فإنه بمنزلة العلة الغائية والفذلكة الإيمائية. **(فقال: خلق الله التربة)** أي التراب، وهو الأرض. **(يوم السبت)** وكأن المراد به آخر يومه المسمى بعشية الأحد، فلها حكمة. فلا ينافي قوله تعالى: **﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾** [ق ـ ٣٨]. **(وخلق فيها الجبال يوم الأحد)** وهذا معنى قوله تعالى: **﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها﴾** [فصلت ـ ٩ و١٠]. **(وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه)** أي جنسه **(يوم الثلاثاء)** بالمد، قال عزَّ وجلَّ: **﴿وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام﴾** [فصلت ـ ١٠]. أي في بقية الأربعة. **(وخلق النور)** بالراء، وفي نسخة بالنون في آخره. قال: الأكمل هو بالراء كما لمسلم ولغيره بالنون. وهو الحوت، ويجوز خلقهما في الأربعاء، والنور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره. اهـ. والظاهر أن المراد بالنور هو نفسه وما فيه ظهوره، فيناسب قوله تعالى: **﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم﴾** [فصلت ـ ١٢]. **(يوم الأربعاء)** بفتح الهمزة وكسر الموحدة ممدوداً. وفي القاموس: مثلثة الباء ممدودة. واعلم أن لفظ النور كذا في النسخ المصححة والأصول المعتمدة. **(وبث فيها الدواب)** أي فرقها في الأرض بعد خلق أصولها. **(يوم الخميس)** وهو لا ينافي ما سبق من أن قضاء سبع سموات وخلقهن في يومين. **(وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق)** أي لكونه الفذلكة الإيمائية وبمنزلة العلة الغائية. **(وآخر ساعة من النهار)** أي وفي آخر ساعة من نهار الجمعة. ورواية الجامع: في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة. **(فيما بين العصر إلى الليل)** وهي الساعة المرجوّة للإجابة في يوم الجمعة عند جماعة من الأئمة. **(رواه مسلم)** وكذا أحمد في مسنده مرفوعاً، لكن قال ابن كثير في تفسيره ما ملخصه: هو أن هذا الحديث من غرائب صحيح مسلم، وقد تكلم فيه البخاري وغيره وجعلوه من كلام كعب الأحبار، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كعب، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعاً والله أعلم[1].

الحديث رقم ٥٧٣٤: أخرجه مسلم ٤/٢١٤٩ حديث رقم (٢٧ ـ ٢٧٨٩).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٩٤.

٥٧٣٥ ـ (٣٨) وعنه، قال: بينما نبي الله ﷺ جالسٌ وأصحابه إذ أتى عليهم سحابٌ، فقال نبي الله ﷺ: «هل تدرونَ ما هذا؟». قالوا: اللّهُ ورسولهُ أعلمُ. قال: «هذه العنان، هذه روايا الأرض، يسوقها الله إلى قوم لا يشكرونه، ولا يدعونه». ثم قال: «هل تدرونَ ما فوقكم؟» قالوا: اللّهُ ورسولهُ أعلمُ. قال: «فإنها الرقيع، سقف محفوظ، وموج مكفوفٌ». ثم قال: «هل تدرونَ ما بينكم وبينها؟» قالوا: اللّهُ ورسولهُ أعلمُ. قال: «بينكم وبينها خمسُمائةِ عام». ثم قال: «هل تدرونَ ما فوقَ ذلك؟». قالوا: اللّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «سماءانِ بعدُ ما بينهما خمسُمائةِ سنةٍ». ثم قال كذلك حتى عدَّ سبعَ سماواتٍ «ما بين كل سماءين ما بين السماءِ والأرض». ثم قال: «هل تدرونَ ما فوق ذلك؟» قالوا: اللّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «إنَّ فوقَ ذلك

٥٧٣٥ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: بينما نبي الله ﷺ جالس وأصحابه) أي معه جلوس (إذ أتى) أي مر (عليهم سحاب) وفي نسخة سحابة (فقال نبي الله ﷺ: هل تدرون ما هذا) أي السحاب (قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هذه) أي السحابة، فالتعبير بالتأنيث للوحدة وبالتذكير للجنس من باب التفنن. (العنان) بفتح العين، من عين. أي ظهر كما سبق. (هذه روايا الأرض) قيل: التقدير بل هذه، وهو غير ظاهر. ففي النهاية: سمي السحاب روايا البلاد، والروايا من الإبل الحوامل للماء، واحدتها راوية. فشبهها به، وبه سميت المزادة راوية، وقيل بالعكس. (يسوقها الله) أي يجرها، أو يأمر بسوقها. (إلى قوم لا يشكرونه) أي بل يكفرونه حيث ينسبون المطر إلى اقتران النجوم وافتراقها وغروبها وطلوعها، ويقولون: مطرنا بنوء كذا. (ولا يدعونه) أي لا يذكرون الله ولا يطلبون منه ولا يعبدونه، بل يعبدون الأصنام، وهو بعميم كرمه يرزقهم ويعافيهم كسائر الأنام وباقي الأنعام. (ثم قال: هل تدرون ما فوقكم) أي من السماء (قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها الرقيع) وهو اسم لسماء الدنيا، وقيل: لكل سماء. والجمع أرقعة. (سقف محفوظ وموج مكفوف) أي ممنوع من الاسترسال. والمعنى: إن الله حفظها عن السقوط على الأرض وهي معلقة بلا عمد كالموج المكفوف. (ثم قال: هل تدرون ما بينكم وبينها) أي مقدار ما بين الأرض والسماء (قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: بينكم وبينها خمسمائة عام) أي مسيرتها ومسافتها (ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك) أي المحسوس أو المذكور من سماء الدنيا (قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: سماءان) أي سماء بعد سماء (بعد ما بينهما خمسمائة سنة. ثم قال كذلك) أي سماءان مرتين آخرين (حتى عد سبع سموات) أي أكمل عدد السبع منهن. (ما بين كل سماءين ما بين السماء والأرض) أي كما بينهما من خمسمائة عام، ففيه نوع تفنن في العبارة. (ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك) أي المذكور (قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إن فوق ذلك) بالنصب على أنه ظرف

الحديث رقم ٥٧٣٥: أخرجه أبو داود ٥/ ٩٣ حديث رقم ٤٧٢٣. والترمذي ٥/ ٣٧٦ حديث رقم ٣٢٩٨. وابن ماجه ١/ ٦٩ حديث رقم ١٩٣. وأحمد في المسند ١/ ٢٠٦.

العرش، وبينه وبينَ السماء بعدُ ما بينَ السَّماءين». ثم قال: «هل تدرونَ ما الذي تحتكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلمُ. قال: «إنها الأرض». ثم قال: «هل تدرونَ ما تحتَ ذلك؟». قالوا: اللّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «إنَّ تحتَها أرضاً أخرى، بينَهما مسيرة خمسمائة سنةٍ». حتى عدَّ سَبْعَ أرضين «بين كلِّ أرضيْن مسيرةُ خمسمائةِ سنةٍ» ثم قال: «والذي نفسُ محمَّد بيده لو أنكم دلَّيتم بحبلٍ إلى الأرض السفلى لهبط على الله». ثم قرأ: ﴿هو الأوَّلُ والآخر والظاهرُ والباطنُ وهو بكلِّ شيءٍ عليم﴾. رواه أحمد، والترمذي. وقال الترمذي: قراءة رسولِ الله ﷺ الآية تَدُلُّ على أنه أراد: لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه،

وقع خبراً مقدماً، لإن. وقوله: (العرش) بالنصب على أنه اسم له (وبينه وبين السماء) أي السابعة (بعد ما بين السماءين) أي من السموات السبع (ثم قال: هل تدرون ما الذي تحتكم. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إنها الأرض) أي العليا (ثم قال: هل تدرون ما تحت ذلك) أي المشار إليه (قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إن تحتها أرض أخرى [بينهما مسيرة خمسمائة سنة) أي وهكذا ذكر أرضاً بعد أخرى]. (حتى عد سبع أرضين) بفتح الراء وتسكن. (بين كل أرضين) بالتثنية أي بين كل أرضين منها (مسيرة خمسمائة سنة. ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم) بتشديد اللام المفتوحة من أدليت الدلو ودليتها إذا أرسلتها البئر، ومنه قوله تعالى: ﴿فأدلى دلوه﴾ [يوسف - ١٩]. على التجريد أو التأكيد. والمعنى: لو أرسلتم. (بحبل إلى الأرض السفلى لهبط) بفتح الموحدة أي لنزل. (على الله) أي على علمه وملكه كما صرح به الترمذي في كلامه الآتي. والمعنى: إنه تعالى محيط بعلمه وقدرته على سفليات ملكه كما في علويات ملكوته دفعاً لما عسى يختلج في وهم من لا فهم له أن له اختصاصاً بالعلو دون السفل. ولهذا قيل: كان معراج يونس عليه [الصلاة] والسلام في بطن الحوت، كما أن معراج نبينا ﷺ كان في ظهر السماء. فالقرب بالنسبة [إلى كل] في مد الاستواء كما أخبر عن قربه لكل من العبيد بقوله: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق - ١٦]. وإنما يتفاوت القرب المعنوي بالتشريف اللدني، ومنه قرب الفرائض وقرب النوافل كما هو مقرر[1] في محله. (ثم قرأ) أي النبي ﷺ استشهاداً وأبو هريرة اعتضاداً (﴿هو الأول﴾) أي القديم الذي ليس له ابتداء (﴿والآخر﴾) أي الباقي الذي ليس له انتهاء (﴿والظاهر﴾) أي بالصفات (﴿والباطن﴾) أي بالذات (﴿وهو بكل شيء﴾) أي من العلويات والسفليات والجزئيات والكليات (﴿عليم﴾)[2] أي بالغ في كمال العلم به محيط علمه بجوانبه. (رواه أحمد والترمذي. وقال الترمذي: قراءة رسول الله ﷺ) أي المذكورة (تدل على أنه أراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه.) قال الطيبي [رحمه الله]: أما علمه تعالى فهو من قوله: ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ وأما قدرته فمن قوله: ﴿هو الأول والآخر﴾. أي هو الأول الذي يبدىء كل شيء ويخرجهم من العدم إلى الوجود، والآخر الذي يفني كل شيء ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال

---

(١) في المخطوطة «مختص».
(٢) سورة الحديد، آية رقم ٣.

وعلمُ اللَّهِ وقدرته وسلطانهُ في كلِّ مكان، وهو على العرش، كما وصَفَ نفسه في كتابه.

٥٧٣٦ ـ (٣٩) وعنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «كانَ طولُ آدم ستينَ ذراعاً في سبع أذرع عرضاً».

٥٧٣٧ ـ (٤٠) وعن أبي ذرّ، قال: قلت: يا رسولَ اللَّهِ! أي الأنبياء كان أوّل؟ قال: «آدمُ». قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ! ونبي كان؟

والإكرام﴾ [الرحمٰن ـ ٢٦ ـ ٢٧]. وأما سلطانه فمن قوله: ﴿والظاهر والباطن﴾. قال الأزهري: يقال: ظهرت على فلان إذا غلبته. والمعنى: هو الغالب الذي يغلب ولا يغلب ويتصرف في المكوّنات على سبيل الغلبة والاستيلاء، أو ليس فوقه أحد يمنعه. والباطن هو الذي لا ملجأ ولا منجى دونه. ثم قال الترمذي: (**وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان**) أي يستوي فيه العلويات والسفليات وما بينهما، كما أن هذه الصفات موجودة في كل زمان، بل قبل أن يخلق الزمان والمكان. (**وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه**) قال الطيبي [رحمه الله]: الكاف في كما منصوب على المصدر أي هو مستو على العرش استواء مثل ما وصف نفسه به في كتابه، وهو مستأثر بعلمه باستوائه عليه. وفي قول الترمذي اشعاراً إلى أنه لا بد لقوله «لهبط على الله» من هذا التأويل المذكور، ولقوله: ﴿**على العرش استوى**﴾ [طه ـ ٥]. من تفويض علمه إليه تعالى والإمساك عن تأويله، كما سبق أن بعضاً من خلاف الظاهر يحتاج إلى التأويل ومنها ما لا يجوز الخوض فيه.

٥٧٣٦ ـ (**وعنه**) أن عن أبي هريرة رضي الله عنه (**أن رسول الله ﷺ قال: كان طول آدم [عليه الصلاة والسلام] ستين ذراعاً في سبع أذرع عرضاً**) قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يريد بقدر ذراع نفسه وأن يريد بقدر الذراع المتعارف يومئذ عند المخاطبين، والأول أظهر، لأن ذراع كل أحد بقدر مرفقه، فلو كان بالذراع المتعارف لكانت يده قصيرة في جنب طول جسده والله أعلم. أقول: في القاموس: الذراع بالكسر من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى والساعد، وقد تذكر فيهما. جمعه أذرع أي بفتح الهمز وضم الراء. وقد تقدم في الحديث المتفق عليه: إن الله تعالى خلق آدم وطوله ستون ذراعاً. فالأولى أن يقال المراد بالذراع طولاً هو المتعارف المتبادر إلى الفهم الذي يحصل به العلم، والمراد به عرضاً ذراعه باعتبار يده وبه يحصل الجمع ويرتفع الدور الذي هو في مرتبة المنع.

٥٧٣٧ ـ (**وعن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله أي الأنبياء**) أي أي فرد منهم (**كان أول**) بالنصب أي أسبق (**قال: آدم**) بالرفع على تقدير هو (**قلت: يا رسول الله ونبي كان**) قال الطيبي [رحمه الله]: لا بد فيه من تقدير همزة الاستفهام للتقرير لما قال أولاً: أي الأنبياء. وأجيب

الحديث رقم ٥٧٣٦: أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٥٣٥.

الحديث رقم ٥٧٣٧: أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٧٨.

قال: «نعم نبيٌّ مُكَلَّمٌ». قلتُ: يا رسولَ اللّهِ كَم المرسلون؟ قال: «ثلاثمائة وبضعة عشر جماً غفيراً».

وفي رواية عن أبي أمامة، قال أبو ذرّ: قلتُ: يا رسولَ اللّهِ كم وفاءُ عِدَّةِ الأنبياءِ؟ قال: «مائة ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفاً، الرُّسلُ من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً».

٥٧٣٨ ـ (٤١) وعن ابن عبّاس، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليسَ الخبر كالمعاينة، إن الله تعالى أخبر موسى بما صنعَ قومُه في العجل، فلم يُلقِ الألواحَ، فلما

بقوله: آدم، أي أو هو نبي كان. (قال: نعم نبي) ذكر نبي بعد قوله نعم لينيط به قوله: (مكلم) أي لم يكن نبياً فقط، بل كان نبياً مكلماً، أنزل عليه الصحف. (قلت: يا رسول الله كم المرسلون) الكشاف في قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ [الحج - ٥٢]. هذا دليل بين على تغاير الرسول والنبي. والفرق بينهما: أن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب، وإنما أمر أن يدعو إلى شريعة من قبله. اهـ. والمشهور في الفرق بينهما أن الرسول من أمر بالتبليغ، والنبي أعم. والله [تعالى] أعلم. (قال: ثلاثمائة وبضعة عشر) أبهم العدد إشعاراً بعدم الجزم كيلا يزيد أو ينقص في الحد. (جماً غفيراً) أي جمعاً كثيراً. وفي النهاية: أي مجتمعين كثيرين. وأصل الكلمة من الجموم والجمة وهو الاجتماع والكثرة، والغفير من الغفر وهو التغطية والستر. فجعلت الكلمتان في موضع الشمول والإحاطة. ولم تقل العرب الجماء إلا موصوفة، وهو منصوب على المصدر كطراً وقاطبة، فإنها أسماء وضعت موضع المصدر. (وفي رواية عن أبي أمامة) الظاهر أن المراد به ليس أبا أمامة الباهلي، فإنه صحابي جليل، بل هو أبو أمامة سهل بن حنيف الأنصاري الأوسي، ولد على عهد النبي قبل وفاته بعامين ولم يسمع منه شيئاً لصغره. ولذلك قد ذكره بعضهم في الذين بعد الصحابة وأثبته ابن عبد البر في جملة الصحابة. ثم قال: وهو أحد الأجلة من العلماء من كبار التابعين بالمدينة، سمع أباه وأبا سعيد وغيرهما. روى عنه نفر، مات سنة مائة وله اثنان وتسعون سنة. كذا ذكره المؤلف (قال أبو ذر: قلت: يا رسول الله كم وفاء عد الأنبياء) أي كم كمال عددهم (قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً) العدد في هذا الحديث وإن كان مجزوماً به، لكنه ليس بمقطوع. فيجب الإيمان بالأنبياء والرسل مجملاً من غير حصر في عدد، لئلا يخرج أحد منهم ولا يدخل أحد من غيرهم فيهم.

٥٧٣٨ ـ (وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ليس الخبر كالمعاينة، إن الله تعالى) استئناف فيه معنى التعليل، والمعنى لأنه سبحانه. (أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح) أي لعدم تأثير الخبر فيه تأثيراً زائداً باعثاً على الغضب الموجب للإلقاء. (فلما

الحديث رقم ٥٧٣٨: أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢٧١.

عاين ما صنعوا، ألقى الألواح فانكسرت». روى الأحاديث الثلاثة أحمد.

عاين ما صنعوا ألقى الألواح) أي غضباً لله على قومه لمخالفة دينه (**فانكسرت**) أي الألواح من شدة إلقائه الدالة على كثرة غضبه، ثم في إلقائها إيماء بأنها إنما تنفع لأهل الإيمان. فإذا اختاروا الكفر والطغيان لم يبق فائدة في إبقائها. لكن الظاهر أن ما فات شيء مهم من كسرها. قال الطيبي: قوله: إن الله. الخ استشهاد وتقرير لمعنى قوله: ليس الخبر كالمعاينة، فإنه تعالى لما قال: ﴿**إنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري**﴾ [طه ـ ٨٥]. عند نزول ألواح التوراة عليه لم يلق الألواح: ﴿**ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه**﴾ [الأعراف ـ ١٥٠]. (**روى الأحاديث الثلاثة أحمد**)، ووافقه الطبراني في الأوسط والحاكم في مستدركه[١] عن ابن عباس، وروى الطبراني صدر الحديث فقط وهو قوله: «ليس الخبر كالمعاينة». عن أنس وكذا الخطيب عن أبي هريرة.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٣٢١.

[كتاب الفضائل والشمائل]

(١) باب فضائل سيّد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه

الفصل الأول

٥٧٣٩ ـ (١) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعثتُ من خيرِ قرونِ بني آدمَ قرناً فقرناً، حتى كنتُ من القرنِ الذي كنتُ منه».

(باب فضائل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه)

اعلم أن تفصيل فضائله وتحصيل شمائله ﷺ شرف وكرم مما لا يحد ولا يحصى، بل ولا يمكن أن يعد ويستقصى؛ وإنما ذكر مؤلف الكتاب في هذا الباب شمة من شمائله ولمة من فضائله تدل على بقية خصائله.

(الفصل الأوّل)

٥٧٣٩ ـ **(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: بعثت)** أي ولدت **(من خير قرون بني آدم)** اعلم أن معنى الخيرية في هذا الحديث والاصطفائية في الذي يليه المذكورتين في حق القبائل ليس باعتبار الديانة، بل باعتبار الخصائل الحميدة والشمائل السعيدة. **(قرناً فقرناً)** قيل: إنه حال للتفصيل والفاء فيه للترتيب في الفضل على سبيل الترقي من القرن السابق إلى القرن اللاحق، ويدل عليه قوله: **(حتى كنت)** أي صرت **(من القرن الذي كنت منه)** أي وجدت، والقرن من الناس أهل زمان واحد. وقد قال ﷺ: خير القرون قرني. وفي شرح السنة: القرن كل طبقة مقترنين في وقت. قيل: سمي قرناً لأنه يقرن أمة بأمة وعالماً بعالم. وهو مصدر قرنت، أي وصلت وجعل اسماً للوقت، أو لأهله. وقيل: القرن ثمانون سنة. وقيل: أربعون، وقيل: مائة. اهـ. والقول الأوّل هو المراد هنا. فالمعنى: بعثت من خير

الحديث رقم ٥٧٣٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٦٦. حديث رقم ٣٥٥٧. وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٣.

رواه البخاريُّ.

٥٧٤٠ ـ (٢) وعن واثلة بن الأسقع، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم». رواه مسلم.

طبقات بني آدم كائنين طبقة بعد طبقة حتى كنت من القرن الذي كنت فيه. ففيه تفضيله على غيره من بني آدم وعلى تفضيل أمته على سائر الأمم. قال الطيبي: قوله: حتى كنت، غاية قوله: بعثت. والمراد بالبعث تقلبه في أصلاب الآباء أباً فأباً، قرناً فقرناً، حتى ظهر في القرن الذي وجد فيه. يعني: انتقلت أولاً من صلب ولد إسماعيل ثم من كنانة ثم من قريش ثم من بني هاشم. فالفاء في قوله: قرناً فقرناً، للترتيب على سبيل الترقي من الآباء الأبعد إلى الأقرب فالأقرب. كما في قولك خذ الأفضل فالأكمل، واعمل الأحسن والأجمل. وفي معناه أنشد ابن الرومي:

كم من أب قد علا بابن ذرى شرف ✽ كما علا برسول الله عدنان

وفي قولنا: حتى ظهر في القرن الذي وجد في نسخته، لما روى الإمام ابن الجوزي في كتاب الوفاء عن كعب الأحبار قال: لما أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق محمداً ﷺ أمر جبريل عليه السلام فأتاه بالقبضة البيضاء التي هي موضع قبر رسول الله ﷺ، فعجنت بماء التسنيم فغمست في أنهار الجنة وطيفها في السموات، فعرفت الملائكة محمداً ﷺ قبل أن يعرف آدم. ثم كان نور محمد يرى في غرة جبهة آدم. وقيل له: يا آدم هذا سيد ولدك من المرسلين. فلما حملت حوّاء بشيث انتقل النور من آدم إلى حوّاء، وكانت تلد في كل بطن ولدين ولدين إلا شيثاً، فإنه ولدته وحده كرامة لمحمد ﷺ. ثم لم يزل ينتقل من طاهر إلى طاهر إلى أن ولدته آمنة من عبد الله بن عبد المطلب. اهـ. وقد ذكرت مجملاً من أحوال ولادته ﷺ في رسالة سميتها: بالمورد في المولد. **(رواه البخاري)**.

٥٧٤٠ ـ **(وعن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله اصطفى كنانة)** بكسر الكاف ابن خزيمة أبو قبيلة، كذا في القاموس. **(من ولد إسماعيل)** بفتح الواو واللام، وبالضم والسكون أي من أولاده. **(واصطفى قريشاً من كنانة)** وهم أولاد نضر بن كنانة، كانوا تفرقوا في البلاد فجمعهم قصي بن كلاب في مكة فسموا قريشاً لأنه قرشهم أي جمعهم. ولكنانة ولد سوى النضر، وهم لا يسمون قريشاً لأنهم لم يقرشوا. **(واصطفى من قريش بني هاشم. واصطفاني من بني هاشم)** في شرح السنة: هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر

الحديث رقم ٥٧٤٠: أخرجه مسلم ٤/ ١٧٨٢ حديث رقم (١ ـ ٢٢٧٦). وأخرجه الترمذي ٥/ ٥٤٤ حديث رقم ٣٦٠٥. وأحمد في المسند ٤/ ١٠٧.

وفي رواية للترمذي: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى [من ولد إسماعيل] بني كنانة».

٥٧٤١ ـ (٣) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا سيدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامة،

ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن النضر بن نزار بن معد بن عدنان. ولا يصح حفظ النسب فوق عدنان. اهـ. وقد ضبطت الأسماء المذكورة في رسالتي المسماة المسطورة. (رواه مسلم) وكذا الترمذي، على ما في الجامع[١]. (وفي رواية للترمذي:) أي عن واثلة أيضاً (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة) وتمام الحديث على ما في الجامع: واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم[٢].

٥٧٤١ ـ (**وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**) في شرح مسلم للنووي، قال الهروي: السيد هو الذي يفوق قومه في الخير. وقال غيره: هو الذي يفزع إليه في النوائب والشدائد فيقوم بأمورهم ويتحمل عنهم مكارههم ويدفعها عنهم. والتقييد بيوم القيامة مع أنه ﷺ في الدنيا والآخرة معناه، أنه يظهر يوم القيامة سودده بلا منازع ولا معاند، بخلاف الدنيا فقد نازعه فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين، وهو قريب من معنى قوله تعالى: ﴿**لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**﴾ [غافر ـ ١٦]. مع أن الملك له قبل ذلك، لكن كان في الدنيا من يدعي الملك أو من يضاف إليه مجازاً فانقطع كل ذلك في الآخرة. وفي الحديث دليل على فضله ﷺ على كل الخلق، لأن مذهب أهل السنة أن الآدمي أفضل من الملائكة، وهو ﷺ أفضل الآدميين بهذا الحديث وغيره. وأما الحديث الآخر: لا تفضلوني بين الأنبياء فجوابه من خمسة أوجه، أحدها أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، والثاني قاله أدباً وتواضعاً. والثالث أن المنهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول. والرابع إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة. والخامس أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوّة ولا تفاضل فيها، وإنما التفاضل في الخصائص وفضائل أخرى. ولا بد من اعتقاد التفضيل فقد قال تعالى: ﴿**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض**﴾ [البقرة ـ ٢٥٣]. وقد قال أيضاً: ﴿**ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض**﴾

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٠٥ حديث رقم ١٦٨٢.

(٢) الجامع الصغير ١/ ١٠٥ حديث رقم ١٦٨٣.

الحديث رقم ٥٧٤١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٨٢ حديث رقم (٣ . ٢٢٧٨) وأبو داود ٥/ ٥٤ حديث رقم ٤٦٧٣. والترمذي ٥/ ٥٤٨ حديث رقم ٣٦١٥. والدارمي ١/ ٤١ حديث رقم ٥٢. وأحمد في المسند ٣/ ٢.

وأوّلُ مَن ينشقُ عنه القبرُ، وأوّلُ شافعٍ، وأوّلُ مُشفَّعٍ». رواه مسلم.

٥٧٤٢ ـ (٤) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أكثرُ الأنبياءِ تبعاً يومَ القيامةِ، وأنا أوّلُ مَن يقْرَعُ بابَ الجنةِ». رواه مسلم.

٥٧٤٣ ـ (٥) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «آتي بابَ الجنةِ

[الإسراء ـ ٥٥]. (وأوّل من ينشق عنه القبر) أي فهو أوّل من يبعث من قبره ويحضر في المحشر كما رواه الترمذي عن أنس: أنا أوّل الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر[1]. وفي رواية للترمذي والحاكم عن ابن عمر: «أنا أوّل من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة»[2]. وفي رواية للترمذي عن أبي هريرة: «أنا أوّل من تنشق عنه الأرض فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري»[3]. وأوّل شافع، أي في ذلك المحضر. وأوّل مشفع، بتشديد الفاء المفتوحة أي أوّل من تقبل شفاعته على الإطلاق في أنواع الشفاعات. وفيه دليل أيضاً على أنه ﷺ أفضل المخلوقات وأكمل الموجودات. (رواه مسلم.) وكذا أبو داود. وفي رواية أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أوّل من تنشق عنه الأرض ولا فخر وأنا أوّل شافع وأوّل مشفع ولا فخر.

٥٧٤٢ ـ (وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أكثر الأنبياء تبعاً) بفتحتين جمع تابع، أي اتباعاً يوم القيامة لأن أمته ثلثا أهل الجنة على ما سبق في الحديث. وفيه إشعار بأن أكثرية الأتباع توجب أفضلية المتبوع، وكذلك الإمام عاصم من بين القراء. فأبو حنيفة رحمه الله له حظ عظيم ونصيب جسيم من ذلك، فإن غالب أهل الإسلام من أتباعه في فروع الأحكام. (وأنا أوّل من يقرع) بفتح الراء أي يدق ويستفتح. (باب الجنة) أي فيفتح له فيدخلها (رواه مسلم.) وروى ابن النجار عن أنس أيضاً: أنا أوّل من يدق باب الجنة فلم تسمع الآذان أحسن من طنين الحلق على تلك المصاريع.

٥٧٤٣ ـ (وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: آتي) أي أجيء (باب الجنة

---

(١) أخرجه الترمذي ٥/ ٥٤٦ حديث رقم ٣٦١٠.

(٢) الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٦٥ والترمذي ٥/ ٥٨١ حديث رقم ٣٦٩٢.

(٣) أخرجه الترمذي ٥/ ٥٤٦ حديث رقم ٣٦١١.

الحديث رقم ٥٧٤٢: أخرجه مسلم ١/ ١٨٨ حديث رقم ٣٣١/ ١٩٦.

الحديث رقم ٥٧٤٣: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٨٨ حديث رقم (١٩٧.٣٣٣). وأحمد في المسند ٣/ ١٣٦.

يومَ القيامةِ، فأستفتحُ، فيقولُ الخازنُ: مَن أنتَ؟ فأقولُ: محمَّدٌ فيقولُ: بِكَ أُمِرتُ أنْ لا أفتحَ لأحدٍ قبلَكَ». رواه مسلم.

٥٧٤٤ ـ (٦) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أوَّلُ شفيعٍ في الجنَّةِ لم يصدَّقْ نبيٌّ من الأنبياءِ ما صُدِّقتُ، وإنَّ منَ الأنبياءِ نبياً ما صدَّقه من أُمَّتِه إلا رجلٌ واحدٌ». رواه مسلم.

٥٧٤٥ ـ (٧) وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مثلي ومثَلُ الأنبياءِ كمثلِ قصرٍ أُحسِنَ بُنيانُه تُرِكَ منه موضعُ لبِنَةٍ، فطافَ به النظَّارُ، يتعجَّبونَ من حُسنِ بنيانِه، إلا موضعَ تلكَ اللبِنةِ،

يوم القيامة فأستفتح) أي أطلب فتحه (فيقول الخازن: من أنت) سمي الموكل بحفظ الجنة خازناً لأن الجنة خزانة الله تعالى أعدها الله للمؤمنين وهو حافظها. (فأقول: محمد) أي أنا محمد (فيقول: بك) أي بفتح الباب لك قبل غيرك من الأنبياء (أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك) قال الطيبي: بك متعلق بأمرت والباء للسببية قدمت للتخصيص. والمعنى بسببك أمرت أن لا أفتح لغيرك لا بشيء آخر. ويجوز أن يكون صلة للفعل وأن لا أفتح بدلاً من الضمير المجرور، أي أمرت أن لا أفتح لأحد غيرك. (رواه مسلم).

٥٧٤٤ ـ (وعنه) أي عن أنس رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أول شفيع في الجنة) قال المظهر: أي أنا أوّل شافع للعصاة من أمتي في دخول الجنة. وقيل: أي أنا أوّل شافع في الجنة لرفع درجات الناس فيها. (لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت) ما مصدرية، أي لم يصدق نبي تصديقاً مثل تصديق أمتي إياي، يعني به كثرة مصدقية، قال المظهر: وهذا كناية عن انه ﷺ أكثر الأنبياء أمة. ويؤيده قوله: (وإن من الأنبياء نبياً ما صدقه [من أمته] إلا رجل واحد رواه مسلم).

٥٧٤٥ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: مثلي) أي صفتي العجيبة الشأن الغريبة البرهان. (ومثل الأنبياء) أي من الإخوان المشتركين في أساس البنيان من التوحيد وتحقيق الإيمان وتدقيق الإيقان مما يوجب مرتبة القرب والإحسان. (كمثل قصر) أي بناء مرتفع (أحسن بنيانه) أي زين بناء أركانه (ترك منه) أي من القصر (موضع لبنة) والجملة استئناف بيان، أو حال بتقدير قد أو بدونه. (فطاف به النظار) بضم النون وتشديد الظاء المعجمة، أي دار به الحاضرون وتفرج في جوانبه الناظرون. (يتعجبون من حسن بنيانه) أي يستحسنون أنواع أركانه (إلا موضع تلك اللبنة) فإنه خارج عن موضع الاستحسان داخل في

الحديث رقم ٥٧٤٤: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٨٨ حديث رقم (٣٣٢. ١٩٦) وأحمد في المسند ٣/ ١٤٠.

الحديث رقم ٥٧٤٥: أخرجه البخاري ٦/ ٥٥٨ حديث رقم ٣٥٣٥. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٧٩٠ حديث رقم (٢١ . ٢٢٨٦). وأخرجه الترمذي ٥/ ٥٤٧ حديث رقم ٣٦١٣. وأخرجه الدارمي ١/ ٣٧٤ حديث رقم ١٣٨٩. وأحمد في المسند ٥/ ١٤٥.

فكنتُ أنا سَدَدْتُ موضعَ اللبنةِ، خُتِم بيَ البُنيانُ وخُتِم بي الرسلُ». وفي رواية: «فأنا اللبِنةُ، وأنا خاتمُ النبيّينَ». متفق عليه.

٥٧٤٦ ـ (٨) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما من الأنبياءِ من نبي إلا قدْ أُعطي منَ الآياتِ ما مثلُه آمنَ عليه البشرُ،

موضع الاستغراب في ذلك الشأن. (فكنت) أي فصرت (أنا) ضمير فصل للتأكيد وإفادة الحصر على وجه التأبيد. (سددت موضع اللبنة) أي لكوني خاتم النبيين (ختم بي البنيان) حال أو استئناف بيان. والمراد به بنيان الدين المشبه بذلك البنيان. (وختم بي الرسل) الظاهر أنهم هنا بمعنى الأنبياء إما على القول بالترادف، أو باعتبار التجريد، لأن الرسول نبي أمر بالتبليغ. ويدل عليه قوله: (وفي رواية: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) بكسر التاء وبفتح فيه إيماء إلى ما ورد عنه ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1]. قال الطيبي: هذا من التشبيه التمثيلي شبه الأنبياء وما بعثوا به من الهدى والعلم وإرشادهم الناس إلى مكارم الأخلاق، بقصر شيد بنيانه وأحسن بناؤه. لكن ترك منه ما يصلحه وما يسد خلله من اللبنة فبعث نبينا لسد ذلك الخلل، مع مشاركته إياهم في تأسيس[2] القواعد ورفع البنيان. هذا على أن يكون الاستثناء منقطعاً. ويجوز أن يكون متصلاً من حيث المعنى، إذ حاصل المعنى تعجبهم المواضع إلا موضع تلك اللبنة، وليس ذلك المصلح إلا ما اختص به من معنى المحبة وحق الحقيقة الذي يعتنيه أهل العرفان. وقوله: أنا سددت موضع اللبنة. يحتمل أن يكون هو الساد بلبنة ذلك الموضع وأن يسده بنفسه ويكون بمنزلة اللبنة. ويؤيد هذه الرواية الأخرى من قوله: فأنا اللبنة (متفق عليه).

٥٧٤٦ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: ما من الأنبياء من نبي) زيد من الثانية للمبالغة والأولى للتبعيض. والمعنى ليس نبي من الأنبياء. (إلا قد) وفي الجامع إلا وقد (أعطي من الآيات) أي المعجزات وخوارق العادات. ومن بيان لما في قوله: (ما مثله آمن عليه البشر) وهي موصولة ومثله مبتدأ وآمن خبره. وعليه يتعلق بآمن لتضمنه معنى الاطلاع كأنه قال: آمن للاطلاع عليه البشر، أو بحال محذوف. أي آمن البشر واقفاً أو مطلعاً عليه، والمفعول محذوف. والمعنى: أن كل نبي قد أعطي من المعجزات ما إذا شوهد واطلع عليه دعا الشاهد إلى تصديقه، فإذا انقطع زمانه انقطعت تلك المعجزة. هذا خلاصة كلام بعض الشراح من علمائنا. وقال الطيبي: من فيه بيانية، ومن الثانية زائدة تزاد بعد النفي. وما في ما مثله موصولة وقعت مفعولاً ثانياً لأعطي، ومثله مبتدأ وآمن خبره، والجملة صلة الموصول. والراجع إلى الموصول ضمير المجرور في عليه وهو حال، أي مغلوباً عليه في

---

(١) أخرجه أحمد عن أبي هريرة بلفظ «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» ٢/ ٣٨١.

(٢) في المخطوطة «تأييد».

الحديث رقم ٥٧٤٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٩/ ٣. حديث رقم ٤٩٨١. أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٣٤ حديث رقم (٢٣٩ ـ ١٥٢). وأحمد في المسند ٢/ ٣٤١.

وإنما كانَ الذي أُوتيتُ وحياً أوْحى اللهُ إليّ، وأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعاً يومَ القيامةِ». متفق عليه.

٥٧٤٧ ـ (٩) وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أُعطيتُ خمساً لم يُعطَهُنّ أحدٌ قبلي: نُصرتُ بالرُّعبِ مسيرةَ شهرٍ،

التحدي والمباراة. والمراد بالآيات المعجزات. وموقع المثل هنا موقعه في قوله تعالى: ﴿**فأتوا بسورة من مثله**﴾ [البقرة ـ ٢٣]. أي مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم. يعني: ليس نبي من الأنبياء إلا قد أعطاه الله تعالى من المعجزات الدالة على نبوّته الشيء الذي من صفته، أنه إذا شوهد اضطر الشاهد إلى الإيمان به. وتحريره أن كل نبي اختص بما يثبت دعواه من خارق العادات بحسب زمانه، فإذا انقطع زمانه انقطعت تلك المعجزة، كقلب العصا ثعباناً في زمان موسى عليه السلام، وإخراج اليد البيضاء، لأن الغلبة في زمنه للسحر فأتاهم بما هو فوق السحر واضطرهم إلى الإيمان. وفي زمن عيسى عليه السلام الطب فأتاهم بما هو أعلى من الطب، وهو إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص. وفي زمن رسولنا ﷺ البلاغة والفصاحة فجاء القرآن وأبطل الكل. اهـ. وفيه تأمل من جهة قوله: أبطل الكل. فالصواب أن يقال: فجاء القرآن معجزة مشتهرة دائمة إلى انقراض الزمان، بل أبد الآباد لما يتلى في درجات الجنان، بل يسمع من كلام الرحمٰن. وهذا معنى قوله: (**وإنما كان الذي أوتيت**) وفي الجامع أوتيته، والموصول صفة لمحذوف. أي كان خرق العادة الذي أعطيته بالخصوص. (**وحياً**) أي كلاماً منزلاً علي، نزل به الروح الأمين. (**أوحى الله إلي**) أي لا غيره، فالمراد بالوحي هنا القرآن الذي هو في نفسه دعوة وفي نظمه معجزة وهو لا ينقرض بموته كما تنقرض معجزات غيره. قال القاضي وغيره: أي معظم الذي أوتيت وأفيده إذ كان له غير ذلك معجزات من جنس ما أوتيه [غيره]. والمراد بالوحي القرآن البالغ أقصى غاية الإعجاز في النظم. والمعنى وهو أكثر فائدة وأعم منفعة من سائر المعجزات، فإنه يشتمل على الدعوات والحجة ويستمر على مر الدهور والأعصار، وينتفع به الحاضرون عند الوحي المشاهدون له والغائبون عنه والموجودون بعده إلى يوم القيامة على السواء. ولذلك رتب عليه قوله: (**فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**) وقد حقق الله رجاءه كما تقدم والله أعلم. (**متفق عليه.**) ورواه أحمد.

٥٧٤٧ ـ (**وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت خمساً**) أي من الخصائل والفضائل (**لم يعطهن أحد قبلي**) أي من الأنبياء، فمن المحال أن يعطى أحد بعده من الأولياء. (**نصرت**) أي نصرني ربي على أعدائي. (**بالرعب**) بضم فسكون وبضمتين، أي بخوف العدوّ مني. (**مسيرة شهر**) أي في قدر مسيرة شهر بيني وبينه من قدام أو وراء. وفي

الحديث رقم ٥٧٤٧: أخرجه البخاري ١/ ٤٣٥. حديث رقم ٣٣٥. ومسلم ١/ ٣٧٠ حديث رقم (٣/ ٥٢١). والنسائي في السنن ١/ ٢٠٩ حديث رقم ٤٣٢.

وجُعلتْ لي الأرضُ مسجداً وطَهوراً فأيُّما رجلٍ من أُمَّتي أدركَتْه الصَّلاةُ فليُصلِّ، وأُحلَّتْ ليَ المغانمُ ولم تحلَّ لأحدٍ قبلي، وأُعطِيتُ الشَّفاعةَ، وكانَ النبيُّ يُبعثُ إلى قومه خاصَّةً وبُعثْتُ إلى النَّاسِ عامَّةً». متفق عليه.

شرح الطيبي: الرعب الفزع والخوف، وقد أوقع الله تعالى في قلوب أعداء النبي ﷺ الخوف منه، فإذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر هابوا وفزعوا منه. **(وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)** في شرح السنة: أراد أن أهل الكتاب لم تبح لهم الصلاة إلا في بيعهم وكنائسهم. وأباح الله عزَّ وجلَّ لهذه الأمة الصلاة حيث كانوا تخفيفاً عليهم وتيسيراً، ثم خص من جميع المواضع الحمام والمقبرة والمكان النجس. وقوله: طهوراً أراد به التيمم. اهـ. وفي الحمام والمقبرة تفصيل قدمناه. وقيل: معناه أنهم كانوا لا يصلون إلا فيما تيقنوا طهارته من الأرض. وخصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا فيما تيقنا نجاسته، ثم صرح بعموم هذا الحكم وفرع على ما قبله بقوله: **(فأيما رجل)** أي شخص **(من أمتي أدركته الصلاة)** أي وجبت عليه ودخل وقتها في أي موضع. **(فليصل)** أي في ذلك الموضع بشروطه المعتبرة في صحة الصلاة. **(وأحلت لي المغانم)** أي الغنائم، وهي الأموال المأخوذة من الكفار. **(ولم تحل)** وفي نسخة بصيغة المجهول، أي لم تبح الغنائم. **(لأحد قبلي)** أي من الأنبياء بل غنائمهم توضع فتأتي نار تحرقها، هكذا أطلقه بعض الشراح من علمائنا. وقال ابن الملك: أي من قبلنا من الأمم إذا غنموا الحيوانات يكون ملكاً للغانمين دون الأنبياء، فخص نبينا ﷺ بأخذ الخمس والصفيّ، وإذا غنموا غيرها جمعوه، فتأتي نار فتحرقه. أقول: ولعل الحكمة في إحراق الغنيمة تحصيل تحسين النية وتزيين الطوية في مرتبة الإخلاص في الجهاد، والله أعلم بالعباد ورؤوف بالعباد. **(وأعطيت الشفاعة)** أل فيه للعهد، أي الشفاعة العامة للإراحة من المحشر المعبر عنها بالمقام المحمود الذي يغبطه عليه الأوّلون والآخرون. **(وكان النبي)** اللام فيه للاستغراق، أي وكان كل نبي من قبلي. **(يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس)** أي إلى أقوام مختلفة منهم غير مختص بقوم من العرب. **(عامة)** أي شاملة للعرب والعجم. قال الطيبي: التعريف في النبي لاستغراق الجنس وهو أشمل من لو جمع، لما تقرر في علم المعاني أن استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع، لأن الجنسية في المفرد قائمة في وحدانه، فلا يخرج منه شيء. وفي الجمع فيما فيه الجنسية من الجموع فيخرج منه واحد أو اثنان على الخلاف، في أن أقل الجمع اثنان أو ثلاثة. اهـ. وقيل: اللام فيه للجنس عند النحويين، وللعهد عند الأصوليين. وهو لبيان الماهية المتعلقة بالذهن، لا لتعيين الذات. وتلك الماهية هي النبوّة. **(متفق عليه.)** ورواه النسائي. وفي رواية أحمد عن علي كرم الله وجهه: أعطيت ما لم يعطه أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب وأعطيت مفاتيح الأرض وسميت أحمد، وجعل لي التراب طهوراً وجعلت أمتي خير الأمم[١]. وروى الحرث وابن مردويه عن أنس ولفظه: أعطيت ثلاث خصال: أعطيت صلاة في الصفوف وأعطيت السلام. وهو تحية أهل الجنة وأعطيت آمين ولم يعطها أحد ممن

---

(١) أحمد في المسند ١/ ٩٨.

٥٧٤٨ ـ (١٠) وعن أبي هريرة، أنَّ رسول الله[1] ﷺ قال: «فُضِّلتُ على الأنبياءِ بستٍ: أُعطيتُ جوامعَ الكلِمِ، ونصرتُ بالرُّعبِ، وأُحلَّتْ لي الغنائمُ، وجُعلتْ لي الأرضُ مسجداً وطَهوراً، وأُرسلتُ إلى الخلقِ كافةً، وخُتمَ بيَ النَّبيُّونَ».

كان قبلكم. إلا أن يكون الله أعطاها هارون. فإن موسى كان يدعو ويؤمن هارون.

٥٧٤٨ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: فضلت على الأنبياء بست)** قال التوربشتي: وفي حديث جابر: بخمس، وليس هذا باختلاف تضاد وإنما هو اختلاف زمان، يكون فيه حديث الخمس متقدماً وذلك أنه أعطيها فحدث به، ثم زيد له السادسة فأخبر عن ست. قال ابن الملك: فإن قلت: هذا إنما يتم لو ثبت تأخر الدال على الزيادة. قلت: إن ثبت فلا كلام، وإلا فيحمل على أنه إخبار عن زيادتها في المستقبل، عبر عنه بالماضي تحقيقاً لوقوعه. اهـ. وقال صاحب الخلاصة: ويجوز أن يكون ذكر الخمس أو الست لمناسبة المقام، وحينئذ جاز أن يكون سبعاً، كما إذا ضمت الشفاعة إلى هذه الست. قلت: ويجوز أن تكون زائدة على السبع لما سيأتي ولما تقدم والله أعلم. **(أعطيت جوامع الكلم)** أي قوة إيجاز في اللفظ مع بسط في المعنى فأبين بالكلمات اليسيرة المعاني الكثيرة، وقد جمعت أربعين حديثاً من الجوامع الواردة على الكلمتين اللتين هما أقل مما يتصوّر منه تركب الكلام، ويتأتى منه إسناد المرام نحو قوله عليه السلام: «العدة دين»[2]، والمستشار مؤتمن[3]، و«لا تغضب»[4]، وأمثال ذلك. وقد روى أبو يعلى في مسنده عن عمر رضي الله عنه: أعطيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام اختصاراً. وفي شرح السنة، قيل: جوامع الكلم هي القرآن، جمع الله سبحانه بلطفه معاني كثيرة في ألفاظ يسيرة. وقيل: إيجاز الكلام في إشباع من المعنى، فالكلمة القليلة الحروف منها تتضمن كثيراً من المعاني وأنواعاً من الكلام. **(ونصرت بالرعب)** أطلقه هنا وقيد غايته فيما سبق، بمسيرة شهر. **(وأحلت لي)** أي لأجلي على أمتي. **(الغنائم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الخلق كافة)**. أي إلى الموجودات بأسرها عامة من الجن والانس والملك والحيوانات والجمادات، كما بينته في الصلوات العلية على الصلوات المحمدية. قال الطيبي: يجوز أن يكون كافة مصدراً، أي أرسلت رسالة عامة لهم محيط بهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد، وأن يكون حالاً إما من الفاعل، والتاء على هذا للمبالغة كتاء الراوية. والعلامة، وإما من المجرور، أي مجموعين. **(وختم بي النبيون)** أي وجودهم فلا يحدث بعدي نبي ولا يشكل بنزول عيسى عليه السلام، وترويج دين نبينا ﷺ على أتم النظام وكفى به شهيداً شرفاً، وناهيك به فضلاً على

الحديث رقم ٥٧٤٨: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٧١. حديث رقم (٥ ـ ٥٢٣) وأحمد في المسند ٢/ ٤١٢.

(١) في المخطوطة «النبي» ﷺ.

(٢) الطبراني في الأوسط ذكره في الجامع الصغير ٢/ ٣٥٠ حديث رقم ٥٦٨٢.

(٣) الترمذي ٥/ ١١٥ حديث ٢٨٢٢.

(٤) أخرجه البخاري، وكذلك الترمذي حديث رقم ٢٠٢٠.

رواه مسلم.

٥٧٤٩ ـ (١١) وعنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «بُعثتُ بجوامِعِ الكَلِمِ، ونُصِرتُ بالرُّعبِ، وبَينا أنا نائمٌ رأيتُني أُوتيتُ بمفاتيحِ خزائنِ الأرضِ فوُضِعتْ في يدي». متفق عليه.

٥٧٥٠ ـ (١٢) وعن ثوبانَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ

سائر الأنام. قال الطيبي: أغلق باب الوحي وقطع طريق الرسالة وسد، وأخبر باستغناء الناس عن الرسل وإظهار الدعوة بعد تصحيح الحجة وتكميل الدين. كما قال تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ [المائدة ـ ٣]. وأمّا باب الإلهام فلا ينسد وهو مدد يعين النفوس الكاملة، فلا ينقطع لدوام ضرورة حاجتها إلى تأكيد وتجريد وتذكير. وكما أن الناس استغنوا عن الرسالة والدعوة احتاجوا إلى التذكير والتنبيه لاستغراقهم في الوساوس وانهماكهم في الشهوات. فالله تعالى أغلق باب الوحي بحكمته وفتح باب الإلهام برحمته لطفاً منه بعباده. (**رواه مسلم**) وكذا الترمذي. وفي رواية الطبراني عن السائب بن يزيد: فضلت على الأنبياء بخمس: بعثت إلى الناس كافة وادخرت شفاعتي لأمتي ونصرت بالرعب شهراً أمامي وشهراً خلفي وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي. وفي رواية البيهقي عن أبي أمامة: فضلت بأربع: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أتى الصلاة فلم يجد ما يصلي عليه وجه الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الناس كافة ونصرت بالرعب من مسيرة شهرين يسير بين يدي وأحلت لي الغنائم. وفي رواية الطبراني عن أبي الدرداء: فضلت بأربع: جعلت أنا وأمتي في الصلاة كما تصف الملائكة وجعل الصعيد لي وضوءاً وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأحلت لي الغنائم. فبعض الأحاديث وإن دل بمنطوقه، على أنه ﷺ مخصوص من عند الله تعالى بفضائل معدودة، لكن لا يدل مفهومه على حصر فضائله، فيها فإن فضائله غير منحصرة.

٥٧٤٩ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (**أن رسول الله ﷺ قال: بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب، وبينا أنا نائم رأيتني أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي**) في النهاية: أراد ما سهل الله تعالى له ولأمته من افتتاح البلاد المتعددات واستخراج الكنوز المتنوّعات. اهـ. أو المراد منه معادن الأرض التي فيها الذهب والفضة وسائر الفلزات. (**متفق عليه**) ورواه النسائي.

٥٧٥٠ ـ (**وعن ثوبان**) وهو مولى النبي ﷺ (**قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله زوى لي**

الحديث رقم ٥٧٤٩: أخرجه البخاري ٦/ ١٢٨. حديث رقم ٢٩٧٧. وأخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٧١ حديث رقم (٦ ـ ٥٢٢). والنسائي في السنن ٦/ ٣ حديث رقم ٣٠٨٧. وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٤.

الحديث رقم ٥٧٥٠: أخرجه مسلم ٤/ ٢٢١٥. حديث رقم (١٩ ـ ٢٨٨٩). وأبو داود ٤/ ٤٥ حديث رقم ٤٢٥٢. والترمذي ٤/ ٤١٠ حديث رقم ٢١٧٦ وابن ماجه ٢/ ١٣٠٤ حديث رقم ٣٩٥٢. وأحمد في المسند ٥/ ٢٧٨.

الأرضَ، فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها، وإنَّ أُمَّتي سيبلُغُ مُلكُها ما زُوِيَ لي منها، وأُعطيتُ الكنزَيْنِ: الأحمرَ والأبيضَ، وإني سألتُ ربِّي لأمَّتي أنْ لا يُهلكَها بسنةٍ عامَّةٍ، وأنْ لا يُسلطَ عليهم عدوّاً من سِوَى أنفسِهم فيستبيحَ بيضتَهم، وإنَّ ربِّي قال: يا محمَّدُ! إذا قضَيتُ قضاءً فإنَّه لا يُردُّ، وإني أعطيتُكَ لأمَّتكَ أنْ لا أُهلكَهم بسنةٍ عامَّةٍ، وأنْ لا أُسلطَ عليهم عدوّاً سِوى أنفسِهم فيستبيحَ بيضتَهم، ولو اجتمعَ عليهم مَن بأقطارِها

الأرض) أي جمعها لأجلي. قال التوربشتي: زويت الشيء جمعته وقبضته يريد به تقريب البعيد منها حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب منها. وحاصله أنه طوى له الأرض وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة نظره، ولقد قال: **(فرأيت مشارقها ومغاربها)** أي جميعها **(وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها)** قال الخطابي: توهم بعض الناس أن من في منها للتبعيض وليس ذلك كما توهمه، بل هي للتفصيل للجملة المتقدمة، والتفصيل لا يناقض الجملة. ومعناه: أن الأرض زويت لي جملتها مرة واحدة فرأيت مشارقها ومغاربها، ثم هي تفتح لأمتي جزءاً فجزءاً حتى يصل ملك أمتي إلى كل أجزائها. أقول: ولعل وجه من قال بالتبعيض هو أن ملك هذه الأمة ما بلغ جميع الأرض، فالمراد بالأرض أرض الإسلام وإن ضمير منها راجع إليها على سبيل الاستخدام والله أعلم بالمرام. **(وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض)** بدلان مما قبلهما، أي كنز الذهب والفضة. قال التوربشتي: يريد بالأحمر والأبيض خزائن كسرى وقيصر، وذلك أن الغالب على نقود ممالك كسرى الدنانير، والغالب على نقود ممالك قيصر الدراهم. **(وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة)** أي بقحط شائع لجميع بلاد المسلمين. قال الطيبي: السنة القحط والجدب وهي من الأسماء الغالبة. **(وأن لا يسلط عليهم عدواً)** وهم الكفار. وقوله: **(من سوى أنفسهم)** صفة عدواً، أي كائناً من سوى أنفسهم. وإنما قيده بهذا القيد لما سأل أولاً ذلك فمنع على ما يأتي في الحديث الآتي **(فيستبيح)** أي العدو وهو مما يستوي فيه الجمع والمفرد. **(بيضتهم)** قال ابن الملك: أي يجعلها مباحة. وقال شارح: أي يستأصل مجتمعهم. وقال الطيبي: أراد بالبيضة أي مجتمعهم موضع سلطانهم ومستقر دعوتهم، وبيضة الدار وسطها ومعظمها. أراد عدواً يستأصلهم ويهلكهم جميعهم. وقيل: أراد إذا هلك أصل البيضة كان هلاك كلها فيه من طعم أو فرخ، وإذا لم يهلك أصل البيضة ربما سلم بعض فراخها. والنفي منصب على السبب والمسبب معاً، فيفهم منه أنه قد يسلط عليهم عدو لكن لا يستأصل شأفتهم. **(وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء)** أي حكمت حكماً مبرماً **(فإنه لا يرد)** أي بشيء بخلاف الحكم المعلق بشرط وجود شيء أو عدمه، كما حقق في باب الدعاء ورد البلاء. **(وإني أعطيتك)** أي عهدي وميثاقي. **(لأمتك)** أي لأجل أمة إجابتك **(أن لا أهلكهم بسنة عامة)** أي بحيث يعمهم القحط ويهلكهم بالكلية. قال الطيبي: اللام في لأمتك هي التي في قوله سابقاً: سألت ربي لأمتي، أي أعطيت سؤالك لدعائك لأمتك. والكاف هو المفعول الأول، وقوله: أن لا أهلكهم، المفعول الثاني كما هو في قوله: سألت ربي أن لا يهلكها، هو المفعول الثاني. **(وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من)** أي الذين هم **(بأقطارها)** أي بأطرافها جمع قطر، وهو الجانب والناحية.

حتى يكونَ بعضُهم يُهلكُ بعضاً، ويَسْبي بعضهم بعضاً». رواه مسلم.

٥٧٥١ ـ (١٣) وعن سعدٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ مَرَّ بمسجدِ بَني معاوية، دخلَ فركعَ فيه ركعتَين وصلَّينا معه، ودَعا ربَّه طويلاً، ثمَّ انصرفَ فقال: «سألتُ ربِّي ثلاثاً، فأعطاني

والمعنى: فلا يستبيح عدو من الكفار بيضتهم ولو اجتمع على محاربتهم من أطراف بيضتهم. وجواب لو ما يدل عليه قوله: وأن لا أسلط. (حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي) كيرمي بالرفع، عطف على يهلك، أي ويأسر. (بعضهم) بوضع الظاهر موضع المضمر. (بعضاً) أي بعضاً آخر. وفي نسخة بالنصب على أن يكون عطفاً على يكون. قال الطيبي: حتى بمعنى كي، أي لكي يكون بعض أمتك يهلك بعضاً. فقوله: إني إذا قضيت قضاء فلا يرد. توطئة لهذا المعنى. ويدل عليه حديث خباب بن الأرت قال: قال رسول الله ﷺ: «إني سألت الله ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة. سألته أن لا يهلك أمتي بسنة، فأعطاني وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها»[١]. قال المظهر: اعلم أن لله تعالى في خلقه قضاءين، مبرماً ومعلقاً بفعل. كما قال: إن فعل الشيء الفلاني كان كذا وكذا، وإن لم يفعله فلا يكون كذا وكذا من قبيل ما يتطرق إليه المحو والإثبات. كما قال تعالى في محكم كتابه: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ [الرعد ـ ٣٩]. وأما القضاء المبرم فهو عبارة عما قدره سبحانه في الأزل من غير أن يعلقه بفعل. فهو في الوقوع نافذ غاية النفاذ بحيث لا يتغير بحال ولا يتوقف على المقضي عليه ولا المقضي له لأنه من علمه بما كان وما يكون. وخلاف معلومه مستحيل قطعاً، وهذا من قبيل ما لا يتطرق إليه المحو والإثبات. قال تعالى: ﴿لا معقب لحكمه﴾ [الرعد ـ ٤١]. وقال النبي ﷺ: «لا مرد لقضائه ولا مرد لحكمه». فقوله ﷺ: إذا قضيت قضاء فلا يرد. من القبيل الثاني، ولذلك لم يجب إليه. وفيه أن الأنبياء مستجابوا لدعوة إلا في مثل هذا. (رواه مسلم).

٥٧٥١ ـ (وعن سعد) أي ابن أبي وقاص أحد العشرة المبشرة بالجنة. (أن رسول الله ﷺ مر بمسجد من بني معاوية) هم بطن من الأنصار، وقيل: كان المسجد في المدينة. (دخل) حال أو استئناف بيان. وفي رواية البغوي: فدخل أي دخل المسجد. (فركع) أي فصلى فيه (ركعتين) أي تحية أو فريضة. (وصلينا معه) أي موافقة أو متابعة (ودعا) أي فناجى، كما في رواية. (ربه طويلاً) أي زماناً كثيراً أو دعاء عريضاً بعد الصلاة. والظاهر أن أصحابه دعوا معه أو أمنوا. والأظهر أن طويلاً قيد للصلاة والدعاء، لما سيأتي في حديث خباب في أول الفصل الثاني. (ثم انصرف) أي من الدعاء (فقال: سألت ربي ثلاثاً) أي من المسؤولات، أو ثلاث مرات. (فأعطاني

---

(١) أخرجه الترمذي ٤/٤٠٩ حديث رقم ٢١٧٥.

الحديث رقم ٥٧٥١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢١٦ حديث رقم (٢٠ ـ ٢١/٢٨٩٠). وأحمد في المسند ١/١٨٢.

ثنتينِ، ومنعَني واحدةً، سألتُ ربّي أنْ لا يُهلِكَ أُمّتي بالسنةِ، فأعطانيها، وسألتُه أنْ لا يُهلِكَ أمّتي بالغَرَقِ فأعطانيها، وسألتُه أن لا يجعلَ بأسَهم بينهم فمنعنيها». رواه مسلم.

٥٧٥٢ ـ (١٤) وعن عطاءِ بن يسارٍ، قال: لقيتُ عبدَ الله بنَ عمرو بن العاصِ قلتُ: أخبرني عن صفةِ رسول الله ﷺ في التوراةِ، قال: أجلْ، واللّهِ إنّه لموصوفٌ في التوراة ببعض صفتِه في القرآنِ: ﴿يا أيها النبيّ إنا أرسلناكَ شاهداً ومُبشراً ونذيراً﴾ وحِرْزاً للأُمّيّين،

ثنتين ومنعني واحدة) فيه زيادة توضيح (سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة) أي بالقحط العام (فأعطانيها) أي المسألة (وسألته أن لا يهلك) أمتي (بالغرق) بفتحتين، وفي نسخة بسكون الراء أي بالغرق العام كقوم فرعون في اليم[1]، وقوم نوح بالطوفان. (فأعطانيها. وسألته أن لا يجعل بأسهم) أي حربهم الشديد (بينهم فمنعنيها. رواه مسلم).

٥٧٥٢ ـ (وعن عطاء بن يسار) هو من أجلاء التابعين (قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت:) استئناف بيان (أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ) [أي عن نعته] (في التوراة. قال: أجل) بفتحتين وسكون اللام المخففة. قال الطيبي: هو حرف يصدق بها الخبر خاصة. يقال[2] لمن قال قام زيد أجل. وزعم بعض من جواز وقوعه بعد الاستفهام. وفي الحديث جاء جواباً للأمر على تأويل[3] قرأت[4] التوراة، هل وجدت صفة رسول الله ﷺ فيها، فأخبرني قال: أجل. أي نعم أخبرك (والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن) أي بالمعنى كقوله: (﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً﴾) حال مقدرة من الكاف أو من الفاعل أو مقدراً أو مقدرين شهادتك على من بعثت إليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم، أي مقبولاً قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم. ذكره الطيبي. أو شاهداً لأفعال أمتك يوم القيامة، أو لجميع الأنبياء في تبليغهم كما قال تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء ـ ٤١]. أو مزكياً لأمتك في شهادتهم على الأمم بتبليغ رسالة الأنبياء إليهم كما قال تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ [البقرة ـ ١٤٣]. وقد تقدم والله أعلم. أو معناه شاهداً لقدرتنا وإرادتنا في الخلق كما يشير إليه قوله: (﴿ومبشراً﴾) أي للمؤمنين بالمثوبة (﴿ونذيراً﴾) أي منذراً ومخوّفاً للكافرين بالعقوبة. (وحرزاً) بكسر الحاء وسكون الراء (للأميين) قال القاضي: أي حصناً وموئلاً للعرب يتحصنون به من غوائل الشيطان، أو عن سطوة العجم وتغلبهم. وإنما سموا أميين لأن أغلبهم لا يقرؤون ولا يكتبون. اهـ. أو لأنهم ينسبون إلى أم القرى وهي مكة،

---

(١) في المخطوطة «النيل».

الحديث رقم ٥٧٥٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٤/٣٤٢. حديث رقم ٢١٢٥. وأحمد في المسند ٢/١٧٤.

(٢) في المخطوطة «تقول».

(٣) في المخطوطة «تأول».

(٤) في المخطوطة «قراة».

أنتَ عبدي ورسولي، سمَّيتُكَ المتوكِّلَ، ليسَ بفظٍّ ولا غليظٍ ولا سخَّابٍ في الأسواقِ، ولا يدفعُ بالسَّيئةِ السَّيئةَ؛ ولكنْ يَعفو ويغفرُ،

أو لكون نبيهم أمياً. ولعل هذا الوجه في هذا المقام أوجه ليشمل جميع الأمة ولا يبقى متمسك لليهود على ما زعموا، من أنه مبعوث إلى العرب خاصة. فإنه بذكره لا ينفي ما عداه لا سيما وقد قال تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً**﴾ [سبأ ـ ٢٨]. ولهذا قال ﷺ: «لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي». قال ابن الملك: ويجوز أن يكون المراد بالحرز حفظ قومه من عذاب الاستئصال، أو الحفظ لهم من العذاب ما دام فيهم. قال تعالى: ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**﴾ [الأنفال ـ ٣٣]. (**أنت عبدي**) أي الخاص كما وصفه بالقرآن في مواضع سبعة بإضافته إلى الله، أو ضميره إضافة تشريف. (**ورسولي**) أي الأخص كما قال في مواضع من القرآن: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى**﴾ [التوبة ـ ٣٣، الفتح ـ ٢٨، الصف ـ ٩]. فالإضافة للعهد، كما يقال: أكرم زيد عبده، إذا كان له عبيد متعددة. مع أنه إذا أطلق اسم الجنس فالمراد به الفرد الأكمل فتأمل. (**سميتك المتوكل**) أي خصصتك بهذا الوصف لكمال توكلك عليّ وتفويضك إليّ وتسليمك لدي، عملاً بما في القرآن: ﴿**وتوكل على الله**﴾ [النحل ـ ٨١، الأنفال ـ ٦١، الأحزاب ـ ٣، الأحزاب ـ ٤٨]. ﴿**وتوكل على الحي الذي لا يموت**﴾ [الفرقان ـ ٥٨]. وكذا في قوله سبحانه: ﴿**لا نسألك رزقاً نحن نرزقك**﴾ [طه ـ ١٣١]. ﴿**ورزق ربك خير وأبقى**﴾ [طه ـ ١٣١]. ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾ [الطلاق ـ ٢ ـ ٣]. دلالة عليه وإشارة إليه. (**ليس بفظ**) التفات فيه تضمن للفنن. قال الطيبي: يحتمل أن يكون آية أخرى في التوراة لبيان صفته وأن يكون حالاً من المتوكل أو من الكاف في سميتك، فعلى هذا فيه التفات. اهـ. والمعنى ليس بسيىء الخلق أو القول. (**ولا غليظ**) أي ضخم كريه الخلق أو سيىء الفعل أو غليظ القلب وهو الأظهر لقوله تعالى: ﴿**ولو كنت فظاً غليظاً القلب**﴾ [آل عمران ـ ١٥٩]. أي شديده وقاسيه فيناسب حينئذ أن يكون الفظ معناه بذاذة اللسان، ففيه إيماء إلى طهارة عضويه الكريمين من دنس الطبع ووسخ هوى النفس الذميمين. وقد قال الكلبي: فظاً في القول، غليظ القلب في الفعل. (**ولاسخاب**) بتشديد الخاء المعجمة أي صياح. (**في الأسواق**) قال الطيبي: أي هو لين الجانب شريف النفس لا يرفع الصوت على الناس لسوء خلقه، ولا يكثر الصياح عليهم في السوق لدناءته، بل يلين جانبه لهم ويرفق بهم. قلت: فهو مقتبس من قوله تعالى: ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم**﴾ [آل عمران ـ ١٥٩]. أو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**﴾ [النور ـ ٣٧]. (**ولا يدفع بالسيئة السيئة**) لقوله تعالى: ﴿**وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله**﴾ [الشورى ـ ٤٠]. ولقوله سبحانه: ﴿**ادفع بالتي هي أحسن**﴾ [المؤمنون ـ ٩٦] الآية. وإطلاق السيئة على جزائها إما للمشاكلة والمقابلة، أو لكونه في صورة السيئة، أو بالإضافة إلى دفعها بالحسنة كأنها سيئة. ومنه قولهم: حسنات الأبرار سيئات المقربين. (**ولكن يعفو**) أي عن المسيء (**ويغفر**) أي يستر أو يدعو له بالمغفرة لقوله تعالى: ﴿**فاعف عنهم واصفح**﴾ [المائدة ـ ١٣]. وقوله: (**فاعف عنهم واستغفر لهم**﴾ [آل عمران ـ

ولَنْ يقبضَه اللّهُ حتى يُقيمَ به الملّةَ العَوْجاءَ بأنْ يقولوا: لا إلهَ إلا اللّهُ، ويفتَح بها أعيُناً عُمْياً وآذاناً صمّاً وقُلوباً غُلفاً.

١٥٩]. وهذا أقرب مراتب معاملته مع المسيئين. وكان قد يقابلهم بالإحسان إليهم لقوله تعالى: والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين. **(ولن يقبضه)** بالياء التحتية في الأصول المعتمدة، وفي نسخة بالنون. ويؤيد الأول ما في نسخة صحيحة: ولن يقبضه الله. بزيادة لفظ الجلالة وكذا الحكم[١] في الأفعال الآتية. قال الطيبي: وكذا الثقات في قوله: ولن يقبضه. بالياء المثناة من تحت على رواية المشكاة. ويعضده ما في شرح السنة: ولن يقبضه الله. **(حتى يقيم به)** أي بواسطته **(الملة العوجاء)** كما في التنزيل ذماً للكفار: ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً. وقال في مدح دين الإسلام: ﴿**ذلك الدين القيم**﴾ [التوبة ـ ٣٦]. ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾ [الشورى ـ ٥٢]. قال القاضي: يريد به ملة إبراهيم: فإنها قد اعوجت في أيام الفترة فزيدت ونقصت وغيرت وبدلت، وما زالت كذلك حتى قام الرسول ﷺ فأقامها. أقامها الله وأدامها. **(بأن يقولوا: لا إله إلا الله)** متعلق بقوله يقيم، وفيه إيماء إلى أن اقامة التوحيد في ادامة معنى هذه الكلمة من التفريد. وقال شارح للمصابيح: قال الله تعالى: ولن نقبضه. أي رسول الله ﷺ حتى نقيم به الملة العوجاء، أي حتى نجعلها مستقيمة. ويريد بها ما كانت العرب تدين بها وتزعم أنها ملة إبراهيم، وإنما وصفها بالعوجاء وسماها ملة على الاتساع. كما يقال: الكفر ملة. **(ويفتح)** بالياء والنون على ما سبق وهو منصوب عطفاً على قوله: يقيم. وفي نسخة السيد، بالرفع على القطع أي وهو يفتح أو نحن. **(بها)** أي بواسطة هذه الكلمة. وفي نسخة: به، أي بهذا النبي أو بهذا القول. **(أعيناً)** بالنصب على ما في جميع نسخ المشكاة. **(عمياً)** بضم أوله جمع أعمى. قال الطيبي: هذا رواية البخاري والدارمي وكتاب الحميدي وجامع الأصول. وفي المصابيح يفتح بها أعين عمياء على بناء المفعول. والأول أصح رواية ودراية. أقول: ولعل وجه أصحية الدراية هو أن المعطوف عليه بصيغة الفاعل بلا خلاف على اختلاف أنه بالياء أو النون. ثم قوله: **(وآذاناً)** الخ على هذا المنوال وهو بمد الهمز جمع الأذن. **(صماً)** جمع أصم **(وقلوباً غلفاً)** بضم أوله وجمع أغلف وهو الذي لا يفهم كأن قلبه في غلاف، وإنما ذكر هذه الأعضاء لأنها آلات للعلوم والمعارف. قال تعالى في حق الكفار: ﴿**ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة**﴾ [البقرة ـ ٧]. وقال: ﴿**صم بكم عمي فهم لا يعقلون**﴾ [البقرة ـ ١٧١]. ولعله لم يذكر اللسان في معرض هذا البيان لأنه ترجمان الجنان والإناء يترشح بما فيه من الأعيان. قال الطيبي: فإن قلت: قوله: إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يقتضي أن تكون المذكورات كلها مثبتة في القرآن. قلت: أجل، أما قوله: ﴿**يا أيها النبي إنا أرسلناك**﴾. ففي الأحزاب[٢]. وقوله: حرزاً للأميين. ففي الجمعة: ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾ [الجمعة ـ ٢]. وقوله: سميتك المتوكل، إلى قوله:

---

(١) في المخطوطة «الحاكم».

(٢) سورة الأحزاب ـ آية رقم ٤٥.

رواه البخاري.

٥٧٥٣ ـ (١٥) وكذا الدارميُّ، عن عطاءٍ، عن ابنِ سلامٍ نحوَه.

ولكن يعفو ويغفر. في قوله تعالى: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب﴾. إلى قوله: ﴿إن الله يحب المتوكلين﴾ [آل عمران ـ ١٥٩]. وقوله: ولا سخاب في الأسواق، في قوله تعالى: ﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾ [الحجر ـ ٩٨]. أي دم على التسبيح والتحميد واجعل نفسك من الذين لهم مساهمة ونصيب وافر في السجود، فلا تخل بها ولا تشتغل بغيرها. ومن ثم قال ﷺ: «ما أوحي إلي أن أكون من التاجرين ولكن أوحي إليّ أن أكون من الساجدين»[1]. فقوله: ولا سخاب في الأسواق، من قبيل قوله تعالى: ﴿ولا شفيع يطاع﴾ [غافر ـ ١٨]. إذ هو يحتمل أن يراد به نفي سخاب وحده ونفيهما معاً وهو المراد هنا. قلت: ويحتمل أن يكون قوله في الأسواق قيداً معتبراً في النفي احترازاً من رفع صوته في القراءة والخطبة في المساجد. قال: وقوله: ولا يدفع بالسيئة السيئة. في قوله تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن﴾ [فصلت ـ ٣٤]. وقوله: حتى يقيم به الملة العوجاء، في قوله تعالى: ﴿قل إنما يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد﴾ [الأنبياء ـ ١٠٨]. أي ما يوحى إلي إلا أن أقيم التوحيد وأنفي الشرك. فإن قلت: كيف الجمع بين قوله: ويفتح بها أعيناً عمياً، وبين قوله تعالى: ﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾ [النمل ـ ٨١، الروم ـ ٥٣]. قلت: دل إيلاء الفاعل المعنوي حرف النفي على أن الكلام في الفاعل، وذلك أنه تعالى نزله بحرصه على إيمان القوم منزلة من يدعي استقلاله بالهداية. فقال له: أنت لست بمستقل فيه بل: ﴿إنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [الشورى ـ ٥٢]. بإذن الله وتيسيره. اهـ. وحاصله أنه قد ينسب الهداية إليه ﷺ نظراً إلى كونه من أسباب الهداية، ومنه قوله سبحانه: ﴿وإنك لتهدي﴾ [الشورى ـ ٥٢]. وتنفي عنه أخرى نظراً إلى أن حقيقة الهداية راجعة إلى الله تعالى، ومنه قوله سبحانه: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾[2]. فيكون من قبيل قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت﴾[3]. أي ما رميت خلقاً. وحقيقة إذ رميت كسباً، وصورة: ﴿ولكن الله رمى﴾ [الأنفال ـ ١٧]. حيث جعلك قادراً على الرمي وفاعلاً له. والأظهر أن نفي الهداية عنه إنما هو بالنسبة إلى من لم يرد الله هدايته، وإثباتها له فيمن أراده لهذا فلا منافاة. فهو ﷺ مظهر هدايته كما أن إبليس مظهر ضلالته. وإلا فهو سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء. من يضلل الله فلا هادي له ومن يهده[4] فلا مضل له. (رواه البخاري) أي عن عطاء بن يسار.

٥٧٥٣ ـ (وكذا الدارمي عن عطاء عن ابن سلام). وهو صحابي مشهور (نحوه) أي نحو ما رواه البخاري في المعنى مع نوع مخالفة في اللفظ. وقال شارح للمصابيح: وفي سائر نسخ

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ١٣١ وفيه زيادات.
(٢) سورة القصص. آية رقم ٥٦.
(٣) سورة الأنفال. آية رقم ١٧.
(٤) في المخطوطة «يهدي».

الحديث رقم ٥٧٥٣: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ١٦ حديث رقم ٦.

وذكر حديث أبي هريرة: «نحنُ الآخرونَ» في «باب الجمعة».

الفصل الثاني

٥٧٥٤ ـ (١٦) عن خبّابِ بنِ الأرتّ، قال: صلّى بنا رسولُ الله ﷺ صلاةً، فأطالَها. قالوا: يا رسولَ الله! صلّيتَ صلاةً لم تكنْ تُصلّيها، قال: «أجَلْ، إنها صلاةُ رغبةٍ ورهبةٍ، وإني سألتُ اللهَ فيها ثلاثاً، فأعطاني اثنتَينِ ومنعَني واحدةً، سألتُه أن لا يهلكَ أمّتي بسنةٍ فأعطانيها، وسألتُه أن لا يسلّطَ عليهم عدوّاً من غيرِهم

المصابيح رواه عطاء بن سلام، وهو غلط. والصواب رواه عطاء عن ابن سلام، يعني عبد الله ابن سلام. وعطاء هو عطاء بن يسار الراوي عن عبد الله بن عمرو. اهـ. وحاصله أن عطاء بن يسار يروي هذا الحديث من طريق ابن عمرو، كما رواه البخاري. ويرويه أيضاً من طريق ابن سلام كما رواه الدارمي. والمناسب للمصحاح المعبر عنه بالفصل الأول هو رواية البخاري وتأييده برواية الدارمي للالتزام السابق، وبه يحصل نوع اعتراض لصاحب المشكاة على البغوي، مع قطع النظر عن تخطئة سائر نسخ المصابيح. **(وذكر حديث أبي هريرة: نحن الآخرون)** أي السابقون يوم القيامة، الحديث بطوله. **(في باب الجمعة)** لكونه أنسب بذلك الباب باعتبار أواخر الحديث وغالبه فهو من المؤلف اعتذار قولي، واعتراض فعلي.

(الفصل الثاني)

٥٧٥٤ ـ **(عن خباب)** بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الأولى **(ابن الأرت)** بفتح الهمزة والراء وتشديد الفوقية، صحابي مشهور. **(قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة فأطالها)** أي فجعلها طويلة باعتبار أركانها أو بالدعاء فيها **(قالوا: يا رسول الله صليت صلاة)** أي عظيمة **(لم تكن تصليها)** أي عادة **(قال: أجل)** أي نعم **(إنها صلاة رغبة)** أي رجاء **(ورهبة)** أي خوف. قال شارح: أي صلاة فيها رجاء للثواب ورغبة إلى الله وخوف منه تعالى. قلت: الأظهر أن يقال: المراد به أن هذه صلاة جامعة بين قصد رجاء الثواب وخوف العقاب بخلاف سائر الصلوات، إذ قد يغلب فيها أحد الباعثين على أدائها. قالوا: وفي قوله تعالى: **﴿يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾** [السجدة ـ ١٦]. بمعنى أو لمانعة الخلو. ثم لما كان سبب صلاته الدعاء لأمته، وهو كان بين رجاء الإجابة وخوف الرد طولها، ولذا قال: **(وإني سألت الله فيها ثلاثاً)** أي ثلاث مسائل **(فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة)** تصريح بما علم ضمناً **(سألته أن لا يهلك أمتي بسنة)** أي بقحط عام، وفي معناه الوباء. والمقصود أن لا يهلكوا بالاستئصال. **(فأعطانيها. وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم)** وهم الكفار، لأن العدوّ من أنفسهم أهون ولا

الحديث رقم ٥٧٥٤: أخرجه النسائي في السنن ٢١٦/٣ حديث رقم ١٦٣٨. وأخرجه الترمذي في السنن ٤٠٨/٤ حديث رقم ٢١٧٥. وأحمد في المسند ١٠٩/٥.

فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها». رواه الترمذي، والنسائي.

٥٧٥٥ ـ (١٧) وعن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللّهَ عز وجلّ أجاركم منْ ثلاثِ خلالٍ: أنْ لا يدعُوَ عليكم نبيُّكم فتهلكوا جميعاً، وأنْ لا يظهرَ أهلُ الباطلِ على أهلِ الحقِّ، وأنْ لا تجتمعوا على ضلالة».

يحصل به الهلاك الكلي، ولا إعلاء كلمته السفلى. (**فأعطانيها. وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض**) أي حربهم وقتلهم وعذابهم (**فمنعنيها**) أي لما سبق من الحكمة. قال الطيبي [رحمه الله]: هو من قوله تعالى: ﴿**أو يلبسكم شيعاً**﴾. أي يجعل كل فرقة منكم متابعة لإمام وينشب القتال بينكم وتختلطوا وتشتبكوا في ملاحم القتال يضرب بعضكم رقاب بعض ويذيق بعضكم بأس بعض. المعنى يخلطكم فرقاً مختلفين على أهواء شتى. اهـ. وفي المعالم ذكر بإسناده المتصل إلى البخاري مسنداً إلى جابر قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم**﴾. قال: أعوذ بوجهك. ﴿**أو من تحت أرجلكم**﴾. قال: أعوذ بوجهك. ﴿**أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض**﴾ [الأنعام ـ ٦٥]. قال رسول الله ﷺ: هذا أهون، أو هذا أيسر[١]. (**رواه الترمذي والنسائي**).

٥٧٥٥ ـ (**وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجلّ أجاركم**) أي حفظكم وأنقذكم (**من ثلاث خلال**) أي خصال (**أن لا يدعو عليكم نبيكم**) أي يكفر بعضكم قاله ابن الملك. والأظهر أنه لا يدعو عليكم دعاء الاستئصال بالإهلاك (**فتهلكوا جميعاً**) أي كما دعا نوح وموسى ذكره ابن الملك. لكن دعاء موسى كان خاصاً ببعض قومه وهو القبط دون السبط، كما لا يخفى. (**وأن لا يظهر**) أي لا يغلب (**أهل الباطل**) أي وإن كثر أنصاره (**على أهل الحق**) أي وإن قل أعوانه. ومنه قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة**»[٢]. على ما رواه الحاكم عن عمر. وفي رواية ابن ماجه عن أبي هريرة: «**لا يزال طائفة من أمتي قوّامة على أمر الله لا يضرها من خالفها**»[٣]. ولعله مقتبس من قوله تعالى: ﴿**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون**﴾ [التوبة ـ ٣٢]. وفي المصابيح: على الحق. قال شارح له: أي بحيث يمحقه ويطفىء نوره. وإن كانت الرواية على أهل الحق فإنه أراد به الظهور حتى لا يبقى لهم فئة ولا جماعة. قال التوربشتي: يريد أن الباطل وإن كثرت أنصاره فلا يغلب الحق بحيث يمحقه ويطفىء نوره. ولم يكن ذلك بحمد الله مع ما ابتلينا به من الأمر الفادح والمحنة العظمى بتسلط الأعداء علينا. ومع استمرار الباطل فالحق أبلج والشريعة قائمة لم تخمد نارها ولم يندرس منارها. (**وأن لا تجتمعوا على ضلالة**) أي وأن لا تتفقوا على شيء باطل. وهذا يدل

---

(١) معالم التنزيل ٢/ ١٠٤.

الحديث رقم ٥٧٥٥: أخرجه أبو داود ٤/ ٤٥٢ حديث رقم ٤٢٥٣.

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٤٩. (٣) ابن ماجه ١/ ٥ حديث رقم ٧ ـ ولفظه «لا تزال»...

رواه أبو داود.

٥٧٥٦ ـ (١٨) وعن عوفِ بن مالكٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لنْ يجمعَ اللهُ على هذِه الأمّةِ سَيفَينِ: سَيفاً منها وسَيفاً من عدوِّها». رواه أبو داود.

٥٧٥٧ ـ (١٩) وعن العبّاسِ، أنّه جاءَ إلى النبيّ ﷺ فكأنّه سمعَ شيئاً، فقامَ النبيُّ ﷺ على المنبرِ، فقال: «مَن أنا؟» فقالوا: أنتَ رسولُ الله.

على أن إجماع الأمة حجة، وأن ما هو حسن عند الناس فهو حسن عند الله، ويقويه قوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ [النساء ـ ١١٥]. فهذا مأخذ حسن لقولهم: الإجماع حجة. استنبطه الشافعي [رحمه الله] من الكتاب. قال الطيبي: وحرف النفي في القرائن زائد مثل قوله تعالى: ﴿ما منعك ألا تسجد﴾ [الأعراف ـ ١٢]. وفائدته تأكيد معنى الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه. وذلك أن الإجارة إنما تستقيم إذا كانت الخلال مثبتة أو منفية. (رواه أبو داود).

٥٧٥٦ ـ (وعن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: لن يجمع الله على هذه الأمة سيفين سيفاً منها وسيفاً من غيرها) أي بل اختار الله الأيسر منهما وهو السيف منها دون السيف من غيرها على وجه الاستئصال، وإلا فقد يجتمعان في بعض الأحوال. ففيه إشارة إلى بقاء الملة وبشارة في حفظ هذه الأمة إلى يوم القيامة. لما صح في مسلم عن جابر بن سمرة مرفوعاً: «لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة»[1]. وقال القاضي: معناه أن سيوفهم وسيوف أعدائهم لا يجتمعان عليهم فيؤديان إلى استئصالهم، بل إذا جعلوا بأسهم بينهم سلط عليهم العدو فيشغلهم به عن أنفسهم ويكف عنهم بأسهم. وهو من قول الشيخ التوربشتي: وقال الطيبي: الظاهر أن يقال: إنه تعالى وعدني أن لا يجمع على أمتي محاربتين، محاربة بعضهم بعضاً ومحاربة الكفار معهم، بل تكون إحداهما فإذا كانت إحداهما لا يكون الأخرى لأنه موافق للأحاديث السابقة، لأنه ﷺ سأل ربه تعالى أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم يستأصلهم، وسأله أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فأجاب الأول ومنع الثاني؛ ولم يجمع بين المنعين. (رواه أبو داود).

٥٧٥٧ ـ (وعن العباس أنه جاء) أي غضبان (إلى النبي ﷺ فكأنه سمع شيئاً) أي من الطعن في نسبه أو حسبه (فقام النبي ﷺ على المنبر) أي ليكون بيان أمره أظهر على رؤوس المحضر (فقال: من أنا) استفهام تقرير على جهة التبكيت (فقالوا: أنت رسول الله ﷺ) فلما كان قصده ﷺ بيان نسبه وهم عدلوا عن ذلك المعنى، ولم يكن الكلام في ذلك المبنى.

الحديث رقم ٥٧٥٦: أخرجه أبو داود ٤/ ٤٨٥ حديث رقم ٤٣٠١. وأحمد في المسند ٥٧٥٦.

(١) مسلم في صحيحه ٣/ ١٥٢٤ حديث رقم ١٩٢٢.

الحديث رقم ٥٧٥٧: أخرجه الترمذي ٥/ ٥٤٥ حديث رقم ٣٦٠٧ وأحمد في المسند.

فقال: «أنا محمَّدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلبِ، إنَّ اللَّهَ خلقَ الخلقَ فجعلَني في خيرِهم، ثمَّ جعلهم فرقتَيْن، فجعلني في خيرِهم فرقةً، ثمَّ جعلهم قبائلَ فجعلَني في خيرِهم قبيلةً، ثمَّ جعلهم بيوتاً فجعلَني في خيرِهم بيتاً، فأنا خيرُهم نفساً وخيرُهم بيتاً».

(قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب) يعني وهما معروفان عند العارف المنتسب. قال الطيبي: قوله: فكأنه سمع مسبب عن محذوف، أي جاء العباس غضبان بسبب ما سمع طعناً من الكفار في رسول الله ﷺ نحو قوله تعالى: ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف ـ ٣١]. كأنهم حقروا شأنه وأن هذا الأمر العظيم الشأن لا يليق إلا بمن هو عظيم من إحدى القريتين كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي مثلاً فأقرهم ﷺ على سبيل التبكيت، على ما يلزم تعظيمه وتفخيمه. فإنه أولى بهذا الأمر من غيره لأن نسبه أعرف وأرومته أعلى وأشرف. ومن ثم لما قالوا: أنت رسول الله، ردهم بقوله: أنا محمد بن عبد الله. ويعضد هذا التأويل ما روى البخاري عن أبي سفيان أنه حين سأله هرقل عظيم الروم عن نسبه ﷺ فقال: هو فينا ذو نسب. فقال هرقل: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها[1]. ألا ترى كيف جعل النسب ظرفاً لتبعث رأتي بفي، أي في النسب. اهـ. ثم استأنف في بيان ما رزقه الله من طهارة نسبه ونظافة حسبه عموماً وخصوصاً تحدثاً بنعمته وترغيباً لأمته في أمر متابعته. (فقال: إن الله خلق الخلق) أي الجن والإنس وأبعد الطيبي وأدخل الملك معهم لقوله: (فجعلني في خيرهم) وهو الإنس (ثم جعلهم) أي صير هذا الخير بمعنى الخيار أو الأخيار (فرقتين) أي عرباً وعجماً (فجعلني في خيرهم فرقة) وهم العرب (ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة) يعني قريشاً (ثم جعلهم بيوتاً) أي بطوناً (فجعلني في خيرهم بيتاً) يعني بطن بني هاشم (فأنا خيرهم نفساً) أي ذاتاً وحسناً. (وخيرهم بيتاً) أي بطناً ونسباً. وإليه أشار تعالى بقوله: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ [التوبة ـ ١٢٨]. وقوله: ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ [آل عمران ـ ١٦٤]. بفتح الفاء فيهما على قراءة شاذة صحيحة. قال الطيبي: قوله: ثم جعلهم قبائل. بعد قوله: ثم جعلهم فرقتين. إشارة إلى بيان الطبقات الست التي عليها العرب وهي، الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة، والشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الأفخاذ والفخذ يجمع الفصائل. فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة. وسميت الشعوب لأن القبائل تتشعب منها. فقوله: خلق الخلق أي الملائكة والثقلين فجعلني في خيرهم، أي في العرب. وهلم جراً. فأنا بفضل الله ولطفه على ما في سابقة الأزل خير الخلق نفساً حيث خلقني إنساناً رسولاً خاتماً للرسل تمم دائرة الرسل بي وجعلني نقطة تلك الدائرة يطوف جميعهم حولي ويحتاجون إلي، وخيرهم بطناً حيث نقلني من طيب إلى طيب إلى أن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٣١/١ حديث رقم ٧.

رواه الترمذي.

٥٧٥٨ ـ (٢٠) وعن أبي هريرة، قال: قالوا: يا رسولَ الله! متى وجَبَتْ لكَ النبوَّةُ؟ قال: «وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسَدِ». رواه الترمذي.

٥٧٥٩ ـ (٢١) وعن العِرْباضِ بن سارِيةَ، عن رسولِ الله ﷺ، أنّه قال: «إني عندَ اللهِ مكتوبٌ: خاتَمُ النَّبِيِّينَ،

نقلني من صلب عبد الله بالنكاح من أشرف القبائل والبطون فأنا أفضل خلق الله تعالى عليه وأكرمهم لديه. (رواه الترمذي) ولفظ الجامع: إن الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم وخير الفرقتين، ثم خير القبائل فجعلني في خير القبيلة، ثم خير البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً[١].

٥٧٥٨ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة) أي ثبتت (قال: وآدم) أي وجبت لي النبوّة، والحال أن آدم (بين الروح والجسد) يعني وأنه مطروح على الأرض صورة بلا روح. والمعنى أنه قبل تعلق روحه بجسده. قال الطيبي: هو جواب لقولهم: متى وجبت، أي وجبت في هذه الحالة. فعامل الحال وصاحبها محذوفان. (رواه الترمذي) ورواه ابن سعد وأبو نعيم في الحلية عن ميسرة الفخر. وابن سعد عن ابن أبي الجدعاء، والطبراني في الكبير عن ابن عباس بلفظ: كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد. كذا في الجامع[٢]. وقال ابن ربيع: أخرجه أحمد والبخاري في تاريخه وصححه الحاكم[٣]. وروى أبو نعيم في الدلائل وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعاً: كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث[٤]. وأما ما يدور على الألسنة بلفظ: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين. فقال السخاوي: لم أقف عليه بهذا اللفظ، فضلاً عن زيادة: وكنت نبياً ولا ماء ولا طين. وقال الحافظ ابن حجر في بعض أجوبته: إن الزيادة ضعيفة وما قبلها قوي. وقال الزركشي: لا أصل له بهذا اللفظ. ولكن في الترمذي: متى كنت نبياً قال: وآدم بين الروح والجسد. قال السيوطي: وزاد العوام: ولا آدم ولا ماء ولا طين. ولا أصل له أيضاً.

٥٧٥٩ ـ (وعن العرباض بن سارية) بكسر العين صحابي جليل (عن رسول الله ﷺ أنه قال: إني[٥] عند الله مكتوب خاتم النبيين) بفتح التاء وكسرها وهو مرفوع على أنه نائب

---

(١) الجامع الصغير ١/١٠٨ حديث رقم ١٧٣٥.

الحديث رقم ٥٧٥٨: أخرجه الترمذي ٥/٥٤٦ حديث رقم ٣٦٠٩.

(٢) الجامع الصغير ٢/٤٠٠ حديث رقم ٦٤٢٤. (٣) الحاكم في المستدرك ٢/٦٠٩.

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير عن قتادة أخرجه ابن سعد. ٢/٤٠٠ حديث رقم ٦٤٢٣.

الحديث رقم ٥٧٥٩: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/٢٠٧ حديث رقم ٣٦٢٦.

(٥) في المخطوطة «أنا».

وإنَّ آدمَ لمنجدِلٌ في طينتِه، وسأخبرُكم بأوَّلِ أمري، دعوةُ إبراهيمَ، وبشارةُ عيسى، ورؤيا أُمي التي رأتْ حينَ وضعَتْني وقدْ خرجَ لها نورٌ أضاء لها منه قصور الشام». رواه في «شرح السنَّة».

٥٧٦٠ - (٢٢) ورواه أحمدُ، عن أبي أُمامةَ من قوله: «سأخبرُكم» إلى آخره.

٥٧٦١ - (٢٣) وعن أبي سعيدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا سيِّدُ وُلْدِ آدمَ يومَ

الفاعل. وقيل: منصوب على التمييز، أي مكتوب من هذه الحيثية. (**وإن آدم لمنجدل**) من الجدل وهو الالقاء على الأرض الصلبة، أي والحال إنه لساقط وملقى. (**في طينته**) أي خلقته، وهو خبر ثان لأن الجملة حال من ضمير مكتوب، أي كتبت خاتم الأنبياء في الحال التي آدم مطروح على الأرض حاصل في أثناء خلقته لما يفرغ من تصويره وتعلق الروح به، كذا ذكره الشراح. (**وسأخبركم بأوّل أمري**) قيل: أي بأول ما ظهر من نبوّتي ورفعتي في الدنيا على لسان أبي الملة إبراهيم عليه السلام. وقوله: (**دعوة إبراهيم**) بالرفع، أي هو دعوة إبراهيم حين بنى الكعبة، فقال: ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم**﴾ [البقرة - ١٢٩]. فاستجاب الله دعاءه. وفي نسخة بالجر على البدلية مما قبله. وكذا قوله: (**وبشارة عيسى**) يعني قوله: ﴿**ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**﴾ [الصف - ٦]. (**ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني**) قال الطيبي وقوله وغيره: يحتمل أن يراد منها الرؤية في المنام وفي اليقظة. فعلى الأول معنى وضعت أي شارفت وقربت من الوضع، وذلك لما روى ابن الجوزي في كتاب الوفاء أن أمه ﷺ رأت حين دنت ولادتها أتاها آت فقال: قولي أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، بعد أن رأت حين حملت به أن آتيا أتاها وقال: هل شعرت أنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها. وعلى الثاني يكون المرئي محذوفاً وهو ما دل عليه قوله: (**وقد خرج**) أي ظهر (**لها**) أي لأمي (**نور أضاء**) أي تبين لها (**منه**) أي من ذلك النور (**قصور الشام**) وذلك النور عبارة عن ظهور نبوته ما بين المشرق والمغرب، واضمحل بها ظلمة الكفر والضلالة. وفي نسخة بنصب قصور، وهو لا يخلو عن قصور لوجود منه، وإلا فأضاء جاء لازماً وقاصراً. (**رواه**) أي البغوي الحديث بكماله (**في شرح السنة**) أي بإسناده عن العرباض.

٥٧٦٠ - (**ورواه أحمد عن أبي أمامة من قوله: سأخبركم**) الخ قلت: وفي صحيح ابن حبان والحاكم عن العرباض: إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته. وروى ابن عساكر عن عبادة بن الصامت ولفظه: أنا دعوة إبراهيم وكان آخر من بشر بن عيسى ابن مريم.

٥٧٦١ - (**وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم ولا**

الحديث رقم ٥٧٦٠: أخرجه أحمد في المسند ٤/ ١٢٧.

الحديث رقم ٥٧٦١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٤٨ حديث رقم ٣٦١٥. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٤٤٠ حديث رقم ٤٣٠٨. وأحمد في المسند ٣/ ٢.

القيامةِ ولا فخر، وبِيَدي لواءُ الحمدِ

فخر) أي ولا أقوله تفاخراً، بل اعتداداً بفضله وتحدثاً بنعمته وتبليغاً لما أمرت به. وقيل: لا أفتخر بذلك، بل فخري بمن أعطاني هذه المرتبة. أقول: ويمكن أن يكون المعنى ولا فخر لي بهذه السيادة، بل أفتخر بالعبودية له والعبادة، فإنه يوجب الحسنى والزيادة. قال الطيبي: قوله: ولا فخر، حال مؤكدة، أي أقول هذا ولا فخر. قال التوربشتي: الفخر ادعاء العظمة والمباهاة بالأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه. قال النووي: فيه وجهان أحدهما قاله امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ [الضحى ـ ١١]. وثانيهما أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه في توقيره ﷺ، كما أمرهم الله تعالى به. قال الراغب: فإن قلت: كيف استحسن مدح الإنسان نفسه وقد علم في الشاهد استقباحه، حتى قيل للحكيم: ما الذي لا يحسن وإن كان حقاً. قال: مدح الرجل نفسه. قلنا: قد يحسن ذلك عند تنبيه المخاطب على ما خفي عليه من حاله، كقول المعلم للمتعلم: اسمع مني فإنك لا تجد مثلي. وعلى ذلك قول يوسف عليه السلام: ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ [يوسف ـ ٥٥]. وسئل بعض المحققين عن شيء لم يقبح إطلاقه في الله تعالى، مع ورود الشرع فأنشد:

ويقبح من سواك الشيء عندي * وتفعله فيحسن منك ذاكا

قال الشيخ أبو حامد في الإحياء: قال عمر رضي الله عنه: المدح هو الذبح. وذلك لأن المذبوح هو الذي يفتر عن [عن] العمل، فكذلك الممدوح. لأن المدح يوجب الفتور ويورث الكبر والعجب. وهو لذلك مهلك كالذبح. فإن سلم المدح عن هذه الآفات لم يكن به بأس، بل ربما كان مندوباً إليه. ولذلك أثنى رسول الله ﷺ على الصحابة، وكانوا أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبراً أو عجباً، بل يزيدهم جداً يبعثهم أن يزيدوا فيما يستوجبون الحمد من مكارم الأخلاق. قلت: ونظيره العالم أو الشيخ إذا أثنى عليه تلميذه أو مريده القابل العاقل بمحضر جماعة، فإنه لا شك أن يكون سبباً لزيادة رغبتهما في المجاهدة وتحصيل أعلى مراتب العلم والعبادة. نعم يقع نادراً ممن يكون فيه البلادة حيث يحصل له الفتور المؤدي إلى مقام القصور فيتوقف عن طلب الزيادة، فنعوذ بالله من الحور بعد الكور والنقصان بعد الزيادة. وقد قيل: من لم يكن في زيادة فهو في نقصان. ومن استوى يوماه فهو مغبون زمان. ففي الحديث: منهومان لا يشبعان. وقال تعالى: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ [طه ـ ١١٤]. وفي النهاية: قاله ﷺ اخباراً عما أكرمه الله تعالى من الفضل والسؤدد وتحدثاً بنعمة الله تعالى عنده وإعلاماً منه ليكون إيمانهم به على حسبه وموجبه، ولهذا أتبعه بقوله: (ولا فخر) أي أن هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله تعالى، لم أنلها من قبل نفسي ولا نلتها بقوتي، فليس لي أن أفتخر بها. (وبيدي) أي بتصرفي وعندي يوم القيامة في المقام المحمود. (لواء الحمد) اللواء بالكسر والمد العلم، وفي العرصات مقامات لأهل الخير والشر ينصب في كل مقام، لكل متبوع لواء يعرف به قدوة حق كان أو أسوة [باطل]، وأعلى تلك المقامات مقام الحمد. ففي النهاية. اللواء الراية، ولا يمسكها إلا صاحب الجيش. يريد به انفراده بالحمد يوم القيامة وشهرته على رؤوس الخلائق.

ولا فخر. وما من نبيٍ يومئذٍ آدمُ فمن سواهُ إلا تحت لوائي، وأنا أوّلُ مَن تنشقُّ عنه الأرضُ ولا فخر». رواه الترمذي.

٥٧٦٢ ـ (٢٤) وعن ابن عبّاسٍ، قال: جلس ناسٌ من أصحاب رسولِ اللّٰهِ، فخرج، حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، قال بعضهم: إنَّ الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وقال آخر: موسى كلمه الله تكليماً، وقال آخر: فعيسى

[فوضع اللواء موضع الشهرة. قال الطيبي: فعلى هذا لواء الحمد عبارة عن الشهرة وانفراده بالحمد على رؤوس الخلائق]، ويحتمل أن يكون لحمده لواء يوم القيامة حقيقة يسمى لواء الحمد، وعليه كلام الشيخ التوربشتي حيث قال: لا مقام من مقامات عباد الله الصالحين أرفع وأعلى من مقام الحمد، ودونه ينتهي سائر المقامات. ولما كان نبينا سيد المرسلين أحمد الخلائق في الدنيا والآخرة، أعطي لواء الحمد ليأوي إلى لوائه الأولون والآخرون. وإليه الإشارة بقوله ﷺ: آدم ومن دونه تحت لوائي. ولهذا المعنى افتتح كتابه بالحمد واشتق اسمه من الحمد، فقيل محمد وأحمد. وأقيم يوم القيامة المقام المحمود. ويفتح عليه في ذلك المقام من المحامد ما لم يفتح على أحد قبله ولا يفتح على أحد بعده، وأمدّ أمته ببركته من الفضل الذي آتاه، فنعت أمته في الكتب المنزلة قبله بهذا النعت فقال: أمته الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء لله الحمد أولاً وآخراً ولا فخر. فإن مرتبة القرب المرتب عليه اللقاء الناشىء عن مقام الرضا والفناء بالبقاء أعلى من ذلك، لخلوص التوجه إلى المولى ونسيان ما سواه من الورى. **(وما من نبي يومئذ آدم)** بالرفع، وقيل بالخفض على أنه بيان أو بدل من محل من نبي، أو من لفظ نبي. وعطف عليه قوله: **(فمن سواه إلا تحت لوائي)** قال الطيبي: نبي نكرة وقعت في سياق النفي وأدخل عليه من الاستغراقية، فيفيد استغراق الجنس. وقوله: آدم فمن، إما بيان أو بدل من محله، ومن فيه موصولة، وسواه صلته. وصح لأنه ظرف وأوثر الفاء التفصيلية في[1]: فمن سواه، على الواو للترتيب، على منوال قولهم: الأمثل فالأمثل. **(وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر. رواه الترمذي)** وزاد في الجامع: وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر. رواه أحمد والترمذي وابن ماجه[2].

٥٧٦٢ ـ **(وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم)** حال من الضمير في دنا، وقد مقدرة. وقوله: **(يتذاكرون)** حال من الضمير المنصوب في سمعهم، كذا ذكره الطيبي. والظاهر أن قوله سمعهم جواب إذا، وقوله: قال بعضهم، إما استئناف بيان للتذاكر أو حال بتقدير قد، أو بدونه. **(إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً. وقال آخر: موسى كلمة الله تكليماً. وقال آخر: فعيسى)** أي إذا كان الكلام في

---

(١) في المخطوطة «فهي».

(٢) الجامع الصغير ١/١٦١ حديث رقم ٢٦٩٣.

الحديث رقم ٥٧٦٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٥٤٨ حديث رقم ٣٦١٦ والدارمي في السنن ١/٣٩ حديث رقم ٤٧.

كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقال: «قد سمعت كلامكم وعجبكم، إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجيُّ الله وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر،

التفاضل فعيسى. (**كلمة الله وروحه**) أي شرف بإضافتهما إليه. قال الطيبي: الفاء في قوله: فعيسى جواب شرط محذوف، أي إذا ذكرتم الخليل فاذكروا عيسى كقوله تعالى: ﴿**فلم تقتلوهم**﴾ [الأنفال: ١٧]. أي إذا افتخرتم بقتلهم فإنكم لم تقتلوهم. (**وقال آخر: آدم اصطفاه الله**) أي بتعليم الأسماء وبإسجاد ملائكة السماء. (**فخرج عليهم رسول الله ﷺ**) كرره ليتبط به غير ما أناط به أولاً، أو يكون خرج أوّلاً من مكان وثانياً منه إلى آخر. (**وقال: قد سمعت كلامكم وعجبكم**) بفتحتين أي وفهمت تعجبكم، فهو من باب قلدت سيفاً ورمحاً. (**إن إبراهيم خليل الله**) بفتح الهمزة على أنه بدل مما قبله أو مفعول له، وفي نسخة بالكسر استئنافاً. (**وهو كذلك**) أي كون إبراهيم خليل الله حق وصدق. (**وموسى نجي الله**) فعيل من النجوى بمعنى الفاعل أو المفعول، أي كليم الله. (**وهو كذلك. وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك. وآدم اصطفاه الله وهو كذلك: ألا**) للتنبيه جيء به للتأكيد بين [المعطوف] والمعطوف عليه، حيث قال: (**وأنا حبيب الله**) أي محبه ومحبوبه (**ولا فخر**) قال الطيبي: قرر أوّلاً ما ذكروا من فضائلهم بقوله: وهو كذلك. ثم نبه على أنه أفضلهم وأكملهم وجامع لما كان متفرقاً فيهم، [فالحبيب خليل ومكلم ومشرف. اهـ]. واعلم أن الفرق بين الخليل والحبيب، أن الخليل من الخلة أي الحاجة، فإبراهيم عليه السلام كان افتقاره إلى الله تعالى فمن هذا الوجه اتخذه خليلاً. والحبيب فعيل بمعنى الفاعل والمفعول، فهو ﷺ محب ومحبوب والخليل محب لحاجته إلى من يحبه، والحبيب محب لا لغرض. وحاصله أن الخيل في منزلة المريد السالك الطالب، والحبيب في منزلة المراد المجذوب المطلوب. ﴿**الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب**﴾ [الشورى ـ ١٣]. ولذا قيل: الخليل يكون فعله برضا الله تعالى، والحبيب يكون فعل الله برضاه. قال تعالى: ﴿**فلنولينك قبلة ترضاها**﴾ [البقرة ـ ١٤٤]. ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾ [الضحى ـ ٥]. وقيل: الخليل مغفرته في حد الطمع، كما قال إبراهيم: ﴿**والذي أطمع أن يغفر لي**﴾ [الشعراء ـ ٨٢]. والحبيب مغفرته في مرتبة اليقين، كما قال تعالى: ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ [الفتح ـ ٢]. والخليل قال: ﴿**ولا تخزني يوم يبعثون**﴾[1]. والحبيب قال تعالى في حقه: ﴿**يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه**﴾[2]. والخليل قال: ﴿**واجعل لي لسان صدق في الآخرين**﴾ [الشعراء ـ ٨٤]. وقال للحبيب: ﴿**ورفعنا لك ذكرك**﴾ [الشرح ـ ٤]. والخليل قال: ﴿**واجعلني من ورثة جنة النعيم**﴾ [الشعراء ـ ٨٥]. والحبيب قال: ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ [الكوثر ـ ١]. والأظهر في الاستدلال على أن مرتبة محبوبيته في درجة الكمال قول ذي الجلال والجمال: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله**

---

(١) سورة الشعراء. آية رقم ٨٧.

(٢) سورة التحريم. آية رقم ٨.

وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة، تحته آدم فمن دونه ولا فخر، وأنا أوّل شافع وأوّل مشفَّع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوّل من يحرك حلق الجنّة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرمُ الأولين والآخرين على الله ولا فخر» رواه الترمذي، والدارمي.

٥٧٦٣ ـ **(٢٥)** وعن عمرو بن قيس، أنّ رسول الله ﷺ قال: «نحن الآخرون، ونحن

فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [آل عمران ـ ٣١]. **(وأنا حامل لواء الحمد)** بالإضافة **(يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر. وأنا أول شافع وأول مشفع)** أي مقبول الشفاعة **(يوم القيامة ولا فخر. وأنا أول من يحرك حلق الجنة)** بفتح الحاء ويكسر جمع حلقة، وهي هنا حلقة باب الجنة. ففي القاموس: حلقة الباب والقوم، وقد يفتح لامها ويكسر، إذ[1] ليس في الكلام حلقة محركة إلا جمع حالق أو لغة ضعيفة. والجمع حلق محركة وكبدر. **(فيفتح الله لي)** أي بابها **(فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين)** أي من[2] المهاجرين والأنصار وغيرهم على مراتبهم في السبق، كما سبق: إنه يدخل فقراء أمتي قبل أغنيائهم بخمسمائة عام. وهذا دليل واضح على أن الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر. قال الطيبي: هذا دليل على فضلهم وكرامتهم على الله تعالى، لأنهم استحقوا محبة الله تعالى بمتابعة حبيبه واتصافهم [بصفته] وليس الفقر عند الصوفية الفاقة والحاجة بل الفقر عندهم الحاجة إليه تعالى لا إلى غيره والاستغناء به لا عنه بغيره. قال الثوري: نعت الفقير: السكون عند العدم، والبذل عند الوجود. وقيل لسهل بن عبد الله: أليس النبي ﷺ استعاذ من الفقر، فقال: إنما استعاذ من فقر النفس، الذي مدح النبي ﷺ الغنى في ضده فقال: الغنى غنى النفس. فكذلك الفقر المذموم فقر النفس، وهو الذي استعاذ منه ﷺ. أقول: المذموم من الفقر والغنى هو الذي يشغل السالك عن المولى، غايته أن حالة الفقر أسلم من العوائق. ولذا اختاره سبحانه لأكثر أنبيائه وأوليائه من بين الخلائق، حتى قال حجة الإسلام: إن الكافر الفقير عذابه أخف من الكافر الغني، فإذا كان الفقر ينفع الكافر في النار فكيف لا ينفع المؤمن في دار القرار. ولذا قال ﷺ: «أجوعكم في الدنيا أشبعكم في الآخرة ولا فخر». **(وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر)** وهذا فذلكة الكل. **(رواه الترمذي والدارمي)**.

٥٧٦٣ ـ **(وعن عمرو بن قيس)** قال المؤلف: وقيل: هو عبد الله بن عمرو القرشي العامري الأعمى، وهو ابن أم مكتوم، واسم أم مكتوم عاتكة[3] وهي خالة خديجة بنت خويلد. أسلم قديماً بمكة وكان من المهاجرين الأولين [مع] مصعب بن عمير[4]؛ استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة مرات، آخرها حجة الوداع. مات بالمدينة، وقيل استشهد بالقادسية. **(أن رسول الله ﷺ قال: نحن الآخرون)** يعني في المجيء إلى الدنيا **([ونحن]**

---

(١) في المخطوطة «أو». (٢) في المخطوطة «في».

الحديث رقم ٥٧٦٣: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ٤٢ حديث رقم ٥٤. وأحمد في المسند ٢/ ٢٤٣.

(٣) في المخطوطة «وهو ابن» وهذا خطأ واضح.

(٤) في المخطوطة «عمرو».

السابقون يوم القيامة، وإني قائل قولاً غير فخر: إبراهيمُ خليل الله، وموسى صفيُّ الله، وأنا حبيب الله، ومعي لواء الحمد يوم القيامة، وإنَّ الله وعدني في أمتي، وأجارهم من ثلاث: لا يعمهم بسنةٍ، ولا يستأصلهم عدو، ولا يجمعهم على ضلالة» رواه الدارمي.

٥٧٦٤ ـ (٢٦) وعن جابرٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أنا قائدُ المرسلينَ ولا فخر، وأنا خاتمُ النَّبيينَ ولا فخر، وأنا أوَّلُ شافعٍ ومشفَّعٍ ولا فخر». رواه الدارميُّ.

٥٧٦٥ ـ (٢٧) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أوَّلُ النَّاسِ خروجاً إذا بُعثوا، وأنا قائدُهم إذا وفَدوا، وأنا خطيبُهم إذا أنصَتوا، وأنا مُستشفعهم

السابقون) أي في دخول الجنة وغير ذلك من الفضائل. **(يوم القيامة)** أي في دار العقبى **(وإني قائل قولاً غير فخر)** أي غير مفتخر فيه، بل المقصود منه بيان الواقع. **(إبراهيم خليل الله وموسى صفي الله)** أي مختاره لكلامه **(وأنا حبيب الله)** أي جامع بين نسبتي المحبة والمحبوبية في الدنيا. **(ومعي لواء الحمد)** أي الدال على كوني أحمد ومحمداً. **(يوم القيامة)** أي في المقام المحمود **(وإن الله وعدني)** أي خيراً كثيراً **(في أمتي)** أي في حقهم وشأنهم. **(وأجارهم)** أي أنقذهم وأعاذهم **(من ثلاث)** أي خصال **(لا يعمهم)** أي الله **(بسنة)** أي بقحط ووباء مستأصل لهم. **(ولا يستأصلهم)** أي ولا يأخذ أصلهم ولا يهلكهم بالكلية **(عدو)** أي لله، [أو] لهم من الكفار. **(ولا يجمعهم على ضلالة)** ولعله سبحانه لم يجمعهم على هداية لقوله تعالى: **﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك﴾** [هود ـ ١١٨]. وكان هذا مأخذ من قال: اختلاف الأمة رحمة. **(رواه الدارمي)**.

٥٧٦٤ ـ **(وعن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: أنا قائد المرسلين)** أي مقدمهم في الآخرة **(ولا فخر. وأنا خاتم النبيين)** أي في الدنيا **(ولا فخر)** وعدل عن المرسلين إلى النبيين لأنهم أعم، فتكون نسبة الخاتمية أتم. **(وأنا أول شافع ومشفع)** أي وأول مشفع، كما في رواية. **(ولا فخر. رواه الدارمي)**.

٥٧٦٥ ـ **(وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا)** أي من قبورهم **(وأنا قائدهم)** أي متبوعهم **(إذا وفدوا)** أي إذا قدموا (على الله) والوفد، جماعة يأتون الملك لحاجة **(وأنا خطيبهم)** أي المتكلم عنهم **(إذا أنصتوا)** أي إذا سكتوا عن الاعتذار متحيرين فأعتذر عنهم عند ربهم د فيكون لي قدرة على الكلام في ذلك المقام دون سائر الأنام. فأطلق اللسان بالثناء على الله تعالى بما هو أهله، ولم يؤذن لأحد حينئذ في التكلم غيري. فهو مخصوص من قوله سبحانه: **﴿هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾** [المرسلات ـ ٣٥ ـ ٣٦]. أو محمول على أول الأمر، أو مختص بالكفار. **(وأنا مستشفعهم)** بفتح الفاء على بناء

الحديث رقم ٥٧٦٤: أخرجه الدارمي ١/٤٠ حديث رقم ٤٩.

الحديث رقم ٥٧٦٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٥٤٦ حديث ٣٦١٠. والدارمي ١/٣٩ حديث رقم ٤٨.

إذا حُبِسوا، وأنا مُبَشِّرُهم إذا أيسوا الكرامةُ، والمفاتيحُ يومئذٍ بيدي، ولواءُ الحمدِ يومئذٍ بِيَدي، وأنا أكرمُ وُلِدِ آدمَ على ربِّي، يطوفُ عليَّ ألفُ خادمٍ كأنهنَّ بَيْضٌ مكنونٌ، أو لؤلؤٌ منثورٌ». رواه الترمذي، والدارمي، وقال الترمذيُّ: هذا حديثٌ غريبٌ.

٥٧٦٦ ـ (٢٨) وعن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ، قال: «فأُكسى

المفعول، من قولهم: استشفعت زيداً إلى فلان، أي سألته أن يشفع إليه. فزيد مستشفع بالفتح وفلان مستشفع إليه. وفي بعض النسخ بكسر الفاء على بناء الفاعل، أي أسأل الله أن أكون شفيعاً لهم. (إذا حبسوا) أي في الموقف ولم يحاسبوا. **(وأنا مبشرهم)** أي المؤمنين بالرحمة والمغفرة والمغفرة. (إذا أيسوا) أي إذا غلب عليهم اليأس من روح الله لغلبة الخوف. ففي الكلام نوع من الاستخدام. **(الكرامة)** بالرفع على ما في النسخ المصححة، فهو مبتدأ. **(والمفاتيح)** عطف عليه، وقوله: **(يومئذ)** ظرف، والخبر **(بيدي)**. وهو بصيغة الإفراد، أي أمر الكرامة بأنواع الشفاعة ومفاتيح كل خير يوم القيامة بتصرفي. وفي نسخة بتشديد الياء على التثنية للمبالغة، أو للتوزيع والتنويع. وذلك لأنه يصل أنواع اللطف من الله تبارك وتعالى لأهل العرصات من الأنبياء وغيرهم، بواسطة شفاعته العامة في المقام المحمود تحت اللواء الممدود عند الحوض المورود. وفي نسخة بنصب الكرامة على أنه مفعول أيسوا، وبيدي خبر المفاتيح فقط. أي إذا قنطوا من حصول الكرامة ووقعوا في وصول [الندامة]. **(ولواء الحمد يومئذ بيدي)** بسكون الياء. **(وأنا أكرم ولد آدم على ربي)** وسبق أنه أكرم الأولين والآخرين على الله. **(يطوف علي)** أي يدور حولي **(ألف خادم كأنهم بيض مكنون)** أي مصون عن الغبار. قيل: شبههم ببيض النعام في الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة، فإنه أحسن ألوان الأبدان. قلت: هذا عند بعض أولاد العرب بخلاف طباع أهل الشام وحلب وطائفة الأعجام وجماعة الأروام. فإن الأحسن عندهم هو البياض المشوب بحمرة، على ما ورد في شمائله ﷺ وفي مدح الحور العين: **﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾** [الرحمٰن ـ ٥٨]. حيث فسر المرجان باللؤلؤ. ويدل عليه قوله: **(أو لؤلؤ منثور)** على أن أو للتخيير في التشبيه. وإنما قيده بالمنثور لأنه أظهر في النظر من المنظوم، مع أن النثر يناسب تفرق الخدم. ويحتمل أن تكون أو للتنويع. وقال شارح: قوله: بيض مكنون، أي لؤلؤ مستور في صدفه لم تمسه الأيدي، أو لؤلؤ منثوراً، أو لشك الراوي. **(رواه الترمذي والدارمي وقال الترمذي: هذا حديث غريب)** ولفظ الترمذي على ما في الجامع: أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا. لواء الحمد يومئذ بيدي. وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر[1].

٥٧٦٦ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: فأكسى)** صدر الحديث على

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٦١ حديث رقم ٢٦٨٩.

الحديث رقم ٥٧٦٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٤٦ حديث رقم ٣٦١١.

حُلّةً من حُلَلِ الجنّةِ، ثمّ أقومُ عن يمينِ العرشِ ليسَ أحدٌ من الخلائقِ يقومُ ذلكَ المقامَ غيري». رواه الترمذيُّ. وفي رواية «جامع الأصول» عنه: «أنا أوّلُ من تنشقّ عنه الأرض فأكسى».

٥٧٦٧ ـ (٢٩) وعنه، عن النبي ﷺ قال: «سلوا الله لي الوسيلةَ» قالوا: يا رسول الله! وما الوسيلةُ؟ قال: «أعلى درجةٍ في الجنّة لا ينالها إلا رجلٌ واحدٌ وأرجو أن أكون أنا هو». رواه الترمذي.

٥٧٦٨ ـ (٣٠) وعن أبيّ بن كعب، عن النبي ﷺ قال: «إذا كانَ يوم القيامةِ كنتُ إمامَ

ما في الجامع وغيره: «وأنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى»[1]. والمعنى: فأبعث فأكسى. (**حلة من حلل الجنة. ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري. رواه الترمذي. وفي رواية جامع الأصول:**) أي عن أبي هريرة (**أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى**) أي إلى آخر الحديث. فاختصاره من صاحب المصابيح مخل بالرواية والدراية.

٥٧٦٧ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (**عن النبي ﷺ قال: سلوا الله لي الوسيلة**) هي المذكورة في دعاء الأذان: آت محمداً الوسيلة. فيحتمل الإطلاق والتقييد بوقت المسألة. وفي النهاية: هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به. قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**﴾ [المائدة ـ ٣٥]. قال الطيبي: وإنما طلب عليه السلام من أمته الدعاء له بطلب الوسيلة افتقاراً إلى الله تعالى وهضماً لنفسه، أو لينتفع أمته ويثاب عليه، أو يكون إرشاداً لهم في أن يطلب كل منهم من صاحبه الدعاء له. (**قالوا: يا رسول الله وما الوسيلة**) أي المطلوبة المسؤولة. قال الطيبي: عطف على مقدر، أي نفعل ذلك وما الوسيلة. اهـ. والأظهر أن يقال: أمرتنا بسؤال الوسيلة وما الوسيلة. مع أنه قد يقال لهذه الواو أنها للربط بين الكلام. (**قال: أعلى درجة في الجنة لا ينالها**) أي لا يدرك تلك الدرجة العالية (**إلا رجل واحد**) أبهمه تواضعاً (**أرجو**) وفي نسخة: وأرجو. (**أن أكون أنا هو**) وضع الضمير المرفوع، أعني هو موضع المنصوب، أعني إياه. (**رواه الترمذي**) ولفظ الجامع: سلوا الله لي الوسيلة أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل وأرجو أن أكون أنا هو[2]. ورواه ابن أبي شيبة والطبراني في الأوسط عن ابن عباس: سلوا الله لي الوسيلة فإنها لا يسألها عبد في الدنيا إلا كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة[3].

٥٧٦٨ ـ (**وعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة كنت إمام**

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٦٠ حديث رقم ٢٦٩٠.

الحديث رقم ٥٧٦٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٤٦ حديث رقم ٣٦١٢. وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٥.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٢٨٩ حديث رقم ٥٧٠٣.

(٣) الجامع الصغير ٢/ ٢٨٩ حديث رقم ٤٧٠٤.

الحديث رقم ٥٧٦٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٤٧ حديث رقم ٣٦١٢. وأحمد في المسند ٥/ ١٣٧.

النبيين، وخطيبَهم، وصاحبَ شفاعتهم غيرَ فخر». رواه الترمذي.

٥٧٦٩ ـ (٣١) وعن عبدِ الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لكلِّ نبيٍّ ولاةً من النبيين، وإنَّ وَليِّي أبي وخليل ربِّي. ثم قرأ: **﴿إن أولى الناسِ بإبراهيم للَّذين اتَّبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين﴾**.

النبيين) بكسر الهمزة في نسخ المشكاة. وقال التوربشتي: إنه بكسرها والذي يفتحها وينصبها على الظرف لم يصب ذكره الطيبي. وقال شارح: فتحها ليس بصواب. وقال ابن الملك: الفتح غلط. أقول: إن كان بحسب الرواية فلا مجال، وإن كان من حيث الدراية فله وجه لا محالة. وهو أنه يريد به مقدمهم كما تقدم من قوله: وأنا قائدهم إذا وفدوا. بل لا يظهر لإمامتهم حينئذ، إلا هذا المعنى. **(وخطيبهم)** أي إذا أنصتوا كما سبق **(وصاحب شفاعتهم)** أي في المقام المحمود **(غير فخر)** أي غير مفتخر، أو من غير فخر. **(رواه الترمذي)** وكذا أحمد وابن ماجه والحاكم في مستدركه.

٥٧٦٩ ـ **(وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن لكل نبي ولاة)** بضم الواو جمع ولي **(من النبيين)** قال التوربشتي: أي أحباء وقرناء هم أولى به من غيرهم. **(وإن وليي أبي)** يعني به إبراهيم عليه السلام، وقد بينه بقوله: **(وخليل ربي)** خبر بعد خبر لأن. **(ثم قرأ:)** أي استشهاداً (**﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه﴾**) أي في زمانه وما بعده. إذ كل من جاء من بعده من الأنبياء هو من أولاده وأتباعه في أصل التوحيد وتجريد التوكل وتفويض التفريد. (**﴿وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾**)[١] أي خصوصاً وعموماً. قال التوربشتي: وفي كتاب المصابيح: وإن وليي ربي. وهو غلط. ولعل الذي حرف هذا دخل عليه الداخل من قوله سبحانه: **﴿إن وليي الله الذي نزل الكتاب﴾** [الأعراف ـ ١٩٦]. والرواية على ما ذكرنا هو الصواب. قال المظهر: لو كان كما ذكره التوربشتي لكان قياس التركيب أن يكون وليي أبي خليل ربي من غير واو العطف الموجب للمغايرة، وبإضافة الخليل إلى ربي ليكون عطف بيان لأبي. أقول: لو كان على خلاف قول الشيخ لكان حق العبارة إضافة الخليل إلى ضمير ربي. قال الطيبي: والرواية المعتبرة كما ذكره الشيخ في جامع الترمذي وجامع الأصول وكذا في مسند الإمام أحمد بن حنبل. وأيضاً لو ذهب إلى أن خليل ربي عطف بيان بلا واو، لزم خمول كون إبراهيم عليه الصلاة والسلام أبا النبي ووليه، فأنى به بياناً. وإذا جعل معطوفاً عليه لزم شهرته به، والعطف يكون لإثبات وصف آخر له عليه السلام على سبيل المدح. فعلى ما عليه الرواية يلزم مدحه مرتين بخلاف ذلك. أقول: والأظهر أن يقال: إن العطف لتغاير الوصفين كما في قوله تعالى: **﴿تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾** [الحجر ـ ١]. فإن قلت: لزم من قوله: لكل نبي ولاة. أن يكون لكل واحد منهم أولياء

الحديث رقم ٥٧٦٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٢٠٨ حديث رقم ٢٩٩٥. وأحمد في المسند ١/٤٠١.

(١) سورة آل عمران. الآية رقم ٦٨.

رواه الترمذي.

٥٧٧٠ ـ (٣٢) وعن جابر، أن النبي ﷺ قال: «إن الله بعثني لِتمام مكارم الأخلاق، وكمال محاسن الأفعال». رواه في «شرح السنة».

متعددة. قلت: لا لأن النكرة إذا وقعت في مكان الجمع أفادت الاستغراق، أي أن لكل نبي واحد واحد، واحداً واحداً. كقوله تعالى: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ [لقمان ـ ٢٧]. قلت: وفي تنظيره نظر ظاهر، إذ لا محذور في كون كل شجرة لها أقلام، بل هو الظاهر المطلوب في مقام المبالغة(١)، بأن يكون أغصان كل شجرة أقلاماً. (رواه الترمذي) وكذا أحمد، وهو كذا في الجامع الصغير بدون قوله: ثم قرأ الخ.

٥٧٧٠ ـ (وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق) جمع مكرمة، خصلة يستحق الشخص بها أن يكون كريماً. والمراد من الأخلاق الأحوال. ولذا قوبل بقوله: (وكمال محاسن الأفعال) للأمور الظاهرة من العبادات والأقوال. والمحاسن جمع حسن على خلاف القياس. وحاصله أن شريعته أفضل الأفعال وطريقته أكمل الأحوال. قال ابن الملك: أي أرسلني إلى العالم ليتمم بوجودي مكارم أخلاق عباده وليكمل محاسن أفعالهم. قال الطيبي: الإضافة فيهما من باب إضافة الصفة إلى الموصوف قال الراغب: كل شيء يشرف في بابه فإنه يوصف بالكرم قال تعالى: ﴿فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ [لقمان ـ ١٠]. ﴿ومقام كريم﴾ [الشعراء ـ ٥٨، الدخان ـ ٢٦]. ﴿إنه لقرآن كريم﴾ [الواقعة ـ ٧٧]. وإذا وصف الله تعالى به فهو اسم لإحسانه وأنعامه المتظاهرة، وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه. ولا يقال: هو كريم، حتى يظهر ذلك منه. اهـ. وكلامه ينظر إلى أن العطف للتأكيد، وما قدمناه أولى لكونه من التأسيس والتقييد للتأبيد. قال الطيبي: ومعنى هذا الحديث وحديث أبي هريرة: مثلي ومثل الأنبياء، إلى قوله: أنا سددت موضع اللبنة. يلتقيان في معنى إتمام الناقص. اهـ. والذي تقدم في المعنى أتم والله أعلم. (رواه) أي البغوي (في شرح السنة بإسناده) ورواه ابن سعد والبخاري في الأدب المفرد. والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة: إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق(٢). وروى الحكيم والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها: مكارم الأخلاق عشرة. تكون في الرجل ولا تكون في ابنه، وتكون في الابن ولا تكون في الأب، وتكون في العبد ولا تكون في سيده. يقسمها الله لمن أراد به السعادة: صدق الحديث وصدق اليأس وإعطاء السائل والمكافاة بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتذمم للجار والتذمم للصاحب واقراء الضيف ورأسهن الحياء(٣). والتذمم أن يرعى

---

(١) في المخطوطة «البلاغة».

الحديث رقم ٥٧٧٠: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ٢٠٢ حديث رقم ٣٦٢٢.

(٢) الحاكم في المستدرك ٢/ ٦١٣.

(٣) البيهقي في شعب الإيمان. والترمذي الحكيم. كذا في الجامع الصغير ٢/ ٥٠١ حديث ٨١٩٦.

٥٧٧١ ـ (٣٣) وعن كعب يحكي عن التوراة قال: نجد مكتوباً محمدٌ رسولُ الله عبدي المختار، لا فظٌ ولا غليظٌ، ولا سخَّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسَّيئةِ السَّيئةَ، ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة، وهجرته بطيبة، وملكه بالشام، وأمته الحمَّادون، يحمدون الله في السَّراءِ والضَّراءِ، يحمدون الله في كلِّ منزلةٍ، ويكبِّرونه على كل شرفٍ، رعاةٌ للشمس،

ذمامة أي حرمته. وقد روى البزار عن ابن عمر مرفوعاً: اللهم اهدني لصالح الأعمال والأخلاق لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلاّ أنت[1].

٥٧٧١ ـ **(وعن كعب يحكي عن التوراة قال: نجد مكتوباً: محمد رسول الله)** الرفع على حكاية المكتوب **(عبدي)** أي الخاص **(المختار)** أي المصطفى على الخلق **(لافظ)** بالرفع على أن لا عاطفة، والمعنى أنه ليس قبيح الخلق **(ولا غليظ)** أي سيىء الخلق **(ولا سخاب)** أي صياح **(في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة)** أي بل يدفع السيئة بالحسنة. وهو معنى قوله: **(ولكن يعفو)** أي في الباطن **(ويغفر)** أي يستر في الظاهر. **(مولده بمكة وهجرته)** أي دارها يعني مهاجره **(بطيبة)** أي المدينة السكينة **(وملكه)** أي بعد انتهاء مدته وأيام خلافته **(بالشام)** كما كان لمعاوية ومن بعده لبني أمية على ذلك النظام. وقال المظهر: أراد بالملك هنا النبوة والدين. فإن ذلك يكون بالشام أغلب، وإلا فملكه جميع الآفاق لقوله: «وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها»[2]. وقيل معناه الغزو والجهاد ثمة، لأنه تصير بلاد الكفار، والجهاد ملكاً لأهل الإسلام. ولهذا لا ينقطع الجهاد في الشام أصلاً وأمر بالمسافرة إليها لإدراك فضيلة الجهاد والمرابطة في سبيل الله. قلت: هذا إنما كان في زمنه ﷺ. وأما اليوم فالغزو والجهاد في بلاد الروم، نعم هو في جهة الشام من الحرمين الشريفين. **(وأمته الحمادون)** أي المبالغون في الحمد المكثرون له كما بينه بقوله: **(يحمدون الله في السراء والضراء)** أي في حالتي السرور والضرر. والمراد الدوام لأن الإنسان لا يخلو منهما في الليالي والأيام. فكأنه قال: يحمدونه على حال. وهذا مرتبة بعض أرباب الكمال. وهو المعنى بقوله: **(يحمدون الله في كل منزلة)** أي مرتبة من مراتب الأحوال. وقيل: معناه في كل منزل، ولعل تأنيثه باعتبار البقعة والناحية. أي إذا نزلوا منزلاً شكروا الله تعالى عليه لأنه آواهم إلى المنزل والسكون فيه[3]. ويلائمه قوله: **(ويكبرونه على كل شرف)** بفتحتين، أي مكان مرتفع تعجباً لعظمة الله تعالى وقدرته لما يشرفون منها على عجائب خلقه، كما أنهم يسبحون في كل هبوط. **(رعاة)** بضم الراء جمع راع، أي أمته مراعون **(للشمس)** أي لطلوعها واستوائها وغروبها محافظة لأوقات الصلاة وأداء أوراد العبادات. وقد روى الحاكم عن عبد الله بن أبي أوفى مرفوعاً: «إن خيار عباد الله، الذين يراعون الشمس

---

(١) كشف الأستار ٤/ ٥٨ حديث رقم ٣١٩٢.

الحديث رقم ٥٧٧١: أخرجه الدارمي ١/ ١٧ حديث رقم ٨.

(٢) مر في الحديث رقم ٥٧٥٠. (٣) في المخطوطة «فيهم».

يصلُّون الصلاة إذا جاء وقتها، يتأزَّرون على أنصافهم، ويتوضؤون على أطرافهم، مُناديهم يُنادي في جوِّ السَّماء، صفُّهم في القتال وصفُّهم في الصلاة سواءٌ، لهم بالليل دويٌ كدويِّ النحلِ». هذا لفظ «المصابيح». وروى الدارمي مع تغيير يسير.

٥٧٧٢ ـ (٣٤) وعن عبدِ اللَّهِ بنِ سلام، قال: مكتوبٌ في التوراة: صفةُ محمَّدٍ وعيسى ابن مريم يُدفَنُ معه. قال أبو مودود:

والقمر والنجوم والأظلة لذكر الله»[1]. وقوله: (يصلون الصلاة إذا جاء وقتها) استئناف تعليل لما سبق، أي يراقبون ذلك وينظرون سيرها ليعرفوا مواقيت الصلاة كيلا يفوت عنهم الصلاة في وقتها. ثم استأنف لبيان بقية أحوالهم بقوله: (يتأزرون)[2] بتشديد الزاي، أي يشدون إزارهم (على أنصافهم) أي من السرة إلى الركبة. ويؤيده ما في [بعض] نسخ المصابيح: على أوساطهم. أو يشدون معقد السراويل. والمراد مبالغتهم في ستر عورتهم. ويجوز أن يكون على بمعنى إلى، أي أن أزرهم إلى أنصاف سوقهم. قال الطيبي: فيه إدماج بمعنى التجلد والتشمر للقيام إلى الصلاة، لأن من شد إزاره إلى ساقه تشمر لمزاولة ما اهتم بشأنه، أو يكون كناية عن التواضع كما أن جر الإزار كناية عن الكبر والخيلاء. (ويتوضؤون) أي ويصبون ماء الوضوء (على أطرافهم) أي على أماكن الوضوء ويسبغونها. (مناديهم) أي مؤذنهم ينادي (في جوّ السماء) أي في مكان مرتفع من منارة ونحوها. (صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء) أي في كونهم كأنهم بنيان مرصوص. قال الطيبي: شبه صفوفهم في الجماعات بسبب مجاهدتهم النفس الأمارة والشيطان بصف القتال، والمجاهدة مع أعداء الدين. وأخرجه مخرج المتشابه في التشبيه، إيذاناً بأن كل واحد منهما يصح أن يكون مشبهاً ومشبهاً به. بل أخر ذكر صف الصلاة ليكون مشبهاً به لكونه أبلغ. (لهم بالليل دوي) بفتح الدال وتشديد الياء، أي صوت خفي بالتسبيح والتهليل وقراءة القرآن. (كدوي النحل هذا لفظ المصابيح وروى الدارمي مع تغيير يسير). قلت: كان الأولى ايراد لفظ الدارمي فإنه من أجل المخرجين ونقله أكمل عند المحدثين.

٥٧٧٢ ـ (وعن عبد الله بن سلام قال: مكتوب في التوراة:) خبر قوله (صفة محمد) أي نعته وجملة قوله (وعيسى ابن مريم يدفن معه) عطف على المبتدأ، أي ومكتوب فيها أيضاً أن عيسى يدفن معه. قال الطيبي: هذا هو المكتوب في التوراة، أي مكتوب في التوراة صفة محمد كيت وكيت وعيسى ابن مريم يدفن معه، أو المكتوب صفة محمد كذا وعيسى ابن مريم يدفن معه. (قال أبو مودود) وهو أحد رواة الحديث مدني ذكره الطيبي. وقال المؤلف: هو عبد العزيز بن سليمان المدني، رأى أبا سعيد الخدري وسمع السائب بن بريد وعثمان بن ضحاك وعنه ابن مهدي والعقبي وكامل. وثقوه، توفي في إمارة المهدي. له ذكر في باب

---

(١) الحاكم في المستدرك ١/ ٥١.

(٢) في المخطوطة «يتأزرن».

الحديث رقم ٥٧٧٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٤٩ حديث رقم ٣٦١٧.

وقد بقي في البيت موضع قبره. رواه الترمذيُّ.

الفصل الثالث

٥٧٧٣ ـ (٣٥) عن ابن عبّاس، قال: إنَّ الله تعالى فَضَّل محمّداً ﷺ على الأنبياء وعلى أهل السّماء. فقالوا: يا أبا عبّاس! بم فَضّله الله على أهل السّماء؟ قال: إنَّ الله تعالى قال لأهل السّماء: ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾ وقال الله تعالى لمحمّد ﷺ: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾

فضائل سيد المرسلين. (وقد بقي في البيت) أي في حجرة عائشة (موضع قبر) فقيل بينه ﷺ وبين الصديقين وهو الأقرب إلى الأدب. وقيل بعد عمر وهو الأظهر، فقد قال الشيخ الجزري: وكذا أخبرنا غير واحد ممن دخل الحجرة ورأى القبور الثلاثة على هذه الصفة، النبي ﷺ مقدم وأبو بكر متأخر عنه رأسه تجاه ظهر النبي ﷺ، ورأس عمر كذلك من أبي بكر تجاه رجلي النبي ﷺ. وبقي موضع قبر واحد إلى جنب عمر. وقد جاء أن عيسى عليه السلام بعد لبثه في الأرض، يحج ويعود فيموت بين مكة والمدينة. فيحمل إلى المدينة فيدفن في الحجرة الشريفة إلى جنب عمر فيبقى هذان الصحابيان الكريمان مصحوبين. بين هذين النبيين العظيمين عليهما الصلاة والسلام ورضي الله عنهما إلى يوم القيام. (رواه الترمذي).

(الفصل الثالث)

٥٧٧٣ ـ (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الله تعالى فضل محمداً ﷺ على الأنبياء وعلى أهل السماء فقالوا: يا أبا عباس) هو كنية ابن عباس (بم فضله) أي الله (على أهل السماء) كأنهم قدموا الأهم فالأهم، أو هو على منوال ﴿يوم تبيض وجوه﴾ [آل عمران ـ ١٠٦] الآية. (قال: إن الله تعالى قال لأهل السماء: ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾[1]. وقال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾[2]). [قال الطيبي]: يفهم التفضيل من صولة الخطاب وغلظته في مخاطبة أهل السماء وفرض ما لا يتأتى منهم وجعله كالواقع، وترتب الوعيد الشديد عليه إظهاراً لكبريائه وجلاله، وأنهم بعداء من أن ينسبوا إلى ما يشاركونه. كقوله: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾ [الصافات ـ ١٥٨]. تحقيراً لهم وتصغيراً لشأنهم، ومن ملاطفته في الخطاب معه ﷺ، وأن ما صدر ويصدر منه مغفور. وجعل فتح مكة علة للمغفرة

الحديث رقم ٥٧٧٣: أخرجه الدارمي ٣٨/١ حديث رقم ٤٦.

(١) سورة الأنبياء. آية رقم ٢٩. (٢) سورة الفتح. الآيتان رقم ١ و٢.

قالوا: وما فضله على الأنبياء؟ قال: قال الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم فيضل الله من يشاء﴾ الآية، وقال الله تعالى لمحمّد ﷺ: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ فأرسله إلى الجن والإنس.

والنصرة وإتمام النعمة والهداية إلى الصراط المستقيم، وإنزال السكينة في قلوب المؤمنين. اهـ. وخلاصة كلامه: إنه تعالى غلظ في وعيد خطابهم ولاطف في خطاب وعده، لكن فيه نظر. فإنه سبحانه قد بالغ في مدحهم في مواضع كثيرة على ما يخفى، ومنه ما قبل هذه الآية: ﴿وقالوا اتخذ الرحمٰن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ [الأنبياء ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨]. وغلظ في الوعيد لنبيه ﷺ على طريق الفرض والتقدير بالخطاب كقوله: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾ [الزمر ـ ٦٥]. مع أن المراد بقوله: ومن يقل منهم. يحتمل أن يكون من الملائكة أو من الخلائق. قال القاضي: يريد به نفي البنوّة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية. اهـ. فالأولى أن يقال في وجه التفضيل: إن هذه الآية تدل على أنه مبعوث إلى الملائكة أيضاً، كما قال به بعض العلماء. (قالوا: وما فضله) أي زيادة فضله (على الأنبياء قال: قال الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء﴾ الآية)[١]. أي ويهدي من يشاء (وقال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾)[٢] قال الطيبي: وأما بيان فضله على الأنبياء فإن الآية دلت على أن كل نبي مرسل إلى قوم مخصوص، وهو ﷺ مرسل إلى كافة الناس. ولا ارتياب أن الرسل إنما بعثوا لإرشاد الخلق إلى الطريق المستقيم وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الأصنام إلى عبادة الملك العلام. فكل من كان منهم في هذا الأمر أكثر تأثيراً كان أفضل وأفضل. وكان له ﷺ فيه القدح المعلى وحاز قصب السبق، إذ لم يكن مختصاً بقوم دون قوم وزمان دون زمان بل دينه انتشر في مشارق الأرض ومغاربها وتغلغل في كل مكان واستمر امتداده على وجه كل زمان، زاده الله شرفاً على شرف وعزاً على عز ذر شارق ولمع بارق. فله الفضل بحذافيره سابقاً ولاحقاً. (فأرسله إلى الجن والإنس) أي كما يستفاد من بقية الآيات القرآنية نحو قوله تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾ [الأحقاف ـ ٢٩]. ونحو قوله عزّ وجلّ: ﴿يا معشر الجن والإنس﴾ [الرحمٰن ـ ٣٣]. على ما في سورة الرحمٰن فذكر الناس من باب الاكتفاء تعظيماً أو تغليباً أو لأنه يعمهم. ففي القاموس الناس يكون من الإنس ومن الجن جمع إنس، أصله أناس جمع عزيز. أدخل عليه أل. وقيل: الفاء للتعقيب. وظاهر العبارة يقتضي أن تكون للنتيجة، وتوجيهه أن تعريف الناس لاستغراق الجنس وكافة، إما حال أو صفة مصدر محذوف، أي تكف أن يخرج فرد من أفراد هذا الجنس من الإرسال، والجن تبع للناس. فعلم التزاماً أن رسالته عمت الثقلين جميعاً.

---

(١) سورة إبراهيم ـ آية رقم ١٤. (٢) سورة سبأ ـ آية رقم ٢٨.

٥٧٧٤ ـ (٣٦) وعن أبي ذرٍّ الغفاري، قال: قلت: يا رسول الله! كيف علمتَ أنك نبي حتى استيقنت؟ فقال: «يا أبا ذر! أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاءِ مكة، فوقعَ أحدهما إلى الأرض، وكان الآخر بين السماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: نعم. قال فَزِنْهُ برجل، فوُزِنت به فوزنته، ثم قال: زنه بعشرةٍ، فوزنتُ بهم فرجحتهم، ثم قال: زنه بمائة، فوزنت بهم فرجحتهم، ثم قال: زنه بألف، فوزنت بهم فرجحتهم، كأني أنظر إليهم ينتثرون عليَّ من خِفَّةِ الميزان. قال: فقال أحدهما لصاحبه: لو وزنته بأمته لرجحها». رواهما الدارمي.

٥٧٧٥ ـ (٣٧) وعن ابن عبَّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «كُتبَ عليَّ النحر

٥٧٧٤ ـ (وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه) منسوب إلى غفار بكسر أوله، قبيلة مشهورة (قال: قلت: يا رسول الله كيف علمت أنك نبي حتى استيقنت) قال الطيبي: حتى غاية للعلم، أي كيف تدرجت في العلم حتى بلغ علمك غايته التي هي اليقين. (فقال: يا أبا ذر أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة فوقع) أي فنزل (أحدهما إلى الأرض وكان الآخر بين السماء والأرض) أي واقفاً (فقال أحدهما لصاحبه:) الظاهر أنه النازل (أهو هو) وضع أحدهما موضع هذا (قال: نعم قال: فزنه برجل فوزنت به) بصيغة المجهول (فوزنته) على بناء الفاعل، أي غلبته في الوزن ورجحته. (ثم قال: زنه بعشرة فوزنت بهم فرجحتهم. ثم قال: زنه بمائة. فوزنت بهم فرجحتهم ثم قال: زنه بألف فوزنت بهم فرجحتهم. كأني أنظر إليهم) أي إلى الألف الموزون (ينتثرون) أي يتساقطون (علي من خفة الميزان) أي من خفة تلك الكفة (قال: فقال أحدهما لصاحبه: لو وزنته بأمته) أي بجميع الخلق من قومه (لرجحها) قال الطيبي: وفيه أن الأمة كما يفتقرون في معرفة كون النبي صادقاً إلى إظهاره خوارق العادات بعد التحري، كذلك النبي يفتقر في معرفته كونه نبياً إلى أمثال هذه الخوارق. قلت: وهذا أيضاً يصلح أن يكون جواباً عن الإشكال المذكور المشهور في سؤال إبراهيم [عليه الصلاة والسلام]: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ [البقرة ـ ٢٦٠]. (رواهما) أي الحديثين (الدارمي).

٥٧٧٥ ـ (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: كتب) أي أوجب (علي النحر) أي الأضحية؛ وقال الطيبي: أي وجب، وعنى[1] به قوله تعالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾ [الكوثر ـ ٢]. (ولم يكتب عليكم) قيل: النحر كان واجباً على رسول الله ﷺ وإن لم يكن غنياً لخبر: ثلاث كتبت علي ولم تكتب عليكم: الضحى والأضحى والوتر. ذكره ابن الملك في شرح المشارق في حديث: «نزلت علي آنفاً سورة، فقرأ ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾

الحديث رقم ٥٧٧٤: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ٢٠ حديث رقم ١٤.

الحديث رقم ٥٧٧٥: أخرجه الدارقطني في سننه ٤/ ٢٨٢ حديث رقم ٤٢ من باب الصيد.

(١) في المخطوطة «يعني».

ولم يكتب عليكم، وأمرتُ بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها». رواه الدارقطني.

(٢) باب أسماء النبي ﷺ وصفاته

﴿إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر﴾ [الكوثر ـ ١ ـ ٢ ـ ٣] [١].

(وأمرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها) قال الطيبي: لم يوجد في الأحاديث وجوب الضحى عليه ﷺ سوى هذا الحديث. (رواه الدارقطني) قال ابن حجر في شرح الشمائل: رواية الدارقطني: أمرت الخ. ضعيفة، وأما ما قيل إنها من خصائصه، ففيه أن الذي من خصوصياته كما صرحوا به وجوب أصل صلاتها لا تكرارها كل يوم. قلت: وقد رواه أحمد والطبراني في الكبير عن ابن عباس أيضاً. بلفظ: كتب عليّ الأضحى ولم يكتب عليكم وأمرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها[٢]. فأقل مرتبة هذا الحديث أن يكون حسناً. ولولا ثبوته لما عدت من خصائصه. ثم المتبادر من وجوبها عليه أن يكون في كل يوم، كما في بقية الواجبات الشرعية. نعم الأولى أن يقال: إنه لا يلزم من الأمر الوجوب لاحتمال أن يكون للاستحباب. ويدل عليه ما رواه الدارقطني عن أنس مرفوعاً: «أمرت بالوتر والأضحى، ولم يعزم علي»[٣]. وروواه أحمد عن ابن عباس: أمرت بالوتر وركعتي الضحى ولم يكتب[٤]. والجمع بين الأدلة أن أصلها واجب واستمرارها مستحب والله [تعالى] أعلم.

(باب أسماء النبي ﷺ وصفاته)

الظاهر أنه عطف تفسير، فإنه ﷺ ليس له اسم جامد. نعم له أسماء نقلت من الوصفية إلى العلمية كأحمد ومحمد وغيرهما. وله صفات باقية على أصلها مختصة به، أو اشترك فيها غيره. والأظهر أن المراد بالأسماء هو المعنى الأعم منهما، وبالصفات الشمائل التي يأتي بيانها. ثم من القواعد المقررة أن كثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى. ففي شرح مسلم للنووي، ذكر أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه الأحوذي في شرح الترمذي عن بعضهم، أن الله تعالى ألف اسم وللنبي ﷺ ألف اسم أيضاً. ثم ذكر منها على التفصيل بضعاً وستين وقال ابن الجوزي في الوفاء: ذكر أبو الحسين بن الفارس اللغوي، أن لنبينا ﷺ اثنين وعشرين اسماً. وذكرها الطيبي مفصلاً. وقد أفرد السيوطي رسالة سماها البهجة السوية في الأسماء النبوية، وقد اشتملت على بضعة وخمسمائة من الصفات المصطفوية، ولخصتها بإخراج تسعة وتسعين اسماً من صفاته العليا على طبق عدد أسماء الله الحسنى. والآن اقتصر على ما يرد في الأحاديث الآتية مما للمقصود هي الشافية والكافية والوافية.

---

(١) أخرجه النسائي ٢/ ١٣٣ حديث رقم ٩٠٤.

(٢) أحمد في المسند ١/ ٣١٧.

(٣) الدارقطني ٢/ ٢١ حديث رقم ٢ من كتاب الوتر.

(٤) أحمد في المسند ١/ ٢٣٤.

الفصل الأول

٥٧٧٦ ـ (١) عن جبير بن مُطعِم، قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «إنَّ لي أسماءً: أنا محمَّد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر،

(الفصل الأول)

٥٧٧٦ ـ **(عن جبير بن مطعم قال: سمعت النبي ﷺ يقول: إن لي أسماء)** أي كثيرة عظيمة شهيرة **(أنا محمد)** فقيل هو اسم مفعول من التحميد، وهو المبالغة في الحمد. يقال: حمدت فلاناً أحمده إذا أثنيت عليه بجلائل خصاله. وأحمدته إذا وجدته محموداً، أو يقال: هذا الرجل محمود، فإذا بلغ النهاية في ذلك وتكاملت فيه المحاسن والمناقب فهو محمد. قال الأعشى يمدح بعض الملوك:

* إلى الماجد الفرع الجواد المحمد *

أراد الذي تكاملت فيه الخصال المحمودة، وهذا البناء أبداً يدل على بلوغ النهاية، كما تقول في الحمد محمد، وفي الذم مذمم. وقيل: هذا البناء للتكثير نحو، فتحت الباب فهو مفتح إذا فعلت به ذلك مرة بعد أخرى. ومحمد اسم منقول على سبيل التفاؤل أنه سيكثر حمده. أقول: وقد كان في الظاهر ما أضمر في الباطن: وسيحمده الأولون والآخرون [...][١] في المقام المحمود تحت اللواء الممدود. **(وأنا أحمد)** أفعل تفضيل من الحمد قطع متعلقة للمبالغة، أي أحمد من كل حامد أو محمود بناء على أنه للفاعل أو المفعول. والأول أظهر لئلا يتكرر، ولأنه تعالى يلهمه المحامد يوم القيامة لم يلهمها أحداً من الأولين والآخرين، فهو جامع بين الحامدية والمحمودية، كما جمع له بين المحبة والمحبوبية والمريدية والمرادية. وقد أشرت إلى بعض النكات الصوفية مما هو من المشارب الصفية في رسالتي المسماة: بالصلوات العلوية على الصلوات المحمدية. هذا وقال ابن الجوزي في الوفاء: قال ابن قتيبة: ومن أعلام نبوّة نبينا ﷺ أنه لم يسم قبله أحد باسمه، صيانة من الله تعالى لهذا الاسم، كما فعل بيحيى إذ لم يجعل له من قبل سمياً. وذلك أنه تعالى سماه في الكتب المتقدمة وبشر به الأنبياء. فلو جعل الاسم مشتركاً فيه شاعت الدواعي ووقعت الشبهة، إلا أنه لما قرب زمنه وبشر أهل الكتاب بقربه، سموا أولادهم بذلك. **(وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر)** لأنه

الحديث رقم ٥٧٧٦: أخرجه البخاري ٦/ ٥٥٤. حديث رقم ٣٥٣٢. ومسلم ٤/ ١٨٢٨ حديث رقم (١٢٤. ٢٣٥٤). والترمذي في السنن ٥/ ١٢٤ حديث رقم ٢٨٤٠. وأخرجه مالك ٢/ ١٠٠٤ حديث رقم ١ من كتاب أسماء النبي ﷺ أخرجه الدارمي ٢/ ٤٠٩ حديث رقم ٢٧٧٥. وأحمد في المسند ٤/ ٤٠٧.

(١) في المخطوطة كلمة زائدة وهي «على سبيل».

وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب» والعاقب: الذي ليس بعده نبيٌ. متفق عليه.

٥٧٧٧ ـ (٢) وعن أبي موسى الأشعري، قال: كان رسول الله ﷺ يُسمِّي لنا نفسه أسماءً فقال: «أنا محمَّد، وأحمد، والمقفيُّ،

ﷺ بعث والدنيا مظلمة بغياية الكفر، فأتى ﷺ بالنور الساطع حتى محا الكفر. قال النووي: ويحتمل أن يراد به الظهور بالحجة والغلبة كما قال تعالى: ﴿**ليظهره على الدين كله**﴾ [التوبة ـ ٣٣]. وجاء في حديث آخر مفسراً بالذي محيت به سيئات من تبعه، كما قال تعالى: ﴿**قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف**﴾ [الأنفال ـ ٣٨]. **(وأنا الحاشر)** أي ذو الحشر **(الذي يحشر)** أي يجمع **(الناس على قدمي)** بفتح الميم وتشديد الياء، وفي نسخة بالكسر والتخفيف أي على أثري. قال النووي: ضبطوه بتخفيف الياء على الافراد وتشديدها على التثنية. قال الطيبي: والظاهر على قدميه اعتباراً للموصول، إلا أنه اعتبر المعنى المدلول للفظة أنا. وفي شرح السنة: أي يحشر أوّل الناس لقوله: «أنا أوّل من تنشق عنه الأرض»[1]. وقال النووي: أي على أثري وزمان نبوّتي وليس بعدي نبي. قال الطيبي: هو من الإسناد المجازي لأنه سبب في حشر الناس لأن الناس لم يحشروا ما لم يحشر. **(وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي)** الظاهر أن هذا تفسير للصحابي أو من بعده. وفي شرح مسلم قال ابن الأعرابي: العاقب الذي يخلف في الخير من كان قبله. ومنه يقال: عقب الرجل لولده. **(متفق عليه)** ورواه مالك والترمذي والنسائي.

٥٧٧٧ ـ **(وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء فقال: أنا محمد وأنا أحمد والمقفي)** بكسر الفاء المشددة في جميع الأصول المصححة، أي المتبع من قفا أثره إذا تبعه. يعني أنه آخر الأنبياء الآتي على أثرهم لا نبي بعده. وقيل: المتبع لآثارهم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**فبهداهم اقتده**﴾ [الأنعام ـ ٩٠]. وفي معناه العاقب، وفي بعض نسخ الشمائل بفتح الفاء المشددة لأنه قفي به. قال الطيبي: قيل: هو على صيغة الفاعل، وهو المولي الذاهب. يقال: قفى عليه أي ذهب به، فكأن المعنى هو آخر الأنبياء، فإذا قفى فلا نبي بعده. فمعنى المقفي والعاقب واحد، لأنه تبع الأنبياء، أو هو المقفي لأنه المتبع للنبيين وكل شيء تبع شيئاً. فقد قفاه. يقال: هو يقفو أثر فلان أي يتبعه. قال تعالى: ﴿**ثم قفينا على آثارهم برسلنا**﴾ [الحديد ـ ٢٧]. هذا أحد الوجهين. والوجه الآخر أن يكون المقفى بفتح القاف، ويكون مأخوذاً من القفي والقفي الكريم والضيف والقفاوة البر واللطف. فكأنه سمي المقفي لكرمه وجوده وفضله. والوجه الأوّل أحسن وأوضح. أقول: والظاهر أن هذا الوجه الثاني لا وجه له، بل هو تصحيف لمخالفته أصول المشكاة والشمائل

(١) مر في الحديث ٥٧٦١.

الحديث رقم ٥٧٧٧: أخرجه مسلم ٤/ ١٨٢٨ حديث رقم (١٢٦ . ٢٣٥٥). وأحمد في المسند ٤/ ٣٩٥.

والحاشر، ونبيُّ التوبة، ونبي الرحمة». رواه مسلم.

٥٧٧٨ ـ (٣) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟ يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً، وأنا محمّد». رواه البخاري.

٥٧٧٩ ـ (٤) وعن جابر بن سمرة، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ قد شمط مقدَّمُ رأسه ولحيته،

والشفاء. (والحاشر ونبي التوبة) لأنه تواب كثير الرجوع إلى الله تعالى لقوله ﷺ: «إني أستغفر الله في اليوم سبعين مرة أو مائة مرة»[1]. أو لأنه قبل من أمته التوبة بمجرد الاستغفار بخلاف الأمم السالفة، قال تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً﴾ [النساء ـ ٦٤]. ولما كان هذا المعنى مختصاً به سمي (نبي التوبة. ونبي الرحمة) قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء ـ ١٠٧]. وقال ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة»[2]. والرحمة العطف والرأفة والإشفاق، لأنه ﷺ بالمؤمنين رؤوف رحيم. ولذا كانت أمته أمة مرحومة لأن النبي ﷺ ما يرحم إلا من رحمة الله. (رواه مسلم) وكذا أحمد على ما ذكره السيوطي عنهما لكن بلفظ المرحمة، ثم قال: وزاد الطبراني في الكبير: ونبي الملحمة[3].

٥٧٧٨ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم) أي ذمهم، والاستفهام للتقرير. ثم بين وجه الصرف مستأنفاً بقوله: (يشتمون) بكسر التاء، أي يسبون. (مذمماً ويلعنون مذمماً وأنا محمد) أي لا مذمم. والمعنى أن ما ذكروه أوصاف المذمم وأنا بحمد الله محمد. وقيل كانوا يسمونه بمذمم مكان محمد. قال التوربشتي: يريد بذلك تعريضهم إياه بمذمم مكان محمد. وكانت العوراء بنت حرب زوجة أبي لهب تقول:

مذمماً قلينا * ودينه أبينا * وأمره عصينا

(رواه البخاري).

٥٧٧٩ ـ (وعن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ قد شمط) بكسر الميم، أي شاب. (مقدم رأسه ولحيته) ففي المغرب: شمط بالكسر إذا ابيض شعر رأسه يخالط سواده،

---

(١) رواية المائة مرة أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٧٥ حديث رقم ٢٧٠٢.

(٢) الحاكم في المستدرك ١/ ٣٥. (٣) الجامع الصغير ١/ ١٦١ حديث رقم ٢٧٠١.

الحديث رقم ٥٧٧٨: أخرجه البخاري ٦/ ٥٥٤. حديث رقم ٣٥٣٣. والنسائي في السنن ٦/ ١٥٩ حديث رقم ٣٤٣٨. وأحمد في المسند ٢/ ٢٤٤.

الحديث رقم ٥٧٧٩: أخرجه مسلم ٤/ ١٨٢٣ حديث رقم (١٠٩ . ٢٣٤٤). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٥٨ حديث رقم ٣٦٣٦. وأحمد في المسند ٥/ ٩٠.

وكان إذا ادهن لم يتبيّن، وإذا شَعِث رأسُه تبين، وكان كثير شعر اللحية، فقال رجلٌ: وجهه مثل السَّيف؟ قال: لا بل كان مثلَ الشمس والقمر، وكان مستديراً، ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده. رواه مسلم.

والوصف أشمط. وبالفارسية دوموي. فالمعنى ظهر الشيب في شعر رأسه ولحيته. **(وكان)** أي هو أو شيبه **(إذا ادهن)** بتشديد الدال، أي استعمل الدهن. **(لم يتبين)** أي لم يظهر الشيب **(وإذا شعث.)** بكسر العين أي تفرق. **(رأسه)** أي شعره **(تبين)** أي ظهر بعض الشيب. قال الطيبي: دل هذا على أنه عند الادهان يجمع شعر رأسه ويضم بعضه إلى بعض، وكانت الشعرات البيض من قلتها لا تتبين، فإذا شعث رأسه تبين. أقول: والأظهر أن شعث الرأس كناية عن عدم الادهان. ويدل عليه ما رواه الترمذي عن جابر بن سمرة أيضاً: «سئل عن شيب رسول الله ﷺ فقال: كان إذا ادهن رأسه لم ير منه شيب، فإن لم يدهن رؤي منه»[1]. وقد روى الترمذي عن ابن عمر قال: «إنما كان شيب رسول الله ﷺ نحواً من عشرين شعرة بيضاء»[2]. وعن أنس قال: ما عددت في رأس رسول الله ﷺ ولحيته إلا أربع عشرة شعرة بيضاء[3]. **(وكان كثير شعر اللحية)** أي كثيفها لا خفيفها، أو المراد أنه لم يكن كوسجاً. **(فقال رجل: وجهه مثل السيف)** يعني في البريق واللمعان لكن لما كان يوهم الطول أيضاً. **(قال:)** أي جابر **(لا بل كان)** أي وجهه **(مثل الشمس والقمر)** أي في قوّة الضياء وكثرة النور، ويمكن أن يكون الاستفهام مقدراً. فالتقدير أوجهه مثل السيف. فقال: لا الخ. ثم قال تتميماً للمبنى وتعميماً للمعنى. **(وكان)** أي وجهه **(مستديراً)** أي مائلاً إلى التدوير، إذ ورد في شمائله أنه لم يكن مكلثم الوجه. قال الطيبي: رده الراوي رداً بليغاً حيث شبهه بالسيف الصقيل. ولما لم يكن الوجه شاملاً للطرفين قاصراً عن تمام المراد من الاستدارة والاشراق الكامل والملاحة قال: لا بل كان مثل الشمس في نهاية الإشراق، والقمر في الحسن والملاحة. ولما لم يفهم منه الاستدارة عرفاً قال: وكان مستديراً بياناً للمراد فيهما. **(ورأيت الخاتم)** بفتح التاء ويكسر، أي خاتم النبوّة. **(عند كتفه مثل بيضة الحمامة.)** أي مدوّراً **(يشبه)** أي لونه **(جسده)** أي لون سائر أعضائه. والمعنى لم يخالف لونه لون بشرته، وفيه نفي البرص. **(رواه مسلم:)** وفي الجامع مكان خاتم النبوّة، في ظهره بضعة ناشزة. أي قطعة [لحم] مرتفعة عن الجسم رواه الترمذي في الشمائل عن أبي سعيد. وفي رواية للترمذي عن جابر بن سمرة: كان خاتمة غدة حمراء مثل بيضة الحمامة. وقد جمعت غالب طرق ألفاظ الحديث وبينت مبانيه وأوضحت معانيه في شرح الشمائل.

---

(١) أخرجه النسائي ٨/ ١٥٠ حديث رقم ٥١١٤ ولم أجده عند الترمذي والله أعلم.

(٢) ابن ماجه ٢/ ١١٩٩ حديث رقم ٣٦٣٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه ٢/ ١١٩٨ حديث رقم ٣٦٢٩ ولفظه «سبعة عشرة أو عشرين».

٥٧٨٠ ـ (٥) وعن عبدِ الله بن سرجسٍ، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ وأكلتُ معَه خبزاً ولحماً ـ أو قال: ثريداً ـ ثمَّ دُرْتُ خَلفَه، فنظرتُ إلى خاتَمِ النبوَّةِ بينَ كتفَيه عندَ ناغضِ كتفِه اليُسرى، جُمعاً عليه خِيلانٌ كأمثالِ الثآليلِ. رواه مسلم.

٥٧٨٠ ـ (وعن عبد الله بن سرجس) بالسينين المهملتين وبينهما جيم بوزن نرجس، كذا في أسماء الرجال للمؤلف. ونرجس على ما في القاموس بكسر النون وفتحها معروف ذكره في رج س. فالنون زائدة، فيفيد كونه غير منصرف على ما في بعض النسخ. والمعتمد ما في بعضها من فتح السين وسكون الراء وكسر الجيم مصروفاً، وهو المطابق لما في المغني. وفي نسخة بفتح الجيم وما رأيت له وجهاً. (قال: رأيت النبي ﷺ وأكلت معه خبزاً ولحماً، أو قال: ثريداً.) شك في اللفظ واتحاد في المعنى، أو اختلاف في المراد. وقد جاء في رواية أبي داود والحاكم عن ابن عباس: إنه ﷺ كان أحب الطعام إليه الثريد من الخبز، والثريد من الحيس[1]. (ثم درت خلفه: فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عندنا غض كتفه اليسرى) بكسر المعجمة الأولى، أعلى الكتف. وقيل: عظم رقيق على طرفها كذا في النهاية. وتبعه ابن الملك، وقال شارح: الناغض الغضروف، وهو ما لان من العظم. وقيل: أصل العنق. وقيل: ما ارتفع من الكتف وهو أعلاه. ولا اختلاف بين هذا وبين ما هو المشهور من أنه بين كتفيه لأنه يحتمل أنه وجده كذلك. والقول المشهور لا يدل على كونه بينهما على السواء، بل يحتمل أن يكون بينهما على التفاوت من إحدى الجانبين، أو كان على السواء وخيل إليه أنه إلى اليسرى أقرب. وكذلك القول فيمن روي عنه أنه عند كتفه اليمنى. (جمعاً) بضم الجيم وسكون الميم. ففي النهاية الجمع هو أن تجمع الأصابع وتضمها. يقال: ضربه بجمع كفه بضم الجيم. اهـ. وأما ضم الميم فغلط من الراوي كذا ذكره بعضهم. وفي المصابيح جميعاً أي مجموعاً. قال الإمام التوربشتي: إني لا أحققه في رواية، والأشبه أنه غلط من الكاتب. وفي كتاب مسلم مثل الجمع بضم الجيم، وهو الكف حين تقبضها. ويؤيده ما ورد في صفة خاتم النبوّة كالكف. وفي كتاب مسلم من طريق أخرى جمعاً أي كجمع، فنصبه بنزع الخافض. قال ابن الملك: ويروى بفتح الجيم، فنصبه على أنه حال، أي نظرت إليه مجموعاً أي مجتمعاً. قال النووي: وظاهر قوله: جمعاً، يحتمل أن يكون المراد تشبيهه به في الهيئة وأن يكون في المقدار، والمراد به هنا الهيئة ليوافق قوله: مثل بيضة الحمام. (عليه خيلان) بكسر أوّله جمع خال وهي نقطة تضرب إلى السواد. وفي النهاية: وهو الشامة في الجسد. (كأمثال الثآليل) بفتح المثلثة وبمد الهمزة وكسر اللام الأولى جمع ثؤلول بضم الثاء وسكون الهمزة، خراج صلب يخرج على الجسد، له نتوء واستدارة. وفي النهاية: وهو هذه الحبة التي تظهر في الجسد مثل الحمصة فما دونها. وبالفارسية زخ بفتح الزاي وسكون الخاء المعجمة. (رواه مسلم).

الحديث رقم ٥٧٨٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٢٣ حديث رقم (١١٢ ـ ٢٣٤٦). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٦٢ حديث رقم ٣٦٤٣. وأحمد في المسند ٥/ ٨٢.

(١) أخرجه أبو داود ٤/ ١٤٧ حديث رقم ٣٧٨٣ وقال ضعيف. والحاكم في المستدرك ٤/ ١١٦.

٥٧٨١ ـ (٦) وعن أمِّ خالدٍ بنتِ خالدِ بنِ سعيدٍ، قالت: أُتي النبيُّ ﷺ بثيابٍ فيها خميصةٌ سوداءُ صغيرة، فقال: «ائتوني بأمِّ خالدٍ» فأُتيَ بها تُحمَلُ، فأخذَ الخميصةَ بيدِه، فألبسَها. قال: «أبلي وأخلقي، ثمَّ أبلي وأخلقي» وكانَ فيها علَمٌ أخضرُ أو أصفرُ. فقال: «يا أمَّ خالدٍ! هذا سَناه» وهي بالحبشيَّةِ: حسنة. قالت: فذهبتُ ألعبُ بخاتمِ النبوَّةِ، فزبرني أبي، فقال رسولُ الله ﷺ: «دعْها».

٥٧٨١ ـ (وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد) قيل: أسلم بعد أبي بكر، فهو ثالث أو رابع في الإسلام، قال المؤلف: هو ابن العاص، والأموية وهي مشهورة بكنيتها ولدت بأرض الحبشة وقدم بها إلى المدينة وهي صغيرة ثم تزوّجها الزبير بن العوّام. روى عنها نفر (قالت: أتي النبي ﷺ) أي جيء (بثياب فيها خميصة) أي في جملتها كساء أسود مربع له علمان، ذكره المظهر. فقوله: (سوداء) تأكيد أو تجريد (صغيرة. فقال: ائتوني بأم خالد فأتي بها) أي بأم خالد (تحمل) حال من الضمير في بها، أي محمولة لأنها طفلة. (فأخذ الخميصة بيده فألبسها) لا يخفى ما فيه، وفيما قبله من النقل بالمعنى، أو الالتفات في المبنى. (قال:) استئناف بيان (أبلي) أمر مخاطبة لها من الإبلاء، وهو جعل الثواب خلقاً. (وأخلقي) من الاخلاق بمعناه وجمع بينهما للتأكيد. والمراد بهما الدعاء. فقوله: (ثم أبلي وأخلقي) زيادة مبالغة في الدعاء لها بطول عمرها ثم اعلم أن أخلقي بالقاف في النسخ المصححة وروي بالفاء فهو تأسيس لا تأكيد لفظاً، وإن كان يؤول إليه معنى. [أي] واخلفي ثوباً بعد ثوب، فإن الإخلاف غالباً لا يكون إلا بعد الإخلاق. ويؤيده ما رواه أبو داود: أنه ﷺ إذا رأى على صاحبه ثوباً جديداً قال له: تبلي ويخلف الله[1]. وفي الحصن: أبل وأخلق ثم أبل وأخلق ثم أبل وأخلق. فذكره بصيغة الإفراد ثلاث مرات. ولعله نقل بالمعنى أو وقع خطابه ﷺ لأحد من أصحابه من غيرها بهذا الدعاء ثلاث مرات والله أعلم. (وكان فيها) أي في الخميصة (علم أخضر أو أصفر. فقال: يا أم خالد هذا) أي العلم أو هذا الثوب (سناه) أي حسن وهو بفتح السين المهملة فنون فألف فهاء السكت، وفي نسخة بكسر السين وروي سنه بلا ألف ونون خفيفة. وروي بنون مشددة وهي بفتح أوّله عند الجميع، إلا الفارسي فإنه يكسرها. (وهي) أي كلمة سناه (بالحبشية) أي بلغة الحبشة. (حسنة) أنثها باعتبار تأنيث مبتدئة، وهو هي. وهو من كلام أم خالد أو تفسير من غيرها. (قالت: فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزبرني أبي) أي صاح عليّ وزجرني وهددني ونهاني عن ذلك. (فقال رسول الله ﷺ: دعها) أي لتتبرك بالخاتم أيضاً كما تبركت بإلباس الخلعة الشريفة. وهذا يدل على كمال حلمه وكرمه وحسن عشرته مع صحابته. وقد أشار الشيخ الصمداني شهاب الدين السهروردي [قدس سره] في عوارفه، إلى أن استناد

الحديث رقم ٥٧٨١: أخرجه البخاري ٦/ ١٠٨٣ حديث رقم ٣٠٧١. وأبو داود ٤/ ٣١١ حديث رقم ٤٠٢٤.

(١) أبو داود ٤/ ٣١٠ حديث رقم ٤٠٢٢.

رواه البخاري.

٥٧٨٢ ـ (٧) وعن أنس، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ ليسَ بالطويلِ البائنِ، ولا بالقصيرِ، وليسَ بالأبيضِ الأمهقِ، ولا بالآدمِ، وليس بالجعدِ القططِ، ولا بالسبطِ، بعثه اللهُ على رأس أربعينَ سنة فأقام بمكة عشر سنين،

المشايخ الصوفية في لبس الخرقة بهذا الحديث. أقول: ولعله أراد الباس خرقة التبرك دون إلباس خرقة الاجازة. (رواه البخاري) وكذا أبو داود.

٥٧٨٢ ـ (وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن) أي الباعد عن حد الاعتدال والمفرط طولاً، الذي بعد من قدر الرجال الطوال، أو الظاهر البين طوله، من بان إذا بعد أو ظهر. (ولا بالقصير) أي المتردد كما في رواية. والحاصل أنه كان معتدل القامة لكن إلى الطول أميل. فإن النفي تصب إلى قيد وصف البائن، فثبت أصل الطول ونوع منه، فهو بالنسبة إلى الطول البائن قصير. ولذا قيد نفي القصير بالمتردد. ويؤيده أنه جاء في رواية: أنه ربعة إلى الطول. وهذا إنما هو في حد ذاته، وإلا فما ماشاه[1] طويل إلا غلبه ﷺ في الطول. (وليس بالأبيض الأمهق) أي الذي بياضه خالص لا يشوبه حمرة ولا غيرها كلون الثلج والبرص واللبن. فالمراد أنه كان نير البياض. وقد جاء في رواية: أنه «كان بياضه مشوباً بالحمرة»[2]. وهو أحسن أنواع الألوان المستحسنة عند الطباع الموزونة، وهذا معنى قوله: (ولا بالآدم) أي الشديد السمرة (وليس بالجعد القطط) بفتحتين ويكسر الثانية، أي الشديد الجعودة كشعور الحبش. (ولا بالسبط) بكسر الموحدة وفتحها وسكونها، وهو من السبوطة ضد الجعودة وهو الشعر المنبسط المسترسل كما في غالب شعور الأعاجم. ففي القاموس: السبط، ويحرك وككتف نقيض الجعودة. فالمعنى أن شعره ﷺ كان وسطاً بينهما. (بعثه الله على رأس أربعين سنة) المشهور أنه ﷺ بعث بعد استكمال أربعين سنة. فالمراد بالرأس آخر السنة، كما في قول القراء والمفسرين من أن رؤوس الآي أواخرها، سواء أريد بلفظ الأربعين السنة التي تنضم إلى تسعة وثلاثين أو مجموع السنين من أول الولادة إلى استكمال أربعين سنة. هذا وقال صاحب جامع الأصول: إن الصحيح عند أهل العلم بالأثر أنه بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة. (فأقام بمكة عشر سنين) أي على خلاف في ثلاث، وإلا فالصحيح أن عمره ﷺ ثلاث وستون، فمن قال ستين ألغى الكسر، ومن قال خمساً وستين أدخل سنة الولادة والوفاة، ثم العشر بسكون الشين. وأما ما ضبط في بعض النسخ المصححة بفتحها

الحديث رقم ٥٧٨٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٦٤. حديث رقم ٣٥٤٨. ٣٥٤٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٢٤ حديث رقم (١١٣ ـ ٢٣٤٧). والنسائي في السنن ٨/ ١٣٣ حديث رقم ٥٠٦١ وأخرجه الترمذي ٥/ ٥٥٨ حديث رقم ٣٦٣٧ وأخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩١٩ حديث رقم ١ من كتاب صفة النبي وأحمد في المسند ٣/ ٢٤٠.

(١) في المخطوطة «شأن».

(٢) النسائي ٤/ ١٢٤ حديث رقم ٢٠٩٤.

وبالمدينة عشر سنين، وتوفّاه الله على رأس ستين سنة وليسَ في رأسِه ولحيته عشرونَ شعرةً بيضاء.

وفي روايةٍ يصفُ النبيَّ ﷺ، قال: كانَ رَبعةً من القومِ، ليس بالطويلِ ولا بالقصيرِ، أزهرَ اللونِ. وقال: كانَ شعرُ رسولِ الله ﷺ إلى أنصافِ أذنيهِ.

وفي رواية: بينَ أُذنيهِ وعاتقِه. متفق عليه.

وفي روايةٍ للبخاري، قال: كانَ ضخمَ الرَّأسِ والقدَمينِ، لم أرَ بعدَه ولا قبلَه مثلَه، وكانَ سبطَ الكفَّينِ. وفي أخرى له، قال: كان شثْنَ القدمين والكفَّينِ.

أيضاً، فغير معروف. ﴿وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على رأس ستين سنة. وليس) أي والحال أنه لا يوجد عند وفاته. (في رأسه ولحيته عشرون شعرة) بسكون العين ويفتح (بيضاء) يعني بل ما عددت فيها إلا أربع عشرة شعرة بيضاء، كما تقدم والله أعلم. (وفي رواية يصف) أي ينعت (أنس النبي ﷺ قال: كان ربعة) بسكون الموحدة، وقد تفتح. (من القوم) يقال: رجل ربعة ومربوع، إذا كان بين الطويل والقصير. فقوله: (ليس بالطويل ولا بالقصير) تفسير وبيان له. (أزهر اللون) خبر بعد خبر لكان أي نير اللون وحسنه وهو المتوسط بين الحمرة والبياض ذكره شارح. وقال الطيبي نقلاً عن القاضي: الأزهر الأبيض المستنير، والزهر والزهرة البياض النير، وهو أحسن الألوان. (وقال:) أي أنس (كان شعر رسول الله ﷺ) بفتح العين ويسكن (إلى أنصاف أذنيه) بضم الذال ويسكن (وفي رواية بين أذنيه وعاتقه متفق عليه. وفي رواية للبخاري، قال: كان ضخم الرأس) أي عظيمه وهو ممدوح عند العرب لدلالته على عظمة صاحبه وسعادته وإشارته إلى كمال رياسته وسيادته. (والقدمين) للإيماء إلى الشجاعة والثبات والقوّة في العبادات. (لم أر بعده) أي بعد شهوده (ولا قبله) أي قبل وجوده (مثله) أي مماثلاً ومساوياً له في جميع مراتب الكمال خلقاً وخلقاً في كل الأحوال. وهذا فذلكة شاهدة لعجزه عن مراتب وصفه ومناقب نعته. (وكان سبط الكفين) أي غليظهما. قال أبو عبيدة: يعني أنهما إلى الغلظ والقصر أميل. وقال غيره: هو الذي في أنامله غلظ بلا قصر. ويحتمل أن يكون كناية عن الجود، لأن العرب تقول للبخيل جعد الكف، وفي ضده سبط الكف. (وفي أخرى له) أي للبخاري (قال: كان شثن القدمين والكفين) بسكون المثلثة، أي غليظ الأطراف من شثن بالضم والكسر إذا غلظ. ويحمد ذلك في الرجال لأنه أشد لقبضهم وأدل على قوتهم، ويذم في النساء لفوات المطلوب منهن وهو الرعانة. ثم المراد غلظ العضو في الخلقة لا خشونة الجلد لما صح عن أنس: ما مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ[1].

---

(١) مسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٤ حديث رقم ٢٣٣٠. وللبخاري نحوه ٦/ ٥٦٦ حديث رقم ٣٥٦١.

٥٧٨٣ ـ (٨) وعن البراءِ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ مربوعاً، بعيدَ ما بينَ المنكبَيْنِ، له شعرٌ بلغَ شحمةَ أذنيهِ، رأيتُه في حلّةٍ حمراءَ، لم أرَ شيئاً قطُّ أحسنَ منه. متفق عليه.

وفي روايةٍ لمسلم، قال: ما رأيتُ من ذي لِمَّةٍ أحسنَ في حُلَّةٍ حمراء من رسولِ الله ﷺ، شعرُه يضربُ منكبَيهِ، بعيد ما بينَ المنكبَينِ، ليسَ بالطويلِ ولا بالقصيرِ.

٥٧٨٤ ـ (٩) وعن سِماكِ بن حربٍ، عن جابرِ بن سمرةَ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ ضَليعَ الفمِ،

٥٧٨٣ ـ (وعن البراء، قال: كان رسول الله ﷺ مربوعاً) أي قريباً منه، وإلا فهو أطول منه. (بعيد ما بين المنكبين) روي مكبراً ومصغراً وروي منصوباً على أنه خبر ثان لكان، ومرفوعاً على حذف المبتدأ. (له شعر بلغ شحمة أذنيه) أي وصلها. وفي رواية ابن ماجه والترمذي في الشمائل عن عائشة [رضي الله عنها]: كان شعره «دون الجمة وفوق الوفرة»[1]. والجمة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين، والوفرة شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن. ولعل اختلاف الروايات باعتبار اختلاف الحالات. (رأيته في حلة حمراء) أي فيها خطوط حمر ذكره ابن الملك. وقال ابن الهمام: هي عبارة عن ثوبين من اليمن فيها خطوط خضر وحمر لا أنه أحمر بحت. وقال العسقلاني: هي ثياب ذات خطوط. قال ميرك: فلا دليل فيه لمن قال بجواز لبس الأحمر. أقول: ولو حمل على ظاهره فلا دلالة أيضاً، إذ يحتمل أنه من باب الاختصاص، أو قبل النهي، أو لبيان الجواز. فيفيد أن النهي عن الحمرة للكراهة، لا للحرمة. (لم أر شيئاً قط أحسن منه) وهو أيضاً يفيد نفي المساواة عرفاً. (متفق عليه.) ورواه أبو داود والترمذي والنسائي (وفي رواية لمسلم) وكذا للثلاثة (قال: ما رأيت من ذي لمة) بكسر اللام وتشديد الميم. في النهاية: اللمة من شعر الرأس دون الجمة، سميت بذلك لأنها ألمت بالمنكبين فإذا زادت فهي الجمة. (أحسن في حلة حمراء من رسول الله ﷺ. شعره يضرب) أي يصل (منكبيه بعيد ما بين المنكبين) بالرفع (ليس بالطويل ولا بالقصير.) أي المعيوبين.

٥٧٨٤ ـ (وعن سماك بن حرب) بكسر السين تابعي مشهور كوفي. قال: أدركت ثمانين من أصحاب النبي ﷺ. (عن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ ضليع الفم) أي وسيعه،

الحديث رقم ٥٧٨٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٦٥. حديث رقم ٣٥٥١. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٨ حديث رقم (٩١ ـ ٢٣٣٧). وأبو داود ٤/ ٣٣٧ حديث رقم ٤٠٧٢ والترمذي في السنن ٥/ ٥٥٨ حديث رقم ٣٦٣٥. والنسائي في السنن ٨/ ١٨٣ حديث رقم ٥٢٣٢. وابن ماجه ٢/ ١١٩٠ حديث رقم ٣٥٩٩. والدارمي في السنن ١/ ٤٤ حديث رقم ٥٧. وأحمد في المسند ٤/ ٣٠٠.

(١) أخرجه أبو داود في السنن ٤/ ٤٠٧ حديث رقم ٤١٨٧. والترمذي في السنن ٤/ ٢٠٥ حديث رقم ١٧٥٥. وابن ماجه ٢/ ١٢٠٠ حديث رقم ٣٦٣٥.

الحديث رقم ٥٧٨٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٢٠ حديث رقم (٩٧ ـ ٢٣٣٩). والترمذي في السنن ٥/ ٥٦٣ حديث رقم ٣٦٤٧. وأحمد في المسند ٥/ ١٠٣.

أشكلَ العينَين، منهوشَ العقبَين. قيل لسِماك: ما ضليعُ الفمِ؟ قال: عظيمُ الفمِ. قيل: ما أشكلُ العَينين؟ قال: طويلُ شقِّ العَينِ. قيلَ: ما منهوشُ العقبَين؟ قال: قليلُ لحمِ العقِبِ. رواه مسلم.

٥٧٨٥ ـ (١٠) وعن أبي الطفيلِ، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ كانَ أبيضَ مليحاً مُقَصَّداً. رواه مسلم.

٥٧٨٦ ـ (١١) وعن ثابتٍ،

وهو كناية عن غاية الفصاحة ونهاية البلاغة. وقال النووي: أي عظيمه. هكذا قاله الأكثرون. وهو الأظهر. قالوا: والعرب تمدح بذلك وتذم صغر الفم. **(أشكل العينين)** الأشكل على ما في القاموس ما فيه حمرة وبياض مختلطة، أو ما فيه بياض [يضرب] إلى حمرة. **(منهوش العقبين)** بالشين المعجمة، أي مفرقهما على ما في القاموس في المهملة والمعجمة. **(قيل لسماك: ما ضليع الفم. قال: عظيم الفم)** في القاموس: رجل ضليع الفم أي عظيمة أو واسعة، أو عظيم الأسنان متراصفها. والعرب تحمد سعة الفم وتذم صغره. **(قيل: ما أشكل العينين[1]. قال: طويل شق العين)[2]** بفتح الشين. قال القاضي عياض: تفسير سماك أشكال العينين وهم منه وغلط ظاهر. وصوابه ما اتفق عليه العلماء ونقله أبو عبيدة وجميع أصحاب الغريب، وهو أن الشكلة حمرة في بياض العين، وهو محمود. **(قيل: ما منهوش العقبين. قال: قليل لحم العقب. رواه مسلم)** وكذا الترمذي.

٥٧٨٥ ـ **(وعن أبي الطفيل)** قال المؤلف: هو عامر بن واثلة الليثي الكناني، غلبت عليه كنيته. أدرك من حياة النبي ﷺ ثمان سنين، ومات سنة مائة واثنتين بمكة. وهو آخر من مات من الصحابة في جميع الأرض، روى عنه جماعة. **(قال: رأيت رسول الله ﷺ، كان أبيض مليحاً)** احترازاً من كونه أمهق **(مقصداً)** بفتح الصاد المشددة، أي متوسطاً معتدلاً. وفي النهاية: هو الذي ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم، كأن خلقه يجيء به القصد من الأمور والمعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي الإفراط والتفريط. **(رواه مسلم.)** وكذا الترمذي في الشمائل عنه. وفي رواية له فيها عن أبي هريرة: كان أبيض كأنما صيغ من فضة. وروى البيهقي، عن علي: أنه ﷺ كان أبيض مشرباً بحمرة. وعن أبي هريرة: إذا وضع رداءه عن منكبيه فكأنه سبيكة فضة.

٥٧٨٦ ـ **(وعن ثابت)** قال المؤلف: هو ثابت بن أسلم البناني أبو محمد، تابعي من

---

(١) في المخطوطة «العين». (٢) في المخطوطة «العين».

الحديث رقم ٥٧٨٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٢٠ حديث رقم (٩٩ ـ ٢٣٤٠). وأبو داود في السنن ٥/ ١٨٦ حديث رقم ٤٨٦٤. وأحمد في المسند ٥/ ٤٥٤.

الحديث رقم ٥٧٨٦: أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم ٥٨٩٥ ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٢١ حديث رقم (١٠٤ ـ ٢٣٤١). وأحمد في المسند ٣/ ٢٢٧.

قال: سُئلَ أنسٌ عن خضابِ رسولِ الله ﷺ فقال: إنّه لم يبلغْ ما يخضِبُ، لوْ شئتُ أنْ أعُدَّ شمطاتِه في لحيتِه ـ وفي رواية: لو شئتُ أن أعُدَّ شمطاتٍ كنَّ في رأسِه ـ فعلتُ. متفق عليه.

وفي رواية لمسلم، قال: إنما كانَ البياضُ في عنفقتِه، وفي الصُّدغين وفي الرَّأسِ نَبْذٌ.

٥٧٨٧ ـ (١٢) وعن أنسٍ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ أزهرَ اللونِ، كأنَّ عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفَّأ،

أعلام أهل البصرة وثقاتهم. اشتهر بالرواية عن أنس بن مالك، وصحبه أربعين سنة. **(قال: سئل أنس عن خضاب رسول الله ﷺ)** بكسر الخاء، ما يختضب به من خضبه لونه، على ما في القاموس. **(فقال: إنه لم يبلغ ما يخضب)** بكسر الضاد. قال شارح: فاعل يبلغ، ضمير عائد إلى شعر النبي ﷺ، وما مصدرية. وفاعل يخضب: النبي ﷺ، أي لم يبلغ الخضاب. وقيل: ما موصولة وعائدها محذوف، أي يخضبه وهو مفعول يبلغ. أي لم يبلغ شعره حداً يخضبه. يعني كان بياضه قليلاً. قال الطيبي: أي كان قليل الشيب لا يظهر في بداء النظر فلم يفتقر كتمه بالخضاب. **(لو شئت أن أعد)** أي أحصي **(شمطاته)** بالحركات، أي شعراته البيض **(في لحيته)** جواب لو محذوف أي لأعدها أو لعددتها أو لفعلت. **(وفي رواية: لو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه فعلت)** وهو كناية عن قلة البياض فيها لأن المعدود من أوصاف القليل. ومنه قوله تعالى: ﴿**أياماً معدودات**﴾ [البقرة ـ ١٨٤]. ﴿**ودراهم معدودة**﴾ [يوسف ـ ٢٠]. **(متفق عليه)**. **(وفي رواية لمسلم، قال: إنما كان البياض)** أي صاحبه وهو الشعر الأبيض [أو البياض] كناية عن الشيب **(في عنفقته)** فتح العين وسكون النون ففاء ثم قاف، أي شعره النابت تحت شفته السفلى وفوق الذقن. **(وفي الصدغين)** بضم أوله، أي الشعر المتدلي على ما بين العين والأذن. **(وفي الرأس نبذ)** بفتح النون وسكون الموحدة فذال معجمة، أي شيء يسير من شيب. وفي نسخة بنون مضمومة فموحدة مفتوحة، أي شعرات متفرقة. قال الطيبي: نبذ مبتدأ، وقوله: في عنفقته، خبره، والجملة خبر كان. قلت: ولا يبعد أن يكون الجملة معطوفة على جملة إنما كان والأظهر أن الجار معطوف على ما قبله من أمثاله، ونبذ خبر مبتدأ محذوف هو هو، وهو راجع إلى البياض.

٥٧٨٧ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أزهر اللون)** أي أبيض نيراً **(كان)** بتشديد النون **(عرقه اللؤلؤ)** أي في الهيئة والصفاء والضياء. **(إذا مشى تكفأ)** بتشديد الفاء فهمز. وفي نسخة صحيحة فألف. قال النووي: هو بالهمز، وقد يترك همزة. وزعم كثيرون أنه بلا همزة وليس كما قالوا. ونقل شارح عن التوربشتي: إن الرواية المعتد بها في تكفا بغير

الحديث رقم ٥٧٨٧: أخرجه البخاري ٦/ ٥٦٦. حديث رقم ٣٥٦١. وأخرجه مسلم ٤/ ١٨١٥ حديث رقم (٨٢ ـ ٢٣٣٠). وأخرجه الدارمي في السنن ١/ ٤٥ حديث رقم ٦١ وأخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٢٨.

وما مَسِستُ ديباجةً ولا حريراً ألينَ من كفِّ رسولِ الله ﷺ، ولا شَمَمتُ مسكاً ولا عنبرةً أطيبَ من رائحةِ النبيِّ ﷺ متفق عليه.

٥٧٨٨ ـ (١٣) وعن أمِّ سُلَيم، أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يأتيها، فيقيلُ عندَها،

همز. وذكر الهروي أن الأصل فيه الهمز ثم تركت. قال التوربشتي: قيل: أي تمايل إلى قدام كما تتكفأ السفينة في جريها، من قولهم أكفأته وكفأته إذا أملته. ويقال: كفأت الإناء فانكفأ وتكفأ. أو أراد به الترفع عن الأرض مرة واحدة كما يكون مشي الأقوياء وذوي الجلاد، بخلاف المتماوت الذي يجر رجله في الأرض. ويدل عليه قول الواصف: إذا مشى تقدم. وفي شرح مسلم قال: شمر معناه مال يميناً وشمالاً [كما] تكفأ السفينة. قال الأزهري: هذا خطأ لأن هذه صفة المختال. قال القاضي عياض: لا بعد فيما قاله: شمر إذا كان خلقة وجبلة، والمذموم منه ما كان مستعملاً مقصوداً. (ما مسست) بكسر السين الأولى ويفتح (ديباجة) بكسر الدال ويفتح، وهو نوع من الحرير. **(ولا حريراً)** أي مطلقاً **(ألين من كف رسول الله ﷺ. ولا شممت)** بكسر الميم ويفتح **(مسكاً ولا عنبراً أطيب من رائحة النبي ﷺ.)** قال العسقلاني: مسست بكسر المهملة الأولى على الأفصح، وكذا شممت بكسر الميم الأولى، وفتحها لغة. ويقال في المضارع: أمسه وأشمه بالفتح فيهما على الأفصح، وبالضم على اللغة المذكورة. وفي القاموس: الشم حس الأنف شممته بالكسر أشمه وشممته أشمه بالضم شماً. **(متفق عليه.)** وفي الشمائل للترمذي: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، ولا مسست خزاً ولا حريراً قط ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً قط ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ: وفي نسخة: من عرف بالفاء.

٥٧٨٨ ـ **(وعنه)** أي عن أنس **(عن أم سليم:)** بالتصغير كذا في الأصول المعتمدة. وفي بعض النسخ وعن أم سليم بدون قوله: وعنه[1]. قال المؤلف: هي بنت ملحان بكسر الميم، وفي اسمها خلاف. تزوجها مالك بن النضر أبو أنس بن مالك فولدت له أنساً. ثم قتل عنها مشركاً وأسلمت، فخطبها أبو طلحة وهو مشرك فأبت ودعته إلى الإسلام فأسلم. فقالت: إني أتزوجك ولا آخذ منك صداقاً لإسلامك، فتزوجها أبو طلحة. روى عنها خلق كثير. **(أن النبي ﷺ كان يأتيها)** أي يجيء بيتها **(فيقيل)** بفتح الياء من القيلولة وهي الاستراحة عند الهجيرة، وقد تكون[2] مع النوم. **(عندها)** أي لأنها كانت أم خادمه وهو أنس. ولا دلالة فيه على الكشف أو الخلوة. قال النووي: أم حرام وأم سليم كانتا خالتين لرسول الله ﷺ محرمين إما من الرضاع وإما من النسب، فيحل له الخلوة بهما. فكان يدخل عليهما خاصة ولا يدخل على غيرهما من النساء. وقيل: إنما كان يقيل عندها لأنها كانت من محارمه من جهة الرضاع، وإلا

الحديث رقم ٥٧٨٨: أخرجه البخاري ١١/٧٠. حديث رقم ٦٢٨١. ومسلم ٤/١٨١٥ حديث رقم (٨٣ ـ ٢٣٣١) وأحمد في المسند ٣/١٣٦.

(١) ومنها نسخة المتن. (٢) في المخطوطة «يكون».

فتبسطُ نِطَعاً فيقيلُ عليه، وكانَ كثيرَ العرقِ، فكانت تجمعُ عرقَه فتجعلُه في الطيبِ. فقال النبيُّ ﷺ: «يا أمَّ سُليم! ما هذا؟» قالت: عرقُكَ نجعلُه في طِيبنا وهو منْ أطْيبِ الطِّيبِ.

وفي روايةٍ، قالت: يا رسولَ الله! نرجو بركتَه لصبياننا قال: «أصبتِ» متفق عليه.

٥٧٨٩ ـ (١٤) وعن جابرِ بن سَمُرة، قال: صلَّيتُ مع رسولِ الله ﷺ صلاةَ الأولى، ثمَّ خرجَ إلى أهله

لم يدخل النبي ﷺ قبل نزول الحجاب عليها وعلى أختها أم حرام، وقد دخل بعده عليهما دون غيرهما من نساء الأنصار. والنبي ﷺ لم يكن رضيعاً في المدينة، فتعين أن يكون ذلك من قبل أبيه عبد الله، فإنه ولد بالمدينة. وقال التوربشتي: قد وجدت في بعض كتب الحديث أنها كانت من ذوات محارم النبي ﷺ، لأنه ﷺ لم يكن ليقيل في بيت أجنبية، وإذا لم يكن بينه وبينها سبب محرم من رحم ووصلة، فلا بد أن يكون ذلك من جهة الرضاع. وإذا قد علمنا أن النبي ﷺ لم يحمل إلى المدينة رضيعاً، تعين ذلك أن يكون من قبل أبيه عبد الله. فإنه ولد بالمدينة، وكان عبد المطلب قد فارق أباه هاشماً وتزوّج بالمدينة في بني النجار، وأم حرام وأم سليم بنتا ملحان كانتا من بني النجار، فعرفنا من جميع ذلك أن الحرمة بينهم كانت حرمة رضاع، ولقد وجدنا الجم الغفير من علماء النقل أوردوا أحاديث أم حرام وأم سليم ولم يبين أحد منهم العلة، إما من الغفلة عنها وإما لعدم العلم بها. فأحببت أن أبين وجه ذلك كيلا يظن جاهل أنه كان في سعة من ذلك لمكان العصمة ولا يتذرع [به] مستبيح إلى الترخص بما لا رخصة فيه وأراني والله أعلم، أول من وفقت لذلك فواهاً لها من درة كنت مستخرجها والله [أحمد على هذه] الموهبة السنية. **(فتبسط)** أي تفرش أم سليم **(نطعاً)** بكسر النون وفتحها وسكون الطاء. وفي القاموس هو بالكسر وبالفتح وبالتحريك وكعنب، بساط من الأديم. **(فيقيل عليه وكان كثير العرق)** أي لأنه كان كثير الحياء. **(فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب)** أي في الطيب الذي معها **(فقال النبي ﷺ: [يا أم سليم] ما هذا)** أي الذي تفعلينه **(قالت: عرقك تجعله في طيبنا)** أي ليطيب طيبنا ببركته أو بزيادته **(وهو)** أي عرقك أو الطيب المخلوط به **(من أطيب الطيب. وفي رواية: قالت: يا رسول الله نرجو بركته)** أي كثرة خيره **(لصبياننا. قال: أصبت.)** أي فعلت الصواب. وفيه استحباب التبرك والتقرب بآثار الصالحين. قيل: لما حضر أنس بن مالك الوفاة أوصى أن يجعل في حنوطه من ذلك الطيب. **(متفق عليه)**.

٥٧٨٩ ـ **(وعن جابر بن سمرة قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى)** من باب إضافة الموصوف إلى الصفة، والمتبادر أنها الصبح. قال النووي وتبعه ابن الملك: هي صلاة الظهر. **(ثم خرج)** أي من المسجد **(إلى أهله)** أي متوجهاً إلى إحدى الحجرات الشريفة

الحديث رقم ٥٧٨٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٤ حديث رقم (٨٠ . ٢٣٢٩).

وخرجتُ معه، فاستقبلَه ولدانٌ، فجعلَ يمسحُ خدَّيْ أحدِهم واحداً واحداً، وأمّا أنا فمسَحَ خدِّي، فوجَدتُ لِيَدِه برداً وريحاً كأنما أخرجَها من جُؤنةِ عطارٍ. رواه مسلم.

وذكر حديث جابر: «سمُّوا باسمي» في «باب الأسامي».

وحديث السَّائبِ بن يزيد: نظرتُ إلى خاتمِ النبوَّةِ في «باب أحكام المياه».

الفصل الثاني

٥٧٩٠ ـ (١٥) عن عليِّ بن أبي طالبٍ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ ليسَ بالطويلِ ولا بالقصيرِ، ضخمَ الرأسِ واللحيةِ، شَثْنَ الكفَّينِ والقدَمينِ، مشرباً حُمرةً، ضخمَ الكراديسِ،

(وخرجت معه. فاستقبله ولدان) جمع وليد وهو الصبي (فجعل) أي شرع (يمسح) أي بيديه الكريمتين (خدي أحدهم واحداً واحداً) حال (وأما أنا فمسح خدي) بصيغة التثنية، وفي نسخة بالإفراد على إرادة الجنس. (فوجدت ليده برداً) أي راحة (أو ريحاً) أي رائحة طيبة. والظاهر أن أو بمعنى الواو، أو بمعنى بل. (كأنما أخرجها) أي إذا أخرج يده من الكم فكأنه أخرجها. (من جؤنة عطار) بضم الجيم وسكون الهمز ويبدل، أي سلته أو حقته وفي النهاية: هو بضم الجيم التي يعد فيها الطيب ويحرز. قال النووي: وفي الحديث بيان طيب ريحه صلوات الله عليه [وسلامه]، وهو ما أكرمه الله سبحانه وتعالى به. قالوا: وكانت هذه الريح الطيبة صفته وإن لم يمس طيباً، ومع هذا كان يستعمل الطيب في كثير من الأوقات مبالغة في طيب ريحه لملاقاة الملائكة وأخذ الوحي الكريم ومجالسة المسلمين. (رواه مسلم. وذكر حديث جابر: سموا باسمي) [تمامه] ولا تكنوا بكنيتي (في باب الأسامي وحديث السائب بن يزيد: نظرت إلى خاتم النبوة) تمامه: مثل زر الحجلة (في باب أحكام المياه).

(الفصل الثاني)

٥٧٩٠ ـ (عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل ولا بالقصير) أي بل كان معتدل القامة (ضخم الرأس) أي عظيمه لدلالته على عظمة رياسته. (واللحية) أي كثيفها دون الكوسج. وقد روى الطبراني عن العداء بن خالد: أنه ﷺ كان حسن السبلة، أي اللحية. (شثن الكفين والقدمين) أي أنهما يميلان إلى الغلظ والقصر، كذا في النهاية. (مشرباً حمرة) أي مخلوط لونه بالحمرة، وهو على صيغة المفعول مخففاً، ويجوز تشديده. ففي النهاية: الإشراب خلط لون بلون، كأن أحد اللونين سقي اللون الآخر. يقال بياض مشرب بحمرة[1] بالتخفيف، فإذا شدد كان للتكثير والمبالغة. (ضخم الكراديس) أي

الحديث رقم ٥٧٩٠: أخرجه الترمذي ٥/٥٥٨ حديث رقم ٣٦٣٧. وأخرجه أحمد في المسند ١/٩٦.

(١) في المخطوطة «حمرة».

طويلَ المَسْرُبَةِ، إذا مشى تكفَّأ تكفُّؤاً، كأنما ينحطُّ من صببٍ، لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه ﷺ. رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

٥٧٩١ ـ (١٦) وعنه، كانَ إذا وصفَ النبيَّ ﷺ قال: لم يكنْ بالطويلِ الممغَّطِ، ولا بالقصيرِ المتردِّدِ، وكانَ رَبعةً منَ القومِ، ولم يكنْ بالجَعدِ القططِ ولا بالسَّبطِ،

عظيم الأعضاء، وهو جمع الكردوس. وهو كل عظمين التقيا في مفصل نحو المنكبين[1] والركبتين والوركين. وقيل: رؤوس العظام. (**طويل المسربة**) بفتح الميم وسكون السين وضم الراء، الشعر المستدق الذي يأخذ من الصدر إلى السرة. (**إذا مشى تكفأ**) بتشديد الفاء بعده همز أو ألف، وهو أنسب بقوله: (**تكفيا**) بكسر الفاء المشددة بعدها تحتية، على أن أصله تكفؤاً بضم الفاء والهمز. فلما خفف ماضيه بالإبدال ألحق مصدره بالمعتل. وفي نسخة: تكفؤاً على الأصل. وقال شارح: تكفأ تكفؤاً بالهمز وهو الميل تارة إلى اليمين وأخرى إلى الشمال في المشي. وقيل: تكفأ أي اعتمد إلى القدام من قولهم: كفأت الإناء إذا قلبته. ويؤيده قوله: (**كأنما ينحط**) بتشديد الطاء أي يسقط (**من صبب**) أي منحدر من الأرض، فمن تعليلية. أو بمعنى في الظرفية. ولذا قيل: أي يسقط من موضع عال. والمعنى يمشي مشياً قوياً سريعاً. وفي شرح السنة: الصبب الحدور، وهو ما ينحدر من الأرض. يريد به أنه كان يمشي مشياً قوياً برفع رجليه من الأرض رفعاً بائناً، لا كمن يمشي اختيالاً ويقارب خطاه تنعماً. (**لم أر قبله**) أي قبل موته، لأن علياً لم يدرك زماناً قبل وجوده. (**ولا بعده**) أي بعد فوته. (**مثله**) ﷺ. وربما يكون هذا الكلام كناية عن عدم رؤية المماثل له مطلقاً، مع قطع النظر عن القبلية والبعدية. فهذه فذلكة مشتملة على إظهار العجز عن غاية وصفه ونهاية نعته. (**رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح**).

٥٧٩١ ـ (**وعنه**) أي عن علي (**كان إذا وصف النبي ﷺ**) أي من جهة خلقه (**قال: لم يكن بالطويل الممغط**) بضم الميم الأولى وتشديد الثانية المفتوحة وكسر الغين المعجمة، أي الممدود من المغط وهو المد، وهو من باب الانفعال على ما اختاره ابن الأثير في جامع الأصول. وخطأ المحدثين في جعله اسم فاعل من التمغيط، ووافقهم الجوهري وتبعه الشيخ الجزري في تصحيح المصابيح، كذا ذكره ميرك. وفي النهاية: هو بتشديد الميم الثانية، المتناهي في الطول. من أمغط النهار إذا امتد، ومغطت الحبل، وغيره إذا مددته. وأصله منغمط والنون للمطاوعة، فقلبت ميماً وأدغمت في الميم. ويقال بالعين المهملة [بمعناه]، (**ولا بالقصير المتردد**) أي المتناهي في القصر كأنه تردد بعض خلقه على بعض وانضم بعضه إلى بعض وتداخلت أجزاؤه. (**وكان ربعة من القوم**) أي متوسطاً مما بين أفرادهم. فهو في المعنى تأكيد لما قبله. (**ولم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط**) تقدم بيان مبناه وتبيين معناه وقوله:

---

(١) في المخطوطة «الكمين».

الحديث رقم ٥٧٩١: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٥٩ حديث رقم ٣٦٣٨.

كانَ جعداً رَجْلاً، ولم يكنْ بالمطهَّم ولا بالمكلثم، وكانَ في الوَجْهِ تدويرٌ، أبيضُ مشربٌ، أدعجُ العينَين، أهدَبُ الأشفارِ، جليلُ المُشاشِ والكتدِ، أجرد، ذو مَسْرُبةٍ، شثنُ الكفَّين والقدَمينِ، إذا مشى يتقلَّعُ كأنما يمشي في صبَبٍ، وإذا التفتَ التفتَ معاً، بينَ كتفَيهِ خاتم

(كان جعداً رجلاً) بكسر الجيم وبفتح وبسكن، أي لم يكن شديد الجعودة ولا السبوطة. (ولم يكن بالمطهم) بتشديد الهاء المفتوحة أي الفاحش السمين. وقيل: النحيف الجسم وهو من الأضداد. قيل: هو المنتفخ الوجه. (ولا بالمكلثم) بفتح المثلثة أي المدوّر، وجهه غاية التدوير، بل كان وجهه مائلاً إلى التدوير. ولذا قال: (وكان في الوجه) أي في وجهه (تدوير) أي نوع تدوير أو تدوير ما. والمعنى أنه كان بين الأسالة والاستدارة. (أبيض) أي هو أبيض اللون (مشرب) أي مخلوط بحمرة. (أدعج العينين) أي أسود العينين مع سعتهما ذكره شارح. وفي النهاية: الدعج والدعجة شدة السواد في العين وغيرها. يريد أن سواد عينيه كان شديداً، وكأن الدعج شدة سواد العين في بياضها. (أهدب الأشفار) بفتح الهمز جمع شفر بالضم، أي كثير أطراف الجفون كثير الهدب عليها. والأهدب الرجل الكثير. أشفار العين وأشفارها هي أطراف الجفون التي ينبت عليها الشعر وهو الهدب. كذا حققه شارح. وفي النهاية: أي طويل شعر الأجفان. (جليل المُشاش) بضم الميم أي عظيم رؤوس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين. وقال الجوهري: هي رؤوس العظام التي يمكن مضغها. وقال شارح: أي عظيم رؤوس العظام والمناكب. (والكتد) أي وجليله، وهو بفتح الفوقية ويكسر، ما بين الكاهل والظهر ذكره شارح. وفي النهاية: هو مجتمع الكتفين وهو الكاهل. (أجرد) أي الذي ليس على بدنه شعر. ولم يكن ﷺ كذلك، وإنما أراد به أن الشعر كان في أماكن[1] من بدنه كالمسربة والساعدين والساقين. فإن ضد الأجرد هو الأشعر الذي على جميع بدنه شعر. وقد بين بقوله: (ذو مسربة) أنه لم يكن أجرد على الإطلاق. ومن أصحاب التجارب من الهند وغيرهم من لا يحمد الرجل إذا كان في سائر أعضائه أجرد، ولا سيما الصدر. (شثن الكفين والقدمين) أي غليظهما الدال على قوّة البطش والثبات المشيرين إلى صفة الشجاعة ونعت العبادة. (إذا مشى يتقلع) بتشديد اللام، أي يرفع رجليه من الأرض رفعاً بائناً بقوّة متداركاً إحداهما بالأخرى كمشية[2] أهل الجلادة. لا كالذي يقارب الخطا احتشاماً واختيالاً. فإن ذلك من مشي النساء ويوصفن به. (كأنما يمشي) أي ينحط (في صبب) أي منحدر من الأرض. ففيه إيماء إلى قوّة المشي والميل إلى القدام. (وإذا التفت) أي أراد الالتفات إلى أحد جانبيه. (التفت معها) أي بكليته بمعنى أنه لا يسارق النظر. وقيل: أراد لا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة، إذا نظر إلى الشيء. وإنما يفعل ذلك الطائش الخفيف، ولكن كان يقبل جميعاً أو يدبر جميعاً. قال التوربشتي: يريد أنه كان إذا توجه إلى الشيء توجه بكليته ولا يخالف ببعض جسده بعضاً، كيلا يخالف بدنه قلبه. وقصده مقصده لما في ذلك من التلون وآثار الخفة. (بين كتفيه خاتم

(١) في المخطوطة «أمكن».
(٢) في المخطوطة «مشية».

النبوّةِ، وهو خاتمُ النبيّين، أجودُ الناسِ صدراً، وأصدقُ الناسِ لهجةً، وألينُهم عريكةً، وأكرمُهم عشيرةً، مَن رآه بديهةً هابَه، ومَن خالطَه معرفةً أحبَّه، يقول ناعتُه: لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه ﷺ. رواه الترمذي.

٥٧٩٢ - (١٧) وعن جابرٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ لم يسلُكْ طريقاً فيتبعُه أحدٌ إلاّ عرفَ أنّه قد سلَكه، من طِيبِ عَرفِه - أو قال: من ريحِ عرَقِه -. رواه الدارمي.

النبوّة) جملة من خبر ومبتدأ. (وهو خاتم النبيين أجود الناس صدراً) إما من الجودة بفتح الجيم بمعنى السعة والانفساح، أي أوسعهم قلباً فلا يمل ولا ينزجر من أذى الأمة ومن جفاء الأعراب، وإما من الجود بالضم بمعنى الإعطاء ضد البخل، [أي لا يبخل] على أحد شيئاً من زخارف الدنيا ولا من العلوم والحقائق والمعارف التي في صدره. فالمعنى أنه أسخى الناس قلباً. (وأصدق الناس لهجة) بسكون الهاء ويفتح أي لساناً. ففي القاموس: اللهجة اللسان ويحرك، وكذا في الصحاح. وقال في الديوان: اللهجة بفتحتين اللسان وهي الفصحى. وبسكون الهاء لغة ضعيفة. وفي الفائق: روي في اللهجة فتح الهاء وسكونها، والفتح أفصح. وقال أبو حاتم عن الأصمعي: اللهجة بهاء ساكنة ولم يعرف اللهجة. (وألينهم عريكة) أي جانباً وطبيعة. ففي النهاية: يقال فلان لين العريكة، إذا كان سلساً مطاوعاً منقاداً قليل الخلاف، (وأكرمهم عشيرة) بفتح فكسر فتحتية، أي قبيلة. وفي نسخة صحيحة بكسر فسكون، أي معاشرة ومصاحبة. وقال الطيبي: قوله: عشرة هكذا هو في الترمذي والجامع، أي صحبة. وفي المصابيح: العشيرة، أي الصاحب. اهـ. وفيه نظر. إذ النسختان موجودتان في الشمائل وغيره على ما بيناه والله [تعالى] أعلم. (من رآه بديهة) أي أول مرة، أو فجأة وبغتة (هابه) أي خافه وقاراً وهيبة، من هاب الشيء إذا خافه ووقره وعظمه. (ومن خالطه معرفة) تمييز (أحبه) أي بحسن خلقه وشمائله. والمعنى أن من لقيه قبل الاختلاط به والمعرفة إليه هابه لوقاره وسكونه. فإذا جالسه وخالطه بأن له حسن خلقه فأحبه حباً بليغاً. (يقول ناعته:) أي واصفه عند العجز عن وصفه (لم أر قبله) أي قبل وجوده أو قبل موته. (ولا بعده مثله ﷺ. رواه الترمذي.) أي في جامعه وفي الشمائل.

٥٧٩٢ - (وعن جابر رضي الله [تعالى] عنه: أي النبي ﷺ لم يسلك طريقاً) أي زقاقاً (فيتبعه) أي فيعقبه (أحد إلا عرف) أي ذلك التابع (أنه) أي النبي ﷺ (قد سلكه) أي ذلك الطريق (من طيب عرفه) بفتح فسكون ففاء أي رائحته. يعني يتكيف هواء ذلك الطريق بكيفية الطيب منه، فيعرف منه أنه قد سلك هذا الطريق. (أو قال:) أي جابر (من ريح عرقه) بفتحتين فقاف، شك من الراوي والمآل واحد. إذ المقصود بيان طيب عرقه الخلقي لا طيب عرفه العرفي كما سبق، من أنه خصه الله بطيب العرق. وقال ابن الملك: هذا من خصائصه دون سائر الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام (رواه الدارمي).

الحديث رقم ٥٧٩٢: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ٤٥ حديث رقم ٦٦.

٥٧٩٣ ـ (١٨) وعن أبي عبيدة بن محمدِ بن عمارِ بن ياسرٍ، قال: قلتُ للرُّبَيِّعِ بنتِ معوِّذِ ابن عفراءَ: صِفي لنا رسولَ اللهِ ﷺ، قالت: يا بُنَيَّ لو رأيتَه رأيتَ الشمسَ طالعةً. رواه الدارمي.

٥٧٩٤ ـ (١٩) وعن جابرِ بن سَمُرة، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ في ليلةٍ إضحيانٍ، فجعلتُ أنظرُ إلى رسولِ الله ﷺ وإلى القمرِ، وعليهِ حُلَّةٌ حمراءُ، فإذا هوَ أحسنُ عندي منَ القمرِ. رواه الترمذي، والدارمي.

٥٧٩٥ ـ (٢٠) وعن أبي هريرة، قال: ما رأيتُ شيئاً أحسنَ منْ رسولِ الله ﷺ،

٥٧٩٣ ـ (وعن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر) قال المؤلف عنسي بفتح العين والنون، تابعي روى عن جماعة وروى عنه عبد الرحمٰن بن إسحاق. (قال: قلت للربيع) بضم ففتح فتشديد (بنت معوذ ابن عفراء:) بتشديد الواو المكسورة، صحابية جليلة. (صفي) أمر مخاطبة من الوصف، أي انعتي. (لنا رسول الله ﷺ قالت: يا بني) بتشديد الياء المكسورة أو المفتوحة تصغير شفقة ومرحمة (لو رأيته) أي نور وجهه وطالعت فيه مطالعة ووافقك الطالع الميمون والبخت الهمايون. (رأيت الشمس طالعة) أي في وجهه، كما سيأتي مع وجهه. أو التقدير فكأنك رأيت الشمس طالعة وهو أظهر. (رواه الدارمي).

٥٧٩٤ ـ (وعن جابر بن سمرة قال: رأيت النبي ﷺ في ليلة) أي عظيمة (إضحيان) بكسر الهمزة والحاء وتخفيف التحتية كما في الروايات. وهو منصرف وإن كان[1] ألفه ونونه زائدتين لوجود إضحيانة. وأصل الكلمة البروز والظهور. قال شارح: أي ليلة مضيئة لا غيم فيها. يقال: ليلة إضحيان وإضحيانة وضحياء وضحيانة من الضحو. وفي الفائق، أي مقمرة من أولها إلى آخرها، وأفعلان مما قل في كلامهم. (فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ) أي نظرة (وإلى القمر) أي أخرى لانظر الترجيح بينهما في الحسن الصوري. (وعليه حلة حمراء) جملة حالية معترضة (فإذا هو أحسن عندي) أي في نظري أو معتقدي. ولفظ الترمذي في الشمائل: فلهو عندي أحسن من القمر. أي لزيادة الحسن المعنوي فيه ﷺ، كما قال بعض أرباب العشق من أهل المجاز مخاطباً لمحبوبه: يشابهك القمر، لكن من أين له الكلام وسائر مراتب النظام. (رواه الترمذي والدارمي).

٥٧٩٥ ـ (وعن أبي هريرة قال: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ) أي في الصورة

الحديث رقم ٥٧٩٣: أخرجه الدارمي ١/ ٤٤ حديث رقم ٦٠.

الحديث رقم ٥٧٩٤: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ١٠٩ حديث رقم ٢٨١١. والدارمي في السنن ١/ ٤٤ حديث رقم ٥٧.

(١) في المخطوطة «جاز».

الحديث رقم ٥٧٩٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٦٣ حديث رقم ٣٦٤٨. وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٥٠.

كأنَّ الشمسَ تجري في وجهِه وما رأيتُ أحداً أسرعَ في مشيِه منْ رسولِ الله ﷺ، كأنما الأرضُ تُطوى له، إنا لنُجهدُ أنفُسنا وإنَّه لغيرُ مكترثٍ. رواه الترمذي.

٥٧٩٦ ـ (٢١) وعن جابرِ بن سَمُرةَ، قال: كانَ في ساقَيْ رسولِ الله ﷺ حموشةٌ، وكانَ لا يضحكُ إلاّ تبسُّماً، وكنتُ إذا نظرتُ إليه قلت: أكحلُ العينين، وليس بأكحل. رواه الترمذي.

مع قطع النظر عن السيرة. (كأن) بتشديد النون أي رأيته كأن (الشمس تجري في وجهه) قال الطيبي: شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه، وفيه معنى قول الشاعر:

يزيـد[ك] وجهـه حسنـاً * إذا مـا زدتـه نظـرا

وفيه أيضاً عكس التشبيه للمبالغة. (وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله ﷺ) أي مع تحقق وقاره وسكونه ورعاية اقتصاده[1] ممتثلاً قوله تعالى: ﴿واقصد في مشيك﴾ [لقمان ـ ١٩]. (كأنما الأرض تطوى له) بصيغة المجهول أي تزوي وتجمع على طريق خرق العادة تهويناً عليه وتسهيلاً لأمره. (وإنا) استئناف بيان أي نحن (لنجهد أنفسنا) بضم النون وكسر الهاء. وفي نسخة بفتحهما من الإجهاد أو الجهد. وهما الحمل على الشيء فوق طاقته. قال التوربشتي: يجوز فيه فتح النون وضمها. يقال: جهد دابته وأجهدها إذا حمل عليها فوق طاقتها. فالمعنى إنا لنحمل على أنفسنا من الإسراع عقيبه فوق طاقتها. (وإنه لغير مكترث) بكسر الراء أي غير مبال بمشينا أو غير مسرع بحيث تلحقه مشقة، فكأنه يمشي على هينة. يقال: مبال به أي متعب نفسه فيه. ويقال: اكترث بالأمر إذا بالى به، كذا ذكره شارح. وفي النهاية: أي غير مبال، ولا يستعمل إلا في النفي، وأما في الإثبات فشاذ. (رواه الترمذي).

٥٧٩٦ ـ (وعن جابر بن سمرة قال: كان في ساقي رسول الله ﷺ حموشة) بضم الحاء المهملة والميم أي دقة ولطافة[2] مناسبة لسائر أعضائه. (وكان لا يضحك) أي في غالب أحواله (إلا تبسماً) وهو مقدمة الضحك، فيحتمل أن يجعل الاستثناء متصلاً أو منقطعاً. قال الطيبي: جعل التبسم من الضحك واستثناه[3] منه، فإن التبسم من الضحك[4] بمنزلة السنة من النوم. ومنه قوله تعالى: ﴿فتبسم ضاحكاً من قولها﴾ [النمل ـ ١٩]. أي شارعاً في الضحك. (وكنت) بصيغة المتكلم، ولو روي بالخطاب لكان له وجه. (إذا نظرت إليه) أي رأيته (قلت:) أي في ضميري. (أكحل العينين) أي هو مكحل العين (وليس بأكحل) بل كانت عينه كحلاء من غير اكتحال (رواه الترمذي.) وقوله: كان لا يضحك إلا تبسماً. رواه أحمد والحاكم أيضاً[5].

---

(١) في المخطوطة «اقتصاره».

الحديث رقم ٥٧٩٦: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٦٢ حديث رقم ٣٦٤٥. وأحمد في المسند ٥/ ٩٧.

(٢) في المخطوطة «الطاقة». (٣) في المخطوطة «استثناء».

(٤) في المخطوطة زيادة كلمة «غير». (٥) الحاكم في المستدرك ٢/ ٦٠٦.

الفصل الثالث

٥٧٩٧ ـ (٢٢) عن ابن عبّاس، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ أفلج الثنيّتين، إذا تكلَّم رُئي كالنُّور يخرجُ من بين ثناياه. رواه الدارمي.

٥٧٩٨ ـ (٢٣) وعن كعبِ بن مالك، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا سُرَّ استنارَ وجهُه، حتى كأنَّ وجهَه قطعةُ قمر.

(الفصل الثالث)

٥٧٩٧ ـ (**عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أفلج الثنيتين**) وفي نسخة من الشمائل: أفلج الثنايا. في النهاية: الفلج بالتحريك فرجة ما بين الثنايا والرباعيات، والفرق فرجة بين الثنيتين، اهـ كلامه. وفي الحديث استعمل فلج موضع فرق كذا ذكره الطيبي. والمفهوم من القاموس عدم الفرق حيث قال: الفلج بالتحريك تباعد ما بين القدمين وتباعد ما بين الأسنان، وهو أفلج الأسنان ولا بد من ذكر الأسنان يعني ليحصل الفرق. (**إذا تكلم**) روي مجهول (**رئي**) أي أبصر (**كالنور**) أي شيء مثل النور (**يخرج**) أي حال كونه يظهر (**من بين ثناياه**) وهو إما أن يراد به كلامه النوراني، أو أمر زائد يدركه الذوق الوجداني. ولا منع من الجمع لما رواه أحمد عن أبي الدرداء: من أنه ﷺ كان لا يحدث حديثاً إلا تبسم. ولعل العارف ابن الفارض أشار إليه في قوله:

عليك بها صرفاً فإن شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

قال الطيبي: الضمير في يخرج يجوز أن يرجع إلى ما دل عليه تكلم وأن يرجع إلى النور، والكاف زائدة نحو قولك: مثلك يجود. فعلى الأول تشبيه وجه البيان والظهور كما سميت الحجة الظاهرة بالنور. وعلى الثاني لا تشبيه فيه فيكون من معجزاته ﷺ. (**رواه الدارمي**) وكذا الترمذي في الشمائل.

٥٧٩٨ ـ (**وعن كعب بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا سر**) بضم السين وتشديد الراء، أي فرح وصار مسروراً (**استنار وجهه حتى كأن**) بتشديد النون (**وجهه قطعة قمر**) لعل

الحديث رقم ٥٧٩٧: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ٤٤ حديث رقم ٥٨. والبغوي في شرح السنة ١٣/ ٢٢٣ حديث رقم ٣٦٤٤.

الحديث رقم ٥٧٩٨: أخرجه البخاري ٧/ . حديث رقم ٤٤١٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٢٠ حديث رقم ٥٣/ ٢٧٦٩. وأحمد في المسند ٣/ ٤٥٩.

وكنا نعرف ذلك. متفق عليه.

٥٧٩٩ ـ (٢٤) وعن أنس، أنَّ غلاماً يهودياً كانَ يخدم النبي ﷺ، فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة، فقال له رسول الله ﷺ: «يا يهودي! أنشدك بالله أنزل التوراة على موسى، هل تجد في التوراة نعتي وصفتي ومخرجي؟». قال: لا. قال الفتى: بلى واللهِ يا رسول الله! إنا نجد لك في التوراة نعتك وصفتك ومخرجك، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فقال النبي ﷺ لأصحابه: «أقيموا هذا من عند رأسه، ولُوا أخاكم». رواه البيهقي في «دلائل النبوة».

٥٨٠٠ ـ (٢٥) وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما أنا رحمة مُهْداةٌ».

الإضافة بيانية، أو بمعنى من نظراً إلى أصل القمر من الكبر لا بحسب بادىء الرأي في النظر. (وكنا نعرف ذلك) أي من عادته أو ذلك لا يختص بي، بل لا يخفى على أحد منا. قال الطيبي: حال مؤكدة أي كان ظاهراً جلياً[1] لا يخفى على كل ذي بصر وبصيرة. (متفق عليه).

٥٧٩٩ ـ (وعن أنس أن غلاماً) أي ولداً (يهودياً) أي واحداً من اليهود (كان يخدم) بضم الدال ويكسر (النبي ﷺ فمرض) أي الغلام (فأتاه النبي ﷺ يعوده) تواضعاً وجزاء ورجاء (فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة) أي بعضاً منها كما يقرأ سورة يس عندنا حالة النزع. (فقال له) أي لأبيه (رسول الله ﷺ: يا يهودي أنشدك) بضم الشين، أي أقسم عليك. (بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة) أي في بعض آياتها (نعتي) أي باعتبار ذاتي وخلقتي. (وصفتي) أي باعتبار أفعالي وأحوالي (ومخرجي) أي مكان خروجي، أو زمانه من ولادة أو بعثة أو هجرة. (قال: لا. قال الفتى:) أي الغلام (بلى والله يا رسول الله إنا نجد لك في التوراة نعتك ووصفك.) وفي نسخة صحيحة: وصفتك (ومخرجك وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. النبي ﷺ لأصحابه: أقيموا هذا) أي أباه (من عند رأسه. ولو أخاكم) الواو للعطف على أقيموا، ولو أمر مخاطب من ولي الأمر، يليه إذا تولاه. أي كونوا وإلى أمر أخيكم في الإسلام وتولوا أمر تجهيزه وتكفينه وسائر الأحكام. قال السيد جمال الدين المحدث: وبعض محدثي زماننا قرأ هذه الكلمة على أنها حرف شرط، وهو تصحيف وتحريف رواية ودراية. (رواه البيهقي في دلائل النبوة).

٥٨٠٠ ـ (وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: إنما أنا رحمة مهداة) بضم الميم، أي ما أنا إلا رحمة للعالمين أهداها الله إليهم، فمن قبل هديته أفلح وظفر. ومن لم يقبل خاب وخسر

---

(١) في المخطوطة «علينا».

الحديث رقم ٥٧٩٩: البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٢٧٢.

الحديث رقم ٥٨٠٠: أخرجه الدارمي في السنن ١/ ٢١ حديث رقم ١٥ والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٦٤ حديث رقم ١٤٤٦.

رواه الدارمي، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٣) باب في أخلاقه وشمائله ﷺ

الفصل الأول

٥٨٠١ ـ (١) عن أنس، قال: خدمتُ النبيَّ ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أُفٍّ، ولا: لم صنعتَ؟

كقوله تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ [الأنبياء ـ ١٠٧]. (**رواه الدارمي والبيهقي في شعب الإيمان**) وكذا ابن سعد والحكيم عن أبي صالح مرسلاً، والحاكم في مستدركه عنه عن أبي هريرة مرفوعاً.

(باب في أخلاقه وشمائله ﷺ)

في النهاية: الخلق بضم اللام وسكونها، الدين والطبع والسجية. وحقيقته أن صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها المختصة بها، بمنزلة الخلق كصورتها الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة. والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر ما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة. والشمائل جمع شمال وهو الخلق انتهى. والشمال بالكسر بمعنى الطبع لا بمعنى اليسار، ومنه قوله تعالى: ﴿**يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل**﴾ [النحل ـ ٤٨]. ولا بالفتح والهمز لأنه بمعنى الريح وكل منهما غير مناسب للباب.

(الفصل الأول)

٥٨٠١ ـ (**عن أنس رضي الله عنه قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين**) وفي رواية مسلم: تسع سنين. (**فما قال لي أف**) بضم الهمز وكسر الفاء المشددة. وفي نسخة بفتحها. وفي نسخة بتنوين المكسورة. وهي ثلاث قراءات متواترات. وقال النووي: في شرح مسلم فيه عشر لغات أف بضم الفاء وفتحها وكسرها بلا تنوين، وبالتنوين ثلاثة أخر. وأف بضم الهمزة وإسكان الفاء. وإف بكسر الهمزة وفتح الفاء. وأفي وأفه بضم همزتهما. قال شارح: وهي كلمة تبرم، أي ما قال لي ما فيه تبرم وملال. (**ولا لم صنعت**) أي لأي شيء صنعت هذا الفعل (**ولا ألا**)

الحديث رقم ٥٨٠١: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٤٥٦. حديث رقم ٦٠٣٨. ومسلم في صحيحه ٤/١٨٠٤ حديث رقم ٥١/٢٣٠٩. وأخرجه أبو داود ٥/١٣٣ حديث رقم ٤٧٧٤. والترمذي ٤/٣٢٣ حديث رقم ٢٠١٥. والدارمي في السنن ١/٤٥ حديث رقم ٨٢.

ولا: ألا صنعت؟ متفق عليه.

٥٨٠٢ ـ (٢) وعنه، قال: كان رسول ﷺ من أحسنِ الناس خُلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: واللّهِ لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به رسول الله ﷺ، فخرجتُ حتى أمرَّ على صبيان وهم يلعبون في السُّوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قَبَض بقفاي من ورائي، قال: فنظرتُ إليه وهو يضحك، فقال: «يا أُنيس! ذهبتَ حيث أمرتك؟». قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله!.

بتشديد اللام أي هلا (صنعت) أي لم لا فعلت هذا الأمر. والمعنى لم يقل لشيء صنعته لم صنعته، ولا لشيء لم أصنعه وكنت مأموراً به لم لا صنعته. وقال الطيبي: أف اسم فعل بمعنى أتضجر وأكره. وحرف التحضيض في الماضي أفاد التنديم، كما في المضارع يفيد التحريض. واعلم أن ترك اعتراض النبي ﷺ على أنس رضي الله عنه فيما خالف أمره، إنما يفرض فيما يتعلق بالخدمة والآداب، لا فيما يتعلق بالتكاليف الشرعية. فإنه لا يجوز ترك الاعتراض فيه. وفيه أيضاً مدح أنس فإنه لم يرتكب أمراً يتوجه إليه من النبي ﷺ اعتراض ما. (متفق عليه) ورواه الترمذي في الشمائل وزاد قط بعد قوله: أف. ثم قال: وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته.

٥٨٠٢ ـ (وعنه) أي عن أنس رضي الله عنه (قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً) بضمتين ويسكن اللام أي عشرة (فأرسلني يوماً لحاجة فقلت: والله لا أذهب) أي بلساني، وكأنه أراد به الوقت الآتي. ويؤيده قوله: (وفي نفسي) أي وفي قلبي وجناني (أن أذهب لما أمرني به رسول الله ﷺ) أي لأجل أمره إياي به (فخرجت) أي على قصد الذهاب إليه (حتى أمر) بالنصب، وفي نسخة بالرفع. كقوله تعالى: ﴿حتى يقول الرسول﴾ [البقرة ـ ٢١٤]. قال الطيبي: هو حكاية الحال الماضية. ويجوز أن تكون حتى ناصبة بمعنى كي. قلت: لكن لا يلائمه المعنى، إذ المراد أني خرجت أذهب إلى أن مررت في طريقي. (على صبيان[1] وهم يلعبون في السوق) والظاهر أنه وقف عندهم إما للعب أو للتفرج ولذا قال: (فإذا رسول الله ﷺ قد قبض) أي أخذ (بقفاي) والقفا بالقصر مؤخر العنق فقوله: (من ورائي) إما للتأكيد، أو متعلق بقبض. (قال:) أي أنس (فنظرت إليه وهو يضحك. وقال: يا أنيس) تصغير أنس للشفقة والمرحمة (ذهبت) أي أذهبت حيث أمرتك (قلت: نعم) بناه على أنه شرع في الذهاب. فقوله: (أنا أذهب) أي الآن أكمل الذهاب (يا رسول الله) قال شارح: إنما قال نعم لأن المأمول كالموجود بناء على أنه جزم العزم على الذهاب، أو لأن ذهبت في السؤال في معنى أتذهب، لعلمه ﷺ بأنه ما ذهب أنس إلى تلك الحاجة. واقتصر الطيبي على الأول ثم قال: ويحمل قوله

الحديث رقم ٥٨٠٢: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٠٥ حديث رقم (٥٤ ـ ٢٣١٠). وأخرجه أبو داود في ٥/ ١٣٢ حديث رقم ٤٧٧٣.

(١) في المخطوطة «صبيانهم».

رواه مسلم.

٥٨٠٣ ـ (٣) وعنه، قال: كنت أمشي مع رسولِ اللّهِ ﷺ وعليه بُردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جَبْذَةً شديدةً، ورجع نبيُّ الله ﷺ في نحر الأعرابيِّ حتى نظرتُ إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جَبذته، ثم قال: يا محمَّد! مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفتَ إليه رسول الله ﷺ، ثم ضحك، ثم أمرَ له بعطاءٍ. متفق عليه.

لرسول الله ﷺ والله لا أذهب وأمثاله على أنه كان صبياً غير مكلف. قال الجزري: ولذا ما أدبه بل داعبه وأخذ بقفاه وهو يضحك رفقاً به. (رواه مسلم).

٥٨٠٣ ـ (وعنه) أي عن أنس (قال: **كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد**) أي ثوب مخطط على ما في النهاية. (**نجراني**) بفتح نون وسكون جيم، منسوب إلى نجران بلد باليمن ذكره شارح. وفي النهاية: هو موضع معروف بين الحجاز والشام واليمن. (**غليظ الحاشية**) أي الطرف (**فأدركه أعرابي**) أي لحقه (**من ورائه فجبذه**) أي فجذب الأعرابي النبي ﷺ بردائه. (**جبذة شديدة**) والجبذ لغة في الجذب. وقيل: هو مقلوب منه. (**ورجع نبي الله ﷺ في نحر الأعرابي**) أي في صدره، ومقابله من شدة جذبه. قال الطيبي: أي استقبل ﷺ نحره استقبالاً تاماً، وهو معنى قوله: وإذا التفت التفت معاً. وهذا يدل على أنه لم يتغير ولم يتأثر من سوء أدبه. (**حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ**) وهو موضع الرداء من المنكب. (**قد أثرت بها**) أي في صفحته (**حاشية البرد من شدة جبذته**) قلت: وصدق الله في قوله: ﴿**الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله**﴾ [التوبة ـ ٩٧]. (**ثم قال: يا محمد**) والظاهر أنه كان من المؤلفة فلذلك فعل ما فعله، ثم خاطبه باسمه قائلاً على وجه العنف مقابلاً لبحر اللطف. (**مر لي**) أي مر وكلاءك بأن يعطوا لي أو مر بالعطاء لأجلي. (**من مال الله الذي عندك**) أي من غير صنيع لك في إعطائك كما صرح في رواية حيث قال: لا من مالك ولا من مال أبيك قيل: المراد به مال الزكاة فإنه كان يصرف بعضه إلى المؤلفة. (**فالتفت إليه رسول الله ﷺ**) أي فنظر إليه تعجباً (**ثم ضحك**) أي تلطفاً (**ثم أمر له بعطاء**) وفيه استحباب احتمال الوالي من أذى قومه، وفيه دفع المال حفظاً على عرض الرجال. (**متفق عليه**).

الحديث رقم ٥٨٠٣: أخرجه البخاري ٦/ ٢٥١. حديث رقم ٣١٤٩. ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٣٠ حديث رقم (١٢٨ ـ ١٠٥٧). وأخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١١٧٧ حديث رقم ٣٥٥٣ وأحمد في المسند ٤/ ٢٢٣.

٥٨٠٤ ـ (٤) وعنه، قال: كانَ رسولُ اللّهِ ﷺ أحسنَ النّاسِ، وأجودَ النّاسِ، وأشجعَ النّاسِ، ولقد فَزِعَ أهلُ المدينةِ ذات ليلةٍ، فانطلقَ النّاسُ قِبَلَ الصَّوت، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبقَ النّاسَ إلى الصوت وهو يقولُ: «لم تُراعوا، لم تُراعوا» وهو على فرسٍ لأبي طلحةَ عُرْيٍ ما عليهِ سَرْجٌ، وفي عُنُقه سَيفٌ. فقال: «لقد وجدتُه بحراً». متفق عليه.

٥٨٠٤ ـ **(وعنه)** أي عن أنس رضي الله عنه **(قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس)** أي خلقاً وخلقاً وصورة وسيرة ونسباً وحسباً ومعاشرة ومصاحبة. **(وأجود الناس)** أي أكثرهم كرماً وسخاوة. **(وأشجع الناس)** أي قوّة وقلباً، ويدل عليه قوله تعالى: **﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين﴾** [النساء ـ ٨٤]. ولذا كان يركب البغل لأنه لا يتصور معه الكر. **(ولقد فزع)** بكسر الزاي أي خاف **(أهل المدينة)** وفي المصابيح: فزع الناس. في شرح السنة: أي استغاثوا. يقال: فزع منه بالكسر أي خاف وفزع إليه، أي استغاث كذا ذكره شارح له. **(ذات ليلة)** أي حيث سمعوا أصواتاً أنكروها **(فانطلق الناس قبل الصوت)** بكسر القاف وفتح الموحدة أي إلى جانبه **(فاستقبلهم)** أي النبي ﷺ الناس راجعاً إليهم حال كونه. **(قد سبق الناس إلى الصوت)** أي إلى نحوه وتحقق عدم الفزع عنده. وأبعد الطيبي في قوله: الضمير في فاستقبلهم راجع إلى ما دل عليه الصوت الذي فزع منه أهل المدينة، يعني القوم. قال ميرك: والظاهر أن الضمير للناس والمراد أنه ﷺ سبق الناس إلى الصوت، فلما رجع استقبل الناس الذين خرجوا نحو الصوت. قلت: بل هذا هو المتعين لقوله: **(وهو يقول: لم تراعوا)** بضم التاء والعين مجهول من الروع بمعنى الفزع والخوف، أي لم تخافوا ولم تفزعوا. وأتي بصيغة الجحد مبالغة في النفي، وكأنه ما وقع الروع والفزع قط. **(لم تراعوا)** كرره تأكيداً، أو لكل الخطاب قوم من عن يمينه ويساره، وفي شرح السنة: ويروى لن تراعوا والعرب تضع لم ولن موضع لا النهي. فعلى هذا يكون خبراً في معنى النهي ذكره الطيبي. والظاهر أنه على الأول من غير تأويل يكون خبراً في معنى النهي. وأما على هذا فيكون نهياً على الحقيقة. قال التوربشتي: هو في أوثق الروايات: لن تراعوا، أي لا خوف ولا فزع فاسكنوا. يقال: ريع فلان إذا فزع. **(وهو)** أي النبي ﷺ **(على فرس لأبي طلحة عري)** بضم فسكون أي ليس عليه سرج، نقول: ما عليه سرج بيان وتأكيد أو احتراز من نحو جل أو لجام. **(وفي عنقه)** أي النبي ﷺ. **(سيف)** أي مقلد وفي نسخة بكسر السيف، أي في جيد الفرس حبل من ليف السعف. واقتصر عليه شارح وهو بعيد جداً في المعنى، وإن كان قريباً في المبنى. **(فقال: لقد وجدته)** أي الفرس. **(بحراً)** أي جواداً وسيع الجري، وكان يسمي ذلك الفرس المندوب بمعنى المطلوب وكان بطيئاً ضيق الجري، فانقلب حاله ببركة ركوبه ﷺ. ويشبه الفرس إذا كان جواداً بالبحر لاستراحة راكبه [به] كراكب الماء إذا كانت الريح طيبة. **(متفق عليه)** قال النووي: فيه بيان ما أكرمه الله تعالى به من جليل الصفات، وفيه معجزة انقلاب الفرس سريعاً بعد أن كان

الحديث رقم ٥٨٠٤: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٥٥. حديث رقم ٦٠٣٣. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٠٢ حديث رقم (٤٨. ٢٣٠٧). وأخرجه الدارمي في السنن ١/ ٤٤ حديث رقم ٥٩.

٥٨٠٥ ـ (٥) وعن جابرٍ، قال: ما سُئلَ رسولُ الله ﷺ شيئاً قطُّ فقال: لا. متفقٌ عليه.

٥٨٠٦ ـ (٦) وعن أنسٍ، أنَّ رجلاً سأل النبيَّ ﷺ غنماً بينَ جبَليْنِ، فأعطاهُ إيّاهُ، فأتى قومَه، فقال: أيْ قومِ! أسلِموا، فوَاللّهِ إنَّ محمَّداً ليُعطي عطاءً ما يخافُ الفقرَ.

بطيئاً. وفيه جواز سبق الإنسان وحده في كشف أخبار العدوّ، ما لم يتحقق بالهلاك وجواز العارية وجواز الغزو على فرس المستعار، واستحباب تقلد السيف في العنق، وتبشير الناس بعد الخوف إذا ذهب.

٥٨٠٥ ـ **(وعن جابر رضي الله عنه قال: ما سئل)** أي ما طلب **(رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا)** أي لا أعطيه، بل إما أعطى أو اعتذر. ودعا أو وعد له فيما تمنى عملاً بقوله تعالى: **﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً﴾** [الإسراء ـ ٢٨]. فقد روى البخاري في الأدب المفرد عن أنس أنه ﷺ: كان رحيماً فكان لا يأتيه أحد إلا وعده وأنجز له إن كان عنده[١]. هذا، وكان يقول ﷺ: أنفق يا بلال. وقيل: بلالاً ولا تخش من ذي العرش إقلالاً. كما رواه البزار عن بلال[٢]، وعن أبي هريرة والطبراني عن ابن مسعود. وما أبلغ قول الفرزدق في زين العابدين:

حمال أثقال أقوام إذا مدحوا * حلو الشمائل يحلو عنده نعم
ما قال لا قط إلا في تشهده * لولا التشهد لم ينطق بذاك فم

(متفق عليه) وفي الجامع: كان لا يسأل شيئاً إلا أعطاه أو سكت. رواه الحاكم عن أنس[٣].

٥٨٠٦ ـ **(وعن أنس)** رضي الله عنه **(أن رجلاً سأل النبي ﷺ غنماً بين جبلين)** أي قطعة غنم تملأ ما بينهما **(فأعطاه إياه)** أي مطلوبه على وجه تمناه **(فأتى قومه)** أي متعجباً من كرمه الدال على كمال توكله وزهده. **(فقال: أي قوم)** أي يا قوم **(أسلموا)** أي فإن الإسلام يهدي إلى مكارم الأخلاق. **(فوالله أن محمداً ليعطي عطاء)** أي عظيماً **(ما يخاف الفقر)** قال الطيبي: يجوز أن يكون حالاً من ضمير يعطي وأن يكون صفة العطاء، أي عطاء ما يخاف الفقر معه. فإن

الحديث رقم ٥٨٠٥: أخرجه البخاري ١٠/ ٤٥٥. حديث رقم ٦٠٣٤. وأخرجه مسلم ٤/ ١٨٠٥ حديث رقم (٥٦ . ٢٣١١). والدارمي ١/ ٤٧ حديث رقم ٧٠.

(١) كذا ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٢٤ حديث رقم ٦٨٣٧.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٦٤ حديث رقم ٢٧٤٦. وقد رواه أيضاً الطبراني في الكبير.

(٣) الجامع الصغير ٢/ ٤٢٦ حديث رقم ٦٨٩٣. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ١٣٠.

الحديث رقم ٥٨٠٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٠٦ حديث رقم (٥٨ . ٢٣١٢) وأحمد في المسند ٣/ ١٠٨.

رواه مسلم.

٥٨٠٧ ـ (٧) وعن جُبير بنِ مُطعِم، بينما هو يسيرُ مع رسول الله ﷺ مُقْفَلَه من حُنينٍ، فعلقتِ الأعرابُ يسألونَه حتى اضطرُّوه إلى سَمُرة، فخطفتْ رداءَه فوقفَ النبيُّ ﷺ، فقال: «أعطوني ردائي، لو كانَ لي عددُ هذه العضاة نَعَمٌ لقسمتُه بينكم، ثمَّ لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً».

قلت: كيف دل هذا الوصف على وجوب الإسلام، قلت: مقام ادعاء النبوّة مع اعطاء الجزيل، يدل على وثوقه على من أرسله إلى دعوة الخلق. فإن من جبل الإنسان خوف الفقر. قال تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ [البقرة ـ ٢٦٨]. (رواه مسلم).

٥٨٠٧ ـ (وعن جبير بن مطعم بينما هو) أي جبير (يسير مع رسول الله ﷺ مقفله) مصدر ميمي أو اسم زمان من قفل كنصر ورجع قفولاً رجع، أي عند رجوعه أو وقت رجوعه. (من حنين) بالتصغير موضع بين مكة والطائف. (فعلقت) بكسر اللام أي تشبث. (الأعراب) أو طفقت (يسألونه) أي يطلبونه من العطايا والمطايا (وهو يعطيهم) أو يعدهم ويمتبهم (حتى اضطروه) أي ألجؤوه (إلى سمرة) بفتح فضم، أي شجرة طلح. (فخطفت) بكسر الطاء، أي أخذت السمرة بسرعة. (رداءه) حيث تعلقت به. وقال شارح: أي سلبت انتهى. ولا يبعد أن يكون الضمير راجعاً إلى الأعراب كما يدل عليه قوله: (فوقف النبي ﷺ فقال: أعطوني ردائي) وأغرب الطيبي حيث قال: أي علق رداءه بها فاستعير لها الخطف. (لو كان لي عدد هذه العضاة) بكسر العين المهملة وبالضاد المعجمة وبالهاء في الآخر أم غيلان. وقيل: كل شجر يعظم وله شوك. واحده عضاهة، وعضة بحذف الهاء الأصلية، كما حذف من الشفة. وعدد نصب على المصدر، أي بعد عددها أو على نزع الخافض أي بعددها أو كعددها، والمراد به الكثرة. (نعم) بفتحتين. وفي القاموس: النعم وقد يكسر عينه، الإبل والشاء أو خاص بالإبل، وجمعه أنعام. قلت: ويرد عليه قوله سبحانه: ﴿من الأنعام ثمانية أزواج﴾ [الزمر ـ ٦]. حيث يراد بها أصناف الإبل والبقر والضأن والمعز من الذكور والإناث. (لقسمته بينكم) أي لزهدي في النعم وتركي للنعم وطلبي قرب المنعم. (ثم لا تجدوني بخيلاً) ثم هنا بمعنى الفاء، أو للتراخي في الزمان، أي بعد ما جربتموني في العطاء وعرفتم طبعي في الوعد بالوفاء واعتمادي على رب الأرض والسماء، فلا تجدوني بخيلاً. (ولا كذوباً ولا جباناً) وقال المظهر: أي إذا جربتموني في الوقائع لا تجدوني متصفاً بالأوصاف الرذيلة. وفيه دليل على جواز تعريف نفسه بالأوصاف الحميدة لمن لا يعرفه ليعتمد عليه. وقال الطيبي: ثم هنا للتراخي في الرتبة، يعني أنا في ذلك العطاء لست بمضطر إليه بل أعطيه مع أريحية نفس ووفور نشاط، ولا بكذوب أدفعكم عن نفسي ثم أمنعكم عنه، ولا

الحديث رقم ٥٨٠٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٥. حديث رقم ٢٨٢١. والنسائي في السنن ٦/ ٢٦٢ حديث رقم ٣٦٨٨. ومالك في الموطأ ٢/ ٤٥٧ حديث رقم ٢٢ من كتاب الجهاد. وأحمد في المسند ٤/ ٨٢.

رواه البخاري.

٥٨٠٨ ـ (٨) وعن أنسٍ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا صلَّى الغَداةَ جاءَ خدمُ المدينةِ بآنيتِهم فيها الماءُ، فما يأتونَ بإناءٍ إلا غمسَ يدَه فيها، فرُبما جاؤوهُ بالغَداةِ الباردةِ فيغمسُ يده فيها. رواه مسلم.

٥٨٠٩ ـ (٩) وعنه، قال: كانت أَمَةٌ من إماءِ أهلِ المدينةِ تأخذُ بيدِ رسولِ الله ﷺ فتنطلقُ به حيثُ شاءتْ. رواه البخاري.

٥٨١٠ ـ (١٠) وعنه، أنَّ امرأةً كانتْ في عقلِها شيءٌ،

بجبان أخاف أحداً. فهو كالتميم للكلام السابق. (رواه البخاري).

٥٨٠٨ ـ (**وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغدوة**) أي الفجر (**جاء**) وفي الجامع: جاءه. (**خدم المدينة**) جمع خادم من غلام أو جارية. (**بآنيتهم**) جمع إناء (**فيها الماء**) أي فيطلبون البركة والنماء والعافية والشفاء. (**فما يأتون**) وفي الجامع: فما يؤتى. (**بإناء إلاّ غمس يده فيها**) أي تطييباً لخواطرهم وتحصيلاً لمقاصدهم. (**فما جاؤوه بالغدوة**) أي في الغدوة. (**الباردة فيغمس يده فيها**) قال الطيبي: فيه تكلف[1] المشاق لتطييب قلوب الناس لا سيما مع الخدم والضعفاء، وليتبركوا بإدخال يده الكريمة في أوانيهم، وبيان تواضعه ﷺ مع الضعفاء. (**رواه مسلم**) وكذا أحمد. إلا أنه في الجامع[2] عنهما بدون قوله: فربما إلى آخره وروى ابن عساكر عن أنس: أنه ﷺ كان أرحم الناس بالصبيان والعيال[3]. وفي الجامع: كان مما يقول للخادم: [ألك] حاجة. رواه أحمد عن رجل[4].

٥٨٠٩ ـ (**وعنه**) أي عن أنس رضي الله عنه (**قال: كانت أمة**) أي جارية (**من إماء أهل المدينة**) أي فرضاً وتقديراً (**تأخذ بيد رسول الله ﷺ**) قيل: المراد من الأخذ باليد لازمه وهو الرفق. (**فتنطلق به حيث شاءت**) أي ولو خارج المدينة. وهذا يدل على غاية تواضعه مع الخلق ونهاية تسليمه مع الحق. (**رواه البخاري**).

٥٨١٠ ـ (**وعنه:**) أي عن أنس (**أن امرأة كان في عقلها شيء**) أي من الخفة أو الجذبة

الحديث رقم ٥٨٠٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٢ حديث رقم (٧٤ ـ ٢٣٢٤)، وأحمد في المسند ٣/ ١٣٧.

(١) في المخطوطة «تكليف». (٢) الجامع الصغير ٢/ ٤١٨ حديث رقم ٦٧٣٦.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٢٣ حديث رقم ٦٨٢٠.

(٤) الجامع الصغير ٢/ ٤٢٥ حديث رقم ٦٨٦٦ والحديث أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٥٠٠.

الحديث رقم ٥٨٠٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٨٩، حديث رقم ٦٠٧٢.

الحديث رقم ٥٨١٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٢ حديث رقم (٧٦ ـ ٢٣٢٦)، وأبو داود في السنن ٥/ ١٦١ حديث رقم ٤٨١٨، وأحمد في المسند ٣/ ١١٩.

فقالت: يا رسولَ الله! إنَّ لي إليكَ حاجةً، فقال: «يا أُمَّ فلانٍ! انظري أيَّ السككِ شئتِ حتى أقضيَ لكِ حاجتَكِ» فخَلا معهَا في بعضِ الطرقِ، حتى فرغتْ منْ حاجتِها. رواه مسلم.

٥٨١١ ـ (١١) وعنه، قال: لم يكنْ رسولُ الله ﷺ فاحشاً ولا لعَّاناً ولا سبَّاباً، كانَ يقولُ عندَ المعْتَبةِ: «ما لَه تَرِبَ جَبينُه؟!». رواه البخاري.

٥٨١٢ ـ (١٢) وعن أبي هريرةَ،

(فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة) أي خفية عن الناس **(فقال: يا أم فلان انظري)** أي تفكري أو أبصري **(أي السكك)** بكسر ففتح جمع السكة، وهي الزقاق. **(شئت)** أي أردت إحضاري فيه. **(حتى أقضي لك حاجتك)** أي كي أحصل لك مقصودك ومرادك **(فخلا)** أي مضى **(معها في بعض الطرق)** أي ووقف معها وسمع كلامها ورد جوابها. **(حتى فرغت من حاجتها)** وفيه تنبيه على أن الخلوة مع المرأة في زقاق ليس من باب الخلوة معها في بيت، على احتمال أن بعض الأصحاب كانوا واقفين بعيداً عنهما مراعاة لحسن الأدب. **(رواه مسلم)**.

٥٨١١ ـ **(وعنه)** أي عن أنس **(قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً)** أي آتياً بالفحش من الفعل **(ولا لعاناً ولا سباباً)** المقصود منهما نفي اللعن والسب وكل ما يكون من قبيل الفحش القولي، لا نفي المبالغة فيهما. وكأنه نظر إلى أن المعتاد هو المبالغة فيهما فنفاهما على صيغ المبالغة. والمقصود نفيهما مطلقاً كما يدل عليه آخر كلامه. قال الطيبي: فإن قلت: بناء فعال للتكثير أو للمبالغة، ونفيه لا يستلزم نفي اللعن والسب مطلقاً. قلت: المفهوم ههنا غير معتبر لأنه وارد في مدحه ﷺ. فإن أريد التكثير فيعتبر الكثرة فيمن يستحقه من الكفار والمنافقين، أي ليس بلاعن واحد واحد منهم. وإن أريد المبالغة كان المعنى أن اللعن بلغ في العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان اللاعن بمثله لعاناً بليغ اللعن، نحو قوله تعالى: ﴿**وأن الله ليس بظلام للعبيد**﴾ [آل عمران ـ ١٨٢]. قلت: الأظهر في معنى الآية والحديث أن يقال: فعال للنسبة كتمار ولبان، أي ليس الله بذي ظلم مطلقاً، ولا رسوله بصاحب لعن ولا سب لمن لم يكن مستحقاً من الكفار أو الفجار لكونه نبي الرحمة، ولذا استأنف الراوي بقوله: **(كان يقول عند المعتبة)** بفتح التاء، وقيل بكسرها أيضاً بمعنى الملامة والعتاب، على ما في القاموس واختاره ابن الملك. وبمعنى الغضب كما في النهاية واختاره شارح. والمعنى غاية ما يقوله عند المعاتبة أو المخاصمة هذه الكلمة، معرضاً عنه غير مخاطب له. **(ما له ترب جبينه)** وهي أيضاً ذات وجهين إذ يحتمل أن يكون دعاء على المقول له بمعنى رغم أنفك وأن يكون دعاء له بمعنى سجد لله وجهك. **(رواه البخاري)**.

٥٨١٢ ـ **(وعن أبي هريرة)** رضي الله عنه **(قال: قيل: يا رسول الله**[1] ادع على

الحديث رقم ٥٨١١: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٤٥٢. حديث رقم ٦٠٣١. وأحمد في المسند ٣/ ١٥٨.

الحديث رقم ٥٨١٢: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٠٦ حديث رقم (٨٧. ٢٥٩٩).

(١) في المخطوطة «الرسول الله».

قال: قيلَ: يا رسولَ الله! ادْعُ على المشركينَ. قال: «إني لم أُبعثْ لعَّاناً؛ وإنما بُعِثْتُ رحمةً». رواه مسلم.

٥٨١٣ ـ (١٣) وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ، قال: كانَ النبيُّ ﷺ أشدَّ حياءً منَ العذراءِ في خِدرِها، فإذا رأى شيئاً يكرهُه عرفناه في وجهه. متفق عليه.

٥٨١٤ ـ (١٤) وعن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها، قالت: ما رأيتُ النبيَّ ﷺ مستجمِعاً قطُّ

المشركين. قال: إني لم أبعث لعاناً) أي ولو على جماعة مخصوصة من الكافرين لقوله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم﴾ [آل عمران ـ ١٢٨]. (وإنما بعثت رحمة) أي للناس عامة وللمؤمنين خاصة متخلقاً بوصفي الرحمٰن الرحيم، ولقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء ـ ١٠٧]. قال ابن الملك: أما للمؤمنين فظاهر وأما للكافرين فلأن العذاب رفع عنهم في الدنيا بسببه، كما قال تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ [الأنفال ـ ٣٣]. أقول بل عذاب الاستئصال مرتفع عنهم ببركة وجوده إلى يوم القيامة. وقال الطيبي: أي إنما بعثت لأقرب الناس إلى الله وإلى رحمته، وما بعثت لأبعدهم عنها. فاللعن مناف لحالي فكيف ألعن. (رواه مسلم.) وكذا البخاري في الأدب المفرد[1]. وروى الطبراني عن كريز بن شامة قوله: إني لم أبعث لعاناً. وروى البخاري في تاريخه عن أبي هريرة بلفظ: إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً[2].

٥٨١٣ ـ (وعن أبي سعيد الخدري قال: كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء) أي البكر (في خدرها) بكسر أوله أي في سترها. قال الطيبي: هو تتميم، فإن العذراء إذا كانت في خدرها أشد حياء مما إذا كانت خارجة عنه. (فإذا رأى شيئاً يكرهه) أي من جهة الطبع أو من طريق الشرع (عرفناه في وجهه) أي من أثر التغير فأزلناه. فإنه ما كان يعاين أحداً بخصوصه في أمر الكراهة دون الحرمة. قال النووي: معناه أنه ﷺ لم يتكلم بالشيء الذي يكره لحيائه، بل يتغير وجهه فنفهم كراهيته. وفيه فضيلة الحياء وأنه محثوث عليه ما لم ينته إلى الضعف والخور. (متفق عليه).

٥٨١٤ ـ (وعن عائشة قالت: ما رأيت النبي ﷺ مستجمعاً) بكسر الميم الثانية (قط

---

(١) البخاري في الأدب المفرد ص ١١٩ حديث رقم ٣٢٢.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ١/ ١٥٥ حديث رقم ٢٥٨٥.

الحديث رقم ٥٨١٣: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٦٦. حديث رقم ٣٥٦٢. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨٠٩ حديث رقم (٦٧ ـ ٢٣٢٠). وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٩٩ حديث رقم ٤١٨٠ وأحمد في المسند ٣/ ٧٩.

الحديث رقم ٥٨١٤: أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٦١٦ حديث رقم (١٥ ـ ٨٩٩). والبخاري في صحيحه ١٠/حديث رقم ٦٠٩٢. وأحمد في المسند ٦/ ٦٦.

ضاحكاً حتى أرى منه لهواته، وإنما كانَ يتبسَّمُ. رواه البخاري.

٥٨١٥ ـ (١٥) وعنها، قالتْ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لم يكن يسرد الحديثَ كسَردكم، كان يُحدِّثُ حديثاً لو عدَّه العادُّ لأحصاه. متفق عليه.

٥٨١٦ ـ (١٦) وعن الأسود، قال: سألتُ عائشة: ما كانَ النبي ﷺ يصنَعُ في بيتِهِ؟

ضاحكاً) قال التوربشتي: يريد ضاحكاً كل الضحك. يقال: استجمع الفرس جرياً. قال الطيبي: فعلى هذا ضاحكاً وضع موضع ضحكاً على أنه منصوب على التميز. قال في المغرب: استجمع السيل اجتمع من كل موضع، واستجمعت للمرء أموره، وهو لازم. وقولهم: استجمع الفرس جرياً نصب على التميز. وأما قول الفقهاء: مستجمعاً شرائط الجمعة، فليس بثبت انتهى. والمعنى: ما رأيته ضاحكاً كل الضحك بجميع الفم. (حتى أرى منه لهواته) بفتحتين جمع لهاة وهي لحمة مشرفة على أقصى الفم من سقفه. (وإنما كان) أي غالباً (يتبسم وربما يضحك) لكن لا على سبيل المبالغة (رواه البخاري.) وكذا مسلم وأبو داود.

٥٨١٥ ـ (وعنها) أي عن عائشة (قالت: إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد) بضم الراء، أي لم يكن يتابع. (الحديث) أي الكلام (كسردكم) أي المتعارف بينكم من كمال اتصال ألفاظكم، بل كان كلامه فصلاً بيناً واضحاً لكونه مأموراً بالبلاغ المبين كما بينته بقولها: (كان يحدث حديثاً لوعده العاد) أي لو أراد عده مريد العد (لأحصاه) أي لعده واستقصاه. وفي وضع أحصاه موضع عده مبالغة لا تخفى. فإن أصل الاحصاء هو العد بالحصى. ولا شك في حصول المهلة عند عده من رفعه وحطه. قال الطيبي: يقال: فلان سرد الحديث إذا تابع الحديث بالحديث استعجالاً، وسرد الصوم تواليه. يعني: لم يكن حديث النبي متتابعاً بحيث يأتي بعضه إثر بعض فيلتبس على المستمع، بل كان يفصل كلامه، لو أراد المستمع عده أمكنة. فيتكلم بكلام واضح مفهوم في غاية الوضوح والبيان. (متفق عليه) ورواه الترمذي في الشمائل. ولفظ الجامع: كان يحدث حديثاً لوعده العاد لأحصاه. رواه الشيخان وأبو داود[١]. وفي الجامع أيضاً: كان يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه. رواه الترمذي والحاكم عن أنس[٢].

٥٨١٦ ـ (وعن الأسود) قال المؤلف: هو ابن هلال المحاربي. روي عن عمر ومعاذ وابن مسعود وعنه جماعة. (قال: سألت عائشة ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته) ما استفهامية

الحديث رقم ٥٨١٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٥٦٧. حديث رقم ٣٥٦٨. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٩٤٠ حديث رقم (١٦٠ . ٢٤٩٣). وأبو داود ٤/ ٦٥ حديث رقم ٣٦٥٥ والترمذي في السنن ٥/ ٥٦٠ حديث رقم ٣٦٣٩. وأحمد في المسند ٦/ ١١٨.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٣٢ حديث رقم ٧٠٠٨.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٤٣٧ حديث رقم ٧١١٤ والحديث أخرجه الترمذي في السنن حديث رقم ٣٦٤٠.

الحديث رقم ٥٨١٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٢/ ١٦٢. حديث رقم ٦٧٦. والترمذي في السنن ٤/ ٥٦٤ حديث رقم ٢٤٨٩. وأحمد في المسند ٦/ ٤٩.

قالت: كانَ يكونُ في مَهْنَةِ أهله ـ تعني خدمة أهله ـ فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة. رواه البخاري.

٥٨١٧ ـ (١٧) وعن عائشة، قالت: ما خُيِّرَ رَسولُ اللهِ ﷺ بين أمرين قطُّ إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان أبعدَ النّاس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قطُّ، إلا أن يُنتهك حرمةُ الله فينتقم

(قالت: كان) أي من عادته (يكون) أي يستمر مشتغلاً (في مهنة أهله) بفتح الميم وتكسر وبسكون الهاء. أي مصالح عياله، والمهنة الخدمة والابتذال. ففيه مبالغة لقيامة مقام الرجال، ولهذا قال الراوي: (تعني خدمة أهله) أي أهل بيته، ممن يكون أهلاً لخدمته. قال صاحب النهاية: المهنة الخدمة، والرواية بفتح الميم وقد تكسر. قال الزمخشري: وهو عند الإثبات خطأ. قال الأصمعي: المهنة بفتح الميم، ولا يقال مهنة بالكسر. وكان القياس لو قيل: مثل جلسة وخدمة، إلا أنه جاء على فعلة واحدة. وفي القاموس: المهنة بالكسر والفتح والتحريك، وككلمة الحذق بالخدمة. والعمل. مهنة كمنعه ونصره، مهناً ومهنة، ويكسر خدمه. وقال العسقلاني: المهنة بفتح الميم وكسرها. وأنكر الأصمعي الكسر وفسّرها بخدمة أهله. وثبت أن التفسير من قول الراوي عن شعبة وأن جماعة رووه بدونه. لكن أخرج ابن سعد في رواية: بدونه. وفي رواية: في آخره. تعني بالمهنة خدمة أهله. (فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة) أي وترك جميع عمله، وكأنه لم يعرف أحداً من أهله. (رواه البخاري) وكذا الترمذي.

٥٨١٧ ـ (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خير) أي ما جعل مخيراً (رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ) أي اختار، كما في رواية الترمذي. (أيسرهما ما لم يكن) أي الأمر الأيسر (إثما) أي ذا إثم. وفي رواية الترمذي: ما لم يكن مأثماً، أي إثماً أو موضع إثم، بناء على أنه مصدر ميمي أو اسم مكان؛ وإلى هنا انتهى رواية الترمذي. (فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه) أي وكان حينئذ يأخذ أرشدهما ولو أعسرهما وأشدهما. قال العسقلاني: أبهم فاعل خير ليكون أعم من أن يكون من قبل المخلوقين، أو من قبل الله تعالى. لكن التخيير بين ما فيه إثم وبين ما لا إثم فيه من قبل الله مشكل، لأن التخيير إنما يكون بين جائزين، إلا إذا حملنا على ما يفضي إلى الإثم، فذلك ممكن بأن يخير بين أن يفتح عليه من كنوز الأرض ما يخشى من الاشتغال به أن لا يتفرغ للعبادة، وبين أن لا يؤتيه من الدنيا إلا الكفاف. وإن كان السعة أسهل فالإثم على هذا أمر نسبي لا ما يراد به الخطيئة لثبوت العصمة. (وما انتقم رسول الله ﷺ) أي ما عاقب أحداً (لنفسه) أي لأجل حظها (في شيء) أي يتعلق بنفسه (قط) أي أبداً (إلا أن ينتهك حرمة الله) بصيغة المجهول أي يرتكب (فينتقم) بالرفع وفي نسخة بالنصب، أي فيعاقب.

الحديث رقم ٥٨١٧: أخرجه البخاري في السنن ٦/ ٥٦٦. حديث رقم ٣٥٦٠. ومسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٣ حديث رقم (٧٧ ـ ٢٣٢٧). وأخرجه أبو داود ٥/ ١٤٢ حديث ٤٧٨٥. ومالك في الموطأ ٢/ ٩٠٢ حديث رقم ٢ من باب حسن الخلق. وأحمد في المسند ٦/ ٣٢.

لله بها. متفق عليه.

٥٨١٨ ـ (١٨) وعنها، قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ لنفسه شيئاً قطُّ بيده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يُجاهدَ في سبيل الله، وما نيل منه شيء قطُّ، فينتقم من صاحبه، إلاّ أن يُنتهك شيء من محارم الله فينتقم لله. رواه مسلم.

(حينئذ لله) أي لغرض آخر (بها) أي بسبب تلك الحرمة. ثم انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل. يقال: فلان انتهك محارم الله أي فعل ما حرم الله فعله عليه. قال الطيبي: استثناء منقطع، أي ما عاقب أحد لخاصة نفسه بجناية جني عليه، بل بحق الله تعالى إذا فعل أحد شيئاً من المحرمات امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ [النور ـ ٢]. قال العسقلاني: المعنى ما انتقم لحاجة نفسه، فلا يرد أمره ﷺ بقتل عقبة بن أبي معيط وعبد الله ابن خطل وغيرهما ممن كان يؤذي رسول الله ﷺ، لأنهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله. وقيل: ذلك في غير السبب الذي يفضي إلى الكفر. وقيل: يختص ذلك بالمال، وأما العرض فقد اقتص ممن نال منه. (متفق عليه.) ورواه أبو داود.

٥٨١٨ ـ (وعنها) أي عن عائشة رضي الله عنها (قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً) أي آدمياً لأنه ﷺ ربما ضرب مركوبه، (قط بيده ولا امرأة ولا خادماً) خصا بالذكر اهتماماً بشأنهما ولكثرة وقوع ضرب هذين والاحتياج إليه وضربهما وإن جاز بشرطه، فالأولى تركه، قالوا بخلاف الولد. فإن الأولى تأديبه ويوجه بأن ضربه لمصلحة تعود إليه فلم يندب العفو، بخلاف ضرب هذين فإنه لحظ النفس غالباً فندب العفو عنهما مخالفة لهواها وكظماً لغيظها. (إلا أن يجاهد في سبيل الله) فإنه ﷺ قتل أبي بن خلف بأحد. ثم ليس المراد به الغزو مع الكفار فقط، بل يدخل فيه الحدود والتعازير وغير ذلك. (وما نيل) بكسر النون مجهول نال. يقال: نال منه نيلاً إذا أصاب. وفي الحديث: إن رجلاً كان ينال من الصحابة أي يقع فيهم ويصيب منهم، فالمعنى ما أصيب منه. (شيء قط فينتقم من صاحبه) أي من صاحب ذلك الشيء. (إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله. رواه مسلم) وروى الترمذي الفصل الأول بلفظ: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله. ولا ضرب خادماً ولا امرأة. والفصل الثاني بلفظ: ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله تعالى شيء؛ فإذا انتهك من محارم الله تعالى شيء كان من أشدهم في ذلك غضباً.

الحديث رقم ٥٨١٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٤ حديث رقم (٧٩ . ٢٣٢٨). وأخرجه أبو داود. ٥/ ١٤٢ حديث رقم ٤٧٨٦. وابن ماجه في السنن ١/ ٦٣٨ حديث رقم ١٩٨٤.

الفصل الثاني

٥٨١٩ ـ (١٩) عن أنس، قال: خدمتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وأنا ابن ثمانِ سنين، خدمته عشر سنين، فما لامني على شيءٍ قطُّ أُتِيَ فيه على يديّ، فإن لامني لائم من أهله قال: «دعوه فإنه لو قضي شيءٌ كان». هذا لفظ «المصابيح» وروى البيهقي في «شعب الإيمان» مع تغيير يسير.

٥٨٢٠ ـ (٢٠) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسَّيئة السَّيئة، ولكن يعفو ويصفح. رواه الترمذي.

(الفصل الثاني)

٥٨١٩ ـ **(عن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ وأنا ابن ثمان سنين)** بحذف الياء من ثماني مضافاً، والجملة حال دال على أول الخدمة، ولذا أطلقه. ثم أعاده مقيداً بقوله: **(خدمته عشر سنين فما لامني على شيء قط أتي فيه)** بصيغة المجهول أي أهلك وأتلف من قولهم: أتى عليهم الدهر أي أهنكهم وأفناهم، وضمير فيه عائد إلى شي. والجار والمجرور أقيم مقام الفاعل، أي ما لامني على شيء أتلف. **(على يدي)** بصيغة التثنية. وفي نسخة بالإفراد. قال الطيبي: أتي صفة شيء وضمن فيه معنى عيب أو طعن وعلى يدي حال. **(فإن لا مني لائم من أهله. قال: دعوه)** أي اتركوه **(فإنه)** أي الشأن **(لو قضي شيء لكان)** أي لو قدر أمر لوقع. **(هذا لفظ المصابيح)** وكذا رواه ابن حبان في صحيحه. **(وروى البيهقي في شعب الإيمان مع تغيير)** أي يسير يسامح في مثله.

٥٨٢٠ ـ **(وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً)** أي ذا فحش في أقواله وأفعاله **(ولا متفحشاً)** أي متكلفاً فيه ومتعمداً كذا في النهاية. قال القاضي: نفت عنه تولي الفحش والتفوه به طبعاً وتكلفاً. **(ولا سخاباً)** أي صياحاً **(في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة)** أي بل بالحسنة، لقوله: **(ولكن يعفو)** أي في الباطن **(ويصفح)** أي يعرض في الظاهر عن صاحب السيئة لقوله تعالى: **﴿فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾** [المائدة ـ ١٣]. **(رواه الترمذي)**.

الحديث رقم ٥٨١٩: أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٢٣١ والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٥٨ حديث رقم ٨٠٧٠.

الحديث رقم ٥٨٢٠: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٣٢٤ حديث رقم ٢٠١٦. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٩٨ حديث رقم ٤١٧٨. وأحمد في المسند ٦/ ١٧٤.

٥٨٢١ - (٢١) وعن أنس، يحدث عن النبي ﷺ أنه كانَ يعودُ المريضَ، ويتبعُ الجنازة، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار، لقد رأيته يومَ خيبر على حمارٍ خطامُه ليفٌ. رواه ابن ماجه والبيهقي في «شعب الإيمان».

٥٨٢٢ - (٢٢) وعن عائشة، قالتْ: كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته، وقالت: كانَ بَشراً من البشر، يفلِّي ثوبه،

٥٨٢١ - (وعن أنس) رضي الله عنه (يحدث عن النبي ﷺ أنه كان يعود المريض ويتبع) بفتح الموحدة، وفي نسخة بتشديد التاء وكسر الباء أي يعقب ويشيع (الجنازة) بفتح الجيم وكسرها (ويجيب دعوة المملوك) أي المأذون أو المعتوق أو إلى بيت مالكه. (ويركب الحمار) وهذا كله يدل على كمال التواضع للحق وحسن الخلق في معاشرة الخلق. (لقد رأيته يوم خيبر على حمار خطامه) بكسر أوله أي زمامه (ليف) قال ابن الملك: فيه دليل على أن ركوب الحمار سنة. قلت: فمن استنكف من ركوبه كبعض المتكبرين وجماعة من جهلة الهند فهو أخس من الحمار. (رواه ابن ماجه والبيهقي في شعب الإيمان) وفي الجامع: كان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير. رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس[١]. وروى الحاكم في مستدركه عن أنس: كان يردف خلفه ويضع طعامه على الأرض ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار[٢]. وفي رواية: عرياً ليس عليه شيء[٣]. وروى ابن عساكر عن أبي أيوب: كان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف، ويقول: من رغب عن سنتي فليس مني[٤].

٥٨٢٢ - (وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يخصف) بكسر الصاد أي يخرز ويرقع. وفي شرح السنة: أي يطبق طاقة على طاقة، وأصل الخصف الضم والجمع. ومنه قوله تعالى: ﴿يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ [الأعراف - ٢٢]. أي يطبقان ورقة ورقة على بدنهما. (ويخيط) بكسر الخاء (ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته) تعميم بعد تخصيص. وفي الجامع برواية أحمد عن عائشة: كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم[٥]. (وقالت: كان بشراً من البشر يفلي ثوبه) بكسر اللام أي ينظر في الثوب هل فيه

الحديث رقم ٥٨٢١: أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٩٨ حديث رقم ٤١٧٨. والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٢٨٩ حديث رقم ٨١٩٠.

(١) الجامع الصغير ٢/ ٤٣٣ حديث رقم ٦٩٨٩.

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ١١٩.

(٣) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٣٣ حديث رقم ٧٠٣١.

(٤) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٣٣ حديث رقم ٧٠٢٣.

الحديث رقم ٥٨٢٢: أخرجه أحمد في المسند ٦/ ١٦٧.

(٥) الجامع الصغير ٢/ ٤٣٣ حديث رقم ٧٠١٨. والحديث أخرجه أحمد في المسند ٦/ ١٢١.

ويحلب شاته، ويخدم نفسه. رواه الترمذي.

٥٨٢٣ ـ (٢٣) وعن خارجة بن زيد بن ثابت، قال: دخل نفر على زيد بن ثابت، فقالوا له: حدِّثنا أحاديث رسول الله ﷺ، قال: كنتُ جاره، فكانَ إذا نزل عليه الوحي بعث إليّ فكتبتُه له، فكان إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا،

شيء من القمل. وهو لا ينافي ما روي من أن القمل لم يكن يؤذيه. وقال شارح: أي يلتقط القمل. (**ويحلب شاته**) بضم اللام (**ويخدم نفسه**) بضم الدال ويكسر، وهو تعميم وتتميم. قال الطيبي: قولها كان بشراً تمهيد لما بعده، لأنه لما رأت من اعتقاد الكفار أن النبي ﷺ لا يليق بمنصبه أن يفعل ما يفعل غيره من عامة الناس وجعلوه كالملوك، فإنهم يترفعون عن الأفعال العادية الدنية تكبراً كما حكى الله تعالى عنهم في قوله: ﴿**مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق**﴾ [الفرقان ـ ٧]. فقالت: إنه ﷺ كان خلقاً من خلق الله تعالى وواحداً من أولاد آدم شرفه الله بالنبوّة وكرمه بالرسالة، وكان يعيش مع الخلق بالخلق ومع الحق بالصدق، فيفعل مثل ما فعلوا ويعينهم في أفعالهم تواضعاً وإرشاداً لهم إلى التواضع ورفع الترفع وتبليغ الرسالة من الحق إلى الخلق، كما أمر. قال تعالى: ﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ**﴾ [الكهف ـ ١١٠]. (**رواه الترمذي**) وكذا ابن حبان وصححه. وفي الجامع: كان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم رواه أبو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن سهل بن حنيف[1].

٥٨٢٣ ـ (**وعن خارجة بن زيد بن ثابت**) أي الأنصاري المدني. قال المؤلف: تابعي جليل القدر أدرك زمن عثمان وسمع أباه وغيره من الصحابة، وهو أحد فقهاء المدينة السبعة. (**قال: دخل نفر**) أي جماعة من التابعين؛ وقيل: النفر عدة رجال من ثلاثة إلى عشرة. (**على زيد بن ثابت**) وهو أبو خارجة صحابي جليل أفرض الصحابة وأجل كتبة الوحي ومن أعظم القراء، قرأ عليه ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين. (**فقالوا له: حدثنا أحاديث رسول الله ﷺ**) وفي نسخة: عن رسول الله. وكأنهم أرادوا ما يدل على حسن الخلق وجميل المعاشرة مع الخلق. (**قال: كنت جاره**) فيه إيماء إلى قربه إليه حساً ومعنى وإشارة إلى أن له خبرة به أتم من غيره. (**فكان إذا نزل عليه الوحي بعث إلي**) أي أرسل إلي أحداً يطلبني. (**فجئته فكتبته**) أي الوحي (**له**) أي لأجل أمره (**فكان**) أي من عادته في مجاملته ومراعاة مصاحبيه (**إذا ذكرنا الدنيا**) أي ذماً أو مدحاً لكونها مزرعة الآخرة (**ذكرها معنا**) [أي على وجه الاعتبار وفيما يكون منها معيناً على زاد طريق دار القرار. (**وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا**)] زيادة على الخير ومعاونة على التقوى. (**وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا**) ويشير إلى فوائده وحكمه ولطائفه وآداب أكله.

---

(١) الجامع الصغير ٢/٤٢٨ حديث رقم ٦٩٢٧. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٤٦٦.

الحديث رقم ٥٨٢٣: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/٢٤٥ حديث رقم ٣٦٧٩.

فكل هذا أُحدِّثكم عن رسول الله ﷺ. رواه الترمذي.

٥٨٢٤ ـ (٢٤) وعن أنس، أنَّ رسول الله ﷺ كانَ إذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكونَ هو الذي ينزع يده، ولا يصرف وجهَه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه، ولم يُرَ مقدِّماً ركبتيه بين يدي جليس له. رواه الترمذيُّ.

٥٨٢٥ ـ (٢٥) وعنه، أنَّ رسول الله ﷺ كانَ لا يدَّخِر شيئاً لغدٍ. رواه الترمذي.

والحاصل أنه كان يلاطفهم في الكلام لئلا يحصل لهم التبرم والسآم، ويسوقهم فيما يشرعون فيه إلى ما شرع إليه من تبليغ المواعظ والأحكام. ولا ينافي هذا ما ورد من أنه ﷺ «كان يخزن لسانه إلا فيما يعنيه»، وأن مجلسه مجلس علم لأن ذكر الدنيا والطعام قد يقترن به فوائد علمية أو حكمية أو أدبية. وبتقدير خلوه عنها ففيه جواز تحدث الكبير مع أصحابه في المباحات، ومثل هذا البيان واجب عليه ﷺ والله أعلم. (فكل هذا) بالرفع وبنصب. أي جميع ما ذكر. (أحدثكم) فقيل الرواية بالرفع وفي خبره الرابطة محذوف، ويجوز النصب بتقدير أحدثكم إياه. (عن رسول الله ﷺ) والمقصود من هذه الجملة تأكيد صحة الحديث وإظهار الاهتمام به والله أعلم. (رواه الترمذي).

٥٨٢٤ ـ (وعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان إذا صافح الرجل لم ينزع) بكسر الزاي أي لم يخلص ولم يفك (يده من يده حتى يكون) أي الرجل (هو الذي ينزع يده. ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه. ولم ير) بصيغة المجهول أي لم يبصر (النبي ﷺ مقدماً) بكسر الدال المشددة (ركبتيه بين يدي جليس) أي مجالس (له) قيل: أي ما كان يجلس في مجلس تكون ركبتاه متقدمتين على ركبتي صاحبه كما يفعل الجبابرة في مجالسهم. وقيل: ما كان يرفع ركبتيه عند من يجالسه، بل كان يخفضهما تعظيماً لجليسه. وقالوا: أراد بالركبتين الرجلين وتقديمهما مدهما وبسطهما، كما يقال: قدم رجلاً وأخر أخرى. ومعناه: كان ﷺ لا يمد رجله عند جليسه تعظيماً له. قال الطيبي: فيه وفي قوله: كان لا ينزع يده قبل نزع صاحبه. تعليم لأمته في إكرام صاحبه وتعظيمه فلا يبدأ بالمفارقة عنه ولا يهينه بمد الرجلين إليه. (رواه الترمذي).

٥٨٢٥ ـ (وعنه) أي عن أنس (أن رسول الله ﷺ كان لا يدخر) أي لا يبقي (شيئاً لغد) توكلاً على الله واعتماداً على خزائنه، وهذا بالنسبة إلى نفسه النفيسة خاصة، فأما لأجل أهله وعياله فربما كان يدخر لهم قوت سنتهم لضعف حالهم وعدم قوة احتمالهم وقلة كمالهم. (رواه الترمذي).

الحديث رقم ٥٨٢٤: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٦٤ حديث رقم ٢٤٩٠. وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١٢٢٤ حديث رقم ٣٧١٦.

الحديث رقم ٥٨٢٥: أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٥٠١ حديث رقم ٢٣٦٢.

٥٨٢٦ ـ (٢٦) وعن جابرِ بن سمرة، قال: كان رسول الله ﷺ طويلَ الصَّمْت. رواه في «شرح السنَّة».

٥٨٢٧ ـ (٢٧) وعن جابرٍ، قال: كانَ في كلام رسول الله ﷺ ترتيلٌ وترسيلٌ. رواه أبو داود.

٥٨٢٨ ـ (٢٨) وعن عائشة رضي الله عنها، قالتْ: ما كانَ رسولُ الله ﷺ يسرد سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بينه

٥٨٢٦ ـ (وعن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله ﷺ طويل الصمت) أي كثير السكوت، والمعنى أنه لا يتكلم إلا لحاجة. وقد قال ﷺ على ما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخرة فليقل خيراً أو ليسكت»[1]. وقد قال الصديق الأكبر: ليتني كنت أخرس إلا عن ذكر الله. (رواه) أي البغوي (في شرح السنة) أي بإسناده ورواه أحمد في مسنده عن جابر بن سمرة أيضاً ولفظه: كان طويل الصمت قليل الضحك. فكان حق صاحب المشكاة أن يسند إليه، فإن حديث مسند أحمد مما يعتمد عليه.

٥٨٢٧ ـ (وعن جابر) أي ابن عبد الله، ولذا لم يقل وعنه، لأنه غيره وهو المراد عند الإطلاق به. (قال: كان في كلام رسول الله ﷺ ترتيل) أي تبيين في قراءته لقوله تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ [المزمل ـ ٤]. (وترسيل) أي تمهيل في حديثه أي قياساً عليه أو مراعاة لقوله تعالى: ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ [النور ـ ٥٤]. وقال ابن الملك: هما بمعنى، وهو التبيين والإيضاح في الحروف انتهى. ولا يخفى أن التأسيس بالتقييد أولى من الحمل على التأكيد، وإن كان مآلهما واحداً، وأصل معنييهما متحداً. فإن المراد منهما أنه كان لا يعجل في إرسال الحروف، بل يلبث فيها ويبينها تبييناً لذاتها من مخارجها وصفاتها وتمييزاً لحركاتها وسكناتها. وخلاصة الكلام نفي العجلة وإثبات التؤدة. وفي النهاية: الترتيل في القراءة، التأني فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات، تشبيهاً بالشعر المرتل وهو المشبه بنور الأقحوان، يقال: رتل القراءة وترتل فيها، والترسيل الترتيل. يقال: ترسل الرجل في كلامه ومشيه إذا لم يعجل، وهو والترتيل سواء. (رواه أبو داود).

٥٨٢٨ ـ (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان رسول الله ﷺ يسرد) أي في كلامه (سردكم هذا) أي كسردكم من العجلة والمتابعة (ولكنه كان يتكلم بكلام بينه) أي بين أجزائه

الحديث رقم ٥٨٢٦: أخرجه أحمد في المسند ٥/٨٦.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٤٤٥ حديث رقم ٦٠١٨ ومسلم ١/٦٨ حديث رقم (٧٥ ـ ٤٧) واللفظ له. واللفظ المتفق عليه «ليصمت».

الحديث رقم ٥٨٢٧: أخرجه أبو داود في السنن ٥/١٧١ حديث رقم ٤٨٣٨.

الحديث رقم ٥٨٢٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٥٦٠ حديث رقم ٣٦٣٩. وأحمد في المسند ٦/٢٥٧.

فصلٌ، يحفَظه من جَلَسَ إليه. رواه الترمذي.

٥٨٢٩ ـ (٢٩) وعن عبدِ اللّٰهِ بنِ الحارثِ بنِ جَزءٍ، قال: ما رأيت أحداً أكثر تبسُّماً من رسول الله ﷺ. رواه الترمذي.

٥٨٣٠ ـ (٣٠) وعن عبدِ اللّٰهِ بنِ سلام. قال: كان رسول الله ﷺ إذا جَلَس يتحدث يُكثر أن يرفع طَرْفه إلى السَّماءِ. رواه أبو داود.

الفصل الثالث

٥٨٣١ ـ (٣١) عن عمرو بن سعيد، عن أنس، قال: ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ.

(فصل) أي فرق أو فاصل يحفظه من جلس إليه (رواه الترمذي).

٥٨٢٩ ـ (وعن عبد الله بن الحارث بن جزء) بفتح جيم وسكون زاي فهمز كذا ذكره المؤلف في أسمائه. وقيل: هو بكسر زاي وياء. وقيل: جز بشدة زاي، كذا في المغني وهو أبو الحرث السهمي، شهد بدراً وسكن مصر ومات بها. (قال: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ. رواه الترمذي).

٥٨٣٠ ـ (وعن عبد الله بن سلام قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس يتحدث يكثر) من الإكثار أي يتحقق منه كثيراً (أن يرفع طرفه) بسكون الراء أي نظره (إلى السماء) أي كان ينظر إلى السماء حال التكلم ترقباً لجبريل وانتظاراً لوحي المولى وشوقاً إلى الرفيق الأعلى. (رواه أبو داود).

(الفصل الثالث)

٥٨٣١ ـ (عن عمرو بن سعيد عن أنس) كذا في النسخ المعتبرة والأصول المشتهرة. ويؤيده ما في الكاشف[1]. وفي نسخة عن أنس عن عمرو بن سعيد. والظاهر أنه سهو قلم وزلة قدم وقلب كلام لما في أسماء الرجال للمؤلف، هو عمرو بن سعيد مولى ثقيف بصري، روى عن أنس وأبي العالية وغيرهما، وعنه ابن عون وجرير بن حازم وعدة. (قال: ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ) قال النووي: هذا هو المشهور ويروى بالعباد.

الحديث رقم ٥٨٢٩: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٦١ حديث رقم ٣٦٤١. وأحمد في المسند ٤/ ١٩٠.

الحديث رقم ٥٨٣٠: أخرجه أبو داود في السنن ٥/ ١٧١ حديث رقم ٤٨٣٧.

الحديث رقم ٥٨٣١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٠٨ حديث رقم ٦٣/ ٢٣١٦. وأحمد في المسند ٣/ ١١٢.

(١) «الكاشف عن حقائق السنن» وهو شرح المشكاة للطيبي رحمه الله.

كان إبراهيم ابنه مسترضعاً في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه، فيدخل البيت وإنه ليُدّخن، وكان ظئرُه قيناً، فيأخذه فَيُقَبِّلهُ ثم يرجع. قال عمرو: فلمّا توفي إبراهيم قال رسول الله ﷺ: «إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له لظئرين تُكملان رَضاعَهُ في الجنّة» رواه مسلم.

قلت: ويلائم الأول استئنافه البياني بقوله: (**كان إبراهيم ابنه مسترضعاً**) بفتح الضاد، وقيل بكسرها. (**في عوالي المدينة**) أي القرى التي عند المدينة (**فكان**) أي النبي ﷺ (**ينطلق ونحن معه فيدخل البيت**) أي الذي فيه إبراهيم (**وإنه ليدخن**) بضم الياء وتشديد الدال وفتح الخاء. وفي نسخة بسكون الدال. وفي نسخة بفتح الياء وتشديد الدال وكسر الخاء، ثم بين سببه بقوله: (**وكان ظئره قيناً**) وهو أبو سيف القين، واسمه البراء بن أوس الأنصاري وهو معروف بكنيته. قال النووي: الظئر بكسر الظاء مهموزة المرضعة ولد غيرها وزوجها ظئر لذلك المرضع، والظئر يقع على الذكر والأنثى. والقين بالفتح الحداد. ثم الجملتان حاليتان معترضتان بين المعطوف عليه وهو قوله: (**فيدخل البيت**) والمعطوف وهو قوله: (**فيأخذه**) أي ابنه (**فيقبله ثم يرجع قال عمرو:**) أي ناقلاً عن أنس خلافاً لمن توهم أنه الراوي، فإنه من التابعين، على أنه يمكن أن يكون مقوله الآتي موقوفاً عليه ومنقطعاً عما قبله. (**فلما توفي إبراهيم قال رسول الله ﷺ: إن إبراهيم ابني**) محط فائدته التقرير لأن أمه جارية، وهي مارية القبطية، أهداها المقوقس القبطي صاحب مصر والإسكندرية وولدت إبراهيم في ذي الحجة سنة ثمان (**وإنه مات في الثدي**) وهو كناية عن الرضاع، أو المراد به اللبن وزوجته التي أرضعت إبراهيم أم بردة، كذا ذكره المؤلف بذكر المحل وإرادة الحال. وقال الطيبي: أي في سن رضاع الثدي أو في حال تغذيه بلبن الثدي. (**وإن له لظئرين**) أي المرضعتين بدل واحدة في الدنيا. (**تكملان**) من باب الإفعال، وفي نسخة: من باب التفعيل أي توفيان وتتمان. (**رضاعه**) بفتح الراء وتكسر أي مدة رضاعه وهي الحولان. فإنه توفي وله ستة عشر شهراً أو سبعة عشر. وقيل: وله سبعون يوماً فترضعانه بقية السنتين. (**في الجنة**) قال صاحب التحرير: وهذا الإتمام لإرضاع إبراهيم يكون عقيب موته فيدخل الجنة متصلاً بموته، فيتم فيها رضاعه كرامة له ولأبيه ﷺ. (**رواه مسلم**) وأما حديث: لو عاش إبراهيم لكان صديقاً نبياً. فأخرجه الماوردي[1] عن أنس وابن عساكر عن جابر وابن عباس وعن ابن أبي أوفى، ورواه ابن سعد عن مكحول مرسلاً: لو عاش إبراهيم ما رق له خال. وروى ابن سعد عن الزهري مرسلاً: لو عاش إبراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطي. كذا ذكره الشيخ جلال الدين السيوطي في الجامع الصغير[2].

وقال ابن الربيع في كتابه تمييز الطيب من الخبيث. أخرج ابن ماجه وغيره من حديث ابن عباس قال: لما مات إبراهيم ابن النبي ﷺ وقال: إن له مرضعاً في الجنة ولو عاش لكان صديقاً نبياً، ولو عاش أعتقت أخواله من القبط وما استرق قبطي. وفي سنده أبو شيبة إبراهيم بن عثمان

---

(١) في المخطوطة «الباردي». وفي الجامع الصغير «الباوردي» ٢/ ٤٥٧ حديث رقم ٧٤٥٣.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٤٥٧ الأحاديث رقم ٧٤٥٣ و٧٤٥٤ و٧٤٥٥.

٥٨٣٢ ـ (٣٢) وعن علي رضي الله عنه، أنَّ يهودياً يُقالُ له: فلانٌ، حَبْرٌ، كانَ له على رسولِ الله ﷺ دنانيرُ، فتقاضى النبيَّ ﷺ، فقال له: «يا يهوديُّ! ما عندي ما أُعطيكَ». قال: فإني لا أُفارِقُكَ يا محمَّدُ حتى تعطيني. فقال رسولُ الله ﷺ: «إذاً أجلسُ معَكَ» فجلسَ معَه، فصلَّى رسولُ الله ﷺ الظهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ الآخرة والغَداةَ، وكانَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ يتهدَّدونَه ويتوعَّدونه، ففطنَ رسولُ الله ﷺ ما الذي

الواسطي وهو ضعيف والله أعلم انتهى. وقال النووي في تهذيبه: وأما ما روي عن بعض المتقدمين حديث: لو عاش إبراهيم لكان نبياً. فباطل وجسارة على الكلام بالمغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم. وقال ابن عبد البر في تمهيده: لا أدري ما هذا فقد ولد نوح غير نبي ولو لم يلد إلا نبياً لكان كل أحد نبياً لأنه من ولد نوح انتهى. وهو تعليل عليل إذ ليس في الكلام ما يدل على أن ولد النبي نبي بطريق الكلية، ولا ضرر في تخصيص التقدير والفرضية مع أنه لا يستلزم وقوع المقدم في القضية الشرطية، فلا ينافي كونه ﷺ خاتم النبيين فيقرب من قوله ﷺ على ما رواه أحمد والترمذي والحاكم عن عقبة بن عامر مرفوعاً: «لو كان بعدي نبي لكان عمر ابن الخطاب»[١]. والله سبحانه أعلم بما كان وما يكون وبما لا يكون، وبأنه لو كان كيف يكون. هذا وقد قال شيخ مشايخنا العلامة الرباني الحافظ ابن حجر العسقلاني في الإصابة: وهذا عجيب من النووي مع وروده عن ثلاثة من الصحابة ولا يظن بالصحابي أن يهجم على مثل هذا بظنه. قلت: مع أنهم لم يقولوه موقوفاً، بل أسندوه مرفوعاً كما بينه[٢] خاتمة الحفاظ السيوطي بأسانيده في رسالة على جدة، مع أن من القواعد المقررة في الأصول أن موقوف الصحابي، إذا لم يتصور أن يكون من رأي فهو في حكم المرفوع. فإنكار النووي كابن عبد البر لذلك، إما لعدم اطلاعهما، أو لعدم ظهور التأويل عندهما والله أعلم.

٥٨٣٢ ـ (وعن علي رضي الله عنه: أن يهودياً كان يقال له فلان) كناية عن اسمه (حبر) أي عالم من علماء اليهود (كان له على رسول الله ﷺ دنانير) أي معدودة معلومة (فتقاضى النبي ﷺ) أي فطالبه إياها (فقال له: يا يهودي ما عندي ما أعطيك) ما الأولى نافية، والثانية موصوفة، أي شيئاً أعطيك إياه عوضاً عن الدنانير. (قال: فإني لا أفارقك يا محمد حتى تعطيني) أي كي تعطيني، أو إلا أن تعطيني. (فقال رسول الله ﷺ: إذا) بالتنوين (اجلس معك) بالرفع، وفي نسخة بالنصب. (فجلس معه. فصلى رسول الله ﷺ الظهر والعصر والمغرب والعشاء الأخيرة والغدوة) أي الفجر وهو يحتمل كونها في المسجد أو في أحد بيوت أهله، والأول أظهر [لقوله]: (وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتهددونه) أي بالضرب [مثلاً] (ويتوعدونه) أي بالاخراج أو القتل (ففطن) بكسر الطاء أي فعلم (رسول الله ﷺ ما الذي يصنعون به) أي من

---

(١) أحمد في المسند ٤/ ١٥٤. والترمذي في السنن حديث رقم ٣٦٨٦ والحاكم في المستدرك ٣/ ٨٥.

(٢) في المخطوطة «بين».

الحديث رقم ٥٨٣٢: رواه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٢٨٠.

يصنعونَ به، فقالوا: يا رسولَ الله! يهوديٌّ يحبسُك فقال رسولُ الله ﷺ: «منعني ربِّي أن أظلمَ معاهداً وغيرَه» فلمَّا ترجَّلَ النهارُ قال اليهوديُّ: أشهدُ أنْ لا إله إلا اللَّهُ، وأشهدُ أنَّكَ رسولُ الله، وشطْرُ مالي في سبيلِ الله، أمَا واللهِ ما فعلتُ بكَ الذي فعلتُ بكَ إلاَّ لأنظرَ إلى نعتِكَ في التوراةِ: محمَّدُ بنُ عبدِ اللَّهِ، مولدُهُ بمكةَ، ومهاجَرُه بطيبةَ، ومُلكُه بالشام، ليسَ بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا سخَّابٍ في الأسواقِ، ولا مُتزيٍّ بالفُحشِ، ولا قولِ الخنا. أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّهُ، وأنَّكَ رسولُ الله، وهذا مالي فاحكم فيهِ بما أراكَ اللَّهُ، وكانَ اليهودي كثيرَ المالِ. رواه البيهقي في «دلائل النُّبوَّة».

التهديد والوعيد الشديد. وما موصوفة بالموصولة، وكأنه أنكر عليم، أو بالغضب نظر إليهم، أو لما فطن صنيعهم أرادوا الاعتذار. (**فقالوا: يا رسول الله يهودي يحبسك**) قال الطيبي: همزة الانكار مقدرة والتنكير فيه للتحقير (**فقال رسول الله ﷺ: منعني ربي أن أظلم معاهداً**) بكسر الهاء وهو الذمي والمستأمن (**وغيره**) تعميم بعد تخصيص ووجه تقديم المعاهد لما يقتضيه المقام، أو لأن مخاصمته أقوى يوم القيامة لأنه لا يمكن ارضاؤه بأخذ حسنة مسلم له أو وضع سيئة له على مسلم كما في مظالم الدواب. ولعل الأصحاب رضي الله عنهم لم يكونوا قدرين على قضاء دينه أو ما يرضى بأدائهم مراعاة لأمر دينه وهو أظهر ولذا لم يكن يقرض إلا من غيرهم لحكمة. ولعلها تبرئة من نوع طمع، أو صنف نفع يؤدي إلى نقصان أجر. وقد قال تعالى: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً**﴾ [الأنعام ـ ٩٠]. وتطابقت سنة الرسل على قولهم: وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين. وليكون حجة على اليهود لكونه ﷺ منعوتاً في كتبهم بأنه يختار الفقر على الغنى وتبكيتاً عليهم في قوله عند نزول قوله تعالى: ﴿**من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً**﴾ [البقرة ـ ٢٤٥]. على ما حكى الله عنهم في قوله سبحانه: ﴿**لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء**﴾ [الأعراف ـ ١٨١]. ومن جملة الحكم ما ظهر في خصوص هذه القضية (**فلما ترجل النهار**) أي ارتفع الخفاء وتعين الظهور وتبدل الظلمة بالنور وتغير الشدة بالسرور. (**قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، وشطر مالي**) أي نصفه (**في سبيل الله**) أي في مرضاته شكراً لنعمة الإسلام وطلباً لمزيد الأنعام. (**إما**) بالتخفيف للتنبيه (**والله ما فعلت بك الذي فعلت بك**) أي من غلظ القول وخشونة الفعل (**إلا لأنظر إلى نعتك**) أي إلى موافقة وصفك (**في التوراة. محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجرته**) بفتح الجيم أي موضع هجرته (**بطيبة**) أي المدينة (**وملكه**) أي معظمه (**بالشام**) أي ونواحيه (**ليس بفظ**) أي سيىء اللسان (**ولا غليظ**) أي جافي الجنان (**ولا سخاب**) أي صباح (**في الأسواق**) أي على عادة أهل الزمان (**ولا متزي**) أي متصف (**بالفحش**) أي في الفعل لقوله: (**ولا قول الخنا**) بفتح أوله متصوراً، أي الفحش والخشونة. (**أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وهذا مالي**) أي كله، فكأنه سماه أو أشار إلى مكانه. (**فاحكم فيه**) أي في جميعه أو شطره (**بما أراك الله**) أي أعلمك بأنه محله اللائق به (**وكان اليهودي كثير المال**) أي ومع هذا حسن له الحال والمنال وفي المآل (**رواه البيهقي في دلائل النبوة**).

٥٨٣٣ ـ (٣٣) وعن عبدِ الله بن أبي أوفى، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يُكثِرُ الذِّكرَ، ويُقِلُّ اللَّغوَ، ويُطيلُ الصَّلاةَ، ويُقصِرُ الخطبةَ، ولا يأنفُ أنْ يمشيَ معَ الأرملةِ والمسكينِ فيقْضي لَه الحاجةَ. رواه النسائي، والدارمي.

٥٨٣٣ ـ (وعن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر) أي ذكر الله وما يتعلق به لما في مسند الفردوس عن عائشة: «من أحب شيئاً أكثر من ذكره»[1]. (ويقل اللغو) أي غير الذكر المذكور من ذكر الدنيا وما يتعلق بها، فإنه ولو كان ما يخلو عن مصلحة وحكمة، لكنه بالإضافة إلى الذكر الحقيقي لغو. ولذا قال الغزالي: ضيعت قطعة من العمر العزيز في تأليف البسيط والوسيط والوجيز. فأطلق عليه اللغو نظراً إلى الصورة والمبنى مع قطع النظر عن المعنى. ومنه قولهم: حسنات الأبرار سيئات المقربين. وإلا فقد قال تعالى في حق كمل المؤمنين: ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ [المؤمنون ـ ٣]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾ [القصص ـ ٥٥]. وأما ما قيل من أن المعنى لا يلغو أصلاً، فإن القلة قد تستعمل في النفي مطلقاً نحو: ﴿قليلاً ما تؤمنون﴾ [الحاقة ـ ٤١]. فيأباه حسن المقابلة بقوله: ويكثر. وأما قول بعضهم: ويجوز أن يراد باللغو الدعابة وأن ذلك كان منه قليلاً فمردود، إذ عد مزاحه ﷺ من اللغو هو اللغو. فإنه روى الترمذي عن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا. قال: إني لا أقول إلا حقاً[2]. فلله در مزاح هو الحق فكيف بجده الذي هو الصدق المطلق. وقد صرح العلماء بأن المزاح بشرطه من جملة المستحبات فكيف يعد من اللغويات، اللهم إلا أن يقال: ما قدمناه من الأمر النسبي واللغوي الإضافي. (ويطيل الصلاة) أي خصوصاً في الجمعة لقوله: (ويقصر الخطبة) من التقصير، وفي نسخة من القصر. ولعل وجهه أن الصلاة معراج المؤمن ومحل مناجاة المهيمن فيناسبها الإطالة بلا ملالة، والخطبة محل التوجه إلى الخلق ودعائهم إلى الحق وفيها زيادة مظنة الرياء والسمعة لطلاقة اللسان في الفصاحة والبلاغة. ولذا ورد: من فقه الرجل طول صلاته وقصر خطبته. (ولا يأنف) بفتح النون من الأنفة، وزاد في الجامع: (ولا يستنكف) أي لا يستكبر (أن يمشي مع الأرملة) في النهاية: الأرامل المساكين من رجال ونساء، وهو بالنساء أخص وأكثر. والواحد أرمل وأرملة. وفي القاموس: امرأة أرملة محتاجة أو مسكينة، والأرمل العزب وهي بهاء. إذ لا يقال للعزبة الموسرة أرملة انتهى. ولا يخفى أن المعنى الأخير هو المراد هنا لقوله: والمسكين. اللهم إلا أن يقال عطف تفسيري كما يدل عليه قوله: (فيقضي له الحاجة) حيث أتى [بصيغة] الإفراد، أو المراد لكل منهما، أو لما ذكر. (رواه النسائي والدارمي) وفي الجامع بزيادة: والعبد، بعد قوله: والمسكين. وقال: رواه النسائي والحاكم عن ابن أبي أوفى والحاكم

الحديث رقم ٥٨٣٣: أخرجه النسائي في السنن ٣/ ١٠٨ حديث رقم ١٤١٤. والدارمي في السنن ١/ ٤٨ حديث رقم ٧٤.

(١) مسند الفردوس وقد ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٥٠٧ حديث رقم ٨٣١٢.

(٢) الترمذي ٤/ ٣١٤ حديث رقم ١٩٩٠.

٥٨٣٤ - (٣٤) وعن عليّ رضي الله عنه، أنّ أبا جهلٍ قال للنبيّ ﷺ: إنّا لا نُكذِّبُكَ ولكنْ نكذِّبُ بما جئتَ به، فأنزلَ اللّهُ تعالى فيهم: ﴿فإنهم لا يُكذِّبونكَ ولكنَّ الظالمينَ بآياتِ اللّهِ يَجْحَدونَ﴾ رواه الترمذي.

٥٨٣٥ - (٣٥) وعن عائشةَ، قالتْ: قال رسولُ الله ﷺ: «يا عائشةُ! لو شئتُ لسارتْ معي جبالُ الذّهب، جاءَني ملكٌ وإنَّ حُجزتَهُ لتُساوي الكعبةَ، فقالَ: إنَّ ربَّكَ يقرأُ عليكَ السَّلامَ ويقولُ:

عن أبي سعيد[١].

٥٨٣٤ - (وعن علي رضي الله عنه: أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنّا) أي معشر قريش (لا نكذبك) بتشديد الذال ويجوز تخفيفها، أي لا ننسبك إلى الكذب فإنك عندنا مشهور بالصدق. (ولكن نكذب بما جئت به) أي نكذبك بسبب ما جئت به من القرآن أو التوحيد، والمعنى ننكره. ومنه قوله تعالى: ﴿وكذب به قومك وهو الحق﴾ [الأنعام - ٦٦]. ففي القاموس: كذب بالأمر تكذيباً أنكره، وفلاناً جعله كاذباً. قلت: فاستعمل المعنيان في الحديث. (فأنزل الله تعالى فيهم) أي في أبي جهل وأضرابه (﴿فإنهم لا يكذبونك﴾) أوله: ﴿قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك﴾ [الأنعام - ٣٣]. والجمهور على التشديد، وقرأ ابن عامر بالتخفيف. (﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾) يقال: جحد حقه وبحقه، كمنعه أنكره مع علمه كذا في القاموس. قال الطيبي: روي أن الأخنس بن شريق قال لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب، فإنه ليس عندنا غيرنا. فقال له: والله إن محمداً لصادق وما كذب قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوّة فماذا يكون لسائر قريش. فقوله: ولكن نكذب بما جئت به. وضع موضع، ولكن نحسدك وضعاً للمسبب موضع السبب. (رواه الترمذي).

٥٨٣٥ - (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: يا عائشة لو شئت) أي لو أردت مال الدنيا ومنالها (لسارت معي جبال الذهب. جاءني) استئناف بيان متضمن للتعليل أي نزل (إلي ملك) أي عظيم طويل كما بين بقوله: (وإن حجزته) بضم الحاء وسكون الجيم فزاي، أي معقد إزاره. (لتساوي الكعبة) أي تعادل طولها، ولعل وجه ظهوره بهذه العظمة تعظيماً لهذا الأمر وتهييباً. (فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام) في النهاية: يقال اقرىء فلاناً السلام واقرأ عليه السلام، كأنه حين يبلغه سلامه يحمله على أن يقرأ السلام ويرده. وفي القاموس: قرأ عليه السلام أبلغه كأقرأه، أو لا يقال أقرأه إلا إذا كان السلام مكتوباً. (ويقول:

---

(١) الجامع الصغير ٢/٤٣٨ حديث رقم ٧١٤٢. والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٦١٤.

الحديث رقم ٥٨٣٤: أخرجه الترمذي في السنن ٥/٢٤٣ حديث رقم ٣٠٦٤.

الحديث رقم ٥٨٣٥: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/٢٤٧ حديث رقم ٣٦٨٣.

إنْ شئتَ نبياً عبداً، وإنْ شئتَ نبياً ملكاً، فنظرتُ إلى جبريلَ عليه السّلامُ، فأشارَ إليَّ أنْ ضَعْ نفْسَكَ».

٥٨٣٦ ـ (٣٦) وفي رواية ابن عبّاسٍ: فالتفتَ رسولُ اللّهِ ﷺ [إلى جبريلَ كالمستشيرِ له، فأشارَ جبريلُ بيدِه أنْ تواضعْ. فقلتُ: «نبيّاً عبداً».

قالتْ: فكانَ رسولُ الله ﷺ] بعدَ ذلكَ لا يأكلُ متكئاً،

إن شئت نبياً عبداً) أي إن أردت لمن تكون نبياً كعبد أي جامعاً بين وصف النبوة والعبودية فكن أو اختر أو فلك هذا. (وإن شئت نبياً ملكاً) أي فكذلك، وحاصله: أن الله خيرك فاختر ما شئت. وفيه إيماء إلى أن الملوكية وكمال العبودية لا يجتمعان. قال الطيبي: قوله: نبياً عبداً. خبر لكون محذوف بدليل الرواية الأخرى: إن الله يخيرك بين أن تكون عبداً نبياً. وجزاء الشرط محذوف، أي إن شئت أن تكون نبياً عبداً فكن إياه. (فنظرت إلى جبريل عليه السلام) أي نظر مشاورة واختيار في موضع اختيار لقوله تعالى: ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ [الإسراء ـ ٣٠]. ولأن بعض الأنبياء جمع لهم بينهما، وربما يظن أنه هو مرتبة الكمال كما ورد: نعم المال الصالح للرجل الصالح. ولكونه وسيلة إلى فتح البلاد وتوسيع العباد وأمثال ذلك. (فأشار إليّ أن ضع نفسك) أن مصدرية وضع أمر من وضع أو تفسيرية لما في أشار من معنى القول، والحاصل أنه أومأ إلي بأن حط نفسك عن طمع مرتبة الملوكية واختر أن تكون في مقام العبودية، فإنه في المآل أعلى وفي المنازل أغلى وفي ذوق الطالبين أحلى. فإن الملك لله الواحد القهار. وقد قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات ـ ٥٦]. أي لتظهر عبوديتهم لي وألوهيتي وربوبيتي لهم. كما روي في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف». وفي تقديم الشرطية الأولى إشعار بالمرتبة الأولى، وفيه دليل صريح على أن الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر، خلافاً لمن خالفه كابن عطاء. ودعا عليه الجنيد بالبلاء المؤدي إلى العطاء.

٥٨٣٦ ـ (وفي رواية ابن عباس: فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل كالمستشير له فأشار جبريل بيده) أي إلى الأرض (أن تواضع) أي اختر الفقر والعبودية المورثة للتواضع لله المنتجة لرفعة القدر عند الله، لا الملك والغنى الباعث على الطغيان والنسيان الموجب للتكبر والكفران، المقتضي لوضعه عن نظر الله. وهذا باعتبار غالب الأحوال ولذا اختار الله الفقر لأكثر الأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء جعلنا الله منهم وحشرنا معهم. (فقلت: نبياً عبدا) أي أكون نبياً عبداً (قالت: فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك لا يأكل متكئاً) فسر الأكثرون الاتكاء بالميل إلى أحد الجانبين لأنه يضر بالأكل، فإنه يمنع مجرى الطعام. ونقل القاضي عياض في

الحديث رقم ٥٨٣٦: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ٢٤٨ حديث رقم ٣٦٨٤.

يقولُ: «آكلُ كما يأكلُ العبدُ، وأجلسُ كما يجلسُ العبدُ» رواه في «شرح السنة».

(٤) باب المبعث وبدء الوحي

الشفاء عن المحققين، أنهم فسروه بالتمكن للأكل في الجلوس كالمتربع المعتمد على وطاء تحته، لأن هذه الهيئة تستدعي[١] كثرة الأكل. (يقول:) استئناف بيان لما قبله (آكل كما يأكل العبد) أي مما يتيسر له من أدنى المأكول. (وأجلس كما يجلس العبد) إما على الركبتين كهيئة الصلاة وهو أفضل الهيئات، أو برفع إحدى الركبتين حالة الأكل أو غيره، أو برفع الركبتين على صفة الاحتباء، وهو أكثر أنواع جلوسه ﷺ في غير الصلاة. (رواه) أي البغوي (في شرح السنة) أي بإسناده. وفي الشمائل للترمذي عن أبي جحيفة مرفوعاً: أما أنا فلا آكل متكئاً[٢]. وفي الجامع الصغير: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد. رواه ابن عدي في الكامل عن أنس[٣] وروى أحمد ومسلم وأبو داود عن كعب بن مالك أنه ﷺ كان يأكل بثلاث أصابع ويلعق يده قبل أن يمسحها[٤]. وروى ابن السني والطبراني عن ابن مسعود: أنه ﷺ كان إذا شرب تنفس في الإناء ثلاثاً يسمي عند كل نفس ويشكر في آخرهن. وفي الحلية لأبي نعيم عن أبي جعفر مرسلاً: أنه ﷺ كان إذا شرب الماء قال: الحمد لله الذي سقانا عذباً فراتاً برحمته، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا[٥]. وروى الطبراني عن ابن عباس: أنه ﷺ كان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك إلى خبز الشعير[٦].

(باب المبعث وبدء الوحي)

هذا من باب ما قاله أرباب الهداية من أن النهاية هي الرجوع إلى البداية. فنقول: الباب أصله البوب، قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ويجمع على أبواب وقد قالوا أبوبة ذكره العيني. والمراد هنا نوع من الكلام المشتمل عليه جنس الكتاب المجموع لأفراد الأنواع كما بينته في تعليقي الأول باب كتاب البخاري في بيان الإعراب بدون الإغراب. ثم المبعث مصدر ميمي بمعنى البعث من بعث إذا أرسل ذكره ابن الملك. فالمراد به أنه مصدر ميمي، والأظهر أن المقصود به معرفة زمان البعث ومكانه كما نبه عليه أول الحديث من الفصل الأول. ثم البدء

---

(١) في المخطوطة «تدعي».

(٢) وأبو داود ٢/ ١٤٠ حديث ١٤٠.

(٣) الجامع الصغير ١/ ١٥٥ حديث رقم .

(٤) مسلم في صحيحه ٣/ ١٦٠٥ حديث رقم ٢٠٣٢. وأبو داود حديث رقم ٣٨٤٨.

(٥) أبو نعيم في الحلية ٨/ ١٣٧.

(٦) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٣١ حديث رقم ٦٩٨٩.

الفصل الأول

٥٨٣٧ ـ (١) عن ابنِ عبّاسٍ، قال: بُعِثَ رسولُ الله ﷺ لأربعينَ سنةً، فمكثَ بمكةَ ثلاثَ عشرةَ سنةً يوحى إليهِ، ثمّ أُمرَ بالهجرةِ، فهاجرَ عشرَ سنينَ، وماتَ وهوَ ابنُ ثلاثٍ وستّينَ سنةً.

بموحدة مفتوحة فدال ساكنة فهمز بمعنى الابتداء. قيل: ويروى بدو كظهور وزناً، ومعنى وهل الأحسن الأول لأنه يجمع المعنيين، أو الثاني لأنه أعم: رأيان. قلت: إنما محله قول البخاري: كيف كان بدء الوحي، فإنه يحتمل الاحتمالين كما أوضحناه في محله. وأما ما نحن فيه فلا يساعد الرسم. الثاني فإنه يكتب بالياء هنا بخلاف ما في الصحيح فإنه يكتب فيه بالواو فتأمل ولا تمل. ويؤيد ما قلنا أيضاً أنه قال العسقلاني في فتح الباري: قال عياض: روي البدء بالهمزة وسكون الدال من الابتداء، وبغير همز مع ضم الدال وتشديد الواو من الظهور[١]. قلت: ولم أره مضبوطاً في شيء من الروايات التي اتصلت بنا، إلا أنه وقع في بعضها كيف كان ابتداء الوحي. فهذا يرجح الأول وهو الذي سمعناه من أفواه المشايخ. وقد استعمل المصنف يعني البخاري هذه العبارة كثيراً، كبدء الحيض وبدء الأذان وبدء الخلق والوحي لغة الإعلام في خفاء. وقيل: أصله التفهيم ومنه قوله تعالى: ﴿**وأوحى ربك إلى النحل**﴾ [النحل ـ ٦٨]. وشرعاً هو الإعلام بالشرع. وقد يطلق ويراد به اسم المفعول أي الموحي وهو كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه. وقال شارح: البعث مصدر بمعنى الإرسال والبدء الابتداء، والوحي هنا الرسالة. ولعل اختياره كغيره معنى المصدر في المبعث لاشتماله على الزمان والمكان أيضاً مع الدلالة على كيفية أصل الفعل والله أعلم.

(الفصل الأول)

٥٨٣٧ ـ **(عن ابن عباس قال: بعث)** بصيغة المجهول أي جعل مبعوثاً إلى الخلق بالرسالة **(رسول الله ﷺ لأربعين سنة)** أي وقت إتمام هذه المدة. قال الطيبي: اللام فيه بمعنى الوقت كما في قوله تعالى: ﴿**قدمت لحياتي**﴾ [الفجر ـ ٢٤]. **(فمكث)** بضم الكاف وبفتح أي فلبث. **(بمكة ثلاث عشرة سنة)** بسكون الشين المعجمة ويكسر **(يوحى إليه)** جملة حالية أو استئنافية، أي يوحى إليه في أثناء تلك السنين. **(ثم أمر بالهجرة)** أي إلى المدينة **(فهاجر)** أي إليها **(وأقام بها عشر سنين)** بالسكون لا غير **(ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة)** وهذا هو الصحيح. وقيل: ابن خمس وستين كما سيأتي عن ابن عباس أيضاً بإدخال سنتي الولادة والوفاة. وقيل: ابن

---

(١) فتح الباري ١/ ٩.

الحديث رقم ٥٨٣٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٦٢. حديث رقم ٣٨٥١. ومسلم ٤/ ١٨٢٦ حديث رقم (١١٧ . ٢٣٥١). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٦٥ حديث رقم ٣٦٥٢. وأحمد في المسند ١/ ٣٧١.

متفق عليه.

٥٨٣٨ ـ **(٢)** وعنه، قال: أقامَ رسولُ الله ﷺ بمكة خمسَ عشرةَ سنةً، يسمَعُ الصوتَ ويرى الضَّوءَ سبعَ سنينَ، ولا يرى شيئاً، وثمانَ سنين يُوحى إليه، وأقامَ بالمدينةِ عشراً، وتوفِّي وهوَ ابنُ خمسٍ وستينَ. متفق عليه.

٥٨٣٩ ـ **(٣)** وعن أنسٍ، قال: توفَّاه الله على رأسِ ستين سنةً. متفق عليه.

ستين كما سيأتي عن أنس بالغاء الكسر. **(متفق عليه)**.

٥٨٣٨ ـ **(وعنه)** أي عن ابن عباس **(قال: أقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة سنة)** أي بإدخال سنتي الولادة والهجرة **(يسمع الصوت)** أي صوت جبريل **(ويرى الضوء)** أي النور في الليالي المظلمة ضياءً عظيماً **(سبع سنين)** قال الطيبي: يعني أنه ﷺ كان يرى من أمارات النبوّة سبع سنين ضياءً مجرداً وما رأى معه ملكاً. وهو معنى قوله: **(ولا يرى شيئاً)** أي سوى الضوء. قالوا: والحكمة في رؤية الضوء المجرد دون رؤية الملك حصول استئناسه أولاً بالضوء المجرد وذهاب روعه. إذ في رؤية الملك مظنة ذهول وذهاب عقل لغلبة دهشته فإنه أمر خطير. اهـ. ولقد أحسن ابن الملك في قوله: والسر فيه أن الملك لا يفارقه ضوء الملكية ونور الربوبية، فلو رآه ابتداء فلربما لم تطقه القوة البشرية وعسى أن يحدث من ذلك غشي، فاستؤنس أولاً بالضوء ثم غشيه الملك. ويجوز أن يراد بالضوء انشراح صدره قبل نزول الوحي، فسمي الانشراح ضوءاً ولا يكمل انشراح صدره إلا بعد وصوله إلى أربعين ليستعد أن يكون واسطة بين الله وبين خلقه. **(وثمان سنين يوحى إليه)** أي في مكة **(وأقام بالمدينة عشراً وتوفي وهو ابن خمس وستين)** سبق الكلام عليه **(متفق عليه)** قال ميرك: قوله: متفق عليه لم يقع في موقعه، لأن البخاري لم يخرجه بل هو في صحيح مسلم فقط كما صرح به الحميدي في الجمع بين الصحيحين. وأشار إليه شيخنا ابن حجر في شرح صحيح البخاري ومنشأ توهم صاحب المشكاة صنيع ابن الأثير في جامع الأصول. والحاصل أنه اغتر بظاهر كلامه من غير رجوع إلى المأخذ فلذا وقع فيما وقع والله أعلم.

٥٨٣٩ ـ **(وعن أنس قال: توفاه الله تعالى على رأس ستين سنة)** قال الطيبي: مجاز قوله: على رأس ستين سنة. أي آخره كمجاز قولهم رأس آية أي آخرها، سموا آخر الشيء رأساً لأنه مبدأ مثله من آية أخرى أو عقد آخر. **(متفق عليه)** ورواه الترمذي في الشمائل.

الحديث رقم ٥٨٣٨: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٨٢٧ حديث رقم (١٢٣ ـ ٢٣٥٣). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/٥٦٤ حديث رقم ٣٦٥١. وأحمد في المسند ١/٢٦٦.

الحديث رقم ٥٨٣٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/٣٥٦. حديث رقم ٥٩٠٠ ومسلم في صحيحه ٤/١٨٢٤ حديث رقم (١١٣ ـ ٢٣٤٧). وأخرجه مالك في الموطأ ٢/٩١٩ حديث رقم ١ من كتاب صفة النبي.

٥٨٤٠ ـ (٤) وعنه، قال: قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ وهوَ ابنُ ثلاثٍ وستينَ، وأبو بكرٍ وهو ابنُ ثلاثٍ وستينَ، وعُمَرُ وهو ابنُ ثلاثٍ وستينَ. رواه مسلم.

قال محمَّدُ بنُ إسماعيل البخاريُّ: ثلاثٍ وستينَ، أكثر.

٥٨٤٠ ـ **(وعنه)** أي عن أنس رضي الله عنه **(قال: قبض النبي ﷺ)** أي توفي **(وهو ابن ثلاث)** أي والحال أنه صاحب ثلاث سنين **(وستين)** أي سنة كما في نسخة **(وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين)** أي بلا خلاف، وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر **(وعمر وهو ابن ثلاث وستين)** وقيل ابن تسع وخمسين، وقيل ثمان وخمسين، وقيل ست وخمسين، وقيل إحدى وخمسين. قال المؤلف: طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة بالمدينة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، ودفن يوم الأحد عاشر محرم سنة أربع وعشرين، وله من العمر ثلاث وستون وهو أصح ما قيل في عمره. وكانت خلافته عشر سنين ونصفا. وأما عثمان فدفن ليلة السبت بالبقيع وله يومئذ من العمر اثنتان وثمانون سنة، وقيل ثمان وثمانون، وقيل غير ذلك. وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة. وأما علي فاستخلف يوم قتل عثمان وهو يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وضربه عبد الرحمٰن بن ملجم المرادي بالكوفة صبيحة الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين، ومات بعد ثلاث ليال من ضربه، ودفن سحراً وله من العمر ثلاث وستون سنة. وقيل خمس وستون، وقيل سبعون، وقيل ثمان وخمسون. وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وأياماً. ولعل أنساً لم يذكر علياً مع أن الصحيح في عمره أنه ثلاث وستون، لأنه إذ ذاك في قيد الحياة أو لأنه ما تحرر عنده والله أعلم. **(رواه مسلم)** وروى الترمذي عن جرير عن معاوية أنه سمعه يخطب قال: مات رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وعمر كذلك وأنا ابن ثلاث وستين[١]. أي وأنا متوقع أن أموت في هذا السن موافقة لهم. ففي جامع الأصول كان معاوية في زمان نقله هذا الحديث في هذا السن ولم يمت فيه، بل مات وله ثمان وسبعون سنة، وقيل ست وثمانون سنة. قال ميرك: تمنى لكن لم ينل مطلوبه بل مات وهو قريب من ثمانين. قلت: لكن حصل مرغوبه من ثواب التوافق الذي هو موجود مع زيادة عمره وأمله، فنية المؤمن خير من عمله. **(قال محمد بن إسماعيل البخاري: ثلاث)** بالجر على الحكاية والتقدير رواية ثلاث **(وستين أكثر)** أي رواية من غيرها. ورجح الإمام أحمد أيضاً هذه الرواية. قال النووي: في شرح مسلم ذكر ثلاث روايات، إحداها أنه ﷺ توفي وهو ابن ستين سنة والثانية ابن خمس وستين والثالثة ثلاث وستين وهي أصحها وأشهرها رواه مسلم هنا من رواية أنس وعائشة وابن عباس ومعاوية رضي الله عنهم. فرواية ستين مقتصرة على العقود ورواية الخمس منافية له. وأنكر عروة على ابن عباس قوله: وقال إنه لم يدرك أوّل النبوّة ولا كثرت صحبته بخلاف الباقين. وولد عام الفيل

الحديث رقم ٥٨٤٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨٢٥ حديث رقم (١١٤ . ٢٣٤٨). وأخرجه الترمذي ٥/ ٥٦٥ حديث ٣٦٥٣.

(١) أخرجه الترمذي ٥/ ٥٦٥ حديث رقم ٣٦٥٣.

٥٨٤١ ـ (٥) وعن عائشةَ رضي الله عنها، قالتْ: أوّلُ ما بُدِئ به رسولُ الله ﷺ من الوحي الرُّؤيا الصادقةُ في النومِ، فكانَ لا يرى رُؤيا إلا جاءتْ مثلَ فلَقِ الصبحِ،

على الصحيح المشهور. وادعى القاضي عياض الاجماع عليه واتفقوا على أنه ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الأوّل. واختلفوا هل هو ثاني الشهر أم ثامنه أم عاشره. وتوفي يوم الاثنين في ثاني عشر ربيع الأوّل ضحى صلوات الله وسلامه عليه. اهـ. ولا يخفى أن هنا قولاً آخر أيضاً، وهو أن عمره ﷺ اثنان ونصف وستون[1] سنة. وأنه على ما روي عنه ﷺ من أن عمر كل نبي نصف عمر نبي كان قبله، عمر عيسى عليه السلام خمس وعشرون ومائة وقيل هذا الحديث لا يخلو عن ضعف. ويمكن أن يقال إلغاء النصف من الكسر غير بعيد عند أهل الحساب والله أعلم بالصواب.

٥٨٤١ ـ (**وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: أوّل ما بدىء به رسول الله ﷺ**) قال النووي: هذا الحديث من مراسيل الصحابة فإن عائشة لم تدرك هذه القضية فتكون سمعتها من النبي أو من صحابي. ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلماء إلاّ ما انفرد به الأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني. قال الطيبي: والظاهر أنها سمعت من النبي ﷺ لقولها: قال: فأخذني فغطني. فيكون قولها أوّل ما بدىء به رسول الله ﷺ حكاية ما تلفظ به ﷺ كقوله تعالى: ﴿**قل للذين كفروا ستغلبون**﴾ [آل عمران ـ ١٢]. بالتاء والياء على تأويل أنه ﷺ يؤدي لفظ ما أوحي إليه أو معناه، فلا يكون الحديث حينئذ من المراسيل. قلت: هذا غريب من الطيبي لأنها لم تسند في صدر الحديث أنها سمعت منه ﷺ كان من المراسيل إما عنه أو عن صحابي ولا ينافيه قولها قال، فإنه إما نقل كلامه ﷺ أو نقل كلام الصحابي، والتقدير قال ناقلاً عنه عليه الصلاة والسلام والله أعلم بالمرام. ثم الظاهر من في قولها (**من الوحي**) تبعيضية لا بيانية كما قيل، أي أوّل ما ابتدىء به من أقسام الوحي (**الرؤيا الصادقة**) وقوله: (**في النوم**) إما تأكيد وإما في الرؤيا تجريد، إذ الرؤيا ما رأيت في منامك على ما في القاموس. ثم اعلم أن حقيقة الرؤيا الصادقة أن الله يخلق في قلب النائم أو في حواسه الأشياء كما يخلقها في اليقظة، [وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا يمنعه نوم ولا غيره عنه فربما يقع ذلك في اليقظة] كما رآه في المنام. وربما يكون ما رآه علماً على أمور أخرى يخلقها في ثاني الحال أو كان قد خلقها فيقع ذلك كما جعل الله تعالى الغيم علامة للمطر، كذا حققه العلامة الكرماني. (**فكان لا يرى رؤيا**) وفي نسخة الرؤية (**إلا جاءت**) أي تلك الرؤيا بمعنى أثرها الدال على تحققها (**مثل فلق الصبح**) بفتح الفاء واللام أي ضوئه إذا انفلق كما في شرح السنة. والمعنى مشبهة بضيائه أو مجيئاً مثله. قال شارح: الفلق بالتحريك الصبح بعينه وحسن إضافته إلى الصبح وإن كانت لاختلاف اللفظين

---

(١) في المخطوطة «ستين».

الحديث رقم ٥٨٤١: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٢٣. حديث رقم ٣. ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٩ حديث رقم (٢٥٢ ـ ١٦٠). وأخرجه الترمذي ٥/ ٥٥٦ حديث رقم ٣٦٣٢. وأحمد في المسند ٦/ ٢٣٢.

ثُمَّ حُبِّبَ إليه الخَلاءُ،

لكونه[1] من الألفاظ المشتركة، فإنه يطلق الفلق على الصبح وعلى المطمئن من الأرض. فشبهت ما جاءه في اليقظة موافقاً لما رآه في المنام بالفلق لإنارته وإضاءته وصحته. وقال القاضي: شبه ما جاءه في اليقظة ووجده في الخارج طبقاً لما رآه في المنام بالصبح في إنارته ووضوحه، والفلق الصبح. لكن [لما] كان مستعملاً في هذا المعنى وفي غيره كالفلق في قوله: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ [الفلق - ١]. وغير ذلك أضيف إليه للتخصيص. والبيان إضافة العام إلى الخاص كقولهم: عين الشيء ونفس الشيء. وقال الطيبي: للفلق شأن عظيم ولذلك جاء وصفاً لله تعالى في قوله سبحانه: ﴿فالق الإصباح﴾ [الأنعام - ٩٦]. وأمر بالاستعاذة برب الفلق لأنه ينبيء عن انشقاق ظلمة عالم الشهادة وطلوع تأثير الصبح بظهور سلطان الشمس وإشراقها الآفاق، لأن الرؤيا الصالحة مبشرات تنبيء عن وفور أنوار عالم الغيب وآثار مطالع الهامات شبه به الرؤيا التي هي جزء يسير من أجزاء النبوّة، وتنبيه من تنبيهاتها لمشتركي العقول على ثبوت النبوّة، لأن النبي إنما سمي نبياً لأنه ينبيء من عالم الغيب الذي لا تستقل العقول بإدراكه. وفي شرح مسلم للنووي قالوا: إنما ابتدأ ﷺ بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوّة بغتة فلا يحتملها قوى البشرية فبديء بتباشير الكرامة وصدق الرؤية استئناساً. قلت: وهو مقتضى الأمور التدريجية في الأمور الدينية [والدنيوية]، وكأن الرؤيا شبهت بالفلق الذي هو الصبح وهو مقدمة طلوع الشمس المشبه به إتيان جبريل بالوحي المنزل الذي هو نور وكتاب مبين. ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ [النور - ٣٥]. ثم بون بيّن بين النور الحسي الآفاقي والنور العلمي الخلاقي. (ثم حبب إليه الخلاء) بالمد أي الخلوة المناسبة لمرتبة التخلية عن الغير المقدمة على التحلية المترتبة عليها بثبوت نور وجوده وظهور كرمه وجوده. قال النووي: الخلوة شأن الصالحين وعباد الله العارفين. قال الخطابي: حبب إليه الخلوة لأن معها فراغ القلب وهي معينة على التفكر وبها ينقطع عن مألوفات البشر ويخشع قلبه ويجمع همه، فالمخلص في الخلوة يفتح الله عليه ما يؤنسه في خلوته من تعويض الله تعالى إياه عما تركه لأجله واستنار قلبه بنور الغيب حين تذهب ظلمة النفس، واختيار الخلوة لسلامة الدين وتفقد أحوال النفس وإخلاص العمل. اهـ. واختلف في أفضلية الخلوة والجلوة والخلطة والعزلة. والصحيح أن كل واحدة بشروطها المعتبرة في محلها هي الأفضل والأكمل للمصلحة المترتبة عليها الحكمة الإلهية واقتضاء صفة الربوبية. (وكان يخلو بغار حراء) بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء وبالمد، وهو مذكر مصروف على الصحيح. وقيل: مؤنث غير مصروف ذكره النووي. وقال القاضي الزاهد صاحب الثعلبي والخطابي وغيرهما: العوام يخطئون في حراء في ثلاثة مواضع، يفتحون الحاء وهي مكسورة ويكسرون الراء وهي مفتوحة ويقصرون الألف وهي ممدودة، وهو جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال عن يسار الذاهب من مكة إلى منى. وقال شارح: هو بالكسر والمد، والقصر خطأ. يذكر ويؤنث فيصرف على الأول ولا يصرف على الثاني.

---

(١) في المخطوطة «بكون».

وكانَ يخلو بغارِ حِراءٍ، فيتحنَّثُ فيه ـ وهوَ التعبُّدُ الليالي ذواتِ العددِ ـ

أقول: ولعل وجه التذكير اعتبار الموضع، والتأنيث باعتبار البقعة. وقال العسقلاني: حراء هو بالمد وكسر أوله وهو الصحيح رواية، وحكي فيه غير ذلك جوازاً لا رواية. وعند الأصيلي بالفتح والقصر. **(فيتحنث فيه)** أي فيتعبد في ذلك الغار فراراً من الأغيار. وفي سيرة ابن هشام فيتحنف بالفاء، أي يتبع الحنيفية وهي دين إبراهيم. والفاء تبدل ثاء في كثير من كلامهم ذكره السيوطي. **(وهو)** أي التحنث **(التعبد)** وكأن المتعبد يتحرز عن الحنث بمعنى الإثم ويجتنب عنه بعبادته، وهذا التفسير إما من قول عائشة رضي الله عنها أو من قول الزهري أدرجه في الحديث. والتحنث في اللغة القاء الحنث عن نفسه. وقيل لم يرد من باب التفعل في معنى إلقاء الشيء عن النفس إلا التحنث والتأثم والتحوب كذا ذكره شارح. وقال السيوطي: قوله: هو التعبد، مدرج في الخبر قطعاً. قال العسقلاني: وهو محتمل أن يكون من كلام عروة أو من دونه. قال: وجزم الطيبي بأنه من تفسير الزهري ولم يذكر دليله. اهـ. وقال التوربشتي: فسرت التحنث بقولها وهو التعبد، ويحتمل أن يكون التفسير من قول الزهري أدرجه في الحديث، وذلك من دأبه. قال النووي: وقوله: **(الليالي ذوات العدد)** متعلق بيتحنث لا بالتعبد. ومعناه يتحنث الليالي، ولو جعل متعلقاً بالتعبد فسد المعنى فإن التحنث لا يشترط فيه الليالي، بل يطلق على القليل والكثير. وهذا التفسير اعترض بين كلام[1] عائشة رضي الله عنها، وإنما كلامها: فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد. وإنما أطلق الليالي وأريد بها الليالي مع أيامهن على سبيل التغليب لأنها أنسب للخلوة. وقيد بذوات العدد لإرادة التقليل كما في قوله تعالى: ﴿دراهم معدودة﴾ [يوسف ـ ٢٠]. اهـ. فالمراد بذات العدد القلة. وقيل: يحتمل الكثرة إذ الكثير يحتاج للعدد لا القليل. وقيل: إبهام العدد لاختلافه بالنسبة إلى المدة التي يتخللها مجيئه إلى أهله، وإلا فأصل الخلوة قد عرفت مدّتها وهي شهر في كل سنة، وذلك الشهر كان رمضان. أقول: ويمكن أن تكون المدة أربعين قياساً على ميقات موسى عليه السلام، ولما فيها من الخواص والأسرار التي تظهر آثارها وأنوارها على الصوفية الأبرار، مع ما فيها من مطابقة الأربعينيات في الأطوار. وقد قال ﷺ: من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه. هذا وقال الحافظ العسقلاني: ولم يأت التصريح بصفة تعبده، لكن في رواية عبيد بن عمير عند ابن إسحاق: فيطعم من يرد عليه من المشركين. وجاء عن بعض المشايخ أنه يتعبد بالتفكر، ذكره السيوطي في حاشية مسلم. وفي التحرير للإمام ابن الهمام: أن المختار أنه ﷺ قبل مبعثه متعبد. فقيل بشرع نوح، وقيل إبراهيم، وقيل موسى، وقيل عيسى. ونفاه المالكية والآمدي. وتوقف الغزالي أي في تعبده قبل البعثة بشرع من قبله. وفي شرح التحرير قال إمام الحرمين والمازري وغيرهما: لا يظهر لهذه المسألة ثمرة في الأصول ولا في الفروع، بل يجري مجرى التواريخ المنقولة ولا يترتب عليها حكم في الشريعة. اهـ. والظاهر أن المراد بالتعبد هنا التجرد للعبودية وهو الانقطاع عن الخلق بالكلية والتبتل إلى الحق بحسب ما يقتضيه

(١) في المخطوطة «كلامي».

قبل أنْ ينزعَ إلى أهلِه، ويتزوّدُ لذلكَ، ثمّ يرجعُ إلى خديجةَ، فيتزوّدُ لمثلها، حتى جاءَه الحقُّ وهو في غارِ حراءٍ، فجاءَه المَلَكُ فقال: اقرَأْ. فقال: «ما أنا بقارئٍ». قال: «فأخَذَني فغطَّني حتى بلغَ مني الجُهدَ،

صفة الربوبية والخلوّ عن المطالب النفسية والمآرب الشهوية. وخلاصته الغيبة عما سواه والحضور مع الله المترجم عنه قول: لا إله إلا الله الوارد فيه: «أفضل الذكر لا إله إلا الله»[١]. المعني بقوله: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ [محمد - ١٩]. المعبر عنه عند الصوفية بالفناء والبقاء والانفصال والاتصال والبينونة والكينونة وهو نهاية مراتب العباد وغالب مطالب العباد. (قبل أن ينزع إلى أهله) يقال: نزع إلى أهله ينزع أي اشتاق ومال، ولذا قيل: ينزع كيرجع زنة ومعنى. قال شارح: والمعنى أنه كان لا يميل عن أهله بالكلية إلى خلوته، ويدل عليه قوله: (ويتزوّد) بالرفع، أي فيجيء أهله ويأخذ زاده. (لذلك) أي لتعبده الليالي ذوات العدد، أو لما ذكر من الليالي مشتغلاً برب العباد ومتهيئاً لأمر المعاد إلى فراغ الزاد. (ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها) أي لمثل تلك الليالي أو لنحو تلك العودة التي فيها الجودة. وفيه إيماء إلى أن أخذ الزاد لا ينافي التوكل والاعتماد. والحاصل أنه ﷺ استمر على تلك الحال من الذهاب للآمال والرجوع لنيل المنال وحسن المآل. (حتى جاءه الحق) أي أمر الحق وهو الوحي أو رسول الحق وهو جبريل عليه السلام ذكره التوربشتي. أو المعنى تبين له الحق وظهر له الجمال المطلق بلا مرآة ولا مراء. (وهو في غار حراء فجاء الملك) اللام للعهد وهو جبريل، وقيل إسرافيل. (فقال: اقرأ) أي مطلقاً وهو مقتضى الأمر الباهر أو كما أقرأ وهو الظاهر. (فقال: ما أنا بقارىء) أي لا أحسن القراءة ولم أتعلم القراءة كما هو المعتاد فيمن يقرأ. (قال: فأخذني فغطني) بتشديد الطاء أي عصرني. قيل: الغط في الأصل المقل في الماء والتغويص فيه على ما في النهاية وغيره، ولما كان الغط مما يأخذ بنفس المغطوط استعمل مكان الخنق. وفي بعض الروايات: فخنقني. أقول: الأظهر أن الغط هو العصر إما من جهة البطن أو الظهر، لكن شدته ربما يضيق النفس فيشابه حالة الخنق فعبر عنه بالخنق. وهذا المعنى أولى وأخلق. وفي شرح مسلم قالوا: والحكمة في الغط شغله عن الالتفات والمبالغة في أمره بإحضار قلبه لما يقوله، وإنما كرره ثلاثاً مبالغة في التنبيه. ففيه أنه ينبغي للمعلم أن يحتاط في تنبيه المتعلم ويأمره بإحضار قلبه، وقيل: إنما غط ليختبره هل يقول من تلقاء نفسه شيئاً. وحاصل المعنى عصرني عصراً شديداً. (حتى بلغ مني الجهد) بضم الجيم ويفتح بالرفع وينصب. قال النووي: الجهد يجوز فيه فتح الجيم وضمها وهو الغاية والمشقة، ويجوز نصب الدال ورفعها. فعلى النصب بلغ جبريل في الجهد، وعلى الرفع بلغ الجهد مني مبلغه وغايته. وقد ذكر الوجهين، أعني نصب الدال وفتحها صاحب التحرير. اهـ. وقال شارح: هو بضم الجيم ورفع الدال، وهو بالضم الوسع والطاقة، وبالفتح المشقة. وقيل: المبالغة والغاية. وقيل: هما لغتان في الوسع، وأما المشقة والغاية فبالفتح لا غير. وقال التوربشتي: لا أرى الذي يرويه بنصب الدال إلا قد

---

(١) أخرجه ابن ماجه في السنن ٢/ ١٢٤٩ حديث رقم ٣٨٠٠.

ثمّ أرسلني، فقال: اقرأ فقلتُ: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد، ثمّ أرسلني، فقال: اقرأ. فقلتُ: ما أنا بقارىء. فأخذني فغطّني الثالثة، حتى بلغ مني الجهد، ثمّ أرسلني، فقال: ﴿اقرأ باسم ربك

وهم فيه، أو جوزه من طريق الاحتمال. فإنه إذا نصب الدال عاد المعنى إلى أنه غطه حتى استفرغ قوته في ضغطه وجهد جهده بحيث لم يبق فيه مزيد، وهذا قول غير سديد. فإن البنية البشرية لا تستدعي استيفاء القوة الملكية لا سيما في مبدأ الأمر. وقد دلّت القضية على أنه اشمأز من ذلك وتداخله الرعب. قال الطيبي: لا شك أن جبريل في حالة الغط لم يكن على صورته الحقيقية التي تجلى بها عند سدرة المنتهى وعندما رآه مستوياً على الكرسي، فيكون استفراغ جهده بحسب الصورة التي تجلى له وغطه، وإذا صحت الرواية اضمحل الاستبعاد. أقول: يلزم من تشكل الملك بصورة الآدمي وتبدله عن أصل هيئة الملكي سلب القوّة عنه ونفي الغلبة منه، فإن الأمر المعنوي لا يتغير بتغير الهيكل الصوري. فكلام الشيخ في محله وصحة الرواية موقوفة على نقلها إلا بمجرد جوازها وذكرها وحملها. (ثم) أي بعدما بلغ بقربه مني الجهد (أرسلني) أي تركني في مقام البعد وكأنه نقل من مقام الجمع إلى حال التفرقة، ومن مرتبة الولاية إلى مرتبة النبوّة ترقياً إلى درجة جمع الجمع. (فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارىء) الظاهر من صنيع الشراح أن قوله: ما أنا بقارىء. في كل مرتبة على معنى واحد، ويمكن أن يقال: أن ما [في] الأولى نافية، [وفي] الثانية استفهامية، والباء زائدة، أو على لغة أهل مصر أي أي شيء أنا أقرؤه. (فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارىء.) أي الذي أنا بقارىء ما هو، على أن ما موصولة مبتدأ وخبره محذوف. والفرق بينه وبين ما قبله في المعنى المرام، أن الأول استفهام الإنكار، وهذا استفهام الإعلام. (فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك﴾) قال النووي: هذا دليل صريح في أن أوّل ما نزل من القرآن اقرأ وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف. وقيل: أوّله يا أيها المدثر، وليس بشيء. قلت: الظاهر أن اقرأ أوّله الحقيقي، ويا أيها المدثر أوّله الإضافي، وهو بعد فترة الوحي الإلهي. قال: واستدل بهذا الحديث من يقول: بسم الله الرحمٰن الرحيم ليست بقرآن في أوائل السور لكونها لم تذكر هنا. وجواب المثبتين لها أنها لم تنزل أوّلاً بل نزلت البسملة في وقت آخر، كما نزلت باقي السور في وقت آخر. قلت: فلا تكون البسملة جزءاً لجميع أوائل السور لعدم القائل بالفصل فثبت مدعي أهل الفضل، ولعل النووي لما أشعر ضعف الجواب أسنده إليهم تبرياً من قولهم والله أعلم بالصواب. قال الطيبي: اقرأ أمر بايجاد القراءة مطلقاً وهو لا يختص بمقروء دون مقروء، فقوله: باسم ربك. حال أي اقرأ مفتتحاً باسم ربك أي قل بسم الله الرحمٰن الرحيم ثم اقرأ، وهذا يدل على أن البسملة مأمور قراءتها في ابتداء كل قراءة فيكون مأموراً قراءتها في هذه السورة أيضاً. قلت: لا يخفى بعد ما ذكره على أولي النهي. أما قوله: أمر بايجاد القراءة، ففيه بحث. فإن الإيجاد والإمداد من أفعال رب العباد على ما هو مقرر في الاعتقاد، فالأمر إنما توجه بمباشرة القراءة لا بإيجادها. ... قوله: وهو لا يختص بمقروء دون مقروء. ففيه أن لفظ

الذي خلقَ خلقَ الإنسانَ من علقٍ اقرأ وربُّكَ الأكرمُ الذي علَّمَ بالقلَمِ علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلمْ﴾. فرجعَ بها رسولُ الله ﷺ يرجُفُ فؤادُه، فدخلَ على خديجةَ، فقال: «زمِّلوني زمِّلوني» فزمَّلوه حتى ذهبَ عنه الرَّوْعُ، فقال لخديجةَ وأخبرَها الخبرَ: «لقد خشيتُ على نفسي»

اقرأ هنا أيضاً مقروء. فالظاهر أن الباء للاستعانة أو للإلصاق أو الملابسة كما حقق في البسملة أوّل الفاتحة، أي اقرأ مستعيناً باسم ربك أو ملصقاً به قراءتك أو حال كونك متلبساً به. وعلى التنزل فلا يلزم من الافتتاح باسم الرب أن يؤتى ببسم الله الرحمٰن الرحيم ثم يقرأ كما هو ظاهر، بل ظاهره خلاف المأمور. على أنه يلزم منه أن المقروء بعد قوله: **﴿اقرأ باسم ربك﴾**. والحال أن الأمر ليس كذلك، فإن مدعي الشافعية أن يثبتوا البسملة قبل قوله **﴿اقرأ باسم ربك﴾**. ثم قوله: وهذا يدل على أن البسملة مأمور قراءتها في ابتداء كل قراءة ممنوع [ومدفوع] لاتفاق العلماء على استحباب التعوّذ، أو وجوبه قبل القراءة وعلى جواز البسملة. كذلك، إلا في أول براءة على الصواب وفي أثناء سورتها خلاف والمعتمد منعها. **(الذي خلق)** أي الأشياء ومن جملتها خلق القدرة على القراءة والقوّة على الطاعة. **(﴿خلق الإنسان من علق﴾)** تخصيص بعد تعميم إشعاراً بأن الإنسان خلاصة المخلوقات وزبدة الموجودات، وهو أولى مما اختاره الطيبي من أنه إبهام وتبيين. ولعل العدول عن قوله: **﴿خلق الإنسان من نطفة﴾** [النحل - ٤]. لمراعاة الفواصل وللإشارة إلى تنقله في أطوار الخلقة إلى مرتبة النبوّة بالوصول إلى الحق المطلق وإلى مقام الرسالة من دعاء الخلق إلى دعوة الحق. **(﴿اقرأ﴾)** تأكيد للتقرير وتكرير للتكثير. **(﴿وربك الأكرم﴾)** أي من كل كريم فإن كرم كل كريم من أثر كرمه، وذرة من شعاع ظهور شمس نعمه. وفيه إشارة إلى أن [و] صفة الأكرم اقتضى بلوغ وصول الأمي إلى حصول مقام الأعلم. وصيره واسطة ايصال فيض العلم إلى أفراد العالم. **(﴿الذي علم بالقلم﴾)** أي بواسطته كثيراً من العلوم المتعارف لأفراد بني آدم. **(﴿علم الإنسان﴾)** أي بطريق بيان اللسان وتبيان الجنان. **(﴿ما لم يعلم﴾)**[1] أي من الأشياء الحادثة في المكان والزمان. ويمكن أن يراد بالإنسان هو الكامل في هذا الشأن، واللام للمعهود في الأذهان. فيكون فيه إشارة إلى قوله تعالى: **﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾** [النساء - ١١٣]. فصلوا عليه وسلموا تسليماً. **(فرجع بها)** أي رجع النبي ﷺ بالآيات، أي معها متوجهاً إلى مكة. **(يرجف)** بضم الجيم أي يضطرب **(فؤاده)** ويتحرك شديداً من الرعب الذي دخل في قلبه. **(فدخل على خديجة)** قال الطيبي: أي صار بسبب تلك الضغطة يضطرب فؤاده ورجع بجيء بمعنى قصد أيضاً. اهـ. وما قدمناه هو الظاهر كما لا يخفى. **(فقال: زملوني)** بتشديد الميم المكسورة، أي غطوني بالثياب ولفوني بها. **(زملوني)** كرره للتأكيد أو لزيادة التأييد. **(فزملوه حتى ذهب عنه الروع)** بفتح الراء أي الخوف والرعب الشديد. **(فقال لخديجة وأخبرها الخبر:)** أي خبر ما تقدم والجملة حالية معترضة بين القول ومقولة وهو: **(لقد خشيت)** أي خفت **(على نفسي)** أي من

---

(١) سورة العلق. الآيات رقم ١ و٢ و٣ و٤ و٥.

فقالتْ خديجةُ: كلاّ، واللّهِ لا يُخزيكَ اللّهُ أبداً، إنّكَ لتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحديثَ، وتحملُ الكَلَّ، وتَكسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضيفَ، وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ.

الجنون أو الهلاك. وقال شارح: أدهشته هيبته البديهية يخشى على نفسه من تخبط الشيطان. وفي شرح مسلم للنووي، قال القاضي عياض: ليس هو بمعنى الشك فيما آتاه الله تعالى، لكنه ربما خشي أنه لا يقوى على مقاومة هذا الأمر ولا يقدر على حمل أعباء الوحي فتزهق نفسه، أو يكون هذا لأوّل التباشير في النوم أو اليقظة وسمع الصوت قبل لقاء الملك وتحقيق رسالة ربه، فيكون قد خاف أن يكون من الشيطان. فأما منذ جاءه الملك برسالة ربه سبحانه وتعالى فلا يجوز الشك فيه وتسليط الشيطان عليه. قال الشيخ محيي الدين: وهذا الاحتمال ضعيف لأنه تصريح بأن هذا بعد غط الملك وإتيانه بـ﴿**اقرأ باسم ربك**﴾. وقال السيوطي: قيل: خشي الجنون وأن يكون ما رآه من جنس الكهانة. قال الإسماعيلي: وذلك قبل حصول العلم الضروري له أن الذي جاءه ملك وأنه من عند الله. وقيل الموت من شدة الرعب. وقيل المرض. وقيل العجز عن حمل أعباء النبوّة، وقيل عدم الصبر على أذى قومه. وقيل أن يقتلوه. وقيل أن يكذبوه. وقيل أن يعيروه. (**فقالت خديجة: كلا**) هي كلمة ردع أي لا تظن ذلك أو لا تخف، أو معناه حقاً نقولها (**والله**) للتأكيد وتأييد للتأبيد (**لا يخزيك الله أبداً**) قال النووي: هو بضم الياء وبالخاء المعجمة في رواية يونس وعقيل. وفي رواية معمر بالحاء المهملة والنون. ويجوز فتح الياء في أوّله وضمها وكلاهما صحيح. أقول: لا يخفى أن فتح الياء إنما يكون مع فتح الزاي. بخلاف ضم الياء، فإنه مع كسر الزاي كما قرىء بهما متواتراً في قوله تعالى: ﴿**ولا يحزنك قولهم**﴾ [يونس - ٦٥]. ونحوه. وأما الرواية الأولى فمن الإخزاء بمعنى الافضاح والإهانة ومنه قوله تعالى: ﴿**يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه**﴾ [التحريم - ٨]. (**إنك**) بالكسر استئناف فيه شائبة تعليل (**لتصل الرحم**) أي ولو قطعوك (**وتصدق الحديث**) بضم الدال أي تتكلم بصدق الكلام ولو كذبوك أو كذبوك (**وتحمل**) بكسر الميم (**الكل**) بفتح الكاف وتشديد اللام، وهو ما لا يستقل بأمره وقد يعبر به عن الثقيل ومنه قوله تعالى: ﴿**وهو كل على مولاه**﴾ [النحل - ٧٦]. والمعنى أنك تتحمل مؤونة الكل وتقبل محنة الكل وإن تركوك ولم يساعدوك. ويدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والأرامل والعيال من النساء والرجال. (**وتكسب المعدوم**) بفتح التاء هو الصحيح المشهور، وروي بضمها ذكره النووي. والمعنى تحصل المال للخير أو تعطي المحتاج فكأن الفقير معدوم في نفسه أو في نظر الغني، أو لأن الفقر يقتضي الفناء والإسكان، كما أن [الغنى] يوجب الظهور والتحرك والطغيان. (**وتقري**) بفتح التاء وكسر الراء أي تطعم (**الضيف**) أي النازل بك (**وتعين على نوائب الحق**) أي الحوادث على الخلق بتقدير الحق أي ينتاب فيها. وقيل النوائب جمع النائبة وهي الحادثة، وإنما أضيفت إلى الحق لأن النائبة قد تكون في الخير وقد تكون في الشر قال لبيد:

نوائب من خير وشر كلاهما ❊ فلا الخير ممدود ولا الشر لازب

هذا مجمل المرام في هذا المقام، وأما تفصيل الكلام على ما بينه علماء الأعلام. فقد

ثمَّ انطلَقتْ به خديجةُ إلى ورَقَةَ بنِ نوْفلٍ، ابنِ عمِّ خديجةَ.

قال ثعلب والخطابي وغيرهما يقال: كسبت الرجل مالاً وأكسبته مالاً لغتان، أفصحهما كسبته بحذف الألف. فمعنى الضم تكسب غيرك المال المعدوم أي تعطيه إياه تبرعاً، فحذف الموصوف وأقيم الموصوف به مقامه. وقيل: المعنى تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق، أو تصيب منه ما يعجز غيرك عن تحصيله، وكانت العرب تتمادح بكسب المال لا سيما قريش، وكان ﷺ مغبوطاً في تجارته[١]. قال النووي: وهذا القول ضعيف أو غلط ويمكن تصحيحه بأن يضم معه زيادة، فمعناه تكسب المال العظيم الذي يعجز غيرك عنه ثم تجود به في وجوه الخير وأبواب المكارم كما ذكرت من حمل الكل وصلة الرحم وغيرهما. وصاحب التحرير[٢] جعل المعدوم عبارة عن الرجل المحتاج المعدوم العاجز عن الكسب وسماه معدوماً لكونه كالمعدوم الميت حيث لم يتصرف في معيشة الحياة. اهـ. وقيل: الصواب، وتكسب المعدوم أي تعطي العائل وتمنحه لأن المعدوم لا يدخل تحت الأفعال. قال التوربشتي: المعدوم هي اللفظة الصحيحة بين أهل الرواية وأجراها بعضهم على التوسع فرأى أنه نزل العائل منزلة المعدوم مبالغة في العجز، كقولك للبخيل والجبان ليس بشيء. قال: ويكسب من كسبت زيداً مالاً أو كسبت مالاً، ويجوز بضم التاء من أكسبت زيداً مالاً. قال الخطابي: والأفصح كسبته، فمعنى تكسب إن جعل متعدياً إلى واحد أنك تكسب ما لا يكون موجوداً ولا حاصلاً لنفسك وتقري به الضيف، فيكون المجوع سبباً لأن لا يخزيه الله. أو تكسب المعدوم وهو الفقير سمي معدوماً للمبالغة كأنه صار من غاية فقره معدوماً، والمتصدق عليه يكسبه ويجعله موجوداً وإن جعل متعدياً إلى اثنين، فالمحذوف إما المفعول الأول أي تكسب غيرك المعدوم أي يعطيه[٣] مالاً لا يكون موجوداً عنده وتوصله إليه، أو المفعول الثاني أي تكسب المعدوم أي الفقير مالاً أي تعطيه إياه، وإنما ذكرت لفظ الكسب إرادة أنك لن تزل تسعى في طلب عاجز تنعشه كما يسعى غيرك في طلب مال ينعشه. اهـ. وزبدته أنها أرادت أنك ممن لا يصيبه مكروه لما جمع الله فيك من مكارم الأخلاق ومحاسن الشمائل. وفيه دلالة على أن مكارم الأخلاق وخصال الخير [سبب] للسلامة من مصارع السوء، وفيه مدح الإنسان في وجهه في بعض الأحوال لمصلحة تطرأ، وفيه تأنيس من حصلت له مخافة من أمر وتبشيره وذكر أسباب السلامة. وفيه أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال خديجة رضي الله عنها وجزالة رأيها وقوة نفسها وثبات قلبها وعظم فقهها، وفيه تنبيه على أن فقره ﷺ [كان] مرضياً اختيارياً لا مكروهاً اضطرارياً ومنشؤه كمال الكرم والسخاوة. وعلى أن هذه الصفات المذكورة والنعوت المسطورة كانت له جبلية خلقية قبل بعثته الباعثة لتتميم مكارم الأخلاق. **(ثم انطلقت به خديجة إلى ورقة)** بفتحتين **(ابن نوفل)** أي ابن أسد القرشي **(ابن عم خديجة)** أي ابنة خويلد بن أسد، فهو ابن عمها حقيقة. واختلف في إسلامه ذكره صاحب

---

(١) في المخطوطة «اتجاره».
(٢) في المخطوطة «التجريد».
(٣) في المخطوطة «تعطيه».

فقالتْ له: يا ابنَ عمِّ! اسمَعْ مِن ابنِ أخيكَ. فقال له ورقةُ: يا ابنَ أخي! ماذا ترى؟ فأخبره رسولُ الله ﷺ خبرَ ما رأى. فقال ورقةُ: هذا [هو] النّاموسُ الذي أنزلَ اللّهُ على موسى، يا ليتَني فيها جَذعاً،

القاموس. (فقالت له: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك) وهذا بطريق المجاز كقولهم: يا أخا العرب. وقال شارح: إنما قالت ذلك على سبيل التعظيم، لا على سبيل الحقيقة. (فقال له ورقة:) وقد كان تنصر في الجاهلية وقرأ الكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمي ذكره المؤلف في فصل الصحابة. (يا ابن أخي ماذا ترى.) قيل: ذا زائدة وما استفهامية. وقيل: ذا موصولة، أي ما الذي تراه. (فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى) أي بخبره وأطلعه على ما ظهر عليه من الملك وأثره. (فقال ورقة: هذا) أي الملك الذي رأيته (هو الناموس الذي أنزل) أي أنزل الله (على موسى) قيل: ناموس الرجل صاحب سره الذي يطلعه على باطن أمره. وأهل الكتاب يسمون جبريل بالناموس. فقد قال أهل اللغة: الناموس صاحب سر الخير، والجاسوس صاحب سر الشر. فقيل: سمي بذلك لأن الله تعالى خصصه بالوحي. (يا ليتني) أي كنت كما في نسخة (فيها) أي في أيام النبوّة أو مدة الدعوة أو[1] الأزمنة التي تظهر فيها (جذعاً) بفتح الجيم والذال المعجمة أي جلداً شاباً قوياً حتى أبالغ في نصرتك بمنزلة الجذع من الخيل وهو ما دخلت في السنة الثالثة، فالجذع في الأصل للدواب، وهنا استعارة، ونصبه إما بإضمار كنت، أو بليت على تأويل تمنيت. والأصح أنه حال، أي ليتني حاصل فيها جذعاً كما هو مذهب البصريين في:

* يا ليت أيام الصبا رواجعا *

قال الخطابي والمازري[2] وغيرهما: نصب على أنه خبر كان المحذوفة تقديره: ليتني أكون فيها جذعاً. على مذهب الكوفيين. وقال القاضي: الظاهر عندي أنه منصوب على الحال وخبر ليت قوله فيها والعامل [متعلق] الظرف. هذا وفي قوله: يا ليتني. المنادى محذوف أي يا محمد. وقال ابن مالك: ظن أكثر الناس أن يا التي يليها ليت حرف نداء والمنادى محذوف وهو عندي ضعيف، لأن قائل ليتني قد يكون وحده فلا يكون معه منادى. كقول مريم: ﴿يا ليتني مت قبل هذا﴾ [مريم ـ ٢٣]. قلت: يمكن أن يكون التقدير: يا رب، أو يا نفسي أو يا ولدي. أو أرادت به الخطاب العام المقصود في أوهام الأفهام. ثم قال: ولأن الشيء إنما يجوز حذفه إذا كان الموضع الذي ادعى فيه حذفه مستعملاً فيه ثبوته كحذف المنادى قبل أمر أو دعاء، فإنه يجوز حذفه لكثرة ثبوته ثمة. فمن ثبوته قبل الأمر: ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوّة﴾ [مريم ـ ١٢]. وقبل الدعاء: ﴿يا موسى ادع لنا ربك﴾ [الأعراف ـ ١٣٤]. ومن حذفه قبل الأمر: ألا يا اسجدوا. في قراءة الكسائي أي ألا يا هؤلاء. وقبل الدعاء قوله:

* ألا يا اسلمي يا دار مي على البلا *

---

(١) في المخطوطة «لأنه».
(٢) في المخطوطة «الماذري».

يا ليتني أكونُ حياً إذ يُخرجُكَ قومُكَ. فقال رسولُ الله ﷺ: «أوَ مُخرجيَّ هُم؟» قال: نعم؟ لم يأتِ رجلٌ بمثلِ ما جئتَ به إلا عُودي، وإنْ يُدركني يومُكَ أنصُرْكَ نصراً مُؤَزَّراً. ثمَّ لم ينشَبْ ورقةُ أن توفّي، وفترَ الوحيُ. متفق عليه.

أي ألا يا دار مي أسلمي فحسن حذف المنادى جعلها اعتماداً على ثبوته بخلاف ليت، فإن العرب لم تستعمله ثابتاً فادعاء حذفه باطل، فتعين كون يا هذه لمجرد التنبيه ألا في نحو:

* ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة *

قلت: لعل وجه حذف المنادى مع ثبت كثرة استعماله، فتارة يكون مفرداً مذكراً، أو مؤنثاً، وتارة تثنية أو جمعاً كذلك، وتارة يكون محققاً، وأخرى يكون موهوماً. ولا شك أن كثرة الاستعمال موجبة للحذف والتخفيف، حتى ربما تجعل الحذف واجباً. فادعاء حذفه بهذا الاعتبار حق بل واجب لا باطل وذاهب. ثم رأيت في القاموس ذكر جواز الوجهين وقدم ما قدمناه حيث قال: وإذا ولي يا ما ليس بمنادى كالفعل في: ألا يا اسجدوا، والحرف في نحو: يا ليتني كنت معهم، ويا رب كاسية في الدنيا عارية في العقبى. والجملة الإسمية نحو:

يا لعنة الله والأقوام كلهم * والصالحين على سمعان من جار

فهي للنداء والمنادى محذوف، أو لمجرد التنبيه لئلا يلزم الاجحاف بحذف الجملة كلها. اهـ. وتبعه صاحب المغني وفيه بحث لا يخفى والله تعالى يعلم السر وأخفى. **(يا ليتني أكون حياً)** أي وإن لم أكن قوياً **(إذ يخرجك)** إذ هنا للاستقبال كإذا، والمعنى حين يتسبب لخروجك من بلدك **(قومك)** أي أقاربك من كفار قريش **(فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم)** بفتح الواو وتشديد الياء المفتوحة ويجوز كسرها كقوله: مصرخي. وهو خبر لقوله: هم. وأصله مخرجون، أضيف إلى ياء الاضافة بكسر الجيم للمناسبة. فإعرابه تقديري كمسلمي والجملة عطف على مقدر والاستفهام للاستعلام على وجه التعجب من هذا الاقدام، لتأكيد المرام. أي أيكون ما قلت وهم مخرجي. **(قال: نعم)** أي يخرجونك وسببه **(أنه لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به)** أي من الرسالة **(إلا عودي)** ماض مجهول من المعاداة والاستثناء مفرغ من أعم عام الأحوال. **(وإن يدركني يومك)** شرط جزاؤه **(أنصرك نصراً مؤزراً)** بتشديد الزاي المفتوحة. قال القاضي: يريد باليوم الزمان الذي أظهر فيه الدعوة أو عاداه قومه فيه وقصدوا ايذاءه وإخراجه. والمؤزر البالغ في القوة من الإزر وهو القوة. قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿**أشدد به أزري**﴾ [طه ـ ٣١]. **(ثم لم ينشب [ورقة])** بسكون النون وفتح الشين، أي لم يلبث ولم يبرح. وحقيقته أنه لم يتعلق بشيء أو لم يشتغل بغير ما هو عليه فكني به عن ذلك. وقوله: **(أن توفي)** نصب على التمييز أي من جهة الوفاة. أي لم يلبث[1] وفاته بأن جاء [ت] سريعاً. وقال الطيبي: بدل اشتمال من ورقة، أي لم يلبث وفاته. **(وفتر الوحي)** أي انقطع أياماً كما سيأتي في الحديث الآتي **(متفق عليه)**.

---

(١) في المخطوطة «ينبث».

٥٨٤٢ ـ (٦) وزادَ البخاريُّ: حتى حزِنَ النبيُّ ﷺ ـ فيما بلغنا ـ حُزناً غدا منه مِراراً كي يتردَّى مِنْ رؤوسِ شواهقِ الجبلِ، فكلما أوْفى بذروةِ جبلٍ لكي يُلقيَ نفسَه منه، تبدَّى له جبريلُ، فقال: يا محمَّدُ! إنَّكَ رسولُ الله حقّاً. فيسكنُ لذلكَ جأشُه، وتقرُّ نفسُه.

٥٨٤٣ ـ (٧) وعن جابرٍ، أنَّه سمِعَ رسولَ الله ﷺ يُحدِّثُ عن فترةِ الوحيِ، قال: «فبينا أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماءِ، فرفعتُ بصري، فإذا الملَكُ الذي جاءني بحراءٍ قاعدٌ على كرسيّ بينَ السماءِ والأرضِ، فجُئِثْتُ منه رُعباً

٥٨٤٢ ـ (وزاد البخاري) أي على رواية مسلم قوله: (حتى حزن النبي ﷺ) بكسر الزاي من الحزن، والحزن خلاف السرور. يقال: حزن الرجل فهو حزن وحزين وأحزنه غيره وحزنه أيضاً، لكن بفتح الزاي في المتعدي. (فيما بلغنا) أي من الأحاديث الدالة على حزنه وهو معترض بين الفعل ومصدره المنصوب على أنه مفعول مطلق[1]، أعني: (حزناً) بضم فسكون ويجوز فتحهما، أي حزناً عظيماً من صفته أنه. (غدا) أي ذهب في الغدوة (منه) أي من أجل الحزن أو من جهة فتور الوحي. وقيل: معنى غدا جاوز فعلى هذا يكون بعين مهملة ذكره زين العرب. وقال العسقلاني: غدا بعين مهملة وهو الذهاب بسرعة ومنهم من أعجمها من الذهاب غدوة. اهـ. واقتصر شارح على العين المهملة فقال: أي مشى من العدو. (مراراً) أي مرة بعد أخرى (كي يتردى) أي يسقط (من رؤوس شواهق الجبل)[2] أي عواليه. وقيل: هو جمع شاهق وهو الجبل[3] المرتفع. (فكلما أوفى) [أي] وصل ولحق (بذروة جبل) بكسر الذال ويجوز تثليثه أي بأعلاه. (لكي يلقي نفسه منه تبدى) أي تبين وظهر (له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً) مصدر مؤكد للجملة السابقة، وهي قوله: إنك لرسول الله. نصب بمضمر، أي أحق هذا الكلام حقاً. (فيسكن) أي يطمئن (لذلك جأشه) أو فيزول لذلك اضطراب قلبه وقلقه وروعه وفزعه. (وتقر) بكسر القاف وتشديد الراء تسكن (نفسه.) أي من اضطرابها.

٥٨٤٣ ـ (وعن جابر أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي) أي انقطاعه أياماً ثم حصوله متتابعاً (قال: فبينا) وفي نسخة فبينما. (أنا أمشي) أي في أرض مكة بناء على إطلاقه أو فوق جبل حراء كما يدل عليه قوله الآتي (حتى هويت. سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض. فجئثت) بضم جيم وكسر همز وسكون مثلثة أي فزعت وخفت (منه) أي من الملك (رعباً) بضم فسكون وبضمتين إما

الحديث رقم ٥٨٤٢: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٢٣. حديث رقم ٣. وأحمد في المسند ٦/ ٢٣٣.

(١) في المخطوطة «مطلقاً». (٢) في المخطوطة «الجبال».

(٣) في المخطوطة «الجمع».

الحديث رقم ٥٨٤٣: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٢٧. الحديث رقم ٤. ومسلم في صحيحه ١/ ١٤٣ حديث رقم (٢٥٥/ ١٦١). وأخرجه الترمذي في المسند ٥/ ٣٩٩. حديث رقم ٣٣٢٥. وأحمد في المسند ٣/ ٣٢٥.

حتى هويتُ إلى الأرض، فجئتُ أهلي، فقلتُ: زمّلوني زملوني، فزملوني، فأنزل اللهُ تعالى: ﴿يا أيها المدَّثرُ قُمْ فأنذِرْ وربك فكبِّر وثيابكَ فطَهِرْ والرُّجزَ فاهجُرْ﴾، ثمّ حميَ الوحيُ وتتابعَ». متفق عليه.

٥٨٤٤ ـ (٨) وعن عائشة، أنَّ الحارثَ بنَ هشامٍ سألَ رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله! كيفَ يأتيكَ الوحيُ؟

حال، أي ممتلئاً رعباً، أو مرعوباً كل الرعب. والرعب يتعدى ولا يتعدى، أو مفعول مطلق، أو مفعول لأجله. فإن الفزع انقباض ونفار يعتري[1] الإنسان من الشيء المخيف، وهو قريب من الجزع. والرعب الانقطاع من امتلاء الخوف كذا حققه التوربشتي وغيره من أتباعه. والأظهر عندي أنه تمييز مؤكد ونظيره: ذرعها سبعون ذراعاً. (حتى هويت) بفتح الواو أي سقطت ونزلت (إلى الأرض فجئت أهلي) أي أهل بيتي (فقلت: زملوني زملوني) أي دثروني وثقلوني من الزاملة، وهو ثقل المتاع، والتكرير للتأكيد أو للتكثير. (فزملوني فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها المدثر﴾) بتشديد الدال والثاء، أي المتدثر بمعنى المتزمل المتثقل، ولهذا قيل: معناه يا أيها المتلبس بأعباء النبوّة والمتحمل بأثقال الرسالة. (﴿قم﴾) أي بأمرنا أو دم على القيام بالطاعة مطلقاً، أو على قيام الليل المستفاد من قوله تعالى: ﴿يا أيها المزمل قم الليل﴾ [المزمل ـ ١ ـ ٢]. ولذا قيل إنه أمر بالقيام للنبوّة وهذا أمر بالقيام للرسالة، كما يشير إليه قوله: (﴿فأنذر﴾) أي فأعلم الناس بالتخويف عن العذاب وبشر المؤمنين بأنواع الثواب، فهو من باب الاكتفاء أو الاقتصار على الإنذار بناء على غلبة الكفار وعموم الفجار. (﴿وربك فكبر﴾) أي فخص ربك بوصف الكبرياء والعظمة (﴿وثيابك فطهر﴾) أي من النجاسات، ويؤخذ منه طهارة الباطن عن القاذورات بالأولى. وقيل: معناه قصر ثيابك على ذكر المسبب وإرادة السبب مع ما فيه من الدلالة على التواضع الملائم للعبودية المناسب لما قبله من ظهور كبرياء الربوبية. (﴿والرجز﴾) بكسر الراء وضمها أي الشرك والعصيان. (﴿فاهجر﴾)[2] أي فاتركه. الظاهر أن هذا اقتصار من الراوي، وتمامه: ﴿ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر﴾ [المزمل ـ ٦ و٧]. (ثم حمي الوحي) بكسر الميم أي اشتد حره (وتتابع) أي نزوله (متفق عليه).

٥٨٤٤ ـ (وعن عائشة: أن الحارث بن هشام) هو مخزومي أخو أبي جهل، شقيقه أسلم يوم الفتح وكان من فضلاء الصحابة واستشهد في فتوح الشام. قال العيني: وأعطاه رسول الله ﷺ مائة من الإبل (سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي) ظاهره أن الحديث من مسند عائشة وعليه اعتمد أصحاب الأطراف، فكأنها حضرت القصة. ويحتمل أن

---

(١) في المخطوطة «يعترين». (٢) المدثر ـ الآيات ١ و٢ و٣ و٤ و٥.

الحديث رقم ٥٨٤٤: أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم ٢. ومسلم في صحيحه ١٨١٦/٤ حديث رقم (٨٧ ـ ٢٣٣٣). والترمذي في السنن ٥/ ٥٥٧ حديث رقم ٣٦٣٤. والنسائي ٢/ ١٤٦ حديث رقم ٩٣٣. وأحمد في المسند ٦/ ١٥٨.

فقال رسولُ الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلةِ الجرسِ، وهوَ أشدُّه عَلَيّ، فيفصِمُ عني وقدْ وعيتُ عنه ما قال، وأحياناً يتمثَّلُ لِي المَلَكُ رجلاً فيكلمُني، فأعي ما يقولُ».

يكون الحارث أخبرها بذلك بعد، فيكون مرسل صحابي وحكمه الوصل اتفاقاً. ويؤيده أن في مسند أحمد وغيره من طريق عامر بن صالح الزهري عن هشام عن أبيه عن عائشة عن الحارث ابن هشام قال: سألت. وعامر فيه ضعف لكن له متابع عند ابن منده. (فقال رسول الله ﷺ: أحياناً) أي [في] بعض الأحيان والأزمان. قيل: وهو وقت إتيان الوعيد. (يأتيني) أي الوحي (مثل صلصلة الجرس) أي إتياناً مثل صوته. قال الطيبي: يجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً والأحسن أن يكون حالاً، أي يأتيني الوحي مشابهاً صوته[1] لصوت الجرس. والصلصلة صوت الحديد إذا حرك. (وهو) أي هذا النوع من الوحي (أشده) أصعبه (علي) وأتعبه إلي. قال العسقلاني: لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود على ما سيأتي. ولعل في قوله تعالى: ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ [المزمل ـ ٥]. إشارة إلى ذلك، قال الخطابي: يريد والله أعلم أنه صوت متدارك يسمعه ولا يثبته عند أول ما يقرع سمعه حتى يتفهم ويتثبت فيتلقفه حينئذٍ ويعيه. ولذا قال: وهو أشده علي. (فيفصم [عني])[2] بفتح الياء وكسر الصاد، أي ينقطع عني. وفي نسخة بضم الياء وكسر الصاد من أفصم الحمى والمطر، أي أقلع على ما في القاموس. وفي نسخة أخرى بصيغة المجهول أي يقلع عني كرب الوحي. قال العسقلاني[3]: قوله: فيفصم، أي الوحي أو الملك، فكأنه جوّز تقدير المضاف في الوحي السابق. أي كيف يأتيك صاحب الوحي وهو الملك. ثم قال: وهو بفتح المثناة التحتية وسكون الفاء وكسر الصاد المهملة كذا لأبي الوقت من فصم يفصم من باب ضرب يضرب. والمراد قطع الشدة، أي يقلع وينجلي ما يغشاني من الكرب والشدة. ويروى يُفصم بضم الياء وكسر الصاد من الفصم المطر إذا أقلع رباعي. قال في المفاتيح: وهي لغة قليلة. وفي رواية أخرى فيفصم بضم أوله وفتح ثالثه مبني للمفعول والفاء عاطفة والفصم القطع من غير بينونة. فكأنه قال: إن الملك يفارقني ليعود حالي. (وقد وعيت عنه ما قال) جملة حالية وهو بفتح العين، أي حفظت الذي ذكره، فما موصولة والعائد محذوف ثم الوعي هنا قبل الإفصام وفيما بعد حال الكلام. فلذلك ورد أولاً ماضياً وثانياً حالاً حيث قال: (وأحياناً يتمثل) أي يتصور ويتشكل (لي الملك رجلاً) أي مثل رجل (فيكلمني فأعي ما يقول) قال التوربشتي: هذا حديث يغالط فيه أبناء الضلالة ويتخذونه ذريعة إلى تضليل العامة وتشكيكهم وهو حق أبلج ونور يتوقد من شجرة مباركة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، لا يغلط فيه إلا من أعمى الله عيني قلبه. وجملة القول في هذا الباب أن نقول: كان النبي ﷺ معنياً بالبلاغ مهيمناً على الكتاب[4] مكاشفاً بالعلوم الغيبية مخصوصاً بالمسامرات القلبية وكان يتوفر على

---

(١) كرر في المخطوطة كلمة «صوته» مرتين. (٢) في المخطوطة «مني».

(٣) في المخطوطة «القسطلاني».

(٤) هذه العبارة وردت في المخطوطة بهذا اللفظ: «معنياً بالبلغ مهيناً على الكتاب».

قالت عائشةُ: ولقدْ رأيتُه ينزلُ عليهِ الوحيُ في اليومِ الشَّديدِ البردِ، فيفصمُ عنه وإنَّ جبينَه ليتفصَّدُ عرَقاً. متفق عليه.

الأمة حصتهم بقدر الاستعداد، فإن أراد أن ينبئهم بما لا عهد لهم به من تلك العلوم صاغ لها أمثلة من عالم الشهادة ليعرفوا مما شاهدوه [ما لم يشاهدوه]. فلما سأل الصحابي عن كيفية الوحي وكان ذلك من المسائل الغويصة والعلوم الغريبة التي لا يكشف نقاب التعري عن وجهها لكل طالب ومتطلب وعالم ومتعلم، ضرب لها في الشاهد مثلاً بالصوت المتدارك الذي يسمع ولا يفهم منه شيء، تنبيهاً[1] على أن إنباءها يرد على القلب في لبسة الجلال وأبهة الكبرياء، فتأخذ هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلب ويلاقي في ثقل القول ما لا علم له بالقول مع وجود ذلك. فإذا سري عنه وجد القول المنزل هنا ملقى في الروع واقعاً موقع المسموع. وهذا معنى قوله: فيفصم عني وقد وعيت. ومعنى: يفصم يقلع عني كرب الوحي، شبهه بالحمى إذا فصمت عن المحموم. ويقال: أفصم المطر أي أقلع. وهذا الضرب من الوحي شبيه بما يوحى إلى الملائكة على ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: إذا قضى الله في السماء أمراً ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً [لقوله] كأنها سلسلة على صفوان؛ فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير[2]. هذا وقد سبق لنا من حديث عائشة أن الوحي كان يأتيه على صفتين. أولاهما أشد من من الأخرى، وذلك لأنه كان يرد فيها من الطباع البشرية إلى الأوضاع الملكية فيوحي إليه كما يوحى إلى الملائكة على ما ذكر في حديث أبي هريرة وهو حديث حسن صحيح. والأخرى يرد فيها الملك إلى شكل البشر وشاكلته فكانت هذه أيسر. وقال الطيبي: لا يبعد أن يكون هناك صوت على الحقيقة متضمن للمعاني مدهش للنفس لعدم مناسبتها إياه ولكن القلب للمناسبة يشرب معناه فإذا سكن الصوت أفاق النفس فحينئذ يتلقى النفس من القلب ما ألقي إليه فيعي على أن العلم بكيفية ذلك من الأسرار التي لا يدركها العقل. في شرح مسلم قال القاضي عياض: إن ما جاء مثل ذلك مجرى على ظاهره، وكيفية ذلك وصورته مما لا يعلمه إلا الله سبحانه. ومن أطلعه الله على شيء من ذلك من ملائكته ورسله وما يتأوّل هذا ويحيله عن ظاهره إلا ضعيف النظر والإيمان إذ جاءت به الشريعة ودلائل العقول لا تحيله. **(قالت عائشة:)** قال الكرماني: يحتمل أن يكون داخلاً تحت الإسناد المذكور سيما إذا جوزنا العطف بحذف حرف العطف وأن يكون غير داخل تحته، بل كان ثابتاً بإسناد آخر ذكره على سبيل التعليق تأييداً لأمر الشدة وتأكيداً له. قال العسقلاني: هو بالإسناد الذي قبله وإن كان بغير عطف **(ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن)** بكسر الهمز والواو للحال أي فيفصل الوحي عنه والحال إن **(جبينه)** أي مقدم وجهه **(ليتفصد)** أي ليتصبب **(عرقاً)** تمييز محول عن الفاعل. والمعنى ليسيل عرقه مثل سيلان الدم من العرق المفصود. **(متفق عليه)** ورواه الترمذي.

---

(١) في المخطوطة «بينها».

(٢) البخاري في صحيحه ٨/ ٣٨٠ حديث رقم ٤٧٠١.

٥٨٤٥ ـ (٩) وعن عُبادةَ بنِ الصَّامتِ، قال: كانَ النبيُّ ﷺ إذا أُنزِلَ عليهِ الوحيُ كُرِبَ لذلكَ وتربَّدَ وجهُه. وفي رواية: نَكَّسَ رأسَه، ونكَّسَ أصحابُه رؤوسَهم، فلمَّا أُتْليَ عنه رفعَ رأسَه. رواه مسلم.

٥٨٤٥ ـ **(وعن عبادة بن الصامت قال: كان النبي ﷺ إذا نزل)** مجهول من الإنزال **(عليه الوحي)** أي حين أول[1] إنزاله عليه **(كرب)** بصيغة المجهول أي أصابه الكرب وحزن **(لذلك)** أي لشدة نزوله وصعوبة حصوله. قال شارح: الكرب والكربة الغم الذي يأخذه بالنفس. يقال: كربه الغم إذا اشتد عليه والمستكن في كرب إما للنبي ﷺ. والمعنى أنه كان لشدة اهتمامه بالوحي كمن أخذه غم، أي لسبب مبناه أو معناه. ولذا قيل له: ﴿**لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه**﴾ [القيامة ـ ١٦] الآية. قال: أو لخوف[2]، ما عسى يتضمنه الوحي من التشديد والوعيد لذلك، أو المستكن الوحي بمعنى اشتد. فإن الأصل في الكرب الشدة. قلت: حينئذ لا يلائمه قوله لذلك. قال التوربشتي: يحتمل أنه كان يهتم بأمر الوحي أشد الاهتمام ويهاب مما يطالب به من حقوق العبودية والقيام بشكر المنعم ويخشى على عصاة الأمة أن ينالهم من الله خزي ونكال، فيأخذه الغم الذي يأخذ بالنفس حتى يعلم ما يوحى إليه. ويحتمل أن المراد منه كرب الوحي وشدته، فإن الأصل في الكرب الشدة وإنما قال الصحابي كرب لما وجد من شبه حاله بحال المكروب وقوله: **(وتربد وجهه)** أي تغير وأكثر ما يقال ذلك في التغير من الغضب. وتربد الرجل أي تعبس. **(وفي رواية: نكس رأسه)** أي أطرقه كالمتفكر **(ونكس أصحابه رؤوسهم)** أي اتباعاً له وتأدباً معه **(فلما أتلي عنه)**[3] بضم همزة فسكون فوقية وكسر لام ففتح تحتية، أي سري عنه وكشف كأنه ضمن الإتلاء وهو الإحالة معنى الكشف بقرينة عن وهذا هو المشهور في الأصول، ولم يوجد في نسخ المشكاة غيره. والمعنى: فلما ارتفع الوحي على الرواية الأولى، أو الكرب على الرواية الأخرى **(رفع رأسه)** أي وتبعه أصحابه. وقال النوري: أتلي بهمز[ة] وتاء مثناة فوق ساكنة فلام فياء هكذا هو في معظم نسخ بلادنا. ومعناه ارتفع عنه الوحي، هكذا فسره صاحب [التحرير] وغيره. وفي بعض النسخ أجلي بالجيم، وفي رواية ابن ماهان[4] انجلى بالجيم ومعناها أزيل عنه وزال عنه. وقال الطيبي: ضمن أتلي معنى أقلع فعدي بعن[5] وينصره رواية شرح السنة: فلما أقلع عنه. وقال التوربشتي: قوله: فلما أتلي عليه، كذا هو في المصابيح. وأرى صوابه: فلما تلي عليه من التلاوة، وإن كان أتلي عليه محققاً فمعناه أحيل. يقال: أتليته أحيلته أي أحيل عليه البلاغ. وذلك أن الملك إذا قضى إليه ما نزل به فقد أحال عليه البلاغ **(رواه مسلم)**.

الحديث رقم ٥٨٤٥: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٧ حديث رقم (٨٨. ٢٣٣٤).

(١) في المخطوطة «أنزل».
(٢) في المخطوطة «الخوف».
(٣) في المخطوطة «عليه».
(٤) في المخطوطة «ماهان».
(٥) في المخطوطة «عين».

٥٨٤٦ ـ (١٠) وعن ابنِ عبّاسٍ، قال: لما نزلتْ ﴿وأَنذِرْ عشيرَتَكَ الأقرَبينَ﴾ خرجَ النبيُّ ﷺ حتى صعِدَ الصَّفا، فجعلَ يُنادي: «يا بني فِهرٍ! يا بني عديّ!» لِبطونِ قريشٍ حتى اجتمعوا، فجعلَ الرجلُ إذا لم يستطعْ أن يخرجَ أرسلَ رسولاً لينظرَ ما هوَ، فجاءَ أبو لهبٍ وقريشٌ فقالَ: «أرأيتُم إنْ أخبرتُكم أنَّ خيلاً تخرجُ منْ سَفْحِ هذا الجبلِ ـ وفي روايةٍ: أنَّ خيلاً تخرجُ بالوادي تريدُ أن تُغيرَ عليكم ـ أكنتُم مُصدِّقيَّ؟» قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليكَ إلا صِدقاً. قالَ: «فإنِّي نذيرٌ لكم بينَ يدَيْ عذابٍ شديدٍ». قال أبو لهبٍ: تبّاً لكَ، ألِهذا جمعتَنا؟! فنزلتْ: ﴿تبَّتْ يدا أبي لهبٍ وتَبَّ﴾. متفق عليه.

٥٨٤٦ ـ (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿وأنذر عشيرتك﴾) أي قومك (﴿الأقربين﴾[1]. خرج النبي) وفي نسخة: رسول الله. (ﷺ حتى صعد) بكسر العين أي طلع (الصفا فجعل ينادي) أي يقول بأعلى صوت (يا بني فهر) بكسر فسكون (يا بني عدي) أي وأمثال ذلك (لبطون قريش) وتقدم تحقيقه وتفصيله (حتى اجتمعوا) أي حضر جمع من كل قبيلة (فجعل الرجل) أي من مشايخهم وأكابرهم (إذا لم يستطع أن يخرج) أي لعذر به (أرسل رسولاً لينظر ما هو) أي من الخبر (فجاء أبو لهب وقريش) أي عامتهم (فقال:) أي النبي ﷺ (أرأيتم) أي أخبروني وصدقوني (إن أخبرتكم أن خيلاً) يعني فرساناً (تخرج) أي تظهر (من سفح هذا الجبل) أي ناحيته أو سفحه. ففي القاموس: أن السفح الجانب، ومن الخيل مضطجعة. والسفح عرض الجبل المضطجع، أو أصله أو أسفله. (وفي رواية: أن خيلاً تخرج بالوادي) اللام فيه للعهد الذهني. ولعل المراد به الوادي المشهور بوادي فاطمة في طريق مكة إلى المدينة. (تريد) أي الخيل والمراد أصحابها وركابها (أن تغير عليكم) أي تأتيكم بغتة للإغارة عليكم ليلاً أو صباحاً (أكنتم مصدقي. قالوا: نعم) أي نصدقك لأنك محمد الأمين (ما جربنا عليك إلا صدقاً) قال الطيبي: ضمن جرب معنى ألقى، أي ما ألقينا عليك شيئاً من الأخبار مجربين إياك إلا وجدناك فيه صادقاً (قال: فإني نذير لكم) أي منذر ومخوف (بين يدي عذاب شديد) أي قدامه وهو إما في الدنيا أو في الآخرة[2] (قال أبو لهب: تباً) بتشديد الموحدة، أي خسراناً وهلاكاً (لك ألهذا) أي لهذا الأمر الذي ذكرته (جمعتنا. فنزلت: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾) بفتح الهاء ويسكن أي خسر وهلك هو واليد مقحمة، أو عبارة عن نفسه لأن أكثر مزاولتها ومعالجتها بهما. ونحوه قوله تعالى: ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾ [الحج ـ ١٠]. فقوله: (﴿وتب﴾)[3] تأكيداً، والأول في الدنيا والثاني في الآخرة. فالمعنى: خسر الدنيا والآخرة، أو الأول دعاء والثاني إخبار. (متفق عليه).

الحديث رقم ٥٨٤٦: أخرجه البخاري ٨/ ٥٠١. حديث رقم ٤٧٧٠. ومسلم في صحيحه ١/ ١٩٣ حديث رقم (٣٥٥ . ٢٠٨) والترمذي في السنن ٥/ ٤٢٠ حديث رقم ٣٣٦٣. والدارمي في السنن ٢/ ٣٩٥ حديث رقم ٢٧٣٢. وأحمد في المسند ١/ ٣٠٧.

(١) سورة الشعراء. آية رقم ٢١٤. (٢) في المخطوطة «الأخرى».

(٣) المسد. آية رقم ١.

٥٨٤٧ ـ (١١) وعن عبدِ اللّهِ بنِ مسعود، قال: بينما رسول الله ﷺ يصلّي عند الكعبة وجمعُ قريشٍ في مجالسهم، إذ قال قائل: أيُّكم يقومُ إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسَلاها ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم، فلما سجد وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجداً، فضحكوا حتى مالَ بعضُهم على بعضٍ من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة، فأقبلتْ تسعى، وثبت النبي ﷺ ساجداً حتى ألقته عنه، وأقبلتْ عليهم تسُبُّهم، فلمّا

٥٨٤٧ ـ (وعن عبد الله بن مسعود قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة) أي قريباً منها (وجمع قريش في مجالسهم) أي حال كون جمع من قريش في مجامعهم (حول الكعبة إذ قال قائل:) أي أبو جهل أو غيره (أيكم يقوم) أي يتوجه (إلى جزور آل فلان) أي بعيرهم (فيعمد) بكسر الميم أي فيقصد القائم (إلى فرثها) وهو السرجين ما دام في الكرش على ما في الصحاح، والضمير إلى الجزور. فإنه وإن [كان] يطلق[1] على الذكر والأنثى إلا أن اللفظة مؤنثة[2]. يقال: هذه الجزور، وإن أردت ذكراً. كذا في النهاية. (ودمها وسلاها) بفتح السين وتخفيف اللام وهو الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه. وقيل: هو في الماشية السلاء وفي الناس المشيمة. والأوّل أشبه لأن المشيمة تخرج بعد الولد ولا يكون الولد فيها حين يخرج، كذا في النهاية. (فانبعث) أي فقام وذهب إلى ما ذكر (أشقاهم) أي أشقى كفار قريش وهو أبو جهل. وقيل: عقبة بن أبي معيط، كذا ذكره شارح. وقال النووي: هو عقبة بن أبي معيط كما صرح به في الرواية الأخرى. (فلما سجد) أي النبي ﷺ (وضعه) أي ما ذكر، والمعنى طرحه أحدهما. ولعله بهذا يحصل الجمع بين القولين [السابقتين] (بين كتفيه. وثبت النبي ﷺ ساجداً) أي حال كونه مستمراً على سجوده ومستقراً على شهوده راضياً بقضائه مسلماً لأمره وحسن بلائه. فهو في غاية [من] السرور ونهاية من الحضور الحاصل من قرب الرب، وهم لبعدهم عن الحق المطلق وتعلقهم بالخلق غفلوا عن ذلك وأهلكوا هنالك (فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض) أي واقعين وساقطين فوق بعضهم (من الضحك) أي من كثرته الناشئة عن إعجابهم بفعلهم وتعجبهم من فعله ﷺ (فانطلق منطلق إلى فاطمة) أي وأخبرها بما جرى (فأقبلت تسعى) أي حال كونها تسرع وهي صغيرة. فإنها ولدت وعمره ﷺ إحدى وأربعون سنة، على ما في المواهب. (وثبت النبي ﷺ ساجداً) هو تأكيد لما قبله وتمهيد لما بعده. وهو قوله: (حتى ألقته) أي طرحته عنه فاطمة وأبعدته منه (وأقبلت) أي توجهت عليهم (تسبهم) أي تشتمهم وتلعنهم وهم ساكتون عنها لصغرها. ولعل هذا هو السبب في أن غيرها ما أقدم على هذا الفعل لما كان عسى أن تثور الفتنة المؤدية إلى القتال بين القبائل. (فلما

الحديث رقم ٥٨٤٧: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣٤٩. حديث رقم ٢٤٠. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤١٨ حديث رقم (١٠٧ ـ ١٧٩٤).

(١) في المخطوطة «أطلق».
(٢) في المخطوطة اللفظ مؤنث.

قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: «اللهم عليك بقريش». ثلاثاً ـ وكان إذا دعا، دعا ثلاثاً، وإذا سأل، سأل ثلاثاً ـ: «اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعُمارة بن الوليد». قال عبد الله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر،

قضى رسول الله ﷺ الصلاة) أي أداها وفرغ منها **(قال: اللهم عليك بقريش)** الباء زائدة وعليك اسم فعل. فالمعنى: خذهم أخذاً شديداً أخذ عزيز مقتدر. **(ثلاثاً)** أي كرره ثلاثاً **(وكان)** أي من عادته أنه **(إذا دعا)** أي الله **(دعا ثلاثاً وإذا سأل)** أي طلب من الله **(سأل ثلاثاً)** فقيل: هذا تأكيد لدعا. والأظهر أنه تخصيص له، هذا وفي شرح مسلم للنووي. فإن قيل: كيف استمر في الصلاة مع وجود النجاسة على ظهره. أجاب القاضي عياض بأن ليس هذا بنجس لأن الفرث ورطوبة البدن طاهران وإنما النجس الدم وهو مذهب مالك ومن وافقه من أن روث ما يؤكل لحمه طاهر. ومذهبنا ومذهب أبي حنيفة أنه نجس، وهذا الذي قاله القاضي ضعيف لأن هذا السلا يتضمن النجاسة من حيث إنه لا ينفك عن الدم في الغالب ولأنه ذبيحة عباد الأوثان. قلت: يعني على تقدير أن تكون مذبوحة وإلا فميتة نجسة اتفاقاً، وكأن النووي غفل عن التصريح في الحديث بذكر الدم حتى تعلق بأن السلا لا ينفك عن الدم غالباً، ثم قال: والجواب المرضي أنه ﷺ لم يعلم ما وضع على ظهره فاستمر في سجوده استصحاباً للطهارة. قلت: ورد بأنه لو كان كذلك لأخبره جبريل فإن الصلاة مع النجاسة لا تصح ولا بد من البيان في مثل ذلك. فالجواب الصواب ما في شرح السنة قيل: كان هذا الصنيع منهم قبل تحريم الأشياء من الفرث والدم وذبيحة أهل الشرك، فلم تكن تبطل الصلاة بها كالخمر كانت تصيب ثيابهم قبل تحريمها. قال الطيبي: ولعل ثباته على ذلك كان مزيداً للشكوى وإظهاراً لما صنع أعداء الله برسول الله ﷺ ليأخذهم أخذاً وبيلاً، ولذا كرر الدعاء ثلاثاً. **(اللهم عليك بعمرو بن هشام)** أي خصوصاً وهو ابن المغيرة المخزومي الجاهلي المعروف، كان يكنى أبا الحكم فكناه النبي ﷺ أبا جهل فغلبت عليه هذه الكنية. قتله ابنا عفراء وقطع رأسه ابن مسعود في بدر. **(وعتبة بن ربيعة)** جاهلي قتله حمزة بن عبد المطلب يوم بدر مشركاً **(وشيبة بن ربيعة)** أي ابن عبد شمس بن عبد مناف جاهلي قتله علي بن أبي طالب يوم بدر مشركاً. **(والوليد ابن عتبة)** أي ابن ربيعة جاهلي قتل ببدر مشركاً. **(وأمية)** بضم الهمز وفتح ميم وتشديد تحتية **(ابن خلف)** بفتحتين قتل يوم بدر مشركاً. وأما أخوه أبي بن خلف فإنه قتل يوم أحد مشركاً قتله النبي ﷺ بيده، ذكره المؤلف في أسمائه. **(وعقبة)** بضم فسكون **(ابن أبي معيط)** بالتصغير **(وعمارة)** بضم فتخفيف **(ابن الوليد. قال عبد الله: فوالله لقد رأيتهم)** أي أبصرت المذكورين **(صرعى)** أي هلكى، وهو حال من المفعول أي مصروعين. **(مطروحين يوم بدر ثم سحبوا)** بصيغة المجهول أي جروا **(إلى القليب)** وهو البئر قبل أن تطوى **(قليب بدر)** بالجر على البدلية ويجوز رفعه ونصبه. ثم بدر اسم موضع معروف. وقيل: هو اسم رجل كان صاحب ذلك الموضع. قال العسقلاني: قد استشكل عد عمارة في المذكورين فإنه لم يقتل ببدر، بل ذكر أصحاب المغازي أنه مات بأرض الحبشة. والجواب أن كلام ابن مسعود محمول على الأكثر ويدل عليه عقبة بن

ثم قال رسول الله ﷺ: «وأتبعَ أصحاب القليب لعنةً». متفق عليه.

٥٨٤٨ ـ (١٢) وعن عائشة، أنها قالت: يا رسول الله؟ هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومِ أُحد؟ فقال: «لقد لقيتُ من قومكِ، فكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبةِ، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد يا ليل بن كُلال،

أبي معيط إنما قتل صبراً بعد أن رجعوا عن بدر وأمية بن خلف لم يطرح في القليب كما هو، بل مقطعاً. (ثم قال رسول الله ﷺ: واتبع) بصيغة المجهول مخففاً (أصحاب القليب لعنة) أي أتبع عذابهم في الدنيا بعذاب الآخرة، مثل قوله تعالى: ﴿وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة﴾ [هود ـ ٦٠]. وفي نسخة بفتح الهمزة وكسر الموحدة ونصب أصحاب على الدعاء عليهم بإيصال اللعنة المتواصلة إليهم. قال العسقلاني: جملة وأتبع الخ، يحتمل أن تكون من تمام الدعاء الماضي فيكون فيه علم عظيم من أعلام النبوّة، ويحتمل أن يكون قاله ﷺ بعد أن ألقوا في القليب (متفق عليه).

٥٨٤٨ ـ (وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله هل أتى عليك يوم) أي هل مر عليك وقت وزمان (كان) أي صعوبته (أشد من يوم أحد. فقال: لقد لقيت من قومك) أي ما هو أشد من يوم أحد، أو لقيت من قومك ما لقيت فحذف المفعول المبهم ليذهب الوهم كل المذهب في الفهم. (وكان أشد ما لقيت منهم) بنصب أشد وفي نسخة برفعه. وأما قوله: (يوم العقبة) فبالنصب لا غير. والمراد بها ما يضاف إليها جمرة العقبة. قال شارح: أشد بالنصب خبر كان، وما لقيت منهم في محل الرفع اسمه، ويوم العقبة ظرف لقيت. والتقدير: وكان ما لقيته منهم يوم العقبة أشد مما لقيته منهم في سائر الأيام. ويجوز أن يكون يوم العقبة اسم كان. وخبره أشد مضافاً إلى ما الموصولة أو الموصوفة، المعبر بها عن الأيام تقديره: وكان يوم العقبة أشد الأيام التي لقيت منهم، أو أشد أيام لقيت منهم. ويجوز أن يكون على العكس. وقيل: ما لقيت منهم يوم العقبة. اسم كان، ويكون أشد خبره بتقدير المضاف إليه، أو بتقدير من. وقال الطيبي: أشد ما لقيت خبر كان واسمه عائد إلى مقدر وهو مفعول قوله: لقد لقيت، ويوم العقبة ظرف. فالمعنى: كان ما لقيت من قومك يوم العقبة أشد ما لقيت منهم. وأراد بالعقبة التي بمنى وكان رسول الله ﷺ يقف عند العقبة في الموسم ويعرض نفسه على قبائل العرب يدعوهم إلى الله تعالى وإلى الإسلام. اهـ. والمعنى أنهم ما أجابوا ذلك فاشتد عليه حينئذ. وهو معنى قوله: (إذا عرضت نفسي) وفي نسخة إذ، وهو الظاهر. قال الطيبي: وضع إذا التي هي للاستقبال موضع إذ يعني الموضوعة للماضي استحضاراً لتلك الحالة العظيمة. والمعنى: حين عرضت نفسي بالأمان والإجارة من التعرض على جري العادة. (على ابن عبد ياليل) بكسر الدال واللام الأولى (ابن كلال) بضم الكاف. قال العسقلاني: اسمه

الحديث رقم ٥٨٤٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣١٢. حديث رقم ٣٢٣١. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤٢٠ حديث رقم (١١١ ـ ١٧٩٥).

فلم يجبني إلى ما أردتُ، فانطلقتُ ـ وأنا مهموم ـ على وجهي، فلم استفق إلا بقرن الثعالب، فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إنّ الله قد سمع قول قومك وما ردُّوا عليك، وقدْ بَعَثَ إليكَ مَلَكَ الجبالِ لتأمرَه بما شئت فيهم». قال: «فناداني ملك الجبال، فسلم عليَّ ثم قال: يا محمّدا إِنَّ اللَّهَ قد سَمِعَ قولَ قومِكَ، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربُّك إليك لتأمرني بأمرك، إن شئتَ أن أُطبِقَ عليهم الأخشبين» فقال رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله

كنيته، والذي في المغازي أن الذي كلّمه هو عبد ياليل نفسه. وعند أهل النسب أن كلال أخوه لا أبوه وأنه عبد ياليل بن عمرو بن عمرو. ويقال اسم ابن عبد ياليل مسعود، وكان ابن عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف. وقيل: إنه قدم مع وفد الطائف سنة عشر فأسلموا. وذكره ابن عبد البر في الصحابة. لكن ذكر الواقدي ما يدل على أنه لم يسلم والله أعلم. **(فلم يجبني إلى ما أردت)** أي ما قصدت وطلبت منه حينئذ من العهد والأمان **(فانطلقت وأنا مهموم)** جملة حالية معترضة بين الفعل ومتعلقه، وهو قوله: **(على وجهي)** أي فذهبت مهموماً على جهتي. قال الطيبي: أي فانطلقت حيراناً هائماً لا أدري أين أتوجه من شدة ذلك الغم وصعوبة ذلك الهم. **(فلم أستفق إلا بقرن الثعالب)** يقال: أفاق واستفاق من مرضه وسكره بمعنى، أي فلم أفق مما كنت فيه من الغم وشدة الهم حتى بلغت قرن الثعالب. والقرن جبل وقرن الثعالب جبل بعينه بين مكة والطائف. **(فرفعت رأسي)** أي إلى السماء لأنها قبلة الدعاء ومهبط الرجاء **(فإذا أنا بسحابة قد أظلتني)** أي بالزيادة على العادة **(فنظرت فإذا فيها)** أي في السحابة **(جبريل فناداني. فقال: إن الله [قد] سمع قول قومك)** أي قولك إياهم **(وما ردوا عليك)** أي من إبائهم ويحتمل أن يكون الثاني تأكيداً للأول وبياناً على أن الإضافة فيه من المصدر إلى فاعله. **(وقد بعث)** أي أرسل الله **(إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال:)** أي النبي ﷺ **(فناداني ملك الجبال)** أي بنحو: يا أيها النبي، أو يا محمد **(فسلم علي)** أي تسليم تعظيم وتكريم **(ثم قال: يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك)** أي بشأنك أو بما تريده **(إن شئت أن أطبق)** بضم الهمز وكسر الموحدة المخففة من أطبق إذا جعل الشيء فوق الشيء محيطاً بجميع جوانبه كما ينطبق الطبق على موضع من الأرض. والمعنى: إذا أردت أن أقلب. **(عليهم الأخشبين)** وهما جبلان يضافان إلى مكة مرة وإلى منى أخرى وهما واحد ذكره شارح. وفي الفائق: الأخشبان الجبلان المطبقان بمكة، وهما أبو قبيس والأحمر وهو جبل مشرف وجهه على قعيقعان، والأخشب كل جبل غليظ. وفي القاموس: قعيقعان كزعيفران جبل بمكة وجهه إلى أبي قبيس **(فقال رسول الله ﷺ: بل)** أي لا أريد ذلك وإن استحقوا لكفرهم[1] بل **(أرجو أن يخرج الله من أصلابهم)** أي من أنساب بعضهم **(من يعبد الله**

---

(١) في المخطوطة «الكفار هم».

وحده، لا يشرك به شيئاً». متفق عليه.

٥٨٤٩ ـ (١٣) وعن أنسٍ، أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يومَ أُحد، وشُجَّ في رأسه، فجعل يسلُتُ الدَّمَ عنه ويقول: «كيف يفلح قومٌ شجُّوا رأس نبيِّهم وكسروا رباعيته؟!». رواه مسلم.

٥٨٥٠ ـ (١٤) وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتدَّ غضبُ اللّهِ على قومٍ فعلوا بنبيّه». يُشير إلى رباعيته «اشتدَّ غضبُ اللّهِ على رجلٍ يقتله رسول الله في سبيل الله».

وحده) أي من يوحده منفرداً أو ليطيعه مخلصاً (لا يشرك به شيئا) أي من شرك جلي أو خفي (متفق عليه).

٥٨٤٩ ـ (وعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته) بفتح الراء وتخفيف التحتية على وزن الثمانية، السن الذي بين الثنية والناب. وكانت الرباعية المكسورة هي السفلى من الجانب الأيمن (يوم أحد وشج) بضم شين وتشديد جيم، أي جرح رأسه فقوله: (في رأسه) إما من باب التجريد أو نوع من التأكيد. قال الطيبي: وهو من قبيل قوله يجرح في عراقيها نصلي بولغ في الشج، حيث أوقع الرأس ظرفاً للشج. يعني فكأنه قال: وأوقع الشج في رأسه تضميناً. (فجعل يسلت) بضم اللام أي يزيل (الدم عنه. ويقول:) أي استعظاماً واستعجاباً (كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم وكسروا رباعيته) عن الزهري: أنه ضرب وجه رسول الله ﷺ يوم أحد بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها، ذكره السيوطي في حاشية البخاري. ولعل وجهه حصول المشاركة له مع السبعين من الشهداء إلا أن الله عصمه لقوله: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة ـ ٦٧] وإنما حصل له بعض الأثر من الشج والكسر لتحقيق الثواب والأجر ولإظهار مقتضى الأوصاف البشرية من العجز والضعف والتأثير المناسبة للعبودية، وموجب نعت الكبرياء والعظمة والاستغناء والقوة والقدرة الملائمة للربوبية. (رواه مسلم) وكذا الترمذي والنسائي وابن ماجه.

٥٨٥٠ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه يشير إلى رباعيته) حال من رسول الله وعامله قال وقع مفسراً لمفعول فعلوا هذا. (اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ في سبيل الله) لعل حذف العاطف بين الفصلين للإشارة إلى أنهما حديثان مستقلان جمع بينهما الراوي. ويؤيده تكرار اشتد غضب الله

الحديث رقم ٥٨٤٩: أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ١٧٣. حديث رقم ٥٧٢٢. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤١٧ حديث رقم (١٠٤ ـ ١٧٩١). وأخرجه الترمذي ٥/ ٢١١ حديث رقم ٣٠٠٣. وابن ماجه في السنن ٢/ ١١٤٧ حديث رقم ٣٤٦٤ وأحمد في المسند ٣/ ٢٨٨.

الحديث رقم ٥٨٥٠: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ٣٧٢. حديث رقم ٤٠٧٣. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٤١٧ حديث رقم (١٠٦ ـ ١٧٩٣). وأحمد في المسند ٢/ ٣١٧.

متفق عليه.

وهذا الباب خالٍ عن: الفصل الثاني

الفصل الثالث

٥٨٥١ ـ (١٥) عن يحيى بن أبي كثير، قال: سألتُ أبا سلمة بنَ عبد الرحمن عن أوّل ما نزل من القرآن؟ قال: ﴿يا أيها المدثر﴾ قلت: يقولون: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ فقال أبو سلمة: سألتُ جابراً عن ذلك، وقلت له مثل الذي قلت لي. فقال لي جابر: لا أُحدثك إلا بما

أو للإشعار بأن كل واحد منهما يستحق ما ذكر دفعاً لتوهم الاشتراك ولم يأت بأو كيلا يظن الشك. قال الطيبي: يحتمل أن يراد به الجنس وأن يراد به نفسه وضعاً للظاهر موضع المضمر إشعاراً بأن من يقتله من هو رحمة للعالمين لم يكن إلا أشقى الناس، والذي قتله رسول الله ﷺ هو أبي بن خلف. قال النووي: وقوله في سبيل الله، احتراز عمن يقتله في حد أو قصاص، لأن من يقتله في سبيل الله كان قاصداً له ﷺ (متفق عليه، وهذا الباب خال عن الفصل الثاني) تقدم توجيهه مراراً.

(الفصل الثالث)

٥٨٥١ ـ (عن يحيى بن أبي كثير) قال المؤلف: يكنى أبا النصر اليماني مولى لطيىء أصله بصري صار إلى اليمامة رأى أنس بن مالك وسمع عبد الله بن قتادة وغيره، روى عنه عكرمة والأوزاعي وغيرهما. (قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن) قال المؤلف: روى عن عمه عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي أحد الفقهاء السبعة المشهورين بالفقه في المدينة في قول، ومن مشاهير التابعين وأعلامهم. ويقال إن اسمه كنيته، وهو كثير الحديث سمع ابن عباس وأبا هريرة وابن عمر وغيرهم وروى عنه الزهري ويحيى بن أبي كثير والشعبي وغيرهم (عن أول ما نزل من القرآن قال: ﴿يا أيها المدثر﴾) فيه اشتباه الحال على الراوي فإن نزول ﴿يا أيها المدثر﴾ كان بعد فترة الوحي كما علم مفصلاً في حديث عائشة فأوّليته إضافية كما قدمناه، أو أوّليته مخصوصة بالإنذار فيفيد أنه أوّل الوحي بالرسالة وأن ما قبله كان نسبته النبوّة والله أعلم. (قلت: يقولون) أي الجمهور أو بعض العلماء (﴿اقرأ باسم ربك﴾) أي هو أوّل ما نزل (قال أبو سلمة: سألت جابراً عن ذلك) أي مثل سؤالك (وقلت له مثل الذي قلت لي) أي في جوابه للسؤال مما يعود فيه من الإشكال (فقال لي جابر: لا أحدثك إلا بما) أي

الحديث رقم ٥٨٥١: أخرجه البخاري في صحيحه ٨/٦٧٦. حديث رقم ٤٩٢٢. ومسلم في صحيحه ١/ ١٤٤ حديث رقم (٢٥٧. ١٦١). وأحمد في المسند ٣/٣٠٦.

ما حدّثنا رسولُ

الله ﷺ قال: «جاوَرْتُ بحراءٍ شهراً، فلمّا قضيت جواري هبطتُ، فنوديت فنظرت عن يميني فلم أرَ شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أرَ شيئاً، ونظرت عن خلفي فلم أرَ شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فأتيت خديجة، فقلت: دثّروني، فدثّروني، وصبُّوا عليّ ماءً بارداً، فنزلت: ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر وربّك فكبّر وثيابك فطهر والرجز فاهجر﴾ وذلك قبل أن تفرض الصلاة». متفق عليه.

بمثل (ما حدثنا رسول الله ﷺ) أي به من غير تغييره مما يدل على أنه أوّل ما نزل بتقديره (قال: جاورت بحراء شهراً) فيه إشعار بأن أيام الفترة كانت شهراً (فلما قضيت جواري) بكسر الجيم أي مجاورتي واعتكافي (هبطت) أي نزلت، وفيه ايماء إلى أنه ثاني الحال لأن نزول اقرأ كان في غار حراء كما سبق من المقال (فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ونظرت عن خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فرأيت شيئاً) وقد سبق عن جابر أيضاً أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي. قال: فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء الحديث. فهو صريح بأن مراده الأوّل الإضافي (فأتيت خديجة. فقلت: دثروني فدثروني وصبوا عليّ ماءً بارداً) لعل محل الصب الوجه لدفع الغشيان فلا ينافي ما قبله مما يدل على البرودة الناشئة من الخفقان (فنزلت: ﴿يا أيا المدثر فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر﴾) قال الطيبي: قوله لا أحدثك الخ، إخبار عما سمع واعتقد من أن أوّل ما نزل من القرآن: ﴿يا أيها المدثر﴾ لكن لا يدل على المطلوب لأنه قال في آخره فقلت: دثروني، فنزلت: ﴿يا أيها المدثر﴾. وقد سبق في حديث عائشة أن أوّل ما نزل من القرآن ﴿اقرأ باسم ربك﴾. اهـ. فالجمع بما قدمناه كما لا يخفى ولذا قال بعض المحققين: قول من قال إن أوّل ما نزل يا أيها المدثر ضعيف، والصواب أن أوّل ما نزل على الإطلاق اقرأ باسم ربك كما صرح به في حديث عائشة. وأما يا أيها المدثر فكان نزولها بد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن جابر، ويدل عليه قوله وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال: فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها المدثر﴾. وقال النووي: وقول من قال من المفسرين أن أوّل ما نزل الفاتحة فباطل وفيه بحث لأنه يمكن أن يقال مراده أوّل سورة نزلت بكمالها، وأوّل سورة بالمدينة على القول بأنها مدنية، أو أوّل سورة بعد اقرأ والمدثر. فيكون أوليتها أيضاً اضافية ويؤيده قوله: (وذلك) أي نزول المدثر (قبل أن تفرض الصلاة) أي مطلق الصلاة المتوقف صحتها أو كمالها على قراءة الفاتحة والله أعلم (متفق عليه).

(٥) باب علامات النبوة

الفصل الأول

٥٨٥٢ ـ (١) عن أنس، أنّ رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه، فصرعه، فشقّ عن قلبه، فاستخرج منه عَلَقَةً فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثم غسله في طَسْتٍ من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَهُ وأعاده في مكانه، وجاء

(باب علامات النبوّة)

(الفصل الأوّل)

٥٨٥٢ ـ (عن أنس رضي الله عنه: **أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان**) بكسر الغين أي الصبيان (**فأخذه فصرعه**) أي فطرحه وألقاه على قفاه (**فشق عن قلبه**) أي عن جانب قلبه وشقه (**فاستخرج**) وفي جامع الأصول: واستخرجه فاستخرج (**منه علقة**) بفتحتين أي دماً غليظاً وهو أم المفاسد والمعاصي في القلب. (**فقال: هذا حظ الشيطان منك**) أي نصيبه لو دام معك (**ثم غسله**) أي قلبه أو جوفه أو محل شقه (**في طست**) بفتح الطاء ويكسر وبسين مهملة وتاؤه بدل من السين الأخيرة. قال ابن الملك في شرح المشارق: الطست بفتح الطاء وفيها لغات طس وطس وطست وطست وطسة وطسة بالفتح والكسر في جميعها. وقوله: (**من ذهب**) لعله اختير لما فيه من معنى الذهاب ولا ينافيه حرمة استعماله في الشريعة المطهرة، إما لكون الملائكة غير مكلفين بأفعالنا، أو لوقوعه قبل تقرير الأحكام (**بماء زمزم**) استدل به على أنه أفضل مياه العالم حتى ماء الكوثر. لكن الماء الذي نبع من بين أصابعه ﷺ فلا شك أنه أفضل المياه على الإطلاق لكونه من أثر يده الشريفة، وماء زمزم من أثر قدم إسماعيل المنيفة، وبون بين بينهما ولأن الإعجاز الكائن في يده ﷺ أبلغ. نعم قد يقال ماء فمه المبارك أكمل من الكل ولو مزج بماء غيره. ولعل العارف ابن الفارض أشار إليه بقوله:

عليك بها صرفاً وإن شئت مزجها ✽ فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

(**ثم لأمه**) بلام فهمز أي أصلح موضع شقه (**وأعاده**) أي القلب المخرج على ما يدل عليه رواية الجامع السابقة (**في مكانه**) والواو لمطلق الجمع، فلا ينافيه أن الالتئام بعد الإعادة. قال التوربشتي: يقول: لأمت الجرح والصدع إذا شددته فالتأم، يريد أنه سواه وأصلحه. (**وجاء**

الحديث رقم ٥٨٥٢: أخرجه مسلم في صحيحه ١/١٤٧ حديث رقم (٢٦١ ـ ١٦٢) وأخرجه الترمذي في السنن ٥/٥٥٣ حديث رقم ٣٦٢٤.

الغلمانُ يسعونَ إلى أمه، يعني ظئره، فقالوا: إنَّ محمَّداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقعُ اللون قال أنس: فكنتُ أرى أثر المخيطِ في صدره. رواه مسلم.

٥٨٥٣ ـ (٢) وعن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلّم عليّ قبل أن أُبعث، إني لأعرفه الآن». رواه مسلم.

الغلمان) أي الذين كانوا يلعبون معه في الصحراء (يسعون) أي يسرعون (إلى أمه) أي الرضاعية (يعني) أي يريد أنس بأمه (ظئره) أي مرضعته حليمة (فقالوا: إن محمداً قد قتل) لأن تصوّر حياته بعد شق البطن ومعالجاته من خوارق العادة وعلامة النبوّة. (فاستقبلوه) أي توجه جمع من قومها إليه فرأوه (وهو منتقع اللون) بفتح القاف أي متغيره. ففي القاموس: انتقع لونه مجهولاً إذا تغير. وقال التوربشتي: يقال: انتقع لونه إذا تغير من حزن أو فزع، وكذلك امتقع بالميم. وهذا الحديث وأمثاله مما يجب فيه التسليم ولا يتعرض له بتأويل من طريق المجاز إذ لا ضرورة في ذلك، إذ هو خبر صادق مصدوق عن قدرة القادر. اهـ. وزبدة ما قيل فيه أنه صار بهذا مقدس القلب منوّره ليستعد لقبول الوحي ولا يتطرق إليه هواجس النفس ويقطع طمع الشيطان عن إغفاله، كما يشير إليه قوله: هذا حظ الشيطان منك. (قال أنس: فكنت أرى أثر المخيط) بكسر الميم أي الإبرة (في صدره) ولعل مراده بهذا أن أمر الشق كان حسياً لا معنوياً. واختلف هل كان شق الصدر وغسله مختصاً به أو وقع لغيره من الأنبياء أيضاً. وقد وقع الشق له ﷺ مراراً، فعند[1] حليمة وهو ابن عشر ثم عند مناجاة جبريل عليه السلام له بغار حراء، ثم في المعراج ليلة الإسراء. (رواه مسلم) وكذا التالي.

٥٨٥٣ ـ (وعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ) أي ويقول السلام عليك يا نبي الله، كما ورد في رواية. (قبل أن أبعث) قيل: إنه الحجر الأسود كذا في بعض حواشي الشفاء، ويمكن أن يكون الحجر المتكلم المعروف بزقاق الحجر بين المسجد وبين بيت خديجة رضي الله عنها. (إني لأعرفه الآن) تقرير لقوله: إني لأعرف، واستحضار له كأنه يسمع كلامه الآن. هذا خلاصة كلام الطيبي. ويمكن أن يكون التقدير: إني لأعرفه الآن بالوصف المذكور، فإنه ينبغي وجوده بالأولى من الحالة الأولى، فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «قال رسول الله ﷺ: لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله»[2]. وفيه إيماء إلى أنه مبعوث إلى كافة الخلق كما بينته في شرح كلام شيخنا جمال الدين محمد البكري عند قوله: خليفتك على كافة خليقتك. (رواه مسلم.) وكذا الإمام أحمد في مسنده والترمذي في جامعه.

---

(١) في المخطوطة «عنده».

الحديث رقم ٥٨٥٣: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٨٢ حديث رقم (٢ ـ ٢٢٧٧). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٥٣ حديث رقم ٣٦٢٤. وأخرجه الدارمي ١/ ٢٤ حديث رقم ٢٠.

(٢) وأخرجه الدارمي والترمذي نحوه. الدارمي حديث رقم ٢١. والترمذي حديث رقم ٣٢٢٦.

٥٨٥٤ ـ (٣) وعن أنسٍ، قال: إن أهل مكة سألوا رسولَ الله ﷺ أن يُرِيَهم آيةً، فأراهم القمر شِقَّتين حتى رأَوْا حراءَ بينهما. متفق عليه.

٥٨٥٥ ـ (٤) وعن ابن مسعود، قال: انشقَّ القمر على عهدِ رسولِ الله ﷺ فِرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهَدُوا». متفق عليه.

٥٨٥٤ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: إن أهل مكة)** أي كفارهم **(سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم)** أي يظهر **(لهم آية)** أي علامة دالة على نبوّته ورسالته **(فأراهم القمر شقتين)** بكسر فتشديد أي قطعتين منفصلتين **(حتى رأوا حراء بينهما)** بأن كانت شقة فوق الجبل وشقة دونه كما سيأتي **(متفق عليه)**.

٥٨٥٥ ـ **(وعن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله)** أي في زمانه ﷺ **(فرقتين)** أي قطعتين متفارقتين **(فرقة فوق الجبل)** أي جبل حراء **(وفرقة دونه)** والمراد أنهما تباينتا، فإحداهما إلى جهة العلو والأخرى إلى السفل. **(فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا)** أي على نبوّتي أو معجزتي من الشهادة. وقيل: معناه احضروا وانظروا من الشهود. **(متفق عليه)** قال الزجاج: زعم قوم عدلوا عن القصد وما عليه أهل العلم، أن تأويله أن القمر ينشق يوم القيامة، والأمر بين [في] اللفظ بقوله تعالى: ﴿**وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر**﴾ [القمر ـ ٢]. فكيف يكون هذا يوم القيامة وقوله: سحر مستمر. أي مطرد يدل على أنهم رأوا قبله آيات أخر مترادفة ومعجزات سابقة. وقال الإمام فخر الدين الرازي: إنما ذهب المنكر إلى ما ذهب لأن الانشقاق أمر هائل ولو وقع لعم وجه الأرض ويبلغ مبلغ التواتر. والجواب أن الموافق قد نقله ويبلغ مبلغ التواتر، وأما المخالف فربما ذهل أو حسب نحو الخسوف. والقرآن أولى دليل وأقوى شاهد وإمكانه لا شك فيه أي عقلاً، وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه. وأما امتناع الخرق والالتئام فحديث اللئام. وفي شرح مسلم للنووي قالوا: إنما هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والأبواب مغلقة وهم متغطون بثيابهم وقل من يتفكر في السماء وينظر إليها. وفي شرح السنة: هذا شيء طلبه قوم خاص على ما حكاه أنس فأراهم ذلك ليلاً وأكثر الناس نيام ومستكنون بالأبنية في البراري والصحراء، وقد يتفق أن يكونوا مشاغيل في ذلك الوقت وقد يكسف القمر فلا يشعر به كثير من الناس، أي مع أنه قد يمتد وإنما كان ذلك قدر اللحظة التي هي مدرك البصر. ولو

الحديث رقم ٥٨٥٤: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٦٣١. حديث رقم ٣٦٣٧. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٥٩ حديث رقم (٤٦ ـ ٢٨٠٢). وأخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٥٣ حديث رقم ٣٦٢٤ وأحمد في المسند ٣/ ٢٠٧.

الحديث رقم ٥٨٥٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٦٣١. حديث رقم ٣٦٣٦. ومسلم في صحيحه ٤/ ٢١٥٨ حديث رقم (٤٤ ـ ٢٨٠٠). وأحمد في المسند ١/ ٣٧٧.

٥٨٥٦ ـ (٥) وعن أبي هريرة، قال: قال أبو جهل: هل يُعفر محمّدٌ وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم فقال: واللات والعزّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنّ على رقبته، فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلي ـ زعم ليَطأ على رقبته ـ فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه،

دامت هذه الآية حتى يشترك فيها العامة والخاصة ثم لم يؤمنوا لاستوجبوا الهلاك. فإن من سنة الله تعالى في الأمم قبلنا أن نبيهم كان إذا أتى بآية عامة يدركها الحس فلم يؤمنوا أهلكوا كما قال تعالى في المائدة: ﴿إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾ [المائدة ـ ١١٥]. فلم يظهر الله هذه الآية للعامة لهذه الحكمة والله أعلم. قلت: وفي نفس القضية إشارة إلى ذلك حيث شقة منه فوق الجبل وأخرى دونه، ولا شك أنه يحجب عن بعض الناس ممن يسكن من وراء الجبل، فكيف بسائر أهل الحجاز وبقية [الناس] مع اختلاف المطالع. على أن إراءة المعجزة لقوم على ما اقترحوا كناقة صالح لا يستلزم ظهورها لغيرهم.

٥٨٥٦ ـ (وعن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه) بتشديد الفاء المكسورة من التعفير وهو التمريغ (في التراب) أي هل يصلي ويسجد على التراب (بين أظهركم) فيما بينكم، على أن الأظهر مقحمة للإشارة إلى وقوعه على وجه الظهور أو الاستناد إلى ظهر أحد وحمايته ورعايته. قال الطيبي: يريد به سجوده على التراب، وإنما أوثر التعفير على السجود تعنتاً وعناداً وإذلالاً وتحقيراً. (فقيل: نعم. فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن.) أي لأدوسن (على رقبته. فأتى رسول الله ﷺ) أي فجاءه أبو جهل (وهو يصلي) حال من المفعول والحال من الفاعل قوله: (زعم) بفتح العين أي قصد أبو جهل (ليطأ) أي ليضع (رجله على رقبته) قال ابن الملك: وفي نسخة بفتح اللام على أنه لام تأكيد. قلت: فالفعل مرفوع حينئذ. وفي نسخة زعم بكسر العين. ففي القاموس: زعم كفرح طمع. قال الطيبي: زعم وقع حالاً من الفاعل بعد الحال من المفعول، وزعم بمعنى طمع وأراد. قال في أساس البلاغة: ومن المجاز زعم فلان في غير مزعم طمع في غير مطمع لأن الطامع زاعم ما لم يستيقن. (فما فجئهم) بكسر الجيم ويفتح. ففي القاموس: فجئه كسمع ومنع هجم عليه وأتاه بغتة أي فما أتى قومه فجاءة. (منه) أي من النبي ﷺ أو من إتيانه إليه (إلا وهو) أي والحال أنه أي أبو جهل (ينكص) بكسر الكاف ويضم أي يرجع (على عقبيه) أي قهقرى (ويتقي بيديه) أي يحذر بهما ويدفع شيئاً بسببهما. قال الطيبي: المستثنى فاعل فجيء. أي فما فجيء أصحاب أبي جهل من أمر أبي جهل إلا نكوص عقبيه وقد سد الحال هنا مسد الفاعل وفيه إرخاء عنان الكلام لا للفظ. قيل: كما سدت مسد الخبر في ضربي زيداً قائماً، ففي الكلام ميل إلى المعنى دون اللفظ. ويجوز أن يكون الضمير في فجيء راجعاً إلى أبي جهل وفي منه

الحديث رقم ٥٨٥٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٥٤ حديث رقم (٣٨ ـ ٢٧٩٧).

فقيل له ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نارٍ وهولاً، وأجنحةً. فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عُضواً عُضواً». رواه مسلم.

٥٨٥٧ ـ (٦) وعن عدي بن حاتم، قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذا أتاه رجلٌ فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه الآخر فشكا إليه قَطْعَ السبيل. فقال: «يا عدي! هل رأيت الحيرة؟ فإن طالت بك حياةٌ فلترينَّ الظعينة

إلى الأمر، أي فما فجيء أبو جهل أصحابه كائناً من الأمر على حال من الأحوال، إلا على هذه الحال هذا. وفي القاموس: نكص على عصبيه نكوصاً رجع عما كان عليه من خير خاص بالرجوع عن الخير. ووهم الجوهري في إطلاقه أو في الشر نادر. قلت: الحديث يدل على استعماله في الشر وكذا آية: ﴿فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه﴾ [الأنفال ـ ٤٨]. ثم صنيع القاموس يشعر أنه بضم الكاف في المضارع. لكن اتفق القراء على كسره، حتى لم يوجد في الشواذ أيضاً. نعم قال الزجاج: يجوز ضم الكاف ذكره الكرماني في قوله تعالى: ﴿على أعقابكم تنكصون﴾ [المؤمنون ـ ٦٦]. (فقيل له:) أي لأبي جهل (ما لك) أي ما حصل لك من المنع وما وقع لك من الدفع (فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولا) بفتح فسكون، أي خوفاً وأمراً شديداً. (وأجنحة) جمع جناح الطائر وهو الملائكة الذين يحفظونه. ويؤيده ما ذكره الراوي (فقال رسول الله ﷺ لو دنا مني) أي قرب عندي (لاختطفته الملائكة) أي استلبته بسرعة (عضواً عضواً) والمعنى لأخذ كل ملك عضواً من أعضائه (رواه مسلم).

٥٨٥٧ ـ (وعن عدي بن حاتم قال: بينا أنا عند النبي ﷺ) أي حاضراً وقاعداً (إذ أتاه رجل فشكا) بالألف وفي نسخة بالياء على أنه لغة في الواو كما في القاموس. (إليه الفاقة) أي الفقر وشدة الحاجة (ثم أتاه الآخر) وفي نسخة آخر وهو الأظهر. (فشكا إليه قطع السبيل) أي بسبب قطاع الطريق أو لقلة الزاد وعدم علف الدواب وطمع أهل البادية وتعرضهم للقافلة. (فقال: يا عدي هل رأيت الحيرة) بكسر الحاء وهو البلد القديم بظهر الكوفة ومحلة معروفة بنيسابور على ما في النهاية. والظاهر أن المراد بها الأول لأنه المعروف عند العرب ولذا اقتصر عليه شارح وإن كان الثاني أغرب أو أعذب. قيل: وأجاب عدي: ما رأيتها لكن أنبئت عنها. أقول: ويمكن أن يكون رأيت بمعنى علمت وأن لا يتوقف الكلام على جوابه، حيث قال: (فإن طالت بك حياة فلترين) بفتحات متواليات أي فلتبصرن. (الظعينة) أي المرأة المسافرة، وقيل لها ذلك لأنها تظعن مع الزوج حيثما ظعن، أو لأنها تحمل على الراحلة إذا ظعنت. وقيل: الظعينة المرأة في الهودج. ثم قيل للهودج بلا امرأة وللمرأة بلا هودج. كذا في النهاية. وقال شارح: الظعينة المرأة ما دامت في الهودج، فإذا لم تكن فيه فليست بظعينة. والمراد هنا المرأة سواء كانت في الهودج أو لا. أقول كونها في الهودج أبلغ في المعنى المراد على ما يدل

الحديث رقم ٥٨٥٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٦١٠. حديث رقم ٣٥٩٥. وأحمد في المسند ٤/ ٢٥٧.

ترتحلُ من الحيرة حتى تطوفَ بالكعبة لا تخافُ أحداً إلا الله، ولئن طالت بك حياةٌ لتُفتحنَّ كنوزُ كسرى، ولئن طالت بك حياةٌ لترينَّ الرجلَ يخرج ملء كفه من ذهبٍ أو فضّةٍ يطلب من يقبله فلا يجد أحداً يقبله منه، وليَلقيَنَّ اللّهَ أحدُكم يومَ يَلْقاهُ وليس بينه وبينه تَرجمان يترجم له، فليقولنَّ: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلّغك؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أعطك مالاً وأُفضِل عليك؟ فيقول: بلى؛ فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم،

عليه قوله: (ترتحل من الحيرة) أي وحدها (حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله) روي أنه قال عدي قلت في نفسي فأين رعاة طيء. (ولئن طالت بك حياة لتفتحن) بصيغة المجهول من الفتح وفي نسخة من باب الافتعال. يقال: افتتحت واستفتحت طلبت الفتح، والمعنى لتؤخذن. (كنوز كسرى) أي على وجه الغنيمة. قال عدي: كسرى بن هرمز. قال ﷺ: كسرى ابن هرمز، وفي القاموس: كسرى بالفتح. ملك الفرس معرب خُسْرَوْ أي واسع الملك. (ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه) أي مثلاً (من ذهب أو فضة) أي من نوعي النقدين يعني تارة من هذا ومرة من هذا ويحتمل أن تكون[1] أو بمعنى الواو أو للشك. (يطلب من يقبله) أي واحداً منهما أو ما ذكر (فلا يجد أحداً يقبله منه) أي لعدم الفقراء في ذلك الزمان أو لاستغناء قلوبهم والاكتفاء بما عندهم والقناعة بما في أيديهم. فقيل: إنما يكون ذلك بعد نزول عيسى عليه السلام، ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز مما يصدق الحديث، وبذلك جزم البيهقي. قيل: ولا شك في رجحان هذا الاحتمال لقوله في الحديث: ولئن طالت بك حياة. قلت: لا شك في رجحان الأول لقول عدي الآتي: ولئن طالت بكم حياة لترون. والحاصل أن قضية الشرطية لا تستلزم الوقوع. (وليلقين) عطف على صدر الحديث وقوله: (الله) مفعول مقدم قدم للاهتمام وتعظيم المقام وفاعله (أحدكم) وظرفه قوله: (يوم يلقاه) وهو يحتمل إعرابين كما لا يخفى في الضميرين، وكذا الحال في قوله: (وليس بينه وبينه ترجمان) بفتح أوّله وضم الجيم ويضمان ويفتحان كما في نسختين، أي مترجم يترجم له. يعني بل يكون اللقى والكلام بلا واسطة. قال صاحب المشارق: هو بفتح التاء وضم الجيم وضبطه الأصيلي بضمهما. اهـ. وفي النهاية: الترجمان بالضم والفتح الذي يترجم الكلام، أي ينقله من لغة إلى أخرى والتاء والنون زائدتان. وفي القاموس: الترجمان كعنفوان وزعفران وريهقان المفسر للسان وقد ترجمه، وعنه والفعل يدل على أصالة التاء. وفي المفاتيح: هو على وزن زعفران ويجوز بفتح التاء وضم الجيم وبضمهما والله أعلم. (فليقولن) أي الله سبحانه (ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك) بالنصب مشدداً ويخفف (فيقول: بلى. فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل) بالجزم من الإفضال، أي ألم أحسن إليك ولم أنعم عليك. والاستفهام للتقرير، يعني: أعطيتك المال وأنعمت عليك بالكمال ومكنتك من انفاقه والاستمتاع منه والصرف على أهل استحقاقه. (فيقول: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنّم) لتركه

---

(١) في المخطوطة «يكون».

وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم، اتقوا النار ولو بشقّ تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيّبة» قال عديّ: فرأيت الظّعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هُرمُز، ولئن طالت بكم حياة لترَوُنّ ما قال النبي أبو القاسم ﷺ: «يخرج ملء كفه». رواه البخاري.

٥٨٥٨ ـ (٧) وعن خبّاب بن الأرتّ،

الطاعات (وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم) لارتكابه السيئات. والظاهر أنهما كنايتان عن الإحاطة وأن الخلاص منها ليس إلا بالمرور عليها، كما قال تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم ـ ٧١ و٧٢]. أي بالإيمان والإحسان، ولذا قال: (اتقوا النار ولو بشق تمرة) أي بنصفها أو ببعضها (فمن لم يجد فبكلمة طيبة) أي من الباقيات الصالحات وهي أنواع الأذكار والدعوات أو بكلمة طيبة للسائل بقرينة ما قبله وهو الوعد على قصد الوفاء، أو الدعاء مع حسن الرجاء. وهذا الذي سماه الله تعالى: قولاً معروفاً وقولاً ميسوراً. قال الطيبي: فإن قلت: ما وجه نظم هذا الحديث، قلت: لما اشتكى الرجل الفاقة والخوف وهو العسر المعنى في قوله تعالى: ﴿إن مع العسر يسراً﴾ [الشرح ـ ٦]. وهو ما كانت الصحابة عليه قبل فتح البلاد. أجاب عن المسائل في ضمن بشارة لعدي وغيره من الصحابة باليسر والأمن، ثم بين أن هذا اليسر والغنى الدنيوي عسر في الآخرة وندامة الأمن وفقه الله تعالى بأن سلطه على إنفاقه فيصرفه في مصارف الخير. ونظيره حديث علي رضي الله عنه: «كيف بكم إذا غدا أحدكم في حلة وراح في حلة ووضعت بين يديه صحفة إلى قوله: أنتم اليوم خير منكم يومئذ»[1]. وقد سبق في باب تغير الناس. (قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله) أي كما أخبر به رسول الله ﷺ (وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز) بضم الهاء والميم زاد في المصابيح الذي في الأبيض. قال شارح له: أراد القصر الأبيض الذي كان بالمدائن. يقال له بالفارسية: يغد كوشك. (ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال) أي مؤدي ما قال (النبي) وهو الرجل الذي يخرج ملء كفه الخ فقوله: (أبو القاسم ﷺ) بدل أو عطف بيان للنبي. وقوله: (يخرج ملء كفه) بدل أو بيان لقوله ما قال. والمعنى: يخرج الرجل كما في نسخة فهو نقل بالمعنى مختصر، أو الرجل يخرج على ما سبق في الأصل فهو نقل باللفظ مقتصراً. (رواه البخاري).

٥٨٥٨ ـ (وعن خباب) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الأولى (ابن الأرت) بفتح الهمزة والراء وتشديد الفوقية. قال المؤلف: يكنى أبا عبد الله التميمي وإنما لحقه سبي في الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة وأعتقته، أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم وهو ممن

---

(١) راجع المشكاة ٣/ ٤٧٤ حديث رقم ٥٣٦٦.

الحديث رقم ٥٨٥٨: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٦١٩. حديث رقم ٣٦١٢. وأحمد في المسند ٦/ ٣٩٥.

قال: شكونا إلى النبي ﷺ وهو متوسد بردةً في ظلِّ الكعبة وقد لقينا من المشركين شدّةً، فقلنا: ألا تدعو الله، فقعد وهو مُحْمَرٌّ وجهه وقال: «كانَ الرجلُ فيمن كان قبلكم يُحْفَرُ له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بمنشار، فيوضع فوق رأسه فيشقُّ باثنين، فما يَصُدُّه ذلك عن دينه، ويُمْشَط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعَصَب. وما يصدُّه ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنّكم تستعجلون».

عذب في الله على إسلامه قصير، نزل الكوفة ومات بها روى عنه جماعة. **(قال: شكونا)** أي الكفار **(إلى النبي ﷺ وهو متوسد بردة [في ظل الكعبة]**) أي كساء مخططاً والمعنى جاعل البردة وسادة له، من توسد الشيء جعله تحت رأسه. **(وقد)** وفي نسخة ولقد **(لقينا)** أي رأينا وحصل لنا **(من المشركين)** أي من كفار مكة **(شدة)** أي محنة شديدة **(فقلنا: ألا تدعو الله)** أي لنا على المشركين فإنهم يؤذوننا **(فقعد وهو محمر وجهه)** من أحمر بتشديد الراء إذا اشتدت حرارته. **(وقال: كان الرجل)** اللام للعهد الذهني الذي هو في المعنى نكرة **(فيمن قبلكم يحفر له)** بصيغة المجهول أي يجعل له حفرة **(في الأرض)** قيد واقعي اتفاقاً **(فيجعل فيه فيجاء بمنشار)** بالنون ويروى بالهمزة وإبدالها ياء، وهو آلة يشق بها الخشبة. **(فيوضع فوق رأسه فيشق باثنين)** أي فيقطع نصفين **(فما يصده [ذلك]**) أي فلا يمنعه ذلك العذاب الشديد **(عن دينه ويمشط)** بصيغة المجهول مخففاً والمعنى يشوك **(بأمشاط الحديد)** بفتح الهمزة جمع المشط، وهو ما يتمشط به الشعر. **(ما دون لحمه)** أي ما تحت لحم ذلك الرجل أو غيره وهو الظاهر. **(من عظم وعصب)** بفتحتين قال الطيبي: من بيان لما، وفيه مبالغة بأن الأمشاط لحدتها وقوتها كانت تنفذ من اللحم إلى العظم وما يلتصق به من العصب. **(وما يصده ذلك عن دينه)** جملة حالية **(والله ليتمن)** بفتح الياء وكسر التاء وتشديد الميم، أي ليكملن. **(هذا الأمر)** أي أمر الدين. وفي نسخة بصيغة المجهول، وفي أخرى بضم حرف المضارعة وكسر التاء، على أن الفاعل هو الله. وقوله: هذا الأمر، منصوب على المفعولية وفيه إيماء إلى قوله تعالى: **﴿ليظهره على الدين كله﴾** [التوبة - ٣٣] **﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره﴾** [التوبة - ٣٢]. **(حتى يسير الراكب)** أي رجل أو امرأة وحده **(من صنعاء)** بلد باليمن **(إلى حضرموت)** موضع بأقصى اليمن وهو بفتح الميم غير منصرف للتركيب والعلمية. وقيل: اسم قبيلة، وقيل: موضع حضر فيه صالح عليه السلام فمات فيه، وحضر جرجيس فمات فيه ذكره شارح، وتبعه ابن الملك. وفي القاموس: حضرموت ويضم الميم بلد وقبيلة. ويقال: هذا حضرموت ويضاف، فيقال: حضرموت بضم الراء وإن شئت لا تنوّن الثاني. **(لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه)** وفي نسخة بالواو وهو يحتمل أن يكون بمعنى أو يكون، أو بمعنى الواو للجمع أو للشك. وعلى كل تقدير فلا يخفى ما فيه من المبالغة في حصول الأمن وزوال الخوف، فاندفع ما قيل من أن سياق الحديث إنما هو للأمن من عدوان بعض الناس على بعض كما هو في الجاهلية، لا الأمن من عدوان الذئب فإن ذلك إنما يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى عليه السلام. **(ولكنكم تستعجلون)** أي سيزول عذاب المشركين فاصبروا على أمر الدين كما صبر من سبقكم

رواه البخاري.

٥٨٥٩ ـ (٨) وعن أنسٍ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يدخل على أم حَرَام بنت ملحان، وكانت تحت عُبادةَ بنِ الصامتِ، فدخل عليها يوماً فأطعمته؛ ثم جلست تفلي رأسه، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله! قال: «ناسٌ من أمّتي عرضُوا عليّ غزاةً في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكاً على الأسرّة، أو مثل الملوك على الأسرّة».

من المؤمنين على أشد من عذابكم لقوة اليقين. (رواه البخاري) وكذا أبو داود والنسائي.

٥٨٥٩ ـ (وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان) بكسر الميم وهو ابن خالد وهي خالة أنس نسباً وهي وأمه أم سليم من خالات النبي ﷺ رضاعاً أو نسباً. قال النووي: اتفق العلماء على أنها كانت محرماً له ﷺ واختلفوا في كيفية ذلك. فقال ابن عبد البر وغيره: كانت إحدى خالاته من الرضاعة، وقال آخرون: بل كانت خالة لأبيه أو لجده عبد المطلب وكانت أمه من بني النجار. وقد سبق ذكر وجه الدخول عليها في حديث أختها أم سليم مع زيادة تحقيق فتذكر. (وكانت تحت عبادة بن الصامت) أي زوجته. قال المؤلف: أسلمت وبايعت وماتت غازية مع زوجها بأرض الروم وقبرها بقبرس. روى عنها ابن أختها أنس بن مالك وزوجها عبادة. قال ابن عبد البر: لا أقف لها على اسم صحيح غير كنيتها، وكان موتها في خلافة عثمان (فدخل) أي النبي ﷺ (عليها يوماً فأطعمته ثم جلست تفلي) بكسر اللام مخففة أي تفتش (رأسه) أي شعر رأسه (فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ) أي انتبه بعد نوم كثير (وهو يضحك. قالت: فقلت: ما يضحكك) بضم الياء وكسر الحاء أي أي شيء يبعثك على الضحك. (يا رسول الله) فإن مثلك لا يضحك بلا سبب من أمر عجب (قال: ناس) أي جمع (من أمتي عرضوا على غزاة) أي حال كونهم مجاهدين (في سبيل الله) أي مع الكفار (يركبون ثبج هذا البحر) بفتح مثلثة وموحدة فجيم أي وسطه ومعظمه (ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة) الظاهر أن أوشك من الراوي، وهو إما حال أو صفة مصدر محذوف، أي يركبون ملوكاً على الأسرة أو ركوباً مثل ركوب الملوك على الأسرة. قال الطيبي: شبه ثبج البحر بظهر الأرض والسفينة بالسرير وجعل الجلوس عليها مشابهاً لجلوس الملوك على أسرتهم إيذاناً بأنهم يذالون لأنفسهم ويرتكبون هذا الأمر العظيم مع وفور نشاطهم وتمكنهم من مناهم كالملوك على أسرتهم. وفي شرح مسلم قيل: هو صفة لهم في الآخرة إذا دخلوا الجنة. والأصح أنه صفة لهم في الدنيا، أي يركبون مراكب الملوك لسعة حالهم

الحديث رقم ٥٨٥٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ١٠. حديث رقم ٢٧٨٨. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٥١٨ حديث رقم (١٦٠ ـ ١٩١٢). والترمذي في السنن ٤/ ١٥٢ حديث رقم ١٦٤٥. والنسائي ٦/ ٤١ حديث رقم ٣١٧١. ومالك في الموطأ ٢/ ٤٦٤ الحديث رقم ٣٩ من كتاب الجهاد. وأحمد في المسند ٣/ ٢٤٠.

فقلت: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: يا رسول الله! ما يضحكك؟ قال: «ناسٌ من أمتي عرضوا عليَّ غزاةً في سبيل الله». كما قال في الأولى. فقلت: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «أنتِ من الأوّلين». فركبت أمُّ حَرام البحر في زمنِ معاوية، فصُرِعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت. متفق عليه.

٥٨٦٠ ـ (٩) وعن ابن عبَّاس، قال: إن ضِماداً قَدِمَ مكةَ وكانَ من أزد شنوءة، وكان يرقي من هذا الريح، فسمع سفهاء أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون. فقال: لو أني رأيت

واستقامة أمرهم وكثرة عددهم. اهـ. وفيه إشعار بأن الحال مقدرة على المعنيين بخلاف ما قرره الطيبي فإنها حينئذ محققة. (فقلت: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم فدعا لها) فيه التفات أو تجريد أو نقل بالمعنى أو من كلام أنس. (ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: يا رسول الله ما يضحكك) أي الآن (قال: ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله كما قال) أي النبي ﷺ (في الأولى) أي في المقالة الأولى، وهو من كلام الراوي اختصاراً. (فقلت:) أي ثانياً (يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم. قال: أنت من الأوّلين) فيه إيماء إلى أن مرتبة الأوّلين فوق مرتبة الآخرين. (فركبت أم حرام البحر في زمن معاوية) أي في أيام ولاية معاوية فلا ينافي ما تقدم من أن موتها في خلافة عثمان. (فصرعت عن دابتها) بصيغة المجهول أي فسقطت عن ظهر مركبها. (حين خرجت من البحر فهلكت) أي ماتت، ونظيره قوله تعالى: ﴿حتى إذا هلك﴾ [غافر ـ ٣٣]. أي مات يوسف. (متفق عليه.) ورواه أبو داود والترمذي والنسائي.

٥٨٦٠ ـ (وعن ابن عباس قال: إن ضماداً) بكسر الضاد وبضم وتخفيف الميم وبدال في آخره، ويروى ضمام بميم في آخره. (قدم مكة) بكسر الدال، أي نزل بها من سفر (وكان من أزد شنوءة) بفتح أوّله وضم نون فواو ساكنة فهمزة فهاء، قبيلة كبيرة من اليمن والأزد قبيلة منها. قال ابن الملك: هو بضم الضاد المعجمة وكسرها اسم رجل، كان صديقاً للنبي ﷺ قبل أن يبعث. وقال المؤلف: هو ضماد بن ثعلبة الأزدي كان يتطبب ويطلب العلم، أسلم في أوّل الإسلام. (وكان يرقي) بكسر القاف أي يعالج الداء بشيء يقرأ ثم ينفث. (من هذا الريح) قال الطيبي: الإشارة بهذا إلى جنس العلة له، وذكره باعتبار الجنون. قال التوربشتي: الإشارة بهذا إلى جنس العلة التي كانوا يرونها الريح وكأنهم كانوا يرون أن الخبل الذي يصيب الإنسان والأدواء التي كانوا يرونها من مسة الجن نفحة من نفحات الجن فيسمونها الريح. اهـ. وقال أبو موسى: الريح هنا بمعنى الجن سموا بها لأنهم لا يرون كالريح. (فسمع) أي ضماد (سفهاء [أهل] مكة) أي جهالهم من الكفار (يقولون أن محمداً مجنون فقال: لو أني رأيت) أي أبصرت

الحديث رقم ٥٨٦٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ٥٩٣ حديث رقم (٤٦ ـ ٨٦٨). وأحمد في المسند ١/ ٣٠٢.

هذا الرجل لعلَّ اللَّهَ يشفيه على يدي. قال: فلقيه. فقال: يا محمد! إني أرقي من هذا الريح، فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهدِهِ الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِلْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد» فقال: أعِدْ عليَّ كلماتك هؤلاءِ، فأعادهنَّ عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراءِ، فما سمعتُ مثل كلماتك هؤلاءِ.

(هذا الرجل) أي بالوصف المذكور لداويته. فجواز لو مقدر والأظهر أن لو هذه للتمني كما يشير إليه قوله: (لعل الله أن يشفيه على يدي) أي بسببي (قال:) أي ابن عباس (فلقيه) أي محمداً فقال: (يا محمد إني أرقي من هذا الريح فهل لك) أي رغبة (في أن أرقيك وأخلصك من الجنون. فقال ﷺ: إن الحمد لله) أي ثابت له مختص به سواء حمد أو لم يحمد (نحمده) أي لوجوبه علينا ولعود نفعه إلينا (ونستعينه) أي في جميع أمورنا (من يهده الله) أي إلى طريق توحيده وشهود تفريده بمقتضى فضله (فلا مضل له ومن يضلل) أي ومن يضلله عن سواء السبيل بموجب عدله (فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده) أي منفرداً وهو تأكيد لما قبله كقوله: (لا شريك له) أو المراد بالأوّل توحيد الذات وبالثاني تفريد الصفات (وأشهد أن محمداً عبده) أي المختص المكرم (ورسوله) أي المخصوص المعظم ﷺ وشرف وكرم (أما بعد) أي وأراد أن يخطب له خطبة عظيمة وموعظة جسيمة تعجز عنه البلغاء ويتحير فيه الفصحاء ليعلم العقلاء أنهم بجنبه من المجانين والسفهاء (فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء) أي المتقدمة الدالة على جزالة الخاتمة (فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات) يحتمل أن يكون التثليث بالأولى كما كان له العادة، أو بغيرها كما يفيد حقيقة الإعادة مع زيادة المبالغة في مقام الإفادة وتمام الاستفادة (فقال:) أي ضماد (لقد سمعت قول الكهنة) بفتحتين جمع كاهن وهو المخبر عن الغيب بعبارات مسجعة وإشارات مبدعة (وقول السحرة) جمع ساحر وهو المخيل في العين والذهن من جهة قوله: أو من أجل فعله. (وقول الشعراء) جمع شاعر وهو المحلي باللسان في كل شأن حتى شان مازان وزان ماشان، يريد أنهم ينسبونك تارة إلى الكهانة ومرة إلى السحر وأخرى إلى الشعر، وقد سمعت مقالة أصحابها. (فما سمعت) أي منهم (مثل كلماتك هؤلاء) يعني فلو كنت منهم لأشبه كلامك كلامهم، فإذا كان كلامه أبلغ من كلام هؤلاء فلا يعده مجنوناً إلا السفهاء. ثم إنهم كانوا يرون الكهان والسحرة والشعراء أهل البلاغة والمتصرفين في القول على أي أسلوب شاؤوا. فأشار بقوله هذا إلى الإعجاز، أي جاوز كلامك حد البلاغة. وحاصله أنه ﷺ قابل كلام ضماد بما تقدم ليظهر له كمال عقله ويتبين جهل أعدائه. وقال الطيبي: طابق هذا القول منه ﷺ قول ضماد من أنه لما سمع من سفهاء أهل مكة أن محمداً مجنون اعتقد أنه كذلك، فقال: هل لك رغبة في الخلاص، كأنه ﷺ ما التفت إلى قوله ذلك وأرشده إلى الحق البحت والصدق المحض. أي إني لست بمجنون أتكلم كلام المجانين بل كلامي نحو هذا وأمثاله فتفكر فيه، هل ينطق المجنون بمثل هذه الكلمات. ونحوه قوله تعالى: ﴿ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين﴾ [القلم ـ ٥١ و٥٢]. أي أنهم جننوه لأجل

ولقد بلغن قاموسَ البحرِ، هات يدك أبايعك على الإسلام، قال: فبايعه. رواه مسلم. وفي بعض نسخ «المصابيح»: بلغنا ناعوس البحر.

القرآن وما هو إلا ذكر وموعظة للعالمين، وكيف يجنن من جاء بمثله. قلت: بل المجنون من غفل عن ذكر الحق واشتغل بكلام الخلق، ولذا قال ﷺ: «اذكروا الله حتى يقولوا مجنون». ثم قال الطيبي: والعرب ربما استعملوا هؤلاء في غير العقلاء وقد شهد به التنزيل. قال تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ [الإسراء - ٣٦]. وقال الشاعر:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الأيام

(ولقد بلغن) أي هؤلاء الكلمات الجامعات المحيطات بحروف كاللآلىء المنظومات التي يعجز الغوّاص عن إخراجها وإبرازها، لما من فيها من الدلالات البينة على إعجازها من كمال إيجازها. (قاموس البحر) [أي معظم بحر الكلام] ووسطه لجة المرام. والمعنى: بلغت غاية الفصاحة ونهاية البلاغة. قال صاحب القاموس: القمس الغوص والغمس، والقومس معظم ماء البحر كالقاموس. والقاموس البحر أو أبعد موضع فيه غوراً. (هات) بكسر التاء أي أعط (يدك أبايعك) بالجزم جواب الأمر (على الإسلام. قال:) أي ابن عباس (فبايعه) أي النبي ﷺ (رواه مسلم).

(وفي بعض نسخ المصابيح: بلغنا) أي بصيغة المتكلم مع الغير. (ناعوس البحر) بالنون والعين وهو تصحيف وتحريف حيث لم يذكر الناعوس في القاموس. قال التوربشتي: وفي كتاب المصابيح بلغنا وهو خطأ لا سبيل إلى تقويمه من طريق المعنى، والرواية لم ترد به. وناعوس البحر أيضاً خطأ وكذلك رواه مسلم في كتابه وغيره من أهل الحديث. وقد وهموا فيه. والظاهر أنه سمع بعض الرواة أخطاء فيه فروي ملحوناً وهذا من الألفاظ التي لم تسمع في لغة العرب. والصواب فيه قاموس البحر، وهو وسطه ومعظمه من القمس وهو الغوص، والقماس والغوّاص. وقال الطيبي: قوله: بلغنا خطأ إن أراد به من حيث الرواية فلا ننكره لأنا ما وجدناها في الأصول، وإن أراد بحسب المبنى فمعناها صحيحة، أي قد وصلنا إلى لجة البحر ومحل اللآلىء والدر، فيجب أن نقف عليه ونغوص فيه استخراجاً لفوائده والتقاطاً لفرائده. قلت: الشيخ نفى المعنى اللغوي الحقيقي، إذ ليس الكلام في المعنى المجازي الذي هو بإشارات الصوفية أشبه فتدبر وتنبه. قال: وأما قوله: ناعوس البحر، أيضاً خطأ فليس بصواب. أما رواية، فقد قال الشيخ محيي الدين في شرح صحيح مسلم: ناعوس البحر ضبطناه بوجهين أشهرهما بالنون والعين، وهذا هو الموجود في نسخ بلادنا. والثاني قاموس البحر بالقاف والميم، وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم. قلت: هذا ما ينافي قول الشيخ، فإنه لم ينكر وجود النقل والرواية، بل يطعن فيه من حيث اللغة والدراية. قال: وقال القاضي عياض: روى بعضهم ناعوس بالنون والعين. وقال شيخنا أبو الحسين: ناعوس البحر بمعنى قاموسه. قلت: وهذا يفيد أن القاموس هو الأظهر والأكثر، وإنما جاء الناعوس في رواية، وهو لكونه لا يستقيم في المعنى، حمل على أنه بمعنى القاموس

وذكر حديثاً أبي هريرة وجابر بن سمرة «يهلك كسرى» والآخر «ليفتحنّ عصابةٌ» في باب «الملاحم».

وهذا الباب خال عن: الفصل الثاني

الفصل الثالث

٥٨٦١ ـ (١٠) عن ابن عبّاس، قال: حدَّثني أبو سفيانَ بنُ حربٍ منْ فِيهِ إلى فِيّ،

وإن لم يسمع في كلام العرب. قال: وفي النهاية قال أبو موسى: ناعوس البحر كذا وقع في صحيح مسلم، وفي سائر الروايات قاموس البحر وهو وسطه ولجته ولعله لم يجود كيفيته فصحفه بعضهم، وليست هذه اللفظة أصلاً في مسند إسحاق بن راهويه الذي روى عنه مسلم هذا الحديث. غير أنه قرنه بأبي موسى وروايته فلعلها فيها. قال: وإنما أورد نحو هذه الألفاظ لأن الإنسان إذا طلبه ولم يجده في شيء من الكتب فتحير فإذا نظر في كتابنا عرف أصله ومعناه، قلت: وهذا كله يؤيد الشيخ فيما قرره ويؤكد ما حرره من جهة عدم صحة ما يتعلق به من الرواية. قال الطيبي: وأما دراية فقال القاضي ناصر الدين: ناعوس البحر معظمه وتحته الذي يغاص فيها لإخراج اللآلىء، من نعس إذا نام لأن الماء من كثرته لا تظهر حركته فكأنه نائم. قلت: ثبت العرش ثم انقش الفرش، فإن تحقيق الرواية مقدم على تدقيق الدراية، مع أن هذا ليس معناه اللغوي بل تكلف وتعسف في تصحيحه بالمعنى المجازي، فأنى يقاوم قول الشيخ، وهذا من الألفاظ التي لم تسمع في لغة العرب. وأغرب الطيبي حيث قال: ومن الجائز أن يكون الناعوس حقيقة في القاموس وكانت لغة عربية خفي مكانها فلم تنقل نقلاً فاشياً. اهـ. ولا يخفى أنه إن فتحنا باب الإمكان انسد طريق التحقيق في كل مكان والله المستعان. **(وذكر حديثاً أبي هريرة وجابر بن سمرة)** بإضافة الحديثين إلى الراويتين لفاً ونشراً مرتباً، والتقدير أحدهما. **(يهلك كسرى)** أي الخ **(والآخر لتفتحن عصابة)** أي الحديث **(في باب الملاحم)** متعلق بذكر ووجهه مراراً قرر وكذا حرر توجيه قوله: **(وهذا الباب خال عن الفصل الثاني)**.

(الفصل الثالث)

٥٨٦١ ـ **(عن ابن عباس قال: حدثني أبو سفيان بن حرب)** بضم السين وجوّز تثليثه. واسمه صخر بمهملة فمعجمة. ولد قبل الفيل بعشر سنين وأسلم ليلة الفتح، وشهد الطائف وحنيناً وفقئت عينه في الأولى والأخرى يوم اليرموك. توفي بالمدينة وصلى عليه عثمان رضي الله عنهما. **(من فيه إلى فيّ)** من للابتداء، أي الحديث الذي أرويه انتقل من فمه إلى فمي ولم

الحديث رقم ٥٨٦١: أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣٠. حديث رقم ٦. ومسلم في صحيحه ٣/ ١٣٩٣ حديث رقم (٧٤ ـ ١٧٧٣).

قال: انطلقتُ في المدّةِ التي كانت بيني وبينَ رسولِ الله ﷺ قال: فبينا أنا بالشام إذ جيءَ بكتابٍ من النبيّ ﷺ إلى هرقلَ. قال: وكانَ دحيةُ الكلبيُّ جاء به فدفعَه إلى عظيمِ بُصرى، فدفعه عظيمُ بصرى إلى هرقل، فقال هرقلُ: هل هُنا أحدٌ من قومِ هذا الرّجلِ الذي يزعمُ أنه نبيٌّ؟ قالوا: نعم، فدُعيتُ في نفرٍ من قريشٍ، فدخلنا على هرقلَ، فأجلَسنا بينَ يديه، فقال: أيّكم أقربُ نسباً من هذا الرّجلِ الذي يزعمُ أنه نبيٌّ؟ قال أبو سفيانَ: فقلتُ: أنا، فأجلَسوني بينَ يدَيه، وأجلَسوا أصحابي خَلفي، ثمّ دعا بتَرجُمانه فقال: قُل لهم: إني سائلٌ هذا

يكن بيننا واسطة، كذا ذكره الطيبي. والأظهر أن معناه لم يكن أحد حاضراً غيري معه، كما يدل عليه حدّثني وكذا قوله: في فإنه لو كان أحد غيره لجاز أن يرويه فلا يكون التحديث منحصراً من فمه إلى فمه فقط. (قال:) أي أبو سفيان (انطلقت) أي سافرت (في المدة) أي في مدة الصلح. (التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ) يعني صلح الحديبية ذكره النووي. وكان سنة ست ومدتها عشر سنين، لكنهم نقضوا العهد بقتل بعض خزاعة من حلفائه ﷺ، فغزاهم سنة ثمان وفتح مكة. (قال:) أي أبو سفيان (فبينا أنا بالشام) أي من أهل المقام (إذ جيء بكتاب من النبي ﷺ إلى هرقل) بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف، وهذا هو المشهور على ما في شرح مسلم. وفي نسخة بكسر الهاء والقاف وسكون الراء وهو غير منصرف للعجمة والعلمية. وهو ملك الروم ولقبه قيصر، وهو أول من ضرب الدنانير وأول من أحدث البيعة على ما في القاموس. (قال:) أي أبو سفيان (وكان دحية الكلبي) بكسر الدال ويفتح (جاء به) أي بالكتاب (فدفعه إلى عظيم بصرى) أي أميرها، وهي بضم الموحدة مقصورة. قرية بين المدينة ودمشق الشام. (فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل. فقال هرقل: هل هنا) أي في أرض الشام (أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي) يعني لكي نسأل عن وصفه ليتبين لنا صدقه من كذبه. (قالوا:) أي بعض خدمه وحشمه (نعم. فدعيت في نفر) أي مع نفر من قريش وكانوا ثلاثين رجلاً. وقيل: المغيرة بن شعبة منهم، وفيه أنه سبق إسلامه لأنه أسلم عام الخندق، فيبعد أن يكون حاضراً وسكت مع كونه مسلماً. قلت: وقد يقال إنه لم يذكر فيه ما ينافي سكوته. (فدخلنا على هرقل فأجلسنا) بصيغة المفعول. وفي نسخة على بناء الفاعل. أي أمر هرقل بجلوسنا. (بين يديه) أي قدامه ليسمع كلامنا ونسمع كلامه. (فقال: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي) قال العلماء: وإنما سأل قريب النسب لأنه أعلم بحاله وأبعد من أن يكذب في حقه. (قال أبو سفيان: فقلت: أنا.) أي أقرب نسباً منه. (فأجلسوني بين يديه) أي وحدي (وأجلسوا أصحابي خلفي) وإنما أجلسهم خلفه ليكون أعون عليهم في تكذيبه إن كذب ولا يستحيوا منه؛ أو ليمكن لهم أن يشيروا إليه ويدلوا عليه بما هنالك، إما بإيماء يد أو بتحريك رأس ونحو ذلك. ولا يبعد أنه قصد في تقريبه تعظيمه لكونه أقرب في النسب على ما يقتضيه الأدب. (ثم دعا بترجمانه) بفتح التاء وضم الجيم وبضمهما والفتح أفصح. وسبق أنه يجوز فتحهما وهو المعبر عن لغة بلغة أخرى ثم الباء زائدة. والتقدير دعا أحداً بإحضار ترجمانه. (فحضر فقال: قل لهم) أي لأصحاب أبي سفيان (إني سائل هذا) وفي نسخة

عنْ هذا الرجلِ الذي يزعمُ أنه نبيٌّ، فإن كذَبني فكذِّبوه. قال أبو سفيانَ: وآيمُ اللهِ لولا مخافةُ أن يُؤثرَ عليَّ الكذبَ لكذبتُه، ثمَّ قال لترجمانِه: سَلْهُ كيف حسبُهُ فيكم؟ قال: قلتُ: هوَ فينا ذو حسَبٍ. قال: فهل كانَ منْ آبائه منْ مَلِكٍ؟ قلتُ: لا. قال: فهل كنتم تتَّهمونَه بالكذبِ قبلَ أن يقولَ ما قال؟ قلتُ: لا. قال: ومن يتَّبعُه؟ أشرافُ الناسِ أمْ ضعفاؤُهم؟

بالإضافة. والمعنى إني أريد أن أسأل أبا سفيان. **(عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي)** أي عن وصفه **(فإن كذبني)** بتخفيف الذال، أي فإن تكلم بالكذب لي **(فكذبوه)** بالتشديد، أي فانسبوه إلى الكذب ولا تسكتوا على الباطل وأعلموني بالحق. **(قال أبو سفيان: وأيم الله)** بهمزة وصل ويقطع وبضم ميم، وتحقيقه تقدم وهو قسم. **(لولا مخافة أن يؤثر)** بصيغة المجهول، أي يروي. **(علي الكذب)** بفتح فكسر. وفي نسخة بكسر فسكون. والمعنى: لولا خوف أن ينقلوا عني الكذب إلى قومي ويتحدثوا به. **(لكذبته)** أي لكذبت عليه لبغضي إياه. قال الطيبي: وإنما عداه بعلى لتضمن معنى المضرة أي كذب يكون علي لا لي، وفي هذا بيان أن الكذب قبيح في الجاهلية كما هو قبيح في الإسلام. أقول: الظاهر أن معناه: لولا مخافة أن يكذبني هؤلاء الذين معي، لكذبته في تكذيبه في بعض كلامي لتحصيل مرامي. **(ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم)** الحسب ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه ذكره الجوهري. فهو أعم من النسب ولذا عدل عنه إليه. قيل: وفي البخاري كيف نسبه فيكم. وفي جامع الأصول: كيف حسبه. **(قال: قلت: هو فينا ذو حسب)** أي عظيم، فإن رسول الله هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وأنا أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. وليس في النفر يومئذ أحد من بني عبد مناف غيري. **(قال: فهل كان من آبائه)** أي بعض أجداده وأسلافه. وفي نسخة: في آبائه، أي في جملتهم. **(من ملك)** أي من سلطان، وفي نسخة: من موصولة وملك بصيغة الماضي. أي من كان ملكاً. قال بعض المحققين: هو هكذا بحرف الجر، وملك صفة مشبهة، وهو رواية كريمة والأصيلي وأبي الوقت وابن عساكر. في نسخة، وأبو ذر عن الكشميهني: من ملك على أن من موصولة وملك فعل ماض. ولأبي ذر كما في الفتح: من آبائه ملك، بإسقاط من. والأول أشهر. **(قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه)** بتشديد التاء الثانية، أي تنسبونه إلى التهمة. **(بالكذب)** أي بإيقاعه **(قبل أن يقول ما قال)** أي من دعوى النبوة **(قلت: لا. قال: ومن)** بالواو **(يتبعه)** بسكون التاء وفتح الباء. وفي نسخة: بتشديد الفوقية وكسر الموحدة. **(أشراف الناس)** أي أشرافهم. **(أم ضعفاؤهم)** قال الطيبي: وفي الحميدي وجامع الأصول: فهل يتبعه. وأم ههنا متصلة، وفي وقوعها قرينة لهل[1] إشكال، لأن هل تستدعي السؤال عن حصول الجملة، وأم المتصلة تستدعي حصولها لأن السؤال بها عن تعيين أحد المتسبين مسنداً ومسنداً إليه. والظاهر ما في صحيح مسلم وشرحه والمشكاة:

---

(١) في المخطوطة «لهذا».

قال: قلتُ: بل ضعفاؤهُم. قال: أيزيدونَ أم ينقصونَ؟ قلتُ: لا، بل يزيدونَ. قال: هلْ يرتدُّ أحدٌ منهم عنْ دينِه بعدَ أنْ يدخلَ فيه سَخْطةً له؟ قال: قلتُ: لا. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيفَ كانَ قتالُكم إياه؟ قال: قلت: يكونُ الحربُ بيْننا وبينَه سجالاً، يصيبُ منّا ونصيبُ منه. قال: فهل يَغدِرُ؟ قلتُ: لا، ونحنُ منه في هذهِ المدَّةِ، لا ندْري ما هوَ صانعٌ فيها؟ قال: والله ما أمكنَني من كلمةٍ أُدخِلُ فيها شيئاً غيرَ هذهِ. قال: فهل قال هذا القولَ

فمن تبعه. فتكون همزة الاستفهام مقدرة في قوله: أشراف الناس. فسأل أوّلاً مجملاً ثم سأل ثانياً مفصلاً. (**قال: قلت: بل ضعفاؤهم**) المراد بالأشراف أهل النخوة والتكبر لا كل شريف، وإلا لورد مثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ممن أسلم قبل سؤال هرقل كذا ذكره بعضهم. وتعقبه العيني بأن العمرين وحمزة كانوا من أهل النخوة. فقول أبي سفيان جرى على الغالب. (**قال: أيزيدون**) أي بزيادة أمثالهم (**أم ينقصون**) أي برجوع بعضهم إلى أدبارهم أو يموت بعضهم من غير جبرهم لكسرهم. (**قلت: لا**) أي لا ينقصون أبداً (**بل يزيدون**) أي دائماً (**قال: هل يرتد**) أي يرجع (**أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه**) أي بطيب نفسه (**سخطة**) بفتح السين ويضم وسكون الخاء المعجمة، أي كراهة وتعييباً. (**له**) أي لدينه، وهي مفعول له وخرج به من ارتد مكرهاً، أو لحظ نفساني. (**قال: قلت: لا. قال: فهل قاتلتموه. قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه. قال: قلت: تكون**) بالتأنيث ويذكر (**الحرب**) أي المحاربة (**بيننا وبينه سجالاً**) بكسر أوله أي مساجلة ومداولة (**يصيب منا ونصيب منه**) أي هو ينال هنا مرة لغلبته ونحن ننال منه أخرى لغلبتنا، فهو تفسير لقوله: سجالاً. وقد قال تعالى: ﴿**وتلك الأيام نداولها بين الناس**﴾ [آل عمران ـ ١٤٠]. وقال الشاعر:

فيوماً علينا ويوماً لنا ✽ ويوماً نُساء ويوماً نُسر

قال الطيبي: وأصله من السجل الذي هو الدلو لأن لكل واحد من الواردين دلواً مثل ما للآخر، أو لكل واحد منهم يوم في الاستقاء. ومعناه أن الحرب دول تارة له وتارة عليه. وقال غيره: السجال جمع سجل وهو الدلو الكبير، والحرب اسم جنس فصح الأخبار عنه بالجمع. وفيه تشبيه بليغ، أي الحرب نوب نوبة لنا ونوبة له. فقد وقعت المقاتلة بينه ﷺ وبينهم قبل هذه القصة في ثلاث مواطن، بدر واحد والخندق، فأصاب المسلمون من المشركين في بدر وعكس في أحد وأصيب من الطائفتين ناس قليل في الخندق، فصدق أبو سفيان في كلامه سجالاً، على أنه لا يلزم منه التساوي. (**قال: فهل يغدر**) بكسر الدال من الغدر وهو نقض العهد وخلاف الوعد. (**قلت: لا**) أي ما وقع منه غدر فيما مضى (**ونحن منه**) أي على خطر (**في هذه المدة**) أي مدة الهدنة والصلح الذي جرى يوم الحديبية (**لا ندري ما هو**) أي النبي، أو الله [تعالى.] (**صانع فيها**) أي أيغدر في مدة هذا الصلح أم لا. (**قال:**) أي أبو سفيان (**والله ما أمكنني من كلمة**) أي ما قدرت على كلمة، والمراد بها جملة مفيدة. (**أدخل فيها**) أي في أثناء كلماتي (**شيئاً**) أي مما يطعن فيه في الجملة (**غير هذه**) أي غير هذه الجملة التي فيها يجوز احتمال الغدرة في مدة الهدنة (**قال: فهل قال هذا القول.**) أي من أمر النبوّة ودعوى الرسالة

أحدٌ قبلَه؟ قلتُ: لا. ثمَّ قال لتَرجمانِه: قل له: إني سألتُك عَن حسبِه فيكم، فزعمتَ أنّه فيكم ذو حسبٍ، وكذلك الرسل تبعثُ في أحسابِ قومِها. وسألتُكَ هل كانَ في آبائه مِلكٌ؟ فزعمتَ أنْ لا، فقلتُ: لو كانَ من آبائه مَلكٌ قلتُ: رجلٌ يطلبُ مُلكَ آبائه. وسألتُكَ عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلتَ: بل ضعفاؤهم، وهُم أتباعُ الرُسلِ. وسألتُكَ: هل كنتم تتّهمونَه بالكذِبِ قبلَ أنْ يقولَ ما قالَ؟ فزعمتَ أن لا، فعرفتُ أنّه لم يكنْ ليدَعَ الكذِبَ على النّاسِ ثمّ يذهبَ فيكذبَ على اللّهِ. وسألتُكَ: هل يرتدُّ أحدٌ منهم عن دينِه بعدَ أن يدخلَ فيه سخطةً له؟ فزعمتَ أن لا، وكذلكَ الإيمانُ إذا خالطَ بشاشتُه القلوبَ.

(أحد قبله) أي ممن سبقه من غير الأنبياء المعروفين كإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى عليهم السلام (قلت: لا. ثم قال) أي بعد ما فرغ من الأسئلة الدالة على النبوّة والرسالة، وأراد أن يشرع في تبيين توجيهاتها من جهة المنقول والمعقول والعرف والعادة قال: (لترجمانه. قل له: إني سألتك عن حسبه فيكم فزعمت) أي فأجبت (أنه فيكم ذو حسب وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها) أي توقع بعثهم في أحساب أقوامهم. فتعديته بفي لتضمين معنى الإيقاع. ويمكن أن يكون في بمعنى من على ما جوزه صاحب القاموس والمغني وهو ظاهر جداً، يعني عما تكلف له الطيبي لقوله: هو من باب التجريد، أي يبعث وهو ذو حسب وهو كقولك في البيضة عشرون رطلاً، وهي في نفسها هذا المقدار. قيل: والحكمة في ذلك أنه أبعد من انتحاله الباطل وأقرب إلى انقياد الناس له؛ ولا يخفى أن هذا القول إنما يستفاد من النقل ويساعده العقل. (وسألتك هل كان في آبائه ملك) أي في جملتهم أحد من الملوك. ولو روي بضم الميم لكان له وجه. (فزعمت أن لا. فقلت:) أي في نفسي بمقتضى رأيي (لو كان من آبائه ملك) أي لو كان ظهر منهم سلطان (قلت: رجل يطلب ملك آبائه) أي سلطنتهم، وهذا دليل عقلي لا يخالفه نقل. (وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم) أي أفقراء الناس وأهل خمولهم. (أم أشرافهم) أي أغنياؤهم وأهل خيولهم. (فقلت: بل ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل) أي ابتداء كما هو المشاهد في أتباع العلماء والأولياء. قال النووي: وأما قوله: إن الضعفاء هم أتباع الرسل، فلكون الأشراف يأنفون من تقدم مثلهم عليهم والضعفاء لا يأنفون، فيسرعون إلى الانقياد واتباع الحق. (وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا. فعرفت أنه لم يكن ليدع) اللام لام الجحود، أي ليترك. (الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله) أي فإن من المعلوم عند كل أحد أن الكذب على الله أقبح وأشد. ولذا قال تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ [الأنعام - ٢١]. (وسألتك هل يرتد أحد عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له فزعمت أن لا. وكذلك) [بالواو]. والظاهر أن يقال: فكذلك أي لا يخرج ولا يرجع. (الإيمان إذا خالط بشاشته) بفتح الموحدة أي أنسه وفرحه. (القلوب) أي فإن من دخل على بصيرة في أمر محقق لا يرجع عنه بخلاف من دخل في الأباطيل، ذكره النووي. وقد عبر ﷺ عن البشاشة، تارة بالطعم وأخرى بالحلاوة. فإن من ذاق لذة شيء أحبه لا محالة ومن لم يذق لم يعرف ومن مشرب العارفين لم يغرف. ولذا قال بعض

وسألتُكَ هل يزيدونَ أم ينقصونَ؟ فزعمتَ أنهم يزيدونَ، وكذلكَ الإيمانُ حتى يتمَّ. وسألتُكَ هل قاتلتُموه؟ فزعمتَ أنَّكم قاتلتُموه، فتكونُ الحربُ بينكم وبينَه سجالاً ينالُ منكم وتنالونَ منه، وكذلك الرسلُ تبتلي، ثمَّ تكونُ لها العاقبةُ. وسألتُكَ هل يغدِر، فزعمتَ أنه لا يغدِر، وكذلك الرسل لا تغدِر، وسألتك هل قال هذا القولَ أحدٌ قبلَه؟ فزعمتَ أنْ لا، فقلتُ: لو كانَ قال هذا القولَ أحد قبله، قلت: رجلٌ ائتمَّ بقولٍ قيلَ قبلَه. قال: ثمَّ قال: بما

المشايخ: إنما رجع من رجع من الطريق، يعني فمن وصل مع الفريق إلى الرفيق في الأمن الداخل في البيت العتيق. وقد قال شيخ مشايخنا أبو الحسن البكري، قدس الله سره السري: الإيمان إذا دخل القلب أمن السلب. قلت: ولعل الإشارة إلى هذا المعنى والدلالة على هذا المبنى في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فمن يكفر بالطاغوت**﴾. أي بما سوى الله. (**ويؤمن بالله**﴾. أي حق الإيمان وحق نية. ﴿**لقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**﴾ [البقرة - ٢٥٦]. أي لا انقطاع ولا انفصال ولا اتحاد ولا اتصال. (**وسألتك هل يزيدون أم ينقصون**) ولعله ترك الواسطة وهي المساواة للإشارة إلى أن من لم يكن في الزيادة فهو في النقصان، لأن التوقف منفي في طور الإنسان. (**فزعمت أنهم يزيدون. وكذلك الإيمان**) أي يزيد بنفسه وأهله (**حتى يتم**) أي يكمل بالأمور المعتبرة فيه من صلاة وزكاة وصيام وغيرها، ولذا نزل في آخر عمره ﷺ: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي**﴾ [المائدة - ٣]. انجازاً لما وعده سبحانه بقوله: ﴿**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره**﴾ [التوبة - ٣٢]. ونحن بحمد الله إلى الآن بعد مضي الألف من الزمان في زيادة الإيمان تحت أشعة أنواره وفي بركة لمعان أسراره المستفادة من أخباره والمستفاضة من آثاره. (**وسألتك هل قاتلتموه فزعمت أنكم قاتلتموه، فيكون الحرب بينكم وبينه سجالاً ينال منكم وتنالون منه.**) أي يصيب منكم وتصيبون منه. (**وكذلك الرسل تبتلى**) وفيه ايماء إلى أن الدار دار ابتلاء. ولذا قال بعض العارفين: ما دمت في هذه الدار لا تستغرب وقوع الأكدار. وقد قال تعالى: ﴿**وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**﴾ [الأعراف - ١٤١]. وفسر البلاء بالمحنة والمنحة، فهو من الأضداد الحاصل للعباد. والغالب أن البلاء لأهل الولاء، كما أشار إليه ﷺ بقوله: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء»[1]. (**ثم تكون لها**) أي للرسل وأتباعها (**العاقبة**) أي المحمودة، قال تعالى: ﴿**والعاقبة للتقوى**﴾ [طه - ١٣٢]. ﴿**والآخرة خير وأبقى**﴾ [الأعلى - ١٧]. قال النووي: يعني نبتليهم في ذلك ليعظم أجرهم بكثرة صبرهم وبذل وسعهم في طاعة الله. (**وسألتك هل يغدر فزعمت أنه**) أي النبي أو الشأن. (**لا يغدر**) يعني والأصل بقاء الشيء على ما هو عليه كما هو مقرر في مسألة الاستصحاب، ولهذا أعرض عن الجملة المدخولة المعلولة. (**وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله فزعمت أن لا. فقلت: لو كان قال هذا القول أحد قبله، قلت: رجل ائتم**) أي هو رجل اقتدى (**بقول قيل قبله. قال:**) أي أبو سفيان (**ثم قال: بما**

---

(١) الطبراني بنحوه. ذكره السيوطي في الجامع الصغير. وأخرج البخاري أوله.

يأمُرُكم؟ قُلنا: يأمرُنا بالصّلاةِ، والزَّكاةِ، والصّلة، والعَفاف. قال: إنْ يكُ ما تقولُ حقّاً فإنّه نبيٌ، وقد كنتُ أعلمُ أنّه خارجٌ، ولم أكنْ أظنُّه منكم، ولو أني أعلمُ أني أخلُصُ إليهِ لأحببتُ لقاءه، ولو كنت عندَه لغسلتُ عن قدَميهِ، وليبلُغنَّ ملكه ما تحتَ قدَميّ.

يأمركم) بصيغة الجمع تغليباً أو التفاتاً، ولذا عدل عن قوله: قلت. إلى قوله: (قلنا: يأمرنا بالصلاة والزكاة) أي بالعبادة المالية والبدنية. (والصلة) أي صلة الرحم وكل ما أمر الله به أن يوصل. (والعفاف) بفتح العين أي الكف عن المحارم وكل ما يخالف المكارم. (قال: إن يك ما تقول حقاً فإنه نبي) في شرح مسلم قال العلماء: قول هرقل: إن يك ما تقول حقاً فإنه نبي أخذه من الكتب القديمة. ففي التوراة هذا ونحوه من علامات رسول الله ﷺ فعرفه بالعلامات. وأما الدليل القاطع على النبوة فهو المعجزة الظاهرة الخارقة للعادة، وهكذا قاله المازري. وقال الشيخ أكمل الدين: ومع هذا لم يؤمن ولم ينتفع بتلك المعرفة، فإنه هو الذي جيش الجيوش على أصحاب رسول الله ﷺ وقاتلهم ولم يقصر في تجهيز الجيش عليهم من الروم وغيره كرة بعد كرة فيهزمهم الله ويهلكهم، ولم يرجع إليه منهم إلا أقلهم. واستمر على ذلك إلى أن مات وقد فتح أكثر بلاد الشام ثم ولي بعده ولده، وبهلاكه هلكت المملكة الرومية. قلت: يعني الرومية الجاهلية ثم انقلبت لهم المملكة الإسلامية بالغلبة والشوكة الإيمانية، حتى أقامهم الله لمقاتلة الطائفة النصرانية ولمقابلة الرافضة الكفرانية وقاموا بخدمة الحرمين الشريفين من عمارتهما وخيراتهما ومبراتهما في البلدين المنيفين، وإرسال أمراء الحاج من كل فج عميق لا من الطريق الواصل إلى البيت العتيق مع ما فيهم من تعظيم الشريعة وتكريم العلماء واحترام المشايخ والأولياء، فجزاهم الله أحسن الجزاء ونصرهم على جميع الأعداء إلى يوم النداء. هذا ومن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فما أعقله لو معقوله أكمله. لكن ما ساعده لعدم السعادة الأزلية ووجود الشقاوة الأبدية، والسبب في ذلك طمع الرياسة وظهور الكمال والميل إلى وصول المال وحصول المنال والغفلة عن المآل، وما يؤدي إلى النكال. ولذا قال: (وقد كنت أعلم) أي علماً يقيناً (أنه) أي النبي ﷺ (خارج) أي ظاهر في آخر الزمان. (ولم أك أظنه منكم) أي من نسل إسماعيل وهو أبو العرب، بل كنت أظنه أنه منا معشر بني إسحاق، فإن أكثر الأنبياء بعد إبراهيم عليه السلام منهم، وهذه حجة داحضة وبلية غامضة. فإن الظن لا يغني من الحق شيئاً. وما يتبع أكثرهم إلا ظناً. والحق أن يتبع. (ولو أني أعلم أني أخلص) بضم اللام، أي أصل. (إليه) أي إلى خدمته ودولته وحضرة رؤيته (لأحببت لقاءه) أي دولة ملاقاته وسعادة متابعته. (ولو كنت عنده) أي ولو صرت في مقامه ووصلت إلى موضع قيامه (لغسلت) أي وجهي (عن قدميه) أي غسلاً صادراً عن ماء أقدامه لما أرى له من الثبات على الحق وإقدامه، أو التقدير غسلت الغبار والوسخ عن قدميه فضلاً عن تقبيل يديه. (وليبلغن ملكه ما تحت قدمي) بالتشديد للتثنية المنبئة عن المبالغة والتأكيد. قال النووي: ولا عذر له في هذا لأنه قد عرف صدق النبي ﷺ، وإنما شح بالملك ورغب في الرياسة فآثرها على الإسلام وقد جاء ذلك مصرحاً به في صحيح البخاري، ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي وما زالت عنه الرياسة. وقال شيخ مشايخنا الحافظ جلال

ثمّ دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه. متفق عليه.

وقد سبق تمامُ الحديثِ في «باب الكتاب إلى الكفّار».

(٦) باب في المعراج

الدين السيوطي: اختلف في إيمانه والأرجح بقاؤه على الكفر. ففي مسند أحمد أنه كتب: من تبوك إلى النبي ﷺ إني مسلم، فقال النبي ﷺ: كذب بل هو على نصرانيته. قلت: ليس فيه نص على موته بالكفر وإنما رجع بناء على الأصل. (ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه) أي فعظمه وبالغ في محافظته فصار سبباً لبقاء الملك في ذريته، بخلاف كسرى حيث شقه ومزقه فمزق الله ملكه وفرق ولده وأخرج الله عنهم ملكه. قال سيف الدين: أرسلني ملك العرب إلى ملك الفرنج في شفاعة فقبلها وعرض علي الإقامة فأبيت. فقال: لأتحفنك بتحفة سنية. فأخرج من صندوقه مقلمة من ذهب فأخرج منها كتاباً قد زال أكثر حروفه فقال: هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر ما زلنا نتوارثه إلى الآن وقد أوصانا بأنه ما دام عندنا لا يزول الملك منا فنحن نحفظه ليدوم الملك لنا. ذكره أكمل الدين (متفق عليه).

(وقد سبق تمام الحديث) وهو أنه كتب إليه (في باب الكتابة إلى الكفار).

(باب في المعراج)

العروج هو الذهاب في صعود. قال تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح﴾ [المعارج - ٤]. والمعراج بالكسر شبه السلم، مفعال من العروج بمعنى الصعود فكأنه آلة له. وقيل: بل هو آلة، وفرق بينه وبين الإسراء كما بينته في رسالتي المسماة بالمدراج للمعراج، وإنما سميت ليلة المعراج لصعود النبي ﷺ فيها إلى السماء. وفي شرح السنة قال القاضي عياض: اختلف الناس في الإسراء برسول الله ﷺ، فقيل: إنما كان جميع ذلك في المنام. والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، أنه أسري بجسده، فمن طالعها وبحث عنها فلا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل، ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج إلى تأويل. وقيل: ذلك قبل أن يوحى إليه، وهو غلط لم يوافق عليه. فإن الإسراء أقل ما قيل فيه أنه كان بعد مبعثه ﷺ بخمسة عشر شهراً. وقال الحربي: كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة. وقال الزهري: كان ذلك بعد مبعثه ﷺ بخمس سنين. وقال ابن إسحاق: أسري به ﷺ وقد فشا الإسلام بمكة. وأشبه هذه الأقوال قول الزهري وابن إسحاق. وقد أجمعوا على أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء، فكيف يكون هذا قبل أن يوحى إليه. وأما قوله في رواية شريك: وهو نائم، وفي الرواية الأخرى: بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان. فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم، ولا حجة فيه. إذ قد يكون فيه ذلك حالة أول وصول الملك إليه. وليس في الحديث ما يدل على كونه نائماً في القصة كلها. وقال محيي السنة في المعالم: والأكثرون على ذلك. قلت: ومن القليل من قال بتعداد الإسراء نوماً ويقظة، ربه

الفصل الأول

٥٨٦٢ - (١) عن قتادةَ، عن أنس بن مالكٍ، عن مالك

يجمع بين الأدلة المختلفة. قال الطيبي: وقد روينا عن البخاري والترمذي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ [الإسراء - ٦٠]. قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري بي إلى بيت المقدس[١]. وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل عن ابن عباس قال: شيء أريه النبي ﷺ في اليقظة رآه بعينه[٢]، ولأنه قد أنكرته قريش[٣] وارتدت جماعة ممن كانوا أسلموا حين سمعوه، وإنما ينكر إذا كانت في اليقظة، فإن الرؤيا لا ينكر منها ما هو أبعد من ذلك. على أن الحق أن المعراج مرتان مرة بالنوم وأخرى باليقظة. قال محيي السنة: رؤيا أراه الله قبل الوحي بدليل قول من قال: فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي قبل الهجرة بسنة تحقيقاً لرؤياه، كما أنه رأى فتح مكة في المنام سنة ست من الهجرة. ثم كان تحقيقه سنة ثمان. وعن بعض المحققين أن الأرواح مأخوذة من أنوار الكمال والجلال وهي بالنسبة إلى الأبدان بمنزلة قرص الشمس بالنسبة إلى هذا العالم، وكما أن كل جسم يصل إليه نور الشمس تتبدل ظلماته بالأضواء، فكذلك كل عضو[٤] وصل إليه[٥] نور الروح انقلب حاله من الموت إلى الحياة. وقالوا: الأرواح أربعة أقسام: الأول الأرواح المكدرة بالصفات البشرية، وهي أرواح العوام غلبته القوى الحيوانية لا تقبل العروج. والثاني الأرواح التي لها كمال القوّة النظرية باكتساب العلوم وهذه أرواح العلماء. والثالث الأرواح التي لها كمال القوّة المدبرة للبدن باكتساب الأخلاق الحميدة وهذه أرواح المرتاضين إذا كبروا قوى أبدانهم بالارتياض والمجاهدة. والرابع الأرواح الحاصلة لها كمال القوتين، وهذه غاية الأرواح البشرية وهي للأنبياء والصديقين. فلما ازداد قوة أرواحهم ازداد ارتفاع أبدانهم عن الأرض، ولهذا لما كان الأنبياء عليهم السلام قويت فيهم هذه الأرواح عرج بهم إلى السماء، وأكملهم قوّة نبينا ﷺ فعرج به إلى قاب قوسين أو أدنى.

(الفصل الأوّل)

٥٨٦٢ - (عن قتادة) تابعي جليل (عن أنس بن مالك) أي خادم رسول الله ﷺ (عن مالك

---

(١) البخاري ٨/٣٩٨ حديث رقم ٤٧٥١. والترمذي حديث رقم ٣١٣٤.

(٢) أحمد في المسند ١/٣٧٠.

(٣) في المخطوطة ذكر «عائشة» وهو خطأ واضح.

(٤) في المخطوطة «من».

(٥) في المخطوطة «إلى».

الحديث رقم ٥٨٦٢: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/٢٠١. حديث رقم ٣٨٨٧. ومسلم في صحيحه ١/١٥١ حديث رقم (٢٦٥ - ١٦٤) وأخرجه النسائي في السنن ١/٢١٧ حديث رقم ٤٤٨. وأحمد في المسند ٤/...

ابن صعصعة، أنَّ نبي الله ﷺ حدَّثهم عن ليلةِ أُسريَ به: «بينما أنا في الحَطِيم - ورُبما قال في الحِجر - مضطجعاً إذ أتاني آتٍ، فشقَّ ما بين هذِه إلى هذِه» يعني من ثُغْرةِ نحرِه إلى شِعرتِه «فاستخرجَ قلبي»

ابن صعصعة) أنصاري مزني مدني سكن البصرة، وهو قليل الحديث. (أن نبي الله ﷺ حدثهم) أي الصحابة ومنهم أنس (عن ليلة أسري به) بالإضافة وفي نسخة بالتنوين أي ليلة أسري به فيها. قال زين العرب في شرح المصابيح: إنها مضافة إلى الماضي. وفي نسخة روايتي مجرورة منونة. وقال الطيبي: يجوز بناء ليلة وإعرابها وأسري بصيغة المجهول إيماء إلى قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ [الإسراء - ١]. والإسراء من السري وهو السير في الليل. يقال: سرى وأسرى بمعنى. وقيل: أسري سار من أول الليل وسرى من آخره. قيل: وهو أقرب فالباء في به للتعدية وذكر الليل للتجريد أو للتأكيد، وفي الآية بالتنكير للتقليل والتعظيم. (بينما أنا في الحطيم) قال القاضي: قيل: هو الحجر سمي حجراً لأنه حجر عنه بحيطانه وحطيماً لأنه حطم جداره عن مساواة الكعبة، وعليه ظاهر قوله: بينما أنا في الحطيم. (وربما قال: في الحجر) فلعله ﷺ حكى لهم قصة المعراج مرات فعبر بالحطيم تارة وبالحجر أخرى. وقيل: الحطيم غير الحجر وهو ما بين المقام إلى الباب. وقيل: ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر. والراوي شك في أنه سمع في الحطيم أو في الحجر انتهى. وقال ابن حبيب: الحطيم ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام حيث ينحطم الناس للدعاء. وقيل: كان أهل الجاهلية يتحالفون هنالك وينحطمون بالأيمان، كذا ذكره الشارح الأول والله أعلم. (مضطجعاً) قيد للروايتين وهو يحتمل النوم واليقظة. (إذ أتاني آت) أي جاءني ملك (فشق) أي قطع (ما بين هذه إلى هذه يعني) تفسير[1] من مالك على ما هو الظاهر، أي يريد النبي ﷺ بقوله: هذا. (من ثغرة نحره) بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة أي نقرة نحره التي بين الترقوتين. (إلى شعرته) بكسر الشين أي عانته. وقيل: منبت شعرها. كذا في النهاية. (فاستخرج قلبي) قال شارح: وهذا الشق غير ما كان في زمن الصبا، إذ هو لإخراج مادة الهوى من قلبه، وهذا لإدخال كمال العلم والمعرفة في قلبه. قلت: وفيه إيماء إلى التخلية والتحلية ومقام الفناء والبقاء ونفي السوي وإثبات المولى كما تشير إليه الكلمة العليا. ثم اعلم أن هذا معجزة فإن من المحال العادي أن يعيش من ينشق بطنه ويستخرج قلبه، وكأن بعضهم حملوها على المعاني المجازية. ولذا قال التوربشتي: ما ذكر في الحديث من شق النحر واستخراج القلب وما يجري مجراه فإن السبيل في ذلك التسليم دون التعرض[2] بصرفه من وجه إلى وجه بتقول[3] متكلف ادعاء للتوفيق بين المنقول والمعقول، هرباً مما يتوهم أنه محال ونحن بحمد الله لا نرى العدول عن الحقيقة إلى المجاز في خبر الصادق عن الأمر لعدم المحال به على القدرة. (ثم أتيت بطست) بفتح الطاء

---

(١) في المخطوطة «نفسه».

(٢) في المخطوطة «التفويض».

(٣) في المخطوطة عبارة: «إلى وجه سفر له».

ثمّ أُتيتُ بطَسْتٍ من ذهبٍ مملوءٍ إيماناً، فغُسِل قلبي، ثمّ حُشي، ثمّ أُعيدَ ـ وفي رواية: «ثمّ غَسل البطنَ بماءِ زمزمَ، ثم مُلىءَ إيماناً وحكمةً ـ ثمّ أُتيت بدابّة دونَ البغل وفوق الحمارِ، أبيض يُقال له: البُراق، يضع خَطوه عند أقصى طرفِه، فحُملتُ عليه، فانطلق بي

وتكسر وسينه مهملة في العربية، ومعجمة في العجمية. (من ذهب) لعل الاستعمال كان قبل التحريم أو القضية من خصوصياته عليه الصلاة والسلام. (مملوء) على وزن مفعول بالهمز ويشدد (إيماناً) تمييز قال القاضي: لعله من باب التمثيل إذ تمثل له المعاني كما تمثل له أرواح الأنبياء الدارجة بالصور التي كانوا عليها قبله. الطيبي: وفيه أن الأرواح أجساد لطيفة على الصحيح من الأقوال إلا أن يقال: المراد تمثل له الأرواح بأجسادهم الفانية، ولكن فيه أن الله حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء. نعم لو قيل ببقاء أجسادهم المتعلقة بها أرواحهم في عالم الملك وبتمثلها في عالم الملكوت لكان توجيهاً وجيهاً وتنبيهاً نبيهاً. بل هو الظاهر ولا يبعد عن قدرة القاهر. وفي شرح مسلم معنى جعل الإيمان في الطست جعل شيء فيه يحصل به الإيمان فيكون مجازاً. وقد قال الشارح الأول: مانع من إرادة الحقيقة. أقول: والحاصل أن المعاني قد تتجسم كما حقق في وزن الأعمال وذبح كبش الموت ونحوهما. (فغسل قلبي ثم حشي) ماض مجهول من الحشو، أي ملىء من حب ربي (ثم أعيد) أي القلب إلى موضعه الأول على الوجه الأكمل (وفي رواية: ثم غسل البطن) أي الجوف مطلقاً أو محل القلب فإنه بيت الرب. (بماء زمزم ثم ملىء إيماناً وحكمة) أي ايقاناً واحساناً فهو تكميل وتذييل. (ثم أتيت بدابة) هي تطلق على الذكر والأنثى لقوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ [هود ـ ٦]. والتاء فيها للوحدة، فالمعنى بمركوب متوسط. (دون البغل) أصغر منه (وفوق الحمار) أي أكبر منه (أبيض) بالنصب على الحال أو الصفة (يقال له البراق) بضم أوّله سمي به لبريق لونه أو لسرعة سيره كبرق السحاب، ولا منع من الجمع وإن كان يؤيد الثاني قوله: (يضع خطوه عند أقصى طرفه) بفتح فسكون في كل منهما، أي يضع قدمه عند منتهى بصره وغاية نظره، قيل: الأصح أنه كان معداً لركوب الأنبياء. وقيل: لكل نبي براق على حدة وهو المناسب لمراتب الأصفياء. ففي شرح مسلم قالوا: هو اسم للدابة التي ركبها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء. قال الزبيدي في مختصر العين وصاحب التحرير: هي دابة كانت الأنبياء عليهم السلام يركبونها. وهذا الذي قالاه يحتاج إلى نقل صحيح. قال الطيبي: ولعلهم حسبوا ذلك من قوله في حديث آخر: فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء. أي ربطت البراق بالحلقة التي ربط بها الأنبياء. قلت: وليس فيه دلالة على تقدير تسليم تقديره لأن المراد بالبراق الجنس في الثاني. قال: وأظهر منه حديث أنس في الفصل الثاني قول جبريل للبراق: فما ركبك أحد أكرم على الله منه. قلت: هو مع ظهوره لا يخفى ما فيه من الاحتمال المانع من صحة الاستدلال، إذ يحتمل أنه ركبه بعض الملائكة أو جبريل قبله عند نزوله إليه ﷺ، أو التقدير فما ركب مثلك أو جنسك أحد أكرم على الله منه. فلا معنى لتنفرك عنه. (فحملت عليه) بصيغة المجهول أي ركبت عليه بمعاونة الملك أو بإعانة الملك، وفيه إيماء إلى صعوبته كما سيأتي وجهه. (فانطلق بي

جبريلُ حتى أتى السّماءَ الدنيا، فاستفتحَ، قيلَ: مَن هذا؟ قالَ: جبريلُ. قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: محمَّدٌ. قيلَ: وقد أُرسلَ إليه؟

جبريل حتى أتى باب السماء الدنيا) ظاهره أنه استمر على البراق حتى عرج إلى السماء وتمسك به من زعم أن المعراج كان في ليلة غير ليلة الإسراء إلى بيت المقدس. فأما المعراج فعلى غير هذه الرواية من الأخبار أنه لم يكن على البراق، بل رقي في المعراج وهو السلم كما وقع به مصرحاً ذكره العسقلاني. أقول: الأظهر أن هذا اقتصار من الراوي وإجمال لما سبق أنه ربط البراق بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، نعم يمكن أن يكون سيره على البراق إلى بيت المقدس ثم إسراؤه إلى السماء بالمعراج الذي هو السلم والله أعلم. فكأن الراوي طوى الرواية فاختل به أمر الدراية. ثم قيل: الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء إظهار الحق للمعاندين، لأنه لو عرج به عن مكة إلى السماء أولاً لم يكن سبيل إلى إيضاح الحق للمعاندين كما وقع في الإخبار بصفة بيت المقدس وما صادفه في الطريق من العير، مع ما في ذلك من حيازة فضيلة الرحيل إليه لأنه محل هجرة غالب الأنبياء، ولما روي أن باب السماء الذي يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس، فأسري إليه ليحصل العروج مستوياً من غير تعويج. ذكره السيوطي. (فاستفتح) أي طلب جبريل فتح باب السماء الدنيا (قيل: من هذا) أي المستفتح (قال: جبريل) بتقدير هو أو أنا. قال القاضي عياض: وفيه أن للسماء أبواباً حقيقة وحفظة موكلين بها، وفيه إثبات الاستئذان وأنه ينبغي أن يقول أنا زيد مثلاً. يعني لا يكتفي بقوله أنا كما هو المتعارف، إذ قد ورد به النهي. (قيل: ومن معك) أي أنت نعرفك ومن معك حتى تستفتح (قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه) الواو للعطف وحرف الاستفهام مقدر، أي أطلب وأرسل إليه بالعروج أو بالوحي، والأول أشهر وأظهر وعليه الأكثر. قال النووي: وفي رواية أخرى: وقد بعث إليه، أي بعث إليه للإسراء وصعود السماء. وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فإن ذلك لا يخفى على الملائكة إلى هذه المدة وهذا هو الصحيح. وقال البيضاوي: أي أرسل إليه للعروج. وقيل: معناه أوحي إليه وبعث نبياً، والأول أظهر لأن أمر نبوّته كان مشهوراً في الملكوت لا يكاد يخفى على خزائن السموات وحراسها وأوفق للاستفتاح والاستئذان ولذلك تكرر معه. وتحت هذه الكلمات ونظائرها أسرار يتفطن لها من فتحت بصيرته واشتعلت قريحته. قلت: ولعل مأخذها وقوفه على جميع الأبواب على دأب آداب أرباب الألباب، ثم السؤال من وراء الحجاب، وكذا الجواب بمرحباً مرحباً بذلك الجناب المشعر بالتنزل الرحماني والاستقبال الصمداني والإقبال الفرداني المشير إلى ما قال في الحديث القدسي المعبر عن الكلام النفسي: «من أتاني يمشي أتيته هرولة ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً»[1]. المومي إلى قوله سبحانه: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد - ٤]. المصرح بالمعية الخاصة في مقام مريد المزيد. ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق - ١٦]. ثم الوارد على لسانه بلسان الجمع. ﴿إن الله معنا﴾[2]. ثم عرض علو مقامه وحصول مرامه على

---

(١) أحمد في المسند ٣/ ١٣٨.

قال: نعم قيل: مرحباً به، فنعمَ المجيءُ جاء، ففُتح فلمَّا خلصتُ، فإذا فيها آدم، فقال: هذا أبوكَ آدم، فسلِّمْ عليهِ، فسلَّمتُ عليه، فردَّ السلام، ثمَّ قال: مرحباً بالابنِ الصَّالحِ والنبيِّ الصالحِ؛ ثمَّ صعِد بي حتى أتى السَّماءَ الثانيةَ، فاستفتحَ قيل: مَن هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: ومَن معَكَ؟ قال: محمَّدٌ. قيل: وقد أُرسلَ إليهِ؟ قال: نعمْ. قيل: مرحباً به، فنعمَ المجيءُ جاءَ، ففُتح. فلمَّا خلصتُ إذا يحيى وعيسى وهُما ابنا خالة قال: هذا يحيى وهذا عيسى فسلِّمْ عليهما، فسلَّمتُ فردّا، ثمَّ قالا: مرحباً بالأخِ الصَّالحِ والنبيِّ الصالحِ. ثم صعِد بي إلى السماءِ الثالثةِ، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال:

آبائه الكرام وإخوانه العظام في تلك المشاهد الفخام فيا لها من ساعة سعادة لا يتصوّر فوقها زيادة. وقيل: كان سؤالهم للاستعجاب بما أنعم الله عليه أو للاستبشار بعروجه إليه إذا كان من البين عندهم أن أحداً من البشر لا يترقى إلى أسباب السموات من غير أن يأذن الله له ويأمر ملائكته بإصعاده، فإن جبريل لم يصعد بمن لم يرسل إليه ولا يستفتح له أبواب السماء. **(قال:)** أي جبريل **(نعم)** أي أرسل إليه بالتقريب لديه والإنعام عليه **(قيل: مرحباً به)** أي أتى الله بالنبي مرحباً، أي موضعاً واسعاً. فالباء للتعدية ومرحباً مفعول به. والمعنى جاء أهلاً وسهلاً لقوله: **(فنعم المجيء)** أي مجيئه **(جاء)** فعل ماض وقع استئناف بيان زماناً أو حالاً، والمجيء فاعل نعم والمخصوص بالمدح محذوف. قال المظهر: فيه تقديم وتأخير وحذف المخصوص بالمدح، أي جاء فنعم المجيء مجيئه. وقيل: تقديره نعم المجيء الذي جاءه، فحذف الموصول واكتفى بالصلة. أو نعم المجيء مجيء جاء فحذف الموصوف واكتفى بالصفة. **(ففتح)** أي باب السماء **(فلما خلصت)** بفتح اللام أي وصلت إليها ودخلت فيها **(فإذا فيها آدم. فقال:)** أي جبريل **(هذا أبوك)** أي جدك آدم **(فسلم عليه)** قال التوربشتي: أمر بالتسليم على الأنبياء لأنه كان عابراً عليهم وكان في حكم القائم وكانوا في حكم القعود والقائم يسلم على القاعد وإن كان أفضل منهم، وكيف لا والحديث دل على أنه أعلى مرتبة وأقوى حالاً وأتم عروجاً. **(فسلمت عليه. فرد السلام)** أي رداً جميلاً وفيه دليل على أن الأنبياء أحياء حقيقة **(ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح)** قيل: وإنما اقتصر الأنبياء على هذا الوصف لأن الصلاح صفة تشمل جميع خصائل الخير وشمائل الكرم ولذا قيل: الصالح من يقوم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق عباده. ولذا ورد في الدعاء على ألسنة الأنبياء: ﴿**توفني مسلماً وألحقني بالصالحين**﴾ [يوسف ـ ١٠١]. ويمكن أن يكون المراد به الصالح لهذا المقام العالي والصعود المتعالي. **(ثم صعد بي)** بكسر العين، أي طلع بي جبريل والباء للتعدية أو المصاحبة. **(حتى أتى السماء الثانية)** وقد ورد أن بين «كل سماء وسماء مسافة خمسمائة عام»[1]. **(فاستفتح. قيل: من هذا. قال:**

---

(١) وهو قوله تعالى: ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ [التوبة. آية رقم ٤٠].

(٢) راجع الحديث رقم (٥٧٣٥).

جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمَّد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففُتح، فلمَّا خلصتُ إذا يوسف، قال: هذا يوسف، فسلم عليه، فسلمت عليه، فردَّ. ثم قال: مرحباً بالأخ الصَّالح والنبي الصَّالح؛ ثم صعِد بي حتى أتى السماء الرابعة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمَّد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء،

جبريل. قيل: ومن معك. قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه. قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء) في تكرار هذا السؤال والجواب في كل من الأبواب إشعار بأنه بسط له الزمان وطوى له المكان واتسع له اللسان وانتشر له الشأن في ذلك الآن بعون الرحمٰن. **(ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة.)** جملة معترضة محتملة أن تكون من أصل الحديث وأن تكون مدرجة من كلام الراوي. هذا وقال ابن الملك في شرح المشارق: المرئي كان أرواح الأنبياء متشكلة بصورهم التي كانوا عليها، إلاَّ عيسى فإنه مرئي بشخصه. وسبقه التوربشتي حيث قال: ورؤية الأنبياء في السموات وفي بيت المقدس حيث أبهم يحمل على رؤية روحانيتهم الممثلة بصورهم التي كانوا عليها، غير عيسى فإن رؤيته محتملة للأمرين أو أحدهما. قلت: وقد قدمنا أن الأنبياء لا يموتون كسائر الأحياء بل ينتقلون من دار الفناء إلى دار البقاء، وقد ورد به الأحاديث والأنبياء وأنهم أحياء في قبورهم فإنهم أفضل من الشهداء وهم أحياء عند ربهم[1]. **(قال:)** أي جبريل **(هذا يحيى)** قدمه لسبقه في الوجود **(وهذا عيسى)** ختم به لأنه أتم في الشهود وخاتمة أرباب الفضل والجود. **(فسلم عليهما)** أي جملة، أو على حدة. **(فسلمت فردا)** أي السلام علي بأحسن رد **(ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح)** لقوله تعالى: **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾** [الحجرات - ١٠]. ولما سبق في الحديث من أن الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد[2]. **(والنبي الصالح. ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح. قيل: من هذا. قال: جبريل. قيل: ومن معك. قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه. قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء. ففتح)** فيه إشعار بأن كلاً من الأنبياء لم يحصل لهم الاستعلاء إلا بالاستئذان الملكي والفتح الإلهي وأن كلاً منهم كالملائكة لهم مقام معلوم وحال مفهوم ولا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم والله أعلم. **(فلما خلصت إذا بيوسف. قال: هذا يوسف فسلم عليه. فسلمت عليه فرد)** أي رداً حسناً **(ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. ثم صعد بي حتى[3] أتى السماء الرابعة، فاستفتح. قيل: من هذا. قال: جبريل. قيل: ومن معك. قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه. قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء)** وهذا التكرير والبيان على وجه التكثير بعد من قيل:

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

---

(١) روى ابن عدي «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون».

(٢) راجع الحديث رقم (٥٧٢٢). (٣) في المخطوطة «ثم».

ففُتح، فلما خلصت فإذا إدريس، فقال: هذا إدريس، فسلِّم عليه، فسلَّمت عليه، فردَّ، ثم قال: مرحباً بالأخِ الصالح والنبي الصالح؛ ثم صعِد بي حتى أتى السماء الخامسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، ففُتح، فلما خلصتُ، فإذا هارون، قال: هذا هارون فسلم عليه، فسلمت عليه، فردَّ، ثم قال: مرحباً بالأخِ الصالح والنبي الصالح؛ ثم صعِد بي حتى أتى السماء السادسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قال: مرحباً به فنعم المجيء جاء، فلما خلصتُ فإذا موسى، قال: هذا موسى، فسلِّم عليه، فسلَّمت عليه، فردَّ، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما جاوزت بكى، قيل: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بُعث بعدي يدخلُ الجنةَ من أمته أكثرُ ممَّن يدخلها من أمتي.

(ففتح. فلما خلصت فإذا إدريس. فقال: هذا إدريس. فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح) قال عياض: هذا يخالف قول أهل التاريخ أن إدريس كان من آبائه ﷺ، ويحتمل أن يكون قول إدريس ذلك تلطفاً وتأدباً وهو أخ أيضاً وإن كان أباً، فإن الأنبياء إخوة كذا في شرح مسلم. **(ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح. قيل: من هذا. قال: جبريل. قيل: ومن معك. قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه. قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء. ففتح)** فيه إشعار بأنه لم يفتح باب السماء إلا لمن يكون مسبوقاً بنعت العلاء ووصف الولاء، وأما الأعداء فلا تفتح لهم أبواب السماء حتى يلج الجمل في سم الخياط. **(فلما خلصت فإذا هارون قال: هذا هارون. فسلم عليه. فسلمت عليه فرد. ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح. قيل: من هذا. قال: جبريل. قيل: ومن معك. قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه. قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء ففتح.)** فيه تنبيه نبيه على أن من منح له بفتح باب ما منع من باب آخر ولم يقع له حجاب بل يفتح له أبواب الرحمة ثم أبواب الجنة وما أحسن من قال من أرباب الحال:

على بابك الأعلى مددت يد الرجا ✽ ومن جاء هذا الباب لا يختشي الردى

(فلما خلصت إذا موسى قال: هذا موسى فسلم عليه فسلَّمت عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح. فلما جاوزت) أي موسى أو مقامي **(بكى)** أي موسى تأسفاً على أمته وشفقة على أهل ملته فإنهم قصروا في الطاعة ولم يتبعوه حق المتابعة مع طول مدته وامتداد أيام دعوته فلم ينتفعوا به انتفاع هذه الأمة بمحمد ﷺ مع قلة عمره وقصر زمانه، وبهذا يظهر وجه قوله: **(قيل له: ما يبكيك. قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي)** فإنه لم يرد بذلك استقصار شأنه، فإن الغلام قد يطلق ويراد به القوي الطري الشاب وهذا زبدة كلام التوربشتي. وقد حمله بعضهم على الغبطة وفيه نظر ظاهر

ثم صعد بي إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت، فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك إبراهيم، فسلّم عليه، فسلّمت عليه، فردّ السلام ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح،

لأهل الفطنة، اللهم إلا أن يحمل على التمني فإنه قد يتصور في أمر المحال والله أعلم بالحال. وقال بعض العلماء: لم يكن بكاء موسى عليه السلام حسداً، معاذ الله فإن الحسد في ذلك العالم منزوع من آحاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله وهو في عالم الملكوت، بل كان آسفاً على ما فاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم الملزوم لنقص أجره، لأن[1] لكل نبي مثل أجر كل من اتبعه. وأما قوله: غلام، فليس على سبيل التنقيص بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظيم كرمه، إذ أعطى لمن كان في ذلك السن ما لم يعطه أحداً قبله ممن هو أسن منه. وقال العسقلاني: ويظهر لي أن موسى عليه السلام أشار إلى ما أنعم الله به على نبينا ﷺ من استمرار القوة في الكهولة إلى أن دخل في أول الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعترى قوته نقص. قلت: ويمكن أن يكون وجه تسميته غلاماً أنه حين مروره على الأنبياء كان في مدة عمره قليل بالنسبة إلى أعمارهم في الدنيا، ثم مرور الأزمنة عليهم في حال البرزخ، وقد يعتبر كونه غلاماً لما حصل له المرتبة العلية في قليل من مدة البعثة النبوية، فإن المعراج على ما سبق إنما كان بعد الوحي بزمان قليل. إذ أقصى ما قيل فيه أنه قبل الهجرة بسنة فيصدق عليه عمر الغلام بناء على أن قبله ليس من العمر التمام والله أعلم بحقيقة المرام. (**ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل: من هذا. قال: جبريل. قيل: ومن معك قال: محمد. قيل: وقد بعث إليه. قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء**) في إطباق كلمتهم واتفاق جملتهم على هذا المدح المطلق إشعار بأن ألسنة الخلق أقلام الحق وليس هنا في الأصول لفظ ففتح، فكأنه سقط من لفظ الراوي أو اكتفاء بما سبق. ودلالة عليه بقوله: (**فلما خلصت فإذا إبراهيم. قال: هذا أبوك**) أي جدك الأقرب (**إبراهيم فسلم [عليه] فسلمت عليه فرد السلام**) وكأن نبينا عليه السلام كان في الاستغراق التام ومشاهدة المرام غافلاً عن الأنام كما أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿**ما زاغ البصر وما طغى**﴾ [النجم ـ ١٧]. حتى احتاج في كل من المقام إلى تعليم جبريل بالسلام (**ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح**) قال الحافظ السيوطي: استشكل رؤية الأنبياء في السموات مع أن أجسادهم مستقرة في قبورهم؛ وأجيب بأن أرواحهم تشكلت بصور أجسادهم أو أحضرت أجسادهم لملاقاته ﷺ تلك الليلة تشريفاً له. واختلف في حكمة اختصاص من ذكر من الأنبياء بالسماء التي لقيه. والأشهر أنه على حسب تفاوتهم في الدرجات، وعن هذا قال ابن أبي جمرة: اختصاص آدم بالأولى لأنه أول الأنبياء وأول الآباء، فكان في الأولى أولى، وعيسى بالثانية لأنه أقرب الأنبياء عهداً من نبينا ﷺ، ويليه يوسف لأن أمة محمد يدخلون الجنة

---

(١) في المخطوطة «كان».

ثم رُفعتُ إلى سدرة المنتهى، فإذا نَبِقُها مثل قِلال هجر، وإذا ورقُها مثل آذان الفِيَلة، قال: هذا سدرة المنتهى، فإذا أربعةُ أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران. قلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أمّا الباطنان فنهران في الجنة،

على صورته، وادريس في الرابعة لقوله تعالى: ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ [مريم ـ ٥٧]. والرابعة من السبع وسط معتدل، وهارون في الخامسة لقربه من أخيه، وموسى أرفع منه لفضل كلام الله تعالى، وإبراهيم فوقه لأنه أفضل الأنبياء بعد نبينا. أقول: بقي الكلام على سائر الأنبياء عليهم السلام ولعلهم كانوا موجودين في السموات بما يناسبهم من المقام ولم يذكر في كل سماء إلا واحد من المشاهير الأعلام واكتفى بذكرهم عن بقية الكرام. (ثم رفعت إلى سدرة المنتهى) وفي نسخة السيد وبعض النسخ: رفعت لي سدرة المنتهى. ويؤيده قول الآتي: ثم رفع لي البيت المعمور. وفي نسخة إليّ بتشديد الياء. قال الحافظ العسقلاني: الأكثر بضم الراء وسكون العين وضم التاء بضمير المتكلم وبعده حرف الجر. وللكشميهني: رفعت لي. بفتح العين وسكون التاء أو رفعت السدرة لي باللام، أي من أجلي. ويجمع بين الروايتين بأن المراد رفعه إليها، أي ارتقي به وأظهرت له. والرفع إلى الشيء يطلق على التقرب منه. وقال التوربشتي: الرفع تقريبك الشيء. وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وفرش مرفوعة﴾ [الواقعة ـ ٣٤]. أي مقربة لهم، فكأنه أراد أن سدرة المنتهى استبينت له بنعوتها كل الاستبانة حتى اطلع عليها كل الاطلاع بمثابة الشيء المقرب إليه، وفي معناه رفع لي البيت المعمور ورفع لي بيت المقدس. قال النووي: سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ. وحكي عن عبد الله بن مسعود أنها سميت بذلك لكونه ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تبارك وتعالى. وقال السيوطي: وإضافتها إلى المنتهى لأنها مكان ينتهي دونه أعمال العباد وعلوم الخلائق، ولا تجاوز للملائكة والرسل منها إلا النبي ﷺ وهي في السماء السابعة وأصل ساقها في السادسة. (فإذا نبقها) بكسر الموحدة ويسكن أي ثمرها من كبره الدال على كبرها. (مثل قلال هجر) بكسر القاف جمع قلة بالضم وهي إناء للعرب كالجرة الكبيرة، وهجر اسم بلد ينصرف ولا ينصرف ولما كانت الثمرة في قشرتها كالمطعوم في ظرفه ضرب مثل ثمرتها بأكبر ما كانوا يتعارفونه بينهم من الظروف، كذا ذكره شارح. وفي القاموس: هجر محركة، بلد باليمن مذكر مصروف وقد يؤنث ويمنع، وقرية كانت قرب المدينة ينسب إليها القلال، وينسب إلى هجر اليمن. (وإذا ورقها) أي أوراقها في الكبر (مثل آذان الفيلة) بكسر الفاء وفتح التحتية واللام جمع الفيل مثل الديكة [جمع الديك] والآذان بالمد جمع الأذن. (قال:) أي جبريل (هذا) أي هذا المقام أو هذا الشجر (سدرة المنتهى فإذا أربعة أنهار) أي ظاهرة. وقال شارح: إذا للمفاجأة أي فإذا أنا بأربعة أنهار. (نهران باطنان ونهران ظاهران. قلت: ما هذان) أي النوعان من الأربعة نحو قوله تعالى: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ [الحج ـ ١٩]. (يا جبريل. قال: أما الباطنان فنهران في الجنة) قال ابن الملك: يقال لأحدهما الكوثر وللآخر نهر الرحمة، كما في خبر. وإنما قال باطنان لخفاء أمرهما فلا تهتدي العقول إلى وصفهما أو لأنهما مخفيان عن أعين الناظرين فلا يريان

وأمَّا الظاهران فالنيل والفرات، ثمَّ رُفِعَ لي البيتُ المعمورُ، ثمَّ أُتيتُ بإناءٍ منْ خمرٍ وإناءٍ من لبنٍ وإناء من عسلٍ، فأخذت اللبنَ، فقال: هي الفطرةُ أنت عليها وأمَّتك، ثمَّ فُرضتْ عليَّ الصلاةُ خمسينَ صلاةً كلَّ يومٍ، فرجعتُ فمررتُ على موسى، فقال: بما أُمرتَ؟ قلتُ: أُمرتُ بخمسينَ صلاةً كلَّ يومٍ. قال: إنَّ أمتكَ لا تستطيعُ خمسينَ صلاةً كلَّ يومٍ،

حتى يصبا في الجنة. (وأما الظاهران فالنيل والفرات) قال القاضي: الحديث يدل على أن أصل سدرة المنتهى في الأرض لخروج النيل والفرات من أصلها. وقال ابن الملك: يحتمل أن يكون المراد منهما ما عرفا بين الناس ويكون ماؤهما مما يخرج من أصل السدرة وإن لم يدرك كيفيته. وأن يكون من باب الاستعارة في الاسم بأن شبههما بنهري الجنة في الهضم والعذوبة، أو من باب توافق الأسماء بأن يكون اسما نهري الجنة موافقين لأسمى نهري الدنيا. وفي شرح مسلم قال مقاتل: الباطنان هما السلسبيل والكوثر، والظاهران النيل والفرات يخرجان من أصلها ثم يسيران حيث أراد الله تعالى، ثم يخرجان من الأرض ويسيران فيها. وهذا لا يمنعه شرع[1] ولا عقل وهو ظاهر الحديث فوجب المصير إليه. (ثم رفع لي) أي قرب وأظهر لأجلي (البيت المعمور) وهو بيت في السماء السابعة حيال الكعبة وحرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض. (ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل. فأخذت اللبن) قال ابن الملك: اعلم أن اللبن لما كان ذا خلوص وبياض وأول ما يحصل به تربية المولود صور به في العالم المقدس مثل الهداية والفطرة التي يتم به القوة الروحانية، وهي الاستعداد للسعادات الأبدية أولها انقياد الشرع وآخرها الوصول إلى الله تعالى. (فقال: هي الفطرة) أنث مرجع اللبن مع أنه مذكر مراعاة للخبر. (أنت عليها وأمتك) أي عليها أو كذلك (ثم) يعني بعد وصوله إلى مقام: ﴿ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ [النجم ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠]. (فرضت علي الصلاة) وفي الحديث الآتي: على أمتي. ولا منافاة (خمسين صلاة) بتقدير أعني، وقوله: (كل يوم) أي وليلة ظرف (فرجعت فمررت على موسى) أي بعد إبراهيم فقد روى الترمذي أنه ﷺ قال: «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي. فقال: يا محمد اقرىء أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»[2]. (فقال:) أي موسى (بما أمرت من العبادة. قال: أمرت بخمسين صلاة) أي أقلها ركعتان. قال ابن الملك: وقيل: كانت كل صلاة على ركعتين، ألا ترى أن من قال علي صلاة يلزمه ركعتان. (كل يوم) يحتمل اختصاصه بالنهار، والأظهر أن المراد كل يوم وليلة لما سيأتي من قوله: خمس صلوات في كل يوم وليلة. فيكون من باب الاكتفاء للظهور والاستغناء. (قال: إن أمتك لا تستطيع) قيد بالأمة لأن قوة الأنبياء وعصمتهم تمنعهم عن المخالفة وتعينهم على الموافقة في الطاعة، ولو على أقصى غاية المشقة والطاقة. والمعنى لا تقدر أمتك عادة أو سهولة لضعفهم أو كسلهم. (خمسين صلاة) أي أداءها (كل يوم) ثم بين

---

(١) في المخطوطة «شارع».

(٢) الترمذي في السنن ٥/٤٧٦ حديث رقم ٣٤٦٢.

وإني واللهِ قدْ جرَّبتُ النَّاسَ قبلكَ، وعالجتُ بَني إسرائيلَ أشدَّ المعالجةِ، فارجعْ إلى ربِّكَ فَسَلْهُ التخفيفَ لأمَّتكَ، فرَجعتُ فوضعَ عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فأمرت بعشر صلوات كلَّ يوم، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كلَّ يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بما أُمرت؟ قلتُ: أُمرتُ بخمسِ صلواتٍ كلَّ يومٍ. قال: إنَّ أمَّتكَ لا تستطيعُ خمسَ صلواتٍ كلَّ يومٍ، وإني قدْ جرَّبتُ النَّاسَ قبلكَ، وعالجتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجةِ، فارجعْ إلى ربِّكَ فَسَلْهُ التَّخفيفَ لأمَّتكَ، قال: سألتُ ربِّي حتى استحييتُ،

عدم استطاعتهم بقوله: **(وإني [والله] قد جربت الناس)** أي زاولت ومارست الأقوياء من الناس **(قبلك)** يعني ولقيت الشدة فيما أردت منهم **(وعالجت بني إسرائيل)** أي بالخصوص **(أشد المعالجة)** أي ولم يقدروا على مثل ذلك فكيف أمتك **(فارجع إلى ربك فاسأله)** أمر من سأل مهموزاً أو مبدلاً أو منقولاً نسختان مقبولتان وقراءتان صحيحتان، أي فاطلب. **(التخفيف لأمتك فرجعت)** أي إلى ربي **(فوضع عني عشراً)** وهو خمس الأصل وسيأتي أنه وضع عنه خمساً وكأنه كان أولاً ثم صار عشراً، أو عبر عن الخمس(١) بالعشر اقتصاراً واختصاراً. **(فرجعت إلى موسى فقال مثله)** أي مثل مقالته الأولى **(فرجعت)** أي ثانياً **(فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت)** أي ثالثاً **(فوضع عني عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت)** أي رابعاً **(فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت)** أي خامساً **(فأمرت بخمس صلوات كل يوم)** أي وليلة ولعل الاكتفاء فيه للتغليب حيث أكثر الصلوات فيه أو لأن الليل تابع لما قبله كما في ليلة عرفة وليالي أيام النحر. **(فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرت. قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك)** أي أكثرهم **(لا تستطيع خمس صلوات)** أي مواظبتها ومداومتها ومحافظتها **(كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل [أشد المعالجة])** أي ولم يستطيعوا ما دون ذلك **(فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك)** قال الخطابي: مراجعة الله في باب الصلاة إنما جازت من رسولنا محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام لأنهما عرفا أن الأمر الأول غير واجب قطعاً لما صدرت منهما المراجعة فصدور المراجعة دليل على أن ذلك غير واجب قطعاً لأن ما كان واجباً قطعاً لا يقبل التخفيف ذكره الطيبي، وتبعه ابن الملك. وأقول: وما لم يكن واجباً لا يحتاج إلى سؤال التخفيف قطعاً، فالصحيح ما قيل إنه تعالى في الأول فرض خمسين ثم رحم عباده ونسخها بخمس كآية الرضاع عند بعض وعدة المتوفى عنها زوجها على قول. وفيه دليل على أنه يجوز نسخ الشيء قبل وقوعه كما قال به الأكثرون وهو الصحيح. وقالت المعتزلة وبعض العلماء لا يجوز ذكره النووي. **(قال:)** أي النبي ﷺ **(سألت ربي)** أي التخفيف **(حتى استحييت)** أي من كثرته، وفي

---

(١) في المخطوطة عبارة: «عشراً عن الخمس» والصواب ما ذكر.

ولكني أرضى وأسلِّم. قال: فلما جاوزتُ، نادى منادٍ: أمضيتُ فريضتي وخفَّفتُ عن عبادي». متفق عليه.

٥٨٦٣ ـ (٢) وعن ثابتٍ البُنانيِّ، عن أنسٍ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أُتيتُ بالبُراق، وهو دابَّة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يقع حافره عند منتهى طرفه، فركبته حتى أتيتُ بيت المقدِس، فربطتُه بالحلْقةِ التي تربِط بها الأنبياءُ».

نسخة بياء واحدة فهما لغتان، أو الثانية تخفيف للأولى بالنقل والحذف. والمعنى: فلا أرجع لطلب التخفيف وإن كان الظن في الأمة أن لا يستطيعوا دوام المحافظة. (ولكني أرضى) أي بما قضى ربي وقسم (وأسلم) أي أمري وأمرهم إلى الله وأنقاد بما حكم. قال الطيبي: فإن قلت حق لكن أن يقع بين كلامين متغايرين معنى فما وجهه ههنا. قلت: تقدير الكلام هنا حتى استحييت فلا أرجع فإني إذا رجعت كنت غير راض ولا مسلم، ولكني أرضى وأسلم انتهى. ولا يخفى أن المراجعة غير منافية للرضا والتسليم وإلا لما رضي بها موسى ونبينا عليهما أفضل الصلاة وأكمل التسليم. وتوضيحه أن سؤال العافية ودفع البلاء وطلب الرزق ودعاء النصر على الأعداء وأمثال ذلك كما صدر من الأنبياء والأولياء لا ينافي الرضا بالقضاء أبداً ولا التسليم لما في الأزل أبداً. (قال:) أي النبي ﷺ (فلما جاوزت) أي موسى وتركت المراجعة (نادى مناد) أي حاكياً كلام ربي (أمضيت فريضتي) أي أحكمتها وأنفذتها أولاً (وخففت عن عبادي) أي ثانياً وسيأتي لهذا تتمة معرفتها مهمة (متفق عليه.) ورواه النسائي.

٥٨٦٣ ـ (وعن ثابت البناني) بضم الموحدة قبل النون الأولى، تابعي من أعلام أهل البصرة وثقاتهم، اشتهر بالرواية عن أنس بن مالك وصحبه أربعين سنة وروى عنه نفر. (عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل) أي وسطاني لقوله: (فوق الحمار ودون البغل يقع حافره عند منتهى طرفه) أي نظره (فركبته حتى أتيت بيت المقدس) بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال، ويروى بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال المفتوحة. (فربطته بالحلقة) بسكون اللام ويفتح. قال النووي: هي بسكون اللام على اللغة الفصيحة المشهورة وحكي فتحها. (التي يربط) بالتذكير ويجوز تأنيثه وهو بكسر الموحدة ويضم. ففي القاموس: ربطه يربطه ويربطه شدة. وفي الصحاح ربطت الشيء أربطه وأربطه أيضاً عن الأخفش انتهى. فعلم أن الضم لغة ضعيفة ولهذا أجمع القراء على الكسر في قوله تعالى: ﴿وليربط على قلوبكم﴾ [الأنفال ـ ١١]. ثم قوله: (بها) بضمير المؤنث في جميع نسخ المشكاة وهو ظاهر. وفي شرح مسلم الحلقة التي يربط به كذا هو في الأصول بضمير المذكر أعاده على معنى الحلقة وهو الشيء، أي الذي يربط به. والمعنى بالشيء الذي يربط به. (الأنبياء) أي براقهم أو هذا البراق على خلاف تقدم، نعم لو كان المروي يربط الأنبياء بها لوقع

الحديث رقم ٥٨٦٣: أخرجه مسلم في صحيحه ١/١٤٥ حديث رقم (٢٥٩ ـ ١٦٢)، وأحمد في المسند ٥/٣٩٢.

قال: «ثمّ دخلتُ المسجد فصلّيتُ فيه ركعتين، ثم خرجتُ فجاءني جبريل بإناء من خمرٍ وإناء من لبن، فاخترتُ اللّبن، فقال جبريل: اخترت الفطرة، ثم عُرج بنا إلى السماء». وساق مثل معناه. قال: «فإذا أنا بآدمَ، فرحَّبَ بي ودعا لي بخيرٍ». وقال في السماءِ الثالثة: «فإذا أنا بيوسف، إذا هو قد أعطيَ شطرَ الحسنِ،

الاتفاق على اتحاد البراق. (قال: ثم دخلت المسجد) أي [المسجد] الأقصى وهذا المقدار من الإسراء مما أجمع عليه العلماء، وإنما خلاف المعتزلة في الإسراء إلى السماء بناء على منع الخرق والالتئام تبعاً لكلام الحكماء اللئام. (فصليت فيه ركعتين) أي تحية المسجد، والظاهر أن هذه هي الصلاة التي اقتدى به الأنبياء وصار فيها إمام الأصفياء. (ثم خرجت) أي من المسجد (فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن) ولعل ترك العمل من اقتصار الراوي (فاخترت اللبن) أي لما سبق (فقال جبريل: اخترت الفطرة) أي التي فطر الناس عليها وهو الدين القيم، كما قال تعالى[1] وأشار إليه ﷺ بقوله: «كل مولود يولد على الفطرة»[2]. انتقالاً مما يفطر به المولود ويغذى من اللبن المعهود (ثم عرج) بفتح العين والراء على ما ذكره النووي وتبعه السيوطي. فالفاعل جبريل أو الرب الجليل لقوله: (بنا) أي بي وبجبريل ويمكن أن يكون قوله: بنا، بناء على التعظيم وفي نسخة بصيغة المجهول أي صعد بنا. (إلى السماء وساق) أي وذكر ثابت الحديث عن أنس. (مثل معناه) أي نحو معنى الحديث السابق برواية قتادة عن أنس. (قال:) أي النبي ﷺ أو ثابت أو أنس مرفوعاً (فإذا أنا بآدم فرحب بي) أي قال لي بعد رد سلامي: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح. (ودعا لي بخير) يحتمل أن يكون بياناً لقوله: فنعم المجيء جاء. وأن يكون غيره غير مبين. (وقال في السماء الثالثة: فإذا أنا بيوسف إذا هو) بدل من الأول في معنى بدل الاشتمال. (قد أعطي شطر الحسن) قال المظهر: أي نصف الحسن. أقول: وهو يحتمل أن يكون المعنى نصف جنس الحسن مطلقاً أو نصف حسن جميع أهل زمانه. وقيل: بعضه لأن الشطر كما يراد به نصف الشيء قد يراد به بعضه مطلقاً. أقول: لكنه لا يلائمه مقام المدح وإن اقتصر عليه بعض الشراح، اللهم إلا أن يراد به بعض زائد على حسن غيره، وهو إما مطلق فيحمل على زيادة الحسن الصوري دون الملاحة المعنوية لئلا يشكل نبينا ﷺ، وإما مقيد بنسبة أهل زمانه وهو الأظهر. وكأن الطيبي [رحمه الله] أراد هذا المعنى لكنه أغرب في المبنى حيث عبر عنه بقوله: وقد يراد به الجهة أيضاً نحو قوله تعالى: ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ [البقرة - ١٤٤]. أي إلى جهة من الحسن ومسحة منه كما يقال: على وجهه [مسحة ملك] ومسحة جمال، أي أثر ظاهر. ولا يقال ذلك إلا في المدح. اهـ. وغرابته مما لا تخفى على ذوي النهى هذا وقد قال بعض الحفاظ من المتأخرين

---

(١) وهو قوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [الروم. آية رقم ٣٠].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ٢٤٥ حديث رقم ١٣٨٥.

فرحّب بي ودعا لي بخير». ولم يذكر بكاء موسى وقال في السماء السابعة: «فإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى البيتِ المعمور، وإذا هو يدخله كلَّ يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى، فإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشِيَ تغيرتْ، فما أحدٌ من خلق الله يستطيعُ أن ينعتها من حسنها، وأوحى إليَّ ما أوحى، ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلْتُ إلى موسى،

وهو من مشايخنا المعتبرين أنه ﷺ كان أحسن من يوسف عليه السلام إذ لم ينقل أن صورته كان يقع من ضوئها على الجدران ما يصير كالمرآة يحكي ما يقابله، وقد حكي ذلك عن صورة نبينا ﷺ لكن الله تعالى ستر عن أصحابه كثيراً من ذلك الجمال الباهر فإنه لو برز لهم لم يطيقوا النظر إليه كما قاله بعض المحققين. وأما جمال يوسف عليه السلام فلم يستر منه شيء. اهـ. وهو يؤيد ما قدمناه من أن زيادة الحسن الصوري ليوسف عليه [الصلاة] والسلام، كما أن زيادة الحسن المعنوي لنبينا ﷺ مع الاشتراك في أصل الحسن، على أنه قد يقال المعنى أنه أعطي شطر حسني. (**فرحب بي ودعا لي بخير ولم يذكر**[1]) أي ثابت عن أنس في هذا الحديث (**بكاء موسى. وقال في السماء السابعة:**) أي زيادة على ما سبق (**فإذا أنا بإبراهيم مسنداً**) بكسر النون منصوباً على الحال في جميع نسخ المشكاة مطابقاً لما في صحيح مسلم وشرحه وشرح السنة، وفي المصابيح مرفوع على حذف المبتدأ وقوله: (**ظهره**) منصوب على المفعولية لكلتا النسختين وقوله: (**إلى البيت المعمور**) متعلق بالمسند (**وإذا هو**) أي البيت المعمور (**يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه**) أي إلى البيت المعمور. قال الطيبي: الضمير المجرور فيه عائد إلى البيت المعمور، أي يدخلون فيه ذاهبين غير عائدين إليه أبداً لكثرتهم. (**ثم ذهب بي**) بصيغة الفاعل وفي نسخة للمفعول، أي انطلق بي. (**إلى السدرة المنتهى**) هكذا وقع في الأصول السدرة بالألف واللام، وفي الروايات بعد هذا سدرة المنتهى كذا في شرح مسلم. (**فإذا أورقها كآذان الفيلة وإذا أثمرها كالقلال فلما غشيها**) أي السدرة وهو بكسر الشين المعجمة وفتح التحتية، أي جاءها ونزل عليها. (**من أمر الله**) بيانية مقدمة أو تعليلية معترضة (**ما غشي**) أي غشيها إيماء إلى قوله تعالى: ﴿**فغشاها ما غشى**﴾ [النجم ـ ٥٤]. فقيل: أنوار أجنحة الملائكة. وقيل: فراش الذهب. قال القاضي: ولعله مثل ما يغشي الأنوار التي تنبعث منها ويتساقط على مواقعها بالفراش وجعلها من الذهب لصفائها وإضاءتها في نفسها، أو ألوان لا يدري ما هي وهو الأظهر. (**تغيرت**) أي السدرة عن حالتها الأولى إلى مرتبتها الأعلى وهو جواب لما (**فما أحد من خلق الله**) أي من مخلوقاته وسكان أرضه وسمواته (**يستطيع أن ينعتها**) بفتح العين أي يصفها (**من حسنها**) تعليلية أي من كمال جمالها وعظمة جلالها. (**وأوحى إليّ ما أوحى**) في إبهام الموصولة أو الموصوفة إيماء إلى تعظيم الموحى وأنه من قبيل ما لا يحكى ولا يروى. (**ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم [وليلة] فنزلت إلى موسى**) أي منتهياً إليه

---

(١) في المخطوطة «لم يخير».

فقال: ما فَرَضَ ربُّك على أُمّتك؟ قلت: خمسين صلاةً في كلِّ يومٍ وليلةٍ. قال: ارجعْ إلى ربِّك فَسَلْهُ التخفيف، فإنَّ أُمّتك لا تطيق ذلك، فإني بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: «فرجعتُ إلى ربي، فقلت: يا ربِّ! خفِّف على أُمّتي، فحطَّ عني خمساً، فرجعتُ إلى موسى، فقلت: حطَّ عني خمساً. قال: إن أُمّتك لا تطيق ذلك، فارجعْ إلى ربِّك فَسَلْهُ التخفيف». قال: «فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى، حتى قال: يا محمَّد! إنهن خمسُ صلوات كلَّ يومٍ وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، من همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كُتِبَ له حسنةً،

(فقال: ما فرض ربك على أمتك، قلت: خمسين صلاة) وزيد في نسخة صحيحة: في كل يوم وليلة. (قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك فإني بلوت) أي جربت (بني إسرائيل وخبرتهم) أي اختبرتهم وامتحنتهم (قال: فرجعت إلى ربي. فقلت: يا رب خفف على أمتي) [أي عنهم] وعدل [إلى علي] لتضمين التهوين (فحط عني) أي فوضع عن جهتي ولأجلي عن أمتي (خمساً[1]) أي خمس صلوات. ولعل التقدير خمساً فخمساً فيوافق رواية عشراً، والأظهر [أن] رواية عشراً اقتصار من رواية خمساً. ويؤيده قوله: (فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمساً. قال: إن أمتك لا تطيق ذلك) أي المقدار الباقي أيضاً (فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف [قال:] فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى) قال النووي: معناه بين الموضع الذي ناجيته أوّلاً فناجيته ثانياً وبين موضع ملاقاة موسى أوّلاً (حتى قال:) أي سبحانه وتعالى (يا محمد إنهن خمس صلوات) أي محتمة (كل يوم وليلة) قال الطيبي: الضمير فيه مبهم يفسره الخبر كقوله:

* هي النفس ما حملتها تتحمل *

(لكل صلاة) أي حقيقة واختياراً (عشر) أي ثواب عشر صلوات أي حكماً واعتباراً (فذلك) أي فمجموع ما ذكر (خمسون صلاة) ثم استأنف بيان قضية أخرى وعطية أخرى متضمنة لهذه الجزئية المندرجة في القاعدة الكلية حيث قال: (من هم بحسنة) أي عزم على فعلها (فلم يعملها) لمانع شرعي أو عذر عرفي (كتبت) بصيغة المجهول، أي كتب له هم الحسنة. والتأنيث من إضافته إلى الحسنة ومن قبيل حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه. (له) أي لعاملها (حسنة) بالنصب أي ثواب حسنة واحدة. قال الطيبي: كتبت مبني على المفعول والضمير فيه راجع إلى قوله: بحسنة. وحسنة وضعت موضع المصدر أي كتبت الحسنة كتابة واحدة وكذا عشراً وكذا شيئاً منصوبان على المصدر على ما في جامع الأصول وشرح السنة. وفي بعض نسخ المصابيح حسنة وعشر مرفوعان وهو غلط من الناسخ. أقول: لعله من جهة الرواية، وأما من طريق الدراية فله وجه في الجملة وهو أن يكون قوله: كتبت له

---

(١) في المخطوطة «بياض» والكلمة من نص الحديث.

فإن عملها كُتبتْ له عشراً، ومن همَّ بسيِّئةٍ فلم يعملها لم تكتبْ له شيئاً، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة». قال: «فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى فأخبرته فقال: ارجعْ إلى ربك فَسَلْهُ التخفيف» فقال رسول الله ﷺ: «فقلت: قد رجعتُ إلى ربي حتى استحييْتُ منه». رواه مسلم.

٥٨٦٤ ـ (٣) وعن ابن شهاب، عن أنسٍ، قال: كانَ أبو ذرٍّ يحدِّثُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «فُرِجَ عني سقفُ بيتي،

جملة مستقلة مجملة. وقوله: حسنة بتقدير هي جملة مبينة مفصلة. (فإن عملها) أي بعد ما هم بها واهتم بشأنها (كتبت) أي تلك الحسنة المهمومة المعمولة (له عشراً) أي ثواب عشر حسنات لإنضمام قصد القلب إلى مباشرة عمل القالب كقوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام ـ ١٦٠]. وهذا أقل التضاعف في غير الحرم المحترم (ومن هم بسيئة) أي ولم يصمم على فعلها (فلم يعملها) أي فتركها من غير باعث أو لسبب مباح بخلاف ما إذا تركها لله (لم تكتب) أي تلك السيئة الموصوفة (له شيئاً) أما لو تركها وقد عزم على عملها فإن تركها لله فلا شك أنها تكتب له حسنة. وإن تركها الغرض فاسد فتكتب له سيئة على ما بينه حجة الإسلام في الأحياء وصرح به كثير من العلماء. (فإن عملها كتبت) أي له كما في نسخة صحيحة (سيئة واحدة) لأن السيئة لا تتضاعف بحسب الكمية. كما قال تعالى: ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ [الأنعام ـ ١٦٠]. إشارة إلى أن هذا عدل كما أن التضاعف فضل (قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته. فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فقال رسول الله ﷺ فقلت: قد رجعت إلى ربي) أي وراجعته في أمر أمتي (حتى استحييت منه. رواه مسلم).

٥٨٦٤ ـ (وعن ابن شهاب) أي الزهري وهو أحد الفقهاء والمحدثين والعلماء الأعلام من التابعين بالمدينة المشار إليه في فنون علوم الشريعة سمع نفراً من الصحابة وروى عنه خلق كثير منهم قتادة ومالك بن أنس (عن أنس قال: كان أبو ذر) أي الغفاري من أعلام الصحابة وزهادهم والمهاجرين. أسلم قديماً بمكة ويقال كان خامساً في الإسلام وكان يتعبد قبل مبعث النبي ﷺ روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين ذكره المؤلف. (يحدث أن رسول الله ﷺ قال: فرج) بضم فاء وتخفيف راء وتشدد من الفرج والتفريج بمعنى الشق والكشف أي أزيل (عني سقف بيتي) قال الطيبي: فإن قيل قد روى أنس في حديث المعراج عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ: بينما أنا في الحطيم أو في الحجر[1]. وفي هذا الحديث قال: فرج عني سقف بيتي. قلنا: كان لرسول الله ﷺ معراجان أحدهما حال اليقظة على ما رواه مالك والثاني في النوم، ولعله ﷺ أراد ببيتي بيت أم هانيء إذ روي أيضاً الإسراء منه فأضافه إلى نفسه

الحديث رقم ٥٨٦٤: أخرجه البخاري ١/ ٤٥٨. حديث رقم ٣٤٩. ومسلم في صحيحه ١/ ١٤٨ حديث رقم (٢٦٣ ـ ١٦٣). وأحمد في المسند ٥/ ١٢٢.

(١) راجع الحديث رقم (٥٨٦٢).

وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرجَ صدري، ثم غسله بماءِ زمزم، ثم جاء بِطَسْتٍ من ذهب ممتلىءٍ حكمةً وإيماناً، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي. فعرج بي إلى السماءِ، فلما جئتُ إلى السَّماء الدُّنيا. قال جبريل لخازن السماء: افتح. قال: من هذا؟ قال: جبريل قال: هل معك أحد؟ قال: نعم معي محمَّد ﷺ. فقال: أُرسل إليه؟ قال: نعم، فلما فُتح عَلَوْنَا السماء الدُّنيا، إذا رجلٌ قاعدٌ، على يمينه أَسْوِدَةٌ، وعلى يساره أَسْوِدَةٌ إذا نظر قِبَلَ يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَل شماله بكى فقال مرحباً بالنبي الصَّالح والابن الصَّالح. قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، [و] هذه الأَسْوِدَةُ عن يمينه وعن شماله نَسَم بنيه، فأهلُ اليمين منهم أهلُ الجنّة، والأَسْوِدَةُ التي عن شماله أهلُ النار، فإذا نظر عن

تارة لأنه ساكنة وإليها أخرى لأنها صاحبته. وقال بعض المحققين: الجمع بين الأقوال الواردة في هذه المواضع أنه ﷺ نام عند بيت أم هانيء وبيتها عند شعب أبي طالب ففرج سقف بيتها. وأضاف البيت إلى نفسه لكونه يسكنه فنزل فيه الملك فأخرجه من البيت إلى المسجد وكان مضطجعاً وبه أثر النعاس، ثم أخرجه من الحطيم إلى باب المسجد فأركبه البراق. ثم قوله: (وأنا بمكة) جملة حالية للإشعار بأن القضية مكية لا مدنية. **(فنزل جبريل ففرج صدري)** أي شقه **(ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيماناً فأفرغه)** أي صب ما في الطست **(في صدري ثم أطبقه)** أي غطى صدري ولأم شقه. **(ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فلما جئت)** أي وصلت **(إلى السماء الدنيا. قال جبريل لخازن السماء: افتح. قال: من هذا. قال: جبريل. قال: هل معك أحد. قال: نعم محمد. فقال: أرسل إليه. قال: نعم. فلما فتح)** وفي نسخة بصيغة المجهول **(علونا السماء الدنيا)** أي طلعناها **(إذا رجل قاعد على يمينه أسودة)** جمع سواد كأزمنة جمع زمان بمعنى الشخص لأنه يرى أنه أسود من بعيد، أي أشخاص من أولاده. **(وعلى يساره أسودة إذا)** وفي نسخة صحيحة فإذا **(نظر قبل يمينه)** بكسر القاف وفتح الموحدة جانب أيمنه. **(ضحك)** أي لما يرى مما يدل على سروره ويمنه. **(وإذا نظر قبل شماله بكى)** أي لما يشاهد مما يشعر بشروره وشؤمه **(فقال:)** أي بعد السلام ورده **(مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح. قلت لجبريل: من هذا قيل)** ظاهره أنه سأل النبي ﷺ بعد أن قال له آدم مرحباً. ورواية مالك بن صعصعة بعكس ذلك وهي المعتمدة فتحمل هذه عليها إذ ليس في هذه أداة تمثيل. أقول: الأظهر أن المشار إليه بهذا في السؤال إنما هو الأسودة. وأعيد ذكر آدم في الجواب ليعطف عليه مقصود الخطاب، فصح كلام الراوي. **(قال:)** أي جبريل **(هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وشماله)** وفي نسخة صحيحة: وعن شماله. **(نسم بنيه)** بفتح النون والسين جمع نسمة، وهي الروح أو النفس مأخوذ من النسم وهو النفس ومنه نسيم الصبا، أي أرواح أولاده السابقين، أو مع شمول اللاحقين. وذكر البنين للتغليب كما في قوله تعالى: ﴿يا بني آدم﴾ [الأعراف - ٢٦ - ٢٧ - ٣١ - ٣٥، يس - ٦٠]. **(فأهل اليمين)** أي الأسودة التي عن يمينه **(منهم)** أي من جملة جميع الأسودة **(أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار. فإذا نظر عن**

يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَلَ شماله بكى، حتى عَرَجَ بي إلى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح، فقال له خازنها مِثْلَ ما قالَ الأوَّلُ». قال أنس: فَذَكَرَ أنَّه وجد في السماوات آدمَ، وإدريس، وموسى، وعيسى، وإبراهيم، ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنَّه ذكر أنَّه وجد آدم في السماء الدُّنيا، وإبراهيم في السماءِ السادسة. قال ابن شهاب: فأخبرني ابنُ حزمٍ أن ابن عباس وأبا حبَّة الأنصاري كانا يقولان، قال النبي ﷺ: «ثم عُرِج بي، حتى ظهرت

يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله) وفي نسخة صحيحة: وإذا نظر عن شماله. (بكى) قال القاضي: قد جاء أن أرواح الكفار محبوسة في سجين، وأرواح الأبرار منعمة في عليين، فكيف تكون مجتمعة في السماء. وأجيب بأنه يحتمل أنها تعرض على آدم أوقاتاً فصادف وقت عرضها مرور النبي ﷺ، وبأن الجنة كانت في جهة يمين آدم والنار في جهة شماله وكان يكشف له عنهما. ويحتمل أن النسم المرئية هي التي لم تدخل الأجساد بعد، وهي مخلوقة قبل الأجساد ومستقرها عن يمين آدم وشماله، وقد أعلم بما سيصيرون إليه. فقوله: نسم بنيه. عام مخصوص والله أعلم. (حتى عرج بي) ضبط للفاعل وقيل للمفعول، والمعنى عرج بي جبريل. (إلى السماء الثانية) وفي جامع الأصول: هكذا ثم عرج بي جبريل إلى السماء الثانية. (فقال لخازنها: افتح. فقال له خازنها مثل ما قال الأول) أي مثل مقول الخازن السابق (قال أنس: فذكر) أي النبي ﷺ، أو أبو ذر مرفوعاً وهو الأظهر. (أنه) أي النبي عليه الصلاة والسلام (وجد في السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم) الظاهر وجود هارون ويحيى ويوسف ويحتمل إسقاطهم من الرواية. (ولم يثبت) بكسر الموحدة من الإثبات، أي لم يبين أبو ذر أو النبي ﷺ (كيف منازلهم. غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا) هذا لا خلاف فيه (وإبراهيم في السماء السادسة) هذا موافق لرواية شريك عن أنس. والثابت في جميع الروايات غيرها وهو أنه في السابعة. فإن قلنا بتعدد المعراج فلا إشكال، وإلا فالأرجح رواية الجماعة لقوله فيها إنه رآه مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وهو في السابعة بلا خلاف، ولأنه قال هنا إنه لم يثبت كيف منازلهم. فرواية من أثبت أرجح. (قال ابن شهاب:) أي الزهري (فأخبرني ابن حزم) بفتح الحاء وسكون الزاي. قال المؤلف: هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، روى عن أبي حبة وابن عباس وعنه الزهري ثم أبوه وجده أيضاً من الصحابة حيث قال المؤلف: أبوه أنصاري ولد في عهد رسول الله ﷺ سنة عشر بنجران وكان أبوه عامل النبي ﷺ على نجران وكان محمد فقيهاً. روى عن أبيه وعن عمرو بن العاص وعنه جماعة. قتل يوم الحرة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وذلك سنة ثلاث وستين. (أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري) بفتح الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة كذا في شرح السنة، وفي المصابيح بالياء. قال النووي: هو بالحاء المهملة والباء الموحدة هكذا ضبطناه هنا وفي ضبطه واسمه اختلاف. قيل حية بالياء المثناة تحت. وقيل بالنون. والأصح ما ذكرناه. وقد اختلف في اسمه فقيل: عامر، وقيل: مالك، وقيل: ثابت. وقال المؤلف: هو ثابت بن النعمان الأنصاري البدري وفي كنيته واسمه خلاف كثير ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدراً فذكره بكنيته ولم يسمه، وحبة بتشديد الموحدة هو الأكثر، قتل يوم أحد. (كانا يقولان: قال النبي ﷺ: عرج بي حتى ظهرت) أي علوت

لمستوىً أسمع فيه صريف الأقلام» وقال ابن حزم وأنس: قال النبي ﷺ: «ففرض الله على أمّتي خمسين صلاة فرجعت بذلك، حتى مررت على موسى فقال: ما فرض الله لك على أمّتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة. قال: فارجعْ إلى ربّك، فإن أمّتكَ لا تطيق؛ فراجعت، فوضع شطرها، فرجعتُ إلى موسى، فقلت: وضع شطرها، فقال: راجعْ ربّك فإنْ أمّتك لا تطيق ذلك، فرجعت فراجعت. فوضع شطرها د فرجعت إليه، فقال: ارجع إلى ربك فإن أمّتك لا تطيق ذلك، فراجعت؛

(لمستوى) بفتح الواو منوناً وهو المستقر وموضع الاستعلاء، من استوى الشيء استعلاء. وثبوت الياء بعد الواو يدل على أنه صيغة اسم المفعول واللام فيه للعلة. أي علوت لاستعلاء مستوى أو لرؤيته أو لمطالعته. ويحتمل أن يكون متعلقاً بالمصدر، أي ظهرت ظهور المستوى، ويحتمل أن يكون بمعنى إلى. قال تعالى: ﴿أوحى لها﴾ [الزلزلة ـ ٥]. أي إليها، وقيل: بمعنى علي. (أسمع فيه) أي في ذلك المكان أو في ذلك المقام. (صريف الأقلام) أي صوتها عند الكتابة. وقيل: هو ههنا عبارة عن الاطلاع على جريانها بالمقادير، والأصل فيه صوت البكرة عند الاستقاء. يقال: صرفت البكرة تصرف صريفاً. والمعنى: إني أقمت مقاماً بلغت فيه من رفعة المحل إلى حيث اطلعت على الكوائن وظهر لي ما يراد من أمر الله وتدبيره في خلقه، وهذا والله هو المنتهى الذي لا تقدم فيه لأحد عليه كذا حققه بعض الشارحين من علمائنا. وقال النووي: المستوى بفتح الواو. وقال الخطابي: المراد به المصعد، وقيل: المكان المستوي. وصريف الأقلام بالصاد المهملة صوت ما يكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ أو ما شاء الله تعالى من ذلك أن يكتب ويرفع لما أراد الله من أمره وتدبيره. قال القاضي عياض: هذا حجة لمذهب أهل السنة في الإيمان بصحة كتابة الوحي والمقادير في كتب الله تعالى من اللوح المحفوظ بالأقلام التي هو تعالى يعلم كيفيتها على ما جاءت به الآيات، لكن كيفية ذلك وصورته منا لا يعلم إلا الله تعالى وما يتأول هذا ويحيله عن ظاهره إلا ضعيف النظر والإيمان إذ جاءت به الشريعة ودلائل العقول لا تحيله. (**وقال ابن حزم وأنس:**) عطف على فأخبرني، فهو من مقول ابن شهاب الزهري. (**قال النبي ﷺ: ففرض الله على أمتي**) وهو لا ينافي ما سبق من قوله: ففرض عليّ. (**خمسين صلاة فرجعت بذلك**) أي آخذاً به وقاصداً لعمله (**حتى مررت على موسى. فقال: ما فرض الله**) ما استفهامية وقوله: (**لك**) أي لأجلك (**على أمتك. قلت: فرض خمسين صلاة. قال: فارجع إلى ربك**) أي فسله التخفيف (**فإن أمتك لا تطيق**) أي هذا الحمل الثقيل (**فراجعني**) بمعنى رجعني أي ردني موسى، يعني صار سبباً لرجوعي إلى ربي. (**فوضع**) أي الله (**شطرها**) أي بعض الخمسين وهو الخمس الذي هو العشر أو العشر الذي هو الخمس على خلاف تقدم (**فرجعت إلى موسى فقلت: وضع شطرها. فقال: راجع ربك**) أي ارجع إليه للمراجعة (**فإن أمتك لا تطيق**) أي ذلك كما في نسخة (**فرجعت**) أي إلى مكاني الأول (**فراجعت**) أي فرادت الكلام وطالبت المرام مبالغاً في ذلك المقام، فإن المفاعلة إذا لم تكن للمغالبة فهي للمبالغة. (**فوضع شطرها فرجعت إليه**) أي إلى موسى (**فقال: ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك.**) أي ما قدر هنالك (**فراجعته**) وفي

فقال: هي خَمْسٌ وهي خمسون، لا يبدَّل القول لديَّ، فرجعتُ إلى موسى فقال: راجع ربَّك. فقلت: اسْتَحْيَيْتُ من ربي، ثم انطلق بي حتى انتهي بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي؛ ثم أُدخِلتُ الجنّة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك». متفق عليه.

٥٨٦٥ ـ (٤) وعن عبدِ الله، قال: لمّا أُسري برسول الله ﷺ انتُهيَ به إلى سدرة المنتهى، وهي في السّماءِ السادسةِ،

نسخة: فراجعت، أي ربي (فقال:) أي في الأخرة على ما في المصابيح، والمعنى. فقال للنبي ﷺ في آخر المراجعات. (هي) وفي نسخة: هن. (خمس) أي خمس صلوات في الأداء (وهي خمسون) أي صلاة في الثواب والجزاء (لا يبدل القول لدي) يحتمل أن يراد أني ساويت بين الخمس والخمسين في الثواب، وهذا القول غير مبدل، أو جعلت الخمسين خمساً ولا تبديل فيه. قال الطيبي: وقوله: استحييت من ربي. لا يناسب هذا المعنى. قلت: لا ينافيه بل يناسبه إذا حمل على ما قيل وجود العلم[1] بعدم التبديل. (فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك فقلت: استحييت من ربي) أي حين قال لي: لا يبدل القول لدي. مع أنه لا مانع من تعدد المانع. (ثم انطلق بي حتى انتهى بي) بصيغة المجهول فيهما، والمعنى: ثم ذهب بي حتى وصل بي. (إلى سدرة المنتهى وغشيها) بالتخفيف أي والحال أنه غشيها (ألوان) أي من الأنوار أو أصناف من أجنحة الملائكة أو غيرها. (لا أدري) أي الآن أو في ذلك الزمان لتوجه نظره إلى المكمون دون المكان. (ما هي) أي حقيقة ما هي في ذلك المكان والزمان. (ثم أدخلت الجنة فإذا) [للمفاجأة] (فيها جنابذ اللؤلؤ) بفتح الجيم وكسر الموحدة والذال المعجمة، جمع جنبذة بضم الجيم والباء، وهي ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة. [و] قول العامة أن الجنبذة بفتح الباء معرب كنبذة. (وإذا ترابها المسك) وهو أطيب الطيب. وفي الخبر: «أنه يفوح ريح الجنة مسيرة خمسمائة عام»[2]. (متفق عليه).

٥٨٦٥ ـ (وعن عبد الله) أي ابن مسعود رضي الله عنه (قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهي به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة) قال شارح: وهم بعض الرواة في السادسة، والصواب في السابعة على ما هو المشهور بين الجمهور من الرواة. اهـ. والمعنى أن إضافة السهو إلى واحد منهم أولى ولأنه ورد أن علم الخلائق ينتهي إليها وليس كذلك في السادسة على ما لا يخفى. وقال النووي: هكذا هو في جميع الأصول. قال القاضي: كونها في السابعة هو الأصح قول الأكثرين وهو الذي يقتضيه المعنى وتسميتها بالمنتهى. قال النووي: ويمكن أن يجمع بينهما فيكون أصلها في السادسة ومعظمها في السابعة، فقد علم أنها

---

(١) في المخطوطة «العالم».

(٢) مالك في الموطأ ٢/ ٩١٣ حديث رقم ٧ من كتاب اللباس.

الحديث رقم ٥٨٦٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٣٧٤، حديث رقم ٣٣٤٢. ومسلم في صحيحه ١/ ١٥٧ حديث رقم (٢٧٩ . ١٧٣). وأحمد في المسند ١/ ٣٨٧.

إليها ينتهي ما يُعرجُ به من الأرضِ فيُقبَضُ منها، وإليها ينتهي ما يُهبطُ به من فوقِها فيُقبضُ منها، قال: ﴿إذ يغشى السِّدرَةَ ما يغشى﴾. قال: فراشٌ من ذهب، قال: فأعطيَ رسولُ الله ﷺ ثلاثاً: أُعطيَ الصلواتِ الخمسَ، وأُعطيَ خواتيمَ سورة البقرةِ،

في نهاية من العظم. وقد قال الخليل: السدرة في [السماء] السابعة قد أظلت السموات والجنة. وقد ذكر القاضي عياض أن مقتضى خروج النهرين الظاهرين النيل والفرات من أصل المنتهى أن يكون أصلها في الأرض فإن سلم له هذا أمكن حمله على ما ذكرناه. (إليها) أي إلى السدرة (ينتهي ما يعرج به من الأرض) أي ما يصعد به من الأعمال والأرواح الكائنة في الجهة السفلى (فيقبض منها) بصيغة المجهول فيه وفيما بعده، ويحتمل تعدد القابض واتحاده فيهما (وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها) أي من الوحي والأحكام النازلة من الجهة العليا (فيقبض منها قال:) أي قرأ ابن مسعود أو قال الله تعالى: (إذ يغشى السدرة ما يغشى. قال:) أي ابن مسعود في تفسير قوله: ما يغشى (فراش) أي هو فراش (من ذهب) يحتمل أن يكون مرفوعاً أو في حكم المرفوع. قال الطيبي: فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا وبين قوله في غير هذا الحديث: فغشيها ألوان لا أدري ما هي. قلت: قوله: غشيها ألوان لا أدري ما هي. في موقع قوله: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ [النجم ـ ١٦]. في إرادة الإبهام والتهويل وإن كان معلوماً كما في قوله تعالى: ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ [طه ـ ٧٨]. في حق فرعون. ثم قوله هنا: فراش من ذهب. بيان له. أقول: الأظهر والله أعلم أن ما يغشى أشياء كثيرة لا تحصى ومما لا يمكن أن يحاط بها ويستقصى، لأن [نفس] السدرة إذا كانت هي المنتهى فكيف يكون إحاطة العلم بما فوقها مما يغشى. وهو لا ينافي ذكر بعض ما رأى ورؤي، وبه يجمع بين سائر الروايات والأقوال. فقيل: يغشاهم جم غفير من الملائكة. وروي أنه ﷺ قال: «رأيت على كافة ورقة ملكاً قائماً يسبح». وقيل: فرق من الطير الخضر[1] وهي أرواح الأنبياء. وقيل غير ذلك. على أن في قوله: لا أدري. إشارة إلى أنها لا تشبه الأعيان المشهودة المستحقرة في النفوس الموجودة. فينعت لهم بذكر نظائرها. ثم اعلم أن الفراش بالفتح طير معروف ومنه قوله تعالى: ﴿[يوم يكون الناس] كالفراش المبثوث﴾ [القارعة ـ ٤]. وقد قال شارح: الفراش ما تراه كصغار البق يتهافت ويتساقط في النار. وقيل: يحتمل أن يكون المراد بالفراش أرواح الأنبياء، وهذا لا ينافي قوله في غير هذا الحديث: «فغشيها ألوان لا أدري ما هي»، لجواز أن يكون هذا أيضاً مما غشيها. اهـ. وتبيين البون البين بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾. حيث إنه وقع[2] الإبهام هنا لتعظيمه والعجز عن إحاطته وفي قضية فرعون إشارة إلى معلوميته وحقارته. (قال:) أي ابن مسعود (فأعطي رسول الله ﷺ) أي تلك الليلة أو في ذلك المقام والحالة (ثلاثاً) أي لها على ما عداها مزية كاملة (أعطي الصلوات الخمس) أي فرضيتها (وأعطي خواتيم سورة البقرة) أي إجابة دعواتها. فإن قلت: هذا بظاهره ينافي ما ثبت في صحيح مسلم وغيره من حديث ابن عباس: «بينا جبريل

---

(١) في المخطوطة «الخضير». (٢) في المخطوطة «أوقع».

وغُفِر لمن لا يشرِكُ باللّهِ من أُمته شيئاً المقحِمات.

قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه أي صوتاً فرفع رأسه فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: «أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته»[1]. قلت: لا منافاة فإن الإعطاء كان في السماء من جملة ما أوحى إلى عبده ما أوحى بقرينة إعطاء الصلوات الخمس في المقام الأعلى ونزول الملك المعظم لتعظيم ما أعطي. وبشارة ما خص به من بين سائر الأنبياء. نعم يشكل هذا بكون سورة البقرة مدنية وقضية المعراج بالاتفاق مكية فيدفع باستثناء الخواتيم من السورة فهي مدنية باعتبار أكثرها. فقد نقل ابن الملك عن الحسن وابن سيرين ومجاهد: إن الله تعالى تولى إيحاءها بلا واسطة جبريل ليلة المعراج فهي مكية عندهم. وأما الجواب على قول الجمهور، أن السورة بكمالها مدنية. فقد قال التوربشتي: ليس معنى [قوله:] أعطي. أنها أنزلت عليه، بل المعنى أنه استجيب له فيما لقن في الآيتين من قوله سبحانه: **﴿غفرانك ربنا﴾** إلى قوله: **﴿أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾** [البقرة - ٢٨٥ و٢٨٦]. ولمن يقوم بحقها من السائلين. قال الطيبي: في كلامه إشعار بأن الإعطاء بعد الإنزال لأن المراد منه[2] الاستجابة وهي مسبوقة بالطلب والسورة مدنية والمعراج في مكة. ويمكن أن يقال هذا من قبيل: **﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾** [النجم - ١٠]. والنزول بالمدينة من قبيل: **﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى﴾** [النجم - ٣ - ٤ - ٥]. اهـ. وحاصله أنه وقع تكرار الوحي فيه تعظيماً له واهتماماً بشأنه فأوحى إليه في تلك الليلة بلا واسطة، ثم أوحى إليه في المدينة بواسطة جبريل، وبهذا يتم أن جميع القرآن نزل بواسطة جبريل كما أشار إليه سبحانه بقوله: **﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾** [الشعراء - ١٩٣ - ١٩٤]. ويمكن أن يحمل كلام الشيخ على أن المراد هنا بالإعطاء استجابة الدعاء مما اشتمل الإتيان عليه، وهو لا ينافي نزولها بعد الإسراء إليه. قال الطيبي: وإنما أوثر الإعطاء لما عبر عنها بكنز تحت العرش. فقد روينا عن أحمد بن حنبل: «أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبي قبل»[3]. وكان لنبينا ﷺ مع الله تعالى مقامان يغبطهما الأولون والآخرون أحدهما في الدنيا ليلة المعراج وثانيهما في العقبى وهو المقام المحمود، ولا أهتم فيهما إلا بشأن هذه الأمة المرحومة. **(وغفر)** بصيغة المجهول **(لمن لا يشرك بالله من أمته شيئاً المقحمات)** بالرفع على نيابة الفاعل وهو بكسر الحاء، أي الكبائر المهلكات التي تقحم صاحبها النار إن لم يتجاوز عنه الملك الغفار. والمعنى أنه ﷺ وعد تلك الليلة الكاملة بهذه المغفرة الشاملة، وإن نزل قوله تعالى: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾** [النساء - ٤٨]. بعد ذلك فإنه من سورة النساء وهي مدنية. ولعل عدم ذكر المشيئة في الحديث لظهور القضية في حكم القديم والحديث. هذا وقال ابن حجر: المراد بغفرانه أنه لا

---

(١) مسلم في صحيحه ١/ ٥٥٤ حديث رقم ٨٠٦.

(٢) في المخطوطة «منها». (٣) أحمد في المسند ٥/ ١٨٠.

رواه مسلم.

٥٨٦٦ ـ (٥) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لقد رأيتُني في الحِجرِ وقريشٌ تسألني عن مَسْراي، فسألتني عن أشياءَ من بيت المقدس لم أُثبِتْها، فكُرِبتُ كرباً ما كُرِبتُ مثلَه، فرفعَه اللّهُ لي أنظرُ إليه، ما يسألوني عن شيءٍ إلا أنبأتُهم، وقد رأيتُني في جماعةٍ من الأنبياءِ،

يخلد في النار بخلاف المشركين. وليس المراد أنه لا تعذب أمته أصلاً. إذ قد علم من نصوص الشرع وإجماع أهل السنة إثبات عذاب العصاة من الموحدين. اهـ. وفيه أنه حينئذ لا يبقى خصوصية لأمته ولا مزية لملته، اللهم إلا أن يقال المراد غالب هذه الأمة فإنها أمة مرحومة والله أعلم. (رواه مسلم).

٥٨٦٦ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لقد رأيتني)** أي والله لقد أبصرت نفسي الأنفس أو علمت ذاتي الأقدس **(في الحجر)** أي قائماً **(وقريش)** أي والحال أن جماعة من قريش **(تسألني عن مسراي)** بفتح الميم مصدر ميمي أي عن سيري إلى بيت المقدس بالضبطين **(فسألتني)** أي قريش **(عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها)** من الإثبات أي لم أحفظها ولم أضبطها لاشتغالي بأمور أهم منها **(فكربت)** بصيغة المفعول أي أحزنت **(كرباً)** كذا في جميع نسخ المشكاة وهو مفعول مطلق. والمعنى حزناً شديداً، ويناسبه قوله: **(ما كربت مثله)** أي مثل ذلك الكرب. وفي القاموس: الكرب الحزن يأخذ بالنفس كالكربة وكربه الغم فهو مكروب. قال الطيبي: كذا في المصابيح. وفي شرح صحيح مسلم: كربة. قال النووي: الضمير في قوله: مثله. يعود إلى معنى الكربة وهو الغم أو الهم أو الشيء. قال الجوهري: الكربة بالضم الغم الذي يأخذ النفس لشدته. **(فرفعه الله)** أي بيت المقدس **(لي)** أي لأجلي **(أنظر إليه)** حال، والمعنى رفع الحجاب بيني وبينه لأنظر إليه وأخبر الناس بما اطلعت عليه، وهذا معنى كلامه مستأنفاً مبيناً. **(ما يسألوني)** بتشديد النون وتخففه **(عن شيء إلا أنبأتهم)** أي أخبرتهم به في تلك الحالة المستحضرة. ولذا لم يقل ما سألوني بصيغة الماضية. **(وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء)** أي مع جمع في ليلة الإسراء، كما يدل عليه السياق والسباق واللحاق وهذه الرؤية غير رؤية السماء بالاتفاق. ثم قيل: رؤيته إياهم في السماء محمولة على رؤية أرواحهم إلا عيسى لأنه ثبت أنه رفع بجسده. وقد قيل في إدريس ذلك. وأما الذين صلوا معه في بيت المقدس فيحتمل الأرواح ويحتمل الأجساد بأرواحها. والأظهر أن صلاته لهم في بيت المقدس كان قبل العروج. قلت: قد سبق أنهم أحياء عند ربهم وأن الله حرم على الأرض أن تأكل لحومهم، ثم أجسادهم كأرواحهم لطيفة غير كثيفة فلا مانع لظهورهم في عالم الملك والملكوت على وجه الكمال بقدرة ذي الجلال. ومما يؤيد تشكل

الحديث رقم ٥٨٦٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٢٨٠. حديث رقم ٣٣٩٤. ومسلم في صحيحه ١/ ١٥٦ حديث رقم (٢٧٨ ـ ١٧٢). والترمذي في السنن ٥/ ٢٨٠ حديث رقم ٣١٣٠.

فإذا موسى قائمٌ يُصلي. فإذا رجلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كأنه من رجالِ شنوءةَ، وإذا عيسى قائمٌ يُصلي، أقربُ الناس به شبهاً عروةُ بن مسعودٍ الثَّقفيُّ، فإذا إبراهيمُ قائمٌ يُصلي، أشبهُ الناس به صاحبُكم ـ يعني نفسَه ـ فحانت الصلاةُ فأمَمْتُهم،

الأنبياء وتصوّرهم على وجه الجمع بين أجسادهم وأرواحهم قوله: (فإذا موسى قائم يصلي) فإن حقيقة الصلاة وهي الإتيان بالأفعال المختلفة إنما تكون للأشباح لا للأرواح لا سيما، وكالتصريح في المعنى المراد قوله: (فإذا رجل ضرب) أي نوع وسط (من الرجال) أو خفيف اللحم على ما في النهاية (جعد) بفتح فسكون وفيه معنيان أحدهما جعودة الجسم وهو اجتماعه، والثاني جعودة الشعر والأول أصح هاهنا. لما جاء في رواية أبي هريرة. أنه رجل الشعر. كذا قاله صاحب التحرير: قال النووي: ويجوز أن يراد به المعنى الثاني أيضاً لأنه يقال: شعر رجل إذا لم يكن شديد الجعودة. (كأنه من رجال شنوءة) وهي قبيلة مشهورة (وإذا عيسى قائم يصلي) فيه إيماء إلى أن الصلاة معراج المؤمن من حيث إنها حالة حضور الرب وكمال القرب في الحالات وأنواع الانتقالات وهو من أعظم اللذات عند عشاق الذات والصفا. (أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي) نسبة إلى ثقيف قبيل، وليس هذا أخاً لعبد الله بن مسعود كما في حواشي المصابيح فإنه هذلي. (وإذا بإبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به) أخبار متعاقبة لإبراهيم. قال الطيبي: والمعنى أكثر الناس شبهاً بإبراهيم (صاحبكم يعني نفسه) هذا من كلام أبي هريرة، أو من بعده. أي يريد النبي ﷺ بقوله: صاحبكم. نفسه وذاته إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ [التكوير ـ ٢٢]. ثم رؤيته إياهم يصلون يحتمل أنها كانت في أثناء الإسراء إلى بيت المقدس أو في نفس المسجد الأقصى وهو المعبد الأعلى ويؤيده الفاء التعقيبية في قوله: (فحانت الصلاة) أي دخل وقتها. ولعل المراد بها صلاة التحية أو يراد بها صلاة المعراج على الخصوصية. (فأممتهم) أي صرت لهم إماماً وكنت لهم إماماً في شرح مسلم للنووي. قال القاضي عياض: فإن قيل: كيف رأى موسى عليه السلام يصلي وأم ﷺ الأنبياء في بيت المقدس ووجدهم على مراتبهم في السموات. فالجواب يحتمل أنه ﷺ رآهم وصلى بهم في بيت المقدس ثم صعدوا إلى السماء فوجدهم فيها، وأن يكون اجتماعهم وصلاته معهم بعد انصرافه ورجوعه عن سدرة المنتهى. اهـ. والأظهر أنه لا منع من الجمع حيث لا يخالفه العقل والسمع، مع أن الأمور الخارقة للعادة عن الكيفية العقلية خارجة. فقد روي أنه قيل للسيد عبد القادر رحمه الله أن قضيب البان ما يصلي فقال: لا تقولوا فإن رأسه دائماً على باب الكعبة ساجد. وتشكله بصورة المتعددة في الأماكن المختلفة معروفة عند طبقة الصوفية. فكأن الأنبياء عليهم السلام كانوا يصلون في قبورهم ويستزيدون في سرورهم بنورهم وظهورهم، فلما تبين لهم اسراء سيد الأنبياء إلى جهة السماء استقبلوه واجتمعوا معه في بيت المقدس الذي هو مقر الأصفياء واقتدوا بالإمام الحي الذي هو أفضل رجال الطي ثم تقدموا بطريق المشايعة وآداب المتابعة إلى السموات وتوقف كل فيما أعطاه الله تعالى من المقامات فمر عليهم وخص كلاً بالسلام عليه، وهم أظهروا الترحيب والتعظيم لديه مع سائر الملائكة المقربين وحملة العرش والكروبيين. إلى أن تجاوز عن سدرة المنتهى وانتهى إلى مقام قاب

فلمّا فرغتُ من الصلاةِ، قال لي قائلٌ: يا محمّدُ! هذا مالكٌ خازنُ النارِ فسلّم عليه، فالتفتُّ إليه فبدأني بالسلامِ». رواه مسلم.

وهذا الباب خال عن: الفصل الثاني

الفصل الثالث

٥٨٦٧ - (٦) عن جابر، أنّه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «لما كذّبني قريشٌ قمتُ في الحجرِ فجلّى اللّهُ بي بيتَ المقدسِ، فطفقتُ أخبرهم عن آياته وأنا أنظرُ إليه». متفق عليه.

البداية بعد العروج إلى النهاية للحكم الصمدانية وللقسم الفردانية رجع عن حاله من العظمة النبوية والدولة الخاتمية واجتمع بسائر الأنبياء ثانياً ونزلوا معه متقدمين ومتأخرين وتابعاً، إلى أن اجتمعوا إلى المسجد الأقصى آخراً وصلّى بهم صلاة مودع فاخر. ثم قوله: **(فلما فرغت من الصلاة)** يحتمل أن يكون قبل صعوده وأن يكون بعد شهوده **(قال لي قائل:)** هو جبريل أو غيره من ملك جليل **(يا محمد هذا خازن النار فسلم عليه)** أي تعظيماً لجلال الملك القهار أو تواضعاً كما هو دأب الأبرار **(فالتفت إليه)** أي على قصد السلام عليه **(فبدأني بالسلام)** أي لما عرف من تعظيم المقام وآداب الكرام وقال الطيبي: إنما بدأ بالسلام ليزيل ما استشعره من الخوف منه بخلاف سلامه على الأنبياء ابتداء كما سبق قلت: قد سبق قلت أنه ابتدأ بالسلام عليهم تواضعاً له وتكريماً لهم، أو لأنه كان قائماً وهم قعود على ما صرح به في آدم، أو لأنه كان ماراً وهم وقوف وهو مختار الشيخ التوربشتي، أو لأنه حي وأنهم في صورة الأموات والله أعلم بحقيقة الحالات. **(رواه مسلم وهذا الباب خال عن الفصل الثاني)** أي فلا تستغرب من قوله.

(الفصل الثالث)

٥٨٦٧ - **(عن جابر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: لما كذبني)** أي نسبني إلى الكذب **(قريش)** أي فيما ذكرت من قضية الإسراء وطلبوا مني علامات بيت المقدس وما [في] طريقه من الإنس **(قمت في الحجر)** أي في موضع بدىء بي الصعود أوّلاً ليتجلي لي الشهود ثانياً **(فجلى الله)** بتشديد اللام من التجلية أي فأظهر **(لي بيت المقدس)** أي وطريقه الأقدس **(فطفقت)** بكسر الفاء قبل القاف، أي فشرعت. **(أخبرهم عن آياته)** أي علامات بيت المقدس ودلالاته مما يكون من شواهد حالات النبي ﷺ ودلائل معجزاته **(وأنا أنظر إليه)** أي كان نظري واقع عليه وجسدي حاضر لديه. **(متفق عليه)**.

تم الجزء العاشر، ويليه الجزء الحادي عشر

وأوله: «باب في المعجزات» من كتاب الفضائل والشمائل

الحديث رقم ٥٨٦٧: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/ ١٩٦. حديث رقم ٣٨٨٦. ومسلم في صحيحه ١/ ١٥٦ حديث رقم (٢٧٦ - ١٧٠). والترمذي في السنن ٥/ ٢٨١ حديث رقم ٣١٣٣. وأحمد في المسند ٣/ ٣٧٨.

الفهرس

كتاب الفتن

كتاب أحوال القيامة وبدء الخلق

كتاب الفضائل والشمائل